



٩٧٨

تفسير

جامع

الشيخ

الشيخ

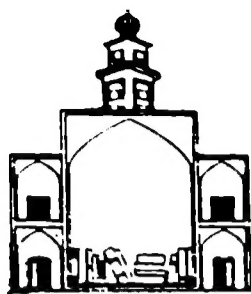
رحمته

رحمته

رحمته

رحمته

رحمته



٩٧٨



تفسير

جوامع الجامع

للمفسر الكبير والمحقق الأفاضل

الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من أعلام القرن السادس الهجري

لجزء الثالث

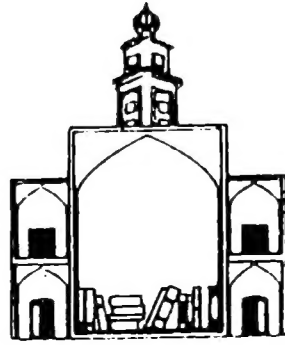
بمحقق

موسى صدر الدين السليبي

التابعة لجماعة المدرسين بجمهورية

شابك ٥ - ١٥٨ - ٤٧٠ - ٩٦٤

ISBN 964 - 470 - 158 - 5



جوامع الجامع

(ج ٣)

- المفسّر الكبير الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره
- مؤسّسة النشر الإسلامي
- التفسير
- ٣ أجزاء
- الأولى
- ٢٠٠٠ نسخة
- ١٤٢١ هـ

- تأليف:
- تحقيق ونشر:
- الموضوع:
- عدد الأجزاء:
- الطبعة:
- المطبوع:
- التاريخ:

مؤسّسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة

سورة الروم

مَكِّيَّةٌ ^(١) إِلَّا آيَةً مِنْهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ ^(٢) وَهِيَ سِتُّونَ

آيَةً، ﴿الْمَ﴾ كُوفِيٌّ، ﴿بِضْعِ سِنِينَ﴾ غَيْرُهُمْ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بَعْدَ كُلِّ مَلَكٍ سَبَّحَ اللَّهَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَأَذْرَكَ مَا ضَيَّعَ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَ (١) غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٨ ص ٢٢٦: هِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ، لَيْسَ فِيهَا نَاسِخٌ وَلَا مَنْسُوخٌ. وَقَالَ الْحَسَنُ: كُلُّهَا مَكِّيَّةٌ إِلَّا قَوْلُهُ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَحِينَ تَظْهَرُونَ﴾. وَهِيَ سِتُّونَ آيَةً كُوفِيٌّ وَبَصْرِيٌّ وَمَدَنِيٌّ الْأَوَّلُ وَشَامِيٌّ، وَتَسَعٌ وَخَمْسُونَ فِي الْمَدَنِيِّ الْأَخِيرِ وَالْمَكِّيِّ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٣ ص ٤٦٦: مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَةَ ١٧ فَمَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ٦٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِنْشِقَاقِ. وَفِي تَفْسِيرِ الْآلُوسِيِّ: ج ٢١ ص ١٦ مَا لَفْظُهُ: مَكِّيَّةٌ كَمَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ الزُّبَيْرِ، بَلْ قَالَ عَطِيَّةٌ وَغَيْرُهُ: لَا خِلَافَ فِي مَكِّيَّتِهَا وَلَمْ يَسْتَشْنُوا مِنْهَا شَيْئًا، وَقَالَ الْحَسَنُ: هِيَ مَكِّيَّةٌ إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ الْآيَةُ وَهُوَ خِلَافُ مَذْهَبِ الْجُمْهُورِ وَالتَّفْسِيرِ الْمَرْضِيِّ، وَآيَاتُهَا سِتُّونَ، وَعِنْدَ بَعْضٍ تَسَعٌ وَخَمْسُونَ.

(٢) الْآيَةُ: ١٧.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٣ ص ٤٨٩ مَرْسَلًا.

سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) ﴿

﴿الْأَرْض﴾ أرض العرب، لأنَّ المعهودة عِنْدَ الْعَرَبِ أَرْضُهُمْ، والمعنى: ﴿غَلِبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى﴾ أرض العرب مِنْهُمْ، وهي أطرافُ أرضِ الشَّامِ، وقيل: هي أرض الجزيرة، وهي أَدْنَى أرضِ الرُّومِ إلى فارس^(١).

والبضْعُ: ما بين الثلاثِ إلى العشر، قيل: احتَرَبَتِ الرُّومُ وفارسُ بين أذرعات وبُصرى، فغَلِبَتْ فارسُ الرومَ، فبَلَغَ الْخَبْرُ مَكَّةَ، فَشَقَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ والمسلمينَ، لأنَّ فارسَ مَجُوسَ والرُّومَ أَهْلُ كِتَابٍ، وَفَرَحَ الْمُشْرِكُونَ وَقَالُوا: أَنْتُمْ وَالنَّصَارَى أَهْلُ كِتَابٍ، وَنَحْنُ وَفَارِسُ لَا كِتَابَ لَنَا، وَقَدْ ظَهَرَ إِخْوَانُنَا عَلَى إِخْوَانِكُمْ، وَلَنَظْهَرَنَّ نَحْنُ عَلَيْكُمْ، فَزَلَّتْ: ﴿وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ يعني: أَنَّ الرُّومَ مِنْ بَعْدِ غَلْبَةِ فَارِسِ إِيَّاهُمْ سَيَغْلِبُونَهُمْ ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾^(٢). وهذه من الآياتِ الشَّاهِدَةِ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّهُ أَنْبَأَ بِمَا سَيَكُونُ وَهُوَ الْغَيْبُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: التَّقَيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَالتَّقَتِ الرُّومُ وَفَارِسُ، فَنَصَرَنَا اللَّهُ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَنَصَرَ اللَّهُ الرُّومَ عَلَى

(١) قاله مجاهد. راجع الكشاف: ج ٣ ص ٤٦٦.

(٢) قاله عكرمة. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ١٦٤.

المجوسِ فَفَرَحْنَا ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ إِيَّانَا عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَنَضْرُ أَهْلَ الْكِتَابِ عَلَى الْمَجُوسِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ وهو يَوْمُ بَدْرِ^(١).

﴿مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي: في أوَّلِ الوقتينِ وَآخِرُهُمَا، حِينَ غَلَبُوا وَحِينَ يُغَلَّبُونَ، يعني: أَنَّ كَوْنَهُمْ مَغْلُوبِينَ أَوَّلًا وَغَالِبِينَ آخِرًا، لَيْسَ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ وَيَوْمَ يَغْلِبُ الرُّومُ فَارِسَ ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ، وَتَغْلِيهِ مَنْ لَهُ كِتَابٌ عَلَى مَنْ لَا كِتَابَ لَهُ، وَقِيلَ: نَصَرُ اللَّهُ أَنَّهُ وَلَّى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا وَفَرَّقَ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ قُوَّةٌ لِلْإِسْلَامِ^(٢). ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ، كَقَوْلِكَ: لَهُ عَلَيَّ أَلْفُ دِرْهَمٍ اعْتِرَافًا؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: اعْتَرَفْتُ لَكَ بِهَا اعْتِرَافًا، وَوَعَدَ اللَّهُ ذَلِكَ وَعْدًا لِأَنَّ الْكَلَامَ الْمَتَقَدِّمَ فِي مَعْنَى «وَعَدْتُمْ».

ثُمَّ ذَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ بُصَرَاءُ بِأُمُورِ الدُّنْيَا، يَعْلَمُونَ مَنَافِعَهَا وَمَضَارَّهَا، غَافِلُونَ عَنِ أُمُورِ الدِّينِ، وَعَنِ الْحَسَنِ: بَلَغَ مِنْ عِلْمِ أَحَدِهِمْ بِدُنْيَاهُ أَنَّهُ يَقْلِبُ الدَّرْهَمَ عَلَى ظَفَرِهِ فَيُخْبِرُكَ بِوِزْنِهِ، وَمَا يُحْسِنُ أَنْ يُصَلِّيَ^(٣).

وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، وَفِي هَذَا الْإِبْدَالِ إِيْذَانٌ بِأَنَّ عَدَمَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ الْجَهْلُ، وَوُجُودَ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَتَجَاوَزُ الدُّنْيَا، مُسْتَوِيَانِ فِي أَنْفُسِهِمْ. يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَوَّلَمَ يُحْدِثُوا التَّفَكُّرَ فِي قُلُوبِهِمُ الْفَارِغَةِ مِنَ الْفِكْرِ؟ وَالتَّفَكُّرُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْقُلُوبِ وَلَكِنَّهُ زِيَادَةُ تَصْوِيرٍ لِحَالِ الْمُتَفَكِّرِينَ، كَمَا يُقَالُ: اعْتَقَدَ فِي قَلْبِهِ، أَيْ: أَوَّلَمَ يَتَفَكَّرُوا فَيَقُولُوا هَذَا الْقَوْلَ أَوْ فَيَعْلَمُوا ذَلِكَ؟ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ صِلَةً لِلتَّفَكُّرِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَوَّلَمَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمُ الَّتِي هِيَ

(١) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٦٣.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٤٦٧.

(٣) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ١٩٦.

أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فَيَتَدَبَّرُوا مَا أَوْدَعَهَا اللَّهُ مِنْ غَرَائِبِ الْحِكْمِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّدْبِيرِ دُونَ الْإِهْمَالِ؟

وقوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: ما خلقها باطلاً وعبثاً بغير غرضٍ صحيح، وإنما خلقها مقرونةً بالحقِّ مصحوبةً بالحكمةِ وبتقديرٍ أجلٍ مُّسَمًّى لا بدَّ أن ينتهي إليه، وهو قيامُ الساعةِ ووقتُ الجزاءِ والحسابِ، والمرادُ ببقاءِ ربِّهم: الأجلُ المُسمًّى، والباءُ في ﴿بالحقِّ﴾ مثلها في قولك: اشتريتُ الفرسَ بسرِّجِه ولجامِه.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ (١٠) اللَّهُ يَبْدُوهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦)﴾

هذا تقريرٌ لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثارِ المهلكين من الأمم الخالية بتكذيبهم الرُّسل، ثُمَّ وَصَفَ أَحْوَالَهُمْ وَأَنَّهُمْ ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ أي: حَرَّثُوا الْأَرْضَ، وَسَمَّى الثَّوَرَ لِإِثَارَتِهِ الْأَرْضَ، وَالْبَقْرَةَ لِبَقْرِهَا، وَهُوَ الشَّقُّ ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا﴾ عَمَرَ هَؤُلَاءِ ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بتدميرِهِ إِيَّاهُمْ، لِأَنَّ حَالَهُ مُنَافِيَةٌ لِلظُّلْمِ وَلَكِنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِفِعْلِهِمْ مَا أَوْجَبَ تَدْمِيرَهُمْ.

وَقُرِئَ: ﴿عَقِبَةً﴾ بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ ^(١)، و﴿السُّوْأَى﴾ تَأْنِيثُ «الْأَسْوَاءِ»، وَهُوَ الْأَقْبَحُ، كَمَا أَنَّ «الْحُسْنَى» تَأْنِيثُ «الْأَحْسَنَ»، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ عُوِقِبُوا فِي الدُّنْيَا بِالذَّمِّ ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَتُهُمُ السُّوْأَى، إِلَّا أَنَّهُ وُضِعَ الْمُظْهَرُ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، فَمَنْ نَصَبَ ﴿عَقِبَةً﴾ جَعَلَهَا الْخَبَرَ، وَالسُّوْأَى: هِيَ الْعُقُوبَةُ الَّتِي هِيَ أَسْوَأُ الْعُقُوبَاتِ فِي الْقِيَامَةِ وَهِيَ جَهَنَّمُ، و﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ بِمَعْنَى «لَأَنْ كَذَّبُوا».

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾ أَي: إِلَى ثَوَابِهِ أَوْ عِقَابِهِ ﴿تُرْجَعُونَ﴾ وَقُرِئَ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ ^(٢). وَالْإِبْلَاسُ: أَنْ يَبْقَى يَائِسًا سَاكِنًا مُتَحِيرًا، و«شُرَكَاءُهُم» الَّذِينَ عَبْدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ يَكْفُرُونَ بِالْإِلَهِيَّتِهِمْ وَيَجْحَدُونَهَا. وَالضَّمِيرُ فِي ﴿تَفَرَّقُونَ﴾ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا بَعْدَهُ، يَتَفَرَّقُونَ فِرْقَةً لَا اجْتِمَاعَ لَهَا. ﴿فِي رَوْضَةٍ﴾ فِي بُسْتَانٍ وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَنُكِّرَتْ لِلتَّفْخِيمِ وَالِإِبْهَامِ، أَي: فِي رَوْضَةٍ وَأَيِّ رَوْضَةٍ، وَالرَّوْضَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ: كُلُّ أَرْضٍ ذَاتِ نَبَاتٍ وَمَاءٍ، وَفِي الْمَثَلِ «أَحْسَنُ مِنْ بَيْضَةٍ فِي رَوْضَةٍ» ﴿يُخْبِرُونَ﴾ يُسَرُّونَ، وَقِيلَ: هُوَ السَّمَاعُ فِي الْجَنَّةِ ^(٣). ﴿مُحْضَرُونَ﴾ لَا يَغِيبُونَ عَنْهُ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ.

﴿فَسُبْحَنَّ اللَّهَ حِينَ تُمَسُّونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا

(١) وبالرفع قرأه أهل الحجاز والبصرة والبرجمي والسموني والكسائي عن أبي بكر. راجع التبيان: ج ٨ ص ٢٣٠.

(٢) وبالياء قرأه أبو عمرو وروح ويحيى والعلمي. راجع المصدر السابق: ص ٢٣٤.

(٣) قاله ابن كثير. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ١٧٣.

إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)
وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ (٢٢) وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ ءَايَاتِهِ
يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُم دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥) ﴿
ثُمَّ عَقَّبَ سُبْحَانَهُ ذِكْرَ الْوَعْدِ وَالْوَعْدِ بِمَا يُوَصِّلُ إِلَى الْوَعْدِ وَيُنْجِي مِنَ الْوَعْدِ،
وَالْمُرَادُ بِالتَّسْبِيحِ: ظَاهِرُهُ الَّذِي هُوَ تَنْزِيهِهُ اللَّهُ جَلَّ أَسْمُهُ مِنَ الشُّوْءِ وَذِكْرُهُ فِي هَذِهِ
الْأَوْقَاتِ، وَقِيلَ: هُوَ الصَّلَاةُ^(١). وَقِيلَ لَابْنِ عَبَّاسٍ: هَلْ تَجِدُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي
الْقُرْآنِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿تُمْسُونَ﴾ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَ﴿تُصْبِحُونَ﴾
صَلَاةُ الصُّبْحِ ﴿وَعَشِيًّا﴾ صَلَاةُ الْعَصْرِ ﴿وَحِينَ تَظْهَرُونَ﴾ صَلَاةُ الظُّهْرِ^(٢).
وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُكَالَ لَهُ بِالْقَفِيزِ الْأَوْفَى فَلْيَقُلْ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ
حِينَ تُمْسُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ وَمِثْلُ ذَلِكَ الْإِخْرَاجُ تَخْرُجُونَ مِنَ
الْقُبُورِ وَتُبْعَثُونَ»^(٣).

﴿خَلَقَكُمْ﴾ أَي: خَلَقَ أَصْلَكُمْ مِنْ تُرَابٍ، وَ﴿إِذَا﴾ لِلْمَفَاجَأَةِ، وَالتَّقْدِيرُ: ثُمَّ
فَاجَأَتْكُمْ وَقَتُ كَوْنِكُمْ بَشَرًا مِّنْتَشِرِينَ فِي الْأَرْضِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا
وَنِسَاءً﴾^(٤). ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أَي: مِنْ شِكْلِ أَنْفُسِكُمْ وَجَنَسِهَا لَا مِنْ جَنَسٍ آخَرَ

(١) قاله ابن عباس وابن جبير والضحاك. راجع تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٣٠٣.

(٢) تفسير الطبري: ج ١٠ ص ١٧٤.

(٣) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٤٧٢ مرسلًا.

(٤) النباء: ١.

﴿أَزْوَاجاً﴾ لَتَطْمَثُوا إِلَيْهَا وَتَأَلَّفُوا بِهَا، وَذَلِكَ لِمَا بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ مِنْ الْإِلْفِ وَالسُّكُونِ، وَمَا بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ مِنَ التَّنَافَرِ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ أَي: تَوَادُّاً وَتَرَاحُماً بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ مَعْرِفَةٌ وَلَا سَبَبٌ يُوجِبُ التَّحَابَّ وَالتَّعَاطُفَ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ. وَالْأَلْسِنَةُ: اللُّغَاتُ أَوْ أَجْنَاسُ الْمُنْطَقِ وَأَشْكَالُهُ. خَالَفَ سَبْحَانَهُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ حَتَّى لَا يَكَادُ يُسْمَعُ بَيْنَ مُنْطَقَيْنِ مُتَّفِقَيْنِ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ النُّطْقِ وَأَحْوَالِهِ، وَكَذَلِكَ الصُّورُ وَتَخْطِيطُهَا ^(١) وَالْأَلْوَانُ وَتَنْوِيعُهَا، وَلِهَذَا الْاِخْتِلَافُ وَقَعَ التَّعَارُفُ، وَلَوْ اتَّفَقَتْ وَتَشَاكَلَتْ لَوْقَعَ الْاِلْتِبَاسُ، وَ﴿فِي ذَلِكَ﴾ آيَةٌ بَيِّنَةٌ فِي حِكْمَةِ الصَّانِعِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَقُرِئَ: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ بِفَتْحِ اللَّامِ وَكُسْرِهَا ^(٢)، وَيَشْهَدُ لِلْكَسْرِ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَغْلِيهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ^(٣).

﴿مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ هُوَ مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَتَرْتِيبِهِ ﴿وَمِنْ ءَايَتِهِ مَنَامُكُمْ، وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِلَّا أَنَّهُ فَصَّلَ بَيْنَ الْقَرِينَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ بِالْقَرِينَيْنِ الْآخَرَيْنِ لِأَنَّهُمَا زَمَانَانِ، وَالزَّمَانُ وَالْوَاقِعُ فِيهِ كَشْيٌ وَاحِدٌ، مِنْ إِعَانَةِ اللَّفِّ عَلَى الْاِتِّحَادِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: مَنَامُكُمْ فِي الزَّمَانَيْنِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ فِيهِمَا، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ لَتَكَرَّرِهِ فِي الْقُرْآنِ.

وَفِي ﴿يُرِيكُمْ﴾ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: إِضْمَارٌ، وَالْآخَرُ: إِنْزَالُ الْفِعْلِ مِنْزَلَةَ الْمَصْدَرِ وَفَسْرَ الْمَثَلِ: «تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ» عَلَى الْوَجْهَيْنِ ﴿خَوْفاً﴾ مِنْ الصَّاعِقَةِ أَوْ مِنَ الْإِخْلَافِ ﴿وَطَمَعاً﴾ فِي الْغَيْثِ، وَقِيلَ: خَوْفاً لِلْمُسَافِرِ وَطَمَعاً

(١) فِي نَسْخَةٍ: «تَخْلِيطُهَا».

(٢) قِرَاءَةُ حَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ بِكَسْرِهَا وَالباقون جميعاً بفتحها. راجع التبيان: ج ٨ ص ٢٣٩.

(٣) العنكبوت: ٤٣.

لِلْحَاضِرِ^(١)، وَهُمَا مَنْصُوبَانِ عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ، وَكَأَنَّهُ قِيلَ: يَجْعَلُكُمْ رَائِينَ الْبَرْقِ خَوْفًا وَطَمَعًا، أَوْ تَقْدِيرُهُ: إِرَادَةُ خَوْفٍ وَإِرَادَةُ طَمَعٍ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَا حَالَيْنِ أَي: خَائِفَيْنِ وَطَامِعَيْنِ.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ قِيَامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَسْتِمْسَاكُهُمَا بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴿بَأَمْرِهِ﴾ أَي: بِقَوْلِهِ: كُونَا قَائِمِينَ، وَالْمُرَادُ بِإِقَامَتِهِ لَهُمَا: إِرَادَتُهُ لَكُونِهِمَا عَلَى صِفَةِ الْقِيَامِ دُونَ الزَّوَالِ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ بِمَنْزِلَةِ ﴿يُرِيكُمْ﴾ فِي أَنَّ الْجُمْلَةَ وَقَعَتْ مَوْقِعَ الْمَفْرَدِ عَلَى الْمَعْنَى، كَأَنَّهُ قَالَ: وَمِنْ آيَاتِهِ قِيَامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ثُمَّ﴾ خُرُوجُ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُورِ إِذَا دَعَاهُمْ ﴿دَعْوَةً﴾ وَاحِدَةً: يَا أَهْلَ الْقُبُورِ أَخْرُجُوا، وَالْمُرَادُ: سُرْعَةُ وَجُودِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَلَبُّثٍ كَمَا يُجِيبُ الْمَدْعُوُّ دَاعِيَهُ الْمُطَاعَ، وَتَقُولُ: دَعَوْتُ زَيْدًا مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ فَنَزَلَ عَلَيَّ، وَدَعَوْتُهُ مِنْ أَسْفَلِ الْجَبَلِ فَطَلَعَ إِلَيَّ، وَ﴿إِذَا﴾ الْأُولَى لِلشَّرْطِ، وَالثَّانِيَةُ لِلْمَفَاجَأَةِ.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَسْنِتُونَ (٢٦) وَهُوَ الَّذِي يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَّا رَزَقْنَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ (٢٩)﴾

﴿قَسْنِتُونَ﴾ أَي: مُطِيعُونَ مُنْقَادُونَ لَوْجُودِ أَعْمَالِهِ فِيهِمْ. ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ كَمَا يَجِبُ عِنْدَكُمْ أَنَّ مَنْ أَعَادَ مِنْكُمْ صُنْعَةَ شَيْءٍ كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ وَأَسْهَلَ مِنْ إِنْشَائِهَا،

(١) قاله قتادة. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ١٧٧.

وَتُسَمُّونَ الْمَاهِرَ فِي صِنَاعَتِهِ مُعَاوِدًا، بمعنى: أَنَّهُ عَاوَدَهَا كَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى مَرَنَ عَلَيْهَا، وَذَكَرَ الضَّمِيرَ لِأَنَّ الْمُرَادَ: وَأَنْ يُعِيدَهُ أَهْوَنُ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: الْأَهْوَنُ بِمَعْنَى الْهَيْئِ^(١)، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَعَمْرِكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَا أُوجِلُ^(٢)

أَي: لَوْ جِلُّ ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أَي: الْوَصْفُ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ لغيرِهِ مِثْلُهُ، قَدْ وُصِفَ بِهِ ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وَهُوَ أَنَّهُ الْقَادِرُ الَّذِي لَا يَعْجُزُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ إِنْشَاءٍ وَإِعَادَةٍ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْحَكِيمُ الْمُحْكِمُ لِأَفْعَالِهِ﴾. وَعَنْ قَتَادَةَ: الْمَثَلُ الْأَعْلَى قَوْلُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَهُوَ الْوَصْفُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ^(٣).

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أَي: أَخَذَ لَكُمْ مَثَلًا وَأَنْتَرَعَهُ مِنْ أَقْرَبِ شَيْءٍ مِنْكُمْ وَهُوَ أَنْفُسُكُمْ، فَ«مِنْ» هُنَا لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ ﴿هَلْ لَّكُمْ مِّمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ﴾ أَي: هَلْ تَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِكُمْ وَعَبِيدُكُمْ أَمْثَالَكُمْ بِشَرِّ كَبْشَرٍ وَعَبِيدٍ كَعَبِيدٍ أَنْ يُشَارِكُوكُمْ فِيهَا ﴿رَزَقْنَكُمْ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ تَكُونُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ فِيهِ عَلَى السَّوَاءِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِقَةٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، تَهَابُونَ أَنْ تَسْتَبَدُّوا بِالتَّصَرُّفِ دُونَهُمْ كَمَا يَهَابُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنَ الْأَحْرَارِ، فَإِذَا لَمْ تَرْضُوا بِذَلِكَ لِأَنْفُسِكُمْ فَكَيْفَ تَرْضَوْنَ لِرَبِّ الْأَرْبَابِ وَمَالِكِ الرَّقَابِ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْأَحْرَارِ أَنْ تَجْعَلُوا بَعْضَ عَبِيدِهِ لَهُ شُرَكَاءَ ﴿كَذَلِكَ﴾ يَعْنِي: مِثْلُ هَذَا التَّفْصِيلِ ﴿تُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أَي: نَبِيُّهَا، لِأَنَّ التَّمَثِيلَ مِمَّا يُوضَحُ الْمَعَانِي الْخَفِيَّةَ، وَيَكُونُ كَالْتَشْكِيلِ وَالتَّصْوِيرِ لَهَا. ﴿بَلْ أَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أَي:

(١) قاله ابن عباس. راجع التبيان: ج ٨ ص ٢٤٥.

(٢) وعجزه: على أيُّنا تَعْدُو المنيَّةُ أَوَّل. والبيت منسوب لمعن بن أوس. وهو واضح المعنى. راجع الحماسة البصرية: ج ٢ ص ٦.

(٣) حكاها عنه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ١٨١.

أَشْرِكُوا، لقوله: ﴿إِنَّ الشُّرَكَاءَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جاهلين، لأنَّ العالمَ إذا رَكِبَ هَوَاهُ رَبَّمَا رَدَعَهُ عِلْمُهُ، والجاهلُ يَهيمُ على وجهه كالبهيمة لا يَكْفُهُ شَيْءٌ ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ أي: خَذَلَهُ وَلَمْ يَلْطَفْ بِهِ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ مَنَّ لَا لُطْفَ لَهُ، أي: فَمَنْ يَقْدِرُ على هداية مثله، وَيَدُلُّ على أَنَّ المُرَادَ بالاضلال الخذلانُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥) وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧)﴾

أي: قَوْمٌ وَجْهَكَ لِلدِّينِ وَعَدْلُهُ غَيْرُ مُلْتَفٍ عَنْهُ يَمِيناً وَشِمَالاً، وهو تَمَثِيلٌ لثَبَاتِهِ على الدِّينِ وَأَسْتِقَامَتِهِ عَلَيْهِ وَأَهْتِمَامِهِ بِأَسْبَابِهِ، فَإِنَّ مَنْ اهْتَمَّ بِشَيْءٍ قَوْمٌ لَهُ وَجْهَةٌ، وَسَدَّدَ إِلَيْهِ نَظْرَهُ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِكُلِّهِ ﴿حَنِيفاً﴾ حَالٌ مِنَ الْمَأْمُورِ، أَوْ مِنَ «الدِّينِ» ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ أي: الزُّمُوا فِطْرَةَ اللَّهِ، أَوْ: عَلَيْكُمْ فِطْرَةُ اللَّهِ.

وقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي «الزُّمُوا»، وَلِذَلِكَ أُضْمِرَ عَلَى

خَطَابِ الْجَمَاعَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى هَذَا الْمَضْمَرِ، وَالْفِطْرَةُ: الْخَلْقَةُ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ خَلَقَهُمْ قَابِلِينَ لِلتَّوْحِيدِ وَدِينِ الْإِسْلَامِ، غَيْرِ نَائِنٍ عَنْهُ، وَلَا مَنْكِرِينَ لَهُ، حَتَّى لَوْ تَرَكُوا لَمَّا اخْتَارُوا عَلَيْهِ دِينًا آخَرَ، وَمَنْ غَوَى مِنْهُمْ فَبِإِغْوَاءِ شَيَاطِينِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، فَاحْتَالَتَهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ دِينِهِمْ، وَأَمَرُوهُمْ أَنْ يَشْرِكُوا بِي غَيْرِي»^(١).

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، حَتَّى يَكُونَ أَبَوَاهُ هُمَا اللَّذَانِ يَهُودَانَهُ وَيَنْصُرَانَهُ»^(٢).

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ أَي: لَا يَنْبَغِي أَنْ تُبَدَّلَ تِلْكَ الْفِطْرَةُ وَتُغَيَّرَ. وَخُوطِبَ الرَّسُولُ ﷺ أَوَّلًا فَوَحَّدَ، ثُمَّ جَمَعَ ثَانِيًا لِأَنَّ خُطَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خُطَابٌ لِأُمَّتِهِ.

﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾، «فَارْقُوا دِينَهُمْ»^(٣) أَي: دِينَ الْإِسْلَامِ وَقُرَى: ﴿فَرَّقُوا﴾ أَي: جَعَلُوهُ أَدْيَانًا مُخْتَلَفَةً لِاخْتِلَافِ أَهْوَائِهِمْ ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ أَي: فِرْقًا، كُلُّ وَاحِدَةٍ تُشَايِعُ إِمَامَهَا الَّذِي أَضَلَّهَا ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ مِنْهُمْ فَرِحَ بِمَذْهَبِهِ مَسْرُورٌ، يَحْسَبُ بَاطِلُهُ حَقًّا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ مُنْقَطِعًا عَمَّا قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى: مِنَ الْمَفَارِقِينَ دِينَهُمْ، كُلُّ حِزْبٍ فَرَحِينَ بِمَا لَدَيْهِمْ، لَكِنَّهُ رَفَعَ ﴿فَرِحُونَ﴾ عَلَى الْوَصْفِ لـ ﴿كُلِّ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ أَي: مَرَضٌ أَوْ قَحْطٌ أَوْ شِدَّةٌ انْقَطَعُوا ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ ... رَحْمَةً﴾ بِأَنْ يَخْلُصَهُمْ مِمَّا أَصَابَهُمْ قَابَلُوا النِّعْمَةَ بِالْكَفْرَانِ. وَاللَّامُ فِي ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ مُجَازٌ، مِثْلُهَا فِي ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(٤).

(١) تَبْلِيسُ ابْلِيسَ لَابْنِ الْجَوْزِيِّ: ص ٢٤. (٢) الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبْرَانِيِّ: ج ١ ص ٢٦٠.

(٣) الظَّاهِرُ أَنَّ الْمَصْنُفَ اعْتَمَدَ هُنَا عَلَى الْقِرَاءَةِ بِالْأَلْفِ وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ تَبَعًا لِلْكَشَافِ.

(٤) الْقِصَصُ: ٨.

﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ نظير ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(١)، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبأل تمتعكم.
والسلطان: الحجة ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ مجاز، كما يقال: كتابه ينطق بكذا، ومعناه
الدلالة، كأنه قال: فهو يشهد بصحة شريكهم، و«ما» مصدرية، أي: بكونهم بالله
يشركون، ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير إليها، ومعناه: فهو يتكلم بالأمر
الذي بسببه يشركون.

«وَإِذَا أَذَقْنَاهُمْ رَحْمَةً» أي: نعمة من مطرٍ أو غنى أو صحة ﴿فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ
تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: بلاء من جدبٍ أو فقرٍ أو مرضٍ بسبب معاصيهم قنطوا من
الرحمة، ثم أنكروا عليهم بأنهم قد علموا أنه الباسط القابض فما لهم ﴿يَقْنَطُونَ﴾ من
رحمته، ولا يرجعون إليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من أجلها حتى
يُعيد إليهم رحمته؟

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ
يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوا
فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ
اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
ثُمَّ يُخَيِّكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُمْ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ
وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)﴾

عن أبي سعيد الخدري أنه قال: لما نزلت الآية أعطى رسول الله ﷺ فاطمة
فدكا وسلمه إليها، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام^(٢).

ولما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدّمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب فعله وذكر
ما يجب تركه. وحقّ ذي القربى: صلة الرحم، وحقّ المسكين وابن السبيل:

نَصِيهُمَا الَّذِي سُمِّيَ لهما ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي: يقصدون جهة التقرب إليه خَالِصًا لَا جَهَةَ أُخْرَى.

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا﴾ قيل: إنه ربّ الحلال، وهو أن تُعْطِيَ العَطِيَّةَ أو تُهْدِيَ الْهَدِيَّةَ لِشَابٍ أَكْثَرَ مِنْهَا فَلَيْسَ فِيهِ أَجْرٌ وَلَا وَزْرٌ^(١)، وهو المروي عن الباقر عليه السلام، وقيل: هو مثل ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾ أي: لِيَزِيدَ وَيَزْكُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ وَلَا يَزْكُو ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ وَلَا يُبَارِكُ فِيهِ^(٢). ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾ تَبْتَغُونَ بِهِ ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ خَالِصًا لَا تَطْلُبُونَ مَكَا فَاةً ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ﴾ ذَوُو الْإِضْعَافِ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَنَظِيرُ الْمُضْعِفِ الْمُقْوِي وَالْمُوسِرُ لِذَوِي الْقُوَّةِ وَالْيَسَارِ، وَقُرِئَ: «مَا آتَيْتُمْ مَنْ رَبًّا» وَهُوَ يُوَوِّلُ فِي الْمَعْنَى إِلَى قِرَاءَةِ مَنْ مَدَّ^(٣)، وَهُوَ كَمَا يَقُولُ: أَتَيْتُ الْخَطَا وَآتَيْتُ الصَّوَابَ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي ﴿مَا آتَيْتُمْ مَنْ زَكَاةٍ﴾ أَنَّهُ بِالْمَدِّ، وَقُرِئَ: «لَتَرْبُوا»^(٤) أي: لَتَزِيدُوا فِي أَمْوَالِهِمْ، أَوْ: لَتَصِيرُوا ذَوِي زِيَادَةٍ فِيمَا آتَيْتُمْ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ أَي: تَجْتَلِبُونَهَا وَتَسْتَدْعُونَهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ التَّفَاتُ حَسَنٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ بِصَدَقَاتِهِمْ هُمُ الْمُضْعِفُونَ، فَهُوَ أَمْدَحُ لَهُمْ مَنْ أَنْ يَقُولَ: فَأَنْتُمْ الْمُضْعِفُونَ، وَالضَّمِيرُ الرَّاجِعُ إِلَى «مَا» مَحذُوفٌ، أَي: هُمُ الْمُضْعِفُونَ بِهِ. ﴿اللَّهُ﴾ مَبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهُ ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾، أَي: اللَّهُ هُوَ فَاعِلُ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ آلِهَةً مَنْ يَفْعَلُ

(١) قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وإبراهيم والضحاك وطاووس. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ١٨٧ - ١٨٨.

(٢) قاله الحسن. راجع التبيان: ج ٨ ص ٢٥٤. والآية من البقرة: ٢٧٦.

(٣) قرأ ابن كثير وحده بالقصر والباقون بالمد. راجع التبيان: ج ٨ ص ٢٥١.

(٤) قرأه نافع وأبو جعفر. راجع المصدر السابق.

شَيْئاً مِنْ تِلْكَ الْأَفْعَالِ حَتَّى يَصِحَّ مَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ؟ ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ غَيْرُهُ فِي الْعِبَادَةِ.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٢) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدَّعُونَ (٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥)﴾

المُرَادُ بـ ﴿الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ هُوَ الْقَحْطُ وَقِلَّةُ الرِّيعِ فِي الْمَزْرُوعَاتِ وَالْبَيَاعَاتِ ^(١)، وَمَحَقُّ الْبَرَكَاتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ يَعْنِي: كُفَّارَ مَكَّةَ، يُرِيدُ: بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَشُؤْمِ مَعَاصِيهِمْ. وَعَنْ الْحَسَنِ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَحْرِ مُدُنُ الْبَحْرِ وَقُرَاهُ الَّتِي عَلَى شَاطِئِهِ ^(٢). وَعَنْ عِكْرَمَةَ: أَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الْأُمُصَارَ الْبَحَارَ ^(٣). وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ ظُهُورُ الشَّرِّ وَالْمَعَاصِي بِكَسْبِ النَّاسِ ذَلِكَ، وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أَي: وَبَالَ بَعْضِ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بِجَمِيعِهَا فِي الْآخِرَةِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ.

ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ تَسْبِيبَ الْمَعَاصِي لِغَضَبِ اللَّهِ وَنِكَالِهِ، حَيْثُ أَمَرَ بِأَنْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ وَيَنْظُرُوا كَيْفَ أَهْلَكَ اللَّهُ الْأُمَمَ بِمَعَاصِيهِمْ وَشُرَكَائِهِمْ.

الْقَيِّمُ: الْمُسْتَقِيمُ، الْبَلِغُ الْإِسْتِقَامَةِ الَّذِي لَا يَتَأَتَّى فِيهِ عَوَجٌ، وَتَعَلَّقَ مِنَ اللَّهِ بِـ ﴿يَأْتِي﴾ بِمَعْنَى: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ اللَّهِ يَوْمٌ لَا يَرُدُّهُ أَحَدٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

(١) فِي نَسْخَةِ: «الزَّرَاعَاتِ وَالصَّنَاعَاتِ».

(٢) حَكَاهُ عَنْهُ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٣ ص ٤٨٢.

(٣) حَكَاهُ عَنْهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ١٠ ص ١٩١.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾^(١)، أو: بِمُرَدٍّ عَلَىٰ مَعْنَى: لَا يَرُدُّهُ هُوَ بَعْدَ أَنْ يَجِيءَ بِهِ، فلا رَدَّ لَهُ مِنْ جِهَتِهِ ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ يَتَصَدَّعُونَ أَي: يَتَفَرَّقُونَ فِيهِ: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ. ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ﴾ عُقُوبَةٌ ﴿كُفْرِهِ﴾، ﴿فَلَا تُنْفِسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أَي: يُوَطِّئُونَ لَأَنْفُسِهِمْ مَنَازِلَهُمْ كَمَا لِنَفْسِهِ يُوَطِّئُ مِنْ مَهَدٍ فَرَّاشُهُ وَسَوَّاهُ كَيْلًا يُصِيبُهُ فِي مَضْجَعِهِ مَا يَنْغُصُ عَلَيْهِ مَرَقَدَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: فَعَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ يُشْفِقُونَ، مِنْ قَوْلِهِمْ فِي الشَّفِيقِ: «أُمُّ فَرَشَتْ فَأَنَامَتْ»^(٢)، وَتَقْدِيمُ الظَّرْفَيْنِ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّ ضَرَرَ الْكُفْرِ وَمَنْفَعَةَ الْإِيمَانِ وَالصَّلَاحِ لَا يَتَعَدَّيَانِ الْكَافِرَ وَالْمُؤْمِنَ.

وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بـ ﴿يَمْهَدُونَ﴾ لِتَعْلِيلِهِ ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أَي: مِمَّا يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ تَوْفِيَةِ الْوَاجِبِ مِنَ الثَّوَابِ، أَوْ: أَرَادَ مِنْ عَطَائِهِ وَقَوَاضِيهِ وَهُوَ الثَّوَابُ. وَتَرْكُ الضَّمِيرِ إِلَى الصَّرِيحِ لِتَقْرِيرِ أَنَّ الْفَلَاحَ لِلْمُؤْمِنِ الصَّالِحِ عِنْدَهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ تَقْرِيرٌ بَعْدَ تَقْرِيرٍ عَلَى الطَّرْدِ وَالْعَكْسِ.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٤٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلِيلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ

(١) الأنبياء: ٤٠.

(٢) يضرب في برّ الرجل بصاحبه. راجع مجمع الأمثال: ج ١ ص ٢٤.

بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١) فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا
وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ
يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣) ﴿

عَدَدَ سُبْحَانِهِ الْغَرَضُ فِي إِزْسَالِ رِيَّاحِ الرَّحْمَةِ، وَهُوَ أَنْ يَبْشُرَ بِالْغَيْثِ وَالْإِذَاقَةِ
مِنَ الرَّحْمَةِ - وَهِيَ الْمَطَرُ - وَحُصُولِ الْخَضْبِ الَّذِي يَتَّبِعُهُ وَالرَّوْحَ الَّذِي مَعَ هُبُوبِ
الرَّيْحِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾ فِي الْبَحْرِ عِنْدَ هُبُوبِهَا، وَإِنَّمَا زَادَ ﴿بِأَمْرِهِ﴾
لَأَنَّ الرِّيحَ قَدْ تَهَبَّتْ وَلَا تَكُونُ مُوَافِقَةً ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يُرِيدُ: تِجَارَةَ الْبَحْرِ
وَلِتَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ فِيهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ:
وَلِيُذِيقَكُمْ وَلِيَكُونَ كَذَا وَكَذَا أَرْسَلَهَا، وَأَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ كَأَنَّهُ
قَالَ: لِيَبْشُرَكُمْ وَلِيُذِيقَكُمْ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تَعْظِيمٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَفْعٌ شَأْنِهِمْ
حَيْثُ جَعَلَهُمْ مُسْتَحَقِّينَ لِأَنْ يَنْصُرَهُمْ وَيُظْهِرَهُمْ.

﴿فَيَبْسُطُهُ﴾ مَتَّصِلًا تَارَةً ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ أَي: قِطْعًا مَتَفَرِّقَةً تَارَةً ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ
يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ فِي النَّارَتَيْنِ جَمِيعًا، وَالْمُرَادُ بِ﴿السَّمَاءِ﴾: سَمْتُ السَّمَاءِ كَقَوْلِهِ:
﴿وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(١)، وَبِإِصَابَةِ الْعِبَادِ إِصَابَةُ أَرْضِيهِمْ وَبِلَادِهِمْ. ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾
مِنْ بَابِ التَّكْرِيرِ لِلتَّوَكِيدِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(٢).
وَقُرِئَ: «إِلَى أَثَرٍ»^(٣)، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ لِلْقَادِرِ الَّذِي يُحْيِي النَّاسَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ.
﴿فَرَأَوْهُ﴾ أَي: فَرَأَوْا أَثَرَ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ الْغَيْثُ وَأَثَرُهُ النَّبَاتُ، وَمَنْ قَرَأَ بِالْجَمْعِ
فَالضَّمِيرُ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَاهُ، لِأَنَّ مَعْنَى آثَارِ الرَّحْمَةِ: النَّبَاتُ، وَاسْمُ النَّبَاتِ يَقَعُ عَلَى

(٢) الحشر: ١٧.

(١) ابراهيم: ٢٤.

(٣) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم برواية أبي بكر. راجع كتاب السبعة في القراءات

القليل والكثير؛ لأنه مصدرٌ سُمِّيَ بِهِ ما يُنْبِتُ. واللامُ في ﴿لَيْن﴾ هي الموطنة للقسَم، و﴿لَظْلُوا﴾ جوابُ القَسَمِ سَدَّ مَسَدَ الجَوَابِينَ ﴿مُضْفَرًا﴾ بعد الخُضرة والنُّضرة. ذَمُّهُمُ اللهُ سبحانه بأنه إذا حَبَسَ عنهم القطرَ قَنَطُوا وأَبْلَسُوا، فإذا رَزَقُوا المَطَرَ اسْتَبَشَرُوا وأَبْتَهَجُوا، فإذا أَرْسَلَ رِيحاً فَضَرَبَتْ زُرُوعَهُمُ بالصَّفَارِ كَفَرُوا بنعمة الله، وقيل: مَعْنَاهُ: فرأوا السَّحَابَ مُضْفَرًا لأنه إذا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَمُطَرْ^(١).

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِثَّتْهُمْ بِسَايَةِ لَيْقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)﴾

﴿مِنْ ضَعْفٍ﴾ قُرِئَ بفتح الضَّادِ وَضَمِّهَا^(٢)، يَعْنِي: أَنَّ بَنِيَّتَكُمْ مَجْبُولَةٌ عَلَى الضَّعْفِ ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾^(٣) أَي: ابْتَدَأْنَاكُمْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ضَعَفًا وَذَلِكَ حَالُ الطُّفُولِيَّةِ حَتَّى بَلَغْتُمْ وَقْتَ الشَّيْبَةِ وَالْفَتَارِ^(٤) تِلْكَ حَالُ الْقُوَّةِ إِلَى وَقْتِ الْاِكْتِهَالِ، ثُمَّ رَدَّكُمْ إِلَى الضَّعْفِ وَهُوَ حَالُ الشَّيْخُوخَةِ وَالْهَرَمِ، وَفِي ذَلِكَ أَوْضَحُ دَلَالَةٍ عَلَى الصَّانِعِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ.

(١) حكاه علي بن عيسى كما في تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٣٢١.

(٢) وبالضم قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي. راجع كتاب السبعة في

القرآيات لابن مجاهد: ص ٥٠٨. (٣) النساء: ٢٨.

(٤) الفُتَار: ابتداء النشوة، (لسان العرب: مادة فتر).

﴿ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ أرادوا لَبِثَهُمْ فِي الدُّنْيَا، أَوْ فِي الْقُبُورِ، أَوْ فِي مَا بَيْنَ فَنَاءِ الدُّنْيَا إِلَى الْبَعْثِ، وَإِنَّمَا قَدَّرُوا وَقْتَ لَبِثِهِمْ سَاعَةً عَلَى وَجْهِ الْاِسْتِقْصَارِ لَهُ، أَوْ يَنْسُونَ وَيُخَمِّنُونَ ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أَي: مِثْلُ ذَلِكَ الْإِفْكَ - وَهُوَ الصَّرْفُ - كَانُوا يُصَرِّفُونَ عَنِ الصِّدْقِ وَالتَّحْقِيقِ فِي الدُّنْيَا، وَهَكَذَا كَانُوا يَبْنُونَ أَمْرَهُمْ عَلَى خِلَافِ الْحَقِّ.

الْقَائِلُونَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوِ الْأَنْبِيَاءُ أَوِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ فِي عِلْمِ اللَّهِ الْمُثَبَّتُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، أَوْ: فِي عِلْمِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ الَّذِي أَوْجَبَهُ بِحُكْمَتِهِ رَدُّوهُمَا قَالُوهُ وَحَلَفُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَرَّعُوهُمْ عَلَى إِنْكَارِ الْبَعْثِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ إِنَّهُ حَقٌّ، فَلَا يَنْفَعُكُمْ الْعِلْمُ بِهِ الْآنَ.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ لَا يُمْكِنُونَ مِنَ الْاِعْتِذَارِ، وَلَوْ اِعْتَذَرُوا لَمْ تُقْبَلْ مَعْذِرَتُهُمْ، وَلَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ الْاِئْتَابُ، يُقَالُ: اسْتَعْتَبَنِي فُلَانٌ فَأَعْتَبْتُهُ، أَي: اسْتَرْضَانِي فَأَرْضَيْتُهُ، وَحَقِيقَةُ «أَعْتَبْتُهُ»: أَزَلْتُ عَثْبَهُ، وَالْمَعْنَى: لَا يُقَالُ لَهُمْ اَرْضُوا رَبَّكُمْ بِتَوْبَةٍ وَطَاعَةٍ.

﴿ وَلَقَدْ ﴾ وَصَفْنَا لَهُمْ ﴿ كُلَّ ﴾ صِفَةٍ كَأَنَّهَا ﴿ مِثْل ﴾ فِي غَرَابِئِهَا، وَقَصَصْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ قِصَّةٍ عَجِيبَةٍ كَقِصَّةِ الْمَبْعُوثِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا يَقُولُونَهُ وَمَا يُقَالُ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لِقَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ وَعِنَادِهِمْ إِذَا جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ قَالُوا: جِئْتَنَا بِزُورٍ وَبَاطِلٍ. ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أَي: مِثْلُ ذَلِكَ الطَّبَعِ ﴿ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ ﴾ الْجَهْلَةِ فَيَمْنَعُهُمُ الطَّافَةُ الشَّافِيَةُ ^(١) لِلصُّدُورِ حَتَّى سَمَّوُا الْمُحَقِّقِينَ مُبْطِلِينَ.

﴿ فَاضْبِرْ ﴾ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴾ بِنُصْرِكَ وَإِظْهَارِ دِينِكَ عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ ﴿ حَقٌّ ﴾ وَلَا يَحْمِلَنَّكَ عَلَى الْخَفَةِ وَالْجَزَعِ مِنْ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ ظَانُونَ ﴿ لَا يُوقِنُونَ ﴾ بِأَنَّهُمْ يُبْعَثُونَ.



سورة لقمان

مَكِّيَّةٌ ^(١) سوى أربع آياتٍ، وهي أربعٌ وثلاثون آيةً، ﴿الْم﴾ كوفيٌّ، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ^(٢) بصريٌّ.

في حديث أبيّ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ لُقْمَانَ كَانَ لَهُ لُقْمَانُ رَفِيقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْحَسَنَاتِ عَشْرًا عَشْرًا بَعْدَ مَنْ عَمَلَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ» ^(٣).

وعن الباقر عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ لُقْمَانَ فِي لَيْلَةٍ وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ فِي لَيْلَتِهِ ثَلَاثِينَ مَلَكًا يَحْفَظُونَهُ مِنْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ حَتَّى يُصْبِحَ، فَإِنْ قَرَأَهَا بِالنَّهَارِ حَفَظُوهُ مِنْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ حَتَّى يُمِيسِيَ» ^(٤).

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٨ ص ٢٦٨: هي مَكِّيَّةٌ في قول مجاهد وقتادة، ليس فيها ناسخ ولا منسوخ، وقال الحسن: هي مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ لِأَنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ مَدِينَتَانِ، وَهِيَ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً حِجَازِيٌّ، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً فِيمَا عدا الحجازي.

وفي الكشف: ج ٣ ص ٤٨٩: مَكِّيَّةٌ إِلَّا الْآيَاتُ ٢٧ وَ ٢٨ وَ ٢٩ فَمَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ٣٤ وَقِيلَ: ٣٣، نَزَلَتْ بَعْدَ الصَّافَّاتِ.

(٢) الْآيَةُ: ٣٢.

(٣) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٣ ص ٥٠٥ مرسلاً.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٣٦.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم (١) تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتٌ أَلِيمٌ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١١)﴾

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ فِي الْآيَاتِ، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَا فِي تِلْكَ مِنْ مَعْنَى الْإِشَارَةِ. وَقُرِئَ بِالرَّفْعِ ^(١) عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ، أَوْ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْحَسَنَاتِ، وَهُمْ الَّذِينَ وَصَفَهُم بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالِإِيقَانِ بِالْآخِرَةِ، كَمَا يُحْكِي ^(٢) عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْأَلْمَعِيِّ، فَأَنشَدَ قَوْلَ أَوْسٍ بْنِ حَجَرَ:

(١) قرأه حمزة وحده. راجع التبيان: ج ٨ ص ٢٦٨.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٤٨٩.

الْأَلَمِيِّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَن قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا^(١)
وَلَمْ يَزِدْ، أَوْ: لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ مَا يَحْسُنُ مِنَ الْأَعْمَالِ، ثُمَّ خَصَّ مِنْهُمْ الْقَائِمِينَ
بِهَذِهِ الثَّلَاثِ لِفَضْلِهَا.

وَاللَّهُ: كُلُّ بَاطِلٍ أَلْهَى عَنْ الْخَيْرِ، وَ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾: هُوَ الطَّغْنُ فِي الْحَقِّ
وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِ، وَالتَّحَدُّثُ بِالْخُرَافَاتِ وَالْمُضَاحِيكِ، وَالْغِنَاءُ وَالْمَعَارِفُ. وَالْإِضَافَةُ
بِمَعْنَى «مِنْ» وَمَعْنَاهَا التَّبَيُّنُ، وَالْمَعْنَى: ﴿مَنْ يَشْتَرِي﴾ اللَّهُوَ مِنَ الْحَدِيثِ، وَهُوَ
إِضَافَةُ الشَّيْءِ إِلَى مَا هُوَ مِنْهُ كَبَابِ سَاجٍ وَثَوْبٍ خَزٍّ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَكَانَ يَتَّجِرُ إِلَى فَارِسٍ فَيَشْتَرِي كُتُبَ
الْأَعَاجِمِ وَيُحَدِّثُ بِهَا قُرَيْشًا وَيَقُولُ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ يُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثِ عَادٍ وَثَمُودَ،
فَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثِ رُسْتَمَ وَاسْفنديَارَ وَالْأَكَاسِرَةَ، فَيَسْتَمْلِحُونَ حَدِيثَهُ وَيَتْرَكُونَ
أَسْتِمَاعَ الْقُرْآنِ^(٢).

فَعَلَى هَذَا يَكُونُ ﴿يَشْتَرِي﴾ مِنَ الشَّرَاءِ، وَعَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ مِنْ قَوْلِهِ:
﴿اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾^(٣) أَي: اسْتَبْدَلُوهُ مِنْهُ وَأَخْتَارُوهُ عَلَيْهِ، وَعَنْ قَتَادَةَ:
اشْتَرَاؤُهُ: اسْتَحْبَابُهُ، أَي: يَخْتَارُ حَدِيثَ الْبَاطِلِ عَلَى حَدِيثِ الْحَقِّ^(٤)، وَقُرِئَ:
﴿لِيُضِلَّ﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِهَا^(٥)، وَقُرِئَ: ﴿يَتَّخِذَهَا﴾ بِالرَّفْعِ^(٦) وَالنَّصْبِ، فَالرَّفْعُ

(١) وهو من قصيدة يرثي بها أحد بني أسد وهو فضالة بن كعدة ومطلعه:

أَيَّتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا

ومعناه واضح. أنظر الكامل للمبرِّد: ج ٣ ص ١٤٠٠، وديوان أوس: ص ٥٣.

(٢) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٢٦.

(٣) آل عمران: ١٧٧.

(٤) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٢٠٢.

(٥) وبالفتح قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع كتاب العنوان في القراءات لابن خلف: ص ١٥٢.

(٦) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر. راجع كتاب ←

لِلْعَطْفِ عَلَى ﴿يَشْتَرِي﴾، وَالنَّصْبِ لِلْعَطْفِ عَلَى ﴿لِيُضِلَّ﴾ وَالضَّمِيرُ لـ«السَّبِيلِ»
لِأَنَّهَا مُؤَنَّثَةٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مَعْنَاهُ: بِغَيْرِ عِلْمٍ بِالتَّجَارَةِ، وَبِغَيْرِ بَصِيرَةٍ بِهَا حَيْثُ
يَشْتَرِي الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ، وَالضَّلَالُ بِالْهُدَى، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا
كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(١) أَي: مَا كَانُوا بُصْرَاءَ بِالتَّجَارَةِ. ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ رَافِعًا نَفْسَهُ
فَوْقَ مِقْدَارِهَا، لَا يَعْأُ بِأَيَاتِنَا، يَشْبَهُ حَالَهُ حَالِ مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا وَهُوَ سَامِعٌ ﴿كَأَنَّ فِي
أُذُنَيْهِ﴾ ثِقْلًا. وَقَوْلُهُ: ﴿كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ حَالِ مَنْ ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾
و﴿كَأَنَّ﴾ مُخَفَّفَةٌ، وَالْأَصْلُ: كَأَنَّهُ، وَالضَّمِيرُ لِلشَّانِ ﴿وَكَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقَرَأَ﴾ حَالِ
مَنْ ﴿كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعًا اسْتِنَافَيْنِ.

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مَصْدَرَانِ مُوَكَّدَانِ، الْأَوَّلُ مُوَكَّدٌ لِنَفْسِهِ وَالثَّانِي مُوَكَّدٌ لْغَيْرِهِ،
لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ فِي مَعْنَى: وَعَدَهُمُ اللَّهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، فَأَكَّدَ مَعْنَى
الْوَعْدِ بِالْوَعْدِ. وَأَمَّا ﴿حَقًّا﴾ فَدَالٌّ عَلَى مَعْنَى الثَّبَاتِ، أَكَّدَ بِهِ مَعْنَى الْوَعْدِ، وَمُوكَّدُهُمَا
جَمِيعًا قَوْلُهُ: ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
فَيُعْطِي النَّعِيمَ مَنْ يَشَاءُ وَالْبُؤْسَ مَنْ يَشَاءُ ﴿الْحَكِيمُ﴾ الَّذِي لَا يَشَاءُ إِلَّا مَا تُوجِبُهُ
الْحِكْمَةُ. هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذَكَرَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.

وَالْخَلْقُ بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ، وَ﴿الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: آلِهَتُهُمْ بِكَتْمِهِمْ بِأَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ
الْعَظِيمَةَ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ ﴿فَارُونِي﴾ مَاذَا خَلَقْتُهُ آلِهَتُكُمْ حَتَّى اسْتَوْجَبُوا عِنْدَكُمْ
الْعِبَادَةَ. ثُمَّ أَضْرَبَ عَنْ تَبَكِّيَّتِهِمْ إِلَى الشَّهَادَةِ عَلَيْهِمُ بِالتَّوَرُّطِ فِي ضَلَالٍ ظَاهِرٍ
وَعُدُولٍ عَنِ الْحَقِّ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ

→ السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٥١٢.

(١) البقرة: ١٦.

يَبْنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
 بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُہُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي
 وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ
 بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ
 إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَبْنِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ
 مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ
 يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَبْنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ
 وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧)
 وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
 مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ
 الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) ﴿

الْأَظْهَرُ أَنَّ لُقْمَانَ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا وَكَانَ حَكِيمًا، وَقِيلَ: كَانَ نَبِيًّا^(١)، وَقِيلَ: خَيْرٌ بَيْنَ
 النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ فَاخْتَارَ الْحِكْمَةَ، وَكَانَ ابْنُ أُخْتِ أَيُّوبَ أَوْ ابْنُ خَالَتهِ^(٢)، وَقِيلَ: إِنَّهُ
 عَاشَ أَلْفَ سَنَةٍ وَأَدْرَكَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخَذَ مِنْهُ الْعِلْمَ^(٣)، وَقِيلَ: إِنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ
 يَسْرُدُ الدَّرْعَ وَقَدْ لَيَّنَ اللَّهُ لَهُ الْحَدِيدَ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْأَلَهُ فَأَدْرَكَتْهُ الْحِكْمَةُ فَسَكَتَ، فَلَمَّا
 أَتَمَّهَا لَبِسَهَا وَقَالَ: نِعْمَ لُبُوسُ الْحَرْبِ أَنْتِ، فَقَالَ لُقْمَانُ: الصَّمْتُ حِكْمٌ، وَقَلِيلٌ
 فَاعِلُهُ، فَقَالَ دَاوُدُ: بِحَقِّ مَا سُمِّيتَ حَكِيمًا^(٤).

﴿أَنْ﴾ هِيَ الْمُفَسَّرَةُ؛ لِأَنَّ إِثْنَاءَ الْحِكْمَةِ فِي مَعْنَى الْقَوْلِ، وَقَدْ نَبَّهَ عَنْ أَسْمِهِ عَلَى

(١) قاله عكرمة. راجع التبيان: ج ٨ ص ٢٧٥.

(٢) قاله قتادة. راجع تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٣٣١.

(٣) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٤٩٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٩٣.

أَنَّ الْحِكْمَةَ الْحَقِيقِيَّةَ وَالْعِلْمَ الْأَصْلِيَّ هُوَ الْعَمَلُ بِمَا هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَالشُّكْرُ لَهُ، حَيْثُ فَسَّرَ إِيْتَاءَ الْحِكْمَةِ بِالْبَعْثِ عَلَى الشُّكْرِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الشُّكْرِ ﴿حَمِيدٌ﴾ حَقِيقٌ بِأَنْ يُحْمَدَ وَإِنْ لَمْ يَحْمَدْهُ أَحَدٌ.

وَقُرِئَ: ﴿يَبْنِي﴾ بَفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِهَا ^(١) كُلُّ الْقُرْآنِ، وَ«يَابُنْيَ» ^(٢)، وَمَنْ كَسَرَ فَهُوَ عَلَى قَوْلِكَ: يَا غُلَامِ أَقْبِلْ، وَمَنْ فَتَحَ عَلَى قَوْلِكَ: يَا غُلَامًا، أَبْدَلَتْ الْأَلْفُ مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ ثُمَّ حُذِفَتِ الْأَلْفُ لِلتَّخْفِيفِ، وَمَنْ أَشْكَنَ الْيَاءَ فِي الْوَصْلِ فَإِنَّهُ أَجْرَى الْوَصْلِ مَجْرَى الْوَقْفِ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لِأَنَّ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ مَنْ لَا نِعْمَةَ إِلَّا هِيَ مِنْهُ وَيَبِينُ مَنْ لَا نِعْمَةَ مِنْهُ الْبُتَّةُ وَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ نِعْمَةٌ ظُلْمٌ لَا يُحَاطُ بِكُنْهِهِ.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ تَهْنُ ﴿وَهُنَّا عَلَى وَهْنٍ﴾ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِكَ: رَجَعَ عَوْدًا عَلَى بَدءٍ. وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَي: يَتَزَايِدُ ضَعْفُهَا وَيَتَضَاعَفُ، لِأَنَّ الْحَمْلَ كُلَّمَا عَظُمَ أَزْدَادَتِ الْمَرْأَةُ ثِقَلًا وَضَعْفًا ﴿أَنْ أَشْكُرُ﴾ تَفْسِيرُ لـ ﴿وَصَيْنَا﴾.

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أَرَادَ بِنَفْيِ الْعِلْمِ بِهِ نَفْيَهُ، أَي: لَا تُشْرِكْ بِي مَا لَيْسَ بِشَيْءٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ^(٣). ﴿مَعْرُوفًا﴾ أَي: صَحَابًا مَعْرُوفًا حَسَنًا بِخُلُقٍ جَمِيلٍ وَأَحْتِمَالٍ وَبِرٍّ وَصِلَةٍ وَمَا تَقْتَضِيهِ الْمُرُوءَةُ ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي دِينِكَ، وَلَا تَتَّبِعْهُمَا فِي دِينِهِمَا وَإِنْ أَمَرْتَ بِحُسْنِ مُصَاحَبَتِهِمَا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ﴾ مَرْجِعُكَ وَمَرْجِعُهُمَا فَأَجَازِيهِمَا عَلَى كُفْرِهِمَا وَأُجَازِيكَ عَلَى إِيْمَانِكَ. وَهَذَا كَلَامٌ وَقَعَ فِي أَثْنَاءِ وَصِيَّةِ لُقْمَانَ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِطْرَادِ، تَأْكِيدًا لِمَا فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ.

وَلَمَّا وَصَّى بِالْوَالِدَيْنِ ذَكَرَ مَا تُقَاسِيهِ الْأُمُّ مِنَ الْمَشَاقِّ فِي مُدَّةِ الْحَمْلِ وَالْفِصَالِ؛

(١) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وحمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٥١٣. (٢) وهي قراءة ابن كثير. راجع المصدر السابق. (٣) العنكبوت: ٤٢.

إِجَاباً لِلتَّوَصِيَةِ بِالْوَالِدَةِ خُصُوصاً وَتَذْكِيراً بِعَظِيمِ حَقِّهَا مُفْرَداً.

وَقُرِئَ: ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بِالرَّفْعِ ^(١) وَالنَّصْبِ، فَمَنْ نَصَبَ كَانَ الضَّمِيرُ لِلْهَنَةِ مِنَ الْإِسَاءَةِ أَوْ الْإِحْسَانِ، أَي: إِنْ كَانَتْ مِثْلًا فِي الصَّغْرِ كَحَبَّةِ الْخَرْدَلِ وَكَانَتْ مَعَ صَغَرِهَا فِي أَخْفَى مَوْضِعٍ وَأَحْرَزَهُ كَجَوْفِ الصَّخْرَةِ ﴿أَوْ﴾ حَيْثُ كَانَتْ ﴿فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُحَاسِبُ بِهَا عَامِلَهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يَصِلُ عِلْمُهُ إِلَى كُلِّ خَفِيٍّ ﴿خَبِيرٌ﴾ عَالِمٌ بِكُنْهِهِ. وَمَنْ رَفَعَ فَـ ﴿تَكُ﴾ تَامَّةً، وَأَنْتَ ﴿مِثْقَالَ﴾ لِإِضَافَتِهِ إِلَى ﴿حَبَّةٍ﴾ كَمَا قِيلَ:

كَمَا شَرَقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ ^(٢)

وهو مِنْ بَابٍ مَا أَكْتَسَبَ فِيهِ الْمُضَافُ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ التَّأْنِيثَ.
الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُحَقَّرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا، لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَذْنِبْتُ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ الْآيَةُ» ^(٣).
﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ مِنَ الْأَذَى فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ مِمَّا عَزَمَهُ اللَّهُ مِنَ الْأُمُورِ، أَي: قَطَعَهُ قَطْعَ إِجْبَابٍ وَإِلْزَامٍ.
ومنه الْحَدِيثُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِرُخْصَتِهِ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِعَزَائِمِهِ» ^(٤).
وَقِيلَ: مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ الثَّبَاتُ عَلَيْهَا ^(٥). وَأَصْلُهُ مِنْ مَعْرُومَاتِ الْأُمُورِ وَمَقْطُوعَاتِهَا، أَوْ: مِنْ عَازِمَاتِ الْأُمُورِ، مِنْ قَوْلِهِ: فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ، كَقَوْلِكَ: جَدَّ الْأَمْرُ

(١) قرأه نافع. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٥٤٤.

(٢) والبيت للأعشى، وصدرة:

وَتَشْرَقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعَتْهُ

انظر ديوان الأعشى: ص ١٨٦ تحقيق كامل سليمان.

(٣) رواه العياشي في تفسيره عن ابن مسكان كما في كنز الدقائق: ج ٨ ص ٣٢.

(٤) أخرجه الهيثمي في المجمع: ج ٣ ص ١٦٣.

(٥) حكاها الماوردي في تفسيره: ج ٤ ص ٣٣٨.

وَصَدَقَ الْقِتَالُ، فَهُوَ مَصْدَرٌ وَصَفَ بِهِ الْفَاعِلُ أَوِ الْمَفْعُولُ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الطَّاعَاتِ كَانَتْ مَأْمُورًا بِهَا فِي سَائِرِ الْأُمَمِ.

وَقُرِئَ: «تُصَاعِرُ»^(١) وَ﴿تُصَعِّرُ﴾ مِنْ صَاعَرَ خَذَهُ وَصَعَّرَهَا. وَمَعْنَاهُ: أَقْبِلْ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِكَ تَوَاضِعًا وَلَا تُؤْلِهِمْ صَفْحَةً وَجْهِكَ كَمَا يَفْعَلُ الْمُتَكَبِّرُ ﴿مَرَحًا﴾ نُصِبَ عَلَى الْحَالِ بِمَعْنَى: وَلَا تَمْشِ تَمْرَحَ مَرَحًا، أَوْ أَرَادَ: وَلَا تَمْشِ لِأَجْلِ الْمَرَحِ وَالْأَشْرِ، لَا يَكُنْ غَرَضُكَ فِي الْمَشْيِ الْبَطَرُ وَالْبَطَالَةُ لَا لِكِفَايَةِ مُهِمٍّ دِينِيٍّ أَوْ دُنْيَوِيٍّ، وَالْمُخْتَالُ: مُقَابِلٌ لِلْمَاشِي مَرَحًا، وَ«الْفُخُورُ» لِلْمَصْعَرِ خَذَهُ كِبَرًا.

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ إِعْدِلْ فِيهِ حَتَّى يَكُونَ مَشْيًا بَيْنَ مَشْيَيْنِ، لَا تَدْبُ دَيْبِ الْمَتَمَاوَتِينَ، وَلَا تَتَّبِ وَثُوبَ الذُّعَارِ ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أَنْقِصْ مِنْهُ ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ أَيِ: أَوْحَشَهَا مِنْ قَوْلِهِمْ: شَيْءٌ نُكِرَ: إِذَا أَنْكَرَتْهُ النَّفُوسُ وَنَفَرَتْ وَأَسْتَوْحَشَتْ مِنْهُ.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١) وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

(١) قرأه نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥١٣.

وَالْأَرْضَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئًا وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ وَالْبَحَارُ وَالْأَنْهَارُ وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَقُرِئَ: «نِعْمَةٌ» ^(١) وَ﴿نِعْمَةٌ﴾، وَالنِّعْمَةُ: كُلُّ نَفْعٍ قُصِدَ بِهِ وَجْهُ الْإِحْسَانِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْعَالَمَ كُلَّهُ نِعْمَةً، فَمَا لَيْسَ بِحَيَوَانٍ نِعْمَةً عَلَى الْحَيَوَانِ يَنْتَفِعُ بِهِ، وَأَمَّا الْحَيَوَانُ فَايْجَادُهُ حَيًّا نِعْمَةً عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَوْ لَا إِيجَادُهُ حَيًّا لَمَا صَحَّ مِنْهُ الْإِنْتِفَاعُ، وَكُلُّ مَا أَدَّى إِلَى الْإِنْتِفَاعِ وَصَحَّحَهُ فَهُوَ نِعْمَةٌ، وَالنِّعْمَةُ الظَّاهِرَةُ: كُلُّ مَا يُعْلَمُ بِالمُشَاهَدَةِ، وَالبَّاطِنَةُ: مَا لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِدَلِيلٍ أَوْ غَابَ عَنِ الْعِبَادِ عِلْمُهُ فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهَا.

﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ﴾ مَعْنَاهُ: أَتَتَّبِعُونَهُمْ وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْعَذَابِ؟ أَي: فِي حَالِ دُعَاءِ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُمْ.

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أَي: يُفَوِّضُ أَمْرَهُ إِلَيْهِ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ هُوَ مِنْ بَابِ التَّمَثِيلِ، مُثِّلْتُ حَالَ الْمُتَوَكِّلِ بِحَالِ مَنْ تَدَلَّى مِنْ مَوْضِعٍ عَالٍ فَاسْتَمْسَكَ بِعُرْوَةِ حَبْلٍ وَثِيقٍ يَأْمَنُ أَنْقِطَاعَهُ.

وَقُرِئَ ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ﴾ وَ«يُحْزِنُكَ» ^(٢) مِنْ حَزَنَ وَأَحْزَنَ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْإِسْتِعْمَالُ: أَحْزَنَهُ، وَيُحْزِنُهُ، وَالمَعْنَى: لَا يُهَمِّنُكَ كُفْرُ مَنْ كَفَرَ وَكَيْدُهُ لِلْإِسْلَامِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَنْتَقِمُ مِنْهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ يَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ عِبَادِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ. ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ زَمَانًا قَلِيلًا بِدُنْيَاهُمْ ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شَبَّهَ الْإِزَامَهُمْ

(١) وهي قراءة أبي عمرو برواية علي بن نصر وعبيد بن عقيل عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٥١٣.

(٢) وهي قراءة نافع وحده. راجع كتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٦٥.

التَّعْذِيبَ بِاضْطِرَارِ الْمُضْطَرِّ إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِنْفِكَاحِ مِنْهُ، وَالْمُرَادُ بِالْغِلَظِ: الشَّدَّةُ وَالثَّقَلُ عَلَى الْمَعَذِبِ.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إِيْزَامٌ لَهُمْ عَلَى إِقْرَارِهِمْ بِأَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ مَعَهُ غَيْرُهُ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ ذَلِكَ يَلْزِمُهُمْ. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنْ حَمْدِ الْحَامِدِينَ، الْمُسْتَحَقُّ لِلْحَمْدِ وَإِنْ لَمْ يَحْمَدُوهُ.

وَقُرِئَ: «وَالْبَحْرُ» بِالنَّصْبِ ^(١) عَطْفًا عَلَى أَسْمِ «إِنَّ»، وَبِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ «إِنَّ» وَمَعْمُولَهَا، أَي: وَلَوْ ثَبَتَ كَوْنُ الْأَشْجَارِ أَقْلَامًا، وَثَبَتَ الْبَحْرُ مَمْدُودًا بِسَبْعَةِ أَبْحَرٍ، أَوْ: عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْوَاوُ لِلْحَالِ عَلَى مَعْنَى: وَلَوْ أَنَّ الْأَشْجَارَ أَقْلَامٌ فِي حَالِ كَوْنِ الْبَحْرِ مَمْدُودًا، وَهِيَ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي حُكْمُهَا حُكْمُ الظُّرُوفِ، وَلَا يَعُودُ مِنْهَا ضَمِيرٌ إِلَى ذِي الْحَالِ، كَبَيَّتِ أَمْرِيءَ الْقَيْسِ:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ ^(٢)
جَعَلَ الْبَحْرَ الْأَعْظَمَ بِمَنْزِلَةِ الدَّوَاةِ، وَجَعَلَ الْأَبْحَرَ السَّبْعَةَ مَمْلُوءَةً مَدَادًا، فَهِيَ تَصُبُّ فِيهِ مَدَادَهَا أَبَدًا صَبًّا لَا يَنْقَطِعُ، فَمَعْنَاهُ: وَلَوْ أَنَّ أَشْجَارَ الْأَرْضِ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ مَمْدُودٌ بِسَبْعَةِ أَبْحَرٍ، وَكُتِبَتْ بِتِلْكَ الْأَقْلَامِ وَبِذَلِكَ الْمَدَادِ كَلِمَاتُ اللَّهِ، لَنَفَدَتْ الْأَقْلَامُ وَالْمَدَادُ وَمَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ.

وَقَرَأَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَالْبَحْرُ مَدَادُهُ» ^(٣) وَيَقْوِي الْوَجْهَ الثَّانِي.
وَالأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ عِبَارَةً عَنْ مَقْدُورَاتِهِ وَمَعْلُومَاتِهِ، لِأَنَّهَا

(١) قرأه البصريان (أبو عمرو ويعقوب). راجع كتاب العنوان في القراءات لابن خلف: ص ١٥٢.

(٢) والبيت من معلقته المشهورة، وفيه يتمدح بالفروسية ويتفاخر بها، يقول: ربما باكرت الصيد قبل نهوض الطير من أوكارها على فرسٍ ماضٍ في سيره، قليل شعره، عظيم لوحه. راجع ديوان امرئ القيس: ص ٥١.

(٣) حكاها عنه علي بن القرطبي في تفسيره: ج ١٤ ص ٧٧.

إِذَا كَانَتْ لَا تَنْتَاهِي فَالْكَلِمَاتُ الَّتِي تَقَعُ عِبَارَةً عَنْهَا أَيْضاً لَا تَنْتَاهِي.

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَغْنُكُمُ إِلَّا﴾ كَخَلَقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَبَعَثَهَا، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَسْتَوِي فِي قُدْرَتِهِ الْقَلِيلُ وَالكَثِيرُ، وَالوَاحِدُ وَالْجَمْعُ، إِذْ لَا يَشْغَلُهُ فِعْلٌ عَنْ فِعْلٍ وَشَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يَسْمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ ﴿بَصِيرٌ﴾ يُبْصِرُ كُلَّ مُبْصَرٍ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ لَا يَشْغَلُهُ بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ، فَكَذَلِكَ الْخَلْقُ وَالْبَعْثُ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢) يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)

أي: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ ﴿الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ يَجْرِي فِي فَلَكِهِ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيَقْطَعُهُ إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ: الشَّمْسُ إِلَى آخِرِ السَّنَةِ وَالْقَمَرُ إِلَى آخِرِ الشَّهْرِ، وَعَنِ الْحَسَنِ: الْأَجَلُ الْمُسَمًّى: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّهُ لَا يَنْقَطِعُ جَرِيهُمَا إِلَّا حِينَئِذٍ^(١).

﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي وَصَفَ مِنْ آثَارِ صُنْعِهِ وَحِكْمَتِهِ بِسَبَبِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، الثَّابِتُ الْهِيتَةُ، وَأَنَّ الَّذِي يَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ بَاطِلٌ، وَأَنَّهُ ﴿الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ عَنْ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. ﴿بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ أَي: بِإِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ لِيُرِيَكُمْ بَعْضَ دَلَالَتِهِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أَي: لِكُلِّ مُؤْمِنٍ صَبَّارٍ عَلَى بَلَائِهِ شَكُورٍ لِنِعْمَائِهِ.

الظَّلَلُ: جَمْعُ الظِّلَّةِ، وَهِيَ كُلُّ مَا أَظْلَكَ مِنْ جَبَلٍ أَوْ سَحَابٍ ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ فِي الْإِخْلَاصِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: مُؤْمِنٌ قَدْ ثَبَتَ عَلَى مَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فِي الْبَحْرِ^(١)، وَالْخَتَّارُ: الْغَدَّارُ، وَالْخَتْرُ: أَسْوَأُ الْغَدْرِ وَأَقْبَحُهُ.

﴿لَا يَجْزِي﴾ أَي: لَا يَقْضِي ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ شَيْئاً﴾: وَالْمَعْنَى: «لَا يَجْزِي فِيهِ» فَحُذِفَ، وَ﴿الْغَرُورُ﴾: الشَّيْطَانُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ اسْتَأْثَرَهُ وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا ﴿وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ فِي أَيَّامِهِ^(٢)، وَيَعْلَمُ نُزُولَهُ فِي مَكَانِهِ وَزَمَانِهِ ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي﴾ أَرْحَامِ الْحَوَامِلِ، أَتَامٌ أَوْ نَاقِصٌ، أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَوْ أَحَدٌ أَمْ أَكْثَرٌ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ﴾ أَيْنَ ﴿تَمُوتُ﴾ وَجَعَلَ الْعِلْمَ لِلَّهِ، وَالِدَّرَايَةُ لِلْعَبْدِ لِمَا فِي الدَّرَايَةِ مِنْ مَعْنَى الْخُتْلِ وَالْحِيلَةِ، أَي: لَا تَعْرِفُ نَفْسٌ وَإِنْ عَمِلَتْ حِيلَتَهَا مَا يَخْتَصُّ بِهَا مِنْ كَسْبِهَا وَعَاقِبَتِهَا، فَمِنْ أَيْنَ لَهُ مَعْرِفَةُ مَا عَدَاهُمَا؟ وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ» وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ^(٣).



(١) قاله ابن عباس والنقاش. راجع تفسير القرطبي: ج ١٤ ص ٨٠.

(٢) في نسخة: «آياته».

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح: ج ٦ ص ٧١ ح ١٤٤، وأحمد في المسند: ج ٢ ص ١٢٢.

سورة السجدة

مَكِّيَّةٌ ^(١) غَيْرُ ثَلَاثِ آيَاتٍ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ ^(٢) إِلَى تَمَامِ الْآيَاتِ، تِسْعٌ وَعَشْرُونَ آيَةً بَصْرِيٌّ، ثَلَاثُونَ آيَةً غَيْرُهُمْ. فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ آلَمِ تَنْزِيلُ وَسُورَةِ الْمُلْكِ فَكَانَ أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ» ^(٣). وَعَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ السَّجْدَةِ فِي لَيْلَةٍ كُلِّ جُمُعَةٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ كِتَابَهُ يَمِينِهِ وَلَمْ يُحَاسِبْهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ، وَكَانَ مِنْ رُفَقَاءِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عليهم السلام» ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ
أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٨ ص ٢٩١: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ قَتَادَةَ وَمُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِمَا، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ: ثَلَاثُ آيَاتٍ مِنْهَا مَدَنِيَّةٌ، قَوْلُهُ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾ إِلَى تَمَامِ ثَلَاثِ آيَاتٍ، وَهِيَ ثَلَاثُونَ آيَةً كُوفِيٌّ وَحِجَازِيٌّ وَشَامِيٌّ، وَتِسْعٌ وَعَشْرُونَ آيَةً بَصْرِيٌّ. وَفِي الْكَشَافِ: ج ٣ ص ٥٠٦: مَكِّيَّةٌ إِلَّا مِنْ آيَةِ (٦) إِلَى غَايَةِ آيَةِ (٢٠) فَمَدَنِيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (٣٠) وَقِيلَ: (٢٩) نَزَلَتْ بَعْدَ «الْمُؤْمِنُونَ».

(٢) الْآيَةُ: ١٨.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٣ ص ٥١٧ مَرْسَلًا.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٣٦.

لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ، مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٥) ﴿

﴿تَنْزِيلُ﴾ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعْتِرَاضٌ أَثَبَّتْ أَوَّلًا: أَنَّ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا رَيْبَ فِيهِ، ثُمَّ أَضْرَبَ عَنْ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: لِأَنَّ ﴿أَمْ﴾ هَذِهِ مُنْقَطِعَةٌ إِنْكَارًا لِقَوْلِهِمْ، وَتَعْجِيبًا مِنْهُ لظهور الأمرِ فِي عَجْزِهِمْ عَنِ الْإِثْبَانِ بِسُورَةٍ مِنْهُ، ثُمَّ أَضْرَبَ عَنِ الْإِنْكَارِ إِلَى إِبْثَابِ أَنَّهُ ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يَعْنِي: قُرَيْشًا، إِذْ لَمْ يَأْتِهِمْ نَبِيُّ قَبْلَ نَبِيِّنَا ﷺ ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ اسْتِعَارَ لَفْظَ التَّرَجُّيِّ لِلْإِرَادَةِ

﴿مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ هُوَ عَلَى مَعْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْكُمْ إِذَا جَاوَزْتُمْ رِضَاهُ لَمْ تَجِدُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَلِيًّا، أَي: نَاصِرًا يَنْصُرُكُمْ وَلَا شَفِيعًا يَشْفَعُ لَكُمْ، وَالْآخَرُ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَلِيُّكُمْ الَّذِي يَتَوَلَّى مَصَالِحَكُمْ، وَشَفِيعُكُمْ أَي: نَاصِرُكُمْ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ؛ لِأَنَّ الشَّفِيعَ يَنْصُرُ الْمَشْفُوعَ لَهُ.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أَي: أَمْرَ الْوَحْيِ، فَيُنْزِلُهُ مَعَ جِبْرَائِيلَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ مَا كَانَ مِنْ قَبُولِ الْوَحْيِ أَوْ رَدِّهِ مَعَ جِبْرَائِيلَ فِي وَقْتٍ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾، كَأَنَّ الْمَسَافَةَ فِي الْهَبُوطِ وَالصُّعُودِ مَسِيرَةُ أَلْفِ سَنَةٍ، لِأَنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسَمِائَةٍ، وَهُوَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِكُمْ، فَيقْطَعُ جِبْرَائِيلُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا يَعُدُّهُ الْبَشَرُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: يُدَبِّرُ أَمْرَ الدُّنْيَا كُلِّهَا

من السماء إلى الأرض، لألف سنة، وهو يومٌ من أيام الله ^(١) ﴿ثُمَّ يَغرُجُ﴾ الأمرُ ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: يصيرُ إليه، ويثبتُ عنده، ويكتبُ في صُحُفٍ ملائكتِهِ كُلِّ وقتٍ من أوقاتِ هذه المدةِ ما يَرْتَفِعُ من ذلك الأمرِ إلى أن تَبْلُغَ المدةُ آخرَها، ثمَّ ﴿يُدَبِّرُ﴾ أيضاً ليومٍ آخرَ، وهَلُمَّ جَرّاً إلى أن تقومَ الساعةُ، وقيل: يدبِّرُ المأمورَ به من الطاعاتِ ويُنزِلُهُ مُدَبَّراً من السماءِ إلى الأرضِ، فلا يصعدُ إليه ذلك لِقَلَّةِ عَمَلِ اللهِ المخلصينَ وَقِلَّةِ الأعمالِ الصَّاعِدَةِ، لأنَّه لا يُوصَفُ بالصُّعُودِ إِلَّا الخَالِصُ ^(٢).

﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩) وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) * قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) ﴿

وَقُرِئَ: ﴿خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام وسكونها ^(٣)، فالأوَّلُ على الوَضْفِ لِكُلِّ شَيْءٍ، بمعنى: أن كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فَقَدْ أَحْسَنَهُ، والثاني على البدلِ، أي: أَحْسَنَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَحْسَنَ بمعنى «حَسَنَ»، يعني: أَنَّ جَمِيعَ خَلْقِهِ ومخلُوقاتِهِ حَسَنَةٌ وَإِنْ تَفَاوَتَتْ إِلَى حَسَنِ وَأَحْسَنِ مِنْهُ، كَمَا قَالَ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ

(١) قاله ابن عباس والضحاك. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٢٣١.

(٢) قاله الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٠٧.

(٣) وبالسكون قرأه ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو. راجع كتاب التيسير في القراءات للداني:

تَقْوِيمٌ»^(١) وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: عَلِمَ كَيْفَ يَخْلُقُهُ وَأَحْسَنَ مَعْرِفَتَهُ، أَي: عَرَفَهُ مَعْرِفَةً حَسَنَةً بِتَحْقِيقٍ وَإِتْقَانٍ^(٢). وَمِنْهُ: «قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مِثْلُ مَا يُحْسِنُهُ»^(٣).

وَسُمِّيَتِ الذَّرِّيَّةُ نَسْلًا لِأَنَّهَا تَنْسَلُ مِنْهُ أَي: تَنْفَصِلُ مِنْهُ. ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أَي: قَوَّمَهُ، وَأَضَافَ «الرُّوحَ» إِلَى ذَاتِهِ إِذْ دَانَ بِأَنَّهُ خَلَقَ عَجِيبٌ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا هُوَ. ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: صِرْنَا تُرَابًا وَذَهَبًا مُخْتَلِطِينَ بِتُرَابِ الْأَرْضِ لَا نَتَمَيَّزُ مِنْهُ كَمَا يَضِلُّ الْمَاءُ فِي اللَّبَنِ، أَوْ: غِبْنَا فِي الْأَرْضِ بِالدَّفْنِ فِيهَا، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ^(٤):

وَأَبَ مُضْلُوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وَغَوَدَرَ بِالْجُولَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ^(٥)

وَقُرِئَ: ﴿أَءِذَا﴾ و ﴿أَءِذَا﴾، بِالْأُسْتِفْهَامِ^(٦) وَتَرْكِهِ، وَرُويَ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَابْنِ عَبَّاسٍ: «صَلَلْنَا» بِالصَّادِ وَكَسْرِ اللَّامِ^(٧)، مِنْ صَلَّ اللَّحْمَ وَأَصَلَ: إِذَا أَتَنَ، وَقِيلَ: صِرْنَا مِنْ جِنْسِ الصَّلَةِ وَهِيَ الْأَرْضُ^(٨) وَأَنْتَصَبَ الظَّرْفُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ:

(١) التين / ٤.

(٢) قاله ابن عباس ومقاتل وقتادة. راجع تفسير البغوي: ج ٣ ص ٤٩٨.

(٣) نهج البلاغة: المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام القصار، حكمة (٨١).

(٤) النابغة ويراد به الذبياني، واسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن ذبيان، من بني مضر، حَكَمُ عكاظ، وأحد فحول الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية. أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص ٧٤ وما بعده.

(٥) والبيت من قصيدة طويلة يرثي بها النعمان بن الحارث الغساني. انظر ديوان النابغة: ص ٢١٢ وفيه «مصلوه» بالصاد.

(٦) تقدّمت الإشارة إلى أن المصنّف قد اعتمد في تفسيره هذا - تبعاً للكشاف - على نسخة مصحفٍ لغير قراءة حفص عن عاصم، وبالأستفهام فيهما هي قراءة عاصم وحمزة. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٤٨٥ و ٥١٦.

(٧) حكاها الآلوسي في تفسيره: ج ٢١ ص ١٢٥.

(٨) قاله أبو خلف. راجع تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٣٥٧.

﴿أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وَهُوَ «تُبْعَثُ» أَوْ «يُجَدَّدُ خَلْقُنَا»، ﴿لِقَاءَ رَبِّهِمْ﴾ هُوَ الْوُصُولُ إِلَى الْعَاقِبَةِ مِنْ تَلْقَى مَلِكِ الْمَوْتِ وَمَا وَرَائِهِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ كُفْرَهُمْ بِالْإِنشَاءِ أَضْرَبَ عَنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَبْلَغُ فِي الْكُفْرِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ بِجَمِيعِ مَا يَكُونُ فِي الْعَاقِبَةِ لَا بِالْإِنشَاءِ وَحْدَهُ، أَلَا تَرَى كَيْفَ خُوطِبُوا بِالتَّوْفِيِّ وَبِالرُّجُوعِ إِلَى رَبِّهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَبْعُوثِينَ لِلْجَزَاءِ؟ وَهَذَا مَعْنَى «لِقَاءِ اللَّهِ» وَالتَّوْفِيِّ: اسْتِيفَاءُ النَّفْسِ وَهِيَ الرُّوحُ، وَهِيَ أَنْ تُقْبَضَ كُلُّهَا لَا يُتْرَكُ مِنْهَا شَيْءٌ، مِنْ قَوْلِهِمْ: تَوَفَّيْتُ حَقِّي وَأَسْتَوْفَيْتَهُ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: جُعِلَتِ الدُّنْيَا لِمَلِكِ الْمَوْتِ مِثْلُ الْجَامِ، يَأْخُذُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ إِذَا حَانَ الْقَضَاءُ ^(١).

وَعَنْ قَتَادَةَ: إِنَّ لَهُ أَعْوَانًا مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةِ الْعَذَابِ، أَيُّ: يَتَوَفَّاهُمْ وَمَعَهُ أَعْوَانُهُ ^(٢). وَقِيلَ: يَدْعُو الْأَرْوَاحَ فَتُجِيبُهُ ثُمَّ يَأْمُرُ أَعْوَانَهُ بِقَبْضِهَا ^(٣).

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ خِطَابٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجَوَابُ ﴿لَوْ﴾ مَحْذُوفٌ، أَيُّ: لَرَأَيْتَ أَمْرًا فَظِيحًا عَظِيمًا وَحَالًا سَيِّئًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خِطَابًا لِكُلِّ أَحَدٍ، كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ لَيْسَ أَنْ أَكْرَمْتُهُ أَهَانَكَ، وَلَا يُرِيدُ مُخَاطَبًا بَعِيْنَهُ؛ وَ﴿إِذْ﴾ ظَرْفٌ لِلرُّؤْيَةِ ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ مُطْرِقُوهَا وَمُطَاطِئُوهَا حَيَاءً وَذُلًّا، يَسْتَغِيثُونَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ فَلَا يُغَاثُونَ، وَالْمَعْنَى: أَبْصَرْنَا صِدْقَ وَعْدِكَ وَوَعِيدِكَ، وَسَمِعْنَا مِنْكَ تَصَدِيقَ رُسُلِكَ، أَوْ: كُنَّا عُصِيًّا وَصُمًّا فَأَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴿فَارْجِعْنَا﴾ إِلَى الدُّنْيَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الْيَوْمَ.

(١) تفسير ابن عباس: ص ٣٤٨.

(٢) حكاة عنه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٢٣٦.

(٣) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٠٩.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١)﴾

يريد: أَنَا بَنَيْنَا أَمْرَ التَّكْلِيفِ عَلَى الْاِخْتِيَارِ دُونَ الْاضْطِرَّارِ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ عَلَى طَرِيقِ الْقَسْرِ وَالْإِجْبَارِ ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ ^(١) أَي: عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْعَمَى لاسْتِحْبَابِهِمُ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى.

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَذُوقُوا﴾ بِنِسْيَانِكُمُ الْعَاقِبَةَ، وَقَلَّةِ مُبَالَاتِكُمْ بِهَا، وَتَرْكِ اسْتِعْدَادِكُمْ لَهَا، وَالْمُرَادُ بِالنِّسْيَانِ خِلَافُ التَّذَكُّرِ ﴿إِنَّا نَسِينَكُمْ﴾ أَي: جَازَيْنَاكُمْ جَزَاءَ نِسْيَانِكُمْ، وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى التَّرْكِ، أَي: تَرَكْتُمُ الْفِكْرَ فِي الْعَاقِبَةِ فَتَرَكْنَاكُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ ^(٢). وَفِي اسْتِنَافِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا نَسِينَكُمْ﴾ وَبِنَاءِ الْفِعْلِ عَلَى «أَنَّ» وَاسْمِهَا تَشْدِيدٌ فِي

الانتقام مِنْهُمْ، أي: فذوقُوا الْعَذَابَ، أي: مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ نَكْسِ الرُّؤُوسِ وَالْغَمِّ وَالْخِزْيِ بِسَبَبِ نِسْيَانِ اللِّقَاءِ.

وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ فِي جَهَنَّمَ بِسَبَبِ مَا عَمِلْتُمْ وَ ﴿ذُكِّرُوا بِهَا﴾ أي: وُعِظُوا فَتَذَكَّرُوا وَاتَّعَظُوا بِأَنْ سَجَدُوا شُكْرًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى أَنْ هَدَاهُمْ لِمَعْرِفَتِهِ وَتَوَاضَعًا وَخُشُوعًا ﴿وَسَبِّحُوا﴾ وَنَزَّهُوا اللَّهَ مِنْ نَسْبَةِ الْقَبَائِحِ إِلَيْهِ، وَأَثْنُوا عَلَيْهِ حَامِدِينَ لَهُ.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ أي: تَرْتَفِعُ وَتَتَنَحَّى عَنِ الْمَضَاجِعِ، وَهِيَ الْفُرُشُ وَمَوَاضِعُ النَّوْمِ وَالْاضْطِجَاعِ، وَهُمْ الْمَتَهَجِّدُونَ بِاللَّيْلِ الَّذِينَ يَقُومُونَ لَصَلَاةِ اللَّيْلِ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ لِأَجْلِ خَوْفِهِمْ مِنْ سَخَطِهِ وَطَمَعِهِمْ فِي رَحْمَتِهِ.

وعن بلالٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ»^(١).

وعنه عليه السلام: «شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ كَفُّ الْأَذَى عَنِ النَّاسِ»^(٢).

وَقُرِئَ: «مَا أَخْفَى لَهُمْ» عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ^(٣)، وَهُوَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَ ﴿مَا﴾ بِمَعْنَى «الَّذِي» أَوْ بِمَعْنَى «أَيَّ»، وَرُويَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «قُرَّاتُ أَعْيُنٍ»^(٤)، أي: لَا تَعْلَمُ النَّفُوسُ كُلُّهُنَّ، وَلَا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ، وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَيَّ نَوْعٍ عَظِيمٍ مِنَ الثَّوَابِ خُبْرًا وَأَدْخَرَ لِأَوَّلِكَ، أَوْ: أَيَّ ذَلِكَ أَخْبَى وَأَدْخَرَ لَهُمْ مِمَّا تَقَرَّرُ بِهِ عِيُونُهُمْ، وَلَا مَزِيدَ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ وَلَا مَطْمَعٍ لِهَيْمَةٍ وَرَاءَهَا.

(١) رواه الحاكم في المستدرک: ج ١ ص ٣٠٨ والهيثمى في المجمع: ج ٢ ص ٢٥١.

(٢) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق: ج ٤ ص ٤٥ والزبيدي في الاتحاف: ج ٨ ص ١٦٩.

(٣) قرأه حمزة ويعقوب. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦١٣.

(٤) أنظر مختصر شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١١٩.

ومِثْلُهُ الْحَدِيثُ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ بَلَهُ مَا أَطْلَعْتُكُمْ عَلَيْهِ، اقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ الْآيَةُ»^(١).

﴿كَانَ مُؤْمِنًا﴾ و ﴿كَانَ فَاسِقًا﴾ مَحْمُولَانِ عَلَى لَفْظِ «مَنْ»، و ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ مَحْمُولٌ عَلَى مَعْنَاهُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: فَ ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ و ﴿جَنَّتِ الْمَأْوَى﴾ نَوْعٌ مِنَ الْجَنَانِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: تَأْوِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ^(٢). وَقِيلَ: هِيَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ^(٣) ﴿نُزُلًا﴾ عَطَاءٌ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالتُّزُلُ: عَطَاءُ النَّازِلِ، ثُمَّ صَارَ عَامًّا.

﴿فَمَاؤِلَهُمُ النَّارُ﴾ أَي: النَّارُ لَهُمْ مَكَانُ جَنَّةِ الْمَأْوَى لِلْمُؤْمِنِ ﴿كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ فِيهِ دَلَالَةٌ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفَاسِقِ هُنَا الْكَافِرُ و ﴿الْعَذَابُ الْأَدْنَى﴾ عَذَابُ الدُّنْيَا مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَمَا مُحِضُوا بِهِ مِنَ السِّنَةِ سَبْعَ سِنِينَ حَتَّى أَكَلُوا الْجَيْفَ، وَقِيلَ: هُوَ الْقَتْلُ يَوْمَ بَذْرِ السَّيْفِ^(٤)، وَقِيلَ: الدَّابَّةُ وَالِدَجَّالُ^(٥)، وَقِيلَ: عَذَابُ الْقَبْرِ^(٦)، و ﴿الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ﴾ عَذَابُ الْآخِرَةِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أَي: يَتُوبُونَ عَنِ الْكُفْرِ، أَوْ: لَعَلَّهُمْ يُرِيدُونَ الرُّجُوعَ وَيَطْلُبُونَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾^(٧) وَسُمِّيَتْ إِرَادَةُ الرُّجُوعِ رَجُوعًا كَمَا سُمِّيَتْ إِرَادَةُ الْقِيَامِ قِيَامًا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾^(٨).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ: ج ٦ ص ١٤٥.

(٢ و ٣) حَكَاهُمَا الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٣ ص ٥١٣.

(٤) وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ، رَاجِعُ تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ: ج ١٠ ص ٢٤٦ و ٢٤٧.

(٥) رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاجِعُ تَأْوِيلِ الْآيَاتِ: ص ٤٣٧.

(٦) قَالَهُ مُجَاهِدٌ. رَاجِعُ تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ: ج ١٠ ص ٢٤٧ ح ٢٨٢٨٣.

(٧) الْآيَةُ: ١٢ الْمَتَقَدِّمَةُ. (٨) الْمَائِدَةُ: ٦.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (٢٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ (٣٠)﴾

معنى ﴿ثُمَّ﴾: الاستبعاد لإِعْرَاضِهِمْ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ مَعَ وَضُوحِهَا بَعْدَ التَّذْكِيرِ بِهَا. و ﴿الْكِتَابَ﴾ للجنس، والضمير في ﴿لِقَائِهِ﴾ له، والمعنى: إِنَّا آتَيْنَا مُوسَى مِثْلَ مَا آتَيْنَاكَ مِنَ الْكِتَابِ، فَلَا تَكُ فِي شَكٍّ مِنْ أَنَّكَ لَقِيتَ مِثْلَهُ، إِذْ لَقِينَاكَ مِثْلَ مَا لَقِينَاهُ مِنَ الْوَحْيِ وَنَحْوِهِ ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^(١) وقيل: إِنَّ الضَّمِيرَ فِي ﴿لِقَائِهِ﴾ لِمُوسَى^(٢)، والتقدير: مِنْ لِقَائِكَ مُوسَى أَوْ لِقَاءِ مُوسَى إِيَّاكَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِكَ إِلَى السَّمَاءِ

فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُشْرِي بِِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَةٍ»^(٣).

وعلى هذا فيكون قد وعد عليه السلام أَن يَلْقَى مُوسَى قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ﴿وَجَعَلْنَا

(١) النمل: ٦. (٢) قاله ابن عباس. راجع تفسيره: ص ٣٤٩.

(٣) رواه أحمد في المسند: ج ١ ص ٢٤٥ و ٢٥٩، والبخاري في الصحيح: ج ٤ ص ١٤١.

الكتاب المُنزَل على موسى ﴿هُدًى﴾ لقومِهِ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً﴾ يُقْتَدَى بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ ﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ إِلَى مَا فِي التَّوْرَةِ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ ﴿لِمَا صَبَرُوا﴾ أَي: لِصَبْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ: لَنَجْعَلَ الْكِتَابَ الْمُنزَلَ إِلَيْكَ «نُوراً وَهُدًى» وَلَنَجْعَلَ بَعْدَكَ فِي أُمَّتِكَ أُمَّةً يَهْدُونَ النَّاسَ مِثْلَ تِلْكَ الْهَدَايَةِ لِمَا صَبَرُوا عَلَيْهِ مِنْ نُصْرَةِ الدِّينِ، وَثَبَّتُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ الْيَقِينِ. وَقُرِئَ: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾^(١) وَمَعْنَاهُ: لَمَّا صَبَرُوا جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً، وَعَنِ الْحَسَنِ: صَبَرُوا عَنِ الدُّنْيَا^(٢).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أَي: يَقْضِي فَيُمَيِّزُ الْمُحَقَّ مِنَ الْمُبْطِلِ، وَ﴿هُوَ﴾ فَضْلٌ. وَيَجُوزُ ذَلِكَ فِي الْمَضَارِعِ لِأَنَّهُ يَشْبَهُ الْأَسْمَ، وَلَوْ قُلْتُ: إِنَّ زَيْدًا هُوَ فَعَلْ لَمْ يَجْزِ. الْوَائِي فِي ﴿أَوَّلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ لِلْعَطْفِ عَلَى مَعْطُوفٍ عَلَيْهِ مَنُويٍّ مِنْ جَنْسِ الْمَعْطُوفِ، وَقُرِئَ بِالنُّونِ^(٣) وَالْيَاءِ، وَالْفَاعِلُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ لِأَنَّ «كَمْ» لَا تَقَعُ فَاعِلَةً، وَتَقْدِيرُهُ: ﴿أَوَّلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ كَثْرَةَ إِهْلَاكِ الْقُرُونِ؟ أَوْ: هَذَا الْكَلَامُ كَمَا هُوَ بِمَضْمُونِهِ، وَمَعْنَاهُ كَمَا تَقُولُ: تَعْصِمُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» الدِّمَ وَالْمَالَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ضَمِيرُ «اللَّهُ» بِدَلَالَةِ الْقِرَاءَةِ بِالنُّونِ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿لَهُمْ﴾ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَ﴿الْقُرُونُ﴾ عَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ لُوطٍ يَمْشِي أَهْلُ مَكَّةَ ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ وَدِيَارِهِمْ وَبِلَادِهِمْ.

﴿الْجُرُزُ﴾: الْأَرْضُ الَّتِي جُرَزَ نَبَاتُهَا أَي: قُطِعَ، إِمَّا لِعَدَمِ الْمَاءِ وَإِمَّا لِأَنَّهُ رُعِيَ، وَلَا يُقَالُ لِلْأَرْضِ الَّتِي لَا تُنْبِتُ: جُرُزٌ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً﴾ وَالضَّمِيرُ فِي «بِهِ» لِلْمَاءِ، ﴿تَأْكُلُ﴾ مِنَ الزَّرْعِ ﴿أَنْعَامُهُمْ﴾ مِنْ عَصْفِهِ وَ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ مِنْ حَبِّهِ.

(١) تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الْمَصْنَفَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اعْتَمَدَ فِي تَصْنِيفِهِ هَذَا عَلَى نَسْخَةِ مَصْحَفٍ لِغَيْرِ قِرَاءَةِ حَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ.

(٢) حَكَاهُ عَنْهُ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٣ ص ٥١٦.

(٣) نَسَبَهَا ابْنُ خَالَوَيْهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَالسَّلْمِيُّ. رَاجِعْ مُخْتَصَرَ شَوَاذِ الْقُرْآنِ: ص ١١٩.

الْفَتْحُ: النَّصْرُ أَوْ الْفَضْلُ بِالْحُكُومَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ ^(١) وَكَانُوا يَسْتَمْعُونَ الْمُسْلِمِينَ وَيَسْتَفْتِحُونَ اللَّهَ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُونَ: يَفْتَحُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ؟ أَيُّ فِي أَيِّ وَقْتٍ يَكُونُ﴾ ^(٢) **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** فِي أَنَّهُ كَائِنٌ؟ وَ**﴿يَوْمَ الْفَتْحِ﴾** يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ: يَوْمُ بَدْرِ ^(٣)، وَقِيلَ: هُوَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ ^(٤). وَغَرَضُهُمْ فِي السُّؤَالِ عَنْ وَقْتِ الْفَتْحِ هُوَ التَّكْذِيبُ وَالِاسْتِهْزَاءُ، فَوَقَعَ جَوَابُهُمْ عَلَى حَسَبِ مَا عُرِفَ مِنْ مُرَادِهِمْ فِي سُؤَالِهِمْ، فَكَانَتْهُ قَالَ: لَا تَسْتَعْجِلُوا بِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَتُؤْمِنُونَ وَلَا يَنْفَعُكُمُ الْإِيمَانُ كَمَا لَمْ يَنْفَعْ فِرْعَوْنَ إِيمَانُهُ عِنْدَ حُلُولِ النَّازِلِ، وَسَبْتَنْظُرُونَ وَلَا تُنْظَرُونَ.

﴿وَأَنْتَظِرُ﴾ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ وَأَنْتَظِرُ النَّصْرَةَ عَلَيْهِمْ وَهَلَاكَهُمْ فَ**﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾** هَلَاكُكُمْ وَالْغَلْبَةُ عَلَيْكُمْ.



(١) الأعراف: ٨٩.

(٢) قاله السدي. راجع تفسير البغوي: ج ٣ ص ٥٠٤.

(٣) قاله الفراء في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٣٣.

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

مدنيّة^(١)، ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ آيَةً.

في حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَحْزَابِ وَعَلَّمَهَا أَهْلَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ أُعْطِيَ الْأَمَانَ مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(٢).

وعن الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كَانَ كَثِيرَ الْقِرَاءَةِ لِسُورَةِ الْأَحْزَابِ كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جِوَارِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ»^(٣).

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٨ ص ٣١١: مدنية في قول مجاهد والحسن، وهي ثلاث وسبعون آيةً بلا خلاف.

وفي الكشف: ج ٣ ص ٥١٨: مدنية، وهي ثلاث وسبعون آية، نزلت بعد آل عمران. وروى العامة أن هذه السورة تعدل سورة البقرة، وكانت فيها آية الرجم «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألَبَتَةَ نَكَالاً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»، ذكره أبو بكر الأنباري عن أبي بن كعب، وهذا يعني أنه سبحانه رفع من الأحزاب إليه ما يزيد على ما في أيدينا!! كما وردت بالإسناد عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تعدل على عهد رسول الله ﷺ مائتي آية، فلما كُتِبَ المصحف لم يقدر منها إلا على ما هي الآن!! أنظر تفسير القرطبي: ج ١٤ ص ١١٣. قال المصنّف في مقدّمة تفسيره الكبير: والكلام في زيادة القرآن ونقصانه ممّا لا يليق بالتفسير، أمّا الزيادة فيه فمجمع على بطلانه، وأمّا النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييراً ونقصاناً. والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء. مجمع البيان: ص ١٥ الفن الخامس.

(٢) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٣ ص ٥٦٥ مرسلًا.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٢٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥)﴾

نَادَاهُ سُبْحَانَهُ بِالنَّبِيِّ وَبِالرَّسُولِ، وَتَرَكَ نِدَاءَهُ بِاسْمِهِ كَمَا قَالَ: يَا آدَمُ، يَا دَاوُدَ، وَيَا مُوسَى، إِجْلَالًا لِمَحَلِّهِ وَتَشْرِيفًا لَهُ ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ أَي: دُمْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوَى، وَاثْبُتْ عَلَيْهِ وَازْدَدْ مِنْهُ ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ وَلَا تُسَاعِدْهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَا تَقْبَلْ مِنْهُمْ رَأْيًا وَمَشُورَةً.

وَقُرِئَ: «بِمَا يَعْمَلُونَ» بِالْيَاءِ ^(١)، أَي: بِمَا يَعْمَلُ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْكَيْدِ وَالْمَكْرِ. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ وَفَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَيْهِ وَكِلَهُ إِلَيْهِ ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ مَوْكُولا إِلَيْهِ كُلُّ أَمْرٍ.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِ رَجُلٍ، وَلَا زَوْجِيَّةً وَأُمُومَةً فِي أَمْرَةٍ، وَلَا بُنُوَّةً وَدَعْوَةً فِي رَجُلٍ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ اسْمُهُ كَمَا لَيْسَ فِي حِكْمَتِهِ أَنْ يَجْعَلَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبَيْنِ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ ذَٰلِكَ لَكَانَ لَا يَنْفَصِلُ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ مِنْ إِنْسَانَيْنِ، إِذْ كَانَ يُوْدِّي إِلَيْهِ

(١) وهي قراءة أبي عمرو. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦١٥.

أَنْ يَكُونَ الْجُمْلَةُ الْوَاحِدَةُ مُتَّصِفَةً بِكَوْنِهَا مَرِيدَةً كَارِهَةً لشيءٍ واحدٍ في حالةٍ واحدةٍ إذا أُريدَ بِأَحَدِ الْقَلْبَيْنِ وَكُرِهَ بِالْآخَرِ، فَكَذَلِكَ لَا تَكُونُ الْمَرَأَةُ الْوَاحِدَةُ أُمًّا لِرَجُلٍ وَزَوْجَةً لَهُ، وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ دَعِيًّا لِرَجُلٍ وَأَبْنَاءً لَهُ؛ لِأَنَّ الْابْنَ هُوَ الْعَرِيقُ فِي النَّسَبِ، وَالْدَّعِيُّ لَا صِقُّ فِي التَّسْمِيَةِ لَا غَيْرَ، وَلَا يَجْتَمِعُ فِي الشَّيْءِ أَنْ يَكُونَ أَصِيلًا وَغَيْرَ أَصِيلٍ.

وهذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ، سُبِيَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاشْتَرَاهُ حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ لِعَمَّتِهِ خَدِيجَةَ، فَلَمَّا تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهَبَتْهُ لَهُ، وَقِيلَ: بَلِ اشْتَرَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسُوقِ عُكَاظٍ وَأُسْلَمَ، فَقَدِمَ أَبُوهُ حَارِثَةُ بْنُ شَرَاهِيلَ الْكَلْبِيُّ بِمَكَّةَ وَاسْتَشْفَعَ بِأَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَنْ يَبِيعَهُ مِنْهُ، فَقَالَ ﷺ: هُوَ حُرٌّ فَلْيَذْهَبْ حَيْثُ شَاءَ، فَأَبَى زَيْدٌ أَنْ يُفَارِقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ أَبُوهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْهَدُوا أَنَّ زَيْدًا لَيْسَ بَابْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اشْهَدُوا أَنَّ زَيْدًا ابْنِي، فَكَانَ يُدْعَى زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ، فَلَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ - وَكَانَتْ تَحْتَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ - قَالَتِ الْيَهُودُ وَالْمَنَافِقُونَ: تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ امْرَأَةَ ابْنِهِ، وَهُوَ يَنْهَى النَّاسَ عَنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ، قَوْلُهُ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ ^(١).

وَقُرِئَ: ﴿الَّتِي﴾ بِهَمْزَةٍ مَمْدُودَةٍ مَشْبَعَةٍ بَعْدَهَا يَاءٌ. وَقُرِئَ: «الْآءِ» بِهَمْزَةٍ مَمْدُودَةٍ مُخْتَلَسَةٍ لَا يَاءَ بَعْدَهَا ^(٢)، وَقُرِئَ: «الْلَايِ» بِغَيْرِ هَمْزَةٍ وَلَا مَدٍّ حَيْثُ كَانَتْ مِنَ الْقُرْآنِ ^(٣)، وَقُرِئَ: ﴿تُظَاهِرُونَ﴾ مِنْ: ظَاهَرَ، وَ «تَظَاهَرُونَ» مِنْ:

(١) وهو ما رواه القمي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٢ باسناده عن الصادق عليه السلام، والآية: ٤٠ منها.

(٢) قرأه ابن كثير ونافع وأبو جعفر. راجع التبيان: ج ٨ ص ٣١٢.

(٣) وهي قراءة ابن كثير برواية ابن فليح عن أصحابه عنه، وكذلك قرأها أبو عمرو راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٥١٨.

اَظَاهَرَ^(١) بمعنى تَظَاهَرَ، و «تَظَهَّرُونَ» من: اَظْهَرَ^(٢) بمعنى. تَظَهَّرَ، وَأَصْلُ الظَّهَارِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لَامْرَأَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي، يُقَالُ: ظَاهَرَ مِنْ امْرَأَتِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ طَلَاقاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، يَتَجَنَّبُونَ الْمَرْأَةَ الْمَظَاهَرَ مِنْهَا كَمَا يُتَجَنَّبُ الْمَطْلُوقَةُ، فَكَانَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: تَظَاهَرَ مِنْهَا: تَبَاعَدَ مِنْهَا بِجَهَةِ الظَّهَارِ، وَتَظَهَّرَ مِنْهَا: تَحَرَّزَ مِنْهَا، وَظَاهَرَ مِنْهَا: حَازَرَ مِنْهَا. وَنَظِيرُهُ: آلَى مِنْ امْرَأَتِهِ لِمَا ضَمَّنَ مَعْنَى التَّبَاعُدِ مِنْهَا، عُدِّي بِـ «مِنْ».

ومعنى قَوْلِهِمْ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي، أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا كَبَطْنِ أُمِّي فِي التَّحْرِيمِ، فَكُنُوا عَنِ الْبَطْنِ بِالظَّهْرِ، لِأَنَّ ذِكْرَ الْبَطْنِ يَقَارِبُ ذِكْرَ الْفَرْجِ.

﴿ذَلِكَ﴾ النَّسَبُ هُوَ ﴿قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: هَذَا ابْنِي، وَلَا حَقِيقَةً لَهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ أَي: لَا يَقُولُ إِلَّا الَّذِي يُوَافِقُ الْحَقِيقَةَ ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ وَلَا يَهْدِي إِلَّا سَبِيلَ الْحَقِّ، فَقَالَ مَا هُوَ الْحَقُّ، وَهَدَى إِلَى مَا هُوَ سَبِيلُ الْحَقِّ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَي: أَعْدَلُ حُكْماً وَقَوْلَاً ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا﴾ لَهُمْ آبَاءٌ فَهُمْ ﴿إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وَأَوْلِيَاؤُكُمْ، أَي: بَنُو أَعْمَامِكُمْ وَنَاصِرُكُمْ، وَقِيلَ: ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾: مُعْتَقُوكُمْ إِذَا أَعْتَقْتُمُوهُمْ فَلَكُمْ وَلَاؤُهُمْ^(٣) ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أَي: إِثْمٌ ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ إِذَا نَسَبْتُمُوهُمْ إِلَى الْمُتَنَبِّي لِظَنِّكُمْ أَنَّهُ أَبُوهُ، وَ﴿مَا تَعَمَّدَتْ﴾ فِي مَحَلِّ الْجَرِّ عَطْفاً عَلَى ﴿مَا أَخْطَأْتُمْ﴾، وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ مَبْتَدَأً مَحذُوفَ الْخَبَرِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ فِيهِ الْجُنَاحُ، وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْعَفْوَ عَنِ الْخَطَا دُونَ الْعَمْدِ عَلَى طَرِيقِ الْعُمُومِ، كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(١) قرأه ابن عامر. راجع التبيان: ج ٨ ص ٣١٢.

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو. راجع المصدر السابق.

(٣) حكاه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٨ ص ٣١٥.

«وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا أَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(١)، وَيَتَنَاولُ خَطَأَ التَّبَنِّي وَعَمْدَهُ لِعُمُومِهِ.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٦) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا (٧) لَيْسَ لَكَ الصَّدِيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨) يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) ﴿

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ في كلِّ شيءٍ من أُمُورِ الدِّينِ والدُّنْيَا، وَلِذَلِكَ أَطْلَقَ وَلَمْ يُقَيَّدْ، فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ، وَحُكْمُهُ أَنْفَذُ عَلَيْهِمْ مِنْ حُكْمِهَا، وَحَقُّهُ أَوْجَبُ عِنْدَهُمْ مِنْ حَقُوقِهَا، وَشَفَقَتُهُمْ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ شَفَقَتِهِمْ عَلَيْهَا، وَأَنْ يَبْذُلُوهَا دُونَهُ إِذَا حَلَّ خَطْبٌ، وَيَجْعَلُوهَا فِدَاهُ إِذَا لَقِحَتْ حَرْبٌ.

وَرُوي عَنْ أَبِي وَأَبْنِ مَسْعُودٍ وَأَبْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ قَرَأُوا: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَهُوَ أَبُّ لَهُمْ» وَرُوي ذَلِكَ عَنِ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ^(٢).

(١) أخرجه ابن ماجة في السنن: ج ١ ص ٦٥٩ ح ٢٠٤٣ و ٢٠٤٥ من طرقه عن ابن عباس وأبي ذر الغفاري .

(٢) انظر سنن البيهقي: ج ٧ ص ٦٩، وتفسير الآلوسي: ج ٢١ ص ١٥٢ .

وعن مجاهد: كلُّ نبيٍّ أبٌ لأُمَّتِهِ^(١)، ولذلك صارَ المؤمنونَ إِخْوَةً؛ لأنَّ النبيَّ أبُوهُمْ في الدِّينِ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ في تَحْرِيمِ النِّكَاحِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا﴾^(٢) وَلَسْنَ بِأُمَّهَاتٍ لَهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ، إِذْ لَوْ كُنَّ كَذَلِكَ لَكَانَتْ بَنَاتُهُنَّ أَخَوَاتٍ، فَكَانَ لَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ التَّزْوِيجِ بِهِنَّ ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ أَي: ذَوُو الْأَنْسَابِ ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في المِيرَاثِ بِحَقِّ الْقَرَابَةِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ يَتَوَارَثُونَ بِالْمُؤَاخَاةِ فِي الدِّينِ وَبِالْهِجْرَةِ، فَصَارَتْ هَذِهِ الْآيَةُ نَاسِخَةً لِلتَّوَارِثِ بِالْهِجْرَةِ وَالْمُؤَاخَاةِ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، أَوْ: فِي الْقُرْآنِ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ يَتَاناً لِأُولَى الْأَرْحَامِ، أَي: لِأَقْرَبَاءٍ مِنْ هَؤُلَاءِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِأَنْ يَرِثَ بَعْضًا مِنَ الْأَجَانِبِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لابتداء الغاية، أَي: أُولَى الْأَرْحَامِ بِحَقِّ الْقَرَابَةِ أَوْلَى بِالمِيرَاثِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِحَقِّ الْمُؤَاخَاةِ، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِحَقِّ الْهِجْرَةِ ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ عَنِ بَذَلِكَ وَصِيَّةَ الرَّجُلِ لِإِخْوَانِهِ فِي الدِّينِ، وَعَدَى (تَفْعَلُوا) بـ «إِلَى» لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى «تَسَدَّوْا» وَ «تَزَلَّوْا»، ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ الْمَشَارُ إِلَيْهِ مِنْ نَسْخِ الْمِيرَاثِ بِالْهِجْرَةِ وَرَدَّهُ إِلَى أُولَى الْأَرْحَامِ مَكْتُوبًا فِي اللَّوْحِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ التَّوْرَةِ.

وَإِذْ كُرِّ حِينَ أَخَذْنَا ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ جَمِيعاً ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالِدُّعَاءِ إِلَى التَّوْحِيدِ ﴿وَمِنْكَ﴾ خُصُوصاً ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ وَإِنَّمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ لِيَسْأَلَ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ تَوَاقُفِ الْأَشْهَادِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ صَدَّقُوا عَهْدَهُمْ فَيَشْهَدَ الْأَنْبِيَاءُ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ صَدَّقُوا عَهْدَهُمْ وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ، أَوْ: لِيَسْأَلَ الْأَنْبِيَاءُ مَا الَّذِي أَجَابْتُهُمْ بِهِ أُمَمُهُمْ كَقَوْلِهِ: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ﴾^(٣)،

(٢) الْآيَةُ: ٥٣.

(١) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ: ص ٥٤٦.

(٣) الْمَائِدَةُ: ١١٦.

أَوْ: لِيَسْأَلَ الَّذِينَ صَدَقُوا مَاذَا قَصَدْتُمْ بِصَدَقِكُمْ وَجْهَ اللَّهِ أَمْ غَيْرَهُ؟ وَفِيهِ تَهْدِيدٌ
لِلْكَاذِبِ.

قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا سُئِلَ الصَّادِقُ عَنْ صِدْقِهِ عَلَى أَيِّ وَجْهِ فَيُجَازَى بِحَسَبِهِ،
فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْكَاذِبِ؟!

وَالْمِيثَاقُ الْغَلِيظُ: الْيَمِينُ بِاللَّهِ عَلَى الْوَفَاءِ بِمَا حَمَلُوا، وَالْغَلْظُ اسْتِعَارَةٌ، وَالْمُرَادُ:
عِظْمُ الْمِيثَاقِ وَجَلَالَةُ قَدْرِهِ فِي بَابِهِ.

﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، وَهُوَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ
جُنُودٌ﴾ وَهُمْ الْأَحْزَابُ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا﴾ وَهِيَ الصَّبَا أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَكْفَأَتْ قُدُورَهُمْ، وَنَزَعَتْ فَسَاطِيطَهُمْ،
وَسَفَتِ التُّرَابَ فِي وَجُوهِهِمْ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ»^(١).

﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَحِينَ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِقْبَالِهِمْ
ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ، أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، ثُمَّ خَرَجَ وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ
آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَضَرَبَ مَعْسَكَرَهُ وَالْخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ، وَأَشْتَدَّ الْخَوْفُ فِي
الْمُسْلِمِينَ، وَرُفِعَتِ الدَّرَارِيُّ وَالتَّنَائِي فِي الْآطَامِ، وَنَجَمَ النِّفَاقُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ،
وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ حَتَّى نَزَلَتْ بَيْنَ الْجَرَفِ وَالْغَابَةِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ
أَحَابِيثِهِمْ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنْ كِنَانَةَ وَأَهْلِ تُهَامَةَ وَقَائِدُهُمْ أَبُو سُفْيَانَ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ
وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ حَتَّى نَزَلُوا إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ وَقَائِدُهُمْ عُيَيْنَةُ بْنُ حُصَيْنٍ
وَعَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ وَمَالَائُهُمُ الْيَهُودُ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، وَأَقَامَ الْمُشْرِكُونَ بَضْعًا

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ: ج ١ ص ٢٢٨ و ٣٢٤ و ٣٤١، وَابْنُ خَالٍ فِي الصَّحِيحِ: ج ٢
ص ٤١ و ج ٤ ص ١٣٢.

وعشرين ليلةً لم يكن بينهم وبين المسلمين قتالٌ إلا الرمي بالنبل والحجارة، غير أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود، وضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبي لهب، ونوفل بن عبد الله خرجوا على خيولهم حتى مروا ببني كنانة فقالوا: تهيتأوا للحرب فستعلمون اليوم من الفرسان، ثم أقبلوا تعنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا، ونادى عمرو وكان يعدُّ بألف فارسٍ: من يبارز؟ فقام عليٌّ عليه السلام وهو مقنع في الحديد فقال له: أنا له يا رسول الله، فقال: إنه عمرو، اجلس، ونادى عمرو الثانية والثالثة يقول: ألا رجل؟ أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها؟ فقام عليٌّ عليه السلام، فأذن له رسول الله ﷺ، وألبسه درعه ذات الفضول، وأعطاه ذا الفقار، وعممه عمامته السحاب، وقال: اللهم أحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه، وتجاولاً فضربه عمرو في الدرة فقتلها وأصاب رأسه فشجّه، وضربه عليٌّ عليه السلام وثارت بينهما عجاجة، فسمع عليٌّ عليه السلام يكبر، فقال النبي ﷺ: قتله والذي نفسي بيده، فجزّ عليٌّ رأسه وأقبل نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل، فقال النبي ﷺ: أبشِر يا علي، فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد ﷺ لرجح عملك بعملهم^(١).

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت عن سُنَّها حيرة وشخوصاً، وقيل: عدلت عن كل شيء فلم تلتفت

(١) أنظر تفسير القمي: ج ٢ ص ١٧٦ - ١٨٨.

إِلَّا إِلَىٰ عَدُوِّهَا لَشِدَّةِ الْخَوْفِ ^(١)، و ﴿الْحَنَاجِرُ﴾ جَمْعُ الْحَنْجَرَةِ وَهِيَ مُنْتَهَى الْحَلْقُومِ، قَالُوا: إِذَا انْتَفَخَتِ الرَّثَّةُ مِنْ فَرْعٍ أَوْ غَمٍّ أَوْ غَضَبٍ رَبَّتْ وَارْتَفَعَ الْقَلْبُ بَارْتِفَاعِهَا إِلَىٰ رَأْسِ الْحَنْجَرَةِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْجَبَانِ: انْتَفِخْ سَحْرُهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَثَلًا فِي أَضْطِرَابِ الْقُلُوبِ وَوَجْهِهَا وَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ الْحَنَاجِرَ حَقِيقَةً ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ الْمُخْتَلِفَةَ، زِيدَتِ الْأَلْفُ فِي الْفَاصِلَةِ كَمَا زَادَوْهَا فِي الْقَافِيَةِ، نَحْوُ قَوْلِهِ:

أَقِلَّ اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا ^(٢)

وكذلك «الرَّسُولَا» و «السَّيْلَا» ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ أَي: أَعْجَبُوا أَشَدَّ إِزْعَاجٍ.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَأْهْلُ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَاتَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا الْأَذْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ

(١) حكاها الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٢٦.

(٢) لجرير، وعجزه: وقولي إن أصبت لقد أصابا. والبيت مطلع قصيدة طويلة يهجو بها عبيداً الراعي النميري والفرزدق. انظر خزانة الأدب للبغدادى: ج ١ ص ٦٩ وما بعده.

وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَخْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠) ﴿

قيل: إنَّ القائلَ معتبُ بنُ قشيرٍ وأضرابُهُ من المنافقين قالوا: كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا كنوزَ كِسْرَى وقَيْصَرَ، وَنَحْنُ لَا نَقْدِرُ أَنْ نَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ، هَذَا وَاللَّهِ الْغُرُورُ^(١).
﴿يَثْرِبُ﴾ اسمُ المدينة، وقيل: أَرْضٌ وَقَعَتِ الْمَدِينَةُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا^(٢). قُرِئَ:
﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ بضمِّ الميمِ وَفَتْحُهَا^(٣)، أي: لَا قَرَارَ لَكُمْ هَاهُنَا وَلَا مَكَانَ تُقِيمُونَ فِيهِ أَوْ تَقُومُونَ ﴿فَارْجِعُوا﴾ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَمَرُوهُمْ بِالْهَرَبِ مِنْ عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ، وَقِيلَ: قَالُوا لَهُمْ: ارْجِعُوا كَفَّارًا وَأَسْلِمُوا مُحَمَّدًا وَإِلَّا فَلَيْسَتْ يَثْرِبُ لَكُمْ بِمَكَانٍ^(٤)،
﴿إِنَّ بَيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أَي ذَوَاتُ عَوْرَةٍ، وَالْعَوْرَةُ: الْخَلْلُ، اعْتَذَرُوا بِأَنَّ بَيُوتَهُمْ مَكْشُوفَةٌ لَيْسَتْ بِحَصِينَةٍ، أَوْ: خَالِيَةٌ مِنَ الرِّجَالِ يُخْشَى عَلَيْهَا السَّرَاقُ، فَكَذَّبَهُمْ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ:
﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ بَلْ هِيَ حَصِينَةٌ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ الْفِرَارَ.

﴿وَلَوْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ﴾ الْمَدِينَةُ أَوْ بَيُوتُهُمْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: دَخَلْتُ عَلَى فُلَانٍ بَيْتَهُ
﴿مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ أَي: جَوَانِبِهَا، يُرِيدُ: وَلَوْ دَخَلْتُ هَذِهِ الْعَسَاكِرُ مَدِينَتَهُمْ وَبَيُوتَهُمْ مِنْ

(١) وهو قول السدي، راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٢٦٨.

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج ٢ ص ١٣٤.

(٣) قرأ حفص وحده بضمِّ الميم والباقون بفتحها، راجع التبيان: ج ٨ ص ٣٢١.

(٤) حكاها الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٢٨.

نَوَاحِيهَا كُلُّهَا يَنْهَبُونَهُمْ ﴿ثُمَّ سَأَلُوا﴾ عِنْدَ ذَلِكَ الْفَرْعِ وَ ﴿الْفِتْنَةَ﴾ أَي: الرِّدَّةَ وَالرَّجْعَةَ إِلَى الْكُفْرِ وَمُقَاتِلَةِ الْمُسْلِمِينَ لِاتِّوَاهَا أَي: لَجَاؤُوهَا وَفَعَلُوهَا، وَقُرِئَ: ﴿لَا تَوَاهَا﴾ ^(١) أَي: لَا عَطَوْهَا ﴿وَمَا تَلَبَّتُوا بِهَا﴾ أَي: وَمَا لَبَّثُوا بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ ارْتِدَادِهِمْ ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ فَإِنَّ اللَّهَ يُهْلِكُهُمْ، وَقِيلَ: وَمَا تَلَبَّتُوا بِهَا أَي: مَا لَبَّثُوا عَطَاءَهَا وَإِجَابَتَهُمْ إِلَيْهَا إِلَّا يَسِيرًا، رَيْثَمَا يَكُونُ السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ ^(٢).

﴿كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ﴾ وَرَسُولَهُ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ ﴿مَسْئُولًا﴾ أَي: مَطْلُوبًا يُسْأَلُونَ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ. ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ﴾ مِمَّا لَا بَدَّ لَكُمْ مِنْ نَزْوِلِهِ بِكُمْ مِنْ حَتْفِ أَنْفٍ أَوْ قَتْلٍ، وَإِنْ يَنْفَعُكُمُ الْفِرَارُ - مَثَلًا - فَمُتَّعْتُمْ بِالتَّأخيرِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ التَّمَتُّعُ إِلَّا زَمَانًا قَلِيلًا.

﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾ الْمُثَبِّطُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَهُمْ الْمَنَافِقُونَ يَقُولُونَ ﴿لَا خَوَانِيهِمْ﴾ مِنْ ضَعْفَةِ الْمُسْلِمِينَ: مَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ إِلَّا أَكَلَةُ رَأْسٍ وَلَوْ كَانُوا لَحْمًا لَأَلْتَهُمُ هَؤُلَاءِ، فَخَلَوْهُمْ وَ ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أَي: تَعَالَوْا وَقَرَّبُوا أَنْفُسَكُمْ إِلَيْنَا، وَهِيَ لُغَةُ الْحِجَازِ يَسْتَوُونَ فِيهِ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَمَّا تَمِيمٌ فَيَقُولُونَ: هَلُمَّ، هَلُمَّ، هَلُمُّوا، وَهِيَ صَوْتُ سُمِّيَ بِهِ فِعْلٌ مُتَعَدٍّ مِثْلُ: اخْضِرْ وَقَرَّبْ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَي: إِثْنَانًا قَلِيلًا، يَخْرُجُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُبَارِزُونَ وَلَا يَقَاتِلُونَ إِلَّا شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا اضْطُرُّوا إِلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ فِي وَقْتِ الْحَرْبِ أَضْنَاءَ بِكُمْ، يَتَرَفَّرُونَ حَوْلَكُمْ كَمَا يَفْعَلُ

(١) تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الْمَصْنُفَ قَدْ اعْتَمَدَ فِي تَفْسِيرِهِ هَذَا عَلَى نَسْخَةِ مَصْحَفٍ لْغَيْرِ قِرَاءَةِ حَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ. وَمَنْ قَرَأَهَا بِالْقَصْرِ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ. رَاجِعِ التَّبْيَانُ: ج ٨ ص ٣٢١.

(٢) قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٣ ص ٥٢٨.

الرجل بالذاب عنه المحامي دونه عند الخوف، وقيل: معناه: أشحّة بالقتال معكم ولا ينصرونكم^(١)، ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوفاً ولو اذابك ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم نقلوا ذلك الشح عنكم إلى الخير وهو المال والغنيمة وقالوا: وفروا علينا قسمتنا، فإننا قد شاهدناكم وبمكائنا غلبتم أعداءكم، ونصب (أشحّة) على الحال أو على الدم. والسلق: أصله الضرب، سلقه بالكلام أسمعته المكروه، أي: آذوكم، وخاصموكم باللسنة سليطة ذرية.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ لم ينهزموا وقد أنهزموا، ﴿وإن يأتِ الْأَحْزَابُ﴾ كرهة ثانية تمنوا لخوفهم ما تمنوا به هذه الكرهة، أنهم خارجون إلى البدو، و ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ﴾ أخباركم ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ معكم و ﴿فِيكُمْ﴾ ووقع قتال لم يقاتلوا معكم إلا قداراً يسيراً رياءً وسمعةً ليوهبوا أنهم من جملتكم لا لنصرتكم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) ﴿

﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ بدل من ﴿لَكُمْ﴾ وهو مثل قولك: رجوت زيدا فضله،

(١) قاله ابن كامل كما في تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٣٨٥.

أَيُّ: فَضْلَ زَيْدٍ، و «الْأُسُوءَةُ» من الْإِيْتِسَاءِ كَالْقُدُوءِ من الْإِقْتِدَاءِ، أَيُّ: كَانَ لَكُمْ بِهِ اقْتِدَاءٌ لَوْ أَقْتَدَيْتُمْ بِهِ فِي النُّصْرَةِ وَالصَّبْرِ عِنْدَ مَوَاطِنِ الْكِفَاحِ كَمَا فَعَلَ هُوَ يَوْمَ أُحُدٍ إِذْ كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ وَشُجَّ وَجْهُهُ وَقُتِلَ عَمُّهُ، فَوَاسَاكُمْ مَعَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، فَهَلَّا فَعَلْتُمْ مِثْلَ مَا فَعَلَهُ هُوَ ﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ أَيُّ: قَرَنَ الرَّحَاءَ بِالطَّاعَاتِ الْكَثِيرَةِ، وَالْمُؤْتَسَى بِهِ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ.

وَعَدَهُمْ عَزَّ اسْمُهُ أَنْ يُزَلُّوْا حَتَّى يَسْتَغِيثُوهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ^(١)، فَلَمَّا جَاءَ الْأَحْزَابُ وَأَضْطَرُّوا ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وَأَيَّقُوا بِنُصْرِهِ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْبَلَاءِ ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا﴾ بِاللَّهِ ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لِقَضَائِهِ.

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ بِأَنَّهُمْ إِذَا لَقُوا حَرْبًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ثَبَتُوا وَقَاتَلُوا حَتَّى يَسْتَشْهِدُوا ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أَيُّ: قُتِلَ فَوْفَىٰ بِنَذْرِهِ مِنَ الثَّبَاتِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَمَنْ قُتِلَ مَعَهُ، وَأَنْسُ بْنُ النُّضْرِ وَأَصْحَابُهُ ^(٢) ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ النُّصْرَةَ وَالشَّهَادَةَ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ وَمَا غَيَّرُوا الْعَهْدَ، لَا الْمُسْتَشْهِد وَلَا مَنْ يَنْتَظِرُ الشَّهَادَةَ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: فِينَا نَزَلَتْ، وَأَنَا وَاللَّهُ الْمُنْتَظَرُ وَمَا بَدَّلْتُ تَبْدِيلًا ^(٣).

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ فِي عُهُودِهِمْ ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ بِنَقْضِ الْعَهْدِ ﴿إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ يَعْنِي: إِنْ شَاءَ قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ وَأَسْقَطَ عِقَابَهُمْ،

(١) البقرة: ٢١٤.

(٢) انظر تفسير ابن عباس: ص ٣٥٢.

(٣) رواه الصدوق في الخصال: ص ٣٧٦ ح ٥٨ قطعة، والحسكاني في شواهد التنزيل: ج ٢

وإن شاء لم يقبل توبتهم وعذبهم، والظاهر يقتضي بما يقتضيه العقل من الحكم ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ مغيظين، كقوله: ﴿تَنَبُّثُ بِالذَّهْنِ﴾^(١) ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ غير ظافرين. وهما حالان بتداخل أو تعاقب، ويجوز أن يكون الثانية بياناً للأولى أو استئنافاً ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والجُنُود.

وعن ابن مسعود أنه كان يقرأ: «وكفى الله المؤمنين القتال بعلي»^(٢).
﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدَيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)﴾

﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ من حصونهم، والصيصية: ما تحصن به، يقال لقرن الظبي والبقرة: صيصية، ولشوك الديك التي في ساقه، ولشوك الحائك أيضاً، قال:
كَوَقَعَ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ^(٣)
وَقُرِئَ: ﴿الرُّعْبَ﴾ بِضَمِّ الْعَيْنِ^(٤) وَسَكُونِهَا.

وروي أن جبرائيل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التي أنصرف عن الخندق إلى المدينة فقال: يا رسول الله، إن الملائكة لم تضع السلاح، إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم، فعزم رسول الله ﷺ على الناس أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة، فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة

(١) المؤمنون: ٢٠. (٢) انظر تفسير التبيان: ج ٨ ص ٣٣١.

(٣) لدريد بن الصمة، و صدره: فجئت إليه والرماح تنوشه. والبيت من قصيدة حماسية طويلة يرثي بها أخاه عبدالله وقد قتلته بنو عبس. انظر ديوان دريد: ص ٤٥.

(٤) قرأه ابن عامر والكسائي. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٦٣.

حَتَّى أَجْهَدَهُمُ الْحِصَارُ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ، فَحَكَمَ فِيهِمْ بِأَنْ يُقْتَلَ
مُقَاتِلَتُهُمْ وَتُسَبَّى ذُرَارِيَهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ، وَتُغْنَمَ أَمْوَالُهُمْ، وَتَكُونَ عِقَارُهُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ
دُونَ الْأَنْصَارِ، فَالْأَنْصَارُ ذَوُو عِقَارٍ وَلَيْسَ لِلْمُهَاجِرِينَ عِقَارٌ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَقَالَ لِسَعْدٍ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْفَعَةٍ» ^(١) وَالرَّفِيعُ: اسْمُ
سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَقُتِلَ مُقَاتِلَتُهُمْ وَكَانُوا سِتْمَاةٍ مُقَاتِلٍ، وَقِيلَ: أَرْبَعُمِائَةٍ وَخَمْسِينَ، وَسُبَيِّ
سَبْعُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ ^(٢).

﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطْثُوهَا﴾ بِأَقْدَامِكُمْ بَعْدُ، وَسَيَفْتَحُهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَهِيَ خَبِيرٌ، وَقِيلَ:
مَكَّةَ ^(٣)، وَقِيلَ: فَارِسَ وَالرُّومَ ^(٤)، وَقِيلَ: هِيَ كُلُّ أَرْضٍ تُفْتَحُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(٥)
وَقِيلَ: هِيَ كُلُّ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِمَّا لَمْ يُوجَفْ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ^(٦).
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)
يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ
صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَنْسَاءَ النَّبِيُّ
لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي

(١) رواه القمي في التفسير: ج ٢ ص ١٨٩.

(٢) حكاها الماوردي في تفسيره: ج ٤ ص ٣٩٣.

(٣) قاله قتادة. راجع المصدر السابق.

(٤) قاله قتادة والحسن. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٢٨٨.

(٥) وهو قول عكرمة. راجع تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٣٩٣.

(٦) قاله عكرمة أيضاً كما في تفسير البغوي: ج ٤ ص ٥٢٥.

قَلْبِهِ، مَرَضٌ وَقَلْنِ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)
وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا
خَبِيرًا (٣٤) ﴿

قالوا: إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلْنَهُ شَيْئًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَطَلَبْنَ مِنْهُ زِيَادَةً فِي
النَّفَقَةِ وَتَغَايِرْنَ، فَأَذَى ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَآلِيَّ مِنْهُنَّ، وَصَعَدَ إِلَى غُرْفَةٍ فَمَكَثَ
فِيهَا شَهْرًا، فَنَزَلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ ^(١) ﴿فَتَعَالَيْنِ﴾ أَي: أَقْبِلْنَ بِإِرَادَتِكُنَّ وَأَخْتِيَارِكُنَّ
لأَحَدٍ أَمْرَيْنِ، وَلَمْ يَرِدْ نَهْوُضُهُنَّ إِلَيْهِ بَأَنْفُسِهِنَّ كَمَا تَقُولُ: أَقْبِلَ يُخَاصِمُنِي، وَذُهِبَ
يُكَلِّمُنِي. ﴿أُمْتَعِكُنَّ﴾ أُعْطِكُنَّ مَتْعَةَ الطَّلَاقِ ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ أُطْلِقْكُنَّ ﴿سَرَاحًا
جَمِيلًا﴾ طَلَاقًا بِالسُّنَّةِ مِنْ غَيْرِ ضِرَارٍ.

﴿لِلْمُحْسِنَاتِ﴾ الْمُرِيدَاتُ الْإِحْسَانَ الْمُطِيعَاتُ لِلَّهِ مِنْكُنَّ.
وَاخْتَلَفَ فِي حُكْمِ التَّخْيِيرِ، وَالْمَرْوِيُّ عَنْ أُمِّةِ الْهُدَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ خَاصًّا
لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَلَوْ اخْتَرْنَ أَنْفُسَهُنَّ لَبِنَّ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ طَلَاقٍ، وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ ذَلِكَ ^(٢).
وَالْفَاحِشَةُ: السَّيِّئَةُ الْبَلِيغَةُ فِي الْقُبْحِ، وَهِيَ الْكَبِيرَةُ، وَالْمُبَيَّنَةُ: الظَّاهِرُ فُحْشُهَا.
وَالْمُرَادُ: كُلُّ مَا اقْتَرَفْنَ مِنَ الْكَبَائِرِ. قَرِئَ: «يُضَعَّفُ» ^(٣)، وَ «يُضَاعَفُ» بِأَلْيَاءٍ
عَلَى بِنَاءِ الْفَعْلِ لِلْمَفْعُولِ، وَ «نُضَعَّفُ» بِالنُّونِ وَالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ ^(٤)، وَإِنَّمَا ضُوعِفَ
عَذَابُهُنَّ لَزِيَادَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِنَّ بِنَزُولِ الْوَحْيِ فِي بُيُوتِهِنَّ وَبِمَكَانِ النَّبِيِّ ﷺ

(١) وهو قول أبي الزبير وقتادة وابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٢٨٩ و ٢٩٠.

(٢) أنظر الكافي: ج ٦ ص ١٣٦ ح ١ - ٣ من كتاب الطلاق.

(٣) قرأه أبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٢١.

(٤) قرأه ابن كثير وابن عامر. راجع المصدر السابق.

منهنَّ، وزيادةُ قُبْحِ المعصيةِ تَتَّبِعُ زيادةَ النِّعَةِ عَلَى المَعَاصِي مِنَ المَعْصِيَّ، وَمَتَى أزدَادَ الفعلُ قُبْحاً أزدَادَ عِقَابُهُ شِدَّةً، ولذلك تكونُ المعصيةُ مِنَ العَالِمِ أَقْبَحُ، وَذَمُّ العُقْلَاءِ لَهُ أَكْثَرُ ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ إِيذَانٌ بَأَن كَوْنَهُنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ لَا يُغْنِي عَنْهُنَّ شَيْئاً.

وَقُرِئَ: ﴿مَنْ يَأْتِ﴾ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ﴾ «وَيَعْمَلْ» بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ ^(١) وَ ﴿نُؤْتِيهَا﴾ بِالْيَاءِ ^(٢) وَالنُّونِ، أَي: نُعْطِيهَا ثَوَابَهَا مِثْلِي ثَوَابٍ غَيْرِهَا، كَمَا يَكُونُ عَذَابُهَا ضِعْفَ عَذَابٍ غَيْرِهَا، وَالْقُنُوتُ: الطَّاعَةُ.

و «أَحَدٌ» فِي الْأَصْلِ: وَحَدٌ، بِمَعْنَى الْوَاحِدِ، ثُمَّ وَضِعَ فِي النَّفْيِ الْعَامِّ فَيَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكُورُ وَالْمُؤَنَّثُ وَالْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ لَسْتُنَّ كَجَمَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ جَمَاعَاتِ النِّسَاءِ فِي الْفَضْلِ وَالسَّابِقَةِ ﴿إِنْ أَتَقِيتُنَّ﴾ أَي: إِنْ كُنْتُنَّ مُتَّقِيَاتٍ وَأَرَدْتُنَّ التَّقْوَى ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ لَا تُرَفِّقْنَ الْكَلَامَ لِلرِّجَالِ مِثْلَ كَلَامِ الْمُرِيَّاتِ وَالْمُومِسَاتِ ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أَي: نِفَاقٌ وَفُجُورٌ ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ بَعِيداً مِنَ التُّهْمَةِ مُسْتَقِيماً بَجِدٍّ وَخَشُونَةٍ مِنْ غَيْرِ تَخَنُّتٍ، أَوْ: قَوْلًا حَسَنًا مَعَ كَوْنِهِ خَشِينًا.

﴿وَقَرْنَ﴾ قُرِئَ بِكسْرِ الْقَافِ ^(٣) وَفَتْحِهَا، فَالْكَسْرَةُ مِنْ: وَقَرَ يَقْرُ وَقَارًا، أَوْ مِنْ: قَرَّ يَقْرُ قَرَارًا، حُذِفَتِ الرَّاءُ الْأُولَى مِنْ «أَقْرَرْنَ» وَنُقِلَتْ كَسْرُهَا إِلَى الْقَافِ كَمَا يُقَالُ: ظَلَنَ فِي «ظَلِلَنَ»، وَالْفَتْحُ أَصْلُهُ: «أَقْرَرْنَ» حُذِفَتِ الرَّاءُ وَنُقِلَتْ الْحَرَكَةُ إِلَى الْقَافِ

(١) قرأ حمزة والكسائي كل ذلك بالياء، والباقون كذلك إلا «تعمل» بالتاء. راجع المصدر نفسه.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. راجع نفس المصدر المتقدم.

(٣) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي. راجع المصدر السابق نفسه:

مثل: «ظَلَنَ»، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ وهي القديمة التي يُقالُ لها: الجاهلية الجاهلية، وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام، كانت المرأة تلبس الدُّرْعَ من اللؤلؤ فتَمْشِي وَسَطَ الطَّرِيقِ تَعْرِضُ نَفْسَهَا عَلَى الرِّجَالِ، وقيل: ما بين آدم ونوح^(١)، وقيل: هي جاهلية الكفر قبل الإسلام^(٢).

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نُصِبَ عَلَى النَّدَاءِ أَوْ عَلَى الْمَدْحِ، و ﴿الرُّجْسِ﴾ مُسْتَعَارٌ لِلذُّنُوبِ، و «الطُّهْرُ» لِلتَّقْوَى، لَأَنَّ عِرْضَ الْمُقْتَرِفِ لِلْقَبِيحِ يَتَدَنَّسُ بِهِ كَمَا يَتَلَوَّثُ جَسَدُهُ بِالْأَرْجَاسِ.

وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّنَا ﷺ^(٣).

(١) قاله الحكم والحسن، راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٢٩٤، وتفسير الماوردي: ج ٤ ص ٤٠٠.

(٢) وهو قول ابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٢٩٥.

(٣) الخطاب في قوله تعالى: ﴿عَنْكُمْ﴾ بالجمع المذكّر يدلّ على أَنَّ الآية الشريفة من قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ الخ، في حقّ غير زوجات رسول الله ﷺ، وإلّا فسياق الآيات يقتضي التعبير بخطاب الجمع المؤنث، أعني: «عنكن» و «يطهركن» فالعدول عنهما إلى الخطاب بالجمع المذكّر يشهد بأنّ المراد من أهل البيت غير الزوجات، وهم الخمسة النجباء عليهم السلام، وباقي الائمة أيضاً مراد بإجماع الإمامية واتفاقهم. وما يقال: إنّ التعبير بالجمع المذكّر إنّما هو باعتبار «الأهل» كما تفوّه به بعض النواصب فمما لا يُعْبَأُ بِهِ، فإنّ على ما ادّعاه أيضاً لابدّ وأن يكون في العدول إلى الخطاب بالجمع المذكّر سبباً ومرجّحاً، فإنّ «الأهل» يذكّر ويؤنث لا أنّه يُذَكَّرُ فقط كما صرّح به العلامة الزمخشري في الكشف في تفسير آية: ﴿هَذِهِ الْقَرْيَةُ الظَّالِمُ أَهْلُهَا﴾ في سورة النساء، فبناء على أنّ الأهل يؤنث أيضاً كان الأولى التعبير بحسب سياق الآيات، وصدر هذه الآية نفسها هو الخطاب بالجمع المؤنث، فالعدول ليس إلّا لما ذكرناه.

وأضف إلى ذلك أنّه إن كان المراد من «الأهل» هو «الأهل» في قوله تعالى: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فهذا لا يصحّ مراده، لأنّ الأهل تابع ﴿عَنْكُمْ﴾ والتابع لا يؤثر في المتبوع لا تذكيراً ولا تأنيثاً. وإن كان المراد من «الأهل» هو «الأهل» المنتزع من النساء، فهذا يقتضي أن تكون الضمائر السابقة أيضاً بالتذكير، والحال أنّ الضمائر كلّها بالتأنيث، فما وجه العدول ←

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «نزلت في خمسة: فيّ وفي عليّ والحسن والحسين وفاطمة»^(١).

وعن أم سلمة قالت: جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ تحمل حريّة لها، قال: ادعي زوجك وابنيك، فجاءت بهم فطعموا، ثم ألقى عليهم كساءً خبيراً وقال: هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقلت: يا رسول الله، وأنا معهم؟ قال: أنت على خير^(٢).

﴿وَاذْكُرْنَ﴾ ولا تنسين ﴿مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرآن الذي هو آيات الله البيّنات والحكمة التي هي العلوم والشرائع، وأعملن بموجبهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصّٰدِقِينَ وَالصّٰدِقَاتِ وَالصّٰبِرِينَ وَالصّٰبِرَاتِ وَالْخٰشِعِينَ وَالْخٰشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصّٰبِمِينَ

→ في ذيل الآية إلى التذكير؟ مع أنّك عرفت أنّ «الأهل» يذكر ويؤنث.

ثم إنّنا نقول: إنّ هل المراد من إذهاب الرجس عن أهل البيت هو دفع الرجس أو رفعه؟ فإن كان الأوّل فالزّوجات خارجات عن حكم الآية، فإن أكثرهنّ - إن لم يكن كلهنّ - كنّ في الرجس قبل الإسلام، وإن كان الثّاني فلا محيص من القول بخروج رسول الله ﷺ عن حكم الآية، فإنّه لم يكن فيه رجس أصلاً لا قبل البعثة ولا بعدها باتّفاق الأمّة الإسلامية قاطبة، مع أنّ رسول الله ﷺ داخل في حكم الآية قطعاً بالاتّفاق، فلا يمكن القول بخروج رسول الله ﷺ عن حكمها. فثبت الأوّل وانتفى الثّاني وخرجت الزّوجات عن حكم الآية قطعاً، وهو المطلوب «ق».

(١) رواه الطبري بإسناده في تفسيره: ج ١٠ ص ٢٩٦ ح ٢٨٤٨٧، والماوردي الشافعي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٠١ وزاد أنس بن مالك وعائشة وأم سلمة.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن: ج ٥ ص ٣٥١ ح ٣٢٠٥ باختلاف يسير والطبراني في المعجم الكبير: ج ٣ ص ٤٨ ج ٩ ص ١١.

وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا
مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ
يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا
اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكُنْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ
إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) ﴿

قِيلَ: إِنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرَ اللَّهُ الرَّجَالَ فِي الْقُرْآنِ بِخَيْرٍ، أَفَمَا فِينَا
خَيْرٌ فَتُذَكِّرُ بِهِ؟ فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ ^(١). وَقِيلَ: إِنَّ الْقَائِلَةَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِيْسٍ لَمَّا رَجَعَتْ مِنَ
الْحَبَشَةِ مَعَ زَوْجِهَا جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ^(٢).

المسلم: الدَّاخلُ في السَّلمِ، المنقَادُ غير المعانِدِ، وقيل: المُستَسَلِمُ لأوامرِ الله،
والمفوضُ أمره إلى الله ^(٣). والمؤمن: المُصدِّقُ بالله وبرسوله وبما يجبُ أن يُصدَّقَ
به، والقانتُ: القائمُ بالطاعة الدائمة عليها، والصَّادِقُ: الَّذِي يَصْدُقُ في قوله وعمله
ونبيّه، والصَّابِرُ: الَّذِي يَصْبِرُ عَلَى الطاعة وعن المعصية، والخَاشِعُ: المتواضعُ لله
بقلبه وجوارحه، والمُتَصَدِّقُ: الَّذِي يُزَكِّي ماله، والذاكِرُ الله كثيرًا: مَنْ لَا يَخْلُو مِنْ
ذِكْرِ اللَّهِ بقلبه أو بلسانه أو بهما.

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَقْبَضَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٣٠٠ بإسناده إلى ابن عباس ومجاهد عنها.

(٢) حكاها البغوي في تفسيره: ج ٣ ص ٥٢٩.

(٣) قاله الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٣٩.

فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ»^(١).

وعن الصادق عليه السلام: «مَنْ بَاتَ عَلَى تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ».

والمعنى: والحافظاتِها والذاكراتِها، فحُذِفَ لَأَنَّ الظَّاهِرَ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَعَطْفُ الْإِنَاثِ فِي الْآيَةِ عَلَى الذُّكُورِ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ: ﴿ثِيَابٍ وَأَبْكَارًا﴾^(٢) فِي أَنَّهُمَا جُنْسَانِ مُخْتَلَفَانِ إِذَا اشْتَرَكَا فِي حُكْمٍ فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَتَوَسَّطَ حَرْفُ الْعَطْفِ بَيْنَهُمَا. وَأَمَّا عَطْفُ الزَّوْجَيْنِ عَلَى الزَّوْجَيْنِ فَإِنَّهُ مِنْ عَطْفِ الصِّفَةِ عَلَى الصِّفَةِ بِحَرْفِ الْجَمْعِ، فَكَانَ مَعْنَاهُ: إِنَّ الْجَامِعِينَ وَالْجَامِعَاتِ لِهَذِهِ الطَّاعَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً.

خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ الْأَسَدِيَّةَ عَلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَاهُ وَكَانَتْ بِنْتُ عَمَّتِهِ أُمِّمَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَأَبَتْ وَأَبَى أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، فَنَزَلَ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ﴾ الْآيَةُ^(٣)، أَي: وَمَا صَحَّ لِرَجُلٍ وَلَا أَمْرَةٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْاِخْتِيَارُ مِنْ أَمْرِهِمْ عَلَىٰ اخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُمْ، بَلْ مِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَجْعَلُوا رَأْيَهُمْ تَبَعًا لِرَأْيِهِ، وَالْخَيْرَةُ مَا يَتَخَيَّرُ، فَلَمَّا نَزَلَتْ قَالَا: رَضِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنْكَحَهَا زَيْدًا وَسَاقَ عَنْهُ إِلَيْهَا مَهْرَهَا عَشْرَةَ دَنَانِيرَ وَسِتِّينَ دِرْهَمًا وَخِمَارًا وَمُلْحَفَةً وَدُرْعًا وَإِزَارًا وَخَمْسِينَ مِدًّا مِنْ طَعَامٍ وَثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ.

وَقُرِئَ: ﴿يَكُونُ﴾ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ^(٤).

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بِتَوْفِيقِكَ لِعِتْقِهِ وَمَحَبَّتِهِ ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾

(١) أخرجه أبو داود في السنن: ج ٢ ص ٣٣ ح ١٣٠٩.

(٢) التحريم: ٥. (٣) انظر تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٣٠١.

(٤) قرأ الكوفيون وحدهم بالياء والباقون بالتاء، راجع التبيان: ج ٨ ص ٣٤٣.

بِمَا وَقَّكَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ اخْتِصَاصِهِ وَتَبَيَّنِهِ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ﴿أُمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يَعْنِي زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى مَنْزِلَ زَيْنَبَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا زَيْنَبُ جَالِسَةٌ وَسَطَ حِجْرَتِهَا تَسْحَقُ طَبِيبًا بِفَهْرٍ لَهَا، فَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبَابَ فَوَقَعَ بَصَرُهُ عَلَيْهَا فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ النُّورِ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ، وَرَجَعَ، فَجَاءَ زَيْدٌ فَأَخْبَرْتُهُ زَيْنَبُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ لَهَا: لَعَلَّكَ وَقَعْتَ فِي قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ، فَهَلْ لَكَ أَنْ أُطْلِقَكَ؟ فَقَالَتْ: أَخْشَى أَنْ تَطْلُقَنِي وَلَا يَتَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ زَيْدٌ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُرِيدُ أَنْ أَفَارِقَ صَاحِبَتِي، فَقَالَ: مَا لَكَ؟ أَرَأَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْهَا إِلَّا خَيْرًا، وَلَكِنَّهَا تَتَعَظَّمُ عَلَيَّ لِشَرَفِهَا وَتُوْذِنِي، فَقَالَ لَهُ: أُمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴿وَأَتَّقِ اللَّهَ﴾ ثُمَّ طَلَّقَهَا بَعْدُ فَلَمَّا اعْتَدَّتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مَا أَجْدُ أَحَدًا أَوْثَقَ فِي نَفْسِي مِنْكَ، أَخْطَبَ عَلَيَّ زَيْنَبُ، قَالَ زَيْدٌ: فَاِنْطَلَقْتُ فَإِذَا هِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمْتُ فِي نَفْسِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا حِينَ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ أَبْشِرِي، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُكَ، فَفَرَحْتُ بِذَلِكَ، وَقَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَخَلَ بِهَا، وَمَا أَوْلَمَ عَلَى أَمْرَةٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا أَوْلَمَ عَلَيْهَا، ذَبَحَ شَاةً وَأَطْعَمَ النَّاسَ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حَتَّى أَمْتَدَّ النَّهَارُ.

وقوله: ﴿وَأَتَّقِ اللَّهَ﴾ يُرِيدُ: لَا تُطْلِقُهَا، وَهُوَ نَهْيٌ تَنْزِيهِ لَا نَهْيٌ تَحْرِيمٍ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَى أَنْ لَا يُطْلَقَ، وَقِيلَ: أَرَادَ اتَّقِ اللَّهَ فَلَا تَذُمَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَذَى وَالْكِبَرِ^(١).

وقوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ قِيلَ: أَخْفَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ إِنْ طَلَّقَهَا زَيْدٌ تَزَوَّجَهَا، وَخَشِيَ لَأَيِّمَةَ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا: أَمْرَهُ بِطُلَاقِهَا

ثُمَّ تَزَوَّجَهَا^(١) وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي أَخْفَاهُ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَهُ أَنَّهَا سَتَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِهِ وَأَنْ زَيْدًا سَيُطَلَّقُهَا^(٢) فَأَبْدَى سُبْحَانَهُ مَا أَخْفَاهُ فِي نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿زَوَّجْنٰكَهَا﴾، وَلَمْ يَرُدَّ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ خَشْيَةَ التَّقْوَى؛ لِأَنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَانَ يَتَّقِي اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَيَخْشَاهُ فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَخْشَاهُ فِيهِ. وَلَكِنَّ الْمُرَادَ خَشْيَتَهُ الْإِسْتِحْيَاءَ، لِأَنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الشَّيْءِ الْكَرِيمَةِ، وَقَدْ يَسْتَحْيِ الْإِنْسَانُ وَيَتَحَقَّقُ مِنْ شَيْءٍ هُوَ فِي نَفْسِهِ مُبَاحٌ حَلَالٌ عِنْدَ اللَّهِ، لئَلَّا يُطْلَقَ الْجُهَالُ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ حَقَائِقَ الْأُمُورِ أَلَسِنَتَهُمْ فِيهِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ إِذَا طَعَمُوا فِي بَيْوتِهِ كَانُوا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْحَدِيثِ وَلَا يَزِيْمُونَ^(٣)، فَكَانَ يُؤْذِيهِ قُعُودُهُمْ، وَيَصُدُّهُ الْحَيَاءُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالانتِشَارِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾^(٤) فَأَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ النَّاسَ بِمَا كَانَ يُضْمِرُهُ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَاتِبَهُ عَلَيْهِ، وَكَانَهُ سُبْحَانَهُ أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ لَزَيْدٍ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، أَوْ يَصْمَتَ عِنْدَ قَوْلِهِ: أُرِيدُ مَفَارَقَتَهَا لِيَكُونَ ظَاهِرُهُ مُطَابِقًا لِبَاطِنِهِ.

كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ إِرَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ وَقَدْ كَانَ أَهْدَرَ دَمَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَاعْتَرَضَ عَثْمَانُ لَهُ بِالشَّفَاعَةِ: أَنَّ عَبَّادَ بْنَ بَشِيرٍ قَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ عَيْنِي إِلَى عَيْنِكَ أَنْتَ تَنْتَظِرُ أَنْ تُؤْمِيَ إِلَيَّ فَأَقْتُلُهُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا تَكُونُ لَهُمْ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ» فَلَمْ يَسْتَجِزْ الْإِشَارَةَ بِقَتْلِ كَافِرٍ وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا. وَالْوَاوُ فِي ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾، ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾، ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ

(١) المصدر السابق .

(٢) قاله الحسن كما في تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٤٠٦ .

(٣) رَامَ يَرِيْمُهُ رِيْمًا لِلْمَكَانِ: أَيِ بَرِحَهُ. (الصَّحاحُ مَادَةُ رِيْمَ).

(٤) الآية: ٥٣ .

تَخْشَهُ: ﴿واوُ الْحَالِ، أَي: تَقُولَ لَزِيدٍ: أُمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ مُخْفِيًا فِي نَفْسِكَ إِرَادَةَ أَنْ لَا يُمَسِّكَهَا، وَتُخْفِي خَاشِيًا مَقَالََةَ النَّاسِ، وَتَخْشَى النَّاسَ حَقِيقًا فِي ذَلِكَ بِأَنْ تَخْشَى اللَّهَ. أَوْ: واوِ الْعَطْفِ كَأَنَّهُ قِيلَ: وَإِذْ تَجْمَعُ بَيْنَ قَوْلِكَ: «أُمْسِكْ» وَإِخْفَاءِ خِلَافِهِ وَخَشْيَةِ النَّاسِ.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ أَي: فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ لَزِيدٍ فِيهَا حَاجَةٌ وَطَابَ عَنْهَا نَفْسُهُ وَطَلَّقَهَا وَأَنْقَضَتْ عِدَّتُهَا ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾، وَقَرَأَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «زَوَّجْتُهَا»، وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا قَرَأْتُهَا عَلَى أَبِي إِلَّا كَذَلِكَ، إِلَى أَنْ قَالَ: وَمَا قَرَأَ عَلَيَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَذَلِكَ» (١).

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ الْغَرَضَ وَالْمَصْلَحَةَ الْعَامَّةَ فِي تَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا بِقَوْلِهِ: ﴿لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ أَي: ضِيقٌ وَإِثْمٌ ﴿فِي﴾ أَنْ يَتَزَوَّجُوا ﴿أَزْوَاجَ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ تَبَنَوْهُمْ ﴿إِذَا قَضَوْا﴾ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴿وَطَرًا﴾ أَي: بَلَغُوا مِنْهُمْ حَاجَتَهُمْ وَفَارَقُوهُمْ، فَلَا يَجْرُونَهُمْ فِي تَحْرِيمِ النِّسَاءِ (٢) مَجْرَى الْإِبْنِ مِنَ النَّسَبِ وَالرِّضَاعِ ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ جُمْلَةً اعْتِرَاضِيَّةً، أَي: كَانَ أَمْرُ اللَّهِ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَكُونَهُ مَكُونًا لَا مَحَالَةَ.

وَرُويَ أَنَّ زَيْنَبَ كَانَتْ تَقُولُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لِأَدِلُّ عَلَيْكَ بِثَلَاثٍ لَيْسَ مِنْ نِسَائِكَ امْرَأَةٌ تَدُلُّ بِهِنَّ: جَدِّي وَجَدُّكَ وَاحِدٌ، وَزَوَّجْنِيكَ اللَّهُ، وَالسَّفِيرُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٣).

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ

(١) أنظر مختصر شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٢٠، والكشاف: ج ٣ ص ٥٤٣.

(٢) في نسخة: «نسائهم».

(٣) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٣٠٣ ح ٢٨٥٢٦ بإسناده عن الشعبي.

خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)

﴿فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ أي: قَسَمَ اللَّهُ وَأَوْجَبَ مِنَ التَّرَوُّجِ بِامْرَأَةِ الْمُتَبَنَّى، لِيُبْطَلَ حُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْأَدْعِيَاءِ، وَمِنْهُ فَرَضَ لِفُلَانٍ فِي الدِّيَّانِ كَذَا ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ اسْمٌ وَضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ الْمُؤَكَّدِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ كَأَنَّهُ قِيلَ: سَنَّ اللَّهُ ذَلِكَ سُنَّةً فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَاضِينَ، وَهُوَ أَنْ لَا يَحْرَجَ عَلَيْهِمْ فِيمَا أَبَاحَ لَهُمُ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِ مِنَ النِّكَاحِ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ كَانَ لِدَاوُدَ مِائَةُ امْرَأَةٍ وَثَلَاثُمِائَةَ سَرِيَّةً، وَلِسُلَيْمَانَ ثَلَاثُمِائَةُ امْرَأَةٍ وَسَبْعُمِائَةُ سَرِيَّةً.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ﴾ يَحْتَمِلُ الْوَجُوهَ الثَّلَاثَةَ مِنَ الْإِعْرَابِ: الْجَرُّ عَلَى الْوَصْفِ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَالرَّفْعُ وَالنَّصْبُ عَلَى الْمَدْحِ، أَيْ: هُمُ الَّذِينَ يَبَلِّغُونَ، أَوْ: أَعْنِي الَّذِينَ يَبَلِّغُونَ. وَقُرِئَ: «رِسَالَةَ اللَّهِ»^(١).

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ الْمُنْزَلُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ حُكْمًا مَبْتُوتًا وَقَضَاءً مَقْضِيًّا^(٢).

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّبْلِيغِ وَالْأَدَاءِ^(٣).

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ كَافِيًا لِلْمَخَافِ، وَقِيلَ: حَافِظًا لِأَعْمَالِ خَلْقِهِ

(١) وهي قراءة أبي بن كعب. أنظر مختصر شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٢٠.

(٢) وكذا وجدنا هذه العبارة المتعلقة بالآية: ٣٨ المتقدمة محشوة بين العبارات المتعلقة بتفسير الآية: ٣٩ بلا مناسبة في جميع النسخ، إلا نسخة قد اشرنا إليها في الهامش: التالي.

(٣) في نسخة العبارة هكذا: «أعني: الذين يبلِّغون رسالة الله فيما يتعلق بالتبليغ والأداء».

مُحَاسِبًا مُجَازِيًا عَلَيْهَا^(١).

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أي: لَمْ يَكُنْ أَبَا رَجُلٍ مِنْكُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ حَتَّى يَثْبُتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَا يَثْبُتُ بَيْنَ الْأَبِ وَوَلَدِهِ مِنْ حُرْمَةِ الصَّهْرِ وَالنِّكَاحِ ﴿وَلَكِنْ﴾ كَانَ ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ وَكُلُّ رَسُولٍ أَبُو أُمَّتِهِ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى وَجُوبِ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ لَهُ عَلَيْهِمْ، لَا فِي سَائِرِ الْأَحْكَامِ الثَّابِتَةِ بَيْنَ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ، وَزَيْدٌ وَاحِدٌ مِنْ رِجَالِكُمُ الَّذِينَ لَيْسُوا بِأَوْلَادِهِ حَقِيقَةً، وَكَانَ حُكْمُهُ حُكْمَهُمْ ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ آخِرَهُمْ، خُتِمَتِ النَّبُوءَةُ بِهِ، فَشَرِيعَتُهُ بَاقِيَةٌ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ. وَكَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَبًا لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ لِقَوْلِهِ: «ابْنَايَ هَذَانِ إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا»^(٢) وَهُمَا مِنْ رِجَالِهِ لَا مِنْ رِجَالِهِمْ. وَقُرِئَ: ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ بَفَتْحِ التَّاءِ^(٣) بِمَعْنَى الطَّابِعِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨) ﴿

﴿اذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أَثْنُوا عَلَيْهِ بِضُرُوبِ الثَّنَاءِ مِنَ التَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّمْجِيدِ

(١) وهو قول البغوي في تفسيره: ج ٣ ص ٥٣٣.

(٢) أنظر المناقب لآل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ٣٩٤.

(٣) أشرنا سابقاً بأن المصنّف رحمه الله قد اعتمد في تفسيره هذا على نسخة مصحفٍ لغير قراءة حفص عن عاصم تبعاً للزمخشري. وفتح التاء هي قراءة عاصم وحده، والباقون بالكسر. أنظر التبيان: ج ٨ ص ٣٤٣.

والتسبيح والتكبير، وأكثرُوا ذلك.

وعن الصادق عليه السلام: «مَنْ سَبَّحَ تَسْبِيحَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» (١).

وعنهم عليه السلام: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثِينَ

مَرَّةً فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» (٢).

﴿وَسُبُّهُ﴾ التسبيح من جملة الذكر، وأختصه من بين أنواعه اختصاص

جبرئيل وميكائيل من بين الملائكة، لبيّن فضله على سائر الأذكار، لأنّ معناه:

تنزيه ذاته عمّا لا يجوزُ عليه من الصفات والأفعال، ويجوزُ أن يُريدَ بالذكر

وإكثاره تكثير الطاعات، فإنّ كلّ طاعة من جملة الذكر. ثمّ خصّ من ذلك التسبيح

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ وهو الصلاة في جميع أوقاتها؛ لفضل الصلاة على غيرها، أو:

صلاة الفجر والعشاءين لأنّ أداءها أشقّ، ومراعاتها أشدّ.

ولمّا كان من شأن المصلّي أن يعطف وينحني في ركوعه وسجوده استعير لمن

أنعطف على غيره حنوًّا عليه، واستعمل في الرحمة والتروّف، ومنه قولهم: «صلّى

الله عليه وآله وسلّم» أي: ترحّم عليه وترأّف. وأمّا صلاة الملائكة فهي قولهم:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» جُعِلُوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة

والرأفة. ونظيره قولهم: «حَيَّاكَ اللهُ» أي: أحيّاكَ وأبقاك، و«حَيَّيْتُهُ» أي: دعوتُ له

بأن يُحييه اللهُ ويُبقيّه، لأنّه لا تكالِه على إجابة دعوتِه كأنّه يُبقيّه على الحقيقة،

وعليه قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا

عَلَيْهِ﴾ (٣) أي: ادعُوا الله بأن يُصلي عليه. والمعنى: هو الذي يترحم عليكم

ويتراءف حيث يأمركم بإكثار الخير والتوفّر على الطاعة ليُخرجكم من ظلمات

(٢) قرب الإسناد: ص ٧٩.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٠٠ ح ٤.

(٣) الآية: ٥٦.

المعصية إلى نور الطاعة، وفي قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ دلالة على أن المراد بالصلاة الرحمة.

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ هو من باب إضافة المصدر إلى المفعول، أي: يُحَيِّونَ يومَ لقائه: بـ ﴿سَلَامٌ﴾، وعن البراء بن عازب: لا يقبض ملك الموت روح مؤمن إلا سَلَامٌ عليه^(١). وقيل: هو سَلَامُ الملائكة عند الخروج من القبور^(٢)، وقيل: عند دخول الجنة^(٣)، كما قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٤)، والأجر الكريم: الجنة.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا﴾ على أُمَّتِكَ فيما يفعلونه، مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل، وهو حال مقدرة كمسألة الكتاب: مررت برجل معه صقر صائداً به غداً، أي: مقدراً به الصيد غداً ﴿بِإِذْنِهِ﴾ مستعاراً للتسهيل والتيسير، وفيه إيذان بأن دعاء أهل الشرك إلى التوحيد والشرائع أمر صعب لا يتسهل إلا بتيسير الله ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ يهتدي بك في الدين كما يهتدي بالسراج في ظلام الليل، أو: يمدُّ بنور نبوتك نور البصائر كما يمدُّ بنور السراج نور الأبصار. والفضل الكبير: الزيادة على ما يستحقونه من الثواب، ويجوز أن يكون المراد أن لهم فضلاً كبيراً على سائر الأمم.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ معناه: الدوام على ما كان عليه أو التهييج. ﴿وَدَعِ أَذْنَهُمْ﴾ أي: ودع أن تؤذيهم بضرر أو قتل وخذ بظاهرهم، وحسابهم على الله،

(١) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ج ٣ ص ٣١٩.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٤٦.

(٣) قاله الكلبي. راجع تفسير السمرقندي: ج ٣ ص ٥٤.

(٤) الرعد: ٢٣ و ٢٤.

وَيَكُونُ الْمَصْدَرُ مضافاً إلى المفعول. قيل: وذلك قبل أن يُؤمرَ بالقتال^(١)، وقيل: معناه: ودع ما يؤذونك به، فيكون مضافاً إلى الفاعل^(٢)، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَهُمْ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ كَافِيًا مُفَوَّضًا إِلَيْهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠)﴾

﴿تَعْتَدُونَهَا﴾ تستوفون عددها من قولك: عددت الدراهم فاعتدتها، وكلت الشيء فاكتأله. وفيه دليل على أن العدة حق واجب للرجال على النساء ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ إذا لم تفرضوا لهن صداقاً ﴿وَسِرَّخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ من غير ضِرَارٍ ولا مَنعٍ واجب.

﴿أَجُورَهُنَّ﴾ أي: مهرهن، لأنَّ المهر أجرٌ على البضع، وإيتاؤها: إعطاؤها عاجلاً وفرضها وتسميتها في العقد. وقد اختار الله عز وجل لرسوله الأفضل والأولى وهو تسمية المهر في العقد وسوق المهر إليها عاجلاً، فإنه أفضل من أن يُسميه ويُؤجله، ولذلك كان التعجيل ديدنهم وسنتهم. وكذلك الجارية إذا كانت

(١) وهو قول الكلبي كما في تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٤١١.

(٢) قاله الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٤٧.

سَبِيَّةَ مَالِكِهَا وَمِمَّا غَنَّمَهُ اللَّهُ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ كَانَتْ أَحَلَّ وَأَطْيَبَ مِمَّا يُشْتَرَى، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾، وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ﴾ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَرَابَتِهِ غَيْرِ الْمَحَارِمِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِ الْمَهَاجِرَاتِ مَعَهُ، وَأَحْلَلْنَا لَكَ ﴿أَمْرًا﴾ مُصَدِّقَةً بِتَوْحِيدِ اللَّهِ ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا﴾ لَكَ بِغَيْرِ صَدَاقٍ إِنْ آثَرَ النَّبِيُّ نِكَاحَهَا وَرَغَبَ فِيهَا ﴿خَالِصَةً لَكَ﴾ أَيُّ: خَاصَّةً لَكَ ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَيُّ: لَا يَحِلُّ لغيرِكَ وَهُوَ لَكَ حَلَالٌ.

شَرَطَ سَبْحَانَهُ فِي الْإِحْلَالِ هِبَتَهَا نَفْسَهَا، وَفِي الْهِبَةِ إِرَادَةُ أَسْتِنْكَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ أَنْ يَطْلُبَ نِكَاحَهَا وَيَرْغَبُ فِيهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَحْلَلْنَا لَكَ إِنْ وَهَبْتَ لَكَ نَفْسَهَا وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَسْتَنِكَحَهَا، لِأَنَّ إِرَادَتَهُ هِيَ قَبُولُ الْهِبَةِ، وَعَدَلَ عَنِ الْخُطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ لِلإِذَانِ بِأَنَّهُ مِمَّا خُصَّ بِهِ، وَمَجِيئُهُ عَلَى لَفْظِ «النَّبِيِّ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ هَذَا الْاِخْتِصَاصَ تَكْرِمَةٌ لَهُ لِأَجْلِ النُّبُوَّةِ، وَتَكْرِيرُهُ تَقْرِيرٌ لِاسْتِحْقَاقِهِ الْكَرَامَةِ لِنُبُوَّتِهِ.

﴿خَالِصَةً﴾ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ، مِثْلُ: وَعَدُّ اللَّهِ، وَصِبْغَةُ اللَّهِ، أَيُّ: خُلِصَ لَكَ إِحْلَالُ مَا أَحْلَلْنَاكَ خَالِصَةً، بِمَعْنَى خُلُوصًا ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ مَا فَرَضْنَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَإِمَائِهِمْ وَعَلَى أَيِّ حَدٍّ وَصِفَةٍ يَجِبُ أَنْ يُفَرَضَ عَلَيْهِمْ، وَآثَرْنَاكَ بِالْاِخْتِصَاصِ بِمَا خَصَّصْنَاكَ بِهِ ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ أَيُّ: ضِيقٌ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ ﴿رَحِيمًا﴾ بِالتَّوَسُّعَةِ عَلَيْهِمْ.

﴿تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُثَوَّى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَغْنَبَكَ

حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢) يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ
نَظَرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا
مُسْتَسْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا
يَسْتَحْيِي مَنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ
تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ
تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) ﴿

﴿ تَرْجَى ﴾ بهَمْزٍ وَغَيْرِ هَمْزٍ. تُوَخَّرُ ﴿ وَتُتَوَى ﴾ تَضُمُّ، يعني: تَتْرُكُ مَضَاجِعَهُ مَنْ
تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُضَاجِعُ مَنْ تَشَاءُ، أَوْ تُطَلِّقُ مَنْ تَشَاءُ وَتُمْسِكُ مَنْ تَشَاءُ، أَوْ: لَا تَقْسِمُ
لَا يَتَّهِنَنَّ شَيْئًا، وَتَقْسِمُ لِمَنْ شِئْتَ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقْسِمُ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأُيِّحَ لَهُ تَرْكُ ذَلِكَ،
أَوْ: تَتْرُكُ تَزْوِجَ مَنْ شِئْتَ مِنْ نِسَاءِ أُمَّتِكَ، وَتَتَزَوَّجُ مَنْ شِئْتَ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا خَطَبَ
أَمْرَأَةً لَمْ يَكُنْ لغيرِهِ أَنْ يَخْطِبَهَا حَتَّى يَدْعَهَا، وَرُوي أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنِّي أَرَى رَبَّكَ
يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ! (١).

﴿ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ ﴾ أَنْ تَضُمَّهَا إِلَيْكَ ﴿ مِمَّنْ ﴾ عَزَلْتَهُنَّ ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ فِي
ابْتِغَائِهَا ﴿ ذَلِكَ ﴾ التَّفْوِيزُ إِلَى اخْتِيَارِكَ وَمَشِيئَتِكَ ﴿ أَذْنَى ﴾ إِلَى قُرَّةِ عَيُونِهِنَّ وَقَلَّةِ
حُزْنِهِنَّ وَرِضَائِهِنَّ جَمِيعًا، لِأَنَّهُ إِذَا سَوَّى بَيْنَهُنَّ فِي الْإِيوَاءِ وَالْإِرْجَاءِ وَالْعَزْلِ
وَالِابْتِغَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدَاهُنَّ مِمَّا تُرِيدُ وَمِمَّا لَا تُرِيدُ إِلَّا مِثْلُ مَا لِلْآخَرَى، وَعَلِمَنَّ
أَنَّ هَذَا التَّفْوِيزَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَكَنَتْ نُفُوسُهُنَّ، وَذَهَبَ التَّنَافُسُ، وَحَصَلَ التَّرَاضِي

(١) رواه الحاكم في مستدركه: ج ٢ ص ٤١٩، والبغوي الشافعي في تفسيره: ج ٣ ص ٥٣٨،
والزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٥١.

﴿كُلُّهُنَّ﴾ تَأْكِيدُ لِنُونِ ﴿يَرْضَيْنَ﴾، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فِيهِ وَعِيدٌ لِمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنْهُنَّ بِمَا فَوَّضَ اللَّهُ إِلَى مَشِيئَةِ رَسُولِهِ، وَبَعَثَ عَلَى طَلَبِ رِضَاهِ ﷺ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِمَصَالِحِ عِبَادِهِ ﴿حَلِيمًا﴾ لَا يُعَاجِلُهُم بِالْعُقُوبَةِ.

وَقُرِئَ: ﴿لَا يَحِلُّ﴾ بِالتَّاءِ ^(١) وَالْيَاءِ، أَي: لَا تَحِلُّ لَكَ ﴿النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي أَحْلَلْنَاهُنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْنَاسِ: مِنَ اللَّوَاتِي أُعْطِيتَ مُهُورَهُنَّ، وَمِنَ الْمَهَاجِرَاتِ مِنَ الْقَرَائِبِ، وَمِنَ الْإِمَاءِ الْمَسِيئَةِ ^(٢)، وَمَنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ بِجَمِيعِ مَا شَاءَ مِنَ الْعَدَدِ، ﴿وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَّ﴾ أَي: بِالْمُسْلِمَاتِ الْكِتَابِيَّاتِ، لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُنَّ أُمَّهَاتِ الْمُسْلِمِينَ ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ مِنَ الْكِتَابِيَّاتِ، وَقِيلَ: إِنَّ التَّبْدَلَ الْمُحَرَّمَ هُوَ مَا كَانَ يُفْعَلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: بَادِلْنِي بِامْرَأَتِكَ أَبَادِلَكَ بِامْرَأَتِي، فَيَنْزِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ أَمْرَاتِهِ لِصَاحِبِهِ ^(٣).

وَيُحْكِي أَنَّ عُيَيْنَةَ بْنَ حُصَيْنٍ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ عَائِشَةُ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عُيَيْنَةُ، أَيْنَ الْاسْتِئْذَانُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا اسْتَأْذَنْتُ عَلَى رَجُلٍ قَطُّ مِنْذُ أَدْرَكْتُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ هَذِهِ الْجَمِيلَةُ إِلَى جَنْبِكَ؟ فَقَالَ ﷺ: «هَذِهِ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ»، قَالَ عُيَيْنَةُ: أَفَلَا أَنْزِلُ لَكَ عَنْ أَحْسَنِ الْخَلْقِ؟ قَالَ ﷺ: «قَدْ حُرِّمَ ذَلِكَ»، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: مَنْ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَحْمَقُ مُطَاعٍ، وَإِنَّهُ عَلَى مَا تَرَيْنَ لَسَيِّدُ قَوْمِهِ» ^(٤).

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ نِسَائِكَ اللَّاتِي خَيْرْتَهُنَّ فَاخْتَرَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَهُنَّ التَّسْعُ، وَلَا أَنْ تَسْتَبْدِلَ بِهِنَّ أَزْوَاجًا أُخَرَ ^(٥) ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ وَاسْتَشْنَى مِمَّنْ حَرَّمَ عَلَيْهِ الْإِمَاءُ.

(١) قرأه أبو عمرو وحده. راجع التبيان: ج ٨ ص ٣٥٤.

(٢) في نسخة: «المستترات». (٣) قاله ابن زيد. راجع التبيان: ج ٨ ص ٣٥٦.

(٤) أخرجه الدار قطني في السنن: ج ٣ ص ٢١٨.

(٥) وهو قول ابن عباس وقتادة. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٣١٦.

﴿أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في معنى الظرف، تقديره: إِلَّا وَقْتَ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ﴾ حَالٌ مِنْ ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾ وَقَعَ الاستثناء على الوقت والحال معاً، كأنه قال: لَا تَدْخُلُوا بِيوتَ النَّبِيِّ إِلَّا وَقْتَ الْإِذْنِ، وَلَا تَدْخُلُوهَا إِلَّا غَيْرَ نَظِيرِينَ. وهؤلاء قومٌ كانوا يَتَحَيَّيْنُون أَي: يَتَعَرَّضُونَ طعامَ رسولِ الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لإِدْرَاكِه، والمعنى: لَا تَدْخُلُوا يَا هَؤُلَاءِ الْمُتَحَيِّيُونَ لِلطَّعَامِ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ. وَإِلَّا فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُؤُلَاءِ خُصُوصًا لَمَّا جَازَ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ بِيوتَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ إِذْنًا خَاصًّا إِلَى طَعَامٍ فَحَسَبَ. و﴿إِنْسُهُ﴾ إِدْرَاكُهُ وَنُضْجُهُ، يَقَالُ: أَنَّى الطَّعَامُ إِنِّي، وَقِيلَ: إِنَاهُ: وَقْتُهُ^(١)، أَي: غَيْرَ نَظِيرِينَ وَقْتَ الطَّعَامِ وَسَاعَةَ أَكْلِهِ.

وروي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَمَ عَلَى زَيْنَبَ بَتْمَرٍ وَسُوَيْقٍ وَذَبَحَ شَاةً فَأَمَرَ أَنْسَاءَ أَنْ يَدْعُوا أَصْحَابَهُ، فترادفوا أفواجاً، يَأْكُلُ فَوْجٌ فَيُخْرَجُ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَوْجٌ، إِلَى أَنْ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ دَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ، فَقَالَ: ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَبَقِيَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَحَدَّثُونَ فَأَطَالُوا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُخْرِجُوا، فَطَافَ بِالْحُجَرَاتِ وَرَجَعَ فَإِذَا الثَّلَاثَةُ جُلُوسٌ مَكَانَهُمْ، وَكَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ شَدِيدُ الْحَيَاءِ فَتَوَلَّى، فَلَمَّا رَأَوْهُ مُتَوَلِّياً خَرَجُوا، فَرَجَعَ وَنَزَلَتِ الْآيَةُ^(٢).

﴿مُسْتَأْنِسِينَ﴾ مَجْرُورٌ عَطْفٍ عَلَى: ﴿نَظِيرِينَ﴾، أَوْ مَنْصُوبٌ عَلَى: وَلَا تَدْخُلُوهَا ﴿مُسْتَأْنِسِينَ﴾ أَي: يَسْتَأْنِسُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ لِأَجْلِ حَدِيثٍ يَحْدُثُهُ بِهِ، أَوْ: مُسْتَأْنِسِينَ حَدِيثَ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَأَسْتِنَاسُهُ: تَسْمَعُهُ وَتَوَجُّسُهُ. وَلَا بَدَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَيَسْتَخِي مِنْكُمْ﴾ مِنْ تَقْدِيرِ مُضَافٍ، أَي: مِنْ إِخْرَاجِكُمْ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ وَمَعْنَاهُ: أَنَّ إِخْرَاجَكُمْ حَقٌّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنْهُ،

(١) حكاها الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٥٤.

(٢) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٣٢٣ باسناده عن أنس بن مالك.

ولمَّا كَانَ الْحَيَاءُ مِمَّا يَمْنَعُ الْحَيَّ مِنْ بَعْضِ الْأَفْعَالِ قِيلَ: وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، بِمَعْنَى: لَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ وَلَا يَتْرُكُهُ تَرْكُ الْحَيِّ مِنْكُمْ، وَهَذَا أَدَبٌ أَدَّبَ اللَّهُ بِهِ الثُّقَلَاءَ. وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: حَسْبُكَ فِي الثُّقَلَاءِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَحْتَمِلْهُمْ وَقَالَ: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ (١).

وَالضَّمِيرُ فِي ﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ لِنِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يُذَكَّرْنَ لِأَنَّ الْحَالَ يَنْطِقُ بِذِكْرِهِنَّ ﴿فَسَأَلُوهُنَّ﴾ الْمَتَاعَ.

وَقِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَطْعُمُ وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَأَصَابَتْ يَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَ عَائِشَةَ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ (٢).

وَرُوي أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: أَنْتَهَى أَنْ نَكَلَّمَ بَنَاتَ عَمَّنَا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ؟! لَئِنْ مَاتَ مُحَمَّدٌ، لَا تَزَوَّجَنَّ عَائِشَةُ (٣) وَعَنْ مَقَاتِلٍ: هُوَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ (٤)؛ أَي: وَمَا صَحَّ لَكُمْ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ وَلَا نِكَاحُ ﴿أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِهِ﴾ وَسَمِّيَ نِكَاحُ أَزْوَاجِهِ بَعْدِهِ ﴿عَظِيمًا﴾ تَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِجَابًا لِحُرْمَتِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ. ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا﴾ مِنْ نِكَاحِهِنَّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ فِي صُدُورِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ذَلِكَ.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (٥٥) إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى

(١) أورده الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٥٥.

(٢) قاله مجاهد. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٣٢٥.

(٣) رواه القرطبي في تفسيره: ج ١٤ ص ٢٢٨ باسناده عن قتادة.

(٤) انظر تفسير البغوي: ج ٣ ص ٥٤١.

النَّبِيِّ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ اِخْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨) ﴿

لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْحَجَابِ قَالَ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاؤُ وَالْأَقَارِبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَوْ نَحْنُ أَيْضًا نَكَلِّمُهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حَجَابٍ؟ فَنَزَلَتْ (١).

أي: لا إثم عليهنَّ في أن لا يَحْتَجِبْنَ عن هؤلاء، وَلَمْ يَذْكُرِ الْعَمَّ وَالْخَالَ لَأَنَّهُمَا يَجْرِيَانِ مَجْرَى الْوَالِدَيْنِ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ الْعَمَّ أَبًا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالِهَ ءَابَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ (٢) وَإِسْمَاعِيلُ عَمُّ يَعْقُوبَ، وَقِيلَ: كُرهَ تَرْكُ الْاِحْتِجَابِ عَنْهُمَا لَأَنَّهُمَا يَصِفَانِهِنَّ لِأَبْنَائِهِمَا وَأَبْنَاؤُهُمَا غَيْرُ مَحَارَمٍ (٣) ﴿وَأَتَّقِينَ اللَّهَ﴾ فِي نَقْلِ الْكَلَامِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ دَلَالَةً عَلَى فَضْلِ تَشْدِيدِ فِيمَا أُمِرْنَ بِهِ مِنَ الْاِحْتِجَابِ وَالِاسْتِتَارِ، أَي: وَأَسْلُكُنَّ طَرِيقَ التَّقْوَى فِيمَا أُمِرْتُنَّ بِهِ وَأَحْتَطْنَ فِيهِ، وَكَانَ اللَّهُ ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنَ السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَظَاهِرِ الْحَجَابِ وَبَاطِنِهِ ﴿شَهِيدًا﴾ لَا تَتَفَاوَتُ الْأَحْوَالُ فِي عِلْمِهِ.

صَلَاةُ اللَّهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ هِيَ مَا يَفْعَلُهُ بِهِ مِنْ إِعْلَاءِ دَرَجَاتِهِ وَرَفْعِ مَنَازِلِهِ وَتَعْظِيمِ شَأْنِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ كَرَامَاتِهِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ مَسْأَلَتُهُمْ اللَّهُ عَزَّ اسْمُهُ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ أَي: قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ﴿وَسَلِّمُوا﴾ لَهُ فِي الْأُمُورِ ﴿تَسْلِيمًا﴾ أَي: انْقَادُوا لِأَمْرِهِ وَأَطِيعُوهُ، أَوْ: سَلِّمُوا عَلَيْهِ بِأَنْ تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

(١) انظر التبيان: ج ١٠ ص ٣٥٨. (٢) البقرة: ١٣٣.

(٣) قاله قتادة وعكرمة والشعبي. راجع تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٤٢٠، والتبيان: ج ١٠ ص ٣٥٨.

﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أذى الله تعالى عبارة عن أذى رسوله وأوليائه، وإنما أضافه إلى نفسه مبالغة في تعظيم المعصية.

وعن عليٍّ عليه السلام: حدثني رسول الله ﷺ وهو آخذٌ بشعره فقال: «مَنْ آذَى شَعْرَةً مِنْكَ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ»^(١).

وقيّد إيذاء المؤمنين والمؤمنات بعد أن أطلق إيذاء الله ورسوله، لأن إيذاء الله ورسوله لا يكون إلا بغير حق أبداً. ومعنى ﴿بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ بغير جناية واستحقاق للأذى ﴿بُهْتَانًا﴾ أي: كذباً، أي: فعلوا ما هو في الإثم مثل البهتان؛ يعني بذلك أذية اللسان.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهَا ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٥٩) لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً (٦٠) ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً (٦١) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً (٦٢).

الجلباب: ثوب واسع، أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها. وعن ابن عباس: الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل^(٢)، وقيل: الجلباب: الملحفة وكل ما يستر به من كساء أو غيره^(٣). قال الشاعر:

(١) رواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٩٧ ح ٧٧٦.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٥٩.

(٣) قاله الحسن. راجع التبيان: ج ٨ ص ٣٦١.

مُجَلَّبَتٍ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جَلْبَاباً^(١)

ومعنى ﴿يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَسِيهِنَّ﴾: يُرَخِّينَهَا عَلَيْهِنَّ وَيُغَطِّينَ بِهَا وَجُوهَهُنَّ وَأَعْطَافَهُنَّ، يقالُ إِذَا زَلَّ الثَّوبُ عَنْ وَجْهِ الْمَرْأَةِ: أَذْنِي تَوْبَكَ عَلَى وَجْهِكَ. وذلكَ أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ عَلَى عَادَتِهِنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُبْتَذَلَاتٍ يَبْرَزْنَ فِي دَرَعٍ وَخِمَارٍ، لَا فَرْقَ بَيْنَ الْحُرَّةِ وَالْأَمَةِ، وَكَانَ أَهْلُ الشُّطَارَةِ وَالرِّيَّةِ يَتَعَرَّضُونَ لِلْإِمَاءِ، فَرَبَّمَا تَعَرَّضُوا لِلْحُرَّةِ بَعْلَةُ الْأَمَةِ. فَأَمْرُنَ أَنْ يَخَالَفْنَ بَرِيهِنَّ مِنْ زِيِّ الْإِمَاءِ لئَلَّا يَطْمَعَ فِيهِنَّ طَامِعٌ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ﴾ أي: أَقْرَبُ إِلَى أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لَهُنَّ وَلَا يَلْقَيْنَ مَا يَكْرَهُنَّ. وَ ﴿مِنْ﴾ فِي: ﴿جَلَسِيهِنَّ﴾ لِلتَّبَعِيضِ، بِمَعْنَى: تَجَلَّبَيْنَ بِبَعْضِ جَلَسِيهِنَّ أَوْ يُرَخِّينَ بَعْضَ جَلْبَابِهِنَّ عَلَى الْوَجْهِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لِمَا سَلَفَ مِنْهُنَّ فِي ذَلِكَ.

﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: ضَعُفٌ فِي الْإِيمَانِ، وَقِيلَ: هُمُ الزُّنَاةُ وَأَهْلُ الْفُجُورِ^(٢)، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قَيِّطَمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾^(٣)، ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ بِالْأَخْبَارِ الْمَضَعَّةِ لِقُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ، يَقُولُونَ: هُزُمُوا وَقَتِلُوا، وَأَصْلُهُ مِنَ الرَّجْفَةِ، وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ لِكُونِهِ خَبَرًا مُتَزَلِّلاً غَيْرَ ثَابِتٍ، وَالْمَعْنَى: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ عَنْ عَدَوَاتِهِمْ وَكَيْدِهِمْ، وَالْفَسَقَةُ عَنْ إِيْذَاءِ النِّسَاءِ، وَالْمُرْجِفُونَ عَمَّا يُوَلِّفُونَهُ^(٤) مِنْ أَخْبَارِ السُّوءِ، لِنَأْمُرَنَّكَ بِأَنْ تَفْعَلَ بِهِمْ مَا يَسُوُّهُمْ وَيُنَوِّوهُمْ وَيَضْطَرُّهُمْ إِلَى طَلَبِ الْجَلَاءِ عَنِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ لَا يَسَاكُنُونَكَ فِي الْمَدِينَةِ

(١) و صدره: أهلاً بضيفٍ أني ما استفتح البابا والبيتُ منسوب لأبي زبيد، وفيه مبالغة في

التمدح بإكرام الضيف وقريه. أنظر شرح شواهد الكشاف للأفندي: ص ١٩٢.

(٢) قاله عكرمة وقتادة وأبو صالح. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٣٣٣.

(٤) في نسخة: يقولونه.

(٣) الآية: ٣٢.

إِلَّا زَمَانًا قَلِيلًا، فَسَمَّى ذَلِكَ عَنْ إِغْرَاءٍ وَهُوَ التَّحْرِيشُ ^(١) عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ. ﴿مَلْعُونِينَ﴾ نُصِبَ عَلَى «الشَّتْمِ» أَوْ الْحَالِ، أَيِ: ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ إِلَّا مَلْعُونِينَ. دَخَلَ حَرْفُ الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى الظَّرْفِ وَالْحَالِ مَعًا، كَمَا مَرَّ ذِكْرُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾ ^(٢) وَقِيلَ: إِنَّ ﴿قَلِيلًا﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ أَيْضًا، أَيِ: أَقْلَاءً أَذَلَّةً ^(٣)، وَ ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿لَنُغْزِيَنَّكَ﴾، فَهُوَ جَوَابٌ آخَرٌ لِلْقَسَمِ.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ، أَيِ: سَنَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ يَنَافِقُونَ الْأَنْبِيَاءَ أَنْ يُقْتُلُوا أَيْنَمَا تُقْفُوا.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْسَتْنا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولُ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَظَلُّونَا السَّبِيلًا (٦٧) رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) ﴿

كَانَ الْمَشْرُكُونَ يَسْأَلُونَ ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ وَوَقْتُ قِيَامِهَا اسْتَعْجَالًا عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ وَالْهَزْءِ، وَالْيَهُودُ يَسْأَلُونَ ذَلِكَ امْتِحَانًا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنْ يُجِيبَهُمْ بِأَنَّهُ عِلْمٌ قَدْ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّهَا ﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾ مَجِيئُهَا، أَوْ: شَيْئًا قَرِيبًا، أَوْ: فِي زَمَانٍ قَرِيبٍ.

(١) التحريش: الإغراء بين القوم، وكذلك بين الكلاب. (الصحاح: مادة حرش).

(٢) الآية: ٥٣.

(٣) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٤ ص ٢٣٦.

و«السَّعِيرُ»: النَّارُ الْمَسْجُورَةُ. وَتَقْلِبُ الْوُجُوهَ مَعْنَاهُ: تَصْرِيفُهَا فِي الْجِهَاتِ، كَمَا أَنَّ الْبُضْعَةَ مِنَ اللَّحْمِ تَدُورُ فِي الْقِدْرِ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ إِذَا أُسْتَجْمَعَتْ غَلِيًّا، أَوْ تَغْيِيرُهَا عَنْ أَحْوَالِهَا، أَوْ طَرَحُهَا فِي النَّارِ مِنْكُوبِينَ مَغْلُوبِينَ^(١)، وَخَصَّ الْوُجُوهَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الْوَجْهَ أَكْرَمُ الْأَعْضَاءِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْوَجْهَ عِبَارَةً عَنِ الْجُمْلَةِ. وَانْتَصَبَ ﴿يَوْمَ﴾ بـ ﴿يَقُولُونَ﴾، أَوْ بـ ﴿اذْكُرْ﴾ وَ ﴿يَقُولُونَ﴾ حَالٌ.

وَقُرِئَ: «سَادَاتِنَا»^(٢) وَهُمْ رُؤَسَاءُ الْكُفَّارِ الَّذِينَ أَضَلُّوهُمْ، وَزِيَادَةُ الْأَلْفِ لِإِطْلَاقِ الصَّوْتِ، جُعِلَ فَوَاصِلَ الْآيِ كَقَوَافِي الشَّعْرِ، وَفَائِدُهَا الْوَقْفُ وَالِدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ قَدْ انْقَطَعَ، وَأَنَّ مَا بَعْدَهُ مُسْتَأْنَفٌ.

وَقُرِئَ ﴿كَبِيرًا﴾ بِالْبَاءِ وَالْتَاءِ^(٣)، وَالْكَثْرَةُ أَشْبَهُ بِالْمَوْضِعِ لِأَنَّهُمْ يُلْعَنُونَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَالْكَبِيرُ بِمَعْنَى: الشَّدِيدُ الْعَظِيمُ، أَيِ: ﴿ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ ضِعْفًا لِضَلَالِهِمْ وَضِعْفًا لِإِضْلَالِهِمْ.

﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَى﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قِيلَ: نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْدٍ وَزَيْنَبَ وَمَا سَمِعَ فِيهِ مِنْ مَقَالَةٍ بَعْضِ النَّاسِ^(٤). وَقِيلَ: فِي أَذَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ حَدِيثُ الْمَوْمِسَةِ الَّتِي حَمَلَهَا قَارُونُ عَلَى قَذْفِهِ بِنَفْسِهَا^(٥). وَقِيلَ: اتَّهَمُوهُمْ إِيَّاهُ بِقَتْلِ هَارُونَ، وَقَدْ كَانَا صَعْدَا الْجَبَلِ فَمَاتَ هَارُونُ، فَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَمَرَّوْا بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مَيِّتًا، حَتَّى عَرَفُوا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يُقْتَلْ^(٦). وَقِيلَ: قَذَفُوهُ بِعَيْبٍ فِي جَسَدِهِ، مِنْ

(١) فِي نَسْخَةٍ: «مِنْكُوسِينَ مَقْلُوبِينَ».

(٢) قَرَأَهُ ابْنُ عَامِرٍ وَيَعْقُوبُ. رَاجَعَ التَّبْيَانُ: ج ٨ ص ٣٦٤.

(٣) قَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَنَافِعٌ وَالْكَسَائِيُّ. رَاجَعَ كِتَابُ السَّبْعَةِ فِي الْقَرَاءَاتِ لِابْنِ مَجَاهِدٍ: ص ٥٢٣.

(٤) حَكَاهُ النَّقَاشُ كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْمَآوَرِدِيِّ: ج ٤ ص ٤٢٦.

(٥) قَالَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ. رَاجَعَ تَفْسِيرَ الْبَغْوِيِّ: ج ٣ ص ٥٤٥.

(٦) رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْمَآوَرِدِيِّ: ج ٤ ص ٤٢٧.

بَرَصٍ أَوْ أُدْرَةٍ^(١)، فَأُطْلَعَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ^(٢). ﴿وَجِيهًا﴾ ذَا جَاهٍ وَمَنْزَلَةٍ عِنْدَهُ، فَلِذَلِكَ كَانَ يُمِيطُ عَنْهُ التُّهَمَ، وَيَحَافِظُ عَلَيْهِ لئَلَّا يَلْحَقَهُ وَصْمٌ^(٣)، كَمَا يَفْعَلُ الْمَلُوكُ بِمَنْ لَهُ عِنْدَهُمْ وَجَاهَةٌ، وَالْمَعْنَى: ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ﴾ مِنْ قَوْلِهِمْ أَوْ مِنْ مَقُولِهِمْ، فَيَكُونُ «مَا» مُصَدَّرِيَّةً أَوْ مَوْصُولَةً. وَالْمَرَادُ بِالْقَوْلِ أَوِ الْمَقُولِ مَضْمُونُهُ وَمَوْدَّاهُ، وَهُوَ الْأَمْرُ الْمَعِيبُ، كَمَا سَمَّوُا السُّبَّةَ^(٤) بِالْقَالَةِ، وَالْقَالَةُ بِمَعْنَى الْقَوْلِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٣) ﴿

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أَي: قَاصِدًا إِلَى الْحَقِّ، وَالسَّدَادُ: الْقَصْدُ إِلَى الْحَقِّ وَالْقَوْلُ بِالْعَدْلِ^(٥)، يُقَالُ: سَدَدَ السَّهْمَ نَحْوَ الرَّمِيَةِ، كَمَا قَالُوا: سَهْمٌ قَاصِدٌ. وَقِيلَ: إِنَّ الْمَرَادَ نَهْيُهُمْ عَمَّا خَاضُوا فِيهِ مِنْ حَدِيثِ زَيْنَبَ مِنْ غَيْرِ عَدْلِ فِي الْقَوْلِ^(٦)، وَهُوَ الْبَعْثُ عَلَى أَنْ يَسُدَّ قَوْلَهُمْ فِي كُلِّ بَابٍ، لِأَنَّ حِفْظَ اللِّسَانِ وَسَدَادَ الْقَوْلِ رَأْسُ الْخَيْرِ كُلِّهِ.

(١) الأُدْرَةُ: نفخةٌ في الخصية، يُقَالُ: رَجُلٌ آدَرُ بَيْنَ الْأُدْرَةِ. (الصَّحَاحُ: مَادَّةُ أَدْرَ).

(٢) مَارَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ١٠ ص ٣٣٧ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِهِ قَالَ سَعِيدٌ.

(٣) الْوَصْمُ: الْعَيْبُ وَالْعَارُ. (الصَّحَاحُ: مَادَّةُ وَصَمَ).

(٤) يُقَالُ: صَارَ هَذَا الْأَمْرُ سُبَّةً عَلَيْهِ أَي: عَارًا. (لِسَانُ الْعَرَبِ: مَادَّةُ سَبَبَ).

(٥) فِي نَسَخَةٍ: «الْقَوْلُ الْعَدْلُ».

(٦) قَالَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٣ ص ٥٦٤.

والمعنى: احفظوا ألسنتكم وسددوا قولكم، فإنكم إذا فعلتم ذلك أعطاكم الله غاية مطلوبكم من تزكية أعمالكم، وتقبل حسناتكم، ومغفرة سيئاتكم.

ولما علق سبحانه طاعته وطاعة رسوله بالفوز العظيم أتبعه قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ وهو يريد بالأمانة: الطاعة، فعظم أمرها، والمعنى: أن هذه الأجرام العظام قد أنقادت لأمر الله فلم تمتنع على مشيئته إيجاباً وتكويناً وتسويةً على أشكال متنوعة وصفات مختلفة، وأمّا الإنسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه، وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها من الانقياد وعدم الامتناع.

والمُرَاد بالأمانة: الطاعة؛ لأنها لازمة الأداء، وعرضها على الجمادات وإياؤها وإشفاقها مجازاً، وأمّا حمل الأمانة فمن قولك: فلان حامل الأمانة ومُحمِلُ لها، تريد لا يؤدّيها إلى صاحبها حتى يخرج من عهدتها، لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤمن عليها، فإذا أداها لم تبقى راكبة له ولم يكن هو حاملاً لها. فالمعنى: ﴿فَأَيُّنَ﴾ أن لا يؤدّيها وأبى الإنسان إلا أن يكون مُحمِلاً لها لا يؤدّيها، ثم وصفه بالظلم لكونه تاركاً لأداء الأمانة، وبالجهل لإغفاله ما يسعده مع تمكنه من ذلك بأن يؤدّي الأمانة.

واللَّامُ في ﴿لِيُعَذَّبَ﴾ لامُ التعليل على طريق المجاز، لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة، كما أن التأديب في قولك: ضربته للتأديب نتيجة الضرب، أي: ليُعَذَّبَ الله حامل الأمانة ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ﴾ على غيره ممن لم يحملها، لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعاً من عذاب الغادر.



سُورَةُ سَبَأٍ

مَكِّيَّةٌ ^(١) وَهِيَ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ آيَةً.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ سَبَأٍ لَمْ يَبْقَ نَبِيٌّ وَلَا رَسُولٌ إِلَّا كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَفِيقًا وَمُصَافِحًا» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ الْحَمْدَيْنِ جَمِيعًا - سَبَأٌ وَفَاطِرٌ - فِي لَيْلَتِهِ لَمْ يَزَلْ فِي لَيْلَتِهِ فِي حِفْظِ اللَّهِ وَكَلَاءَتِهِ، فَإِنْ قَرَأَهُمَا فِي نَهَارِهِ لَمْ يُصِبْهُ فِيهِ مَكْرُوهٌ، وَأُعْطِيَ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِهِ وَلَمْ يَبْلُغْهُ مُنَاهُ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١) يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٨ ص ٣٧٢: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَالْحَسَنَ وَغَيْرِهِمْ، لَيْسَ فِيهَا نَاسِخٌ وَلَا مَنْسُوخٌ، وَقِيلَ: إِنَّ آيَةً وَاحِدَةً مِنْهَا مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿وَتَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا﴾ الْآيَةُ. وَهِيَ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ آيَةً عِنْدَ الْكَلِّ إِلَّا الشَّامِي فَإِنَّهَا عِنْدَهُ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ آيَةً.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٣ ص ٥٦٦: مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَةُ ٦ فَمَدَنِيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ٥٤، نَزَلَتْ بَعْدَ لَقْمَانَ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٣ ص ٥٩٤ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٢٧ وَفِيهِ: «يَبْلُغُ».

مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ (٥)

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كَلَّةُ نِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْإِنْعَامِ بِجَمِيعِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ الْمُحْمَدُ عَلَى نِعَمِ الدُّنْيَا ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ إِذْ بَانَ أَنَّهُ الْمُحْمَدُ عَلَى نِعَمِ الْآخِرَةِ، وَهِيَ الثَّوَابُ الدَّائِمُ وَالنِّعَمُ الْمُقِيمُ ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ الَّذِي أَحْكَمَ أُمُورَ الدَّارَيْنِ ﴿الْخَيْرُ﴾ بِكُلِّ كَائِنٍ وَبِكُلِّ مَا سَيَكُونُ. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ﴾ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كَنْزٍ أَوْ مَيِّتٍ ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ مِنْ نَبَاتٍ أَوْ جَوْهَرٍ أَوْ حَيَوَانٍ ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ مِنْ مَلَكٍ أَوْ مَطَرٍ أَوْ رِزْقٍ ﴿وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا﴾ أَيُّ مَا يَصْعَدُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَأَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَهُوَ مَعَ كَثْرَةِ نِعَمِهِ وَسُبُوحِ فَضْلِهِ ﴿الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ لِعِبَادِهِ الْمُقْصِرِينَ فِي آدَاءِ الْوَاجِبِ مِنْ شُكْرِهِ.

قَالَ مُنْكَرُ الْبَعْثِ: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ وَهُوَ نَفْيٌ أَوْ اسْتِثْنَاءٌ عَلَى طَرِيقِ الْهُزْءِ ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾ أَوْجَبَ مَا بَعْدَ النَّفْيِ بِبَلَىٰ عَلَىٰ مَعْنَى: أَنْ لَيْسَ الْأَمْرُ إِلَّا إِثْبَانَهَا، ثُمَّ أَكَّدَهُ بِالْقَسَمِ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ أَكَّدَ التَّوَكِيدَ الْقَسَمِيَّ بِمَا أَتْبَعَهُ مِنْ وَصْفِ الْمُقْسَمِ بِهِ بِأَنَّهُ ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ لَا يَقُوْتُهُ ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ فَيَنْدَرِجُ تَحْتَهُ عِلْمُهُ بِوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ. ثُمَّ أَتْبَعَ الْقَسَمَ الْحُجَّةَ الْقَاطِعَةَ وَهُوَ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ لِأَنَّهُ رَكَّبَ فِي الْعُقُولِ أَنَّ الْمُحْسِنَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ ثَوَابٍ، وَالْمُسِيءُ

مَسْتُوجِبُ الْعِقَابِ، فَاتَّصَلَ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿لَتَأْتَيْنَنَّكُمْ﴾ تَعْلِيلًا لَهُ، وَقُرِئَ: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ وَ «عَلَّامُ الْغُيُوبِ» ^(١) بِالْجَرِّ صِفَةً لـ ﴿رَبِّي﴾ وَقُرِئَ: «عَلِمَ» ^(٢) بِالرَّفْعِ عَلَى الْمَدْحِ، ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ إِشَارَةً إِلَى ﴿مِثْقَالِ﴾، وَارْتَفَعَ ﴿أَصْغَرُ﴾ عَلَى أَصْلِ الْابْتِدَاءِ، وَهُوَ كَلَامٌ مَنْقَطِعٌ عَمَّا قَبْلَهُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿أَصْغَرُ﴾ عَطْفًا عَلَى ﴿مِثْقَالِ﴾ لَأَنَّ حَرْفَ الْاسْتِثْنَاءِ تَأْبَاهُ.

﴿سَعَوْ فِي آيَاتِنَا﴾ أَي: عَمَلُوا بِجَهْدِهِمْ فِي إِبْطَالِ حُجَجِنَا وَبَيِّنَاتِنَا مُقَدَّرِينَ إِعْجَازَ رَبِّهِمْ، أَوْ: ظَانِّينَ أَنَّهُمْ يَفْوُثُونَهُ. وَقُرِئَ: «مُعْجِزِينَ» ^(٣) وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي سُورَةِ الْحَجِّ ^(٤). وَقُرِئَ: ﴿الِيمُ﴾ بِالرَّفْعِ وَالْجَرِّ ^(٥)، وَالرَّجْزُ أَسْوَأُ الْعَذَابِ، وَالْجَرْ فِي ﴿الِيمِ﴾ أَتَيْنُ صِفَةً لـ ﴿رَجْزِ﴾.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأَ نَخِيفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٩)

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٢١.

(٢) وهي قراءة نافع وابن عامر. راجع المصدر السابق.

(٣) قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع المصدر نفسه.

(٤) في ج ٢ ص ٥٦٥ فراجع.

(٥) وبالجذر قرأه نافع وحمزة والكسائي وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم. راجع كتاب

السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٥٢٦.

﴿يَرَى﴾ في مَوْضِعِ الرَّفْعِ، أي: وَيَعْلَمُ ﴿الَّذِينَ أَوْثُوا الْعِلْمَ﴾ وَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، أَوْ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ... الْحَقَّ﴾ وَهُمَا مَفْعُولَانِ لـ ﴿يَرَى﴾ وَهُوَ فَصْلٌ. وَقِيلَ: ﴿وَيَرَى﴾ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ عَطْفًا عَلَى ﴿لِيَجْزِيَ﴾^(١)، أي: وَلِيَعْلَمَ أَوَّلُو الْعِلْمِ عِنْدَ مَجِيءِ السَّاعَةِ أَنَّهُ الْحَقُّ عِلْمًا لَا يَتَخَالَجُهُ رَيْبٌ، وَ ﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ هُوَ الْقُرْآنُ، ﴿وَيَهْدِي﴾ الْقُرْآنُ ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ﴾ الَّذِي لَا يُغَالِبُ، ﴿الْحَمِيدِ﴾ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ.

وَالْعَامِلُ فِي ﴿إِذَا﴾ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وَقَدْ مَرَّ نَظِيرُهُ، وَ«الْمُزَقُّ» مَصْدَرٌ أَوْ مَكَانٌ. وَأُسْقِطَتِ الْهَمْزَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿افْتَرَى﴾ دُونَ قَوْلِهِ: ﴿السَّحَرُ﴾ وَكِلْتَاهُمَا هَمْزَةٌ وَضَلِ؛ لِأَنَّ الْقِيَاسَ طَرَحُهَا، وَلَكِنْ لَمْ تُطْرَحْ هُنَا لِخَوْفِ التَّبَاسِ الْاسْتِفْهَامِ بِالْخَبَرِ، لَكُونِ هَمْزَةُ الْوَضَلِ مَفْتُوحَةً، وَهِيَ مَكْسُورَةٌ هُنَا فَلَا التَّبَاسَ، أَي: أَهُوَ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ ﴿كَذِبًا﴾ فِيمَا يَنْسُبُ إِلَيْهِ ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جُنُونٌ يُوهِمُهُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ مُحَمَّدٌ مِنَ الْافْتِرَاءِ وَالْجُنُونِ فِي شَيْءٍ، بَلْ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ بِالْبَعْثِ وَاقِعُونَ ﴿فِي﴾ عَذَابِ النَّارِ ﴿وَالضَّلَالِ﴾ عَنِ الْحَقِّ وَذَلِكَ أَجَنُ الْجُنُونِ، وَلَمَّا كَانَ الْعَذَابُ مِنْ لَوَازِمِ الضَّلَالِ جُعِلَا كَأَنَّهُمَا مُقْتَرَنَانِ. وَوَصَفَ الضَّلَالَةَ بـ ﴿الْبَعِيدِ﴾ مِنَ الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ؛ لِأَنَّ «الْبَعِيدَ» صِفَةُ الضَّالِّ إِذَا بَعُدَ عَنِ الْجَادَّةِ.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ أَي: أَعْمُوا فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى ﴿السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ وَأَتَتْهُمَا - حَيْثُمَا كَانُوا - مُحِيطَتَانِ بِهِمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَنْقُذُوا مِنْ أَقْطَارِهِمَا؟ وَقِيلَ: أَفَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِيهِمَا وَلَمْ يَسْتَدْلُوا بِذَلِكَ عَلَى قُدْرَتِنَا؟^(٢) ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ قُدْرَتَهُ عَلَى إِهْلَاكِهِمْ بِأَنْ يَخْسِفَ ﴿بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كَمَا خَسَفَ بِقَارُونَ، أَوْ يُسْقِطَ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قِطْعَةً ﴿مِنْ

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن: ج ٣ ص ٣٣٢.

(٢) قاله قتادة. راجع تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٤٣٤.

السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴿التَّنْظِرَ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْفِكْرَ فِيهِمَا لَدَلَالَةً﴾ ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُطِيعٍ لِلَّهِ رَاجِعٌ إِلَيْهِ. وَقُرِئَ: ﴿إِنْ نَشَأْ﴾ ﴿نَخْسِفُ﴾ و ﴿نُسْقِطُ﴾ بِالْيَاءِ ^(١) وَالنُّونِ فِي الْجَمِيعِ، وَأَدْغَمَ الْكَسَائِيُّ الْفَاءَ فِي الْبَاءِ فِي ﴿نَخْسِفُ بِهِمْ﴾ ^(٢) وَلَيْسَ بِقَوِيٍّ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (١٠) أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَلِيحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)﴾

﴿يَا جِبَالُ﴾ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ ﴿فَضْلًا﴾ وَإِمَّا مِنْ ﴿آتَيْنَا﴾ بِتَقْدِيرِ قَوْلِنَا: يَا جِبَالُ، أَوْ قُلْنَا: يَا جِبَالُ ﴿أَوْبَى﴾ مِنَ التَّأْوِيْبِ، أَي: رَجَعِي مَعَهُ التَّسْبِيحَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ فِيهَا تَسْبِيحًا كَمَا خَلَقَ الْكَلَامَ فِي الشَّجَرَةِ، فَيُسْمَعُ مِنَ الْجِبَالِ التَّسْبِيحُ كَمَا يُسْمَعُ مِنَ الْمُسْبَحِ؛ مُعْجَزَةً لِدَاوُدَ. وَقُرِئَ: ﴿وَالطَّيْرُ﴾ رَفْعًا ^(٣) وَنَضْبًا عَطْفًا عَلَى لَفْظِ الْجِبَالِ وَمَحَلِّهَا. وَجَوَّزُوا أَنْ يَنْتَضِبَ بِالْعَطْفِ عَلَى ﴿فَضْلًا﴾ بِمَعْنَى: وَسَخَّرْنَا لَهُ الطَّيْرَ، وَعَلَى ^(٤) أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ، ﴿وَأَلَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ وَجَعَلْنَاهُ لَهُ

(١) قرأه ن بالياء جميعاً حمزة والكسائي. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٢٢.

(٢) أنظر المصدر السابق.

(٣) قرأه الأعرج وعبدالوارث عن أبي عمرو. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٢٢.

(٤) في نسخة: «أو على».

لَيْنًا كَالطِّينِ وَالشَّمْعُ يُصَرِّفُهُ بِيَدِهِ كَيْفَ شَاءَ مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا ضَرْبٍ بِمِطْرَقَةٍ.
﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ﴾ أَي: دُرُوعًا وَاسِعَةً صَافِيَةً، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهَا، وَكَانَتْ
قَبْلُ صَفَائِحُ ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ أَي: فِي نَسْجِ الدُّرُوعِ، فَلَا تَجْعَلُ مَسَامِيرَهَا دِقَاقًا
فَتُغْلَقُ، وَلَا غِلَظًا فَتَقْصِمُ الْحَلَقَ ﴿وَأَعْمَلُوا﴾ الضَّمِيرُ لِدَاوُدَ وَأَهْلِهِ

﴿و﴾ سَخَّرْنَا ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ وَقُرئ: «الرَّيْحُ» بِالرَّفْعِ ^(١)، أَي: وَلِسُلَيْمَانَ
الرَّيْحُ مُسَخَّرَةٌ، أَوْ: وَلَهُ تَسْخِيرُ الرِّيحِ ﴿غَدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ جَزَيْهَا بِالْغَدَاةِ مَسِيرَةُ شَهْرٍ،
وَجَزَيْهَا بِالْعِشِيِّ كَذَلِكَ ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أَي: أَذْبَنَّا لَهُ مَعْدِنَ النُّحَاسِ
وَأَظْهَرْنَا لَهُ، يَتَّبِعُ كَمَا يَتَّبِعُ الْمَاءُ مِنَ الْعَيْنِ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهُ: «عَيْنَ الْقِطْرِ» تَسْمِيَةً بِمَا آلَ
إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ ^(٢)، ﴿و﴾ سَخَّرْنَا لَهُ ﴿مِنْ الْجِنِّ مَنْ
يَعْمَلُ﴾ بِحَضْرَتِهِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ ﴿وَمَنْ يَزِغُ﴾ أَي: وَمَنْ يَعْدِلُ مِنْهُمْ عَمَّا
أَمَرْنَاهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَةِ سُلَيْمَانَ ﴿نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ فِي الْآخِرَةِ، وَقِيلَ: فِي
الدُّنْيَا، وَقَدْ وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا بِيَدِهِ سَوْطٌ يَضْرِبُهُ ضَرْبَةً تُحْرِقُهُ ^(٣).

وَالْمَحَارِيبُ: الْبُيُوتُ الشَّرِيفَةُ، وَقِيلَ: هِيَ الْمَسَاجِدُ وَالْقُصُورُ يُتَعَبَّدُ فِيهَا ^(٤)،
﴿وَتَمَثِّلَ﴾ قِيلَ: كَانَتْ غَيْرَ صُورِ الْحَيَوَانِ، كَصُورِ الْأَشْجَارِ وَغَيْرِهَا، لِأَنَّ التَّمَاثِيلَ:
كُلُّ مَا صُوِّرَ عَلَى صُورَةٍ غَيْرِهِ مِنْ حَيَوَانٍ وَغَيْرِ حَيَوَانٍ ^(٥)، وَرُويَ ذَلِكَ عَنْ
الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٦). وَرُويَ أَنَّهُمْ عَمَلُوا لَهُ أَسَدَيْنِ فِي أَسْفَلِ كُرْسِيِّهِ وَنَشْرَيْنِ فَوْقَهُ،

(١) قرأه أبو بكر والمفضل. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٢٢.

(٢) يوسف: ٣٦.

(٣) قاله يحيى بن سلام. راجع تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٤٣٨.

(٤) قاله الحارث وقتادة وابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٣٥٤.

(٥) وهو قول الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٧٢.

(٦) أنظر الكافي: ج ٦ ص ٥٢٧ ح ٧.

وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضَعَدَ بَسَطَ الْأَسْدَانِ لَهُ ذَرَاعَيْهِمَا، وَإِذَا قَعَدَ أَضَلَّهُ النِّسْرَانِ بِأَجْنِحَتَيْهِمَا مِنْ الشَّمْسِ^(١). وَالْجَوَابِي: الْحِيَاضُ الْكِبَارُ لِأَنَّ الْمَاءَ يَجِيءُ فِيهَا أَيُّ: يُجْمَعُ، جَعَلَ الْفِعْلَ لَهَا مَجَازاً وَهِيَ مِنَ الصِّفَاتِ الْغَالِبَةِ كَالدَّابَّةِ، وَالْقِيَاسُ أَنْ تَثْبُتُ الْيَاءُ فِيهِ، وَمَنْ حَذَفَ الْيَاءَ فِي الْوَقْفِ أَوْ فِي الْوَضَلِ وَالْوَقْفِ فَلِأَنَّهُ مُشَبَّهٌ بِالْفَاصِلَةِ ﴿اعْمَلُوا﴾ حِكَايَةً مَا قِيلَ لَالَ دَاوُدَ، وَأَنْتَصَبَ ﴿شُكْرًا﴾ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، وَالْمَعْنَى: اْعْمَلُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوهُ عَلَى وَجْهِ الشُّكْرِ لِنِعْمِهِ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْعِبَادَةَ يَجِبُ أَنْ تُؤَدَّى عَلَى وَجْهِ الشُّكْرِ^(٢)، أَوْ عَلَى الْحَالِ، أَيُّ: شَاكِرِينَ أَوْ عَلَى تَقْدِيرٍ: اشْكُرُوا شُكْرًا، لِأَنَّ «اعْمَلُوا» فِيهِ مَعْنَى الشُّكْرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْعَمَلَ لِلْمُنْعِمِ شُكْرًا لَهُ، وَ﴿الشُّكُورُ﴾: الْمُتَوَفِّرُ عَلَى أَدَاءِ الشُّكْرِ، الْبَازِلُ وَشُعُهُ فِيهِ، وَقَدْ شَغَلَ بِهِ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَجَوَارِحُهُ اعْتِقَادًا وَاعْتِرَافًا وَكُدْحًا.

﴿فَلَمَّا﴾ حَكَمْنَا عَلَى سُلَيْمَانَ ﴿الْمَوْتَ﴾ مَا دَلَّ الْجِنُّ ﴿عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ وَهِيَ الْأَرْضُ ﴿تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ﴾ وَهِيَ الْعَصَا الْكَبِيرَةُ يُسَوِّقُ بِهَا الرَّاعِي غَنَمَهُ، مِنْ: نَسَاتُهُ إِذَا زَجَرْتُهُ، وَقُرِئَ: «منساته» بِتَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ^(٣) ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ مِنْ تَبَيَّنَ الشَّيْءُ إِذَا ظَهَرَ وَتَجَلَّى، وَ﴿أَنَّ﴾ مَعَ صِلَتِهَا بَدَلٌ مِنَ الْجِنِّ ﴿وَهُوَ بَدَلُ الْأَشْتِمَالِ، تَقُولُ: تَبَيَّنَ زَيْدٌ جَهْلُهُ. أَيُّ: ظَهَرَ أَنَّ الْجِنَّ﴾ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ، أَوْ: عَلِمَ الْجِنُّ كُلُّهُمْ عِلْمًا بَيِّنًا بَعْدَ التَّبَاسِ الْأَمْرِ عَلَى عَامَّتِهِمْ وَتَوَهُمِهِمْ أَنَّ كِبَارَهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، وَعَنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ»^(٤).

(١) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٧٢.

(٢) ليس في نسخة: «وفيه دلالة...».

(٣) وهي قراءة نافع وأبي عمرو. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٢٢.

(٤) انظر التبيان: ج ٨ ص ٣٨٤.

وهو قِرَاءَةُ أَبِي^(١)، ويكون الضَّمِيرُ في ﴿كَانُوا﴾ للجنِّ في قوله: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: عَلِمَتِ الْإِنْسُ أَنْ لَوْ كَانَ الْجِنُّ يُصَدِّقُونَ فِيمَا يُوهِمُونَهُمْ مِنْ عِلْمِهِمُ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا، وفي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «تَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»^(٢). وكان عُمرُ سُلَيْمَانَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمَلَكَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَمُدَّةُ مُلْكِهِ أَرْبَعُونَ سَنَةً.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَهْرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠)﴾

سَبَأُ: أَبُو عَرَبِ الْيَمَنِ كُلُّهُمْ ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ أي: بِلَدِهِمْ. وَقُرِئَ: «مَسَاكِينَهُمْ»^(٣) ﴿جَنَّتَانِ﴾ بَدَلٌ مِّنَ ﴿آيَةٍ﴾ أَوْ خَبَرٌ مُّبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ، أي: الْآيَةُ جَنَّتَانِ، وَمَعْنَى كَوْنِهِمَا آيَةً: أَنَّ أَهْلَهُمَا أَعْرَضُوا عَنْ شُكْرِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَخَرَّبَهُمُ^(٤) اللَّهُ وَأَبْدَلَهُمُ عَنْهُمَا الْخَمْطَ

(١) نسبها إليه الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٧٤.

(٢) أنظر المصدر السابق.

(٣) قرأه ابن كثير ونافع وابن عامر وابوعمر وابوبكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٥٢٨. (٤) في بعض النسخ: «فخرَّبَهُمَا».

وَالْأَثْلَ^(١) آيَةً وَعِبْرَةً لَّهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ، وَقِيلَ: إِنَّ الْآيَةَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي بَلَدِهِمْ بَعُوضَةٌ وَلَا ذُبَابٌ وَلَا عَقْرَبٌ وَلَا حَيَّةٌ، وَكَانَ الْغَرِيبُ إِذَا دَخَلَ فِي بَلَدِهِمْ وَفِي ثِيَابِهِ قُمَّلٌ مَاتَتْ^(٢). وَلَمْ يُرَدْ بُسْتَانَيْنِ فَحَسِبَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ جَمَاعَتَيْنِ مِنَ الْبُسْتَانَيْنِ، جَمَاعَةٌ عَنْ يَمِينِ بَلَدِهِمْ وَأُخْرَى عَنْ شَمَالِهَا، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْجَمَاعَتَيْنِ فِي تَقَارِبُهُمَا وَتَضَامُّهُمَا كَأَنَّهُمَا جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ، أَوْ: أَرَادَ بُسْتَانِي كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَنْ يَمِينِ مَسْكَنِهِ وَشَمَالِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾^(٣)، ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾ إِمَّا حِكَايَةً لِمَا قَالَ لَهُمْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ الْمُبْعُوثُونَ إِلَيْهِمْ، أَوْ: لِمَا قَالَ لَهُمْ لِسَانُ الْخَالِ ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أَي: هَذِهِ الْبَلَدَةُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ مُخَصَّبَةٌ، نَزْهَةٌ أَرْضُهَا عَذْبَةٌ لَيْسَتْ بِسَبْخَةٍ، ﴿وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ أَي: رَبُّكُمْ الَّذِي رَزَقَكُمْ وَطَلَبَ شُكْرَكُمْ غَفُورٌ لِمَنْ شَكَرَهُ. ﴿فَاعْرِضُوا﴾ عَنِ الْحَقِّ وَلَمْ يَشْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ أَسْمُهُ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ وَالْعَرِمُ: أَسْمُ الْجُرَذِ الَّذِي تَقَبَّ عَلَيْهِمُ السَّكْرُ، ضَرَبَتْ لَهُمْ^(٤) بَلْقَيْسُ الْمَلَكَةُ بِسَدٍّ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ، فَحَقَّقَتْ بِهِ مَاءَ الْعُيُونِ وَالْأَمْطَارِ، وَتَرَكَتْ فِيهِ خُرُوقًا عَلَى مِقْدَارٍ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ، فَلَمَّا طَغَوْا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَى سَدِّهِمُ الْخُلْدَ^(٥) فَنَقَبَهُ مِنْ أَسْفَلِهِ فَعَرَّقَهُمْ، وَقِيلَ: الْعَرِمُ: جَمْعُ عَرَمَةٍ وَهِيَ الْحَجَارَةُ الْمَرْكُومَةُ^(٦).

(١) تعددت الأقوال في معنى الخمط، فعن الليث: هو ضرب من الأراك له حمل يؤكل، وقال الزجاج: إنه يقال لكل نبت قد أخذ طعمًا من مرارة حتى لا يمكن أكله، وقال الفراء: الخمط في التفسير ثمر الأراك وهو البرير، وقيل: شجر له شوك، وقيل: هو شجر قاتل أو سم قاتل، وقيل: هو الحمل القليل من كل شجرة. وأمَّا الأثل فهو ضرب من الخشب كالطرفاء، وقيل: هو الطرفاء. انظر لسان العرب: مادة «خمط» و«أثل».

(٢) قاله عبدالرحمن بن زيد. راجع تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٤٤٣.

(٣) الكهف: ٣٢. (٤) في نسخة: «عليهم».

(٥) الخلد: ضرب من الجرذان أعمى. (الصحاح: مادة خلد).

(٦) قاله الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٧٦.

وَيُقَالُ لِلْكُدْسِ مِنَ الطَّعَامِ: عَرَمَةٌ، والمُرَادُ: المُسْنَأَةُ الَّتِي عَقَدُوهَا سِكْرًا. وَقِيلَ:
 الْعَرَمَةُ أَسْمُ وَادٍ كَانَ يَجْتَمِعُ فِيهِ السُّيُولُ ^(١)، وَقِيلَ: الْعَرِمُ: الْمَطَرُ الشَّدِيدُ ^(٢). وَقُرِئَ:
 ﴿أَكُلْ﴾ بِالضَّمِّ وَالسُّكُونِ ^(٣)، وَبِالتَّنْوِينِ وَالْإِضَافَةِ ^(٤)، وَمَنْ نَوَّنَ فَلْأَصْلُ. ذَوَاتِنِي
 أَكُلِ أَكُلِ خَمْطٍ، فَحُذِفَ «أَكُلِ» الْمُضَافُ، أَوْ: وَصِفِ الْأَكُلِ بِالْخَمْطِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ:
 ذَوَاتِنِي أَكُلِ بِشَيْعٍ، وَمَنْ أَضَافَ فَكَأَنَّهُ قَالَ: ذَوَاتِنِي بَرِيرٍ ^(٥)، لِأَنَّ أَكُلِ الْخَمْطِ فِي مَعْنَى
 الْبَرِيرِ، وَ«الْأَثْلُ» وَ«السَّدْرُ» مَعْطُوفَانِ عَلَى ﴿أَكُلِ﴾ لَا عَلَى ﴿خَمْطٍ﴾، لِأَنَّ الْأَثْلَ
 لَا أَكُلَ لَهُ، وَتَسْمِيَةُ الْبَدَلِ ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ لِأَجْلِ الْمَشَاكَلَةِ، وَفِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّهَكُّمِ، وَعَنِ
 الْحَسَنِ: قَلَّلَ السَّدْرَ لِأَنَّهُ أَكْرَمُ مَا بُدِّلُوا ^(٦). وَقُرِئَ: ﴿وَهَلْ نُجْزِي﴾ بِالنُّونِ ^(٧)،
 وَالْمَعْنَى: وَمِثْلُ هَذَا الْجَزَاءِ لَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا الْكَافِرُ، وَهُوَ الْعِقَابُ الْعَاجِلُ.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ﴾ قُرَى الشَّامِ ﴿الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ بِالمَاءِ وَالشَّجَرِ ﴿قُرَى
 ظَهْرَةَ﴾ مَتَوَاصِلَةً، يُرَى بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ لِتَقَارُبِهَا، فَهِيَ ظَاهِرَةٌ لِأَعْيُنِ النَّاطِرِينَ، أَوْ
 رَاكِبَةٌ مَتْنِ الطَّرِيقِ ظَاهِرَةٌ لِلْسَّائِلَةِ ^(٨)، ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ مِنَ الْقَرْيَةِ إِلَى الْقَرْيَةِ
 مِقْدَارًا وَاحِدًا، كَانَ الْغَادِي مِنْهُمْ يُقِيلُ فِي قَرْيَةٍ، وَالرَّائِحُ يَبِيتُ فِي قَرْيَةٍ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ
 الشَّامَ، لَا يَخَافُ جُوعًا وَلَا عَطَشًا وَلَا عَدُوًّا، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى حَمْلٍ زَادٍ وَلَا مَاءٍ.

(١) قاله ابن عباس وقتادة والضحاك. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٣٦٢.

(٢) وهو قول ابن عباس أيضاً. راجع تفسير القرطبي: ج ١٤ ص ٢٨٦.

(٣) وبسكون الكاف قرأه نافع وابن كثير وعباس عن أبي عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٢٨.

(٤) وبالإضافة هي قرارة أبي عمرو وحده. راجع المصدر السابق.

(٥) البرير: ثمر الأراك، واحدها بريرة. (الصاح: مادة بر).

(٦) حكاه عنه الرمخشري في الكشف: ج ٣ ص ٥٧٦.

(٧) الظاهر من العبارة أَنَّ المصنّف يميل إلى القراءة بالياء هنا، وهي قراءة الجمهور إلا الكوفيّين فقد قرؤوها بالنون. (٨) في نسخة: «للسابلة».

﴿سِيرُوا﴾ أي: وقلنا لهم: سِيرُوا وَلَا قَوْلَ ثَمَّ، لَكِنْ لَمَّا سَهَّلَتْ لَهُمْ أَسْبَابُ السَّيْرِ فَكَأَنَّهُمْ أَمَرُوا بِهِ، والمعنى: سِيرُوا إِنْ شِئْتُمْ بِاللَّيْلِ وَإِنْ شِئْتُمْ بِالنَّهَارِ، فَإِنَّ الْأَمْنَ فِيهَا لَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ، أَوْ: سِيرُوا فِيهَا ﴿ءَامِنِينَ﴾ لَا يَخَافُونَ وَإِنْ تَطَاوَلَتْ مُدَّةُ سَفَرِكُمْ فِيهَا وَامْتَدَّتْ أَيَّاماً وَلَيَالِي.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ﴾ وَبَعَّدَ عَلَى الدَّعَاءِ، بَطَرُوا النِّعْمَةَ وَمَلُّوا الْعَافِيَةَ فَطَلَبُوا الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَقُرِئَ: «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» ^(١) وَهُوَ قِرَاءَةُ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، «رَبَّنَا» مُبْتَدَأٌ وَالْمَعْنَى خِلَافُ الْأَوَّلِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ اسْتَبَعَدُوا مَسَائِرَهُمْ عَلَى قِصَرِهَا لِفَرْطِ تَنَعُّمِهِمْ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهِمْ، وَفَرَّقْنَاهُمْ تَفْرِيقاً اتَّخَذَهُ النَّاسُ مَثَلاً مُضْرُوباً، يَقُولُونَ: ذَهَبُوا أَيَّدِي سَبَأَ، وَتَفَرَّقُوا أَيَّادِي سَبَأَ، قَالَ كُثَيْرٌ:

أَيَّادِي سَبَأَ يَا عَزَّ مَا كُنْتُ بَعْدَكُمْ فَلَمْ يَحُلْ بِالْعَيْنَيْنِ بَعْدَكَ مَنَظَرٌ ^(٢)

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ وَعِبْرَةً ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عَنِ الْمَعَاصِي ﴿شَكُورٍ﴾ لِلنِّعَمِ بِالطَّاعَاتِ.

وَقُرِئَ: ﴿صَدَّقَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ ^(٣)، فَمَنْ شَدَّدَ فَعَلَى: حَقَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، أَوْ: وَجَدَهُ صَادِقاً، وَمَنْ خَفَّفَ فَعَلَى: صَدَّقَ فِي ظَنِّهِ. وَقُرِئَ: «صَدَّقَ» بِالتَّشْدِيدِ «إِبْلِيسَ» بِالنَّصْبِ «ظَنَّهُ» بِالرَّفْعِ ^(٤)، وَالْمَعْنَى: وَجَدَ ظَنَّهُ صَادِقاً حِينَ

(١) وهي قراءة محمد بن الحنفية وأبي العالية وأبي صالح ونصر بن عاصم ويعقوب ويروى عن ابن عباس، راجع تفسير القرطبي: ج ١٤ ص ٢٩٠.

(٢) وهو من أبيات يرثي بها عبدالعزيز بن مروان، ومعناه واضح. انظر ديوان كثير عزة: ص ١٠٠.

(٣) وبالتخفيف قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٢٩.

(٤) وهي قراءة أبي الهجهاج، قال أبو حاتم الرازي: لا وجه لهذه القراءة عندي. وقد أجازها الفراء والزجاج. ونسبها القرطبي إلى جعفر بن محمد عليه السلام. راجع إعراب القرآن للنحاس: ج ٣ ص ٣٤٣، وتفسير القرطبي: ج ١٤ ص ٢٩٢.

قَالَ: ﴿لَا خَتَنَكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١) ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٢) ﴿وَلَا غَوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣)، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يَعُودُ إِلَى أَهْلِ سَبَأَ، وَقِيلَ: يَعُودُ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَّا مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ^(٤) وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ (٢١) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣) قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥).

أَي: لَمْ يَكُنْ لِإِبْلِيسَ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانَةٍ وَأَسْتِيلَاءٍ يَتِمَكَّنُ بِهَا مِنْ إِجْبَارِهِمْ عَلَى الْغَيِّ وَالضَّلَالِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ﴾^(٥) وَتَمَكِينِهِ مِنَ الاسْتِغْوَاءِ بِالْوَسْوَسَةِ لَغَرَضٍ صَحِيحٍ وَحِكْمَةٍ بِالْغَةِ، وَذَلِكَ أَن يَتَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِنَ الشَّاكِّ فِيهَا، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِالْعِلْمِ وَالْمُرَادُ مَا تَعَلَّقَ بِهِ الْعِلْمُ، وَالْحَفِيزُ: الْمُحَافِظُ، وَفَعِيلٌ وَمُفَاعِلٌ مُتَاخِيَانِ.

وَأَحَدُ مَفْعُولِي ﴿زَعَمْتُمْ﴾ الضَّمِيرُ الْمَحذُوفُ الرَّاجِعُ مِنْهُ إِلَى الْمَوْصُولِ،

(٢) الأعراف: ١٧.

(١) الإسراء: ٦٢.

(٣) الحجر: ٣٩.

(٤) قاله مجاهد كما في تفسير القرطبي: ج ١٤ ص ٢٩٢.

(٥) إبراهيم: ٢٢.

والمفعول الثاني: إمّا أن يكون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أو ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو مَحْذُوفًا، فَلَا يَصِحُّ الْأَوَّلُ لِأَنَّ قَوْلَكَ: «هُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» لَا يَلْتَمِمْ كَلَامًا، وَلَا الثَّانِي لِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَزْعُمُونَ ذَلِكَ، فَبَقِيَ أَنْ يَكُونَ مَحْذُوفًا تَقْدِيرُهُ: زَعَمْتُمُوهُمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَحُذِفَ الْمَوْصُوفُ لِكَوْنِهِ مَفْهُومًا، وَأَقَامَ صِفَتَهُ مَقَامَهُ، فَمَفْعُولًا ﴿زَعَمْتُمْ﴾ مَحْذُوفًا كَمَا تَرَى بِسَبَبَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ. ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ آلِهَتِهِمْ بِأَنَّهُمْ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ زِنَةَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَنَفْعٍ وَضُرٍّ ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ وَلَيْسَ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُمَا نَصِيبٌ وَلَا ﴿شِرْكٌ﴾ وَلَيْسَ لِلَّهِ ﴿مِنْهُمْ مَن ظَهِيرٌ﴾ عَلَى خَلْقِ شَيْءٍ مِنْهُمَا.

يُقَالُ: الشَّفَاعَةُ لِزَيْدٍ عَلَى مَعْنَى: أَنَّهُ الشَّافِعُ، وَعَلَى مَعْنَى أَنَّهُ الْمَشْفُوعُ لَهُ، فَيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا﴾ كَائِنَةً ﴿لِمَنْ أُذِنَ لَهُ﴾ مِنَ الشَّافِعِينَ وَمُطْلَقَةً لَهُ، مِثْلُ: الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ، أَوْ: لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا كَائِنَةً لِمَنْ أُذِنَ لَهُ أَي: لِشَفِيعِهِ، وَهَذَا تَكْذِيبٌ لِقَوْلِهِمْ: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١)، وَاتَّصَلَ قَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ بِمَا فِيهِمْ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ مِنْ أَنَّ تَمَّ أَنْتِظَارًا لِلإِذْنِ وَفَزَعَ مِنَ الرَّاجِينَ لِلشَّفَاعَةِ، وَالشُّفَعَاءُ هَلْ يُؤْذَنُ لَهُمْ أَوْ لَا يُؤْذَنُ، وَأَنَّهُ لَا يُطْلَقُ الإِذْنُ إِلَّا بَعْدَ تَرْبُصٍ وَتَوَقُّفٍ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: يَتَرَبَّصُونَ مَلِيًّا فَرَعَيْنِ ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ أَي: كُشِفَ الْفَزَعُ عَنْ قُلُوبِ الشَّافِعِينَ وَالْمَشْفُوعِ لَهُمْ بِأَنْ يَأْذَنَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِي الشَّفَاعَةِ تَبَاشَرُوا بِذَلِكَ، وَسَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا﴾ الْقَوْلَ ﴿الْحَقُّ﴾ وَهُوَ الإِذْنُ بِأَنْ يَشْفَعُوا لِمَنْ أَرْتَضَى. وَقُرِئَ: ﴿أُذِنَ لَهُ﴾ أَي: أُذِنَ اللَّهُ لَهُ، وَ«أُذِنَ لَهُ»^(٢) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَقُرِئَ: ﴿فُزِّعَ﴾ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ^(٣) وَهُوَ اللَّهُ

(١) يونس: ١٨.

(٢) قرأه حمزة والكسائي والأعشى. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٢٤.

(٣) قرأه ابن عامر وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٥٣٠.

وَحَدُّهُ ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ذُو الْعُلُوِّ وَالْكِبْرِيَاءِ، لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

ثُمَّ أَمَرَهُ عَزَّ أَسْمُهُ أَنْ يُقَرِّرَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَتَوَلَّى الْإِجَابَةَ وَالْإِقْرَارَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: يَرْزُقُكُمْ ﴿اللَّهُ﴾ وَذَلِكَ لِلإِعْلَامِ بِأَنَّهُمْ مُقَرَّرُونَ بِهِ بِقُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنَّهُ رُبَّمَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِهِ عَنَادًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ بَعْدَ الْإِلْزَامِ: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ مَعْنَاهُ: أَنَّ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ لَعَلَى أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ مِنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَهَذَا مِنْ كَلَامِ الْمُنْصِفِ الَّذِي كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ قَالَ لِلَّذِي خُوطِبَ بِهِ: قَدْ أَنْصَفَكَ صَاحِبُكَ، وَفِي دَرَجَةٍ بَعْدَ تَقْدِيمِ مَا قَدَّمَ مِنَ التَّقْرِيرِ الْبَلِيغِ دَلَالَةً عَلَى مَنْ هُوَ عَلَى الْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي الضَّلَالِ الْمُبِينِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْقَائِلِ لغيرِهِ: إِنَّ أَحَدَنَا لَكَاذِبٌ، وَإِنْ كَانَ الْكَاذِبُ مَعْلُومًا، وَمِنْهُ قَوْلُ حَسَّانَ:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفٍّ فَشَرُّكُمْ مَا لِيْخَيْرُكُمْ مَا الْفِدَاءُ^(١)
﴿عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ مِنَ الْمَعَاصِي ﴿وَلَا نُسْئِلُ عَمَّا﴾ تَعْمَلُونَهُ، بَلْ كُلُّ إِنْسَانٍ يُسْأَلُ عَمَّا يَعْمَلُهُ وَيُجَازَى عَلَى فِعْلِهِ دُونَ فِعْلِ غَيْرِهِ.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (٢٦) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠).

(١) والبيت من قصيدة طويلة يهجوها أبا سفيان أنظر ديوان حسان: ج ١ ص ١٨.

﴿يَفْتَحُ يَبْنِي﴾ أي: يَحْكُمُ وَيَفْصِلُ بِالْحَقِّ ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الْحَاكِمُ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِالْحُكْمِ. ومعنى قوله: ﴿أُرُونِي﴾ وَقَدْ كَانَ يَرَاهُمْ وَيَعْرِفُهُمْ، أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يُرِيَهُمُ الْخَطَأَ الْعَظِيمَ فِي إِلْحَاقِ الشُّرَكَاءِ بِاللَّهِ، وَيَنْبِئُهُمْ عَنْ ضَلَالِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَ﴿كَأَلَا﴾ رَدُّعٌ لَهُمْ عَنْ مَذْهَبِهِمْ، وَتَبَّ عَلَى غَلَطِهِمُ الْفَاحِشِ بِقَوْلِهِ: ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ: أَيُّنَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ إِذْ هِيَ لِلَّهِ عَزَّ أَسْمُهُ وَحْدَهُ. ﴿إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ أي: إِلَّا رِسَالَةً عَامَّةً لَهُمْ مُحِيطَةٌ بِهِمْ، لِأَنَّهَا إِذَا عَمَّتْهُمْ فَقَدْ كَفَّتْهُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ، قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ: أَرْسَلْنَاكَ جَامِعاً لِلنَّاسِ فِي الْإِنْذَارِ وَالْإِبْلَاجِ^(١)، فَجَعَلَهُ حَالاً مِنَ الْكَافِ، وَالتَّاءُ لِلْمُبَالَغَةِ كَتَاءِ «الرَّأْيَةِ» وَ«الْعَلَامَةِ»، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مَا لَهُمْ فِي اتِّبَاعِكَ مِنَ الثَّوَابِ، وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ مَخَالَفَتِكَ مِنَ الْعِقَابِ، أَوْ: لَا يَعْلَمُونَ رِسَالَاتَكَ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ النَّظَرِ فِي مُعْجَزَتِكَ.

﴿مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ أي: مِيقَاتُ يَوْمٍ يَنْزِلُ بِكُمْ فِيهِ مَا وُعدْتُمُوهُ، وَهُوَ إِضَافَةٌ تَبِينُ كـ«سَحَقُ ثَوْبٍ» وَ«بَابٍ سَاجٍ»، سَأَلُوا عَلَى طَرِيقِ التَّعَنُّتِ فَأَجِيبُوا عَلَى طَرِيقِ التَّهْدِيدِ أَنَّهُمْ مُرْصَدُونَ بِيَوْمٍ يُفَاجِئُهُمْ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَأَخُّراً عَنْهُ وَلَا تَقَدُّماً عَلَيْهِ. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنْحُنُ صَدَدْنَكُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا

النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آغْنَاكِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، كَافِرُونَ (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (٣٥) ﴿

﴿الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ كُتِبَ اللَّهُ الْمَتَقَدِّمَةُ، وقيل: هو يومُ الْقِيَامَةِ ^(١)، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ جَحَدُوا أَن يَكُونَ الْقُرْآنُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، وَأَن يَكُونَ لِلْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ حَقِيقَةٌ، ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ بِأَن قَالَ: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَوْ: أَيُّهَا السَّامِعُ مَوْقِفَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ يُرَاجِعُونَ الْمُجَادَلَةَ بَيْنَهُمْ، لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَجِيبًا، فَحُذِفَ جَوَابُ ﴿لَوْ﴾.

و﴿الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ هُمُ الْأَتْبَاعُ، و﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ هُمُ الرُّؤَسَاءُ وَالْقَادَةُ. وَقَوْلُهُ: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَكُمْ عَنِ الْهُدَى﴾ إنْكَارٌ أَن يَكُونُوا هُمُ الصَّادِينَ لَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، وَإِثْبَاتٌ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ صَدَّوْا بِنَفْسِهِمْ عَنْهُ بِاخْتِيَارِهِمْ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: أَنَحْنُ أَجْبَرْنَاكُمْ وَحُلْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اخْتِيَارِكُمْ؟ بَلْ أَنْتُمْ آثَرْتُمْ الضَّلَالَ عَلَى الْهُدَى، وَأَمَرَ الشَّهْوَةِ عَلَى أَمْرِ النَّهْيِ فَكُنْتُمْ مُجْرِمِينَ كَافِرِينَ، وَقَوْلُهُ: ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ أُضِيفَ ﴿بَعْدَ﴾ إِلَى ﴿إِذْ﴾ اتِّسَاعًا مَعَ كَوْنِهَا مِنَ الظُّرُوفِ اللَّازِمَةِ، كَمَا أُضِيفَتْ هِيَ إِلَى الْجُمْلَةِ الَّتِي هِيَ ﴿جَاءَكُمْ﴾ فَقَدْ اتَّسَعَ فِي الزَّمَانِ مَا لَمْ يَتَّسِعْ فِي غَيْرِهِ، فَأُضِيفَ إِلَيْهِ الزَّمَانُ وَأُضِيفَ إِلَى الْجُمْلَةِ نَحْوُ: «حِينَئِذٍ» و«يَوْمَئِذٍ»، و«جِئْتُكَ أَوْانِ الْحَجَّاجِ أَمِيرٍ» و«حِينَ خَرَجَ زَيْدٌ».

ثُمَّ كَرَّرَ الْمُسْتَضَعِفُونَ عَلَى الْمُسْتَكْبِرِينَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ فَأَبْطَلُوا إِضْرَابَهُمْ بِإِضْرَابِهِمْ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: مَا كَانَ الْإِجْرَامُ مِنْ جِهَتِنَا بَلْ مِنْ جِهَةِ

مَكْرُكُمْ لَنَا دَائِبًا لَيْلًا وَنَهَارًا، وَحَمَلِكُمْ إِيَّانَا عَلَى الْكُفْرِ وَاتِّخَاذِ الْأُنْدَادِ. والمعنى: مَكْرُكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَاتَّسَعَ فِي الظَّرْفِ بِإِجْرَائِهِ مَجْرَى الْمَفْعُولِ بِهِ فِي إِضَافَةِ الْمَكْرِ إِلَيْهِ، أَوْ: جَعَلَ لَيْلُهُمْ وَنَهَارُهُمْ مَا كَرَيْنِ عَلَى الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ. وَالضَّمِيرُ فِي ﴿وَأَسْرَوْا﴾ ضَمِيرُ الْجِنْسِ الْمُشْتَمَلُ عَلَى التَّوَعَيْنِ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ، وَهُمْ الظَّالِمُونَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ فَنَدَمَ الرُّؤْسَاءُ عَلَى ضَلَالِهِمْ وَإِضْلَالِهِمْ، وَالْأَتْبَاعُ عَلَى ضَلَالِهِمْ. والمعنى: أَخَفَوْا النَّدَامَةَ، وَقِيلَ: أَظْهَرُوهَا^(١)، وَهُوَ مِنَ الْأُنْدَادِ، وَقَدْ فُسِّرَ عَلَى الْوَجْهَيْنِ بَيَّتُ أَمْرِي الْقَيْسِ:

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَعَشَرًا عَلَيَّ حِرَاصًا لَوْ يُسْرُونَ مَقْتَلِي^(٢)

﴿فِي أَغْنَاكِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَي: فِي أَغْنَائِهِمْ فَجَاءَ بِالْمُظْهَرِ لِلتَّنْوِيهِ بِذَمِّهِمْ.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَضْعِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْوُلَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ

(١) حكاية الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٨٥.

(٢) والبيت من معلقته المشهورة التي مطلعها:

قِفَا نَبِكْ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بِسْقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْلِ

أنظر ديوان امرئ القيس: ص ٣٩.

مُؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢) ﴿

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ﴾ التي خَوَّلْتُمُوهَا ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ التي رَزَقْتُمُوهَا بِالْجَمَاعَةِ الَّتِي ﴿تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا﴾ قُرْبَةً، وَالزُّلْفَى وَالزُّلْفَةُ كَالْقُرْبَى وَالْقُرْبَى، وَمَحَلُّ ﴿زُلْفَى﴾ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾^(١)، ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ «كُمْ» فِي ﴿تُقَرَّبُكُمْ﴾ والمعنى: إِنَّ الْأَمْوَالَ لَا تُقَرَّبُ أَحَدًا إِلَّا الْمُؤْمِنُ الصَّالِحُ الَّذِي يُنْفِقُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْأَوْلَادَ لَا تُقَرَّبُ أَحَدًا إِلَّا مَنْ رَشَحَهُمُ لِلصَّلَاحِ وَعَلَّمَهُمُ الدِّينَ ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾ بِأَنْ يُضَاعَفَ لَهُمْ حَسَنَاتُهُمْ فَيَجْزِي بِالْحَسَنَةِ الْوَاحِدَةِ عَشْرًا فَصَاعِدًا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ وَأَكْثَرِ، وَ«جَزَاءُ الضَّعْفِ» مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ. وَأَصْلُهُ: فَأُولَئِكَ لَهُمْ أَنْ يُجَازَوْا الضَّعْفَ، ثُمَّ جَزَاءُ الضَّعْفِ ثُمَّ جَزَاءُ الضَّعْفِ. وَقُرِئَ: «جَزَاءُ الضَّعْفِ»^(٢) عَلَى: فَأُولَئِكَ لَهُمُ الضَّعْفُ جَزَاءً، وَقُرِئَ: «فِي الْغُرْفَةِ» عَلَى التَّوْحِيدِ^(٣)، وَ﴿فِي الْغُرْفَةِ﴾ عَلَى الْجَمْعِ^(٤)، وَهِيَ الْبُيُوتُ فَوْقَ الْأَبْنِيَةِ ﴿ءَامِنُونَ﴾ مِنَ الْغَيْرِ^(٥) وَالْآفَاتِ وَالْمَوْتِ وَالْحَزَنِ. ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ﴾ يَجْتَهِدُونَ ﴿فِي﴾ إِبْطَالِ ﴿ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ لِأَنْبِيَائِنَا، وَمُعْجِزِينَ: مَثْبُطِينَ غَيْرَهُمْ عَنْ طَاعَتِهِمْ ﴿أُولَئِكَ﴾ مُحْصَلُونَ فِي الْعَذَابِ أُخْضِرُوا فِيهِ.

وَكَرَّرَ قَوْلَهُ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لِأَنَّ الْأَوَّلَ خُوطِبَ بِهِ

(١) نوح: ١٧.

(٢) قرأه رويس. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٢٤.

(٣) وهي قراءة حمزة وحده. راجع المصدر السابق.

(٤) في نسخة: «الجمع».

(٥) غَيْرُ الدَّهْرِ: أحواله المتغيرة من الصلاح إلى الفساد. (لسان العرب: مادة غَيْرَ).

الْكُفَّارُ، وَالثَّانِي وَعَظُّ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانَهُ قَالَ: لَيْسَ إِغْنَاءُ الْكُفَّارِ لِكِرَامَتِهِمْ، وَإِغْنَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ زِيَادَةً فِي سَعَادَتِهِمْ بِأَنْ يُنْفِقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أَي: يُعَوِّضُهُ، وَيُعْقِبُكُمْ ^(١) خَلْفَهُ إِمَّا عَاجِلًا بِزِيَادَةِ النِّعْمَةِ، وَإِمَّا آجِلًا بِالثَّوَابِ الَّذِي كُلُّ خَلْفٍ دُونَهُمْ ^(٢).

﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الْغَرَضُ مِنْ سُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَقُولَ وَيَقُولُوا، وَيَسْأَلَ وَيُجِيبُوا، فَيَكُونُ تَقْرِيعُ الْكُفَّارِ أَبْلَغَ وَتَعْيِيرُهُمْ أَشَدَّ، وَيَكُونُ اقْتِصَاصُ ذَلِكَ زَجْرًا لِلْسَّامِعِ وَلُطْفًا لَهُ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ^(٣) وَالْمُؤَالَاةُ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْوَلِيِّ وَهُوَ الْقُرْبُ، كَمَا أَنَّ الْمُعَادَاةَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ وَهِيَ الْبُعْدُ، وَالْوَلِيُّ يَقَعُ عَلَى الْمُوَالِي وَالْمُوَالِي جَمِيعًا، وَالْمَعْنَى: أَنْتَ الَّذِي تُوَالِيهِ مِنْ دُونِهِمْ إِذْ لَا مُؤَالَاةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَيَتَّبِعُوا بِإِثْبَاتِ مُؤَالَاةِ اللَّهِ وَمُعَادَاةِ الْكُفَّارِ بَرَاءَتَهُمْ مِنَ الرِّضَا لِعِبَادَتِهِمْ لَهُمْ ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ يُرِيدُونَ الشَّيَاطِينَ حَيْثُ أَطَاعُوهُمْ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ.

﴿وَإِذَا تُلِيَّ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِيَنْتِ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣) وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِغْشَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥) قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَارِكُمْ ثُمَّ تَقَفُّوا عَنْهُ فَاغْلِبُوا فَكُلُوا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تُسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَّا وَحْدَهُ عَنِ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ (٤٦) قُلْ مَا بَصَابِعُكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ مَا

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخ: «دُونَهُ».

(١) فِي نَسْخَةٍ: «وَيُعْطِيكُمْ».

(٣) الْمَائِدَةُ: ١١٦.

سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَمُ الْغُيُوبِ (٤٨) ﴿

﴿هَذَا﴾ الأول إشارة إلى رسول الله، والثانية إلى القرآن، والثالثة إلى الحق، والحق أمر النبوة كله ودين الإسلام كما هو، وفي قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ولم يقل «قالوا»، وفي قوله: ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في «لَمَّا» من المبادهة بالكفر، دليل على أن الكلام صدر عن إنكار عظيم وغضب شديد، كأنه قال: وقال أولئك الكفرة المتمردون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق الواضح قبل أن يختبروه ويتدبروه: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فقصوا بأنه سحر ظاهر.

﴿وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشريعة، ولا ﴿أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ﴾ نذيراً يندرهم بالعقاب إن لم يشركوا كما قال: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾^(١) أو أراد: ليس لهم عهد بإنزال الكتاب ولا بعث رسول، فهم أميون أهل جاهلية لا ملّة لهم، كما قال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَهُمْ كِتَاباً مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾^(٢) ثم توعدهم على تكذيبهم فقال: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كما كذبوا، وما بلغ هؤلاء ﴿مِغْشَارَ﴾ ما آتينا أولئك من طول الأعمار وكثرة الأموال وعظم الأجسام، فحين كذبوا ﴿رُسُلِي﴾ جاءهم نكيري، أي: عقوبتي وتغييري لأحوالهم بالتدمير والاستئصال، ولم يُغن عنهم ما استظهروا به من القوة والثروة، فما بال هؤلاء لا يحذرون أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك من النعمة؟

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ﴾ بخصلة ﴿وَاحِدَةٍ﴾، وفسرها بقوله: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِيَ﴾

على أَنَّهُ عَطْفُ بَيَانٍ لَهَا، وَأَرَادَ بِقِيَامِهِمْ: إِمَّا الْقِيَامُ عَنْ مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرُّقُهُمْ عَنْهُ، وَإِمَّا الْقِيَامُ الَّذِي لَا يُرَادُ بِهِ الْمَثُولُ عَلَى الْقَدَمَيْنِ وَلَكِنْ الْإِنْصَابُ فِي الْأَمْرِ وَالتَّهَوُّضِ فِيهِ بِالْهَمَّةِ، وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا أَعْظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ إِنْ فَعَلْتُمُوهَا أَصَبْتُمْ الْحَقَّ، وَهِيَ أَنْ تَقُومُوا لَوَجْهِ اللَّهِ خَالِصًا اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ وَوَاحِدًا وَوَاحِدًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ بِعَدْلٍ وَإِنْصَافٍ مِنْ غَيْرِ عَنَادٍ وَمُكَابَرَةٍ. وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ﴾ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي تَحْتَهُ مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَمِيعًا لَا يَتَصَدَّى لَدَعَاءِ مِثْلِهِ إِلَّا أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا مَجْنُونٌ لَا يُبَالِي بِافْتِضَاحِهِ إِذَا طُولَبَ بِالْبُرْهَانِ فَعَجَزَ، وَإِمَّا عَاقِلٌ كَامِلٌ مُرَشَّحٌ لِلنَّبُوَّةِ مُؤَيَّدٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالْآيَاتِ وَالْحُجَجِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مَا بِهِ مِنْ جُنُونٍ، بَلْ عَلِمْتُمُوهُ أَرْجَحَ النَّاسِ عَقْلًا، وَأَصْدَقَهُمْ قَوْلًا، وَأَجْمَعَهُمْ لِلْمَحَامِدِ. وَ﴿مَا﴾ لِلنَّفْيِ، وَيَكُونُ اسْتِنَافَ كَلَامٍ تَنْبِيهًا مِنْ اللَّهِ عَلَى طَرِيقَةِ النَّظَرِ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ فَتَعَلَّمُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿مَا﴾ اسْتِفْهَامِيَّةً بِمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ بِهِ مِنْ حِجَّةٍ؟ وَهَلْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَنْشِئِهِ إِلَى مَبْعَثِهِ وَصَمَّةٍ فِيهِ تُنَافِي النَّبُوَّةَ؟ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أَيُّ: مُخَوِّفٌ ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿مَا سَأَلْتُكُمْ﴾ تَقْدِيرُهُ: أَيُّ شَيْءٍ سَأَلْتُكُمْ ﴿مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ﴾ وَفِيهِ مَعْنَيَانِ: أَحَدُهُمَا: نَفْيَ مَسْأَلَةِ الْأَجْرِ رَأْسًا كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي شَيْئًا فَخُذْهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَعْطِهِ شَيْئًا، وَالْمُرَادُ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ شَيْئًا مِنْ عَرْضِ الدُّنْيَا فَتَسْتَهْمُونِي، وَالْآخَرُ: أَنْ يُرِيدَ بِالْأَجْرِ مَا يُرِيدُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ^(١) وَفِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى ﴿١﴾؛ لَأَنَّ اتِّخَاذَ السَّبِيلِ إِلَى اللَّهِ يَصِيبُهُمْ، وَنَفْعُهُ عَائِدٌ إِلَيْهِمْ، وَكَذَلِكَ الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى؛ لَأَنَّ ذُخْرَهَا لَهُمْ دُونَهُ ﴿إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أَيْ: لَيْسَ ثَوَابُ عَمَلِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ فَهُوَ يُثِيبُنِي عَلَيْهِ.

الْقَذْفُ: الرَّمْيُ، وَهُوَ مُسْتَعَارٌ لِمَعْنَى الْإِلْقَاءِ، وَمَعْنَى ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يُلْقِيهِ وَيُنْزِلُهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ، أَوْ: يُلْقِيهِ عَلَى الْبَاطِلِ ﴿فَيَذْمَعُهُ﴾ وَيَرْهَقُهُ ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبَ﴾ رَفَعُ مَحْمُولٌ عَلَى مُحَلٍّ ﴿إِنَّ﴾ مَعَ أَسْمِهَا، وَهُوَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ، وَأَنْتَ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ (٥٤) ﴿

الْحَيُّ: إِمَّا أَنْ يَبْدَأَ فِعْلًا أَوْ يُعِيدَهُ، فَإِذَا هَلَكَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِدَاءٌ وَلَا إِعَادَةٌ، فَجَعَلُوا قَوْلَهُمْ: «لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ» مَثَلًا لِلْهَلَاكِ، وَمِنْهُ قَوْلُ عَبِيدٍ:

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ قَالِيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ^(٢)

وَالْمَعْنَى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ وَهَلَكَ الْبَاطِلُ، وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا، فَجَعَلَ يَطْعُمُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا، جَاءَ الْحَقُّ

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) لعبيد بن الأبرص الأسدي، ومعناه: أن الهالك لم يبق له إيداء ولا إعادة كما يقال: لا يأكل ولا يشرب. أنظر ديوان عبید: ص ١١.

وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ»^(١).

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عن الحقِّ كَمَا زَعَمْتُمْ ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ أي: فَإِنَّمَا يَرْجِعُ وَبَالُ الضَّلَالِ عَلَيَّ لِأَنَّ الْمَأْخُوذَ بِهِ دُونَ غَيْرِي ﴿وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ﴾ إِلَى الْحَقِّ فَبِفَضْلِ ﴿رَبِّي﴾ حَيْثُ أَوْحَى ﴿إِلَيَّ﴾ فَلَهُ الْمِنَّةُ بِذَلِكَ عَلَيَّ.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ جَوَابُهُ مَحْذُوفٌ وَالتَّقْدِيرُ: لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا. و ﴿لَوْ﴾ و ﴿إِذَا﴾ وَالْأَفْعَالُ الَّتِي هِيَ ﴿فَزِعُوا... وَأَخِذُوا... وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ كُلُّهَا لِلْمُضِيِّ، وَالْمُرَادُ بِهَا الْإِسْتِقْبَالُ؛ لِأَنَّ مَا اللَّهُ فَاعِلُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِمَنْزِلَةِ مَا قَدْ كَانَ وَوُجِدَ لِتَحَقُّقِهِ، وَوَقْتُ الْفَزَعِ: وَقْتُ الْبَعْثِ ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ لَا يَقُوتُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَالْمَكَانُ الْقَرِيبُ يَعْنِي بِهِ الْقَبْرَ، وَقِيلَ: هُوَ فَزَعُهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ وَمُعَايِنَةِ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ لِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ^(٢)، وَقِيلَ: يَوْمَ بَدْرٍ حِينَ ضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا فِرَارًا^(٣)، وَقِيلَ: هُوَ جَيْشٌ يُخَسَفُ بِهِمُ بِالْبَيْدَاءِ، يُؤْخَذُونَ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ^(٤)، ﴿وَأَخِذُوا﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿فَزِعُوا﴾ أَي: فَزِعُوا وَأَخِذُوا فَلَا قُوَّةَ لَهُمْ، أَوْ: عَلَى ﴿لَا قُوَّةَ﴾ أَي: إِذَا فَزِعُوا فَلَمْ يَفُتُّوا وَأَخِذُوا. ﴿وَقَالُوا﴾ أَي: وَيَقُولُونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ: ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ أَي: بِمُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّ ذِكْرَهُ مَرَّةً فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾، ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ﴾ وَهُوَ التَّنَاطُلُ السَّهْلُ لشيءٍ قَرِيبٍ، وَهَذَا تَمَثِيلٌ لِمَا لَا يَكُونُ، وَهُوَ أَنَّ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَمَا نَفَعَ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانُهُمْ فِي الدُّنْيَا، مُثِّلْتُ حَالَهُمْ بِحَالٍ مِنْ يُرِيدُ تَنَاوُلَ الشَّيْءِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ مِثْلَ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْآخَرُ مِنْ مَوْضِعٍ قَرِيبٍ تَنَاوَلًا

(١) رواه عنه مسلم في صحيحه: ج ٣ ص ١٤٠٨ ح ١٧٨١.

(٢) قاله قتادة. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٣٨٨.

(٣) قاله السدي. راجع تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٤٥٨.

(٤) وهو قول سعيد بن جبیر. راجع المصدر السابق.

سَهْلًا، وَقُرئ: «التَّنَاشُ»^(١) هُمَزَتِ الْوَاوُ الْمَضْمُومَةُ كَمَا هُمَزَتِ وَاوُ «أَدْوَر»^(٢)،
وَقِيلَ: هُوَ مِنْ «النَّاشِ» وَهُوَ الطَّلَبُ^(٣)، قَالَ رُوْبَةُ:

إِلَيْكَ نَاشَ الْقَدَرُ...^(٤)

التَّوْشُ وَالنَّيْشُ: الْحَرَكََةُ فِي الْإِبْطَاءِ، قَالَ:

تَمَنَّى نَيْشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي وَقَدْ حَدَّثَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورُ^(٥)

أَي: أَخِيرًا، فَنَصَبَهُ عَلَى الظَّرْفِ. ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿كَفَرُوا﴾ عَلَى
حِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ، أَي: وَكَانُوا يَزُمُونَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ، وَيَأْتُونَ
بِهِ ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: إِنَّهُ سَاحِرٌ وَشَاعِرٌ وَكَذَّابٌ وَمَجْنُونٌ، وَقَدْ أَتَوْا بِهِ
مِنْ ﴿مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أَي: مِنْ جِهَةٍ بَعِيدَةٍ مِنْ حَالِهِ، لِأَنَّهُ أَبْعَدَ شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ: السَّحَرُ،
وَالشُّعْرُ، وَالْجُنُونُ، وَأَبْعَدَ شَيْءٍ مِنْ عَادَتِهِ الْكَذِبُ، وَالزُّورُ.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ أَي: فُرِّقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُشْتَهَاتِهِمْ ﴿كََمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾
بِأَشْبَاهِهِمْ مِنْ كَفَرَةِ الْأُمَمِ وَمُوَافِقِيهِمْ وَأَهْلِ دِينِهِمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا ﴿فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾
أَي: مُشَكِّكٍ، كَمَا قَالُوا: عَجَبٌ عَجِيبٌ.



(١) قرأه حمزة والكسائي وأبو عمرو. راجع التبيان: ج ٨ ص ٤٠٨.

(٢) في نسخة: «أدود»، وأخرى: «أدود»، وثالثة: «داود»، والظاهر أن الصحيح ما أثبتناه عن
نسخة وما في الكشف. والأدور والأدور: جمع دار كما في اللسان.

(٣) حكاه القيسي في الكشف: ج ٢ ص ٢١٨.

(٤) والبيت:

إِلَيْكَ نَاشَ الْقَدَرِ النَّوْشُ

أَقْحَمَنِي جَارُ أَبِي الْخَامُوشِ

أنظر مجاز القرآن: ج ٢ ص ١٥١.

(٥) لنهشل بن حرّي من أبيات في عبدٍ له قد عصاه فندم، يقول: أَنَّهُ تَمَنَّى فِي الْأَخِيرِ وَبَعْدَ
الْفُوتِ أَنْ لَوْ أَطَاعَنِي، فطاعته جاءت في وقت لا تنفعه بعد ما حدثت أمور وأُمُور. أنظر لسان
العرب: مادة «ناش».

سُورَةُ فَاطِرٍ

أَوْ سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ^(١)، مَكِّيَّةٌ^(٢) إِلَّا آيَتَيْنِ، وَهِيَ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾^(٣)، وَ ﴿أَنْ تَزُولَا﴾^(٤)، وَ ﴿تَبْدِيلًا﴾^(٥) ثَلَاثُهُنَّ بَصْرِيٌّ جَدِيدٌ، وَ ﴿الْبَصِيرُ﴾^(٦) وَ ﴿النُّورُ﴾^(٧) غَيْرُهُمْ^(٨).

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْمَلَائِكَةِ دَعَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: أَنْ ادْخُلَ مِنْ أَيِّ الْأَبْوَابِ شِئْتَ»^(٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةِ رُسُلًا أُولَى

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٨ ص ٤١٠: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ، لَا نَاسِخَ فِيهَا وَلَا مَنْسُوخَ وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ، إِلَّا آيَتَيْنِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الْفَضْلَ الْكَبِيرَ﴾ وَهِيَ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً عِرَاقِي وَحِجَازِي إِلَّا إِسْمَاعِيلَ، وَسِتٌّ وَأَرْبَعُونَ فِي عِدَدِ إِسْمَاعِيلَ وَالشَّامِيِّينَ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٣ ص ٥٩٥: مَكِّيَّةٌ وَهِيَ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً نَزَلَتْ بَعْدَ الْفِرْقَانِ.

(٣) الْآيَةُ: ٧. (٤) الْآيَةُ: ٤١.

(٥) الْآيَةُ: ٤٣. (٦) الْآيَةُ: ١٩.

(٧) الْآيَةُ: ٢٠. (٨) أَيُّ غَيْرِ الْبَصْرِيِّ.

(٩) أَوْرَدَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٣ ص ٦١٩ مَرْسَلًا.

أَجْنِحَةٌ مَّثْنَى وَثُلَثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ (٣) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤) يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥) ﴿

﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ﴾ إِنَّ جَعَلْتَ الإِضَافَةَ لَفْظِيَّةً - بَأَنْ تَكُونَ فِي تَقْدِيرِ الْإِنْفِصَالِ - فَهُوَ بَدَلٌ، وَإِنْ جَعَلْتَهَا مَعْنَوِيَّةً فَهُوَ صِفَةٌ ﴿مَّثْنَى وَثُلَثَ وَرُبْعَ﴾ صِفَةٌ لـ ﴿أَجْنِحَةٍ﴾ عُدِلَتْ عَنْ أَتْنَيْنِ أَتْنَيْنِ، وَثَلَاثَةٍ ثَلَاثَةٍ، وَأَرْبَعَةٍ أَرْبَعَةٍ، وَمَعْنَى الْعِدْلِ: أَنَّكَ أَرَدْتَ بِمَثْنَى مَا أَرَدْتَ بِأَتْنَيْنِ أَتْنَيْنِ، وَالْأَصْلُ أَنْ تُرِيدَ بِالْكَلِمَةِ مَعْنَاهَا دُونَ كَلِمَةٍ أُخْرَى، وَالْعِدْلُ: أَنْ تَلَفَّظَ بِكَلِمَةٍ وَأَنْتَ تُرِيدُ كَلِمَةً أُخْرَى، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ جَعَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ خَلْقًا أَجْنِحَتُهُمْ اِثْنَانِ اِثْنَانِ، أَيْ: لِكُلِّ وَاحِدٍ جَنَاحَانِ، وَخَلْقًا أَجْنِحَتُهُمْ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ، وَخَلْقًا أَجْنِحَتُهُمْ أَرْبَعَةٌ أَرْبَعَةٌ ﴿يَزِيدُ فِي﴾ خَلْقِ الْأَجْنِحَةِ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ ﴿مَا يَشَاءُ﴾ مِمَّا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ وَمَشِئَتُهُ. وَالآيَةُ مُطْلَقَةٌ تَتَنَاوَلُ كُلَّ زِيَادَةٍ فِي الْخَلْقِ مِنْ: طُولِ قَامَةٍ، وَأَعْتِدَالِ صُورَةٍ، وَقُوَّةٍ فِي الْبَطْشِ، وَحَصَافَةٍ فِي الْعَقْلِ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَقِيلَ: هُوَ الْوَجْهُ الْحَسَنُ وَالصَّوْتُ الْحَسَنُ وَالشَّعْرُ الْحَسَنُ (١).

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ﴾ يَعْنِي: أَيُّ شَيْءٍ يُطْلِقُ اللَّهُ ﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾ أَيْ: مِنْ نِعْمَةٍ رَزَقٍ أَوْ مَطَرٍ أَوْ عَافِيَةٍ أَوْ صَحَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ نِعَمِهِ ﴿فَلَا﴾ أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى

(١) قاله القشيري كما في تفسير القرطبي: ج ١٤ ص ٣٢٠، وأورده الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٥٩٦ مروياً عن النبي ﷺ.

إِمْسَاكِهَا، وَأَيُّ شَيْءٍ ﴿يُمْسِكُ﴾ اللَّهُ فَلَا أَحَدَ يَقْدِرُ عَلَى إِطْلَاقِهِ، وَالْفَتْحُ مُسْتَعَارٌ
لِلْإِطْلَاقِ وَالْإِرْسَالِ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾ مَكَانَ «لَا فَاتِحَ لَهُ»، وَإِنَّمَا نَكَّرَ
«الرَّحْمَةَ» لِإِرَادَةِ الشِّيَاعِ، كَأَنَّهُ قَالَ: مِنْ أَيْتِهِ رَحْمَةٌ كَأَنَّ سَمَآوِيَّةً أَوْ أَرْضِيَّةً، وَأَنْتَ
الضَّمِيرُ أَوَّلًا وَذَكَرَهُ ثَانِيًا وَهُوَ يَرْجِعُ فِي الْحَالَيْنِ مَعًا إِلَى مَا حُمِلَ عَلَى اللَّفْظِ
وَالْمَعْنَى، وَلِأَنَّ الْأَوَّلَ فُسِّرَ بِالرَّحْمَةِ فَتَبَعَ الضَّمِيرُ التَّفْسِيرَ، وَالثَّانِي لَمْ يُفَسِّرْ فَتُرِكَ
عَلَى أَصْلِ التَّذْكِيرِ، وَلِأَنَّ تَفْسِيرَ الثَّانِي يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُطْلَقًا فِي كُلِّ مَا يُمْسِكُهُ مِنْ
غَضَبِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَإِنَّمَا فُسِّرَ الْأَوَّلُ دُونَ الثَّانِي لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ.
و ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَاحْفَظُوهَا عَنِ الْغَمْطِ
وَالْكُفْرَانِ، وَاشْكُرُوهَا بِالْاعْتِرَافِ بِهَا وَطَاعَةِ مَوْلِيهَا! ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾
قُرئ: ﴿غَيْرُ﴾ بِالرَّفْعِ وَالْجَرِّ^(١) عَلَى الْوَصْفِ لَفْظًا وَمَحَلًّا، وَ ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ يَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بَأَنْ يَكُونَ صِفَةً لـ ﴿خَلْقٍ﴾، وَأَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مَحَلٌّ بَأَنْ يَكُونَ
مَحَلًّا لـ ﴿مِنْ خَلْقٍ﴾ رَفْعًا بِإِضْمَارِ «يَرْزُقُكُمْ»، وَيُفَسِّرُهُ هَذَا الظَّاهِرُ، أَوْ يَكُونَ كَلَامًا
مُسْتَأْنَفًا بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ الثَّلَاثُ يَكُونُ فِيهِ
دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْخَالِقَ لَا يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَمَّا عَلَى الْوَجْهِينِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ
مِنَ الْوَصْفِ وَالتَّفْسِيرِ فَلَا دَلِيلَ فِيهِ عَلَى اخْتِصَاصِ الْاسْمِ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ تَقَيَّدَ
بِالرِّزْقِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ^(٢) وَخَرَجَ مِنَ الْإِطْلَاقِ، وَالرِّزْقُ مِنَ السَّمَاءِ بِالْمَطَرِ
وَمِنَ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ جُمْلَةٌ مَفْصُولَةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾
فَمِنْ أَيِّ وَجْهِ تُصَرَّفُونَ عَنِ التَّوْحِيدِ إِلَى الشِّرْكِ، وَعَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ؟ وَقِيلَ:
كَيْفَ تُصَرَّفُونَ عَنْ هَذِهِ الدَّلَالَةِ الَّتِي أُقِيمَتْ^(٣) لَكُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ مَعَ وُضُوحِهَا؟

(١) وبالجَرِّ قرأه حمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٨ ص ٤١١.

(٢) في نسخة: «إلى الأرض». (٣) في نسخة: «الأدلة التي أقمتها لكم».

الأصل: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ فتأس بتكذيب الرُّسل من قبلك، فوضع ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ موضع «فتأس به» استغناءً بالسبب عن المُسبَّب، أعني: بالتكذيب عن التَّأْسِي، ونَكَرَ ﴿رُسُلٌ﴾ لأنَّ تَقْدِيرَهُ: رُسُلٌ ذَوُو عَدَدٍ كَثِيرٍ وَأَوَّلُو آيَاتٍ وَمُعْجَزَاتٍ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ الَّذِي هُوَ الْبَعْثُ وَالنُّشُورُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَالْجَزَاءُ وَالْحِسَابُ ﴿حَقٌّ فَلَا﴾ تَخْذَعَنَّكُمْ ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فَتَغْتَرُّوا بِمَلَاذِهَا، فَإِنَّهَا عَنْ قَلِيلٍ تَنْفَدُ وَتَبِيدُ، وَ ﴿الْعُرُورُ﴾: الشَّيْطَانُ، أَوِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْغَزَا فَلَلهِ الْغَزَا جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ (١٠) ﴿

لَمَّا ذَكَرَ الْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ مِنْ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ كَمَنْ لَمْ يُزَيَّنْ لَهُ؟ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: لَا، فَقَالَ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ وَمَعْنَى تَزْيِينِ الْعَمَلِ وَالْإِضْلَالِ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْعَاصِي عَلَى صِفَةٍ لَا يَجْدِي عَلَيْهِ اللَّطْفُ فَيَسْتَوْجِبُ أَنْ يُخْلِيَهُ اللَّهُ وَشَأْنُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَهِيمُ فِي الضَّلَالِ فَيَرَى الْقَبِيحَ حَسَنًا

وَالْحَسَنُ قَبِيحًا، وَإِذَا خَذَلَهُ اللَّهُ فَمِنْ حَقِّ الرَّسُولِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَهْتَمَّ بِأَمْرِهِ وَلَا يَتَحَسَّرَ. وَعَنِ الرَّجَّاجِ: أَنَّ الْمَعْنَى: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ذَهَبَتْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً؟ فَحُذِفَ لِدَلَالَةِ ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾ عَلَيْهِ، أَوْ: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ كَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ؟ فَحُذِفَ لِدَلَالَةِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ عَلَيْهِ^(١). وَ﴿حَسَرَتْ﴾ مَفْعُولٌ لَهُ، أَي: وَلَا تُهْلِكْ نَفْسَكَ لِلْحَسَرَاتِ، وَ﴿عَلَيْهِمْ﴾ صِلَةٌ ﴿تَذْهَبْ﴾ كَمَا تَقُولُ: هَلَكَ عَلَيْهِ حُبًّا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا، كَأَنَّ كُلَّهَا صَارَتْ حَسَرَاتٍ لِفَرْطِ التَّحَسَّرِ.

﴿فَتَشِيرُ سَحَابًا﴾ أَي: تُهَيِّجُهُ، وَجَاءَ عَلَى لَفْظِ الْمَضَارِعِ دُونَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ لِتَحْكِي الْحَالَ الَّتِي تَقَعُ فِيهَا إِثَارَةُ السَّحَابِ، وَتَسْتَحْضِرُ تِلْكَ الصُّورَةَ الْبَدِيعَةَ الدَّالَّةَ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَكَذَلِكَ سَوَّقُ السَّحَابِ إِلَى الْبَلَدِ الْمَيِّتِ وَإِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ بَعْدَ مَوْتِهَا لِمَا كَانَ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى الْقُدْرَةِ، قَالَ: ﴿فَسُقْنَهُ... فَأَحْيَيْنَا﴾ مَعْدُومًا لِيَهْمَا عَنْ لَفْظِ الْغَيْبَةِ إِلَى مَا هُوَ أَدْخَلَ فِي الْاِخْتِصَاصِ، وَالْكَافُ فِي ﴿كَذَلِكَ﴾ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ، أَي: مِثْلُ إِحْيَاءِ الْعَوَاتِ نُشُورُ الْأَمْوَاتِ. تَقْدِيرُهُ: مَنْ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلْيُطْلِبْهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَوَضَعَ قَوْلَهُ: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ مَوْضِعَهُ اسْتِغْنَاءً بِهِ عَنْهُ؛ لِدَلَالَتِهِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الشَّيْءَ لَا يُطْلَبُ إِلَّا عِنْدَ صَاحِبِهِ وَمَالِكِهِ، وَمَعْنَاهُ: الْعِزَّةُ كُلُّهَا مُخْتَصَّةٌ بِاللَّهِ: عِزَّةُ الدُّنْيَا وَعِزَّةُ الْآخِرَةِ، فَمَنْ أَرَادَ الْعِزَّةَ فَلْيَتَعَزَّزْ بِطَاعَةِ اللَّهِ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ: أَنَا الْعَزِيزُ، فَمَنْ أَرَادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ فَلْيُطِيعِ الْعَزِيزَ»^(٢).

(١) معاني القرآن: ج ٤ ص ٢٦٤.

(٢) رواه البيهقي في الصفات والأسماء: ص ٣٤.

ثُمَّ عَرَّفَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَا يُطْلَبُ بِهِ الْعِزَّةُ عِنْدَهُ هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ وَالْكَلِمُ: جَمْعُ كَلِمَةٍ، وَكُلُّ جَمْعٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ إِلَّا الْهَاءُ جَازَ فِيهِ التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ، يَقُولُ: هَذَا كَلِمٌ وَهَذِهِ كَلِمٌ، وَمَعْنَى الصُّعُودِ هُنَا هُوَ الْقَبُولُ، وَكُلُّ مَا يَتَقَبَّلُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الطَّاعَاتِ يُوصَفُ بِالرَّفْعِ وَالصُّعُودِ، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَيَرْفَعُونَهَا إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ﴾ ^(١)، وَ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: تَمْجِيدُهُ وَتَقْدِيسُهُ وَتَحْمِيدُهُ، وَأَطْيَبُ الْكَلِمِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ أَي: يَرْفَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ إِلَى اللَّهِ، فَالْهَاءُ ضَمِيرٌ ﴿الْكَلِمِ﴾، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ^(٢)، أَي: لَا يَنْفَعُ الْعَمَلُ إِلَّا إِذَا صَدَرَ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ ^(٣). فَعَلَى الْوُجْهَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ يَكُونُ الْهَاءُ ضَمِيرٌ ﴿الْعَمَلِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ الْمَكْرَاتِ ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ أَوْ أَصْنَافَ الْمَكْرِ السَّيِّئَاتِ، فَهِيَ صِفَةٌ لِلْمُضْذَرِّ أَوْ لِمَا فِي حُكْمِهِ، وَقِيلَ: عَنِ يَهْنَّ مَكْرَاتٍ قُرَيْشٍ حِينَ اجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ وَتَدَاوَرُوا الرَّأْيَ فِي إِحْدَى الْمَكْرَاتِ الثَّلَاثِ: إِمَّا إِثْبَاتُ رَسُولِ اللَّهِ، وَإِمَّا قَتْلُهُ، وَإِمَّا إِخْرَاجُهُ، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الْآيَةُ ^(٤)، ^(٥) ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ﴾ الَّذِينَ مَكَرُوا تِلْكَ الْمَكْرَاتِ ﴿هُوَ﴾ خَاصَّةٌ ﴿بِئُورٍ﴾ أَي: يَكْسُدُ وَيَفْسُدُ دُونَ مَكْرِ اللَّهِ بِهِمْ حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ مَكَّةَ وَقَتْلَهُمْ وَأَثْبَتَهُمْ فِي قَلْبِ بَدْرٍ، فَجَمَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَكْرَاتِهِمْ.

(١) المطففين: ١٨.

(٢) قاله الحسن البصري في تفسيره: ج ٢ ص ٢٢٤.

(٣) قاله قتادة والسدي. راجع تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٤٦٤.

(٤) الأنفال: ٣٠.

(٥) قاله الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٦٠٣.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١) وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِّتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧)﴾

﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: أصنافاً وضروباً، أو: ذكراً وإناثاً، ولا ﴿تَحْمِلُ﴾ من الإناث حاملةً ولدها في بطنها ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ إلا وهو عالمٌ بذلك ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ﴾ معناه: وما يُعَمَّرُ من أحدٍ، وإنما سَمَّاهُ مُعَمَّراً بما هو صائرٌ إليه ﴿وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ بأنْ يذهبَ بعضُه بمضيِّ الليل والنَّهارِ ﴿إِلَّا وَهُوَ فِي كِتَابٍ﴾ محفوظٍ أثبتَه اللهُ قَبْلَ كَوْنِهِ، وقيل: معناه: لا يُطَوَّلُ عُمُرٌ ولا يُقَصَّرُ إِلَّا فِي كِتَابِ اللهِ، وهو أنْ يُكْتَبَ فِي اللُّوحِ الْمُحْفُوظِ: لَوْ أَطَاعَ اللهُ فَلَانُ بَقِيَ إِلَى وَقْتِ كَذَا، وَإِذَا عَصَى نَقَصَ مِنْ عُمُرِهِ الَّذِي وَقَّتَ لَهُ^(١). وإليه أشارَ رسولُ اللهِ ﷺ في قولِهِ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ

(١) قاله الفراء في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٦٨.

وَصِلَّةَ الرَّحِمِ تُعْمَرَانِ الدِّيَارَ وَتُزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»^(١).

ثُمَّ ضَرَبَ «الْبَحْرَيْنِ»: الْعَذْبَ وَالْمِلْحَ مَثَلَيْنِ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، ثُمَّ قَالَ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِطْرَادِ فِي صِفَةِ الْبَحْرَيْنِ وَمَا عُلِقَ بِهِمَا مِنْ نِعْمَةٍ ﴿وَمِنْ﴾ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وَهُوَ السَّمَكُ ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ وَهُوَ اللُّلُؤُ وَالْمَرْجَانِ ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَلَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ فِي الْآيَةِ وَلَكِنْ فِيمَا قَبْلَهَا، وَلَوْ لَمْ يَجْرِ ذِكْرُهُ لَمْ يُشْكَلْ؛ لِذِلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، وَحَرْفُ الرَّجَاءِ مُسْتَعَارٌ بِمَعْنَى الْإِرَادَةِ؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: لَتَبْتَغُوا وَلَتَشْكُرُوا. وَيُحْتَمَلُ غَيْرُ طَرِيقَةِ الْإِسْتِطْرَادِ وَهُوَ أَنْ يُشَبَّهَ الْجَنَسَيْنِ بِالْبَحْرَيْنِ، وَيُفْضَلُ الْبَحْرُ الْأَجَا حَ عَلَى الْكَافِرِ بَأَنَّهُ قَدْ شَارَكَ الْعَذْبَ فِي مَنَافِعَ: مِنَ السَّمَكِ وَاللُّلُؤِ وَجَزِي الْفُلِكِ فِيهِ، وَالْكَافِرُ خَالٍ مِنَ النِّفْعِ.

﴿ذَلِكُمْ﴾ مَبْتَدَأٌ، وَ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ أَخْبَارٌ مُتَرَادِفَةٌ، وَالْقِطْمِيرُ: قِشْرُ النَّوَاةِ. ﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ لِأَنَّهُمْ جَمَادٌ ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ لَ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ لِأَنَّهُمْ لَا يَدْعُونَ مَا تَدْعُونَ لَهُمْ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ﴾ بِإِشْرَاكِكُمْ لَهُمْ وَعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، يَقُولُونَ: ﴿مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾^(٢)، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ وَلَا يُخْبِرُكَ بِالْأَمْرِ مُخْبِرٌ مِثْلُ خَيْرٍ عَالِمٍ بِهِ، يُرِيدُ أَنَّ الْخَيْرَ بِالْأَمْرِ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُكَ بِالْحَقِيقَةِ دُونَ سَائِرِ الْمُخْبِرِينَ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ حَالِ مَعْبُودِيهِمْ هُوَ الْحَقُّ، لِأَنِّي عَالِمٌ خَيْرٌ بِمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ.

وَعَرَّفَ الْفُقَرَاءَ لِيُرِيَهُمْ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ جِنْسُ الْفُقَرَاءِ لِشِدَّةِ أَفْتِقَارِهِمْ إِلَيْهِ، وَلَوْ نَكَرَ لَكَانَ الْمَعْنَى: أَنْتُمْ بَعْضُ الْفُقَرَاءِ، وَلَمَّا أُثْبِتَ فَقْرُهُمْ إِلَيْهِ وَغِنَاهُ عَنْهُمْ ذَكَرَ ﴿الْحَمِيدُ﴾

(١) رواه المنذري في الترغيب والترهيب: ج ٣ ص ٣٣٥.

(٢) يونس: ٢٨.

لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ الْغَنِيُّ النَّافِعُ خَلَقَهُ بِغِنَاءِ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِمْ، الْمُسْتَحَقُّ بِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْمَدُوهُ، و «الْعَزِيزُ»: الْمُمْتَنِعُ.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦) ﴿

وِزْرُ الشَّيْءِ: حِمْلُهُ ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ أَي: لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ وِزْرَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَزْرَهَا الَّذِي أَقْتَرَفَتْهُ، لَا تُؤْخَذُ نَفْسٌ بِوِزْرِ غَيْرِهَا. وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يُؤَاخِذُ نَفْسًا بِغَيْرِ ذَنْبِهَا ﴿وَإِنْ تَدْعُ﴾ نَفْسٌ ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بِالْآثَامِ غَيْرَهَا إِلَى أَنْ تَحْمِلَ شَيْئًا مِنْ إِثْمِهَا لَمْ تُجِبْ وَلَمْ تُغْتِ وَلَمْ يُحْمَلْ شَيْءٌ مِنْ حِمْلِهَا وَلَوْ كَانَ الْمَدْعُوُّ بَعْضَ قَرَابَتِهَا وَأَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهَا، فَكُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ أَوْ الْمَفْعُولِ، أَي: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ غَائِبِينَ عَنْ عَذَابِهِ، أَوْ: يَخْشَوْنَ عَذَابَهُ غَائِبًا عَنْهُمْ ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾ وَمَنْ تَطَهَّرَ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرَكَ الْمَعَاصِي، وَهُوَ أَعْتَرَاضٌ مُؤَكِّدٌ لِحَشِيَّتِهِمْ وَإِقَامَتِهِمُ الصَّلَاةَ لِأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ التَّزَكَّى، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ وَعَدُّ لِمَنْ تَزَكَّى بِالثَّوَابِ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الفرقُ بين الواوَاتِ أَنَّ بَعْضَهَا ضَمَّتْ شَفْعاً إِلَى شَفْعٍ، وَبَعْضَهَا ضَمَّتْ وَثْراً إِلَى وَثْرٍ، وَالْوَاوُ رَبَّماً قُرْنَ بِهَا «لَا» فِي النَّفْيِ؛ لِتَأْكِيدِ مَعْنَى النَّفْيِ. وَ ﴿الْحَرُورُ﴾ وَ «السَّمُومُ»: الرِّيحُ الْحَارَّةُ، وَقِيلَ: إِنَّ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ وَالْمُشْرِكِ، وَ «الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ» لِلشُّرْكِ وَالْإِيمَانِ، وَ «الظُّلُّ وَالْحَرُورُ» لِلْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَ «الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ» لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَفَّارِ^(١)، أَوِ الْعُلَمَاءِ وَالْجُهَّالِ^(٢).
 ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أَي: مَا عَلَيْكَ إِلَّا التَّبْلِيغُ وَالْإِنْذَارُ، فَإِنْ كَانَ الْمُنْذَرُ مِمَّنْ يَسْمَعُ نَفْعَهُ إِنْذَارُكَ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُصِرِّينَ فَلَا عَلَيْكَ إِلَّا التَّبْلِيغُ ﴿بِالْحَقِّ﴾ حَالٌ مِنْ أَحَدِ الضَّمِيرَيْنِ، بِمَعْنَى: مُحِقّاً أَوْ مُحَقِّقِينَ، أَوْ صِفَةً لِلْمُصْدِرِ أَي: إِرْسَالاً مُصْحُوباً بِالْحَقِّ، أَوْ صِلَةً ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ أَي بِشِيراً بِالْوَعْدِ الْحَقِّ، وَنَذِيراً بِالْوَعْدِ الْحَقِّ، وَآكْتَفَى فِي آخِرِ الْآيَةِ بِذِكْرِ النَّذِيرِ عَنِ الْبَشِيرِ؛ لِأَنَّ النَّذَارَةَ لَمَّا كَانَتْ مَقْرُونَةً بِالْبَشَارَةِ دَلَّتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، لَا سِيَّمًا قَدْ أَشْتَمَلَتِ الْآيَةُ عَلَى ذِكْرِهِمَا.
 ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يُرِيدُ: الْمُعْجَزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى النُّبُوَّةِ ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ يُرِيدُ: الصُّحُفَ ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ يُرِيدُ: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ (٢٧)
 وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْفِقِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)﴾

(١) قاله قتادة والسدي. راجع تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٤٦٩.

(٢) وهو قول ابن قتيبة. راجع المصدر السابق.

﴿الْوُنْهَآ﴾ أَجْنَاسُهَا مِنَ التَّيْنِ وَالرُّمَّانِ وَالْعِنَبِ وَغَيْرَهَا. أَوْ هَيئَاتُهَا مِنَ الصُّفْرِ
وَالْخَضِرَةِ وَالْحُمْرَةِ وَنَحْوِهَا، وَ «الْجُدَدُ»: الْخُطَطُ وَالطَّرَائِقُ، وَجُدَّةُ الْحِمَارِ هِيَ
الْخَطَّةُ السَّودَاءُ عَلَى ظَهْرِهِ وَ «غَرَايِبُ» مَعْطُوفٌ عَلَى «بَيْضُ» أَوْ عَلَى «جُدَدُ»،
كَأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ﴾ مُخَطَّطٌ ذُو جُدَدٍ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَلَى لَوْنٍ وَاحِدٍ:
غَرَايِبُ^(١). وَعَنْ عِكْرِمَةَ: هِيَ الْجِبَالُ الطُّوَالُ السُّودُ^(٢). وَالْوَجْهُ فِي قَوْلِهِ:
﴿وَعَرَايِبُ سُودٌ﴾ مَعَ أَنَّ «الغَرَايِبَ» يَكُونُ تَأْكِيدَ الْأَسْوَدِ، أَنَّ يُضْمَرَ الْمُؤَكَّدُ قَبْلَهُ
وَيَكُونُ «سُودٌ» الظَّاهِرُ تَفْسِيرًا لِلْمُضْمَرِ، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ:

وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ يَمَسِّحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّنَدِ^(٣)

وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لَزِيَادَةِ التَّوَكُّيدِ، حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ مِنْ طَرِيقَي
الِإِظْهَارِ وَالِإِضْمَارِ جَمِيعًا، وَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ
جُدَدٌ بَيْضٌ﴾ أَي: وَمِنَ الْجِبَالِ ذُو جُدَدٍ بَيْضٍ وَحُمْرٍ وَسُودٍ غَرَايِبُ، حَتَّى يُؤَوَّلَ إِلَى
قَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ... مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ كَمَا قَالَ: ﴿ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾ يَعْنِي: وَمِنْهُمْ بَعْضٌ مُّخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ، أَي: كَاخْتِلَافِ الثَّمَرَاتِ وَالْجِبَالِ، وَتَمَّ الْكَلَامُ ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى
اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وَالْمَعْنَى: أَنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ هُمُ الْعُلَمَاءُ
دُونَ غَيْرِهِمْ، إِذْ عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَعَلِمُوهُ حَقَّ عِلْمِهِ.

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَعْنِي بِالْعُلَمَاءِ مَنْ صَدَّقَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ، وَمَنْ لَمْ يَصَدِّقْ

(١) كَذَا فِي النسخ وفي الكشاف أيضاً. وفي بعض حواشي الكشاف: «لعله غريب».

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٦٠٩.

(٣) من قصيدة يمدح بها النعمان ملك الحيرة، وهو أحسن شعره، ولهذا ألحقوها بالقصائد
المعلقات. انظر ديوان النابغة الذبياني: ص ٢٨ وفيه: «السعد» بدل «السند».

فَعَلَهُ قَوْلُهُ فَلَيْسَ بِعَالِمٍ»^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَثْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي: يُداومُونَ عَلَى تِلَاوَتِهِ، وَهِيَ شَأْنُهُمْ وَدَيْدُهُمْ، وَعَنْ مَطَرٍ: هِيَ آيَةُ الْقُرْآنِ^(٢). و ﴿يَزْجُونَ﴾ خَبَرٌ ﴿إِنَّ﴾، ﴿لَنْ تَبُورَ﴾ لَنْ تَكْشُدَ وَلَنْ تَفْسُدَ، وَتَعْلَقَ بِهِ ﴿لِيُوفِّيَهُمْ﴾ أي: تَجَارَةٌ تُنْفَقُ عِنْدَ اللَّهِ لِيُوفِّيَهُمْ بِنَفَاقِهَا عِنْدَهُ ﴿أَجُورَهُمْ﴾ وَهِيَ مَا أَسْتَحَقُّوه مِنَ الثَّوَابِ ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ عَلَى قَدَرِ^(٣) اسْتِحْقَاقِهِمْ ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ ﴿يَزْجُونَ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، بِمَعْنَى: فَعَلُوا جَمِيعَ ذَلِكَ مِنَ التَّلَاوَةِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالْإِتْفَاقِ رَاجِينَ تِجَارَةً مُرَبِحَةً لِيُوفِّيَهُمْ، وَخَبَرٌ ﴿إِنَّ﴾ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: غَفُورٌ لَهُمْ وَشَكُورٌ لِأَعْمَالِهِمْ.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)

﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، وَ ﴿مِنْ﴾ لِلتَّبْيِينِ، أَوْ يُرِيدُ الْجِنْسَ وَ ﴿مِنْ﴾ لِلتَّبْعِيضِ، ﴿مُصَدِّقًا﴾ حَالٌ مُؤَكِّدَةٌ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ لَا يَنْفَكُ عَنْ هَذَا التَّصْدِيقِ ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْكِتَابِ، إِنَّهُ ﴿بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ يَعْنِي: إِنَّهُ خَبَرَكَ وَأَبْصَرَ سَمَائِكَ فَرَأَى أَهْلًا لِمَا أَوْحَاهُ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ الْمُعْجَزِ.

(١) رواه الكليني في الكافي: ج ١ ص ٣٦ ح ٢ بإسناده عن الحارث بن المغيرة .

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٦١١ .

(٣) في نسخة: «قلة» .

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ المعنى: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ مُصَدِّقاً لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكِتَابِ مُوَافِقاً لِمَا بَشَّرْتُ بِهِ تِلْكَ الْكُتُبُ مِنْ حَالِهِ وَحَالِ مَنْ أَتَى بِهِ، ثُمَّ أَوْرَثْنَاهُ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا بَعْدَكَ وَهُمْ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ، لِمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «أَنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»^(١)، والمَرْوِيُّ عَنْ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُمَا قَالَا: «هِيَ لَنَا خَاصَّةٌ، وَإِنَّا عَنْ»^(٢). وهذا هو الصحيح؛ لِأَنَّ الْوَصْفَ بِالْأَصْطِفَاءِ الْيَقُ بِهِمْ، إِذْ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ، الْمُسْتَحْفِظُونَ لِلْكِتَابِ، الْعَارِفُونَ بِحَقَائِقِهِ. ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وعن أَبِي عِبَاسٍ وَالْحَسَنِ: أَنَّ الضَّمِيرَ لِلْعِبَادِ^(٣)، وَأَخْتَارَهُ الْمُرْتَضَى قُدُّسُ رُوحُهُ قَالَ: عَلَّلَ تَعْلِيلُهُ سُبْحَانَهُ وَرَاثَةَ الْكِتَابِ بِالْمُصْطَفِينَ مِنْ عِبَادِهِ بِأَنَّ فِيهِمْ مَنْ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمَنْ هُوَ ﴿مُقْتَصِدٌ﴾ وَمَنْ هُوَ ﴿سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾^(٤). وَقِيلَ: إِنَّ الضَّمِيرَ لِلَّذِينَ أَصْطَفَاهُمْ اللَّهُ^(٥).

وَرُوِيَ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ مَنَّا: مَنْ لَا يَعْرِفُ حَقَّ الْإِمَامِ، وَالْمُقْتَصِدُ مَنَّا: الْعَارِفُ بِحَقِّ الْإِمَامِ، وَالسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ: هُوَ الْإِمَامُ»^(٦). وَكُلُّهُمْ مَغْفُورٌ لَهُمْ، وَذَلِكَ لِأَصْطِفَاءِ وَإِبْرَاطِ الْكِتَابِ، أَوْ: ذَلِكَ السَّبْقُ بِالْخَيْرَاتِ هُوَ ﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿جَنَّتْ عَدْنٌ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿الْفَضْلِ الْكَبِيرِ﴾ الَّذِي هُوَ السَّبْقُ بِالْخَيْرَاتِ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ السَّبَبُ فِي نَيْلِ الثَّوَابِ نَزْلُهُ مَنَزِلَةَ الْمُسَبَّبِ، كَأَنَّهُ هُوَ الثَّوَابُ، فَأُبْدِلَتْ عَنْهُ

(١) رواه الترمذي في سننه: ج ٥ ص ٤٩ ذ ٢٦٨٢، والدارمي أيضاً في سننه: ج ١ ص ٩٨ كلاهما عن أبي الدرداء. (٢) المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٣٠.

(٣) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٢٢٣، تفسير القرطبي: ج ١٤ ص ٣٤٦.

(٤) رسائل الشريف المرتضى (المجموعة الثالثة): ص ١٠٢.

(٥) حكاها الماوردي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٧٣.

(٦) رواه الصدوق في معاني الأخبار: ١٠٤.

﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾ وُقِرَى: «يُدْخِلُونَهَا» عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ^(١)، ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾: «من»
لِلتَّبْعِيضِ، أَي: ﴿يُحَلُّونَ﴾ بَعْضُ أَسَاوِرَ، كَأَنَّهُ بَعْضُ سَابِقٍ لِسَائِرِ الْأُبْعَاضِ كَمَا سَبَقَ
الْمُسَوِّرُونَ بِهِ غَيْرَهُمْ.

وَفِي ذِكْرِ «الشُّكُورِ» دَلَالَةٌ عَلَى كَثْرَةِ حَسَنَاتِهِمْ وَ ﴿الْمُقَامَةِ﴾ بِمَعْنَى الْإِقَامَةِ
﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ مِنْ عَطَائِهِ وَأَفْضَالِهِ. وَ النَّصَبُ: الْعَنَاءُ وَالْمَشَقَّةُ الَّتِي تُصِيبُ الْمُتَنَصِّبَ
لِلأَمْرِ الْمُرَاوِلَ لَهُ، وَاللُّغُوبُ: الْإِغْيَاءُ وَالْفُتُورُ الَّذِي يُلْحَقُ بِسَبَبِ النَّصَبِ، فَاللُّغُوبُ
نَتِيجَةُ النَّصَبِ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ (٣٦) وَهُمْ يَضْطَرُّونَ فِيهَا رَبَّنَا
أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ
تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ
غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨) هُوَ الَّذِي
جَعَلَكُمْ خَلْفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ
كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩) قُلْ
أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ
الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ
بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠) ﴿

﴿فَيَمُوتُوا﴾ جَوَابُ النَّفْيِ ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلُ ذَلِكَ الْجَزَاءِ ﴿نَجْزِي﴾ وُقِرَى:
«يُجْزَى» ^(٢). ﴿وَهُمْ يَضْطَرُّونَ﴾ أَي: يَتَصَارَّخُونَ ﴿فِيهَا﴾ يَفْتَعِلُونَ مِنَ الصَّرَاحِ

(١) قرأه أبو عمرو وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٥٢٤.

(٢) قرأه أبو عمرو. راجع التيسير في القراءات للداني: ص ١٨٢.

وهو الصَّيَاحُ بِاسْتِغَاثَةٍ وَجُهْدٍ وَشِدَّةٍ. والفائدةُ في قولهم: ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ مِنْ غَيْرٍ أَكْتِفَاءً بِقَوْلِهِمْ: ﴿صَلِحًا﴾ أَنَّهُ لِلتَّحْسِيرِ عَلَى مَا عَمِلُوا مِنْ غَيْرِ الصَّالِحِ مَعَ الاعْتِرَافِ بِهِ، وَلَا نُهُمُ كَانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى سِيرَةٍ صَالِحَةٍ فَقَالُوا: ﴿أَخْرَجْنَا نَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا﴾ نَحْسَبُهُ صَالِحًا فَنَعْمَلُهُ: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ توبيخٌ من الله، فَيَقُولُ لَهُمْ وَهُوَ مَتَنَاوِلٌ لِكُلِّ عُمُرٍ تَمَكَّنَ فِيهِ الْمُكَلَّفُ مِنْ إِصْلَاحِ شَأْنِهِ وَإِنْ قَصُرَ، وَإِنْ كَانَ التَّوْبِيخُ فِي الْمُتَطَاوِلِ أَعْظَمَ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ سِتُّونَ سَنَةً^(١)، وَقِيلَ: أَرْبَعُونَ^(٢)، وَقِيلَ: ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً^(٣) ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ عَطْفٌ عَلَى مَعْنَى ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ كَأَنَّهُ قِيلَ: قَدْ عَمَّرْنَاكُمْ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ الْقُرْآنُ، وَقِيلَ: النَّذِيرُ: الشَّيْبُ^(٤)، وَقِيلَ: مَوْتُ الْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ^(٥) ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ كَالْتَّعْلِيلِ، لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ مَا فِي الصُّدُورِ وَهُوَ أَخْفَى مَا يَكُونُ فَقَدْ عَلِمَ كُلَّ غَيْبٍ فِي الْعَالَمِ، وَذَاتُ الصُّدُورِ: مُضْمَرَاتُهَا وَهِيَ تَأْنِيثُ «ذو»، وَذُو مَوْضُوعٌ بِمَعْنَى الصُّحْبَةِ، فَالْمُضْمَرَاتُ تَصَحَّبُ الصُّدُورَ.

وَالْخَلَائِفُ: جَمْعُ خَلِيفَةٍ وَهُوَ الْمُسْتَخْلَفُ ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أَي: ضَرَرُ كُفْرِهِ وَعِقَابُ كُفْرِهِ، وَالْمَقْتُ: أَشَدُّ الْبُغْضِ، وَقِيلَ لِمَنْ نَكَحَ أَمْرَأَةً أَبِيهِ: مَقْتِي لِكَوْنِهِ مَمْقُوتًا فِي كُلِّ قَلْبٍ.

﴿أَرُونِي﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ لِأَنَّ مَعْنَى «أَرَأَيْتُمْ»: أَخْبِرُونِي، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ هَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءِ وَعَمَّا اسْتَحَقُّوا بِهِ الْعِبَادَةَ، أَرُونِي أَيَّ جُزْءٍ ﴿مِنْ﴾

(١) وهو قول عليٍّ عليه السلام. راجع التبيان: ج ٨ ص ٤٣٤.

(٢) قاله ابن عباس ومسروق. راجع المصدر السابق.

(٣) قاله قتادة وعطاء والكلبي. راجع تفسير البغوي: ج ٣ ص ٥٧٣.

(٤) حكاه الفراء والطبري كما في تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٤٧٦.

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره.

أجزاء ﴿الْأَرْضِ﴾ خَلَقَهُ بِأَنْفُسِهِمْ ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ مَعَ اللَّهِ شِرْكَةٌ فِي خَلْقِ ﴿السَّمَوَاتِ﴾ وَالْأَرْضِ أَمْ مَعَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَنْطِقُ بِأَنَّهُمْ شِرْكَاءُ ﴿فَهُمْ عَلَى﴾ حُجَّةٍ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ؟ أَوْ يَكُونُ الضَّمِيرُ لِلْمُشْرِكِينَ كَقَوْلِهِ: ﴿أَمْ أَتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾ مِنْ قَبْلُ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُّ﴾ أَي: مَا يَعِدُّ ﴿الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ﴾ وَهُمْ الرُّؤَسَاءُ ﴿بَعْضًا﴾ وَهُمْ الْأَتْبَاعُ ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ وَهُوَ قَوْلُهُمْ: هُوَلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤١) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)

﴿أَنْ تَزُولَا﴾ كَرَاهَةً أَنْ تَزُولَا، أَوْ: يَمْنَعُهُمَا مِنْ أَنْ تَزُولَا، لِأَنَّ الْإِمْسَاكَ مَنَعٌ ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ غَيْرَ مُعَاجِلٍ بِالْعُقُوبَةِ حَيْثُ يَمْسُكُهُمَا، وَكَانَتَا جَدِيرَتَيْنِ بِأَنْ تُهْدَا هَذَا لِعِظَمِ الشَّرِكِ كَمَا يُقَالُ: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ﴾

الْأَرْضُ) ^(١)، و ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ سَدَّ مَسَدَ جَوَابِ الشَّرْطِ فِي ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا﴾، و ﴿مِنْ﴾ الْأُولَى مَزِيدَةٌ وَالثَّانِيَةُ لِلابْتِدَاءِ: «مِنْ بَعْدِ إِمْسَاكِهِ».

أَي: أَقْسَمُوا بِإِيمَانٍ غَلِيظَةٍ ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى﴾ إِلَى قَبُولِ قَوْلِهِ ﴿مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ الْمَاضِيَةِ، يَعْنُونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى. ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ إِسْنَادٌ مَجَازِيٌّ لِأَنَّهُ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنْ زَادُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿نُفُورًا﴾ مِنَ الْحَقِّ. ﴿اسْتِكْبَارًا﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿نُفُورًا﴾، أَوْ مَفْعُولٌ لَهُ بِمَعْنَى: إِلَّا أَنْ نَفَرُوا لَاسْتِكْبَارِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، أَوْ حَالٌ يَعْنِي: مُسْتَكْبِرِينَ وَمَاكِرِينَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿وَمَكْرُ السَّيِّئِ﴾ مَعْطُوفًا عَلَى ﴿نُفُورًا﴾ وَأَصْلُهُ: وَإِنْ مَكَرُوا السَّيِّئُ أَي: الْمَكْرُ السَّيِّئُ ثُمَّ وَمَكْرُ السَّيِّئِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

وَعَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ قَالَ لَابِنِ عَبَّاسٍ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّهُ مَنْ حَفَرَ مَغْوَةً وَقَعَ فِيهَا، قَالَ: إِنِّي وَجَدْتُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَقَرَأُ الْآيَةَ ^(٢).

وَفِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ: «مَنْ حَفَرَ جُبًّا وَقَعَ فِيهِ مُنْكَبًا» ^(٣).

وَقَرَأَ حَمَزَةً: «وَمَكْرُ السَّيِّئِ» بِسُكُونِ الْهَمْزَةِ ^(٤)، وَذَلِكَ لِاسْتِقَالِهِ الْحَرَكَاتِ مَعَ الْيَاءِ وَالْهَمْزَةِ، وَلَعَلَّهُ اخْتَلَسَ فَظَنَّ سُكُونًا أَوْ وَقَفَ وَقْفَةً خَفِيفَةً ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا﴾ عَادَةَ اللَّهِ فِي ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ الْمَكْذِبِينَ لِلرُّسُلِ، وَهُوَ إِنْزَالُ الْعَذَابِ بِهِمْ وَإِهْلَاكُهُمْ؟ جَعَلَ أَسْتَقْبَالَهُمْ لِذَلِكَ انْتِظَارًا لَهُ مِنْهُمْ، وَالتَّبْدِيلُ: تَصْيِيرُ الشَّيْءِ مَكَانَ غَيْرِهِ، وَالتَّحْوِيلُ:

(١) مريم: ٩٠.

(٢) حكاية الزمخشري في الكشاف: ج ٣ ص ٦١٩. والمغواة: بئر تُحْفَرُ وتُغَطَّى للسَّيْرِ أَوْ لِلزَّبْحِ وَالدُّنْبِ، وَيُجْعَلُ فِيهَا جَدْيٌ إِذَا نَظَرَ السَّبْعُ إِلَيْهِ سَقَطَ عَلَيْهِ يُرِيدُهُ فَيُصَادُ.

(٣) أنظر جمهرة الأمثال للعسكري: ج ٢ ص ٢٨٩.

(٤) أنظر التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٢٨.

تَصْيِيرُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ. وَالتَّغْيِيرُ: تَصْيِيرُ الشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا كَانَ ﴿لِيُعْجِزَهُ﴾ أَي: لِيَسْبِقَهُ وَيَقُوتَهُ.

﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ مِنَ الشُّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ. الضَّمِيرُ فِي ﴿ظَهَرَهَا﴾ لِلْأَرْضِ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ لِعَدَمِ الْإِلْتِبَاسِ، أَي: مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ أَي: نَسَمَةٍ تَدِبُّ عَلَيْهَا، يُرِيدُ: بَنِي آدَمَ، وَقِيلَ: مَا تَرَكَ بَنِي آدَمَ وَغَيْرُهُمْ مِنْ سَائِرِ الدَّوَابِّ بِشُؤْمِ كُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ ^(١) ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ وَعِيدٌ بِالْجَزَاءِ.



(١) قاله ابن مسعود. راجع تفسير الماوردي: ج ٤ ص ٤٧٩.

سُورَةُ يُسَّ

مَكِّيَّةٌ ^(١) إِلَّا آيَةٌ، وَهِيَ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، وَاثْنَتَانِ غَيْرُهُمْ، ﴿يُسَّ﴾

كُوفِيٌّ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ يُسَّ يَرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً. وَأَيُّمَا مَرِيضٍ قُرِئَتْ عِنْدَهُ سُورَةُ يُسَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِعَدَدِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا عَشْرَةُ أَمْلَاقٍ، يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفًا، وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَيَشْهَدُونَ قَبْضَهُ، وَيَتَّبِعُونَ جَنَازَتَهُ، وَيَصَلُّونَ عَلَيْهِ، وَيَشْهَدُونَ دَفْنَهُ» إِلَى آخِرِ الْخَبَرِ ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يُسَّ، فَمَنْ قَرَأَهَا فِي نَهَارِهِ كَانَ مِنَ الْمُحْفُوظِينَ وَالْمَرْزُوقِينَ حَتَّى يُمِسيَ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ وَكُلَّ بِهِ أَلْفُ مَلَكٍ يَحْفَظُونَهُ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، وَمِنْ كُلِّ آفَةٍ، وَإِنْ مَاتَ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٨ ص ٤٤٠: فِي قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَالْحَسَنَ: لَيْسَ فِيهَا نَاسِخٌ وَلَا مَنْسُوخٌ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: آيَةٌ مِنْهَا مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٣: مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَةٌ ٤٥ فَمَدَنِيَّةٌ، وَأَيَّاتُهَا ٨٣، نَزَلَتْ بَعْدَ الْجَنِّ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٣٢ مَرْسَلًا.

فِي يَوْمِهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ...» الخبر بطوله ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِيهِ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فَبِهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)﴾

قُرِئَ ﴿يَاسِينَ﴾ بِالْإِمَالَةِ وَالتَّفْخِيمِ ^(٢) فِي «يَا»، وَبِإِظْهَارِ التَّوْنِ وَإِخْفَائِهَا ^(٣)، وَكَذَلِكَ نُونٌ وَالْقَلَمُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَعْنَاهُ «يَا إِنْسَانُ» ^(٤)، وَعَنْ الْحَسَنِ: مَعْنَاهُ «يَا رَجُلٌ» ^(٥)، وَقِيلَ: يَا سَيِّدَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ^(٦). وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: هُوَ اسْمُ النَّبِيِّ ﷺ ^(٧).

﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ ذِي الْحِكْمَةِ، أَوْ: لِأَنَّهُ دَلِيلٌ نَاطِقٌ بِالْحِكْمَةِ كَالْحَيِّ،

(١) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٣٨.

(٢) قرأ الكسائي ويحيى عن أبي بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بإمالة الياء، وقرأها اسماعيل عن نافع وحمزة بين اللفظين وهما إلى الفتح أقرب، وفتحها بالتفخيم الباقلون. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٢٩.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص والأعشى ونافع بإظهار التون في «ياسين» وفي ﴿وَالْقُرْآنِ﴾، وأدغمها الباقلون. راجع المصدر السابق.

(٤) تفسير ابن عباس: ص ٣٦٩. (٥) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٢٢٨.

(٦) قاله بكر الوراق. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٥.

(٧) رواه الكليني في الكافي: ج ٦ ص ٢٠ ح ١٣، والصدوق في الأمالي: ص ٣٨١ ح ١.

أو: لَأَنَّهُ كَلَامٌ حَكِيمٌ، فَوُصِفَ بِصِفَةِ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ، أَوْ صِلَةٌ لـ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾^(١) أي: إِنَّكَ لَمِنَ الرُّسُلِ الثَّابِتِينَ عَلَى طَرِيقٍ ثَابِتٍ وَشَرِيعَةٍ وَاضِحَةٍ. وَقُرِئَ: ﴿تَنْزِيلَ﴾ بِالرَّفْعِ^(٢) عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ، وَبِالنَّصْبِ عَلَى: أَعْنِي.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ لَمْ يُنذَرْ ﴿ءَابَاؤُهُمْ﴾ قَبْلَهُمْ، لَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي زَمَانِ الْفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى وَنَبِيِّنَا ﷺ، وَمِثْلُهُ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّاءِათُهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٣) وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ^(٤) فَيَكُونُ ﴿مَا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ﴾ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الصِّفَةِ. وَقَدْ فُسِّرَ ﴿مَا أُنذِرَ﴾ عَلَى إِبْطَاتِ الْإِنْذَارِ بِأَنْ جَعَلَ «مَا» مُصَدَّرِيَّةً بِمَعْنَى: لَتُنذِرَ قَوْمًا إِنْذَارَ آبَائِهِمْ، أَوْ: مَوْضُوعَةٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي بِمَعْنَى: لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾^(٥). وَقَوْلُهُ: ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ يَتَعَلَّقُ بِالنَّفْيِ، أَيْ: لَمْ يُنذَرُوا فَهُمْ غَافِلُونَ، عَلَى أَنَّ عَدَمَ إِنْذَارِهِمْ سَبَبٌ غَفَلَتِهِمْ، وَعَلَى الثَّانِي يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ لَتُنذِرَ، كَمَا تَقُولُ: أَرْسَلْتُكَ إِلَى فُلَانٍ لَتُنذِرَهُ فَإِنَّهُ غَافِلٌ.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٦) أَيْ: ثَبَتَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْقَوْلُ وَوَجَبَ لَأَنَّهُمْ مَمَّنْ عَلِمَ مِنْ حَالِهِمْ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى الْكُفْرِ.

(١) ليس في نسختين: «أو صلة للمرسلين».

(٢) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات:

ص ٥٣٩. (٣) القصص: ٤٦.

(٤) سبأ: ٤٤. (٥) النبأ: ٤٠.

(٦) هود: ١١٩.

ثُمَّ مَثَّلَ تَصْمِيمَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ بِأَنْ جَعَلَهُمْ كَالْمَغْلُولِينَ الْمُقْمَحِينَ، فِي أَنَّهُمْ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْحَقِّ وَلَا يَعْطِفُونَ أَعْنَاقَهُمْ نَحْوَهُ، وَكَالْحَاصِلِينَ بَيْنَ سَدَّيْنِ. ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ فِي أَنْ لَا تَأْمُلَ لَهُمْ وَلَا أَسْتَبْصَارُ ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَاقِ﴾ مَعْنَاهُ: فَالْأَغْلَالُ وَاصِلَةٌ إِلَى الْأَذْقَانِ، فَلَا تُخْلِيهِ يُطَاطِي رَأْسَهُ فَلَا يَزَالُ مُقْمَحًا، وَهُوَ الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَغْضُ بَصَرَهُ، وَيُقَالُ: قَمَحَ الْبَعِيرُ: إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ وَلَمْ يَشْرَبِ الْمَاءَ، وَأَقْمَحْتُهَا أَنَا، وَبَعِيرٌ قَامِحٌ، وَإِبِلٌ قِمَاحٌ، قَالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ سَفِينَةً:

وَنَحْنُ عَلَى جَوَانِبِهَا قُعُودٌ نَغْضُ الطَّرْفَ كَالِإِبِلِ الْقِمَاحِ ^(١)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْمَعْنَى بِذَلِكَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ هَمُّوا بِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْهِ يَدًا، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَطَرَحَ التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَهُ ^(٢). وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ مَعْنَى «السَّدَّيْنِ» أَنَّهُ جَعَلَهُمْ لَا يُبْصِرُونَهُ، وَمَعْنَى ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾: جَعَلْنَا عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَحُلْنَا ^(٣) بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢) وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ

(١) البيت منسوب إلى بشر بن أبي خازم الأسدي. راجع مجاز القرآن: ج ٢ ص ١٧٥.

(٢) حكاه عنه ابن مردويه كما في الدر المنثور: ج ٧ ص ٤٤.

(٣) في نسخة: «وجعلناه».

لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ
 إِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
 يَسْعَى قَالَ يَنْقُومِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ
 مُّهْتَدُونَ (٢١) ﴿

أي: ﴿إِنَّمَا﴾ يَنْتَفَعُ بِإِنْذَارِكَ ﴿مَنْ أَتَّبَعَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَخَشِيَ﴾ اللَّهَ مُتَلَبِّسًا
 ﴿بِالْغَيْبِ﴾ يَعْنِي فِي حَالِ غَيْبَتِهِ عَنِ النَّاسِ ﴿فَبَشِّرْ﴾ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ﴿بِمَغْفِرَةٍ﴾ مِنْ
 اللَّهِ لذنوبِهِ ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ ثَوَابٍ عَظِيمٍ خَالِصٍ مِنَ الشُّوَبِ.

﴿نُحْيِ الْمَوْتَى﴾ نَبْعُثُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْجَزَاءِ، وَعَنِ الْحَسَنِ: إِحْيَاؤُهُمْ أَنْ
 يُخْرِجَهُمْ مِنَ الشُّرْكِ إِلَى الْإِيمَانِ ^(١). ﴿وَنَكْتُبُ﴾ مَا أَسْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ
 وَغَيْرِهَا ﴿وَأَثَرَهُمْ﴾ أَي: وَأَعْمَالُهُمُ الَّتِي صَارَتْ سُنَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ يُقْتَدَى فِيهَا بِهِمْ
 حَسَنَةً كَانَتْ أَمْ قَبِيحَةً، وَمِنْ الْآثَارِ الْحَسَنَةِ: عِلْمٌ عُلِّمَ أَوْ كِتَابٌ فِي الدِّينِ صُنِّفَ أَوْ
 صَدَقَةٌ أُجْرِيَتْ أَوْ وَقْفٌ وَقِفَ أَوْ مَسْجِدٌ لِلَّهِ بُنِيَ... وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَمِنْ الْآثَارِ السَّيِّئَةِ:
 وَظِيفَةٌ ضَارَّةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَظُفَّتْ أَوْ شَيْءٌ صَادٌّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ مِنَ الْمَلَاهِي
 وَالْأَلْحَانِ أُحْدِثَ... وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ
 وَأَخَّرَ﴾ ^(٢) أَي: قَدَّمَ مِنْ أَعْمَالِهِ وَأَخَّرَ مِنْ آثَارِهِ، وَقِيلَ: هِيَ آثَارُ الْمَشَائِينَ إِلَى
 الْمَسَاجِدِ ^(٣).

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أْبَعْدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشَى فَأَبْعَدُهُمْ» ^(٤).
 وَالْإِمَامُ الْمُبِينُ: هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، وَقِيلَ: هُوَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ سَمَّاهُ مُبِينًا

(١) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٢٢٨. (٢) القيامة: ١٣.

(٣) قاله مجاهد. راجع التبيان: ج ٨ ص ٤٤٧.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ج ٤ ص ٦٣ و ج ١٠ ص ٧٨.

لأنه لا يندرس أثره^(١).

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾ مَثَلٌ لَهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ: عِنْدِي مِنْ هَذَا الضَّرْبِ كَذَا، أَي: مِنْ هَذَا الْمِثَالِ، وَالْمَعْنَى: وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا مِثْلَ ﴿أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ﴾ وَالْمِثْلُ الثَّانِي بَيَانٌ لِلأَوَّلِ، وَ﴿إِذْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ﴾، وَالْقَرْيَةُ: أَنْطَاكِيَّةُ، وَالْمُرْسَلُونَ: رُسُلُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَهْلِهَا، بَعَثَهُمْ دُعَاءً إِلَى الْحَقِّ، وَكَانُوا عِبْدَةَ الْأَوْتَانِ، وَإِنَّمَا أُضَافَ سُبْحَانَهُ إِرْسَالَهُمْ إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ أَرْسَلَهُمْ بِأَمْرِهِ ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ فَقَوَّيْنَاهُمَا وَشَدَدْنَا ظُهُورَهُمَا بِرُسُولٍ ثَالِثٍ، يُقَالُ: الْمَطَرُ يَعَزِّزُ الْأَرْضَ أَي: يُلَبِّدُهَا وَيَشْدُدُّهَا، وَقُرِئَ: «فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ» بِالتَّخْفِيفِ^(٢) مِنْ: عَزَّه يَعَزُّهُ إِذَا غَلَبَهُ، أَي: فَغَلَبْنَا وَقَهَرْنَا بِثَالِثٍ. وَتَرَكَ ذِكْرَ الْمَفْعُولِ بِهِ لِأَنَّ الْغَرَضَ ذِكْرُ الْمُعَزَّزِ بِهِ وَهُوَ شَمْعُونَ الصَّفَا رَأْسُ الْحَوَارِيِّينَ.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ أَوَّلًا وَ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ ثَانِيًا، لِأَنَّ الْأَوَّلَ ابْتِدَاءُ إِخْبَارٍ، وَالثَّانِي جَوَابٌ عَنْ إنْكَارٍ، قَوْلُهُ: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جَارٍ مَجْرَى الْقَسَمِ فِي التَّوَكُّيدِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ: شَهِدَ اللَّهُ وَعَلِمَ اللَّهُ، وَإِنَّمَا حَسُنَ مِنْهُمْ هَذَا الْجَوَابُ الْوَارِدُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَكُّيدِ لِأَنَّهُمْ حَقَّقُوهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ وَهُوَ الظَّاهِرُ الْمَكْشُوفُ بِالآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الشَّاهِدَةِ بِصَحَّتِهِ، وَإِلَّا فَلَوْ قَالَ الْمَدَّعِي: وَاللَّهِ إِنِّي لَصَادِقٌ فِيمَا أَدَّعِي، وَلَمْ يَحْضَرْ الْبَيِّنَةُ لَكَانَ قَبِيحًا.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾ أَي: تَشَأَّمْنَا ﴿بِكُمْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَرَهُوا دِينَهُمْ وَنَفَرَتْ مِنْهُ نَفْسُهُمْ ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾ عَمَّا تَدْعُونَهُ مِنَ الرِّسَالَةِ ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بِالْحِجَارَةِ أَوْ لَنَشْتِمَنَّكُمْ، قَالَ الرُّسُلُ: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أَي: سَبَبُ سُوءِكُمْ مَعَكُمْ، وَهُوَ

(١) حكاها الثعالبي في تفسيره: ج ٣ ص ٣١ ونسبه الى فرقة .

(٢) قرأه أبوبكر والمفضل عن عاصم. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٢٩.

إِقَامَتُكُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، فَأَمَّا الدُّعَاءُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ فِيهِ غَايَةُ الْيُمْنِ
وَالْبَرَكَاتَةِ ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ أَي: أَتَطَيَّرُونَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ، وَقُرِئَ: «أَنْ ذُكِّرْتُمْ» بِالْفَتْحِ ^(١)،
بِمَعْنَى: أَتَطَيَّرْتُمْ لِأَنْ ذُكِّرْتُمْ، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ فِي الْعِصْيَانِ، فَمِنْ ثَمَّ أَتَاكُمْ
الشُّؤْمُ لَا مِنْ قِبَلِ الرُّسُلِ وَتَذَكِيرِهِمْ إِيَّاكُمْ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ فِي ضَلَالِكُمْ،
مَتَمَادُونَ فِي غَوَايَتِكُمْ حَيْثُ تَتَسَاءَمُونَ بِمَنْ يُتَبَرَّكُ بِهِ.

﴿رَجُلٌ يَنْعَى﴾ هُوَ حَبِيبُ بْنُ إِسْرَائِيلَ النَّجَّارِ، وَكَانَ مَنْزَلُهُ عِنْدَ ﴿أَفْصَى﴾
بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ قَوْمَهُ هَمُّوا بِقَتْلِ الرُّسُلِ ﴿جَاءَ﴾ يَعْدُو وَيَشْتَدُّ.
وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَبَّاقُ الْأُمَمِ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ طُرْفَةً عَيْنٍ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَصَاحِبُ يَاسِينَ، وَمَوْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، فَهُمْ الصَّادِّقُونَ،
وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَفْضَلُهُمْ» ^(٢).

وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ فِي التَّرْغِيبِ فِيهِمْ،
أَي: لَا تَخْسِرُونَ مَعَهُمْ شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكُمْ وَتَرْبَحُونَ صِحَّةَ دِينِكُمْ فَتَفُوزُونَ بِخَيْرِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ.

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢)﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ
ءَالِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣)
إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ
الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ

(١) وهي قراءة الماخشون. راجع تفسير القرطبي: ج ١٥ ص ١٧.

(٢) أخرجه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١٠، وفي الكاف الشاف في تخريج أحاديث
الكشاف: ص ١٤٠ ما لفظه: أخرجه الثعلبي والعقيلي والطبراني وابن مردويه من طرق عن
ابن عباس.

وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ (٢٩)
يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠) ﴿
أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم تلطفاً لهم،
فكأنه قال: وَمَا لَكُمْ لَا تَعْبُدُونَ الَّذِي فَطَرَكُمْ؟ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
وَلَمْ يَقُلْ: وَالَيْهِ أَرْجِعُ، ثُمَّ ساق كلامه ذلك المساق إلى أن قال: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ
فَاسْمَعُونِ﴾ يريد: فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد نبهتكم على الحق الصريح والدين
الصحيح الذي لا محيص عنه، وهو أن العباد لا تصح إلا لمن أنشأ خلقكم (١)
وأوجدكم وإليه مرجعكم، ومن أنكر الأشياء في العقل أن تؤثروا على عبادته
عبادة أشياء، إن أرادكم هو ﴿بِضْرٍ﴾ وشفع لكم هؤلاء لم ينفعكم شفاعتهم ولم
يقدرُوا على إنقاذكم، إنكم في هذا الاختيار لواقعون ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ ظاهر بين لا
يخفى على ذي حجة.

ثُمَّ إِنَّ قَوْمَهُ لَمَّا سَمِعُوا مِنْهُ ذَلِكَ الْقَوْلَ وَطُؤُهُ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى مَاتَ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ
الْجَنَّةَ وَهُوَ حَيٌّ فِيهَا يُرْزَقُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ قَتَلُوهُ
عَلَى أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ أَحْيَاهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، فَلَمَّا دَخَلَهَا ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ
بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ (٢) تَمَنَّى أَنْ يَعْلَمَ قَوْمُهُ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَجَزِيلِ
الثَّوَابِ لِيَرْغَبُوا فِي مِثْلِهِ، وَيُؤْمِنُوا لِيَنَالُوا ذَلِكَ. وَوَرَدَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ: «أَنَّهُ نَصَحَ
قَوْمَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا» (٣).

و«ما» في ﴿بِمَا غَفَرَ لِي﴾ مصدرية أو موصولة، أي: بمغفرة ربِّي لي، أو: بالذي

(١) في بعض النسخ: «أنشأكم».

(٢) قاله ابن مسعود ومجاهد. راجع تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٥٤٧.

(٣) أورده الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١١.

غَفَرَهُ رَبِّي لِي مِنَ الذُّنُوبِ، ويجوزُ أن تكونَ استفهاميَّةٌ أي: بأيِّ شيءٍ غَفَرَ لي؟ يُريدُ ما كانَ منه مَعَهُم من المصابرةِ على الجهادِ في إعزازِ دينِ اللهِ حتَّى قُتِلَ، إِلَّا أَنَّهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ «بِمَ غَفَرَ لِي» بِطَرَحِ الْأَلْفِ أَجودُ وَإِنْ كَانَ إِبْثَاتُهَا جَائِزاً.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ﴾ بَعْدَ قَتْلِهِ ﴿مِنْ جُنْدٍ﴾ أي: لَمْ تُنْزَلْ لِإِهْلَاكِهِمْ جُنْدًا مِنْ جُنُودِ السَّمَاءِ كَمَا فَعَلْنَا يَوْمَ بَدْرٍ ﴿وَمَا كُنَّا﴾ مُنْزِلِيهِمْ عَلَى الْأُمَمِ إِذْ أَهْلَكْنَاهُمْ. ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي: لَمْ تَكُنْ مَهْلِكُتُهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ إِلَّا بِأَيْسَرِ أَمْرٍ ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أَخَذَ جِبْرَائِيلُ بِعُضَادَتِي بَابِ الْمَدِينَةِ وَصَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً فَمَاتُوا مِنْ آخِرِهِمْ، لَا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ، كَالنَّارِ إِذَا طُفِئَتْ. وَكَأَنَّهُ قَالَ عَزَّ أَسْمُهُ: إِنَّ إِنْزَالَ الْجُنُودِ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عَزَائِمِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يُؤْهَلُ لَهَا إِلَّا مِثْلَكَ يَا مُحَمَّدُ، حَيْثُ أَنْزَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ وَالْخَنْدَقِ وَمَا كُنَّا نَفْعَلُهُ بغيرِكَ. وَقُرِئَ: «إِلَّا صَيْحَةً» بِالرَّفْعِ ^(١) عَلَى «كَانَ» التَّامَّةِ، أي: مَا وَقَعَتْ إِلَّا صَيْحَةً، وَالْقِيَاسُ التَّذْكِيرُ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: مَا وَقَعَ شَيْءٌ إِلَّا صَيْحَةً، وَلَكِنْ جُوِّزَ ذَلِكَ لِأَنَّ «الصَّيْحَةَ» فِي حُكْمِ فَاعِلِ الْفِعْلِ، وَمِثْلُهُ بَيْتُ ذِي الرُّمَّةِ:

وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجَرَّاشِعُ ^(٢)

وَالْقِرَاءَةُ بِالنَّصْبِ عَلَى مَعْنَى: إِنْ كَانَتْ الْأَخِذَةُ أَوِ الْعُقُوبَةُ إِلَّا صَيْحَةً.

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ نُودِيَتْ الْحَسْرَةُ كَأَنَّهَا قِيلَ لَهَا: تَعَالِ يَا حَسْرَةً فَهَذَا مِنْ أَوْقَاتِكَ الَّتِي حَقَّ أَنْ تَخْضَرِي فِيهَا، وَهِيَ حَالُ اسْتَهْزَائِهِمْ بِالرُّسُلِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ أَحِقَّاءُ بَأَن يَتَحَسَّرَ عَلَيْهِمُ الْمُتَحَسِّرُونَ، أَوْ: هُمْ مُتَحَسَّرٌ عَلَيْهِمْ مِنْ جِهَةِ الْمَلَائِكَةِ

(١) وهي قراءة أبي جعفر كما في شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٢٥.

(٢) وصدرة: طوى النحر والأجزاء ما في غروضها. والبيت من قصيدة طويلة يصف ناقةً له. راجع ديوان ذي الرمة: ص ٤٤٧.

والمؤمنين، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ فِي مَعْنَى تَعْظِيمِ مَا جَنَوُهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَفَرِطِ إِنْكَارِهِ لَهُ وَتَعَجُّبِهِ مِنْهُ. وَرُويَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ وَأَبْنِ عَبَّاسٍ وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ» ^(١) عَلَى الْإِضَافَةِ إِلَيْهِمْ لِاخْتِصَاصِهَا بِهِمْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا مُوجَّهَةٌ إِلَيْهِمْ.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٣١)
وَأِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢) وَءَايَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَمِيَّةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ، وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَءَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) ﴿

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا، وَهُوَ مَعْلَقٌ عَنِ الْعَمَلِ فِي ﴿كَمْ﴾ لِأَنَّ «كَمْ» لَا يَعْمَلُ فِيهَا عَامِلٌ قَبْلَهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ لِلِاسْتِفْهَامِ أَمْ لِلخَبَرِ؛ لِأَنَّ أَصْلَهَا لِلِاسْتِفْهَامِ، وَ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ عَلَى الْمَعْنَى لَا عَلَى اللَّفْظِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَوَّلَمْ يَرَوْا كَثْرَةَ إِهْلَاكِ الْقُرُونِ قَبْلَهُمْ كَوْنَهُمْ غَيْرَ رَاجِعِينَ إِلَيْهِمْ، أَيْ: لَا يَعُودُونَ إِلَى الدُّنْيَا، أَفَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهِمْ؟

وَقُرِئَ: «لَمَّا» بِالْتَّخْفِيفِ ^(١) عَلَى أَنْ يَكُونَ «مَا» صِلَةً لِلتَّوَكِيدِ، وَ ﴿إِنْ﴾ مَخَفَّةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَالتَّقْدِيرُ: إِنَّ كُلَّهُمْ لَمَجْمُوعُونَ مُحْشُورُونَ مُحْضَرُونَ لِلْحِسَابِ. وَقُرِئَ: ﴿لَمَّا﴾ بِالتَّشْدِيدِ بِمَعْنَى «إِلَّا» كَمَسْأَلَةِ الْكِتَابِ: نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ لَمَّا فَعَلْتَ، وَ ﴿إِنْ﴾ نَافِيَةٌ وَالتَّقْدِيرُ: مَا كُلُّ إِلَّا مَجْمُوعُونَ مُحْضَرُونَ لَدَيْنَا، وَالتَّنْوِينُ فِي ﴿كُلِّ﴾ عَوَضٌ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَالـ ﴿جَمِيعٌ﴾ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ، يُقَالُ: حَتَّى جَمِيعٌ، وَجَاؤُوا جَمِيعًا.

وَالْقِرَاءَةُ بِالْمِثَّةِ مَخَفَّةٌ أَشْبَعُ وَأَسْلَسُ عَلَى اللِّسَانِ، وَ ﴿أُخْيِنَاهَا﴾ اسْتِثْنَاءٌ، بَيَانٌ لِكَوْنِ الْأَرْضِ الْمِثَّةِ آيَةً، وَدَلَالَةٌ لَهُمْ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْبَعْثِ، وَكَذَلِكَ ﴿نَسْلَخُ﴾ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَتَيْنِ لـ ﴿الْأَرْضِ﴾ وَ ﴿الَّيْلِ﴾ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِهِمَا الْجِنْسَانِ مُطْلَقَيْنِ، لَا «أَرْض» وَلَا «لَيْل» بِأَعْيَانِهِمَا، فَعُومِلَا مُعَامَلَةَ التَّنْكِيرَاتِ فِي وَصْفِهِمَا بِالْجُمْلِ، وَنَحْوُهُ:

وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّيْمِ يَسُبُّنِي ^(٢)

أَي: أُخْيِنَاهَا بِالنَّبَاتِ، وَ ﴿أَخْرَجْنَا مِنْهَا﴾ كُلَّ حَبٍّ يَتَقَوُّتُونَهُ مِثْلُ: الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالْأُرْزِ وَنَحْوَهَا ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ قَدَّمَ الظَّرْفَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْحَبَّ هُوَ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ مَعْظَمُ الْعَيْشِ وَيَتَقَوَّمُ بِالْإِرْزَاقِ مِنْهُ صَلَاحُ الْإِنْسِ، وَإِذَا قَلَّ جَاءَ الْقَحْطُ.

وَخَصَّ النَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ لِكَثْرَةِ أَنْوَاعِهِمَا وَمَنَافِعِهِمَا ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي الْجَنَّاتِ مِنْ عُيُونِ الْمَاءِ ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ وَالْمَعْنَى: لِيَأْكُلُوا مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ

(١) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي. انظر التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٣٠.

(٢) وعجزه: فمضيتُ ثَمَّةً قَلْتُ لَا يَعْنِينِي. والبيت منسوب لرجل من بني سلول، وقيل: لشمر بن عمرو الحنفي. وقد تقدّم شرح البيت وتخریجه في ج ١ ص ٥٨ فراجع.

من الثَّمَرِ، وَمِمَّا ﴿عَمِلْتُهُ أَيْدِيهِمْ﴾ من الغَرْسِ والسَّقْيِ والإِبَارِ وغير ذلك من الأعمالِ، إلى أن بَلَغَ الثَّمَرُ مَنَتَهَا وَأَوَانَ أَكْلِهَا. وَقُرِئَ: ﴿ثَمَرِهِ﴾ و ﴿ثَمَرِهِ﴾ بِفَتْحَتَيْنِ وَضَمَّتَيْنِ ^(١) وَضَمَّةٍ وَسُكُونٍ ^(٢)، وَأَصْلُهُ: «مِنْ ثَمَرِنَا» كَمَا قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ و ﴿فَجَزَّنَا﴾ فَنَقَلَ الْكَلَامُ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغِيَةِ عَلَى طَرِيقَةِ الِاتِّفَاتِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لـ «النَّخِيلِ» وَتُتْرَكُ «الْأَعْنَابُ» غَيْرُ مَرْجُوعٍ إِلَيْهَا الضَّمِيرُ؛ لِأَنَّهَا فِي حُكْمِ النَّخِيلِ فِيمَا عَلَّقَ بِهِ مِنْ أَكْلِ ثَمَرِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ: مِنْ ثَمَرِهِ الْمَذْكُورُ وَهُوَ الْحَبَّاتُ، كَمَا قَالَ رُؤْبَةُ:

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلِيعُ الْبَهَقِ ^(٣)
فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: أَرَدْتُ كَأَنَّ ذَلِكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿مَا﴾ فِي ﴿مَا عَمِلْتُهُ﴾ نَافِيَةً، أَي: وَلَمْ يَعْمَلْ تِلْكَ الثَّمَارَ أَيْدِيهِمْ وَلَا يَقْدُرُونَ عَلَيْهِ، وَقُرِئَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ: «وَمَا عَمِلْتُ أَيْدِيهِمْ» مِنْ غَيْرِ هَاءٍ ^(٤).

و ﴿الْأَزْوَاجُ﴾: الْأَشْكَالُ وَالْأَصْنَافُ وَالْأَجْنَاسُ مِنَ الْأَشْيَاءِ ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَي: وَمَنْ أَزْوَاجٍ لَمْ يُطْلِعْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَلَا تَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَتِهَا بِطَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْعِلْمِ، وَلَا يَتَبَعَدُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَمَادِ مَا لَمْ يَجْعَلْ لِلْبَشَرِ طَرِيقاً إِلَى الْعِلْمِ بِهِ فِي بَطُونِ الْأَرْضِ وَقَعْرِ الْبَحَارِ.
سَلَخَ الشَّاةَ: كَشَطَ جِلْدَهَا عَنْهَا، فَاسْتُعِيرَ لِإِزَالَةِ الضَّوِّءِ وَكَشَفِهِ عَنْ مَكَانِ اللَّيْلِ

(١) وَبِالضَّمَّتَيْنِ قَرَأَهُ الْأَخْوَانُ (حَمْزَةً وَالْكَسَائِي). رَاجَعَ الْعِنُونُ فِي الْقَرَاءَاتِ لَابْنِ خَلْفٍ: ص ١٥٩.

(٢) وَهِيَ قَرَاءَةُ الْأَعْمَشِ كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ: ج ١٥ ص ٢٥.

(٣) الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ مَرْجَزَةٍ مَشْهُورَةٍ لِرُؤْبَةِ بْنِ الْعَجَّاجِ يَصِفُ دَابَّةً. رَاجَعَ خَزَانَةُ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ: ج ١ ص ٨٨ وَمَا بَعْدَهُ.

(٤) قَرَأَهُ الْكُوفِيُّونَ إِلَّا حَفْصاً. رَاجَعَ الْعِنُونُ فِي الْقَرَاءَاتِ: ص ١٥٩.

وَمَلَقَى ظِلَّهُ ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أَي: دَاخِلُونَ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ لَا ضِيَاءَ لَهُمْ فِيهِ.
 ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أَي: لِحَدِّ لَهَا مُوقَّتٍ مُقَدَّرٍ تَنْتَهِي إِلَيْهِ مِنْ فَلَكِهَا
 فِي آخِرِ السَّنَةِ، شُبِّهَ بِمُسْتَقَرِّ الْمَسَافِرِ إِذَا قَطَعَ مَسِيرَهُ، أَوْ: مَنْتَهَى لَهَا مِنَ الْمَشَارِقِ
 وَالْمَغَارِبِ حَتَّى تَبْلُغَ أَقْصَاهَا فَذَلِكَ مُسْتَقَرُّهَا لِأَنَّهَا لَا تَعْدُوهُ، أَوْ: لِحَدِّ لَهَا مِنْ
 مَسِيرِهَا كُلِّ يَوْمٍ فِي مَرَائِي عِيُونِنَا وَهُوَ الْمَغْرِبُ، وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لَا مُسْتَقَرٌّ
 لَهَا» ^(١) وَهُوَ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٢) وَمَعْنَاهُ: أَنَّهَا لَا تَزَالُ تَجْرِي لَا تَسْتَقِرُّ ذَلِكَ
 الْجَزْيُ عَلَى ذَلِكَ التَّقْدِيرِ وَالْحِسَابِ الدَّقِيقِ الَّذِي يَكُلُّ الْفَطْنُ عَنْ أَسْتِخْرَاجِهِ،
 تَقْدِيرُ الْغَالِبِ بِقُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ مَقْدُورٍ، الْمُحِيطُ عِلْمًا بِكُلِّ مَعْلُومٍ.

وَقُرِئَ: ﴿وَالْقَمَرَ﴾ بِالرَّفْعِ ^(٣) عَلَى الْإِبْتِدَاءِ أَوْ عَطْفًا عَلَى ﴿الْأَيْل﴾ أَي: وَمِنْ
 آيَاتِهِ الْقَمَرُ، وَبِالنَّصْبِ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ يَفْسُرُهُ ﴿قَدَّرْنَاهُ﴾. وَالْمَعْنَى: قَدَّرْنَا مَسِيرَهُ
 ﴿مَنَازِلَ﴾ وَهِيَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ مَنَزَلًا، يَنْزِلُ كُلُّ لَيْلَةٍ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا لَا يَتَخَطَّوْهُ وَلَا
 يَتَقَاصِرُ عَنْهُ، عَلَى تَقْدِيرٍ مُسْتَوٍ ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ وَهُوَ عُودُ الْعِذْقِ
 الَّذِي تَقَادَمَ عَهْدُهُ حَتَّى يَبَسَ وَتَقَوَّسَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ يَصِيرُ كَذَلِكَ فِي كُلِّ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ^(٤)،
 قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ فُعْلُونَ مِنَ الْإِنْعَرِاجِ وَهُوَ الْإِنْعَاطُ ^(٥) وَالْقَدِيمُ يَدُقُّ وَيَنْحَنِي
 وَيَصْفَرُّ، فَشَبَّهَ الْقَمَرَ بِهِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فِي سُرْعَةِ سَيْرِهِ فَإِنَّهَا تَقْطَعُ مَنَازِلَهَا

(١) حكاه عنه ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ١٢٧.

(٢) ذكرها ابن خالويه في الشواذ ونسبها إلى النبي ﷺ، وفي البحر المحيط لأبي حيان: ج ٧
 ص ٣٣٦: عن الإمام زين العابدين وولده الباقر والصادق عليه السلام.

(٣) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٤٠.

(٤) كما روي عن الإمام علي عليه السلام كما في إرشاد المفيد: ص ١١٨، وعن الرضا عليه السلام كما في
 تفسير القمي: ج ٢ ص ٢١٥. (٥) معاني القرآن: ج ٤ ص ٢٨٨.

فِي سَنَةٍ وَالْقَمَرُ يَقْطَعُهَا فِي شَهْرٍ، وَلَأنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ بَايَنَ بَيْنَ فَلَكَيْهِمَا وَمَجَارِيهِمَا، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدْرِكَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ﴿وَلَا أَلِيلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أَي: وَلَمْ يَسْبِقِ اللَّيْلُ النَّهَارَ ﴿وَكُلُّ﴾ التَّنْوِينُ فِيهِ عِوَضٌ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَكُلُّهُمْ: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أَي: يَسِيرُونَ فِيهِ بَانِبَسَاطٍ، وَإِنَّمَا قِيلَ بِالْوَاوِ وَالتَّنْوِينِ لَمَّا أُضِيفَ إِلَيْهَا مَا هُوَ مِنْ فِعْلِ الْعُقْلَاءِ. وَعَنْ أَبِي عُبَّاسٍ: مَعْنَاهُ: يَجْرِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي فَلَكِهِ كَمَا يَدُورُ الْمِغْزَلُ فِي الْفَلَكَةِ ^(١).

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٤٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)﴾

قُرِئَ: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ عَلَى التَّوْحِيدِ وَ«ذُرِّيَّاتِهِمْ» عَلَى الْجَمْعِ ^(٢)، وَهُمْ أَوْلَادُهُمْ وَمَنْ يَهْمُهُمْ حَمْلُهُ، وَقِيلَ: إِنَّ أَسْمَ الذُّرِّيَّةِ يَقَعُ عَلَى النِّسَاءِ لِأَنَّهِنَّ مَزَارِعُهَا ^(٣).
وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّهُ نَهَىٰ عَنْ قَتْلِ الذَّرَارِيِّ، وَخَصَّهُم بِالْحَمْلِ لِضَعْفِهِمْ، وَلِأَنَّهُ

(١) حكاها عنه الماوردي في تفسيره: ج ٤ ص ١٨.

(٢) وهي قراءة نافع وابن عامر ويعقوب. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٣٠.

(٣) وهو قول الإمام عليٍّ عليه السلام فيما رواه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٥ ص ١٩.

لَا قُوَّةَ لَهُمْ عَلَى السَّفَرِ كَقُوَّةِ الرِّجَالِ»^(١).

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِ الْفُلْكِ ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ يَعْنِي الْإِبِلَ، وَهِيَ سُفُنُ الْبَرِّ، وَقِيلَ: ﴿الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ سَفِينَةُ نُوحٍ^(٢)، و ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ أَي: مِثْلَ ذَلِكَ الْفُلْكِ مَا يَرْكَبُونَ مِنَ السُّفُنِ وَالزَّوَارِقِ. ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أَي: لَا مُغِيثَ لَهُمْ، أَوْ: لَا إِغَاثَةَ، يُقَالُ: أَتَاهُمُ الصَّرِيخُ. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ أَي: لِرَحْمَةٍ مِنَّا وَلِتَمَتَّعَ بِالْحَيَاةِ إِلَى أَجَلٍ يَمُوتُونَ فِيهِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهُ بَعْدَ النَّجَاةِ مِنْ مَوْتِ الْغَرَقِ.

وَجَوَابُ ﴿إِذَا﴾ مَحذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾، كَأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا﴾ أَعْرَضُوا، ثُمَّ قَالَ: وَعَادَتْهُمْ الْإِعْرَاضُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَمَوْعِظَةٍ. وَعَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «مَعْنَاهُ: اتَّقُوا ﴿مَا يَبَيِّنُ أَيْدِيَكُمْ﴾ مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾ مِنَ الْعُقُوبَةِ»

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، أَوْ حِكَايَةُ قَوْلِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ، أَوْ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ جَوَابِهِمُ لِلْمُؤْمِنِينَ.

وَقُرِئَ: ﴿وَهُمْ يَخْصِمُونَ﴾ بِإِدْغَامِ التَّاءِ مِنْ «يَخْتَصِمُونَ» فِي الصَّادِ مَعَ فَتْحِ الْخَاءِ^(٣)، وَكَسْرِهَا وَإِثْبَاعِ الْيَاءِ الْخَاءَ فِي الْكُسْرِ، وَ «يَخْصِمُونَ»^(٤) مِنْ خَصَمَهُ يَخْصِمُهُ. أَي: يَخْتَصِمُونَ فِي أُمُورِهِمْ وَيَتَبَايَعُونَ فِي أَسْوَاقِهِمْ، يَعْنِي: أَنَّ الْقِيَامَةَ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْإِنِّصَاءِ بِشَيْءٍ، وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْأَسْوَاقِ. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (٥١)

(١) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١٨.

(٢) قاله قتادة. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٤٤٤.

(٣) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وورش عن نافع. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٥٤١.

(٤) وهي قراءة حمزة وحده، راجع المصدر السابق.

قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مِمَّا يَدْعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (٥٨) وَأَمْتَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) ﴿

﴿الْأَجْدَاثِ﴾ الْقُبُورُ ﴿يَنْسِلُونَ﴾ يَعْدُونَ، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ. ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ مَنْ حَشَرَنَا مِنْ مَنَامِنَا الَّذِي كُنَّا فِيهِ نِيَامًا؟ لِأَنَّ إِحْيَاءَهُمْ كَالْإِنْبَاءِ مِنَ الرُّقَادِ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ عَدُّوا أَحْوَالَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ رُقَادًا^(١). وَرَوَى عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَرَأَ: «مِنْ بَعَثْنَا»^(٢) عَلَى «مِنْ» الْجَارِ، وَالْمَصْدَرُ ﴿هَذَا﴾ مَبْتَدَأٌ وَ﴿مَا وَعَدَ﴾ خَبَرُهُ «وَمَا» مَصْدَرِيَّةٌ أَوْ مَوْصُولَةٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿هَذَا﴾ صِفَةً لـ ﴿مَرْقَدِنَا﴾ وَ﴿مَا وَعَدَ﴾ خَبَرٌ مَبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ أَيُّ: هَذَا وَعَدُ الرَّحْمَنِ. وَعَنْ قَتَادَةَ: أَوَّلُ الْآيَةِ قَوْلُ الْكَافِرِ، وَآخِرُ الْآيَةِ ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ قَوْلُ الْمُسْلِمِ^(٣)، وَقِيلَ: هُوَ كَلَامُ الْكَافِرِينَ أَيْضًا يَتَذَكَّرُونَ مَا سَمِعُوهُ مِنَ الرُّسُلِ فَيَجِيبُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَوْ يُجِيبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(٤). وَإِذَا جُعِلَتْ «مَا» مَوْصُولَةً فَتَقْدِيرُهُ: هَذَا الَّذِي وَعَدَهُ الرَّحْمَنُ وَالَّذِي صَدَقَهُ الْمُرْسَلُونَ، أَيُّ: صَدَقُوا فِيهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: صَدَقُوا هُمُ الْقِتَالِ،

(١) ذكره البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ١٥ ونسبه إلى أهل المعاني.

(٢) أنظر شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٢٦.

(٣) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٤٥١.

(٤) قاله ابن زيد. راجع المصدر السابق.

وَالْمَثَلُ: «صَدَقَنِي سَنُّ بَكْرِهِ»^(١)، أي: هو الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ فِي كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى السِّنَّةِ رُسُلِهِ الصَّادِقِينَ، وَلَيْسَ يَبْعَثُ النَّاسَ مِنْ مَرَقَدِهِ بَلْ هُوَ الْبَعْثُ الْأَكْبَرُ، أَي: لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْمَدَّةُ إِلَّا مَدَّةَ صَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ، فَإِذَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ مَجْمُوعُونَ ﴿لَدَيْنَا﴾ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، مُحْصَلُونَ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ حكاية ما يُقَالُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ تَصْوِيرٌ لِلْمَوْعُودِ، وَتَمَكِينٌ لَهُ فِي النَّفُوسِ، وَتَرْغِيبٌ فِي الْحَرْصِ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا يُثْمَرُهُ وَيُؤَدِّي إِلَيْهِ ﴿فِي شُغْلٍ﴾ وَقُرِئَ: «فِي شُغْلٍ» بِسُكُونِ الْغَيْنِ^(٢) وَهُمَا لُغَتَانِ، أَي: فِي أَيِّ شُغْلٍ لَا يُحَاطُ بِوصْفِهِ، وَهُوَ النَّعِيمُ الَّذِي شَمَلَهُمْ وَشَغَلَهُمْ عَمَّا فِيهِ أَهْلُ النَّارِ فَلَا يَذْكُرُونَهُمْ وَإِنْ كَانُوا أَقَارِبَهُمْ، وَقِيلَ: شَغَلُوا بِاِفْتِضَاظِ الْعَذَارَى وَبِاسْتِمَاعِ الْأَلْحَانِ^(٣). وَقُرِئَ: ﴿فَاكِهُونَ﴾ وَ «فَاكِهُونَ»^(٤) وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، أَي: مُتَنَعِّمُونَ مُتَلَذِّذُونَ، وَمِنْهُ الْفَاكِهَةُ لِأَنَّهَا مِمَّا يُتَلَذَّذُ بِهِ، وَقِيلَ: فَرِحُونَ طَيِّبُوا النَّفُوسِ مُعْجِبُونَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْفَاكِهَةِ وَهِيَ الْمَزَاحُ وَالْأَحَادِيثُ الطَّيِّبَةُ^(٥).

(١) يضرب للرجل يكذب في الأمر يدلّ بعض أحواله على الصدق فيه. وأصله: أن رجلاً ساوَمَ رجلاً ببيعير فسأل عن سنّه، فأخبره أنّه بكر - والبكر: الفتى - ففرّ عنه فوجده هرماً فقال: صدقني سنّ بكره وكذبني هو. راجع جمهرة الأمثال للعسكري: ج ١ ص ٥٧٥.

(٢) قرأه الحرميّان وأبو عمرو. راجع التذكرة في القراءات: ص ٦٣١.

(٣) وهو قول ابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير وقتادة. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٢٤.

(٤) قرأه ابن مسعود والسلمي وأبو المتوكل وقتادة وأبو الجوزاء والنخعي وأبو جعفر المدني. راجع تفسير القرطبي: ج ١٥ ص ٤٤.

(٥) قاله ابن عباس ومجاهد. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٢٥.

﴿هُمْ﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَبْتَدَأً، وَأَنْ يَكُونَ تَأْكِيداً لِلضَّمِيرِ فِي ﴿شُغْلٍ﴾ وَفِي ﴿فَاكِهُونَ﴾ عَلَى أَنَّ ﴿أَزْوَاجَهُمْ﴾ تُشَارِكُهُمْ فِي ذَلِكَ الشُّغْلِ وَالتَّفَكُّهِ وَالِاتِّكَاءِ ﴿عَلَى الْآرَائِكِ﴾ تَحْتَ الظِّلَالِ، وَقُرِئَ: «فِي ظِلِّ»^(١) وَهُوَ جَمْعُ ظِلَّةٍ، وَالْأَرِيكَةُ: السَّرِيرُ فِي الْحَجَلَةِ، وَقِيلَ: كُلُّ مَا اتَّكَيْ عَلَيْهِ فَهُوَ أَرِيكَةٌ^(٢) ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ أَي: يَتَمَنُّونَ وَيَشْتَهُونَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: ادَّعِ عَلَيَّ مَا شِئْتَ، يَعْنِي: تَمَنَّهُ عَلَيَّ، وَقِيلَ: هُوَ يَفْتَعِلُونَ مِنَ الدُّعَاءِ، أَي: يَدْعُونَ بِهِ لَأَنْفُسِهِمْ^(٣)، كَقَوْلِهِ: اشْتَوَى إِذَا شَوَى لِنَفْسِهِ.

﴿سَلَامٌ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: سَلَامٌ، يُقَالُ لَهُمْ ﴿قَوْلًا﴾ مِنْ جَهَةِ ﴿رَبِّ رَحِيمٍ﴾، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ بِوَاسِطَةِ الْمَلِكِ أَوْ بغيرِ وَاسِطَةٍ مُبَالِغَةً فِي تَعْظِيمِهِمْ، وَذَلِكَ مُتَمَنَّاهُمْ، وَلَهُمْ ذَلِكَ مَا يُمْنَعُونَهُ، وَقِيلَ: ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ مَبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهُ ﴿سَلَامٌ﴾ بِمَعْنَى: وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ سَلَامٌ خَالِصٌ لَا شَوْبَ فِيهِ، فـ ﴿قَوْلًا﴾ مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ سَلَامٌ﴾، أَي: عِدَّةٌ مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ^(٤).

﴿وَأَمْتَزُوا﴾ أَي: أَنْفَرِدُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَكُونُوا عَلَى حِدَةٍ، وَذَلِكَ حِينَ يُحْشَرُ الْمُؤْمِنُونَ وَيُسَارُّ بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ، يُقَالُ: مُزَّتُهُ فَاِمْتَارَ وَإِنْمَارَ، وَعَنْ قَتَادَةَ: اعْتَزَلُوا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ^(٥) وَعَنِ الضَّحَّاكِ: لِكُلِّ كَافِرٍ بَيْتٌ فِي النَّارِ يَدْخُلُهُ فَيَرِدُّمْ بَابَهُ لَا يَرَى وَلَا يُرَى^(٦).

هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا عَهَدَ إِلَيْهِمْ فِيهِ مِنْ مَعْصِيَةِ الشَّيْطَانِ وَطَاعَةِ الرَّحْمَنِ

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع التذكرة في القراءات: ج ٢ ص ٦٣١.

(٢) قاله الأزهري في تهذيب اللغة: ج ١٠ ص ٣٥٣.

(٣) قاله الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٢٢.

(٤) قاله الزمخشري أيضاً.

(٥ و ٦) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٢٣.

﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ بَلِغْ فِي أَسْتَقَامَتِهِ، حَقِيقٌ بِأَنْ يُوصَفَ بِالْكَمَالِ فِي بَابِهِ.
 ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ
 الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ
 نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ (٦٥) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى
 يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا
 وَلَا يَرْجِعُونَ (٦٧) وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٨) وَمَا
 عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ
 كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠) ﴿

﴿جِبِلًّا﴾ قُرِئَ بضمَّتَيْنِ ^(١) وبضمّةٍ وسُكُونٍ ^(٢) وبضمَّتَيْنِ وتشديدٍ ^(٣)
 وبكسرتين وتشديدٍ، ومعناها: جميعاً: الخلق الكثير الذي جُبلوا على خَلْقَتِهِ
 أَضَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِأَنْ دَعَاهُمْ إِلَى الضَّلَالِ ^(٤) وَأَغْوَاهُمْ.
 ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾ أي: الزُمُوها وَصِيرُوا صِلَاهَا، أي: وقودها بسبب كُفْرِكُمْ
 وَتَكْذِيبِكُمُ الْأَنْبِيَاءَ.

﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ أي: إِلَى الصِّرَاطِ، فَحُذِفَ الْجَارُ وَأُوصِلَ الْفِعْلُ، أَوْ ضُمِّنَ
 «استَبَقُوا» معنى: «ابْتَدَرُوا»، أَوْ: نُصِبَ ﴿الصِّرَاطَ﴾ عَلَى الظَّرْفِ، وَالْمَعْنَى: وَلَوْ نَشَاءُ
 لَمَسَخْنَا أَعْيُنَهُمْ، فَلَوْ حَاوَلُوا أَنْ يَسْتَبَقُوا إِلَى الطَّرِيقِ الَّذِي أَعْتَادُوا سَلُوكَهُ إِلَى

(١) قرأه ابن كثير وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٤٢.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر. راجع المصدر السابق.

(٣) قرأه روح عن يعقوب. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٣٢.

(٤) في نسخة زيادة: «وحملهم عليه».

مَقَاصِدِهِمْ كَمَا كَانُوا يَسْتَبْقُونَ إِلَيْهِ سَاعِينَ فِي مَتَصَرِّفَاتِهِمْ لَمْ يَقْدَرُوا، فَكَيْفَ يُبْصِرُونَ؟ وَيَعْلَمُونَ جِهَةَ السُّلُوكِ وَقَدْ أَعْمَيْنَاهُمْ؟

وَالْمَكَانَةُ وَالْمَكَانُ وَاحِدٌ، كَالْمَقَامَةِ وَالْمَقَامِ. وَقُرِئَ ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ وَ«مَكَانَاتِهِمْ»^(١) عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْجَمْعِ، أَي: لَمَسَخْنَاهُمْ مَسْخًا يَجْمِدُهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ لَا يَقْدَرُونَ أَنْ يَبْرَحُوهُ، بِمَضْيٍّ وَلَا رَجُوعٍ بَأَنْ يَجْعَلَهُمْ حَجَارَةً، وَقِيلَ: لَمَسَخْنَاهُمْ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ فِي مَنَازِلِهِمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿مُضِيًّا﴾ عَنِ الْعَذَابِ وَلَا رَجُوعًا إِلَى الْخَلْقَةِ الْأُولَى بَعْدَ الْمَسْخِ^(٢).

﴿وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ﴾^(٣) أَي: نُقَلِّبُهُ فِي الْخَلْقِ فَتَخْلُقُهُ عَلَى عَكْسِ مَا خَلَقْنَاهُ قَبْلُ، إِذْ كَانَ يَتَزَايِدُ فِي الْقُوَّةِ وَالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ إِلَى أَنْ أَسْتَكْمَلَ قُوَّتَهُ وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَإِذَا أَنْتَهَى نَكْسْنَاهُ فِي الْخَلْقِ، فَجَعَلْنَاهُ يَتَنَاقَضُ حَتَّى يَرْجِعَ فِي حَالٍ شَبِيهِةٍ بِحَالِ الصَّبِيِّ فِي ضَعْفِ الْجَسَدِ وَقِلَّةِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ، كَمَا يُنَكِّسُ السَّهْمُ فَيُجْعَلُ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، كَمَا قَالَ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^(٤) ثُمَّ ﴿يُرْدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾^(٥) وَقُرِئَ: «نُنَكِّسْهُ» مِنَ التَّنْكِيسِ.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ بِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ ﴿الشُّعْرَ﴾ وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِشُعْرٍ، وَلَا مَنَاسِبَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشُّعْرِ، لِأَنَّ الشُّعْرَ كَلَامٌ مَوْزُونٌ مَقْفًى، وَلَيْسَ الْقُرْآنُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أَي: وَمَا يَصِحُّ لَهُ، وَمَا يَنْطَلِبُ لَوْ طَلَبَ، فَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ الشُّعْرَ لَمْ يَتَأَتَّ لَهُ وَلَمْ يَتَسَهَّلْ، حَتَّى لَوْ تَعَثَّلَ بَيْتَ شِعْرِ جَرَى عَلَى لِسَانِهِ مِنْكَسِرًا،

(١) وهي قراءة أبي بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة: ص ٥٤٢.

(٢) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٢٧٢.

(٣) يظهر من العبائر التالية أن القراءة المعتمدة عند المصنف بالتخفيف وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر والكسائي وعاصم برواية. راجع كتاب السبعة: ص ٥٤٣.

(٤) (٥) الحج: ٥.

(٤) التين: ٥.

كَمَا رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ:

كَفَى الْإِسْلَامُ وَالشَّيْبُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا قَالَ الشَّاعِرُ: «كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا» أَشْهَدُ أَنَّكَ

رَسُولُ اللَّهِ (١).

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ (٢)

وما رُوِيَ من نحوه فإنَّ ذلك كلامٌ من جنس كلامه الذي كان يُرمى به على السَّلَيقَةِ من غيرِ صفةٍ فيه، إلَّا أَنَّهُ اتَّفَقَ أَنْ جَاءَ مَوْزُونًا من غيرِ قَصْدٍ منه كَمَا يَتَّفَقُ في كثيرٍ من إنشآت النَّاسِ في خُطْبِهِمْ وَمَحَاوَرَاتِهِمْ أَشْيَاءَ مَوْزُونَةً وَلَا يُسَمِّيْهَا أَحَدٌ شِعْرًا، وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِ الْمُتَكَلِّمِ وَلَا السَّامِعِ أَنَّهُ شِعْرٌ، عَلَى أَنَّ الْخَلِيلَ لَمْ يَكُنْ يَعُدُّ الْمَشْطُورَ مِنَ الرَّجَزِ شِعْرًا (٣).

وَلَمَّا نَفَى سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ شِعْرًا قَالَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أَي: مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ مِنْ اللَّهِ يُوعِظُ بِهِ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ كَمَا قَالَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٤) وَمَا هُوَ إِلَّا قُرْآنٌ يُقْرَأُ فِي الْمَحَارِيبِ، وَيُنَالُ بِقِرَاءَتِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ فَوْزُ الدَّارَيْنِ. ﴿لِيُنذِرَ﴾ الْقُرْآنُ أَوِ الرَّسُولُ ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أَي: عَاقِلًا مُتَأَمِّلًا؛ لِأَنَّ غَيْرَ الْعَاقِلِ كَالْمَيِّتِ، أَوْ مِنَ الْمَعْلُومِ مِنْ حَالِهِ أَنْ يُؤْمِنَ فَيَحْيَا بِالْإِيمَانِ ﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ﴾ أَي: وَيَجِبُ الْوَعْدُ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ بِكُفْرِهِمْ.

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٧ ص ٧١ وعزاه إلى ابن سعد وابن أبي حاتم والمرزباني في معجم الشعراء عن الحسن بن علي عليه السلام.

(٢) رواه ابن سعد في طبقاته: ج ١ ص ٢٥ و ج ٤ ص ٥١ باسناده عن البراء بن عازب أَنَّهُ سَمِعَهُ عليه السلام يَقُولُ هَذَا الْبَيْتَ يَوْمَ حَنْينَ.

(٣) أنظر كتاب العين: مادة «رَجَزَ». (٤) يوسف: ١٠٤.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ (٧٥) فَلَا يَخْزِنَكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦) ﴿

﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ أي: ما تَوَلَّيْنَا خَلْقَهُ وَإِنْشَاءَهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَوَلِّيهِ غَيْرُنَا ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ أي: خَلَقْنَا ﴿أَنْعَامًا﴾ لِأَجْلِهِمْ فَمَلَّكْنَاهُمْ إِيَّاهَا ﴿فَهُمْ﴾ مَتَصَرِّفُونَ فِيهَا تَصَرُّفَ الْمَلَاكِ، أَوْ: فَهُمْ لَهَا ضَابِطُونَ قَاهِرُونَ، لَمْ نَخْلُقْهَا وَحْشِيَّةً نَافِرَةً مِنْهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ضَبْطِهَا، فَهِيَ مُسَخَّرَةٌ لَهُمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾، وَالرَّكُوبُ وَالرَّكُوبَةُ: مَا يُرَكَبُ، كَمَا أَنَّ الْحَلُوبَ وَالْحَلُوبَةَ: مَا يُحْلَبُ، أَي: فَمِنْهَا مَا يَنْتَفِعُونَ بِرُكُوبِهِ وَمِنْهَا مَا يَنْتَفِعُونَ بِذَبْحِهِ وَأَكْلِهِ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ﴾ مِنْهَا لُبْسُ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَشُرْبُ اللَّابِنِهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ جُودِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا، وَالْمَشَارِبُ: جَمْعُ الْمَشْرَبِ وَهُوَ مَوْضِعُ الشَّرَابِ وَالشَّرْبُ.

﴿اتَّخَذُوا...﴾ ﴿إِلَٰهَةً﴾ يَعْبُدُونَهَا طَمَعًا فِي أَنْ يَنْصُرُوهُمْ، وَيَدْفَعُوا عَنْهُمْ، وَيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَالْأَمْرُ عَلَى عَكْسِ مَا قَدَّرُوا فَإِنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾ لِعَذَابِهِمْ لِأَنَّهُمْ يُجْعَلُونَ وَقُودَ النَّارِ، أَوْ: اتَّخَذُوهُمْ طَمَعًا فِي أَنْ يَنْقَوُوا بِهِمْ، وَالْأَمْرُ بِالضَّدِّ مِمَّا تَوَهَّمُوهُ، إِذْ هُمْ جُنْدٌ لِآلِهَتِهِمْ يَخِدُمُونَهُمْ وَيَذُبُّونَ عَنْهُمْ، وَالْإِلَٰهَةُ لَيْسَ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَى نَصْرِهِمْ، فَلَا يَهْمَنَّكَ قَوْلُهُمْ فِي تَكْذِيبِكَ وَأَذَاهُمْ إِيَّاكَ، فَإِنَّا عَالِمُونَ بِمَا ﴿يُسِرُّونَ﴾ مِنْ عَدَاوَتِهِمْ ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وَإِنَّا نَجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (٧٧)

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) ﴿

رُوي: أَنَّ أَبِي بَنَ خَلْفٍ وَالْعَاصِ بْنَ وَائِلٍ جَاءَا بِعَظْمٍ بَالٍ مُتَفَتَّتٍ، وَقَالَا: يَا مُحَمَّد، أَتَزْعَمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا؟! فَقَالَ: نَعَمْ، فَنَزَلَتْ (١).

قَبَّحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِنْكَارَهُمُ الْبَعْثَ تَقْيِيحًا عَجِيبًا، حَيْثُ قَرَّرَهُ بِأَنْ خَلَقَهُمْ مِنَ النُّطْفَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ شَيْءٍ، ثُمَّ عَجِبَ مِنْ حَالِهِمْ بِأَنْ يَتَّصِدَّوْا مَعَ مَهَانَةِ مَبْدِئِهِمْ لِمُخَاصَمَةِ الْجَبَّارِ وَيَقُولُوا: مَنْ يَقْدِرُ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ بَعْدَمَا رَمَتْ عِظَامُهُ؟ ثُمَّ يَكُونُ خِصَامُهُ فِي الْأَزْمِ وَصِفٍ لَهُ، وَهُوَ كَوْنُهُ مُنْشَأً مِنْ مَوَاتٍ وَهُوَ يَنْكُرُ الْإِنْشَاءَ مِنَ الْمَوَاتِ!! فَهَذِهِ مُكَابَرَةٌ لَا مَطْمَحَ وَرَاءَهَا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ بَعْدَ مَا كَانَ مَاءً مَهِينًا رَجُلٌ مُمَيِّزٌ مِنْطِيقٌ قَادِرٌ عَلَى هَذَا الْخِصَامِ، مُعْرِبٌ عَمَّا فِي نَفْسِهِ فَصِيحٌ (٢).

وَسُمِّيَ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ مَثَلًا لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ قِصَّةٍ عَجِيبَةٍ شَبِيهَةٍ بِالْمَثَلِ، وَهِيَ إِنْكَارُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، أَوْ: لِمَا فِيهِ مِنَ التَّشْبِيهِ؛ لِأَنَّ مَا أَنْكَرَ مِنْ قَبِيلٍ مَا يُوصَفُ اللَّهُ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بِدَلِيلِ النَّشْأَةِ الْأُولَى. فَإِذَا قِيلَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ عَلَى طَرِيقِ (٣) الْإِنْكَارِ لِأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِمَّا

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول: ص ٣٠٨ ح ٧٥٨ و ٧٥٩.

(٢) قاله الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٨ ص ٤٧٧.

(٣) في بعض النسخ: «سبيل الإنكار».

يوصفُ سبحانه بالقُدرةِ عليه، كانَ تَعْجِيزاً لِهٖ وَتَشْبِيهاً لَهُ بِخَلْقِهٖ فِي أَنَّهُمْ غَيْرِ
مَوْصُوفِينَ بِالْقُدرةِ عَلَيْهِ. وَالرَّمِيمُ: مَا بُلِيَ مِنَ الْعِظَامِ، وَمِثْلُهُ: «الرَّيْمَةُ» وَ«الرُّفَاتُ»،
وَهُوَ أَسْمٌ غَيْرُ صِفَةٍ فَلِذَلِكَ لَمْ يُؤَنَّثَ.

وَيُرِيدُ بـ ﴿الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ الْمَرْخَ وَالْعَفَّارَ، وَهُمَا شَجَرَتَانِ تَتَّخِذُ الْأَغْرَابُ
زُنُودَهَا ^(١) مِنْهُمَا، فَبَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ فِي الشَّجَرِ الَّذِي هُوَ فِي
غَايَةِ الرُّطُوبَةِ نَاراً حَتَّى إِذَا حُكَّ بَعْضُهُ بَبَعْضٍ خَرَجَتْ مِنْهُ النَّارُ، قَدَرَ أَيْضاً عَلَى
الْإِعَادَةِ.

وَقُرئ: «يَقْدِرُ» ^(٢) أَيْضاً هُنَا وَفِي الْأَحْقَافِ ^(٣)، وَأَحْتَمَلَ قَوْلُهُ: ﴿أَنْ يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ﴾ مَعْنِيَيْنِ: أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ فِي الْقَمَاءِ وَالصَّغَرِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ، أَوْ: أَنْ يَعِيدَهُمْ لِأَنَّ الْإِعَادَةَ مِثْلُ الْإِبْتِدَاءِ وَلَيْسَ بِهِ إِنَّمَا شَأْنُهُ ﴿إِذَا أَرَادَ﴾
تَكْوِينَ شَيْءٍ ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ مَعْنَاهُ أَنْ يَكُونَهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ ﴿فَيَكُونُ﴾
فَيَحْدُثُ، أَيْ: فَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ. وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَكُونَاتِ؛
لَأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الْمَأْمُورِ الْمُطِيعِ، إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْرِ الْمُطَاعِ، وَ﴿يَكُونُ﴾ خَبْرٌ
مَبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: فَهُوَ يَكُونُ، فَهِيَ جُمْلَةٌ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ هِيَ: أَمْرُهُ أَنْ
يَقُولَ لَهُ كُنْ. وَمَنْ قَرَأَ بِالنَّصْبِ ^(٤) فَلِلْعَطْفِ عَلَى ﴿يَقُولَ﴾ وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ
عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَجُوزُ عَلَى الْأَجْسَامِ إِذَا فَعَلَتْ شَيْئاً مِنَ الْأَفْعَالِ مِمَّا تَقْدِرُ عَلَيْهِ
مِنْ الْمَبَاشَرَةِ بِمَحَالِّ الْقُدرةِ وَاسْتِعْمَالِ الْآلَاتِ، وَمَا يَتَّبَعُ ذَلِكَ مِنَ التَّعَبِ وَاللُّغُوبِ

(١) الزنود جمع الزند: وهو العود الذي يُقدح به النار. (الصاح: مادة زند).

(٢) وهي قراءة رويس عن يعقوب. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٣٣.

(٣) الآية: ٣٣.

(٤) وهي قراءة ابن عامر وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٤٤.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ وهو القادرُ العالمُ لذاته أن يخلصَ دَاعِيَهُ إلى الفِعْلِ فَيَتَكَوَّنَ الفِعْلُ.
 فكيف يعجزُ عزَّ أَسْمُهُ عن مَقْدُورٍ حَتَّى يَعْجَزَ عن الإِعَادَةِ؟
 ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: هو مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، والمُتَصَرِّفُ فِيهِ بِمُوجِبِ
 مَشِيئَتِهِ وَقَضَايَا حِكْمَتِهِ، أي: فَتَنْزِيهَا لَهُ عن نَفْيِ الْقُدْرَةِ عَلَى الإِعَادَةِ وعن كُلِّ مَا لَا
 يَلِيقُ بِصِفَاتِهِ.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ: كُنْتُ لَا أَعْلَمُ كَيْفَ خُصَّتْ سُورَةُ يَسَ بِالْفَضَائِلِ الَّتِي رُوِيَتْ
 فِي قِرَاءَتِهَا، فَإِذَا إِنَّهُ لِهَذِهِ الْآيَةِ ^(١).



(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٢.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، وَهِيَ مِائَةٌ وَإِحْدَى وَثَمَانُونَ آيَةً بَصْرِيٌّ، اثْنَتَانِ غَيْرُهُمْ، ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ^(٢) غَيْرُ الْبَصْرِيِّ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الصَّافَّاتِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بَعْدَ كُلِّ جَنِّيٍّ وَشَيْطَانٍ، وَتَبَاعَدَتْ مِنْهُ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، وَبَرَأَ مِنَ الشُّرْكِ، وَشَهِدَ لَهُ حَافِظُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا بِالْمُرْسَلِينَ» ^(٣).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الصَّافَّاتِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ لَمْ يَزَلْ مُحْفُوظًا مِنْ كُلِّ آفَةٍ، مَدْفُوعًا عَنْهُ كُلُّ بَلِيَّةٍ فِي حَيَاةِ الدُّنْيَا، مَرْزُوقًا بِأَوْسَعِ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّزْقِ، وَلَمْ يُصِبْهُ اللَّهُ فِي مَالِهِ وَلَا وَلَدِهِ وَلَا بَدَنِهِ بِسُوءٍ مِنْ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ وَلَا مِنْ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَإِنْ مَاتَ فِي يَوْمِهِ أَوْ فِي لَيْلَتِهِ بَعَثَهُ اللَّهُ شَهِيدًا وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ مَعَ الشُّهَدَاءِ» ^(٤).

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٨ ص ٤٨٠: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَالْحَسَنِ، وَهِيَ مِائَةٌ وَاثْنَانِ وَثَمَانُونَ آيَةً فِي الْمَدِينَتَيْنِ، وَإِحْدَى وَثَمَانُونَ فِي الْبَصْرِيِّ، وَلَيْسَ فِيهَا نَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٣٣: مَكِّيَّةٌ وَهِيَ مِائَةٌ وَإِحْدَى وَثَمَانُونَ آيَةً، وَقِيلَ: اثْنَتَانِ وَثَمَانُونَ،

نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْعَامِ. (٢) الْآيَةُ: ٢٢.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦٩ مَرْسَلًا.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٣٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّفَّتِ صَفًّا﴾ (١) فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّلِيَّتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ
إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ (٥)
إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧)
لَّا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ
عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) .

قُرئ بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الصَّادِ، وَفِي الزَّايِ (١)، وَفِي الذَّالِ (٢) (٣) وَالْأَكْثَرُ
الِإِظْهَارُ. أَقْسَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْمَلَائِكَةِ تَصِفُ صُفُوفًا فِي السَّمَاءِ، أَوْ تَصِفُ أَقْدَامَهَا فِي
الصَّلَاةِ كَمَا يَصِفُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ أَجْنَحَتَهَا فِي الْهَوَاءِ مَنَظَرَةً لِأَمْرِ اللَّهِ، وَبِالْمَلَائِكَةِ
الَّتِي تَزْجُرُ الْخَلْقَ عَنِ الْمَعَاصِي زَجْرًا أَوْ تَزْجُرُ السَّحَابَ وَتُسَوِّقُهَا. وَقِيلَ: هِيَ
آيَاتُ الْقُرْآنِ الزَّاجِرَةُ عَنِ الْقَبَائِحِ (٤). وَالتَّلَايَاتُ: الْمَلَائِكَةُ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي كَتَبَهُ
لَهَا وَفِيهِ ذِكْرُ الْحَوَادِثِ، فَتَزْدَادُ يَقِينًا بِوُجُودِ الْمُخْبِرِ عَلَى وَفْقِ الْخَبَرِ، وَقِيلَ: هِيَ
نَفُوسُ الْعُلَمَاءِ الْعُمَّالِ (٥).

﴿الصَّفَّتِ﴾ أَقْدَامَهَا فِي التَّهَجُّدِ وَسَائِرِ الصَّلَوَاتِ وَصُفُوفِ الْجَمَاعَاتِ
﴿فَالزَّجَرَاتِ﴾ الْمَوَاعِظُ وَالنَّصَائِحُ ﴿فَالتَّلِيَّتِ﴾ آيَاتِ اللَّهِ الدَّارِسَاتِ شَرَائِعَهُ،
وَقِيلَ: هِيَ نَفُوسُ الْغُرَاةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّتِي تَصِفُ الصُّفُوفَ وَتَزْجُرُ الْخَيْلَ لِلْجِهَادِ

(١) أَيِ التَّاءِ مِنْ ﴿فَالزَّجَرَاتِ﴾ فِي الزَّايِ مِنْ ﴿زَجْرًا﴾ .

(٢) أَيِ التَّاءِ مِنْ ﴿فَالتَّلِيَّتِ﴾ فِي الذَّالِ مِنْ ﴿ذِكْرًا﴾ .

(٣) وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْزَةٍ وَأَبْيٍ عَمْرُو. رَاجِعْ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٥٤٦ .

(٤) قَالَهُ قَتَادَةُ. رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْبَغْوِيِّ: ج ٤ ص ٢٢ .

(٥) قَالَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٣٣ .

وَتَتْلُو الذِّكْرَ، مع ذلك لا يَشْغُلُهَا عنه تلك الشَّوَاعِلُ، كما يُحْكِي عن عليٍّ عليه السلام ^(١).
 ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ خبرٌ مبتدأ محذوف، أو خبرٌ بعد خبرٍ ﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾
 مَشَارِقُ الشَّمْسِ: مَطَالِعُهَا، تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ من مشرقٍ وتَغْرُبُ في مغربٍ، وَخَصَّ
 الْمَشَارِقَ بِالذِّكْرِ لَأَنَّ الشُّرُوقَ قَبْلَ الْغُرُوبِ.

﴿السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ أي: القُرْبَى مِنْكُمْ ﴿بِزِينَةِ الْكَوَائِبِ﴾ الزَّيْنَةُ مَصْدَرٌ كَالنَّسَبِ،
 أو اسمٌ لِمَا يُزَانُ بِهِ الشَّيْءُ، كَاللِّيقَةِ اسْمٌ لِمَا يُلَاقُ بِهِ الدَّوَاةُ، فَإِنْ أَرَدْتَ الْمَصْدَرَ فَهِيَ
 مَضَافَةٌ إِلَى الْفَاعِلِ، أي: بَأَنْ زَانَتْهَا الْكَوَائِبُ، وَأَصْلُهُ: بِزِينَةِ الْكَوَائِبِ، أو إِلَى
 الْمَفْعُولِ أي: بَأَنْ زَانَ اللَّهُ الْكَوَائِبَ وَحَسَّنَهَا لِأَنَّهَا إِنَّمَا زَيَّنَتْ السَّمَاءَ بِحُسْنِهَا فِي
 ذَوَاتِهَا، وَأَصْلُهُ: بِزِينَةِ الْكَوَائِبِ وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ ^(٢). وَإِنْ أَرَدْتَ
 الْاسْمَ فَلِلْمَضَافَةِ وَجْهَانِ: أَنْ يَقَعَ بَيَانًا لِلزَّيْنَةِ؛ لِأَنَّ الزَّيْنَةَ مَبْهَمَةٌ فِي الْكَوَائِبِ وَغَيْرِهَا
 مِمَّا يُزَانُ بِهِ، وَأَنْ يُرَادَ مَا زَيَّنَتْ بِهِ الْكَوَائِبَ، وَجَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: بِزِينَةِ الْكَوَائِبِ:
 بِضَوْءِ الْكَوَائِبِ ^(٣). وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ أَشْكَالُهَا الْمُخْتَلِفَةُ، كَشَكْلِ بَنَاتِ نَعْشٍ وَالثُّرَيَّا
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِرِهَا وَمَطَالِعِهَا، وَقُرِئَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ﴿بِزِينَةِ الْكَوَائِبِ﴾
 بِتَثْوِينِ «زِينة» وَجَرَّ «الكَوَائِبِ» عَلَى الْإِبْدَالِ، وَيَجُوزُ فِي نَصْبِ «الكَوَائِبِ» أَنْ
 يَكُونَ بَدَلًا مِنْ مَحَلِّ «بِزِينَةِ».

﴿وَحِفْظًا﴾ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى، لِأَنَّ مَعْنَاهُ: خَلَقْنَا الْكَوَائِبَ زِينَةً لِلْسَّمَاءِ
 وَحِفْظًا مِنَ الشَّيَاطِينِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا
 رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾ ^(٤). وَيَجُوزُ تَقْدِيرُ فِعْلٍ مُعَلَّلٍ بِهِ، أي: وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

(١) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٤.

(٢) أنظر التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٣٥.

(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٥.

(٤) الملك: ٥.

زَيَّاتَهَا بِالْكَوَائِبِ، وَقِيلَ: حَفَظْنَاهَا حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ^(١) ﴿مَارِدٍ﴾ خَارِجٍ مِنَ الطَّاعَةِ مُتَمَلِّسٍ مِنْهَا. وَالضَّمِيرُ فِي ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ لـ ﴿كُلِّ شَيْطَانٍ﴾، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الشَّيَاطِينِ، وَقُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ ^(٢) وَالتَّشْدِيدِ، وَأَصْلُهُ «يَتَسَمَّعُونَ»، وَالتَّسْمَعُ: طَلَبُ السَّمَاعِ، يُقَالُ: تَسَمَّعَ فَسَمِعَ أَوْ فَلَمْ يَسْمَعْ، وَهُوَ كَلَامٌ مَنْقُطٌ مِمَّا قَبْلَهُ، فِيهِ اقْتِصَاصُ حَالِ الْمُسْتَرْقَةِ لِلْسَّمْعِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَسْمَعُوا إِلَى كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ أَوْ يَتَسَمَّعُوا إِلَيْهِ، وَهُمْ مُقَذَّفُونَ ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ مِنْ جَوَانِبِ السَّمَاءِ بِالشُّهُبِ مَدْحُورُونَ عَنْ ذَلِكَ أَي: مَدْفُوعُونَ بِالْعُنْفِ مَطْرُودُونَ ﴿وَلَهُمْ﴾ مَعَ ذَلِكَ ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أَي: دَائِمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿إِلَّا مَنْ﴾ أُمِهُلَ حَتَّى ﴿خَطِفَ﴾ خَطْفَةً، أَوْ أَسْتَرَقَ اسْتِرَاقَةً، فَعِنْدَهَا يُعَاجِلُهُ الْهَلَاكُ بِاتِّبَاعِ الشَّهَابِ الثَّاقِبِ وَهُوَ النَّيِّرُ الْمُضِيءُ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِكَ: «سَمِعْتُ فَلَانًا يَتَحَدَّثُ»، وَ «سَمِعْتُ إِلَيْهِ يَتَحَدَّثُ» أَنَّ الْمَعْدَى بِنَفْسِهِ يَفِيدُ الْإِدْرَاكَ، وَالْمَعْدَى بِإِلَى يَفِيدُ الْإِضْغَاءَ مَعَ الْإِدْرَاكِ. وَ ﴿أَلْمَأَا أَلْأَعْلَى﴾ الْمَلَائِكَةُ، لِأَنَّهُمْ يَسْكُنُونَ السَّمَاوَاتِ، وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ الْمَلَأُ الْأَسْفَلَ لِأَنَّهُمْ سُكَّانُ الْأَرْضِ، وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: هُمْ أَشْرَافُ الْمَلَائِكَةِ ^(٣)، وَعَنْهُ: الْكُتُبَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ^(٤). وَ ﴿دُحُورًا﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَي: مَدْحُورِينَ، أَوْ مَفْعُولٌ لَهُ أَي: يُقَذَّفُونَ لِلدُّحُورِ، وَ ﴿مَنْ خَطِفَ﴾ مَرْفُوعُ الْمَوْضِعِ بَدَلٌ مِنَ الْوَائِ فِي ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ أَي: لَا يَتَسَمَّعُ الشَّيَاطِينُ إِلَّا الشَّيْطَانُ الَّذِي خَطِفَ الْخَطْفَةَ.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ

(١) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٥.

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو وعاصم برواية أبي بكر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٤٧.

(٣ و ٤) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٥.

لَا زَبَ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِءْ تَكْذِبُونَ (٢١) أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمْ آلِیَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) ﴿

أي: فاستخبرهم ﴿أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أي: أقوى خلقًا وأضعَبَ خلقًا ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ من الملائكة والسموات والأرض والكواكب، وغَلَبَ ما يَعْقِلُ فَقَالَ: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾، ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ يعني: آدم عليه السلام، فَإِنَّهُمْ نَسْلُهُ وَذُرِّيَّتُهُ، وَاللَّازِبُ: الملتصق من الطين الحرّ، وهذه شهادة عليهم بالضعف والرخاوة، لأنّ ما يُصْنَعُ من الطين غير موصوفٍ بالصّلابيّة والقوّة.

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من إنكارهم البعث وهم ﴿يَسْخَرُونَ﴾ من أمر البعث، أو: عَجِبْتَ من تكذيبهم إياك وهم يسخرون من تعجيبك، وقرئ: «بَلْ عَجِبْتُ» ^(١) وهو قراءة عليّ عليه السلام عليه الصّلاة والسّلام وأبن عبّاس ^(٢)، ومعناه: بلغ من كثرة آياتي وعظم مخلوقاتي أن عَجِبْتُ من إنكارهم البعث ممّن هذه أفعاله وهم يسخرون ممّن يصفني بالقدرة على البعث، ويكون العجبُ المسندُ إلى الله تعالى بمعنى الاستعظام.

(١) وهي قراءة أهل الكوفة إلا عاصمًا. راجع التبيان: ج ٨ ص ٤٨٥.

(٢) أنظر المصدر السابق، وتفسير القرطبي: ج ١٥ ص ٦٥.

وقد جاء في الحديث: «عَجِبَ رَبِّكُمْ مِنْ أَلَّكُمْ وَقُنُوطِكُمْ وَسُرْعَةَ إِجَابَتِهِ إِيَّاكُمْ»^(١).

وقيل: معناه: قُلْ يا مُحَمَّد: بَلْ عَجِبْتَ^(٢). ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ أي: خُوفُوا باللهِ وَوَعِظُوا بِالْقُرْآنِ لَا يَتَّعِظُونَ ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ من آياتِ اللَّهِ معجزةً كانشقاقِ الْقَمَرِ وَغَيْرِهِ ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ أي: يُبَالِغُونَ فِي السُّخْرِيَةِ، أَوْ: يَسْتَدْعِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِلْسُّخْرِيَةِ، أَوْ: يَعْتَقِدُونَهُ سُخْرِيَةً كَمَا يُقَالُ: اسْتَقْبَحَهُ أَي: اعْتَقَدَهُ قَبِيحًا.

﴿أَوْ أَبَاؤُنَا﴾ عَطَفَ عَلَى الضَّمِيرِ فِي ﴿مَبْعُوثُونَ﴾، وَجُوزَ الْعَطْفُ عَلَيْهِ لِلْفَضْلِ بِهَمْزَةِ الاسْتِفْهَامِ، أَوْ عَطَفَ عَلَى مَوْضِعِ «إِنَّ» وَأَسْمِهِ، يَعْنُونَ: أَنَّ آبَاءَهُمْ أَقْدَمُ فَبَعَثَهُمْ أَبْعَدُ، وَقُرِئَ: «أَوْ أَبَاؤُنَا»^(٣) وَمِثْلُهُ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ^(٤). ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تُبْعَثُونَ ﴿وَأَنْتُمْ دَخِرْتُمْ﴾ صَاغِرُونَ أَشَدَّ الصَّغَارِ.

﴿وَأَنْتُمْ﴾ جَوَابُ شَرْطِ مُقَدَّرٍ. وَالتَّقْدِيرُ: إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَمَا هِيَ إِلَّا ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أَي: صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ إِسْرَافِيلَ وَهِيَ نَفْخَةُ الْبَعْثِ ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أَحْيَاءُ بُصْرَاءِ ﴿يَنْظُرُونَ﴾ وَهِيَ ضَمِيرٌ مِنْهُمْ لَا يَرْجِعُ إِلَى شَيْءٍ وَيُوضِّحُهَا خَبَرُهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: فَإِنَّمَا الْبَعْثَةُ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ. ﴿وَقَالُوا﴾ أَي: وَيَقُولُونَ مُعْتَرِفِينَ عَلَى نَفْسِهِمْ بِالْمَعْصِيَةِ ﴿يَوِيلَنَا﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿هَذَا يَوْمٌ﴾ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ. ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ﴾ أَي: الْقَضَاءِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ وَتَمَيُّزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ

(١) رواه أبو عبيد الهروي في غريب الحديث: ج ٢ ص ١١٨، وابن الأثير في غريب الأثر: ج ١ ص ٦١ مادة «أل» وقال: الأل: شدة القنوط، ويجوز أن يكون من رفع الصوت بالبكاء، والمحدثون يروونه بكسر الهمزة، والمحفوظ عند أصل اللغة الفتح وهو أشبه.

(٢) وهو قول المبرّد كما حكاه في التبيان: ج ٨ ص ٤٨٧.

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٣٦.

(٤) الآية: ٤٨.

تُكَذِّبُونَ ﴿ يَقُولُونَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَقِيلَ: هُوَ كَلَامُ الْمَلَائِكَةِ جَوَاباً لَهُمْ ^(١).

﴿ اخْشَرُوا ﴾ خِطَابُ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ، أَوْ: خِطَابُ بَعْضِ الْمَلَائِكَةِ لِبَعْضٍ

﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ أَي: ضُرَبَاءَهُمْ وَأَشْبَاهَهُمْ مِنَ الْعَصَاةِ، أَهْلُ الزِّنَا مَعَ أَهْلِ الزِّنَا، وَأَهْلُ

الْخَمْرِ مَعَ أَهْلِ الْخَمْرِ، وَقِيلَ: وَأَزْوَاجَهُمُ الْكَافِرَاتُ ^(٢)، وَقِيلَ: وَقُرَنَاءَهُمْ مِنَ

الشَّيَاطِينِ ^(٣). ﴿ فَاهْدُوهُمْ ﴾ فَعَرَّفُوهُمْ طَرِيقَ النَّارِ حَتَّى يَسْلُكُوهَا.

﴿ وَقَفُّوهُمْ ﴾ وَأَحْبِسُوهُمْ عَنْ دُخُولِ النَّارِ ﴿ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ عَمَّا دُعُوا إِلَيْهِ مِنَ

الْبِدْعِ، وَقِيلَ: عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَخَطِيئَاتِهِمْ ^(٤)، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ

جُبَيْرٍ: عَنْ وَلايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ^(٥). يُقَالُ: وَقَفْتُ أَنَا، وَوَقَفْتُ غَيْرِي.

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ هَذَا تَهَكُّمٌ بِهِمْ وَتَوْبِيخٌ لَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنِ التَّنَاصُرِ بَعْدَ مَا كَانُوا

عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا مُتَنَاصِرِينَ. ﴿ بَلْ هُمْ آَلِيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ قَدْ أَشْلَمَ

بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَخَذَلَهُ.

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا

عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ

سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَآبِقُونَ (٣١)

فَأَغْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣)

إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ

(١) قاله علي بن سليمان كما في تفسير القرطبي: ج ١٥ ص ٧٠.

(٢) وهو قول عمر بن الخطاب. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٤٣.

(٣) قاله الضحاك ومقاتل. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢٥.

(٤) قاله القرطبي والكلبي وهو المروي عن النبي ﷺ. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٤٨٠.

وتفسير القرطبي: ج ١٥ ص ٧٤. (٥) تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٤٤.

بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) ﴿

﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يَتَعَاتَبُونَ وَيَتَلَاوُمُونَ، يَقُولُ الْغَاوِي لِلَّذِي أَغْوَاهُ: لِمَ أَغْوَيْتَنِي؟ وَيَقُولُ ذَلِكَ الْمَغْوِيُّ لَهُ: لِمَ قَبِلْتُ مِنِّي؟ و ﴿الْيَمِينِ﴾ مُسْتَعَارَةٌ لِهَجَةِ الْخَيْرِ وَجَانِبِهِ، وَمَعْنَاهُ: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا﴾ مِنْ قِبَلِ الدِّينِ فَتُرَوَّنَا أَنَّ الْحَقَّ وَالدِّينَ مَا تُضِلُّونَنَا بِهِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا مُسْتَعَارَةٌ لِلْقُوَّةِ وَالْقَهْرِ، لِأَنَّ الْيَمِينَ مَوْصُوفَةٌ بِالْقُوَّةِ وَبِهَا يَقَعُ الْبَطْشُ^(١)، وَمَعْنَاهُ: أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْقُوَّةِ وَالْقَهْرِ فَتُجْبِرُونَنَا عَلَى الضَّلَالِ، فَأَجَابُوهُمْ بِأَن قَالُوا: بَلِ اللَّوْمُ لَازِمٌ لَكُمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ ﴿لَنَا عَلَيْكُمْ﴾ قُدْرَةٌ نُجْبِرُكُمْ بِهَا عَلَى تَخْيِيرِكُمْ الْغَيَّ ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ مَتَجَاوِزِينَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ. ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ فَلَزِمَنَا ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ وَوَعِيدُهُ: بِأَنَّا ذَائِقُونَ لِعَذَابِهِ لَا مَحَالَةَ؛ لِعِلْمِهِ بِحَالِنَا وَأَسْتِحْقَاقِنَا الْعُقُوبَةَ، وَلَوْ حَكَى الْوَعِيدَ كَمَا هُوَ لَقَالَ: إِنَّكُمْ لَذَائِقُونَ، وَلَكِنَّهُ عَدَلَ بِهِ إِلَى لَفْظِ الْمُتَكَلِّمِ لِأَنَّهُمْ مُتَكَلِّمُونَ بِذَلِكَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَنَحْوُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

لَقَدْ زَعَمْتُ هَوَازِنُ قُلٍّ مَالِي^(٢)

وَلَوْ حَكَى قَوْلَهَا لَقَالَ: قُلٍّ مَالِكٍ. ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أَي: فَإِنَّ الْمَتَبُوعِينَ وَالتَّابِعِينَ جَمِيعًا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿مُشْتَرِكُونَ﴾ فِي الْعَذَابِ وَالْإِهَانَةِ، كَمَا كَانُوا مُشْتَرِكِينَ فِي الْغَوَايَةِ.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أَي: يَأْتِفُونَ مِنْ قَوْلٍ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وَيَسْتَخِفُّونَ بِمَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ. ﴿إِنَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ ﴿لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ عَلَى

(١) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٨٤.

(٢) وعجزه: وهل لي غير ما أنفقتُ مالاً. لم نعر على قائله، وهوازن امرأته. أنظر الكشف:

كُفِّرْكُمْ وَنَسَبْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الشَّعْرِ وَالْجُنُونِ، ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ بِمَا عَمَلْتُمْ
 جَزَاءً سَيِّئًا بِعَمَلٍ سَيِّئٍ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ لَكِنْ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ.
 ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ
 النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ (٤٥)
 بَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ
 قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
 بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَإِنَّكَ
 لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ
 هَلْ أَنتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنِ
 كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ
 بِمَبِيتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) ﴿

حَكَمَ لَهُمْ سُبْحَانَهُ بِالرِّزْقِ الْمَعْلُومِ الْمُقَدَّرِ، ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ الرِّزْقَ بِالْفَوَاكِهِ، وَهِيَ
 كُلُّ مَا يَتَلَذَّذُ بِهِ وَلَا يُتَقَوَّتُ بِهِ لِحِفْظِ الصَّحَّةِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ رِزْقَهُمْ كُلَّهُ فَوَاكِهُ، لَا نَهْمُ
 مُسْتَعْنُونَ عَنْ حِفْظِ الصَّحَّةِ بِالْأَقْوَاتِ، إِذْ أَجْسَامُهُمْ مُحْكَمَةٌ مَخْلُوقَةٌ لِلْأَبَدِ، فَلَا
 يَأْكُلُونَ مَا يَأْكُلُونَ إِلَّا لِلتَّلَذُّذِ، وَقِيلَ: مَعْلُومُ الْوَقْتِ ^(١)، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا
 بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ^(٢)، ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ هُوَ مَا قَالَهُ الشُّيُوخُ فِي حَدِّ الثَّوَابِ أَنَّهُ النَّفْعُ
 الْمُسْتَحَقُّ الْمَقَارَنُ لِلتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ. ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ يَسْتَمْتِعُ بَعْضُهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَى
 وَجْهِ بَعْضٍ، وَهُوَ أَتَمُّ لِلْأُنْسِ وَالسُّرُورِ. ﴿بِكَأْسٍ﴾ هُوَ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ مِنَ الشَّرَابِ،

(١) حكاية البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٢٧.

(٢) مريم: ٦٢.

وعن الأخفش: كلُّ كأسٍ في القرآنِ فهي الخمرُ^(١) ﴿مِنْ مَّعِينٍ﴾ من شرابٍ جارٍ في أنهارٍ ظاهرةٍ للعيون، وُصِفَ بما يُوصَفُ به الماءُ لأنَّهُ يَجْرِي في الجنةِ كما يَجْرِي الماءُ. ﴿يَنْضَاءُ﴾ صِفَةُ للكأسِ ﴿لَذَّةٌ﴾ هي تَأْنِيثُ «اللذَّة» ووزنه «فَعْلٌ» مثلُ: «صَبَّ» و «طَبَّ»، وقال يَصِفُ النَّوْمَ:

وَلَذَّ كَطَعِمِ الصَّرْخَدِيِّ تَرَكَتُهُ بِأَرْضِ الْعِدَى مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ^(٢)
أو: وُصِفَتْ باللذَّةِ كأنَّها نفسُ اللذَّةِ وذاتها. ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ لا يَغْتَالُ عَقُولُهُمْ فَتَذْهَبُ بها، ولا يُصِيبُهُمْ منها وَجَعٌ ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ﴾ مِنْ نَزَفِ الشَّارِبِ: إِذَا ذَهَبَ عَقْلُهُ، وَيُقَالُ لِلْمَطْعُونِ إِذَا خَرَجَ دَمُهُ كُلُّهُ: نَزَفَ فَمَاتَ، وَقُرِئَ: «يُنْزِفُونَ»^(٣)
مِنْ أَتَزَفَ الشَّارِبُ: إِذَا ذَهَبَ عَقْلُهُ أَوْ شَرَابُهُ، وَمَعْنَاهُ: صَارَ ذَا نَزَفٍ، وَمِثْلُهُ: أَقْشَعَ السَّحَابُ وَقَشَعَتُهُ الرِّيحُ، وَأَكَبَّ الرَّجُلُ وَكَبَيْتُهُ، وَحَقِيقَتُهُمَا: دَخَلَ فِي الْقَشَعِ وَالْكَبِّ.
﴿قَصِرْتُ الظَّرْفَ﴾ قَصَرَنَ طَرَفَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ فَلَا يَرَيْنَ غَيْرَهُمْ، أَوْ: لَا يَفْتَحْنَ أَعْيُنَهُنَّ دَلَالًا ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ﴾ فِي الْأَدَاحِي، وَهِيَ بَيضُ النَّعَامِ، وَالْعَرَبُ تُشَبِّهُ بِهَا النِّسَاءَ وَتُسَمِّيَهُنَّ بَيضَاتِ الْخُدُودِ.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ وَالْمَعْنَى: يَشْرَبُونَ فَيَتَحَادَثُونَ عَلَى الشَّرَابِ فَيُقْبِلُ ﴿بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَمَّا جَرَى عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا أَنَّهُ جِيءَ بِهِ مَاضِيًا عَلَى عَادَةِ اللَّهِ عَزَّ أَسْمُهُ فِي إِخْبَارِهِ. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ فِي دَارِ الدُّنْيَا أَي: صَاحِبٌ يَخْتَصُّ بِي ﴿يَقُولُ﴾

(١) حكاه عند الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٢.

(٢) البيت منسوب لابن الأعرابي، يقول: وربّ شيءٍ لذيدٍ - يعني النوم - طعمه كطعم الشراب الطيب تركته بأرض الأعداء خوف نزول المكاره بي. انظر لسان العرب: مادة «لذذ».

(٣) قرأ حمزة والكسائي. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٣٦.

لي على وجه الإنكارِ عليّ والتّهجينِ لي: ﴿أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعثِ والحسابِ. ﴿لَمَدِينُونَ﴾ أي: لَمَجْزِيُونَ، من الدين الذي هو الجزاء، أو: لَمَسْوُونَ مرْبُوبُونَ، مِن دَانَهُ إِذَا سَاسَهُ.

وفي الحديث: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ»^(١).

﴿قَالَ﴾ أي: ذلك القائلُ لِإِخْوَانِهِ فِي الْجَنَّةِ: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ إِلَى النَّارِ لِأُرِيكُمْ ذَلِكَ الْقَرِينَ؟ وَقِيلَ: إِنَّ الْقَائِلَ هُوَ اللَّهُ^(٢)، وَقِيلَ: بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ^(٣)، يُقَالُ: طَلَعَ عَلَيْنَا فُلَانٌ وَاطَّلَعَ وَأُطْلِعَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، عَرَضَ عَلَيْهِمُ الْاطِّلَاعَ فَاعْتَرَضُوهُ ﴿فَاطَّلَعَ﴾ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ فَرَأَى قَرِينَهُ ﴿فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾ فِي وَسْطِهَا. ﴿قَالَ﴾ لَهُ: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كَذَبْتَ لَتُزْدِرِينِ﴾ «إِنْ» هِيَ الْمَخْفَفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاللَّامُ هِيَ الْفَارِقَةُ، أَي: إِنَّكَ كَذَبْتَ تُهْلِكُنِي بِمَا قُلْتَهُ لِي وَدَعَوْتَنِي إِلَيْهِ ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ عَلَيَّ بِالْعِصْمَةِ وَالتَّوْفِيقِ ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ﴾ الَّذِينَ أَحْضَرُوا الْعَذَابَ مَعَكَ فِي النَّارِ.

وَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ عَلَى مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: أَنَحْنُ مُخَلَّدُونَ مُنْعَمُونَ فَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ وَلَا مُعَذِّبِينَ؟! وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَذِهِ حَالُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَذُوقُوا إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى، بِخِلَافِ الْكَفَّارِ فَإِنَّهُمْ فِي آلَامٍ وَغُومٍ وَأَحْوَالٍ يَتَمَنَّوْنَ فِيهَا الْمَوْتَ كُلَّ سَاعَةٍ، وَإِنَّمَا يَقُولُهُ الْمُؤْمِنُ تَحَدُّثًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ بِمَسْمَعٍ مِنْ قَرِينِهِ لِيَكُونَ تَوْبِيخًا لَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ جَمِيعًا. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أَي: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ اسْمُهُ تَقْرِيراً لِقَوْلِهِمْ^(٤).

(١) أخرجه أحمد في مسنده: ج ٤ ص ٢٤، والبيهقي في سننه: ج ٣ ص ٢٦٩ بسندهما عن شداد بن أوس.

(٢ و ٣) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٤.

(٤) قاله الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٨ ص ٥٠٠.

تَمَّتْ قِصَّةُ الْمُؤْمِنِ وَقَرِينِهِ ^(١)

﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ
رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ
إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّا مَرَجَعَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ (٦٨)
إِنَّهُمْ أَلفُوا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى ءَاثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) وَلَقَدْ
ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤) ﴿

ثمَّ عَادَ سُبْحَانَهُ إِلَى ذِكْرِ الرِّزْقِ الْمَعْلُومِ فَقَالَ: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزْلًا﴾ أَي: خَيْرٌ
حَاصِلًا، وَأَصْلُ النُّزْلِ: الْفَضْلُ وَالرَّيْعُ فِي الطَّعَامِ، فَاسْتُعِيرَ لِلْحَاصِلِ مِنَ الشَّيْءِ،
وَحَاصِلُ الرِّزْقِ الْمَعْلُومِ: اللَّذَّةُ وَالسُّرُورُ، وَحَاصِلُ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ: الْآلَمُ وَالنَّقْمُ ^(٢).
و﴿نُزْلًا﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ أَوْ الْحَالِ، وَالنُّزْلُ: مَا يُقَامُ لِلنَّازِلِ بِالْمَكَانِ مِنْ
الرِّزْقِ، وَمَعْنَى الْأَوَّلِ: أَنَّ لِلرِّزْقِ الْمَعْلُومِ نُزْلًا، وَلِشَجَرَةِ الزَّقُّومِ نُزْلًا، فَأَيُّهُمَا خَيْرٌ
نُّزْلًا؟ وَمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّ الرِّزْقَ الْمَعْلُومَ نُزْلٌ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ الزَّقُّومِ نُزْلٌ أَهْلِ
النَّارِ، فَأَيُّهُمَا خَيْرٌ فِي كَوْنِهِ نُزْلًا؟

﴿فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ افْتَنُّوا بِهَا إِذْ كَذَّبُوا بِكَوْنِهَا، وَقِيلَ: عَذَابًا لَهُمْ ^(٣)، مِنْ قَوْلِهِ:
﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ ^(٤).

وَالطَّلَعُ يَكُونُ لِلنَّخْلَةِ، فَاسْتُعِيرَ لِمَا طَلَعَ مِنْ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ مِنْ حَمِلِهَا، وَشَبَّهَ

(١) فِي نَسْخَةِ زِيَادَةَ: «ثُمَّ رَجَعَ إِلَى ذِكْرِ الرِّزْقِ الْمَعْلُومِ فَقَالَ:».

(٢) فِي نَسْخَةِ: «الْغَمُّ».

(٣) وَهُوَ قَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٤٦.

(٤) الذَّارِيَاتُ: ١٣.

بـ ﴿رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ﴾ دَلَالَةٌ عَلَى تَنَاهِيهِ فِي الْكَرَاهَةِ وَقُبْحِ الْمَنْظَرِ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ مَكْرُوهٌ مُسْتَقْبَحٌ فِي طِبَاعِ النَّاسِ، وَقِيلَ: الشَّيْطَانُ: حَيَّةٌ عَزَفَاءُ قَبِيحَةُ الْمَنْظَرِ هَائِلَةٌ جَدًّا^(١) وَقِيلَ: إِنَّ شَجَرًا يُقَالُ لَهُ: الْأَسْتَنْ خَشِينًا مُتْنِنًا مُرًّا مُنْكَرَ الصُّورَةِ يُسَمَّى ثَمَرُهُ: رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ^(٢) ﴿لَا كِلُونَ مِنْهَا﴾ أَي: مِنْ طَلْعِهَا ﴿فَمَالِثُونَ﴾ بَطُونُهُمْ مِنْهُ لَشِدَّةِ مَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْجُوعِ، فَتَغْلِي بَطُونُهُمْ فَيَعْطَشُونَ فَيُسْقَوْنَ بَعْدَ مَلْيٍّ مَا هُوَ أَحَرُّ، وَهُوَ الشَّرَابُ الْمَشُوبُ بِالْحَمِيمِ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ بَعْدَ أَكْلِ الزَّقُّومِ وَشُرْبِ الْحَمِيمِ ﴿لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُورَدُونَ الْحَمِيمَ كَمَا يُورَدُ الْإِبِلُ الْمَاءَ، ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى الْجَحِيمِ وَهِيَ النَّارُ الْمُتَوَقَّدَةُ.

﴿إِنَّهُمْ﴾ صَادَقُوا ﴿ءَابَاءَهُمْ﴾ ذَاهِبِينَ عَنِ الْحَقِّ، فَهُمْ يَسْرِعُونَ ﴿عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ﴾ وَيَتَّبِعُونَهُمْ اتِّبَاعًا، أَي: ضَلَّ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ فِي كُلِّ زَمَانٍ كَانُوا أَقْلًا مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ إِرْسَالَ الْمُنْذِرِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَسُوءَ عَاقِبَةِ الْمُنْذَرِينَ الْمُكَذِّبِينَ عَقَبَهُ سُبْحَانَهُ بِقِصَّةِ نُوحٍ وَدُعَائِهِ إِيَّاهُ حِينَ يَيْسَ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ:

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَّمَ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَلَمِينَ (٧٩) إِنَّكَ ذَلِكِ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٨٢) وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبِرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ

(١) حكاها القرطبي في تفسيره: ج ١٥ ص ٨٧ ونسبه إلى الزجاج والفراء .

(٢) حكاها الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٦ .

وَقَوْمِهِ، مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَفِنَا ِلَّهِةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩)
فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَى إِلَهِ الْعَالَمِينَ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا
تَنْطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ (٩٤) قَالَ
أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴿

أي: ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ نحن، واللأم جواب قسَمٍ محذوف ﴿هُمُ الْبَاقِينَ﴾ هم
الذين بقوا وقد فني غيرهم، وهم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة، فالناس
كلهم من ولد نوح، فالعرب والعجم من أولاد سام بن نوح، والسودان من أولاد
حام بن نوح، والترك والخزر وأجوج من أولاد يافث بن نوح. ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
الْآخِرِينَ﴾ من الأمم هذه الكلمة وهي ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ أي:
يُسَلِّمُونَ عليه تسليماً إلى يوم القيامة، وهو من الكلام المحكي. ومعنى قوله: ﴿فِي
الْعَالَمِينَ﴾: الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعاً. وَعَلَّلَ مُجَازَاةَ نُوحٍ بِتِلْكَ
الْكَرَامَةِ مِنْ تَبْقِيَةِ الذِّكْرِ، وَتَسْلِيمِ الْعَالَمِينَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ بِأَنَّهُ كَانَ مُحْسِنًا، ثُمَّ عَلَّلَ
كَوْنَهُ مُحْسِنًا بِأَنَّهُ كَانَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾، لِيُرِيكَ جَلَالََةَ مَحَلِّ الْإِيمَانِ.

﴿مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أي: مِمَّنْ شَايَعَهُ عَلَى أُصُولِ الدِّينِ، أَوْ: شَايَعَهُ عَلَى التَّصَلُّبِ فِي
دِينِ اللَّهِ وَمُصَابَرَةِ الْمُكَذِّبِينَ، وَتَعَلَّقَ ﴿إِذْ﴾ بِمَا فِي الشَّيْعَةِ بِمَعْنَى الْمَشَايِعَةِ، أَي: وَإِنَّ
مِمَّنْ شَايَعَهُ عَلَى دِينِهِ وَتَقَوَّاهُ حِينَ ﴿جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ لِإِبْرَاهِيمَ، أَوْ: بِمَحْذُوفٍ
هُوَ «اذْكُرْ»، وَمَعْنَاهُ: حِينَ أَخْلَصَ اللَّهُ قَلْبَهُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَلَمْ يَتَعَلَّقْ بِشَيْءٍ غَيْرُهُ،
فَضَرَبَ الْمَجِيءَ مِثْلًا لَذَلِكَ.

«إِفْكَاً» مفعول له، والتقدير: أَتُرِيدُونَ إِلَهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ إِفْكَاً؟ وَإِنَّمَا قَدَّمَهُ
لِلْعَنَايَةِ، وَقَدَّمَ الْمَفْعُولَ لَهُ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَ الْأَهَمُّ عِنْدَهُ أَنْ يُوَاجِهَهُمْ بِأَنَّهُمْ

على إفكٍ وباطلٍ في شركهم. ويجوزُ أن يكون «إفكاً» مفعولاً به، أي: أتريدون به إفكاً؟ ثم فسر الإفك بقوله: «آلهة من دون الله» على أنها إفكٌ في نفسها، ويجوزُ أن يكونَ حالاً، أي: أتريدون آلهة من دون الله أفكين؟! ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ﴾ بمن هو الحقيق بالعبادة؟ لأن من كان رب العالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام، والمعنى: أنه لا يُقدَّرُ في ظنٍّ ولا وهمٍ ما يصدُّ عن عبادته، أو: فَمَا ظَنُّكُمْ به؟ فماذا يفعلُ بكم وقد عبدتم غيره؟

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها، لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فأوهمهم أنه استدَلَّ بأمارَةٍ في علم النجوم على أنه يسقم ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: مُشارِفٌ للسقم، وهو من معارِضِ الكلام، وإنما نوى به أن من كان آخر أمره الموت سقيماً. ورُوي عن الباقر والصادق عليهما السلام أنهما قالا: «والله ما كان سقيماً ولا كذب» ^(١) ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ فأعرضوا عنه وتركوه وخرجوا إلى عيدهم ﴿فَرَاغَ إِلَى إِلَهِهِمْ﴾ فمال إلى أصنامهم في خفية ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ استهزاءً بها وبانحطاطها عن حال عبادتها ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ فأقبل عليهم يضربهم ﴿ضَرْباً﴾، أو: فراغ عليهم ضرباً بمعنى: ضارباً ﴿بِالْيَمِينِ﴾ أي: ضرباً شديداً قوياً، لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدُّهما بالقوة، وقيل: بسبب الحلف ^(٢) وهو قوله: ﴿تَاللَّهِ لَا أَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ ^(٣).

﴿فَأَقْبَلُوا﴾ بعد الفراغ من عيدهم إلى إبراهيم، قرئ: «يزفون» ^(٤) يسرعون،

(١) رواه الكليني في الكافي: ج ٨ ص ٣٦٨ ح ٥٥٩ قطعة منه، والصدوق في معاني الأخبار: ص ٢١٠ ح ١.

(٢) حكاه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٥٠٣ عن بعض أهل العربية.

(٣) الأنبياء: ٥٧.

(٤) قرأه حمزة والمفضل عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٤٨.

مِنْ زَفِيفِ النَّعَامِ، وَ ﴿يَزِفُونَ﴾ مِنْ أَزَفٍ: إِذَا دَخَلَ فِي الزَّفِيفِ، أَوْ: مَنْ أَزَفَهُ إِذَا حَمَلَهُ عَلَى الزَّفِيفِ، أَي: يَزِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَ «يَزِفُونَ» ^(١) خَفِيفًا، مِنْ وَزَفَ يَزِفُ ﴿قَالَ﴾ مُحْتَجًّا عَلَيْهِمْ: ﴿أَتَعْبُدُونَ﴾ مَا تَنْحِتُونَهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ وَخَلَقَ مَا تَعْمَلُونَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ، يُقَالُ: عَمَلَ النَّجَّارُ الْبَابَ وَالْكَرْسِيَّ، وَعَمَلَ الصَّائِغُ السَّوَارَ وَالْخَاتَمَ، وَالْمَرَادُ: عَمَلَ أَشْكَالَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَصُورَهَا دُونَ جَوَاهِرِهَا، وَالْأَصْنَامُ جَوَاهِرٌ وَأَشْكَالٌ، فَخَالِقُ جَوَاهِرِهَا هُوَ اللَّهُ، وَعَامِلُو أَشْكَالِهَا مُصَوِّرُوهَا وَمَشْكُلُوهَا بِنَحْتِهِمْ، وَ ﴿مَا تَعْمَلُونَ﴾ تَرْجُمَةٌ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾، وَ «مَا» فِي: ﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾ مَوْصُولَةٌ وَلَا مَقَالٌ فِيهَا، فَالْعُدُولُ بِهَا عَنْ اخْتِهَا تَعْسُفٌ.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَأْتٍ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَابِرْهِيمَ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣) .

(١) وهي قراءة الضحاك ويحيى بن عبد الرحمن المقرئ وابن أبي عبيدة. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٢٨.

لَمَّا لَزِمَتْهُ الْحَجَّةُ ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا﴾ وعن ابن عباس: بَنَوْا حَائِطًا مِنَ
الحجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وملأوه نارا
والقوه فيها ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ بأن أهلكناهم ونجيناها وسلمناه^(١).

﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ أي: مهاجرٌ إلى حيث أمرني ربي
بالمهاجرة إليه من أرض الشام. أي ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ بعض ﴿الصَّالِحِينَ﴾ يريد
الولد، لأن لفظ «الهيئة» على الولد أغلب وإن كان قد جاء في الأخ حيث قال:
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ﴾^(٢) قال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(٤) و ﴿بَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ اشتملت البشارة على
أن الولد ذكر، وأنه يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم، وأي حلم أعظم من
حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ثم
استسلم لذلك معه.

بيان: كأنه لما قال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي: الحد الذي يقدر فيه على
السعي، قيل: مع من؟ قال: مع أبيه، وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة، أتى في
المنام ف قيل له: اذبح ابنك، ورؤيا الأنبياء وحي فلماذا قال: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ
أَنِّي أَدْبَحُكَ﴾ والأولى أن يكون قد أوحى إليه في حال اليقظة، وتعبَّد بأن يمضي ما
يؤمر به في حال النوم ﴿فَانْظُرْ مَاذَا﴾ تراه، أو: أي شيء ترى من الرأي، فيكون
﴿مَاذَا﴾ في موضع نصب بمنزلة اسم واحد، وعلى الأول يكون «ذا» بمعنى
«الذي»، أي: ما الذي تبصره من رأيك؟ و «ما» مبتدأ، والموصول مع صليته خبره،

(١) تفسير ابن عباس: ص ٣٧٧. (٢) مريم: ٥٣.

(٣) الأنبياء: ٩٠.

(٤) الأنعام: ٨٤، الأنبياء: ٧٢، العنكبوت: ٢٧.

وَقُرِئَ: «مَاذَا تُرِي» ^(١) بضمّ التاء وكسرِ الراء، معناه: أَجَلَدًا تُرِي عَلَى مَا تُحْمَلُ عَلَيْهِ أَمْ خَوْرًا؟ ﴿أَفَعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي: مَا تُؤْمَرُ بِهِ، فَحُذِفَ الْجَارُ كَمَا حُذِفَ مِنْ قَوْلِهِمْ:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَاَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ ^(٢).

أَوْ: «أَمْرُكَ» عَلَى إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ، وَتَسْمِيَةِ الْمَأْمُورِ بِهِ أَمْرًا. وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَبْنُ عَبَّاسٍ: «سَلَمًا»، يُقَالُ: سَلَّمَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَأَسْلَمَ وَأَسْتَسَلَّمَ: إِذَا أَنْقَادَ وَخَضَعَ، وَحَقِيقَةُ مَعْنَاهُ: أَخْلَصَ نَفْسَهُ لِلَّهِ وَجَعَلَهَا سَالِمَةً لَهُ وَخَالِصَةً. وَعَنْ قَتَادَةَ فِي ﴿أَسْلَمًا﴾: أَسْلَمَ هَذَا أَبْنَهُ، وَأَسْلَمَ هَذَا نَفْسَهُ ^(٣)، وَجَوَابُ «لَمَّا» مَحْذُوفٌ، وَتَقْدِيرُهُ: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَتَنَدَيْنَهُ أَنْ يَبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرَّؤْيَا﴾ كَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ مِنْ شُكْرِهِمَا لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمَا مِنْ دَفْعِ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ بَعْدَ حُلُولِهِ، وَمَا فَازَا بِهِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ وَاِكْتِسَابِ الثَّوَابِ وَالْأَعْوَاضِ الْجَلِيلَةِ، وَالتَّلُّ: الصَّرْعُ، يُقَالُ: وَضَعَ جَبِينَهُ عَلَى الْأَرْضِ لئَلَّا يَرَى وَجْهَهُ فَيُلْحَقَهُ رِقَّةُ الْآبَاءِ. ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرَّؤْيَا﴾ أَي: فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُ بِهِ فِي الرَّؤْيَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ تَعْلِيلٌ لِتَخْوِيلِ مَا خَوَّلَهُمَا اللَّهُ مِنَ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ. ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْبَتَوْا الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي: الْاِمْتِحَانُ الظَّاهِرُ وَالْمِحْنَةُ الصَّعْبَةُ الَّتِي لَا مِخْنَةَ أَصْعَبُ مِنْهَا، أَوْ: الْاِخْتِبَارُ الْبَيِّنُ الَّذِي يَتَمَيَّزُ فِيهِ الْمَخْلُصُونَ مِنْ غَيْرِهِمْ. ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ﴾ وَهُوَ الْمُهْيَا لِأَنَّهُ يُذَبِّحُ ﴿عَظِيمٍ﴾ ضَخْمِ الْجَنَّةِ سَمِينٍ، وَالْمُفْتَدَى

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٣٧.

(٢) وعجزه: فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَسَبٍ. لِعَبَّاسِ بْنِ مُرْدَاسِ السَّلْمِيِّ، وَقِيلَ: لِعَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ، وَقِيلَ لِحَفَّافِ بْنِ نَدْبَةَ وَقِيلَ لغيرهم. تَقَدَّمَ شَرْحُ الْبَيْتِ فِي ج ٢ ص ٢ مِنْ سُورَةِ الْحَجَرِ آيَةَ: ٩٤ فَرَاغَ.

(٣) حكاها عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٥.

منه هو الله عز وجل لأنه الأمر بالذبح، والقادي هو إبراهيم عليه السلام، وهب الله سبحانه له الكبش ليفدي به. وإنما قال: ﴿وَقَدَيْنَهُ﴾ إسناداً للفداء إلى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته.

واختلف في الذبيح على قولين: أحدهما: أنه إسحاق، والأظهر في الروايات أنه إسماعيل، ويعضده قول النبي ﷺ: «أنا ابن الذبيحين»^(١) وكذلك قوله سبحانه بعد قصة الذبح: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ولا بد من تقدير مضاف محذوف، أي: بوجود إسحاق، و ﴿نَبِيًّا﴾ حال مقدرة، والمعنى: بأن يوجد مقدرة نبوته، والعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة، فيكون نظير قوله: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ حال ثانية وردت على سبيل الثناء والتفريط، لأن كل نبي لا بد أن يكون من الصالحين.

﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ أي: جعلنا ما أعطيناهما من الخير دائم البركة ثابتاً نامياً، ويجوز أن يكون المراد كثرة ولديهما وبقاءهم قرناً بعد قرن إلى أن تقوم الساعة.

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (١١٤) ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (١١٥) ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ (١١٦) ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١١٧) ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١١٨) ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَيْنَ﴾ (١١٩) ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (١٢٠) ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٢١) ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢٢)

﴿الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ تسخير قوم فرعون إيّاهم، واستعمالهم في الأعمال

(١) رواه ابن عساكر في تاريخه: ج ٢ ص ١٥٠.

(٢) الزمر: ٧٣.

الشَّاقَّةِ ﴿وَتَصَرَّنَهُمْ﴾ الضَّمِيرُ لَهُمَا وَلِقَوْمِهِمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنَجَّيْنَهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾،
وَالْكِتَابَ الْمُسْتَشِينِ ﴿الْبَلِيغَ فِي بَيَانِهِ وَهُوَ التَّوْرَةُ﴾.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ، أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤)
أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ
الْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ
الْمُخْلِصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢) ﴿

اِخْتَلَفَ فِي ﴿إِلْيَاسَ﴾ فَقِيلَ: هُوَ إِدْرِيسُ النَّبِيُّ ^(١)، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
مَنْ وُلِدَ هَارُونَ بْنُ عِمْرَانَ ابْنِ عَمِّ الْيَسَعَ ^(٢)، وَقِيلَ: إِنَّهُ اسْتَخْلَفَ الْيَسَعَ عَلَى بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَرَفَعَهُ اللَّهُ وَكَسَاهُ الرِّيشَ فَصَارَ إِنْشِيَاءً مَلَكِيًّا وَأَرْضِيًّا سَمَويًّا ^(٣)، وَقِيلَ: إِنَّ
إِلْيَاسَ صَاحِبُ الْبَرَارِيِّ، وَالْخَضِرَ صَاحِبُ الْجَزَائِرِ، وَيَجْتَمِعَانِ كُلَّ يَوْمٍ عَرَفَةَ
بِعَرَفَاتٍ ^(٤). وَبَعْلٌ: صَنَمٌ لَهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ. وَقُرِئَ: «اللَّهُ رَبُّكُمْ» بِالرَّفْعِ ^(٥) عَلَى
الْإِبْتِدَاءِ، وَبِالنَّصْبِ عَلَى الْبَدَلِ. ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ لِلْحِسَابِ أَوْ فِي الْعَذَابِ أَوْ فِي
النَّارِ. وَأَسْتَشْنَى مِنْ جَمَلَةِ قَوْمِهِ الَّذِينَ أَخْلَصُوا عِبَادَتَهُمْ لِلَّهِ. وَقُرِئَ: ﴿سَلَامٌ عَلَى
إِبْرَاهِيمَ يَاسِينَ﴾ عَلَى أَنَّهُ لُغَةٌ فِي «إِلْيَاسَ»، وَقَرَأَ أَبُو مُسْعُودٍ وَالْأَعْمَشُ «وَإِنَّ إِدْرِيسَ»
و«عَلَى إِدْرِيسِينَ» ^(٦)، وَلَعَلَّ لِزِيَادَةِ الْيَأْسِ وَالنُّونَ مَعْنَى فِي السَّرْيَانِيَّةِ، وَلَوْ كَانَ جَمْعًا

(١) قاله ابن عباس وقتادة. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٦٤.

(٢) قاله الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٥٢٠.

(٣) وهو قول محمد بن إسحاق. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٤١.

(٤) وهو قول الحسن البصري. راجع تفسيره: ج ٢ ص ٢٤٣.

(٥) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٤٩.

(٦) انظر التبيان: ج ٨ ص ٥٢٤، وشواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٢٨.

كَمَا قِيلَ - لَعُرِّفَ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ، وَقُرِئَ: «عَلَى آلِ يَاسِينَ»^(١) وَوُجِدَ فِي الْمُضَحَفِ مَفْصُولًا مِنْ «يَاسِينَ»، وَفِي فَضْلِهِ مِنْهُ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ «آلَ» هُوَ الَّذِي تَصْغِيرُهُ «أُهَيْلَ»، قَالَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: آلُ يَاسِينَ: آلُ مُحَمَّدٍ، وَيَاسِينُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ^(٢).

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ (١٣٦) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨) وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقُطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨) ﴿

﴿لَتَمُرُّونَ﴾ عَلَى مَنَازِلِهِمْ فِي مَتَاجِرِكُمْ إِلَى الشَّامِ ﴿مُصْبِحِينَ﴾ دَاخِلِينَ فِي الصَّبَاحِ ﴿وَبِاللَّيْلِ﴾ عَطْفٌ عَلَيْهِ، أَيِ: وَمُمْسِينَ ﴿أَفَلَا﴾ تَعْتَبِرُونَ بِهَا.

﴿إِذْ أَبَقَ﴾ أَيِ: هَرَبَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى السَّفِينَةِ الْمَمْلُوءَةِ مِنَ النَّاسِ وَالْأَحْمَالِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْزَلَ الْعَذَابُ بِهِمْ وَهُوَ مُقِيمٌ فِيهِمْ ﴿فَسَاهَمَ﴾ الْقَوْمُ أَيِ: قَارَعَهُمْ ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ أَيِ: مِنَ الْمَغْلُوبِينَ الْمُقْرُوعِينَ، وَالْمُرَادُ: مِنَ الْمُلْقَيْنِ فِي الْبَحْرِ. ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ أَيِ: ابْتَلَعَهُ ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ دَاخِلٌ فِي الْمَلَامَةِ عَلَى خُرُوجِهِ مِنْ

(١) قرأه نافع وابن عامر ويعقوب. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٣٨.

(٢) تفسير ابن عباس: ص ٣٧٨.

بين قَوْمِهِ من غَيْرِ أَمْرِ رَبِّهِ. ﴿مِنْ الْمُسَبِّحِينَ﴾ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا بِالتَّسْبِيحِ
والتَّقْدِيسِ ﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ﴾ حَيًّا ﴿إِلَى يَوْمِ﴾ الْبَعْثِ، وعن قتادة: لَكَانَ بَطْنُ
الْحُوتِ قَبْرًا لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(١). ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ فَطَرَحْنَاهُ بِالْعَرَاءِ، وَهُوَ الْمَكَانُ
الْخَالِي الَّذِي لَا نَبْتَ فِيهِ وَلَا شَجَرٌ ﴿وَهُوَ﴾ مَرِيضٌ.

وَالْيَقْطِينُ: كُلُّ نَبْتٍ يَنْبَسِطُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَلَا سَاقَ لَهُ كَشَجَرِ الْبَطِّيخِ
وَالْقِتَاءِ، وَهُوَ «يَفْعِيلُ» مَنْ قَطَنَ بِالْمَكَانِ: إِذَا أَقَامَ بِهِ، وَقِيلَ: هُوَ الْقَرْعُ ^(٢)، وَفَائِدَتُهُ
أَنَّ الذَّبَابَ لَا يَجْتَمِعُ عِنْدَهُ، وَقِيلَ: هُوَ التِّينَ ^(٣)، وَقِيلَ: هُوَ شَجَرَةُ الْمَوْزِ، تَغْطِي
بَوْرَقِهَا، وَأَسْتَظِلُّ بِأَغْصَانِهَا، وَأَفْطَرَ عَلَى ثَمَارِهَا ^(٤). وَمَعْنَى ﴿أَنْبَتْنَا عَلَيْهِ﴾: أَنْبَتْنَا
فَوْقَهُ كَمَا يُنْتَبُ الْبَيْتُ عَلَى الْإِنْسَانِ.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ عَنْ قَتَادَةَ: أُرْسِلَ إِلَى أَهْلِ نَيْتَوَى مِنْ أَرْضِ
الْمَوْصِلِ ^(٥) ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ فِي مَرَأَى النَّاطِرِ، إِذَا رَأَوْهُمْ ^(٦) الرَّائِي قَالَ: هِيَ مِائَةُ
أَلْفٍ أَوْ أَكْثَرُ. وَقَرَأَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَيَزِيدُونَ فَأَمْنُوا وَأَنَابُوا». ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ إِلَى
أَنْقِضَاءِ آجَالِهِمْ، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أُرْسِلَ إِلَى قَوْمٍ بَعْدَ قَوْمِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أُرْسِلَ
إِلَى الْأَوَّلِينَ.

﴿فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ
إِنْسًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ

(١) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٥ ص ٦٨.

(٢) قاله ابن عباس وقتادة. راجع التبيان: ج ٨ ص ٥٣٠.

(٣ و ٤) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٢.

(٥) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٣.

(٦) في بعض النسخ: «رأها».

تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٦٠) ﴿

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى مِثْلِهِ ^(١) فِي السُّورَةِ وَإِنْ تَبَاعَدَ مَا بَيْنَهُمَا، أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِاسْتِفْتَاءِ قُرَيْشٍ عَنْ وَجْهِ انْكَارِ الْبَعْثِ أَوَّلًا، ثُمَّ سَاقَ الْكَلَامَ مَوْصُولًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِاسْتِفْتَائِهِمْ عَنْ وَجْهِ الْقِسْمَةِ الَّتِي قَسَمُوهَا ضِيزَى حَيْثُ جَعَلُوا لِلَّهِ الْإِنَاثَ وَلِأَنْفُسِهِمُ الذَّكَوَرِ فِي قَوْلِهِمْ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ مَعَ كِرَاهَتِهِمْ لَهُنَّ وَوَأْدِهِمْ إِيَّاهُنَّ. ﴿أَمْ خَلَقْنَا﴾ بَلْ أَخْلَقْنَا ﴿الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ حَاضِرُونَ خَلَقْنَا إِيَّاهُمْ، أَي: كَيْفَ جَعَلُوهُمْ إِنَاثًا وَلَمْ يَشْهَدُوا. وَلَقَدْ ارْتَكَبُوا ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْكُفْرِ فِي ذَلِكَ: أَحَدُهَا: التَّجْسِيمُ؛ لِأَنَّ الْوَلَادَةَ مُخْتَصَّةٌ بِالْأَجْسَامِ، وَالثَّانِي: تَفْضِيلُ أَنْفُسِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ حَيْثُ اخْتَارُوا الْبَنِينَ لِأَنْفُسِهِمْ وَالْبَنَاتَ لِلَّهِ، وَالثَّالِثُ: أَنََّّهُمْ اسْتَهَانُوا بِالْمَلَائِكَةِ حَيْثُ أَتَوْهُمْ.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ دَخَلَتْ هَمْزَةُ الْاسْتِفْهَامِ عَلَى هَمْزَةِ الْوَصْلِ فَسَقَطَتْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ:

أَسْتَحْدَثَ الرُّكْبُ عَنْ أَشْيَاعِهِمْ خَبْرًا أَمْ رَاجَعَ الْقَلْبَ مِنْ أَطْرَائِهِ طَرَبُ ^(٢)

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ لِلَّهِ بِالْبَنَاتِ وَلِأَنْفُسِكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿أَفَلَا﴾ تَنْتَهُونَ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ أَي: حُجَّةٌ نَزَلَتْ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ.

(١) الآية: ١١.

(٢) وهي من قصيدة طويلة جداً (١٢٦ بيتاً)، وهي أحسن شعره. أنظر ديوان ذي الرمة: ص ٢٠.

﴿وَجَعَلُوا﴾ بَيْنَ اللَّهِ ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾ وهو زَعْمُهُمْ أَنَّ الملائكة بناتُ الله، فأثبتوا بذلك جنسيَّةَ جامعَةٍ لَهُ وللملائكة، وسُمُّوا: جِنَّةً لاستِتَارِهِم عن العُيُونِ، وقيل: هو قولُ الزَّنادقة: إِنَّ اللهَ خَالِقُ الخَيْرِ، وإِبليسُ خَالِقُ الشَّرِّ^(١)، ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ﴾ أي: الملائكة ﴿أَنَّهُمْ﴾ في ذلك كاذِبُونَ ﴿مُخَضَّرُونَ﴾ النَّارَ معذَّبُونَ بما يَقُولُونَ، ثُمَّ نَزَّهَ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفُوهُ بِهِ. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ استثناءً مُنْقَطِعٌ مِنَ الوَاوِ فِي ﴿يَصِفُونَ﴾ أي: يَصِفُهُ هَؤُلَاءِ بِذلك، وَلَكِنَّ ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بُرَاءً مِنْ أَنْ يَصِفُوهُ بِهِ.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُوا بِهِ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٧) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصَرُ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩) سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢) ﴿

الضَّمِيرُ فِي ﴿عَلَيْهِ﴾ لله عِزَّ أَسْمُهُ، والمعنى: فَإِنَّكُمْ وَمَعْبُودِيكُمْ ﴿مَا أَنْتُمْ﴾ وَهُمْ

(١) قاله الكلبي وعطية العوفي. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٧٠.

جَمِيعاً ﴿بِفَتْنَيْنِ﴾ عَلَى اللَّهِ، أَي: لَسْتُمْ تَفْتُنُونَ عَلَى اللَّهِ أَحَدًا بِإِغْوَائِكُمْ وَأَسْتَهْزَائِكُمْ^(١)، مِنْ قَوْلِكَ: فَتَنَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ امْرَأَتَهُ إِذَا أَفْسَدَهَا عَلَيْهِ ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ أَي: إِلَّا مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَسْتَوْجِبُ صَلَى الْجَحِيمِ بِسُوءِ أَعْمَالِهِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْوَافِي ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ بِمَعْنَى: «مَعَ»، فَيَجُوزُ السُّكُوتُ عَلَى: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾، كَمَا يَجُوزُ السُّكُوتُ عَلَى قَوْلِكَ: كُلُّ رَجُلٍ وَضِيعَتِهِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: فَإِنَّكُمْ مَعَ مَعْبُودِيكُمْ، أَي: فَإِنَّكُمْ قُرْنَاؤُهُمْ. وَالضَّمِيرُ فِي ﴿عَلَيْهِ﴾ لـ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، أَي: فَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَا تَعْبُدُونَ ﴿بِفَتْنَيْنِ﴾ بِبَاعِثَيْنِ، أَي: حَامِلَيْنِ عَلَى طَرِيقِ الْفِتْنَةِ وَالْإِضْلَالِ ﴿إِلَّا مَنْ﴾ يَصَلَّى ﴿الْجَحِيمِ﴾ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ، وَيَحْتَرِقُ بِهَا مِثْلُكُمْ ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ أَي: وَمَا مِنَّا مَلَكٌ، فَحُذِفَ الْمَوْصُوفُ وَأُقِيمَ الصِّفَةُ مَقَامَهُ، كَقَوْلِهِ:

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الشَّيَا (٢)

أَي: مَقَامٌ مَعْلُومٌ فِي السَّمَوَاتِ يَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ، أَوْ: مَقَامٌ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَتَجَاوَزُ مَا أَمَرَ بِهِ وَرُتَّبَ لَهُ، كَمَا رُوِيَ: فَمِنْهُمْ سَجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ. ﴿لَتَخُنَّ الصَّافُونَ﴾ نَصَفٌ أَقْدَامَنَا فِي الصَّلَاةِ، أَوْ أَجْنَحَتَنَا حَوْلَ الْعَرْشِ دَاعِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ، أَوْ فِي الْهَوَاءِ مُنْتَظِرِينَ أَمْرَ اللَّهِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِنَّمَا أَصْطَفُوا فِي الصَّلَاةِ مِنْذُ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (٣) وَلَيْسَ يَصْطَفُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ فِي صَلَاتِهِمْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ. وَ ﴿الْمُسْبِحُونَ﴾: الْمُصَلُّونَ، أَوْ الْمُتَزَهُونَ.

(١) فِي نَسْخَةٍ: «وَأَسْتَهْزَأَكُمْ».

(٢) وَعَجَزَهُ: مَتَى أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي. اخْتَلَفَ فِي قَائِلِهِ فَقِيلَ: لِسُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرِّيَّاحِيِّ، وَقِيلَ: لِمُثَقَبٍ وَقِيلَ لِغَيْرِهِمَا. رَاجِعَ خَزَانَةُ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ: ج ١ ص ٢٥٥ وَمَا بَعْدَهُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي ج ٢ ص ٩١.

(٣) وَهُوَ قَوْلُ أَبِي مَالِكٍ. رَاجِعَ تَفْسِيرَ الْمَاورِدِيِّ: ج ٥ ص ٧٢.

﴿إِنْ﴾ هي المخففة من الثقلية، وَهُمْ مشركو قريش كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ كتاباً ﴿مِنْ﴾ كُتِبَ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ الَّذِينَ نَزَلَ عَلَيْهِمُ التَّوْرَةُ أَوْ ^(١) الْإِنْجِيلُ، لَأَخْلَصْنَا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ، وَلَمَّا خَالَفْنَا كَمَا خَالَفُوا، فَجَاءَهُمُ الذِّكْرُ ^(٢) الَّذِي هُوَ سَيِّدُ الْأَذْكَارِ، وَهُوَ الْمُعْجِزُ مِنْ بَيْنِ الْكُتُبِ ﴿فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

الْكَلِمَةُ هي قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ سَمَّاها كَلِمَةً وَإِنْ كَانَتْ كَلِمَاتٍ عِدَّةٌ؛ لِأَنَّهَا لَمَّا ائْتَتْ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ كَانَتْ فِي حُكْمِ كَلِمَةٍ مُفْرَدَةٍ. و «هُمْ» في: ﴿لَهُمْ﴾ فَضْلٌ، وَالْمُرَادُ: الْوَعْدُ بِعُلُوِّهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَعُلُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ وَأَغْضِ عَلَيْهِمْ أَذَاهُمْ ^(٣) ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إِلَىٰ مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ هِيَ مَدَّةُ الْكَفِّ عَنِ الْقِتَالِ ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ وَمَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ عَاجِلًا، وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ آجِلًا ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ كَ وَمَا يُقْضَىٰ لَكَ مِنَ النَّصْرَةِ وَالتَّأْيِيدِ الْيَوْمَ وَالثَّوَابِ وَالتَّعِيمِ غَدًا، وَالْمُرَادُ بِالْأَمْرِ بِإِبْصَارِهِمْ عَلَى الْحَالِ الْمُنْتَظَرَةِ الْمَوْعُودَةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهَا كَائِنَةٌ لَا مَحَالَةَ، قَرِيبَةُ الْوُقُوعِ كَأَنَّهَا قُدَّامٌ نَاطِرِيكَ، وَفِي ذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَكَانَتْ الْعَرَبُ تُفَاجِئُ أَعْدَاءَهَا بِالْغَارَةِ صَبَاحًا، فَخَرَجَ الْكَلَامُ عَلَى عَادَتِهِمْ، فَكَانَ الْعَذَابُ الَّذِي يَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ جَيْشٌ نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَشَنَّ عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ، وَلِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَجْرَى الْعَادَةِ بِتَعْذِيبِ الْأُمَمِ وَقْتَ الصَّبَاحِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ ^(٤) وَالْمَعْنَى: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ وَصَبَاحُهُمْ.

(١) في بعض النسخ: واو بدل «أو». (٢) في نسخة: «القرآن».

(٣) في نسخة: «وأغضى على قذاهم وأصبر على أذاهم»، يقال: أغضى عينا على قذى: صبر

على أذى، المعجم الوسيط: ٦٥٥. (٤) هود: ٨١.

إِنَّمَا كَرَّرَ قَوْلَهُ: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لِيَكُونَ تَسْلِيَةً عَلَى تَسْلِيَةٍ، وَتَأْكِيداً لِحُصُولِ
الْوَعْدِ عَلَى تَأْكِيدٍ، وَقِيلَ: أُريدَ بِأَحَدِهِمَا الدُّنْيَا وَبِالْآخِرِ الْآخِرَةُ^(١)، وَفِي قَوْلِهِ:
﴿أَبْصِرْ﴾، وَ﴿يُبْصِرُونَ﴾ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِالمَفْعُولِ فَائِدَةً زَائِدَةً، أَي: مَا لَا يُحِيطُ بِهِ
الْوَصْفُ مِنْ ضُرُوبِ الْمَسَرَّةِ لَكَ، وَأَنْوَاعِ الْمَسَاءَةِ لَهُمْ.

﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ أَضَافَ الرَّبَّ إِلَى الْعِزَّةِ لاختصاصه بها، كَأَنَّهُ قَالَ: ذُو الْعِزَّةِ، أَوْ:
لَأَنَّهُ لَا عِزَّةَ لِأَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ مَالِكُهَا، كَمَا قَالَ: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾^(٢).

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتَالَ بِالمِكيَالِ الْأَوْفَى فَلْيَكُنْ آخِرُ
كَلَامِهِ فِي مَجْلِسِهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ»^(٣)



(١) حكاها الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٩.

(٢) آل عمران: ٢٦.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٧ ح ٣، الدر المنثور: ج ٧ ص ١٤١ وعزاه إلى حميد بن زنجويه في
ترغيبه.

سُورَةُ ص

مَكِّيَّةٌ ^(١) وهي ثَمَانٌ وَثَمَانُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، سِتٌّ بَصْرِيٌّ، عَدَّ الْكُوفِيُّ ﴿ذِي
الذِّكْرِ﴾ ^(٢) و﴿غَوَاصًّا﴾ ^(٣).

وفي حديث أبيٍّ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ صَ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ بَوَازُنُ كُلِّ جَبَلٍ سَخَّرَهُ
اللَّهُ لِدَاوُدَ حَسَنَاتٍ» ^(٤).

وَعَنْ أَلْبَاقرِ عَنِ النَّبِيِّ: «مَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ أُعْطِيَ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَكُلَّ مَنْ
أَحَبَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ» ^(٥).

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٨ ص ٥٤٠: مَكِّيَّةٌ في قول مجاهد وقتادة والحسن، ليس
فيها ناسخ ولا منسوخ، وهي ثمان وثمانون آية في الكوفي، وخمس وثمانون في البصري،
وست في المدني.
وفي الكشف: ج ٤ ص ٧٠: مَكِّيَّةٌ، وهي ست وثمانون آية، وقيل: ثمان وثمانون آية،
نزلت بعد القمر.

(٢) الآية: ١.

(٣) الآية: ٣٧.

(٤) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ١٠٩ مرسلًا.

(٥) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٣٩ وزاد: «حَتَّى خَادِمِهِ الَّذِي يَخْدُمُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي حَدِّ
عِيَالِهِ وَلَا فِي حَدِّ مَنْ يَشْفَعُ فِيهِ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ الْإِلَهًا وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧) أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ (٨) ﴿

إِنْ جُعِلَتْ ﴿ص﴾ حَرْفًا مِنْ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ ذَكَرَ عَلَى سَبِيلِ التَّحْدِي والتَّنبِيهِ عَلَى الْإِعْجَازِ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ قَسَمٌ مَحذُوفُ الْجَوَابِ لِدَلَالَةِ التَّحْدِي عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ إِنَّهُ لَكَلَامٌ مُعْجِزٌ، وَإِنْ جُعِلَتْ ﴿ص﴾ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ عَلَى أَنَّهَا اسْمٌ لِلسُّورَةِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: هَذَا (ص) أَيِ السُّورَةِ الَّتِي أَعْجَزَتْ الْفُصَحَاءَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ، كَمَا تَقُولُ: هَذَا حَاتَمٌ وَاللَّهُ، تُرِيدُ: هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ بِالْجُودِ وَاللَّهُ، وَإِنْ جَعَلْتَهَا قَسَمًا فَكَمِثْلِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَقْسَمْتُ بِصَادٍ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ إِنَّهُ لَمُعْجِزٌ، وَإِنْ جَعَلْتَهَا مُقْسَمًا بِهِ وَعَطَفْتَ عَلَيْهَا ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ جَازَ أَنْ تُرِيدَ بِالْقُرْآنِ الْقُرْآنَ كُلَّهُ، وَأَنْ تُرِيدَ السُّورَةَ بِعَيْنِهَا فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: أَقْسَمُ بِالسُّورَةِ الشَّرِيفَةِ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ، كَمَا تَقُولُ: مَرَزْتُ بِالرَّجُلِ الْكَرِيمِ وَبِالنَّفْسِ الشَّرِيفَةِ، وَلَا تُرِيدُ بِالنَّفْسِ غَيْرَ الرَّجُلِ، وَالذِّكْرُ: الشَّرَفُ، أَوِ الذِّكْرُ الْمَوْعِظَةُ، أَوْ ذِكْرُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَغَيْرِهَا مِنَ التَّوْحِيدِ وَذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَخْبَارِ الْأُمَمِ وَأَحْوَالِ الْقِيَامَةِ.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ أي: فِي تَكَبُّرٍ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ
﴿وَشِقَاقٍ﴾ وَخِلَافٍ وَعَدَاوَةٍ شَدِيدَةٍ.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وَعِيدٌ لِذَوِي الْعِزَّةِ وَالشَّقَاقِ ﴿فَنَادَوْا﴾ فَدَعَوْا وَأَسْتَغَاثُوا عِنْدَ
وُقُوعِ الْهَلَاكِ بِهِمْ ﴿وَلَاتَ﴾ هِيَ لَاءُ الْمَشَبَّهَةِ بِـ«لَيْسَ»، زِيدَتْ عَلَيْهَا تَاءُ التَّأْنِيثِ
كَمَا زِيدَتْ عَلَى «رُبَّ» وَ«ثُمَّ» لِلتَّأْكِيدِ، وَتَغَيَّرَ بِذَلِكَ حُكْمُهَا حَيْثُ لَمْ تَدْخُلْ إِلَّا
عَلَى الْأَخْيَانِ، وَلَمْ يَبْرُزْ إِلَّا أَسْمُهَا أَوْ خَبْرُهَا وَأَمْتَنَعَ بَرُوزُهُمَا جَمِيعًا، فَتَقْدِيرُهُ:
وَلَاتَ الْحَيْنُ ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ أَي: وَلَيْسَ الْحَيْنُ حِينَ مَنَاصٍ، وَلَوْ رُفِعَ لَكَانَ
تَقْدِيرُهُ: وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ حَاصِلًا لَهُمْ، وَالْمَنَاصُ: الْمَلَجَأُ. ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾
وَلَمْ يَقُلْ: وَقَالُوا، إِظْهَارًا لِلْغَضَبِ عَلَيْهِمْ، وَدَلَالَةً عَلَى أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَا يَجُسِرُ عَلَيْهِ إِلَّا
الكَافِرُ الْمَتَمَادِي لِلْكَفْرِ. ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وَمَعْنَى الْجَعْلِ: التَّصْيِيرُ فِي الْقَوْلِ
عَلَى سَبِيلِ الدَّعْوَى، كَانْتَهُم قَالُوا: أَجْعَلِ الْجَمَاعَةَ وَاحِدًا فِي قَوْلِهِ وَزَعَمِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا
لَشَيْءٌ﴾ بَلِيغٌ فِي الْعَجَبِ.

و ﴿الْمَلَأُ﴾: أَشْرَافُ قُرَيْشٍ، يُرِيدُ: وَأَنْطَلَقُوا عَنْ مَجْلِسِ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا أَتَوْهُ
وَهُمْ خَمْسَةٌ وَعَشْرُونَ رَجُلًا فِيهِمُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ وَهُوَ أَكْبَرُهُمْ، وَأَبُو جَهْلٍ، وَأَبِيُّ
ابْنِ خَلْفٍ، وَأَخُوهُ أُمَيَّةٌ وَعَتْبَةُ وَشَيْبَةُ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَقَالُوا: أَتَيْنَاكَ لِتَقْضِيَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَإِنَّهُ سَفَّهَ أَخْلَامَنَا وَشَتَمَ آلِهَتَنَا، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: يَا بَنَ أَخِي،
هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ يَسْأَلُونَكَ فَيَقُولُونَ: دَعْنَا وَآلِهَتَنَا نَدْعُكَ وَإِلَهَكَ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَتُعْطُونَنِي
كَلِمَةً وَاحِدَةً تَمْلِكُونَ بِهَا الْعَرَبَ وَالْعَجَمَ؟ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: اللَّهُ أَبُوكَ نُعْطِيكَ ذَلِكَ
وَعَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَقَالَ: قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَامُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿امْشُوا
وَأَصْبِرُوا﴾ فَلَا حِيلَةَ لَكُمْ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَرُوِيَ: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَعْبَرَ ثُمَّ قَالَ: يَا عَمَّ، وَاللَّهِ لَوْ وُضِعَتِ الشَّمْسُ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرُ فِي شِمَالِي مَا تَرَكْتُ هَذَا الْقَوْلَ حَتَّى أَنْفِذَهُ أَوْ أُقْتَلَ دُونَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ: امْضِ لِأَمْرِكَ، فَوَاللَّهِ لَا أَخْذُلُكَ أَبَدًا^(١).

و ﴿أَنْ﴾ هي المفسرة بمعنى: «أي»، لأنَّ انْطِلَاقَهُمْ مِنْ مَجْلِسِ التَّقَاوُلِ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْقَوْلِ ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الْأَمْرَ ﴿لَشَيْءٍ يُرَادُّ﴾ أَي: يَرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا أَرَادَ اللَّهُ كَوْنَهُ فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَلَا يُنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الصَّبْرُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي نَرَاهُ مِنْ زِيَادَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَشَيْءٍ مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ يُرَادُّ بِنَا وَلَا أَنْفَكَاءَ لَنَا مِنْهُ^(٢) وَمَعْنَى ﴿وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾: اصْبِرُوا عَلَى عِبَادَتِهَا وَالتَّمَسُّكِ بِهَا حَتَّى لَا تَزَالُوا عَنْهَا.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ فِي مِلَّةِ عِيسَى الَّتِي هِيَ آخِرُ الْمِلَلِ، لِأَنَّ النَّصَارَى يَقُولُونَ: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَلَا يُوحِّدُونَ، أَوْ: فِي مِلَّةِ قُرَيْشٍ الَّتِي أَدْرَكْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا، أَوْ: مَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَائِنًا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ حَالًا مِنْ ﴿هَذَا﴾ فَلَا يَتَعَلَّقُ بِـ ﴿مَا سَمِعْنَا﴾ كَمَا فِي الْوَجْهَيْنِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّا لَمْ نَسْمَعْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْكُفَّانِ أَنَّهُ يَخْذُلُ التَّوْحِيدَ فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ. مَا ﴿هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ أَي: افْتِعَالٌ وَكَذِبٌ.

ثُمَّ أَنْكَرُوا أَنْ يَخْتَصَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَرَفِ النُّبُوَّةِ مِنْ بَيْنِ رُؤَسَائِهِمْ، وَيُنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ دُونَهُمْ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنَ الْقُرْآنِ الْمُنْزَلِ، وَوَصَفُهُمْ لَهُ بِالْاِخْتِلَاقِ مُخَالَفٌ لِعَقَادِهِمْ فِيهِ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَهُ عَلَى سَبِيلِ الْحَسَدِ ﴿بَلْ﴾ لَمْ ﴿يَذُوقُوا﴾ عَذَابِي بَعْدُ، فَإِذَا ذَاقُوهُ زَالَ عَنْهُمْ مَا بِهِمْ مِنَ الشَّكِّ وَالْحَسَدِ.

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة: ج ٢ ص ١٨٧.

(٢) قاله البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٩.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ (٩) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَزْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (١٠) جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١١) كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (١٥) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦) ﴿

أي: ليس ﴿عندهم خزائن﴾ الرحمة، وما بأيديهم مفاتيح النبوة فيضعوها حيث شاؤوا ويختاروا لها من شاؤوا. ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حتى يتكلموا في التدابير الربانية والأمور الإلهية التي يختص بها رب العزة. ثم تهكم بهم سبحانه فقال: فإن كان إليهم تدبير الخلق وعندهم الحكمة التي بها يعرفون من هو أحق بالنبوة ﴿فليزتقوا في الأسباب﴾ فليصعدوا في معارج السماء وطرقها التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستولوا^(١) عليه، ويدبروا أمر العالم، وينزلوا الوحي إلى من يختارونه. ثم أخبر عن حاله^(٢) وما لهم فقال: ﴿جندٌ ما هنالك﴾ يريد: ما لهم إلا جند من الكفار المتحزبين على الله^(٣) ﴿مهزوم﴾ مكسور عما قريب فلا تبال بهم، و «ما» مزيدة، وفيها معنى الاستعظام، كما في قول امرئ القيس:

وَحَدِيثٌ مَا عَلَى قِصْرِهِ^(٤)

(١) في نسخة: «يستولوا».

(٢) في نسخة: «حالهم».

(٣) في نسخة: «رسول الله».

(٤) و صدره: وحديث الركب يوم هنا. والبيت من قصيدة له، يقول: إن اليوم الذي تحدثوا فيه وسروا به كان قصيراً لأن يوم السرور قصير بعكس يوم الكدر فهو طويل. انظر ديوان امرئ القيس: ص ١٠٣.

إِلَّا أَنَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْهُزْءِ، وَ ﴿هُنَالِكَ﴾ إِمَارَةٌ إِلَى حَيْثُ وَضَعُوا فِيهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْإِنتِدَابِ لِمِثْلِ ذَلِكَ الْقَوْلِ الْعَظِيمِ، كَمَا يَقُولُ لِمَنْ يَنْتَدِبُ لِأَمْرِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ: لَسْتُ هُنَالِكَ، وَقِيلَ: إِمَارَةٌ إِلَى مَصَارِعِهِمْ، وَجَاءَ تَأْوِيلُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ^(١).
﴿ذُو الْأَوْتَادِ﴾ مُسْتَعَارٌ لِثَبَاتِ مُلْكِهِ، كَمَا قَالَ الْأَسُودُ:

وَلَقَدْ غَنُّوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ ^(٢)
وَقِيلَ: كَانَ يُعَذِّبُ النَّاسَ بِالْأَوْتَادِ ^(٣). ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ وَقَصَدَ بِهِذِهِ الْإِمَارَةِ الْإِعْلَامَ بِأَنَّ الْأَحْزَابَ الَّذِينَ جَعَلَ الْجُنْدَ الْمَهْزُومَ مِنْهُمْ هُمُ هُمْ، وَأَنَّ هُمُ الَّذِينَ وَجَدَ مِنْهُمْ التَّكْذِيبَ، وَذَكَرَ تَكْذِيبَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْإِبْهَامِ فِي الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ، ثُمَّ أَوْضَحَ ذَلِكَ فِي الْجُمْلَةِ الْإِسْتِثْنَائِيَّةِ، بِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿كَذَبَ﴾ جَمِيعَ ﴿الرُّسُلِ﴾ لِأَنَّهُمْ إِذَا كَذَّبُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَدْ كَذَّبُوا جَمِيعَهُمْ ﴿فَحَقَّ عِقَابُ﴾ أَي: فَوَجَبَ لَذَلِكَ أَنَّ أَعْقَابَهُمْ حَقَّ عِقَابِهِمْ.

﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾ أَي: وَمَا يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَّةَ﴾ مَا لَيْتَكَ الصَّيْحَةَ ﴿مِنْ فَوَاقٍ﴾ قُرِئَ بِفَتْحِ الْفَاءِ وَضَمِّهَا ^(٤)، أَي: مَا لَهَا مِنْ تَوَقُّفٍ مِقْدَارِ فَوَاقٍ، وَهُوَ مَا يَبْنِي حَلَبَتِي الْحَالِبِ وَرَضَعَتِي الرَّاضِعِ، يَعْنِي: إِذَا جَاءَ وَقْتُهَا لَمْ تَسْتَأْخِرْ هَذَا الْمِقْدَارَ مِنَ الْوَقْتِ، وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: مَا لَهَا مِنْ رَجُوعٍ وَتِرْدَادٍ ^(٥)، مِنْ أَفَاقِ الْمَرِيضِ: إِذَا رَجَعَ إِلَى الصَّحَّةِ، وَفَوَاقُ النَّاقَةِ: سَاعَةٌ يَرْجِعُ الدَّرُّ إِلَى ضَرْعِهَا،

(١) قاله قتادة. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٨٠.

(٢) للأسود بن يعفر الأيادي يندب قوماً عاشوا ونعموا ثم صاروا إلى البلى والفناء، فكأنه يقول: لا أتمنى شيئاً من الدنيا بعدهم. انظر أمالي المرتضى: ج ١ ص ٣٥.

(٣) قاله أنس والسدي. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٥٥٦.

(٤) وبالضم قرأه حمزة والكسائي. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٤٣.

(٥) تفسير ابن عباس: ص ٣٨١.

يريد: أَنَّهَا نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ فَحَسْبُ لَا تُتْنَى وَلَا تَرَدَّد.

﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنًا﴾ أي: نَصِينَا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي وَعَدْتَهُ، أَوْ: عَجِّلْ لَنَا صَحِيفَةً أَعْمَالِنَا نَنْظُرُ فِيهَا، وَالْقِطُّ: الْقِسْطُ مِنَ الشَّيْءِ، لِأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْهُ، مِنْ قِطْعَةٍ: إِذَا قَطَعَهُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِصَحِيفَةِ الْجَائِزَةِ: قِطٌّ؛ لِأَنَّهَا قِطْعَةٌ مِنَ الْقِرْطَاسِ.

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٧) إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابَ (٢٠)* وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَّآبٍ (٢٥) ﴿

﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ ذَا الْقُوَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ، الْمُضْطَلَعُ بِأَعْبَاءِ النُّبُوَّةِ، وَقِيلَ: ذَا الْقُوَّةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ (١)، لِأَنَّهُ رَمَى بِحَجَرٍ مِنْ مِّقْلَاعِهِ صَدْرَ الرَّجُلِ فَأَنْفَذَهُ مِنْ ظَهْرِهِ فَأَصَابَ آخَرَ فَقَتَلَهُ، يُقَالُ: فُلَانٌ أَيْدٌ وَذُو أَيْدٍ وَذُو آدٍ، وَأَيَادُ كُلِّ شَيْءٍ: مَا يُتَّقَوَّى بِهِ ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ تَوَّابٌ رَجَّاعٌ عَنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ إِلَى مَا يُحِبُّ، وَقِيلَ: مُسَبِّحٌ مُطِيعٌ (٢).

(١) قاله مجاهد. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٨٣.

(٢) قاله ابن زيد والسدي. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٥٦٢.

﴿يُسَبِّحُنَ﴾ حَالٌ، وَأَخْتِيرَ عَلَى «مَسْبَحَاتٍ» وَإِنْ كَانَ فِي مَعْنَاهُ لِيَدُلَّ عَلَى حَدُوثِ التَّسْبِيحِ مِنَ الْجِبَالِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ. وَكَانَ دَاوُدُ إِذَا سَبَّحَ جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ بِالتَّسْبِيحِ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الطَّيْرُ فَسَبَّحَتْ، فَذَلِكَ حَشْرُهَا: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ ﴿لَهُ﴾ لِأَجْلِ دَاوُدَ، أَي: لِأَجْلِ تَسْبِيحِهِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُسَبِّحُ بِتَسْبِيحِهِ وَضَعُ «الْأَوَّابِ» مَوْضِعَ «الْمُسَبِّحِ» إِمَّا لِأَنَّهَا كَانَتْ تُرْجِعُ التَّسْبِيحَ، وَالْمُرْجِعُ: رَجَّاعٌ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى فِعْلِهِ رَجُوعًا بَعْدَ رَجُوعٍ، وَإِمَّا لِأَنَّ «الْأَوَّابِ» وَهُوَ أَلْتَوَّابَ يَكْثُرُ الرُّجُوعَ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَيُدِيمُ تَسْبِيحَهُ وَذِكْرَهُ، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي ﴿لَهُ﴾ «لِلَّهِ» أَي: كُلُّ مَنْ دَاوُدَ وَالْجِبَالِ وَالطَّيْرِ لِلَّهِ مُسَبِّحٌ يُرْجِعُ التَّسْبِيحَ ^(١).

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قَوَيْنَاهُ ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ وَهِيَ الزَّبُورُ وَعِلْمُ الشَّرَائِعِ، وَقِيلَ: كُلُّ كَلَامٍ وَافَقَ الْحَقَّ فَهُوَ حِكْمَةٌ ^(٢)، وَ﴿فَضْلَ الْخِطَابِ﴾ فَضْلٌ بِمَعْنَى: مَفْصُولٌ كـ «ضَرْبِ الْأَمِيرِ»، وَهُوَ الْكَلَامُ الْبَيِّنُ الْمُلَخَّصُ الَّذِي تَبَيَّنَتْهُ مَنْ يُخَاطَبُ بِهِ وَلَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ، أَوْ بِمَعْنَى: «فَاصِلٌ» كـ «صَوْمٍ» وَ«زُورٍ»، أَي: الْفَاصِلُ مِنَ الْخِطَابِ الَّذِي يَفْضُلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ، وَهُوَ كَلَامُهُ فِي الْقَضَايَا وَالْحُكُومَاتِ وَتَدَايِيرِ الْمُلْكِ. وَعَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ قَوْلُهُ: «الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِيِ وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ» ^(٣)، وَهُوَ مِنَ الْفَضْلِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: هُوَ قَوْلُهُ: «أَمَّا بَعْدَ».

﴿وَهَلْ أَتَكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ ظَاهِرُهُ الْاسْتِفْهَامُ، وَمَعْنَاهُ: الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْأَنْبَاءِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي حَقُّهَا أَنْ لَا تُخْفَى، وَالْخَصْمُ: الْخُصْمَاءُ، وَهُوَ يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ

(١) قاله الجبائي. راجع التبيان: ج ٨ ص ٥٥٠.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٨٠.

(٣) رواه عنه عليه السلام الزمخشري في الكشاف.

وَالْجَمْعِ كَالضَّيْفِ؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ، أَي: فَرِيقَانِ خَصِيمَانِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿هَٰذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾^(١)، وَأَنْتَصَبَ ﴿إِذْ﴾ بِمَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَهَلْ آتَاكَ نَبَأٌ تَحَاكُمُ الْخِصْمَ حِينَ ﴿تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ أَي: تَصَعَّدُوا سُورَهُ وَنَزَلُوا إِلَيْهِ، وَالسُّورُ: الْحَائِطُ الْمُرْتَفِعُ، وَنَظِيرُهُ: «تَسَنَّمَهُ» إِذَا عَلَا سَنَامَهُ، وَ«تَفَرَّعَهُ» إِذَا فَرَعَهُ.

﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذْ﴾ الْأُولَى، ﴿خِصْمَانِ﴾ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ أَي: نَحْنُ خِصْمَانِ ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أَي: وَلَا تَجُرْ، قَالَ:

أَلَا يَا لَقَوْمِي قَدْ أَشْطَّتْ عَوَاذِلِي^(٢)

﴿أَخِي﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿هَٰذَا﴾ أَوْ خَبَرٌ لـ ﴿إِنَّ﴾، وَالْمُرَادُ أَخُوَّةُ الدِّينِ أَوْ أَخُوَّةُ الصَّدَاقَةِ وَالْأَلْفَةِ وَالْخُلَاطَةِ ﴿أَكْفَلْنِيهَا﴾ وَمَلَكَئِهَا، وَحَقِيقَتُهُ: اجْعَلْنِي أَكْفَلُهَا كَمَا أَكْفَلُ مَا تَحْتَ يَدَيَّ ﴿وَعَزَّنِي﴾ أَي: غَلَبَنِي فِي مُخَاطَبَةِ الْحِجَاجِ وَالْجِدَالِ، أَوْ أَرَادَ: خَطَبْتُ الْمَرَأَةَ وَخَطَبَهَا هُوَ، فَخَاطَبْتَنِي خَطَابًا أَي: غَالَبْتَنِي فِي الْخُطْبَةِ فَغَلَبْتَنِي حَيْثُ زَوَّجَهَا دُونِي، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ «التَّعَجُّةُ» مُسْتَعَارَةً مِنَ الْمَرَأَةِ، كَمَا أَسْتَعِيرَ لَهَا «الشَّاةُ» فِي نَحْوِ قَوْلِهِ:

يَا شَاةَ مَا قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حُرْمَتُ عَلِيٍّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ^(٣)

﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ جَوَابُ قَسَمٍ مَحذُوفٍ، وَ«سُؤَالٌ» مَصْدَرٌ مضافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ، كَقَوْلِهِ: مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ، وَقَدْ ضَمَّنَ مَعْنَى الْإِضَافَةِ فَعُدِّي تَعْدِيَّتُهَا، كَأَنَّهُ قَالَ: «بِإِضَافَةِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ» عَلَى وَجْهِ السُّؤَالِ وَالطَّلَبِ. وَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ الْإِبْهَامُ، وَفِيهِ تَعَجُّبٌ مِنْ قِلَّتِهِمْ ﴿وَوَظَنَ دَاوُودُ﴾ لَمَّا كَانَ غَلَبَةُ الظَّنِّ كَالْعِلْمِ اسْتُعِيرَتْ

(١) الْحَجَّ: ١٩.

(٢) وَعَجَزَهُ: وَيَزْعُمْنَ أَنَّ أَوْدَى بِحَقِّي بَاطِلِي. وَالْبَيْتُ مَنْسُوبٌ لِلْأَحْوَصِ. انْظُرِ الْكَامِلَ لِلْمَبْرَدِ: ج ١ ص ١٠٩.

(٣) الْبَيْتُ لَعَنْتَرَةَ بْنِ شَدَّادٍ مِنْ مَعْلَقَتِهِ الْمَشْهُورَةِ انْظُرِ دِيوانَ عَنَتَرَةَ: ص ١٧.

لَهُ، أَي: وَعَلِمَ دَاوُدُ وَأَيَّقَنَ ﴿أَنَّمَا فَتْنُهُ﴾ أَي: اخْتَبَرْنَاهُ وَابْتَلَيْنَاهُ لَا مَحَالَةَ بِامْرَأَةِ أُورِيَا، قِيلَ: إِنَّ أَهْلَ زَمَانِ دَاوُدَ كَانُوا قَدْ أَعْتَادُوا أَنْ يَنْزَلَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَنْ امْرَأَتِهِ إِذَا أُعْجِبَتْهُ، فَاتَّفَقَ أَنَّ عَيْنَ دَاوُدَ وَقَعَتْ عَلَى امْرَأَةِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: أُورِيَا فَأَعْجَبَتْهُ، فَسَأَلَهُ النُّزُولَ لَهَا عَنْهَا، فَاسْتَحْيَا أَنْ يَرُدَّهَ فَفَعَلَ، فَتَزَوَّجَهَا، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ عَلَى^(١) أَرْتِفَاعِ مَنْزِلِكَ وَكَثْرَةِ نِسَائِكَ لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسْأَلَ رَجُلًا لَيْسَ لَهُ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ النُّزُولَ عَنْهَا^(٢). وَقِيلَ: خَطَبَهَا أُورِيَا ثُمَّ خَطَبَهَا دَاوُدُ فَاتَّرَهُ أَهْلُهَا^(٣).

وَرُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَنَّهُ قَالَ: «لَا أُوتَى بِرَجُلٍ يَزْعُمُ أَنَّ دَاوُدَ تَزَوَّجَ امْرَأَةً أُورِيَا إِلَّا جَلَدَتْهُ حَدَّيْنِ: حَدًّا لِلنَّبِوَّةِ وَحَدًّا لِلْإِسْلَامِ»^(٤).

وَرُوِيَ: أَنَّ التَّحَاكُمَ كَانَ بَيْنَ مَلَكَئِنِ^(٥)، وَقِيلَ: كَانَا مِنَ الْإِنْسِ، وَكَانَتِ الْخُصُومَةُ عَلَى الْحَقِيقَةِ بَيْنَهُمَا: إِمَّا كَانَا خَلِيطَيْنِ فِي الْغَنَمِ، وَإِمَّا كَانَ أَحَدُهُمَا مُوسِرًا وَلَهُ نِسْوَانٌ كَثِيرَةٌ مِنَ السَّرَارِيِّ وَالْمَهَائِرِ، وَالثَّانِي مُعْسِرًا مَالَهُ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ فَاسْتَنْزَلَهُ عَنْهَا^(٦)، وَإِنَّمَا فَزَعَ لِدُخُولِهِمَا عَلَيْهِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الْحُكُومَةِ أَنْ يَكُونَا مُغْتَالَيْنِ، وَإِنَّمَا عُوتِبَ عَلَى عَجَلَتِهِ فِي الْحُكْمِ قَبْلَ تَثَبُّتِ، وَكَانَ مِنْ حَقِّهِ حِينَ سَمِعَ الدَّعْوَى مِنْ أَحَدِهِمَا أَنْ يَسْأَلَ الْآخَرَ عِنْدَهُ فِيهَا. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: مَكَثَ سَاجِدًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَّا لَصَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، أَوْ لِحَاجَةٍ لَا بَدَّ مِنْهَا^(٧)، وَقَدْ يُعْبَرُ عَنِ السُّجُودِ بِالرُّكُوعِ.

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «مَعَ» بَدَلُ «عَلَى».

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٨٠.

(٣) حَكَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ص ٨١.

(٤) رَوَاهُ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ فِي التَّبْيَانِ: ج ٨ ص ٥٥٥، وَالْمَاوَرِدِيُّ الْبَصْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ٥ ص ٨٩ بِاخْتِلَافٍ فِيهِمَا.

(٥) وَهُوَ الْمَشْهُورُ بَيْنَ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ، وَفِي الْعَيُونِ: ج ١ ص ١٥٤ ح ١ عَنْ الرِّضَا عليه السلام.

(٦) حَكَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٨٨.

(٧) حَكَاهُ عَنْهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ١٠ ص ٥٧٤.

﴿يَدَاوُرُدُّ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٢٦) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ (٢٩) ﴿

أي: ﴿جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ مَمَّنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ: اسْتَخْلَفْنَاكَ عَلَى الْمُلْكِ فِي الْأَرْضِ ﴿بِمَا نَسُوا﴾ أي: بنسيانِهِمْ ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾، أَوْ: لَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبَبِ نَسْيَانِهِمْ، وَهُوَ ضَلَالُهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

﴿بَاطِلًا﴾ أي: خَلَقًا بَاطِلًا لَا لِعَرَضٍ صَحِيحٍ وَحِكْمَةٍ بِالْغَةِ، أَوْ: مَبْطُلِينَ عَابَثِينَ ذَوِي بَاطِلٍ، أَوْ وَضَعَ ﴿بَاطِلًا﴾ مَوْضِعَ «عَبَثًا»، كَمَا وَضَعَ «هَنِيئًا» مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ وَهُوَ صِفَةٌ، أي: وَمَا خَلَقْنَاهُمَا وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَبَثِ وَلَكِنِ لِلْحَقِّ الْمَبِينِ، وَهُوَ أَنَّا خَلَقْنَا نَفُوسًا أَوْ دَعْنَاهَا الْعَقْلَ وَالتَّمْيِيزَ، وَعَرَّضْنَا لِلْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ، بِالتَّكْلِيفِ، وَأَعَدَدْنَا لَهَا الْجَزَاءَ عَلَى حَسَبِ أَعْمَالِهَا ﴿ذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى خَلْقِهَا بَاطِلًا، وَالظَّنُّ بِمَعْنَى الْمَظْنُونِ، أي: خَلَقَهَا لِلْعَبَثِ لَا لِلْحِكْمَةِ، وَالْعَرَضُ الصَّحِيحُ مَظْنُونٌ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وَلَمَّا كَانَ إِنْكَارُهُمْ لِلْبَعْثِ مُؤَدِّيًا إِلَى أَنَّ خَلْقَهَا عَبَثٌ جُعِلُوا كَأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْجَزَاءَ هُوَ الَّذِي سَاقَ إِلَيْهِ الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ، فَمَنْ أَنْكَرَهُ فَقَدْ أَنْكَرَ الْحِكْمَةَ، وَمَنْ أَنْكَرَ الْحِكْمَةَ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ فَقَدْ أَظْهَرَ أَنَّهُ لَا يُقَدِّرُهُ حَقَّ قَدْرِهِ.

﴿أَمْ﴾ منقطعة، ومعنى الاستفهام فيها الإِنْكَارُ، والمعنى: أَنَّهُ لَوْ بَطُلَ الْجَزَاءُ

لَا سَتَوْتُ عِنْدَ اللَّهِ حَالُ الصَّالِحِ وَالطَّالِحِ، وَالْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ، وَمَنْ سَوَّى بَيْنَهُمْ
لَمْ يَكُنْ حَكِيمًا.

وَقُرِئَ: «لِتَدَّبَّرُوا»^(١) عَلَى الْخِطَابِ، وَتَدَبَّرُ الْآيَاتِ: التَّفَكَّرُ فِيهَا وَالِاتِّعَازُ
بِمَوَاعِظِهَا، وَالْمُبَارَكُ: الْكَثِيرُ النَّفْعِ وَالْخَيْرِ.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ
بِالْعِشِيِّ الصَّفِينَتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ
رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنُفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ
وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ
أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ
أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ
أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي
الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ
عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَّآبٍ (٤٠) ﴿

أَي: ﴿نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ هُوَ الْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ مَحْذُوفٌ، وَعَلَّلَ كَوْنَهُ مَمْدُوحًا
بِكَوْنِهِ أَوَّابًا رَّجَّاعًا إِلَى اللَّهِ عَزَّ أَسْمُهُ فِي أُمُورِهِ، أَوْ مُؤَوِّبًا مُرْجَّعًا لِتَسْبِيحِهِ وَتَقْدِيرِهِ
لَأَنَّ كُلَّ مُؤَوِّبٍ أَوَّابٌ، وَ﴿الصَّفِينَتُ﴾: الْخَيْلُ الْقَائِمَةُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ، الْوَاضِعَةُ
طَرَفَ السُّنْبِكِ الرَّابِعِ عَلَى الْأَرْضِ ﴿الْجِيَادُ﴾ السَّرِيعَةُ الْمَشْيِ، الْوَاسِعَةُ الْخَطْوِ، جَمَعَ
سُبْحَانَهُ بَيْنَ وَصْفَيْهَا الْمَحْمُودَيْنِ وَاقِفَةً وَجَارِيَةً، وَضَمَّنَ ﴿أَحْبَبْتُ﴾ مَعْنَى فَعَلَ مُتَعَدِّ
بِ«عَنْ»، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَتُبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي أَوْ: جَعَلْتُ حُبَّ الْخَيْرِ مَغْنِيًا

(١) وهي قراءة عاصم برواية أبي بكر عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٥٣.

عن ذِكْرِ رَبِّي، وَالْخَيْرُ: الْمَالُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾^(١) وَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾^(٢). وَالْمَالُ هُنَا: الْخَيْلُ الَّتِي شَغَلَتْهُ، وَسَمَّى الْخَيْلَ خَيْرًا كَأَنَّهَا نَفْسُ الْخَيْرِ لَتَعْلَقَ الْخَيْرَ بِهَا، كَقَوْلِهِ ﷺ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

وَقَالَ ﷺ فِي زَيْدِ الْخَيْلِ حِينَ وَقَدَ عَلَيْهِ وَأَسْلَمَ: «أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْرِ»^(٤).
 ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ الضَّمِيرُ لِلشَّمْسِ أَيْ: غَرَبَتْ، وَهُوَ مَجَازٌ عَنْ تَوَارِي الْمَلِكِ بِحِجَابِهِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَرُورُ ذِكْرِ «العشي»، وَلَا بُدَّ لِلْمَضْمَرِ مِنْ جَرِي ذِكْرِ أَوْ دَلِيلِ ذِكْرِ، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لـ ﴿الصَّفِينَتِ﴾ أَيْ: حَتَّى تَوَارَتْ بِحِجَابِ اللَّيْلِ يَعْنِي: الظَّلَامَ^(٥). ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ أَيْ: فَجَعَلَ يَمْسَحُ مَسْحًا، أَيْ: يَمْسَحُ بِالسَّيْفِ سُوقَهَا وَأَعْنَاقَهَا يَعْنِي: يُقَطِّعُهَا، يُقَالُ: مَسَحَ عِلَاوَتَهُ: إِذَا ضَرَبَ عُنْقَهُ، وَمَسَحَ الْمِسْفَرُ الْكِتَابَ إِذَا قَطَعَ أَطْرَافَهُ بِسَيْفِهِ، وَقِيلَ: مَسَحَهَا بِيَدِهِ أَسْتَحْسَنًا لَهَا وَإِعْجَابًا بِهَا ثُمَّ جَعَلَهَا مَسْبَلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٦)؛ وَالسُّوقُ: جَمْعُ السَّاقِ، كَأُسْدٍ فِي جَمْعِ الْأَسَدِ، وَاتَّصَلَ قَوْلُهُ: ﴿رُدُّوَهَا عَلَيَّ﴾ بِمَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: «قَالَ: رُدُّوَهَا عَلَيَّ»، فَأُضْمِرَ مَا هُوَ جَوَابٌ لَهُ، كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: فَمَاذَا قَالَ سُلَيْمَانُ؟ لِأَنَّهُ مَوْضِعٌ مُقْتَضٍ لِلسُّؤَالِ اقْتِضَاءً

(١) العاديات: ٨. (٢) البقرة: ١٨٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: ج ٢ ص ١٣ و ٢٨، ومالك في موطئه: ج ٢ ص ٤٦٧ بالاسناد عن ابن عمر.

(٤) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٩٢. وزيد هذا هو زيد بن مهلهل بن يزيد الطائي من الشعراء الفرسان المخضرمين قال فيه رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ: الْأَنَاةُ وَالْحِلْمُ» أَصَابَتْهُ الْحُمَى فَمَاتَ فِي أَثَرِهَا. أَنْظَرَ الْأَغَانِي لِأَبِي فَرَجِ الْإِصْفَهَانِي: ج ٦ ص ٤٦ وما بعده.

(٥) حكاه ابن عيسى كما في تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٩٣.

(٦) قاله ابن عباس. راجع التبيان: ج ٨ ص ٥٦١.

ظَاهِرًا، وَهُوَ اشْتَغَالُ نَبِيِّ اللَّهِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا حَتَّى تَفُوتَهُ الصَّلَاةُ عَنْ وَقْتِهَا. وَقِيلَ: إِنَّمَا ذَبَحَهَا تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِيَتَصَدَّقَ بِلَحُومِهَا^(١)، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرُدَّ الشَّمْسَ عَلَيْهِ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ، وَالْهَاءُ فِي ﴿رُدُّوَهَا﴾ لِلشَّمْسِ^(٢).
﴿فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ اخْتَبَرْنَاهُ وَشَدَدْنَا الْمِحْنَةَ عَلَيْهِ، وَأَخْتَلَفَ فِي الْجَسَدِ الَّذِي أُلْقِيَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، فَقِيلَ: إِنَّهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: لَا طُوفَنَ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا، يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً وَجَاءَتْ بِشَقٍّ وَلَدٍ، فَهُوَ الْجَسَدُ الَّذِي أُلْقِيَ عَلَى كُرْسِيِّهِ^(٣). وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا»^(٤)، ﴿ثُمَّ أَتَابَ﴾ إِلَى اللَّهِ وَفَزَعَ إِلَى الصَّلَاةِ وَالِدُعَاءِ عَلَى وَجْهِ الانْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَقِيلَ: إِنَّهُ وُلِدَ لَهُ ابْنٌ فَاسْتَرْضَعَهُ فِي الْمُزْنِ - وَهُوَ السَّحَابُ - إِشْفَاقًا عَلَيْهِ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ وُضِعَ عَلَى كُرْسِيِّهِ مَيِّتًا، تَنْبِيهًا لَهُ عَلَى أَنَّ الْحَذَرَ لَا يَنْفَعُ مِنَ الْقَدَرِ^(٥).

قَدَّمَ الْاسْتِغْفَارَ عَلَى اسْتِيهَابِ الْمُلِكِ جَزِيًّا عَلَى عَادَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي تَقْدِيمِ أَمْرِ الدِّينِ عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا ﴿مُلْكًا لَا يَنْبَغِي﴾ أَي: لَا يَتَكَوَّنُ وَلَا يَتَسَهَّلُ، وَمَعْنَى ﴿مِنْ بَعْدِي﴾: دُونِي، طَلَبَ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ مُلْكًا زَائِدًا عَلَى الْمَمَالِكِ، زِيَادَةً تَبْلُغُ حَدَّ الْإِعْجَازِ، لِيَكُونَ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ، فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ

(١) قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٩٢.

(٢) وَهُوَ قَوْلُ الْبَغَوِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ٤ ص ٦١.

(٣) قَالَ أَنَسٌ رَاجَعَ تَفْسِيرَ الْمَاورِدِيِّ: ج ٥ ص ٩٦.

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: ج ٣ ص ١٢٧٥ ح ١٦٥٤ وَمَا بَعْدَهُ، وَالنَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ: ج ٧ ص ٢٥ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا.

(٥) قَالَ الشَّعْبِيُّ كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْمَاورِدِيِّ: ج ٥ ص ٩٦.

بَعْدِي ﴿١﴾، وَقِيلَ: كَانَ مُلْكًا عَظِيمًا فَخَافَ أَنْ يُعْطَى غَيْرُهُ مِثْلَهُ فَلَا يُحَافِظُ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ فِيهِ، كَمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ (١) (٢).

﴿رُخَاءً﴾ أَي: لَيِّنَةً طَيِّبَةً لَا تُزْعِرُ (٣)، وَقِيلَ: مُطِيعَةٌ لَهُ (٤) ﴿تَجْرِي﴾ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ، وَقَوْلُهُ: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ مَعْنَاهُ: حَيْثُ قَصَدَ وَأَرَادَ. وَ﴿الشَّيَاطِينِ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿الرَّيحِ﴾، وَ﴿كُلَّ بَنَاءٍ﴾ بَدَلُ مِنْ ﴿الشَّيَاطِينِ﴾ ﴿وَأَخْرَيْنَ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿كُلَّ﴾ دَاخِلٌ فِي حُكْمِ الْبَدَلِ، وَهُوَ بَدَلُ الْكُلِّ مِنَ الْكُلِّ. كَانُوا يَبْنُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الرَّفِيعَةِ، وَيَغُصُّونَ لَهُ فِي الْبَحْرِ عَلَى اللَّالِئِ وَالْجَوَاهِرِ، فَيَسْتَخْرِجُونَ مَا شَاءَ مِنْهَا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَسْتَخْرَجَ الدُّرَّ مِنَ الْبَحْرِ، وَكَانَ يَقْرُنُ مُرْدَةَ الشَّيَاطِينِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ فِي الْقِيُودِ وَالْأَغْلَالِ، وَيَجْمَعُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ فِي سِلْسِلَةٍ يُؤَدِّبُهُمْ إِذَا تَمَرَّدُوا، وَالصَّفْدُ: الْقَيْدُ، وَسُمِّيَ بِهِ الْعَطَاءُ لِأَنَّهُ أُرْتَبِاطٌ لِلْمُنْعَمِ عَلَيْهِ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْفِعْلَيْنِ فَقَالُوا: صَفَدَهُ: قَيَّدَهُ، وَأَصْفَدَهُ: أَعْطَاهُ.

هَذَا الَّذِي أَعْطَيْنَاكَ مِنَ الْمُلْكِ وَالْبَسْطِ ﴿عَطَاؤُنَا... بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أَي: جَمًّا كَثِيرًا لَا يَقْدَرُ عَلَى حَسْبِهِ وَحَضْرِهِ، أَوْ: لَا يُحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا تُعْطَى وَتَمْنَعُ، ﴿فَإَمْنُنْ﴾ فَأَعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ مِنَ الْمَنَّةِ وَهِيَ الْعَطَاءُ ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ مُفَوَّضًا إِلَيْكَ التَّصَرُّفَ فِيهِ، أَوْ: فَاْمْنُنْ عَلَى مَنْ شِئْتَ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِالْإِطْلَاقِ وَأَمْسِكْ مَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ فِي الْوَثَاقِ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لَا حِسَابَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ. ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا﴾ النِّعْمَةَ الْبَاقِيَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ الزُّلْفَةُ وَالْقُرْبَى وَحُسْنُ الْمَآبِ.

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٩٥.

(٣) زَعَزَعَ الشَّيْءُ: إِذَا حَرَّكَه لِيَقْلَعَهُ. (لسان العرب: مادة زعع).

(٤) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٣٨٢.

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (٤١) ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (٤٢) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (٤٣) ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٤٤) ﴿

﴿أَيُّوبَ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ، و ﴿إِذْ﴾ بَدَلُ الْاِشْتِمَالِ مِنْهُ، ﴿أَنِّي﴾ أَي: بِأَنِّي ﴿مَسَّنِيَ﴾ حِكَايَةُ لِكَلَامِهِ الَّذِي نَادَاهُ بِسَبِيهِ، وَلَوْ لَمْ يَحْكُ لَقَالَ: بِأَنَّهُ مَسَّهُ، وَقُرِئَ: ﴿بِنُصْبٍ﴾ بَضْمُ الثُّونِ، وَبَفَتْحِ الثُّونِ وَالصَّادِ (١)، وَضَمِّهَا (٢)، وَالنُّصْبُ وَالنَّصْبُ: التَّعَبُ وَالْمَشَقَّةُ، كَالرُّشْدِ وَالرُّشْدِ، وَالنُّصْبُ: تَثْقِيلُ «نُصْبٌ»، وَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ يَرِيدُ مَرَضَهُ وَمَا كَانَ يُقَاسُ فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْوَصَبِ. وَقِيلَ: النَّصْبُ: الضَّرُّ فِي الْبَدَنِ، وَالْعَذَابُ: فِي ذَهَابِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ (٣)، وَإِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَى الشَّيْطَانِ لِمَا كَانَ يُوشِوُسُ بِهِ إِلَيْهِ مِنْ تَعْظِيمِ مَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَيُغْرِيه عَلَى الْجَزَعِ، فَالْتَجَأَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَنْ يَكْفِيَهُ ذَلِكَ بِكَشْفِ الْبَلَاءِ.

﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ عَلَى تَقْدِيرِ الْقَوْلِ، أَي: قُلْنَا لَهُ: ادْفَعْ بِرِجْلِكَ الْأَرْضَ هَذَا مَا تَغْتَسِلُ بِهِ (٤) وَتَشْرَبُ مِنْهُ فَيَبْرَأُ بَاطِنُكَ وَظَاهِرُكَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ تَبَعَتْ عَيْنَانِ فَاغْتَسَلَ مِنْ إِحْدَاهُمَا وَشَرَبَ مِنَ الْأُخْرَى، فَذَهَبَ الدَّاءُ مِنْ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ (٥). ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى﴾ مَفْعُولٌ لِهَمَّا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْهَبَةَ كَانَتْ لِلرَّحْمَةِ لَهُ وَلِتَذْكِيرِ أُولَى الْأَلْبَابِ، لِأَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا بِذَلِكَ رَغِبُوا فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ.

(١) قرأه عاصم الجحدري والسدي ويعقوب بن إسحاق. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٣٠.

(٢) أي: «بِنُصْبٍ» بضمّتين، وهي قراءة أبي جعفر المدني والحسن. راجع المصدر السابق.

(٣) قاله السدي. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ١٠١.

(٤) في نسخة: «هذا ماءٌ تغتسل به».

(٥) قاله الحسن البصري وقتادة. راجع التبيان: ج ٨ ص ٥٦٨.

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) ^(١)، وَذَلِكَ أَنَّهُ حَلَفَ عَلَى أَمْرَاتِهِ لِقَوْلٍ أَنْكَرَهُ مِنْهَا لَيْنٌ عُوْفِي لِيَضْرِبَنَّهَا مِائَةً جَلْدَةٍ، فَاضْرِبَهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً ﴿وَلَا تَحْنُثْ﴾ فِي يَمِينِكَ ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ﴾ عَلِمْنَاهُ ﴿صَابِرًا﴾ عَلَى الْبَلَاءِ الَّذِي أَبْتَلَيْنَاهُ بِهِ.

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّأَبٍ (٤٩) جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمْ أَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَصِرَاتُ الطَّرَفِ أَتْرَابُ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (٥٤)﴾

﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ لـ ﴿عِبَادِنَا﴾ وَمَنْ قَرَأَ «عِبْدَنَا» ^(٢) جَعَلَ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وَحْدَهُ عَطْفُ بَيَانٍ، وَعَطَفَ ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ عَلَى «عِبْدَنَا»، ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ أُولَى الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ وَالْفِكْرِ الْعِلْمِيَّةِ، كَانَ الَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ أَعْمَالَ الْآخِرَةِ وَلَا يَتَفَكَّرُونَ أَفْكَارَ ذَوِي الدِّيَانَاتِ فِي حُكْمِ الزَّمَنِ، الَّذِينَ لَا يَقْدُرُونَ عَلَى إِعْمَالِ جَوَارِحِهِمْ، وَالْمَسْلُوبِي الْعُقُولِ الَّذِينَ لَا أَسْتَبْصَارَ بِهِمْ، وَالْأَبْصَارُ: جَمْعُ الْبَصَرِ وَهُوَ الْعَقْلُ.

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ جَعَلْنَاهُمْ لَنَا خَالِصِينَ ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ بِخَصْلَةٍ خَالِصَةٍ لَا شَوْبَ

(١) الشماريخ: جمع الشمراخ وهو العُشْكُولُ والعُشْكَالُ: وهو ما عليه البُسر من عيدان الكِبَاسَةِ، وهو في النخل بمنزلة العنقود في العنب، (الصحاح: مادتي عشكل وشمرخ) وفي الفارسيّة: خوشه خرما.

(٢) قرأه ابن كثير. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٥٤.

فيها، ثم فسرها بـ ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ شهادةً لِذِكْرِ الدَّارِ بِالْخُلُوصِ وَالصَّفَاءِ، وَأَنَّ
الْكُدُورَةَ مَنْتَفِيَةٌ عَنْهَا. وَقُرئ: «بِخَالِصَةِ ذِكْرَى» عَلَى الْإِضَافَةِ^(١)، وَالْمَعْنَى: بِمَا
خُلِصَ مِنْ ذِكْرِ الدَّارِ، عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَشُوبُونَ ذِكْرَ الدَّارِ بِهِمْ آخِرًا، إِنَّمَا هُمُ
ذِكْرُ الدَّارِ لَا غَيْرَ، وَمَعْنَى ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾: ذِكْرُهُمُ الْآخِرَةَ دَائِمًا وَنَسْيَانُهُمْ إِلَيْهَا
ذِكْرُ الدُّنْيَا، أَوْ: تَذَكِيرُهُمُ الْآخِرَةَ وَتَرْغِيْبُهُمْ فِيهَا وَتَرْهِيْبُهُمْ فِي الدُّنْيَا كَمَا هُوَ شَأْنُ
الْأَنْبِيَاءِ، وَقِيلَ: ذِكْرَى الدَّارِ: الثَّنَاءُ الْجَمِيلُ فِي الدُّنْيَا، وَلِسَانُ الصِّدْقِ الَّذِي لَيْسَ
لِغَيْرِهِمْ^(٢) وَالْمَعْنَى: أَخْلَصْنَاهُمْ بِسَبَبِ هَذِهِ الْخَصْلَةِ وَبِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ:
أَخْلَصْنَاهُمْ بِتَوْفِيقِهِمْ لَهَا. ﴿لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ﴾ أَي: الْمُخْتَارِينَ مِنْ بَيْنِ أَبْنَاءِ جِنْسِهِمْ
﴿الْأَخْيَارِ﴾ جَمْعُ خَيْرٍ أَوْ خَيْرٍ عَلَى التَّخْفِيفِ، كَأَمْوَاتٍ فِي جَمْعِ «مَيِّتٍ» أَوْ «مَيِّتٍ».
﴿وَالْيَسَعَ﴾ كَانَ حَرْفُ التَّعْرِيفِ دَخَلَ عَلَى «يَسَعَ»، وَقُرئ: «وَاللَّيْسَعَ»^(٣)
كَانَ حَرْفُ التَّعْرِيفِ دَخَلَ عَلَى «الْيَسَعَ» فَيَعْلُ مِنْ «اللَّسَعَ»، وَالتَّنْوِينُ فِي ﴿وَكُلُّ﴾
عَوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَي: وَكُلُّهُمْ مِنَ الْأَخْيَارِ.

﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ أَي: نَوْعٌ مِنَ الذِّكْرِ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَلَمَّا أَجْرَى ذِكْرَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتَمَّهُ
قَالَ: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ كَمَا يُقَالُ: هَذَا بَابٌ، ثُمَّ ذَكَرَ عَقِيبَهُ الْجَنَّةَ وَأَهْلَهَا فَقَالَ: ﴿وَإِنَّ
لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أَي: حُسْنَ مُنْقَلَبٍ وَمَرْجِعٍ، وَلَمَّا أَتَمَّ ذِكْرَ الْجَنَّةِ وَأَرَادَ أَنْ
يُعَقِّبَهُ بِذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ قَالَ: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: هَذَا ذِكْرُ
جَمِيلٍ وَشَرَفٍ يُذَكَّرُونَ بِهِ أَبَدًا^(٤). وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَضَى مِنْ

(١) وهي قراءة نافع وحده. راجع المصدر السابق.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٩٩.

(٣) أي بلامين الأولى ساكنة والثانية مفتوحة مشددة مع إسكان الياء، قرأه حمزة والكسائي.

راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٤.

(٤) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١٠٠.

الأنبياء^(١). ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ معرفة كقوله: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ^(٢)، وهي عَطْفُ بَيَانٍ لـ ﴿حُسْنِ مَآبٍ﴾، و ﴿مُفْتَحَةٍ﴾ حَالٌ، والعاملُ فيها ما في ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ من معنى الفعل، وفي ﴿مُفْتَحَةٍ﴾ ضميرُ «الجنات»، و ﴿الْأَبْوَابُ﴾ بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ تَقْدِيرُهُ: مُفْتَحَةٌ هِيَ الْأَبْوَابُ كَقَوْلِهِمْ: ضَرَبَ زَيْدٌ الْيَدَ وَالرَّجْلَ، وَهُوَ مِنْ بَدَلِ الْإِسْتِمَالِ.

﴿أَثْرَابٌ﴾ جَمْعُ تَرَبٍّ، كَأَنَّهُنَّ سُمِّيْنَ أَثْرَابًا لِأَنَّ التُّرَابَ مَسْهُنٌ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا جُعِلْنَ عَلَى سَنٍّ وَاحِدَةٍ لِأَنَّ التَّحَابَّ بَيْنَ الْأَقْرَانِ أَثْبَتُ، وَقِيلَ: هُنَّ أَثْرَابٌ لِأَزْوَاجِهِنَّ أَسَانُهُنَّ كَأَسَانِهِمْ^(٣).

وَقُرِئَ: ﴿تَوْعَدُونَ﴾ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ^(٤) ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ لِأَجْلِ يَوْمِ الْحِسَابِ، كَمَا يَقَالُ: هَذَا مَا تَدَّخِرُونَهُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ، أَي: لِيَوْمٍ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الَّذِي ذَكَرْنَا ﴿لَرِزْقُنَا﴾ أَي: عَطَاؤُنَا الْجَارِي الْمَتَّصِلُ ﴿مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ أَي: فَنَاءٍ وَأَنْقِطَاعٍ.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلْطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ، أَزْوَاجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ

(١) حكاة عنه الزمخشري في الكشاف المتقدم.

(٢) مريم: ٦١.

(٣) قاله ابن عيسى. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ١٠٦.

(٤) وبالياء قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع التذكرة في القراءات: ج ٢ ص ٦٤٤.

الْأَبْصَرُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقُّ تَخَاصُمِ أَهْلِ النَّارِ (٦٤) قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٦٦) ﴿

أي: الأمرُ هذا، أو: هذا كما ذُكر إنَّ للذين طَغَوْا عَلَى اللَّهِ ﴿لَشَرٌّ مَّابٍ﴾، ﴿جَهَنَّمَ﴾ عَطْفٌ بَيَانٍ لَهُ ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ شَبَهَ مَا تَحْتَهُمْ مِنَ النَّارِ بِالْمِهَادِ الَّذِي يَفْتَرِشُهُ النَّائِمُ. أي: ﴿هَذَا﴾ حَمِيمٌ فَلْيَذُوقُوهُ، أو: الْعَذَابُ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: هُوَ ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾، أو: لِيَذُوقُوا هَذَا ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾^(١)، وَقُرِئَ: ﴿وَعَسَّاقٌ﴾ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ^(٢) حَيْثُ كَانَ، وَهُوَ مَا يَغْسِقُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ أَيْ: يَسِيلُ، يُقَالُ: غَسَقَتِ الْعَيْنُ إِذَا سَالَتْ دُمُوعُهَا، وَيُقَالُ: الْحَمِيمُ يَحْرِقُ بِحَرِّهِ وَالْغَسَّاقُ يَحْرِقُ بِبَرْدِهِ. «وَأُخْرُ»^(٣) أَيْ: وَمَذُوقَاتُ أُخْرٍ مِنْ شِكْلِ هَذَا الْمَذُوقِ، أَيْ: مِثْلُهُ فِي الْفَطَاعَةِ وَالشَّدَّةِ، ﴿أَزْوَاجٌ﴾ أَيْ: أَجْنَاسٌ، وَقُرِئَ: ﴿وَأُخْرُ﴾ أَيْ: وَعَذَابٌ آخَرٌ أَوْ مَذُوقٌ آخَرٌ، وَ﴿أَزْوَاجٌ﴾ صِفَةٌ لـ ﴿أُخْرٍ﴾ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَرْوبًا أَوْ صِفَةً لِلثَّلَاثَةِ وَهِيَ: ﴿حَمِيمٌ﴾ وَ﴿غَسَّاقٌ﴾ وَ﴿أُخْرُ﴾ مِنْ شَكْلِهِ. ﴿

﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ هَذَا جَمْعٌ كَثِيفٌ قَدْ أَقْتَحَمَ مَعَكُمْ النَّارَ، أَيْ: دَخَلَ النَّارَ فِي صُخْبَتِكُمْ، وَهُوَ حِكَايَةُ كَلَامِ الطَّاغِينَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ أَيْ: يَقُولُونَ هَذَا،

(١) النحل: ٥١.

(٢) وبالتخفيف قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٥٥.

(٣) الظاهر أنَّ المصنِّف هنا اعتمد على قراءات ضمِّ الهمزة من غير مدٍّ تبعاً للزمخشري في الكشف، وهي قراءة أبي عمرو وحده وفي رواية عن ابن كثير. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٥٥.

والمُرَادُ بالفَوْجِ: أَتْبَاعُهُمُ الَّذِينَ اقْتَحَمُوا مَعَهُمُ الضَّلَالَةَ، فَيَقْتَحِمُونَ مَعَهُمُ النَّارَ ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ دُعَاءٌ مِنْهُمْ عَلَى أَتْبَاعِهِمْ، أَي: لَا نَأْلُوا رَحْبًا وَسَعَةً ﴿إِنَّهُمْ﴾ لَا زُمُوا ﴿النَّارِ﴾ فَيَقُولُ الْأَتْبَاعُ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ﴾ لَا اتَّسَعَتْ لَكُمْ أَمَا كُنْكُمْ، أَنْتُمْ حَمَلْتُمُونَا عَلَى مَا أَوْجَبَ لَنَا النَّارَ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿قَدْ مُتْمِئُوهُ﴾ لِلْعَذَابِ، تَقُولُ لِمَنْ تَدْعُو لَهُ: مَرْحَبًا، أَي: أَتَيْتَ رَحْبًا مِنَ الْبِلَادِ لَا ضَيْقًا، أَوْ: رَحَبْتَ بِلَادَكَ رَحْبًا، ثُمَّ تَدْخُلُ عَلَيْهِ «لَا» فِي دُعَاءِ السُّوءِ، وَ﴿بِهِمْ﴾ بَيَانٌ لِلْمَدْعُوِّ عَلَيْهِمْ.

قَالَ الْأَتْبَاعُ أَيْضًا: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أَي: مُضَاعَفًا، وَمَعْنَاهُ: ذَا ضِعْفٍ، وَهُوَ أَنْ يَزِيدَ عَلَى عَذَابِهِ ضِعْفَهُ أَي: مِثْلَهُ فَيَصِيرُ ضِعْفَيْنِ كَقَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾^(١).

﴿لَا نَرَى رِجَالًا﴾ يَعْنُونَ فَقَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْبَهُ بِهِمْ ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ الَّذِينَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، وَلَا تَنْهَمُ كَانُوا عَلَى خِلَافِ دِينِهِمْ فَعَدُّوهُمْ أَشْرَارًا. وَعَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَعْنُونَكُمْ، لَا يَرَوْنَ وَاللَّهِ وَاحِدًا مِنْكُمْ فِي النَّارِ».

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قُرِئَ بِلَفْظِ الْإِخْبَارِ^(٢) عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لـ ﴿رِجَالًا﴾، وَبِهِمِزَةُ الِاسْتِفْهَامِ عَلَى أَنَّهُ إِنْكَارٌ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَتَأْنِيْبٌ لَهَا فِي الِاسْتِسْخَارِ مِنْهُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَتَّصَلَ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا لَنَا﴾ أَي: مَا لَنَا لَا نَرَاهُمْ فِي النَّارِ كَانْتَهُمْ لَيْسُوا فِيهَا، بَلْ أَزَاغَتْ عَنْهُمْ أَبْصَارُنَا فَلَا نَرَاهُمْ وَهُمْ فِيهَا، وَالثَّانِي: أَنْ يَتَّصَلَ بـ ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ وَيَكُونُ ﴿أَمْ﴾ مُتَّصِلَةً بِمَعْنَى: أَيُّ الْفِعْلَيْنِ فَعَلْنَا بِهِمْ: الِاسْتِسْخَارَ مِنْهُمْ أَمْ تَحْقِيرَهُمْ وَأَزْدِرَاءَهُمْ، وَأَنَّ أَبْصَارَنَا كَانَتْ تَحْتَقِرُهُمْ عَلَى مَعْنَى: إِنْكَارُ الْأَمْرَيْنِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، أَوْ مَنْقُطَةٌ بَعْدَ مَضِيِّ ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ

(١) الأحزاب: ٦٨.

(٢) قرأه أبو عمرو وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٥٦.

سُخْرِيًّا ﴿ عَلَى الْخَبْرِ أَوْ عَلَى الْاسْتِفْهَامِ، كَمَا يَقُولُ: إِنَّهَا الْإِبِلُ أَمْ شَاةٌ، وَ: أَزِيدُ عِنْدَكَ أَمْ عِنْدَكَ عَمْرُو. وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ تُقَدَّرَ هَمْزَةُ الْاسْتِفْهَامِ مَحذُوفَةً فَيَمْنُ قَرَأَ بِغَيْرِ الْهَمْزَةِ؛ لِأَنَّ «أَمْ» تَدُلُّ عَلَيْهَا، فَلَا تَفْتَرِقُ الْقِرَاءَتَانِ فِي الْمَعْنَى. ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الَّذِي حَكَيْنَا عَنْهُمْ ﴿لِحَقٍّ﴾ لَا بَدَّ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِهِ، ثُمَّ بَيَّنَّ بِقَوْلِهِ: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ شَبَّهُ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ مِنَ التَّقَاوُلِ بِمَا يَجْرِي بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ فَسَمَّاهُ تَخَاصُمًا.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴿

أي: هذا الذي أنبأْتُكُمْ بِهِ مِنْ كَوْنِي رَسُولًا وَأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ وَأَمْرُ الْقِيَامَةِ نَبَأٌ عَظِيمٌ لَا يُعْرِضُ عَنْ مِثْلِهِ إِلَّا غَافِلٌ شَدِيدُ الْغَفْلَةِ، وَقِيلَ: النَّبَأُ الْعَظِيمُ هُوَ الْقُرْآنُ (١).

﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ﴾ بكلام ﴿الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ وَقَتَ اخْتِصَامِهِمْ. و ﴿إِذْ قَالَ﴾ بَدَلُ
 مِنْ ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾. و ﴿الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ هُم أَصْحَابُ الْقِصَّةِ الْمَذْكُورَةِ بَعْدُ: عَنْ
 الْمَلَائِكَةِ وَآدَمَ وَإِبْلِيسَ، لَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي السَّمَاءِ وَكَانَ التَّقَاوُلُ بَيْنَهُمْ. قُرئُ:
 «إِنَّمَا» ^(١) بِالْكَسْرِ عَلَى الْحِكَايَةِ، أَي: مَا ﴿يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا﴾ هَذَا الْقَوْلُ، وَهُوَ أَنَّ أَقُولَ
 لَكُمْ: ﴿إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، وَقُرئُ: ﴿أَنَّمَا﴾ بِالْفَتْحِ أَي: لَأَنَّمَا، وَمَعْنَاهُ: مَا يُوحَى
 إِلَيَّ إِلَّا لِلإِنذَارِ، فَحَذَفَ اللَّامَ فَوَصَلَ الْفِعْلَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعَ الْمَوْضِعِ، أَي:
 مَا يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا هَذَا الْقَوْلُ، وَهُوَ أَنَّ أُنذِرَ وَأُبَلِّغَ وَلَا أَفَرِّطَ فِي ذَلِكَ.

﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لَمَّا تَوَلَّيْتُ خَلْقَهُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ
 لَمَّا كَانَ يُبَاشِرُ أَكْثَرَ أَعْمَالِهِ بِيَدِهِ غَلَبَ الْعَمَلُ بِالْيَدَيْنِ عَلَى سَائِرِ الْأَعْمَالِ الَّتِي بغيرِهَا
 حَتَّى قَالُوا فِي عَمَلِ الْقَلْبِ: هَذَا مِمَّا عَمَلْتُ يَدَاكَ، وَقَالُوا لِمَنْ لَا يَدَيْنِ لَهُ: «يَدَاكَ
 أَوْكُنَّا وَفُوكَ نَفَخَ» ^(٢)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِمَّا عَمَلْتُ أَيْدِينَا﴾ ^(٣) ﴿وَلَمَّا خَلَقْتُ
 بِيَدَيَّ﴾. وَقِيلَ: إِنَّ الْعَرَبَ تَطْلُقُ لَفْظَةَ «الْيَدَيْنِ» لِلْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ ^(٤)، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:
 تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْرَاءٍ مَا لَيْسَ لِي بِهِ وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ يَدَانِ ^(٥)

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أَوْ رَفَعْتَ نَفْسَكَ فَوْقَ قَدْرِهَا أَمْ كُنْتَ مِنَ الَّذِينَ عَلَتْ أَقْدَارُهُمْ
 عَنْ السُّجُودِ؟ ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ مِنَ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: مِنَ السَّمَوَاتِ ^(٦)، وَقِيلَ: مِنْ

(١) وهي قراءة أبي جعفر المدني. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٣١.

(٢) وأصله: أَنَّ رجلاً أَرَادَ أَنْ يعبُرَ بَحْراً عَلَى زَقٍّ قَدْ نَفَخَ فِيهِ فَلَمْ يَحْسُنْ إِحْكَامَهُ حَتَّى إِذَا تَوَسَّطَ
 الْبَحْرَ أَنْحَلَ وَكَأَوْهُ وَخَرَجَتْ مِنْهُ الرِّيحُ فغَرِقَ، فَاسْتَغَاثَ فَقِيلَ لَهُ ذَلِكَ، وَيُضْرَبُ لِمَنْ يَجْنِي
 عَلَى نَفْسِهِ. انظر مجمع الأمثال للميداني: ج ٢ ص ٣٧٨.

(٣) يس: ٧١.

(٤) وهو قول علي بن عاصم. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ١١١.

(٥) لعروة بن حزام. والبيت واضح المعنى، وفي النسخ: «زلفاء» والصحيح ما أثبتناه. راجع
 تفسير الماوردي: ج ٥ ص ١١١.

(٦) قاله الحسن البصري. راجع التبيان: ج ٨ ص ٥٨٤.

الخلقة التي أفتخزت بها فاسودَّ وأظلمَ بعد أن كان أبيض نورانياً^(١).
 وقرئ: ﴿فَالْحَقُّ﴾ بالرفع والنصب^(٢)، فالرفع على أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي: فأنا الحق، أو مبتدأ محذوف الخبر أي: فالحق قسَمي، والنصب على أنه مُقسَم به والتقدير: الحق لأملأنَّ، نحو: الله لأفعلنَّ ﴿الْحَقُّ أَقُولُ﴾ اعتراض بين المُقسَم به والمُقسَم عليه، والمراد بالحق: إمَّا اسمه جلَّ وعزَّ الذي في قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(٣) أو: الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله سبحانه بإقسامه به. ﴿مِنْكَ﴾ أي: من جنسك وهم الشياطين ﴿وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من ذرية آدم، والمعنى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ من المتبوعين والتابعين ﴿أَجْمَعِينَ﴾.
 ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تُعْطُونِيهِ ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من الذي يتصنعون ويتحلَّون بما ليسوا من أهله.
 وعن النبي ﷺ: «لِلْمُتَكَلِّفِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ: يُنَازِعُ مَنْ فَوْقَهُ، وَيَتَعَاطَى مَا لَا يُنَالُ، وَيَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُ»^(٤).
 وَمَا ﴿هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ للخلق أجمعين. ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ﴾ خبر صدقه وحققة حقه، ﴿بَعْدَ﴾ الموت، أو بعدَ ظهور أمر الدين وقُشُو الإسلام.



(١) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١٠٧.

(٢) وبالنصب قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٥٧. (٣) النور: ٢٥.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ج ٤ ص ١٥٧ ح ٤٦٤٧، والصدوق في الخصال: ص ١٢١ عن أبي عبد الله عليه السلام.

سُورَةُ الزُّمَرِ

مَكِّيَّةٌ ^(١) سوى آياتٍ، وهي خَمْسٌ وَسَبْعُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، اثْنَتَانِ بَصْرِيٌّ. فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ غَيْرَ الْكُوفِيِّ: ﴿مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ ^(٢) الثَّانِي و ﴿مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ ^(٣) و ﴿مِنْ هَادٍ﴾ ^(٤) الثَّانِي و ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٥) أَرْبَعَتُهُنَّ كُوفِيٌّ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الزُّمَرِ لَمْ يَقْطَعْ اللَّهُ رَجَاءَهُ، وَأَعْطَاهُ ثَوَابَ الْخَائِفِينَ» خَافُوا اللَّهَ ^(٦).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الزُّمَرِ أَعْطَاهُ اللَّهُ شَرَفَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَعَزَّهُ بِلا مَالٍ وَلَا عَشِيرَةٍ حَتَّى يَهَابَهُ مَنْ يَرَاهُ، وَحَرَّمَ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ» ^(٧) تَمَامُ الْخَبَرِ.

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٩ ص ٣: وَتَسْمَى أَيْضاً سُورَةُ الْغُرَفِ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَالْحَسَنَ، لَيْسَ فِيهَا نَاسِخٌ وَلَا مَنْسُوخٌ، عَدَدُ آيَاتِهَا خَمْسٌ وَسَبْعُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ، وَثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ شَامِيٍّ، وَسَبْعُونَ حِجَازِيٍّ وَبَصْرِيٍّ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ١١٠: مَكِّيَّةٌ إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ الْآيَةَ، وَتَسْمَى سُورَةُ الْغُرَفِ، وَهِيَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ آيَةً، وَقِيلَ: ثَنَتَانِ وَسَبْعُونَ آيَةً، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ سَبَأٍ.

(٣) الْآيَةُ: ١٤.

(٤) الْآيَةُ: ٣٦.

(٥) الْآيَةُ: ٣٩.

(٦) لَيْسَ فِي نَسْخَةٍ: «خَافُوا اللَّهَ».

(٧) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٣٩، وَزَادَ: «وَيَبْنِي لَهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ مَدِينَةٍ، فِي كُلِّ مَدِينَةٍ أَلْفَ قَصْرِ، فِي كُلِّ قَصْرٍ مِائَةُ حُورَاءٍ وَلَهُ مَعَ هَذَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ، وَعَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ وَعَيْنَانِ مَدَاهِمَتَانِ وَحُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ وَذَوَاتَا أَفْنَانٍ وَمَنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ
وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ
اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ (٣) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ
هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ
عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥) ﴿

﴿تَنْزِيلُ﴾ مُبْتَدَأٌ أَخْبَرَ عَنْهُ بِالظَّرْفِ، أَوْ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: هَذَا تَنْزِيلُ
الْكِتَابِ، وَالْجَارُ صَلَةٌ ﴿تَنْزِيلُ﴾ كَمَا تَقُولُ: نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَوْ غَيْرِ صَلَةٍ فَيَكُونُ
خَبَرًا بَعْدَ خَبَرٍ، أَوْ حَالًا مِنْ ﴿تَنْزِيلِ﴾ عُمِلَ فِيهَا مَعْنَى الْإِشَارَةِ.

﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ مِنَ الشِّرْكِ وَالرِّيَاءِ بِالتَّوْحِيدِ وَتَضْفِيَةِ السَّرِّ. ﴿الدِّينُ
الْخَالِصُ﴾ مَا لَا يَشُوبُهُ الرِّيَاءُ وَالسُّمْنَةُ، وَعَنْ قَتَادَةَ: هُوَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (١)،
وَقِيلَ: هُوَ الْإِعْتِقَادُ الْوَاجِبُ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ وَالثَّبُوتِ، وَالْعَمَلُ بِمَوْجِبِ الشَّرَائِعِ،
وَالْبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ دِينٍ سِوَاهَا (٢). ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ قَائِلِينَ:
﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ أَي: لِيُشْفَعُوا لَنَا إِلَيْهِ، وَ﴿زُلْفَى﴾ اسْمُ أَقِيمٍ مَقَامُ
الْمَصْدَرِ، وَخَبَرٌ ﴿الَّذِينَ﴾ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، وَالْمُرَادُ بِمَنْعِ الْهَدَايَةِ:

(١) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٦١١.

(٢) حكاه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٥.

منع اللطف تسجيلاً عليهم بأن لا لطف لهم، وأنهم في علم الله من الهالكين، ولم يرد به الهداية إلى الإيمان كقوله: ﴿أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ ^(١) وكذبهم قولهم: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بناتُ اللَّهِ، ولذلك عقبه بقوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: لو أراد اتّخاذ الولد لا مُتَنَعٍ ولم يَصِحَّ ولم يَتَأْتِ ذلك لكونه محالاً، إلا أن يصطفي من خلقه بعضهم ويُقَرِّبُهُمْ، كَمَا يَخْتَصُّ الرَّجُلُ وَلَدَهُ وَيُقَرِّبُهُ، ثم تنزّه نفسه عن اتّخاذ الولد بقوله: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تنزيهاً له عن ذلك.

ثم دَلَّ بخلق السماوات والأرض، وتكوين كل واحدٍ من المَلَوَيْنِ ^(٢) على الآخر، وتسخير النيران ^(٣) وجزيهما ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، وبثّ النَّاسَ على كثرتهم ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وخلق الأنعام على أنه واحد لا ثاني له في القدم، قهار لا يُعَالَبُ. والتَّكْوِيرُ: اللَّفُّ والليّ، يُقَالُ: كَارَ الْعِمَامَةَ على رأسِهِ وَكَوَّرَهَا، والمعنى: يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ، يُذْهِبُ هَذَا وَيُغْشِي مَكَانَهُ هَذَا، فكأنه لَفَّهُ عليه كَمَا يُلَفُّ اللَّبَاسُ على اللَّابِسِ، وقيل: معناه: أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُغَيِّبُ الْآخَرَ: إِذَا طَرَأَ عَلَيْهِ، فَشُبِّهَ بِشَيْءٍ ظَاهِرٍ لَفَّ عَلَيْهِ مَا غَيَّبَهُ عَنِ النَّظَرِ ^(٤).

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِينَ﴾ أَرْوَاحَ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦) إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ

(١) فصّلت: ١٧.

(٢) المَلَوَانِ: الليل والنهار، والواحد: مَلًى، مقصور. (الصحاح: مادة مَلًى).

(٣) النيران: الشمس والقمر.

(٤) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١١٣.

تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) * وَإِذَا مَسَّ
الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو
إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ، قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ
مِن أَصْحَابِ النَّارِ (٨) أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَآءِ الْأَلْبَابِ (٩) قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُم
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى
الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴿

أي: ﴿خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ﴾ آدم، وَخَلَقَ حَوَاءَ زَوْجَهُ مِنْ قَصِيرَاهُ، وَعَطَفَ بـ «ثُمَّ»
لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَبَايِنَةِ هَذِهِ الْآيَةِ - الَّتِي لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِمِثْلِهَا - لِلآيَةِ الْأُولَى الَّتِي هِيَ
إِيجَادُ الْخَلْقِ الْكَثِيرِ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فِي الْفَضْلِ وَالْمَزِيَّةِ، وَقِيلَ: أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ
ظَهْرِهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ خَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ حَوَاءَ (١) ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ﴾ أَي: قَضَى لَكُمْ وَقَسَمَ، لِأَنَّ
قَضَايَاهُ وَقِسَمَهُ مَوْصُوفَةٌ بِالنُّزُولِ مِنَ السَّمَاءِ حَيْثُ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ: كُلُّ
كَائِنٍ يَكُونُ، وَقِيلَ: لِأَنَّ الْحَيَوَانَ لَا يَعِيشُ إِلَّا بِالنَّبَاتِ، وَالنَّبَاتُ لَا يَنْبُتُ إِلَّا بِالْمَاءِ،
وَقَدْ أَنْزَلَ الْمَاءَ، فَكَانَتْهُ أَنْزَلَهَا (٢) ﴿ثُمَّ نَبِّئَ أَزْوَاجٍ﴾ ذَكَرًا وَأُنْثَى، مِنَ الْإِبْلِ وَمِنَ الْبَقَرِ
وَالضَّأْنِ وَالْمَعْزِ ﴿خَلَقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقِ﴾ حَيَوَانًا سَوِيًّا مِنْ بَعْدِ عِظَامٍ مَكْسُوءَةٍ لَحْمًا مِنْ
بَعْدِ عِظَامٍ عَارِيَةٍ، مِنْ بَعْدِ مُضْغٍ، مِنْ بَعْدِ عَلَقٍ، مِنْ بَعْدِ نُطْفٍ وَالظُّلُمَاتُ الثَّلَاثُ: ظُلْمَةُ
الْبَطْنِ وَالرَّحْمِ وَالْمَشِيمَةِ ﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي هَذِهِ أَفْعَالُهُ هُوَ ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ... فَأَنَّى

(١) حكاه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٧.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١١٤.

تُضَرَّفُونَ ﴿ فكيف يُغْدَلُ بِكُمْ عن عبادته إلى عبادة غيره ﴾ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ﴾ وعن إيمانكم، وأنتم المحتاجون إليه ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ به: رحمة لهم لأنه سبب هلاكهم ﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا ﴾ يَرْضَ الشُّكْرَ لَكُمْ لأنه سبب فوزكم وفلاحكم، وإنما كره كفركم ورضي شكركم لأجل نفعكم وصلاحكم، لا لمنفعة راجعة إليه، والهاء في ﴿ يَرْضَهُ ﴾ ضمير «الشُّكْر» الذي دلَّ عليه ﴿ إِنْ تَشْكُرُوا ﴾.

﴿ مُنِيباً إِلَيْهِ ﴾ راجعاً إليه وحده لا يرجو سواه ﴿ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ ﴾ أي: أعطاه، وأصله: جعله خائلاً مالٍ وخالٍ مالٍ، وهو أن يكون متعهداً له حُسن القيام به، أو: جعله يخولُ أي: يختال ويفتخر، ومنه المثل: «الغنيُّ طويلُ الذِّلِّ مَيَّاسٌ»^(١) ﴿ نَسِيَ ﴾ الضَّرَّ الَّذِي ﴿ كَانَ يَدْعُوا ﴾ الله إلى كشفه، وقيل معناه: نسي ربُّه الذي كان يتضرعُ إليه^(٢)، و ﴿ مَا ﴾ بمعنى «مَنْ»، كما في قوله: ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾^(٣)، وقرئ: ﴿ لِيُضِلَّ ﴾ بفتح الياء^(٤) وضمها، يعني: أن نتيجة جعله لله أنداداً ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله، والنتيجة قد يكون غرضاً في الفعل وقد يكون غير غرض، ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ أمرٌ في معنى الخبر، كقوله: «إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(٥) كأنه قيل له: إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان، فمن حَقِّكَ أن لا تؤمِّرَ به بعد ذلك، وتؤمِّرَ بتركه مبالغةً في خذلانه وتخليته وشأنه.

(١) أي صاحب المال والغنى لا يستطيع أن يكتم غناه عن الآخرين لأنه يظهر في جميع أفعاله وخصوصاً في مشيته. والميَّاس: المتبخر المختال في مشيته. راجع مجمع الأمثال للميداني: ج ١ ص ٣٦.

(٢) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١١٦.

(٣) الليل: ٣.

(٤) قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع العنوان في القراءات لابن خلف: ص ١٦٥.

(٥) أخرجه البغدادى في تاريخه: ج ١٢ ص ١٣٦، وابن كثير في البداية والنهاية: ج ١٢ ص ٥٤.

قُرئ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ﴾ بالتَّخْفِيفِ والهمزة للاستفهام^(١)، وبالتَّشْدِيدِ عَلَى إِدْخَالِ «أَمْ» عَلَى «مَنْ» والتَّقْدِيرُ: أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ كَغَيْرِهِ، ﴿مَنْ﴾ مبتدأ محذوف الخبر لدلالة الكلام عليه، وهو جَزِيٌّ ذَكَرَ الْكَافِرَ قَبْلَهُ، وَقَوْلُهُ بَعْدَهُ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَهَذَا أَفْضَلُ أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ؟ أَوْ: أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ أَفْضَلُ أَمْ مَنْ هُوَ كَافِرٌ^(٢)؟ ﴿آتَاءَ اللَّيْلِ﴾ سَاعَاتُهُ ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ يَسْجُدُ تَارَةً لِلصَّلَاةِ وَيَقُومُ أُخْرَى، يُرِيدُ صَلَاةَ اللَّيْلِ وَالْقُنُوتَ فِي الْوُثْرِ وَهُوَ دَعَاءُ الْمُصَلِّي قَائِمًا، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ»^(٣). وَأَرَادَ بِالَّذِينَ يَعْلَمُونَ: الْعَامِلِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ، كَأَنَّهُ جَعَلَ مَنْ لَا يَعْمَلُ بَعْلِمِهِ غَيْرَ عَالِمٍ، أَوْ يُرِيدُ: لَا يَسْتَوِي الْقَانِتُونَ وَغَيْرُهُمْ كَمَا لَا يَسْتَوِي الْعَالِمُونَ وَالْجَاهِلُونَ.

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نَحْنُ ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾، وَعَدُوْنَا ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَشِيعَتُنَا ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾»^(٤).

قَوْلُهُ: ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ يَتَعَلَّقُ بِ﴿أَحْسِنُوا﴾ لَا بِ﴿حَسَنَةً﴾، وَالْمَعْنَى: الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَلَهُمْ حَسَنَةٌ فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ دُخُولُ الْجَنَّةِ، أَيِ: حَسَنَةٌ لَا يُحَاطُ بِكُنْهَافِهَا، وَقِيلَ: يَتَعَلَّقُ بِ﴿حَسَنَةً﴾ أَيِ: لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ حَسَنَةٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَهِيَ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ وَالْمَدْحُ وَالصُّحَّةُ وَالْعَافِيَةُ وَالرِّزْقُ الْوَاسِعُ^(٥) ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾ مَعْنَاهُ: لَا عُذْرَ لِلْمُفَرِّطِينَ فِي الْإِحْسَانِ حَتَّى إِنْ أَعْتَلُّوا بِأَنَّهُمْ لَا يَتِمَكَّنُونَ مِنْهُ فِي أَوْطَانِهِمْ قِيلَ لَهُمْ: فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ، وَبِلَادُهُ كَثِيرَةٌ، فَتَحَوَّلُوا إِلَى بِلَادٍ أُخْرَى،

(١) قرأه ابن كثير ونافع وحمزة. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٦١.

(٢) حكاها الزجاج في معانيه: ج ٤ ص ٣٤٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: ج ١ ص ٥٢٠ ح ٧٥٦.

(٤) رواه في الكافي: ج ٨ ص ٧٣٥ ضمن ح ٦ باسناده عن أبي بصير.

(٥) قاله السدي ومقاتل. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٦٢٢.

وَأَقْتَدُوا بِالْأَنْبِيَاءِ وَخِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَهَاجَرَتِهِمْ إِلَى غَيْرِ بِلَادِهِمْ لِيَزْدَادُوا إِحْسَانًا إِلَى إِحْسَانِهِمْ ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ﴾ ثَوَابَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِمْ وَصَبْرِهِمْ عَلَى الشَّدَائِدِ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لِكَثْرَتِهِ لَا يُمْكِنُ عَدُّهُ وَحِسَابُهُ. وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: لَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ حِسَابُ الْحُسَابِ ^(١).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا نُشِرَتِ الدَّوَابُّ وَنُصِبَتِ الْمَوَازِينُ لَمْ يُنْصَبْ لِأَهْلِ الْبَلَاءِ مِيزَانٌ وَلَمْ يُنْشَرْ لَهُمْ دِيْوَانٌ» وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ^(٢).

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ. قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُ فَاتَّقُونِ (١٦) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٨) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)﴾

أي: ﴿أُمِرْتُ﴾ بِإِخْلَاصِ الدِّينِ لِلَّهِ ﴿وَأُمِرْتُ﴾ بِذَلِكَ ﴿لَأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١١٨.

(٢) رواه العياشي في تفسيره كما في مجمع البيان: ج ٨ ص ٤٩٢.

الْمُسْلِمِينَ ﴿ أَيْ: سَابِقَهُمْ وَمَقَدَّمَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْإِخْلَاصَ لَهُ السَّبَقَةُ فِي الدِّينِ، فَمَنْ أَخْلَصَ كَانَ سَابِقًا.

وكررَ في قوله: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ لِأَنَّ الْأَوَّلَ لِلإِخْبَارِ بِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالْعِبَادَةِ وَالْإِخْلَاصِ، وَالثَّانِي: لِلإِخْبَارِ بِأَنَّهُ يَخُصُّ اللَّهَ بِعِبَادَتِهِ مُخْلِصًا لَهُ دِينَهُ، وَلِذَلِكَ قَدَّمَ الْمَعْبُودَ عَلَى فِعْلِ الْعِبَادَةِ وَأَخَّرَهُ فِي الْأَوَّلِ، فَالْكَلَامُ أَوَّلًا فِي الْفِعْلِ نَفْسِهِ، وَثَانِيًا فِيمَنْ يَفْعَلُ الْفِعْلَ لِأَجْلِهِ، وَلِذَلِكَ رَتَّبَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾، ﴿قُلْ إِنْ﴾ الْكَامِلِينَ فِي الْخُسْرَانِ هُمْ ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بِأَنْ قَذَفُوهَا فِي الْجَحِيمِ ﴿و﴾ خَسِرُوا ﴿أَهْلِيهِمْ﴾ الَّذِينَ أَعَدُّوا لَهُمْ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ خُسْرَانَهُمْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ بِأَنْ صَدَّرَ الْجُمْلَةَ بِحَرْفِ التَّنْبِيهِ، وَوَسَّطَ الْفَصْلَ بَيْنَ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، وَعَرَّفَ الْخُسْرَانَ وَوَصَفَهُ بِالْمُبِينِ. ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ جَمْعُ ظِلَّةٍ وَهِيَ السُّتْرَةُ الْعَالِيَةُ أَيْ: أَطْبَاقٌ مِنَ النَّارِ ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ﴾ أَطْبَاقٌ وَهِيَ ﴿ظُلَلٌ﴾ لِلآخَرِينَ، لِأَنَّ النَّارَ أَدْرَاكٌ ﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي وُصِفَ مِنَ الْعَذَابِ ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ لِيَتَّقُوا عَذَابَهُ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ فَقَدْ أَلْزَمْتَكُمْ الْحُجَّةَ.

و ﴿الطَّاغُوتِ﴾ تُطْلَقُ عَلَى الشَّيْطَانِ وَالشَّيَاطِينِ لِكُونِهَا مَصْدَرًا، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْجَمْعُ، ﴿أَنْ يَعْْبُدُوهَا﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿الطَّاغُوتِ﴾ وَهُوَ بَدَلُ الْإِشْتِمَالِ، وَأَرَادَ بِعِبَادِهِ: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ وَأَنَابُوا لَا غَيْرُهُمْ، فَوَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، أَرَادَ: أَنَّهُمْ نَقَّادٌ فِي الدِّينِ، يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْأَحْسَنِ، وَيَدْخُلُ تَحْتَهُ الْمَذَاهِبُ وَأَخْتِيَارُ أَثْبَتِهَا وَأَقْوَاهَا.

التَّقْدِيرُ: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ﴾ هُ تَخْلُصُهُ مِنْ ﴿النَّارِ﴾ فَوَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْوَقْفَ عَلَى كَلِمَةِ ﴿الْعَذَابِ﴾ أَيْ: أَفَهُوَ

كَمْ نَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، ثُمَّ ابْتَدَأَ: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ﴾ (١). والمراد بكلمة «العذاب» قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية، ومعناه: أنك لا تقدر على إدخال الإسلام في قلوبهم قسراً. ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ أي: علالي، بعضها فوق بعض ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكّد، لأنّ قوله: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ في معنى: وعدهم الله ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (٢١) أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه فويل للقسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين (٢٢) الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشبهها مثاني تفسر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد (٢٣) أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون (٢٤) كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (٢٥)

﴿فَسَلَكَهُ﴾ أي: فأدخل ذلك الماء ﴿يَنْبِيعَ﴾ ينبع منها الماء ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ مثل العيون والأنهار والقنى ﴿زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي: صنوفه من البر والشعير والأرز ونحوها، وقيل: ألوانه من أخضر وأصفر وأبيض وأحمر (٢) ﴿ثُمَّ يَهِيَجُ﴾ أي: يجف ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ أي: رفاتاً متفتتاً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ لتذكيراً ﴿لِأُولَى﴾ العقول السليمة في معرفة الصانع المحدث للعالم.

(١) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٤ ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٢) قاله البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٧٥.

﴿أَفَمَنْ﴾ عَرَفَ اللَّهَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ اللَّطْفِ فَلَطَفَ بِهِ حَتَّى أَنْشَرَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَقَبِلَهُ كَمَنْ لَا لُطْفَ بِهِ، فَهُوَ حَرَجُ الصَّدْرِ قَاسِي الْقَلْبِ، وَنُورُ اللَّهِ لُطْفُهُ، وَهُوَ نَظِيرُ ﴿أَمَنْ هُوَ قَنِتٌ﴾ فِي حَذْفِ الْخَبَرِ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، أَي: مِنْ أَجْلِ ذِكْرِ اللَّهِ، أَي: إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَآيَاتُهُ عِنْدَهُمْ أَشْمَازُوا وَأَزْدَادَتْ قُلُوبُهُمْ قَسْوَةً.

﴿كِتَابًا﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ أَوْ حَالٌ مِنْهُ، ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ هُوَ مُطْلَقٌ فِي مُشَابَهَةِ بَعْضِهِ بَعْضًا، فَيَتَنَاوَلُ تَشَابُهُ مَعَانِيهِ فِي الصَّحَّةِ وَالْإِحْكَامِ وَمَنْفَعَةِ الْأَنَامِ، وَتَشَابُهُ أَلْفَظِهِ فِي التَّنَاسُبِ وَالتَّنَاصُفِ فِي التَّخْيِيرِ وَالْإِصَابَةِ وَتَجَارِبِ النَّظْمِ وَالتَّأْلِيفِ فِي الْإِعْجَازِ ﴿مَثَانِي﴾ جَمْعُ مَثْنَى، بِمَعْنَى الْمُرَدِّ وَالْمَكْرَرِ لِمَا تُتِي مِنْ قَصَصِهِ وَأَحْكَامِهِ وَمَوَاعِظِهِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ مَثْنَى فِي التَّلَاوَةِ فَلَا يُمَلُّ^(١)، كَمَا جَاءَ فِي وَصْفِهِ: «لَا يَتَفَهَّ وَلَا يَتَشَانُ»^(٢) «وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ»^(٣)، وَإِنَّمَا وَصَفَ الْوَاحِدَ بِالْجَمْعِ لِأَنَّ الْكِتَابَ جَمْلَةٌ ذَاتُ تَفَاصِيلَ، وَتَفَاصِيلُ الشَّيْءِ هِيَ جُمْلَتُهُ لَا غَيْرُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «الْمَثَانِي» مَنْصُوبًا عَلَى التَّمْيِيزِ مِنْ ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ كَمَا تَقُولُ: رَأَيْتُ رَجُلًا حَسَنًا شَمَائِلًا، وَالْمَعْنَى: مُتَشَابِهَةً مَثَانِيَةً، وَالْفَائِدَةُ فِي التَّكْرِيرِ وَالتَّشْبِيهِ أَنَّ النَّفْسَ تَنْفِرُ عَنِ النَّصِيحَةِ وَالْمَوَاعِظِ، فَمَا لَمْ يُكْرَرْ عَلَيْهَا عَوْدًا بَعْدَ بَدْءٍ لَمْ يَرَسَخْ فِيهَا ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ أَي: تَتَقَبَّضُ ﴿مِنْهُ﴾ جُلُودُهُمْ تَقْبُضًا شَدِيدًا، يُقَالُ: اقْشَعَرَ جُلْدُهُ مِنَ الْخَوْفِ: وَقَفَ شَعْرُهُ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ وَآيَاتِ الْوَعِيدِ فِيهِ أَصَابَتْهُمْ خَشْيَةٌ شَدِيدَةٌ، ثُمَّ إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ وَرَحْمَتَهُ وَسِعَةً مَغْفِرَتِهِ لَأَنَّ جُلُودَهُمْ، وَضَمَّنَ

(١) قاله ابن عيسى. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ١٢٣.

(٢) وهو من حديث ابن مسعود في وصف القرآن. راجع النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ١٩٢ مادة «تفه» أي: لا يصير حقيراً ولا ييبس فيغدو عديم الفائدة.

(٣) وهو من حديث أمير المؤمنين عليه السلام في وصف كتاب الله المروي في النهج: ص ٢١٩ خطبة (١٥٦) ضبط صبحي الصالح.

«لَا نَ» معنى فعل متعدٍّ بـ «إلى»، فكأنه قال: سَكَنْتُ أَوْ أَطَمَّانْتُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ، لِيَنَّةً غَيْرَ مُتَقَبُّضَةٍ، رَاجِيَةً غَيْرَ خَائِفَةٍ، وَأَقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ الرَّحْمَةِ، لِأَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، فَأَصْلُ أَمْرِهِ الرَّحْمَةُ وَالرَّأْفَةُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ - وَمَبْنَى أَمْرِهِ عَلَى الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ - اسْتَبَدُّوا بِالْخَشْيَةِ رَجَاءً فِي قُلُوبِهِمْ وَبِالْقَشَعْرِيرَةِ لِينًا فِي جُلُودِهِمْ ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الكتاب وهو ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ يَوْفُقُ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَخْشَوْا تِلْكَ الْخَشْيَةَ وَيَرْجُوا ذَلِكَ الرَّجَاءَ، أَوْ: ذَلِكَ الْكَائِنَ مِنَ الْخَشْيَةِ وَالرَّجَاءِ هُدَى اللَّهِ أَي: أَثَرُ هُدَاهُ وَهُوَ لُطْفُهُ، فَسَمَّاهُ: «هُدًى» لِأَنَّهُ حَاصِلُ الْهُدَى، يَهْدِي بِهَذَا الْأَثَرِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، يَعْنِي: مَنْ صَحِبَ أَوْلَيْكَ وَرَأَاهُمْ خَائِفِينَ وَرَاجِينَ أَقْتَدَى بِسِيرَتِهِمْ ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ أَي: مَنْ لَمْ يُؤَثِّرْ فِيهِ لُطْفُ اللَّهِ لِقِسْوَةِ قَلْبِهِ ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أَي: مُؤَثِّرٍ فِيهِ.

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ كَمَنْ أَمِنَ الْعَذَابَ، فَحُذِفَ الْخَبَرُ، يُقَالُ: اتَّقَاهُ بِتَرْسِهِ: اسْتَقْبَلَهُ فَوَقَى بِهَا نَفْسَهُ إِيَّاهُ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَقِيَ مَخُوفًا اسْتَقْبَلَهُ بِيَدِهِ وَطَلَبَ أَنْ يَبْقِيَ بِهَا وَجْهَهُ لِأَنَّهُ أَعَزُّ أَعْضَائِهِ عَلَيْهِ، وَالَّذِي يُلْقَى فِي النَّارِ مَغْلُولاَ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ لَا يَنْتَهِيَا لَهُ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ إِلَّا بِوَجْهِهِ الَّذِي كَانَ يَتَّقِيَ الْمَخَافَ بِغَيْرِهِ وَقَايَةً لَهُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْوَجْهِ الْجُمْلَةُ ^(١) ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ مِنَ الْجَهَةِ الَّتِي لَا يَحْتَسِبُونَ، وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِهِمْ أَنَّ الشَّرَّ يَأْتِيهِمْ مِنْهَا.

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا

(١) حكاة الزمخشري: في الكشف: ج ٤ ص ١٢٥.

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١) ﴿

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ كَمَا يُقَالُ: جَاءَنِي زَيْدٌ رَجُلًا صَالِحًا، أَوْ يَنْتَصِبُ عَلَى الْمَدْحِ ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أَي: مُسْتَقِيمًا بَرِيئًا مِنَ التَّنَاقُضِ وَالْاِخْتِلَافِ، وَالْعِوَجُ مَخْصُوصٌ بِالْمَعَانِي دُونَ الْأَعْيَانِ

أَي: رَجُلًا مَمْلُوكًا قَدْ اشْتَرَكَ فِيهِ شُرَكَاءُ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ وَتَنَازُعٌ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ عَبْدُهُ فَيَتَعَاوَرُونَ فِي خِدْمَتِهِمْ ﴿وَرَجُلًا﴾ آخَرَ قَدْ سَلِمَ لِمَالِكٍ وَاحِدٍ وَخَلَصَ لَهُ، فَهُوَ مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُ، فَهَمُّهُ وَاحِدٌ: أَيُّ هَذَيْنِ الْعَبْدَيْنِ أَحْسَنُ حَالًا وَأَصْلَحُ أَمْرًا. وَالْمَرَادُ بِذَلِكَ تَمَثِيلُ حَالٍ مَنْ يُثْبِتُ آلِهَةً شَتَّى، وَمَا يُلْزِمُهُ عَلَى قَضِيَّةٍ مَذْهَبِهِ مَنْ أَنْ يَدَّعِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عِبُودِيَّتَهُ وَيَتَشَاكُسُوا فِي ذَلِكَ وَيَتَغَالَبُوا، وَيَبْقَى هُوَ مُتَحِيرًا ضَائِعًا لَا يَدْرِي أَيُّهُمْ يَعْبُدُ وَعَلَى أَيُّهُمْ يَعْتَمِدُ، وَحَالٍ مَنْ لَمْ يُثْبِتْ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا فَهُوَ قَائِمٌ بِمَا كَلَّفَهُ، عَارِفٌ بِمَا أَرْضَاهُ وَأَسْخَطَهُ، وَ﴿فِيهِ﴾ تَعَلَّقَ بـ ﴿شُرَكَاءَ﴾، كَأَنَّهُ قَالَ: اشْتَرَكُوا فِيهِ، وَالتَّشَاكُسُ وَالتَّشَاخُصُ: الْاِخْتِلَافُ، يُقَالُ: تَشَاكَسَتْ أَحْوَالُهُ وَتَشَاخَسَتْ أَسْنَانُهُ، وَالسَّالِمُ: الْخَالِصُ، وَقُرِئَ: ﴿سَلَمًا﴾ وَ«سِلْمًا»^(١) وَهُمَا مَصْدَرَانِ، يُقَالُ: سَلِمَ سَلَمًا وَسَلَمًا وَسَلَامَةً، وَالْمَعْنَى: ذَا سَلَامَةٍ لِرَجُلٍ، أَي: ذَا خُلُوصٍ لَهُ مِنَ الشَّرَكَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ: سَلِمَتْ لَهُ الضَّيْعَةُ.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أَي: صِفَةً مَنْصُوبَةً عَلَى التَّمْيِيزِ، وَالْمَعْنَى: هَلْ يَسْتَوِي صِفَتَاهُمَا وَحَالَاهُمَا ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أَي: يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْحَمْدُ مُوجَّهًا إِلَى اللَّهِ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ وَخُدَّةٌ دُونَ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فَيَشْرَكُونَ بِهِ غَيْرَهُ.

(١) وهي قراءة ابن كثير والبصريان (أبي عمرو ويعقوب) راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٤٧.

أَي: إِنَّكَ وَإِيَّاهُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ أَحْيَاءَ فَأَنْتُمْ فِي عَدَادِ الْمَوْتَى، لِأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ فَكَأَنَّ قَدْ كَانَ. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أَي: إِنَّكَ وَإِيَّاهُمْ، فَعَلَّبَ ضَمِيرَ الْمَخَاطَبِ عَلَى ضَمِيرِ الْغَيْبِ ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ فَتَحْتَجُّ أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ فَكَذَّبُوا.

وعن عبد الله بن عمر: لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِينَا وَفِي أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقُلْنَا: كَيْفَ نَخْتَصِمُ وَنَبَيُّنَا وَاحِدٌ وَكِتَابُنَا وَاحِدٌ، حَتَّى رَأَيْتُ بَعْضَنَا يَضْرِبُ وَجْهَهُ بِعُضِّ السَّيْفِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهَا فِينَا نَزَلَتْ (١).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥) أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٧) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ، قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ أَغْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ فَسُوفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٤٠)﴾

﴿كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بِزَعْمِهِ أَنَّ لَهُ وَلَدًا وَشَرِيكًا ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ وَ (٢)

(١) رواه الحاكم في المستدرک: ج ٤ ص ٥٧٢.

(٢) ليس في نسخة: الواو.

بِالْقُرْآنِ وَالتَّوْحِيدِ، ثُمَّ هَدَّدَ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ بِأَنَّ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَاهُ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ.
 ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ وَصَدَّقَ بِهِ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ بِالْحَقِّ وَأَمَّنَ بِهِ وَأَرَادَ
 بِهِ إِيَّاهُ وَمَنْ تَبِعَهُ، كَمَا أَرَادَ بِمُوسَى إِيَّاهُ وَمَنْ تَبِعَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
 الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١) وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، إِلَّا أَنَّ هَذَا فِي
 الصِّفَةِ وَذَاكَ فِي الْأَسْمِ وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ الْفَرِيقَ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ، وَهُمْ
 الرَّسُولُ وَالَّذِينَ صَدَّقُوا بِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿أَسْوَءَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ هُوَ الشُّرْكُ وَالْمَعَاصِي الَّتِي عَمِلُوهَا قَبْلَ إِيْمَانِهِمْ،
 وَ﴿أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هُوَ الْمَفْرُوضُ وَالْمَنْدُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّ
 الْمُبَاحَ يُوصَفُ بِالْحُسْنِ أَيْضًا.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَقُرِئَ: «عِبَادَهُ»^(٢) وَهُمْ
 الْأَنْبِيَاءُ. وَقُرِئَ: ﴿كَشِفْتُ ضُرَّهُ﴾ وَ﴿مُمْسِكْتُ رَحْمَتِي﴾ بِالتَّنْوِينِ^(٣) عَلَى
 الْأَصْلِ، وَبِالْإِضَافَةِ عَلَى التَّخْفِيفِ، وَأَنْتَهَنَ بَعْدَ التَّذْكِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ
 بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ لِيُضَعِّفَهُنَّ وَيُعْجِزَهُنَّ، زِيَادَةً تَضْعِيفٍ وَتَعْجِيزٍ عَمَّ طَالِبُهُمْ بِهِ مِنْ
 كَشْفِ الضَّرِّ وَإِمْسَاكِ الرَّحْمَةِ، لِأَنَّ الْأُنُوثَةَ مِنْ بَابِ اللَّيْنِ وَالرَّخَاوَةِ، كَمَا أَنَّ الذُّكُورَةَ
 مِنْ بَابِ الشَّدَةِ وَالصَّلَابَةِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: الْإِنَاثُ اللَّاتِي هُنَّ اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَمَنَاةُ
 أَضْعَفُ مِمَّا تَدْعُوْنَهُ لَهُنَّ وَأَعْجَزُ.

﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ عَلَى حَالَتِكُمْ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا وَجِهَتِكُمْ مِنَ الْعِدَاوَةِ
 الَّتِي تَمَكَّنْتُمْ مِنْهَا، وَالْمَكَانَةُ بِمَعْنَى الْمَكَانِ، فَاسْتُعِيرَتْ عَنِ الْعَيْنِ لِلْمَعْنَى كَمَا

(١) المؤمنون: ٤٩.

(٢) قرأه حمزة والكسائي. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٤٨.

(٣) قرأه أبو عمرو وعاصم برواية أبي بكر عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٦٢.

يُسْتَعَارُ: «هنا» و «حيث» للزمان وهما للمكان، وحق الكلام: فإنني عامل على مكاني، فحذف للاختصار. و ﴿يُخْزِيهِ﴾ صفة لـ ﴿عَذَاب﴾ أي: عذابٌ مخزٍ له، وهو يومٌ بذرٍ ﴿وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائمٌ يوم القيامة.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٤١) اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَخُذَتْ أَسْمَازَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ، إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥)﴾

﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾ لجميع الناس ولأجل حاجتهم إليه.

﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ بأنَّ يَسْلُبُهَا مَا هِيَ بِهِ حَيَّةٌ حَسَّاسَةٌ دَرَّاکَةٌ مِنْ صِحَّةِ أَجْزَائِهَا وَسَلَامَتِهَا ﴿و﴾ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ ﴿الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: يَتَوَقَّاهَا حِينَ تَنَامُ تَشْبِيهًا لِلنَّائِمِينَ بِالْمَوْتِ حَيْثُ لَا يُمَيِّزُونَ وَلَا يَتَصَرَّفُونَ، كَمَا أَنَّ الْمَوْتَ كَذَلِكَ ﴿فَيُمْسِكُ﴾ الْأَنْفُسَ ﴿الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ الحقيقي، أي: لَا يَرُدُّهَا فِي وَقْتِهَا حَيَّةً ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ النَّائِمَةَ ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إِلَىٰ وَقْتِ ضَرْبِهِ وَسَمَاءِ لِمَوْتِهَا.

﴿أَمْ﴾ منقطعة، أي: بَلِ اتَّخَذَ قُرَيْشٌ، وَالْهَمْزَةُ لِلإِنْكَارِ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ مَنْ دُونِ إِذْنِهِ حَيْثُ قَالُوا: ﴿هُوَ لَا يَشْفَعُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ^(١) وَلَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ

﴿أُولُو كَانُوا﴾ معناه: أَيَشْفَعُونَ وَلَوْ كَانُوا ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ وَلَا عَقْلَ لَهُمْ؟! ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ فَلَا يَمْلِكُهَا أَحَدٌ إِلَّا بِتَمْلِيكِهِ.

﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ يَدُورُ الْمَعْنَى عَلَى «وَحْدَهُ» وَالْمَعْنَى: إِذَا أَفْرَدَ اللَّهُ عَزَّ أَسْمُهُ بِالذِّكْرِ وَوَحَّدَ أَشْمَازُوهَا، أَي: نَفَرُوا وَتَقَبَّضُوا، وَإِذَا ذَكَرَ مَعَهُ آلِهَتُهُمْ اسْتَبَشَرُوا، فَقَابَلَ الْأَشْمِيزَازَ وَهُوَ أَنْ يَمْتَلِي الْقَلْبُ غَمًّا وَغَيْظًا حَتَّى يَظْهَرَ الانْقِبَاضُ فِي الْوَجْهِ بِالِاسْتَبْشَارِ وَهُوَ أَنْ يَمْتَلِي الْقَلْبُ سُرُورًا حَتَّى تَبْسِطَ لَهُ بَشَرَةَ الْوَجْهِ، وَالْعَامِلُ فِي ﴿إِذَا ذَكَرَ﴾ الْمَفَاجَأَةُ، وَتَقْدِيرُهُ: وَقْتُ ذِكْرِ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ فَاجَوْوْا وَقْتُ الْاسْتَبْشَارِ. ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٦) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَالٌ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨) فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١) ﴿

أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُحَاكِمَهُمْ إِلَيْهِ لِفَعْلٍ بِهِمْ مَا يَسْتَحَقُّونَهُ، فَقَالَ لَهُ: ادْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ، أَي: أَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْحُكْمِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، وَفِيهِ بَشَارَةٌ لَهُ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرُهُ بِهِ لِلْإِجَابَةِ لَا مَحَالَ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: إِنِّي لَأَعْرِفُ مَوْضِعَ آيَةٍ لَمْ يَقْرَأَهَا أَحَدٌ قَطَّ فَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ وَقَرَأَ الْآيَةَ (١).

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَخْتَسِبُونَ﴾ وَعِيدٌ لَا يُحَاطُ بِكُنْهِهِ، وَنَظِيرُهُ فِي الْوَعْدِ قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(١).

وعن مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنَّهُ جَزِعَ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: أَخْشَى آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَتَلَّهَا، ثُمَّ قَالَ: أَخْشَى أَنْ يَبْدُو لِي مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ أُحْتَسِبْ.

وعن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ قَرَأَهَا فَقَالَ: وَيْلٌ لِأَهْلِ الرِّيَاءِ، وَيْلٌ لِأَهْلِ الرِّيَاءِ^(٢).

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ﴾ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَسَبُوهَا، أَوْ: سَيِّئَاتُ كَسِبِهِمْ حِينَ تُعْرَضُ صَحَائِفُهُمْ وَكَانَتْ خَافِيَةً عَلَيْهِمْ كَقَوْلِهِ: ﴿أَخْصَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾^(٣)، أَوْ: جَزَاءُ سَيِّئَاتِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ سَمَّاها سَيِّئَاتٍ كَمَا قَالَ: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِثْلُهَا﴾^(٤)، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أَحَاطَ بِهِمْ وَنَزَلَ بِهِمْ جَزَاءُ اسْتِهْزَائِهِمْ، يُقَالُ: حَوَّلَهُ شَيْئًا إِذَا أَعْطَاهُ عَلَى غَيْرِ جَزَاءٍ.

قَالَ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ أَي: عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِأَنِّي أُعْطِيَتْهُ لِمَا فِيَّ مِنَ الْفَضْلِ وَالِاسْتِحْقَاقِ، أَوْ: عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ بِاسْتِحْقَاقِي فَلِذَلِكَ آتَانِي مَا آتَانِي، أَوْ: عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْكَسْبِ كَمَا قَالَ قَارُونُ: ﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(٥) وَذَكَرَ الضَّمِيرَ الْعَائِدَ إِلَى ﴿نِعْمَةٍ﴾ فِي ﴿أُوتِيَتْهُ﴾ لِأَنَّهُ أَرَادَ شَيْئًا مِنَ النِّعَةِ أَوْ قِسْمًا مِنْهَا، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ «مَا» فِي ﴿إِنَّمَا﴾ مَوْصُولَةً لَا كَافَّةً، فَيَرْجِعُ الضَّمِيرُ إِلَيْهِ ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ إِنكَارٌ لِذَلِكَ الْقَوْلِ، أَي: لَيْسَ كَمَا تَقُولُ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ أَي: ابْتِلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ لَهُ أَیَشْكُرُ أَمْ يَكْفُرُ؛ ذَكَرَ الضَّمِيرَ أَوَّلًا عَلَى الْمَعْنَى، وَأَنْتَ هُنَا عَلَى اللَّفْظِ، أَوْ: لِأَنَّ الْخَبَرَ مُؤَنَّثٌ.

(٢) أنظر الكشف: ج ٤ ص ١٣٣.

(٤) الشورى: ٤٠.

(١) السجدة: ١٧.

(٣) المجادلة: ٦.

(٥) القصص: ٧٨.

والضَّمِيرُ فِي ﴿قَالَهَا﴾ رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ لَأَنَّهَا كَلِمَةٌ أَوْ جُمْلَةٌ مِنَ الْقَوْلِ، وَ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هُم قَارُونَ وَقَوْمُهُ حَيْثُ قَالَ: أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي وَقَوْمُهُ رَاضُونَ بِهَا، فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا هَا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِيمَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ قَوْمٌ قَائِلُونَ مِثْلَهَا فَصَارَتْ وَبَالًا عَلَيْهِمْ وَأَصَابَهُمْ جَزَاءُ سَيِّئَاتِهِمْ.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢) قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْشَرْتَنِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَ تَكَءَايُسِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) .

﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لِلتَّائِبِ، فَإِنْ مَاتَ الْمُوَحِّدُ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ فَهُوَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بِعَدْلِهِ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ بِفَضْلِهِ كَمَا قَالَ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١). ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ ارْجِعُوا إِلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ أَي: انْقَادُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَقِيلَ: اجْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ خَالِصَةً لَهُ^(٢). ﴿أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ هُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْمَأْمُورَ بِهِ وَيَتْرَكَ الْمَنْهَى عَنْهُ.

(٢) قاله البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٨٥.

(١) النساء: ٤٨ و ١١٦.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ أي: كراهة أن تقول نفس، وإنما نكرت لأن المراد بها بعض الأنفس، وهي نفس الكافر أو نفس متميزة من الأنفس. وقرأ: «يَا حَسْرَتَايَ»^(١) على الجمع بين العوض والمعوّض عنه، والجنب: الجانب، قالوا: فرطت في جنبه وفي جانبه أي: في حقه، قال:

أَمَا تَتَقِينَ اللَّهَ فِي جَنْبٍ وَامٍ لَّهُ كَيْدٌ حَرَىٰ عَلَيْكَ تَقَطُّعُ^(٢)

وهذا من باب الكناية، لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل فقد أثبتته فيه، قالوا: لمكانك فعلت كذا، أو: من جهتك فعلت، أي: لأجلك، فالتقدير: فرطت في ذات الله، ولا بد من تقدير مضاف محذوف، سواء قيل: «في جنب الله» أو «في الله» فإن المعنى: فرطت في طاعة الله وعبادة الله ونحوهما، و«ما» في ﴿مَا فَرَطْتُ﴾ مصدرية، ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ «إن» مخففة من الثقيلة، قال قتادة: لم يكفه أن ضيع في طاعة الله حتى سخر من أهلها^(٣) والجملة في موضع الحال، فكأنه قال: فرطت وأنا ساخر، أي: فرطت في حال سُخْرِيَّتِي.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ إنما يقول هذا تحيراً في أمره وتعللاً بما لا يجدي عليه، كما حكى الله تعالى عنهم تعللهم بإغواء الرؤساء والشياطين، وقوله: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ ثُكَّاءُيْتِي﴾ ردُّ عليه من الله عزَّ اسمه، والمعنى: بلى قد هديت بالقرآن فكذبته به وأستكبرت عن قبوله وكفرت به، وإنما صحَّ وقوع «بلى» جواباً عن غير المنفي لأن معنى قوله: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ ما هديت. ﴿كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ وصفوه بما لا يجوز عليه، فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا﴾

(١) وهي قراءة أبي جعفر. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٣١.

(٢) لجميل بثينة. من قصيدة يستعطف بها صاحبته. راجع ديوان جميل: ص ٥٢.

(٣) حكاها عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١٣٨.

عِنْدَ اللَّهِ»^(١) و ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾^(٢) وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَذَا، وَلَا يَبْعُدُ عَنْهُمْ مَنْ يَنْسِبُ فِعْلَ الْقَبَائِحِ إِلَى اللَّهِ وَيُثَبِّتُ مَعَهُ قَدَمَاءَ.

وعن الباقر عليه السلام: كُلُّ إِمَامٍ أَنْتَحَلَ إِمَامَةً لَيْسَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ، قِيلَ: وَإِنْ كَانَ عَلَوِيًّا فَاطْمِيًّا؟ قَالَ: وَإِنْ كَانَ^(٣).

وعن الصادق عليه السلام: مَنْ حَدَّثَ عَنَّا بِحَدِيثٍ فَنَحْنُ سَائِلُوهُ عَنْهُ يَوْمًا، فَإِنْ صَدَقَ عَلَيْنَا فَإِنَّمَا يَصْدَقُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ، وَإِنْ كَذَبَ عَلَيْنَا فَإِنَّمَا يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ، لَأَنَّا إِذَا حَدَّثْنَا لَا نَقُولُ: قَالَ فُلَانٌ وَقَالَ فُلَانٌ، وَإِنَّمَا نَقُولُ: قَالَ اللَّهُ وَقَالَ رَسُولُهُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ^(٤).

﴿وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ في موضع الحالِ إِنْ كَانَ ﴿تَرَى﴾ مِنْ رُؤْيَةِ الْبَصَرِ، وَمَفْعُولٌ ثَانٍ إِنْ كَانَ مِنْ رُؤْيَةِ الْقَلْبِ.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦١) اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾

(٢) الزخرف: ٢٠.

(١) يونس: ١٨.

(٣) رواه الصدوق في ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٢٥٤ ح ١، والكليني في الكافي:

ج ١ ص ٣٧٢ ح ١ عن سورة بن كليب.

(٤) رواه العياشي في تفسيره كما في البرهان: ج ٤ ص ٨٢.

وَقُرِئَ: «بِمَفَازَاتِهِمْ» عَلَى الْجَمْعِ^(١)، وَالْمَفَازَةُ وَالْفَوْزُ وَاحِدٌ، وَمَنْ جَمَعَ فَلَانَ الْمَصَادِرَ قَدْ تَجَمَّعَ إِذَا اخْتَلَفَتْ أَجْنَاسُهَا. وَقُرِئَ: «يُنْجِي»^(٢) وَ «يُنْجِي»، وَتَفْسِيرُ الْمَفَازَةِ قَوْلُهُ: «لَا يَمَسُّهُمْ أَلْسُوهُ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ»، أَوْ: أَرَادَ بِسَبَبِ مَنْجَاتِهِمْ وَهُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، فَقَوْلُهُ: «لَا يَمَسُّهُمْ» عَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ لَا مَحَلَّ لَهُ لِأَنَّهُ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ، وَعَلَى الثَّانِي مُحَلُّهُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَي: هُوَ مَالِكُ أَمْرِهَا وَحَافِظُهَا، وَهُوَ مِنْ بَابِ الْكِنَايَةِ، لِأَنَّ حَافِظَ الْخَزَائِنِ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ مَقَالِيدَهَا، وَالْمَقَالِيدُ: الْمَفَاتِيحُ لَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مَتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيُنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، وَأَعْتَرَضَ بَيْنَهُمَا بِأَنَّهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ وَالْمُهَيِّمُ عَلَيْهَا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يَسْتَحِقُّ عَلَى الْأَعْمَالِ مِنَ الْجَزَاءِ، ﴿وَالَّذِينَ﴾ جَحَدُوا أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ مَنْصُوبٌ بـ ﴿أَعْبُدُ﴾، وَ ﴿تَأْمُرُونَنِي﴾ أَعْتَرَضَ، فَالْمَعْنَى: أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَعْبُدُ بِأَمْرِكُمْ؟ وَذَلِكَ حِينَ قَالَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ: اسْتَسْلِمَ بَعْضَ آلِهَتِنَا نُوْمِنُ بِإِلَهِكَ، أَوْ: مَنْصُوبٌ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ جُمْلَةُ قَوْلِهِ: ﴿تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ﴾ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى «تُعَبِّدُونَنِي وَتَقُولُونَ لِي: اْعْبُدْ» فَكَذَلِكَ: أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَنْ أَعْبُدَ، وَقُرِئَ: ﴿تَأْمُرُونَنِي﴾ بِالتَّشْدِيدِ لِلإِدْغَامِ، وَجَازَ الإِدْغَامُ لِأَنَّ قَبْلَ النُّونِ الْمَدْغَمَةِ حَرْفُ لَيْنٍ وَهُوَ الْوَاوُ، وَ«تَأْمُرُونَنِي» بَنُونِينَ^(٣) عَلَى الْأَصْلِ، وَ «تَأْمُرُونِي» بِحَذْفِ النُّونِ الثَّانِيَةِ^(٤) لِأَنَّ الْأَوَّلَى عَلَامَةُ الرَّفْعِ، وَفَتْحُ الْيَاءِ وَإِسْكَانُهَا مَعًا سَائِغٌ.

(١) قرأه حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٦٣.

(٢) وهي قراءة يعقوب. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٤٨.

(٣) قرأه ابن عامر. راجع التذكرة في القراءات: ج ٢ ص ٦٤٩.

(٤) وهي قراءة نافع وحده. راجع المصدر السابق.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ لَتُنْ أَشْرَكَتَ ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ مثله، أو: أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ﴿لَتُنْ أَشْرَكَتَ﴾ كَقَوْلِهِ: وَكَسَانَا حُلَّةً أَي: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا، وَاللَّامُ الْأُولَىٰ لِتَوَطُّةِ الْقَسَمِ، وَالثَّانِيَةِ لَامُ الْجَوَابِ، وَهَذَا الْكَلَامُ إِنَّمَا أَتَىٰ عَلَىٰ سَبِيلِ الْفَرَضِ، وَالتَّقْدِيرِ: فَإِنَّ رُسُلَ اللَّهِ مِنْزَهُونَ عَنِ الشَّرْكِ، وَالْمَحَالُّ يَصِحُّ فَرَضُهُ لِعَرَضٍ فَكَيْفَ مَا هُوَ دُونَهُ؟

﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ﴾ رَدُّ لِمَا أَمَرُوهُ بِهِ مِنْ أَسْتِسْلَامِ بَعْضِ آلِهَتِهِمْ كَأَنَّهُ قَالَ: لَا تَعْبُدْ مَا أَمَرُوكَ بِعِبَادَتِهِ، بَلْ إِنْ كُنْتَ قَدْ تَثَبَّتَ فَاعْبُدْ اللَّهَ، فَحَذَفَ الشَّرْطَ وَجَعَلَ تَقْدِيمَ الْمَفْعُولِ عَوَضًا عَنْهُ.

لَمَّا كَانَ الْعَظِيمُ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِذَا عَرَفَهُ الْإِنْسَانُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ وَقَدَّرَهُ فِي نَفْسِهِ حَقَّ تَقْدِيرِهِ عَظَمَهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ بِمَعْنَى: وَمَا عَظَّمُوهُ كُنْهَ تَعْظِيمِهِ إِذْ عَبَدُوا غَيْرَهُ وَأَمَرُوا نَبِيَّهَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ، ثُمَّ نَبَّهَهُمْ عَلَىٰ عَظَمَتِهِ عَلَىٰ طَرِيقِ التَّخِيلِ فَقَالَ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمُوتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ وَهُوَ تَصْوِيرٌ لَجَلَالَتِهِ وَعَظَمَةِ شَأْنِهِ لَا غَيْرَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَصَوَّرَ قَبْضَتُهُ بِهِنَّ، وَيَمِينُ لَا حَقِيقَةً وَلَا مَجَازاً وَأَكَّدَ «الْأَرْضَ» بِقَوْلِهِ: ﴿جَمِيعاً﴾ قَبْلَ مَجِيءِ الْخَبَرِ، لِيَعْلَمَ أَنَّ الْخَبَرَ لَا يَقَعُ عَنْ أَرْضٍ وَاحِدَةٍ، وَالْمَعْنَى: وَالْأَرْضُونَ جَمِيعاً ذَوَاتُ قَبْضَةٍ يَقْبِضُهُنَّ قَبْضَةً وَاحِدَةً، أَي: أَنَّهَا بِأَجْمَعِهَا مَعَ عَظَمَتِهَا لَا تَبْلُغُ إِلَّا قَبْضَةً وَاحِدَةً مِنْ قَبْضَاتِهِ، كَأَنَّهُ يَقْبِضُهَا قَبْضَةً بِكَفٍّ وَاحِدَةٍ. قَوْلُهُ: ﴿مَطْوِيَّتٌ﴾ مِنَ الطَّيِّ الَّذِي هُوَ ضِدُّ النَّشْرِ، كَمَا قَالَ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^(١) وَالْعَادَةُ أَنْ يُطْوَى السِّجِلُّ بِالْيَمِينِ، وَقِيلَ: قَبْضَتُهُ: مَلِكُهُ بِلَا مَنَازِعٍ، وَبِيَمِينِهِ:

بِقُدْرَتِهِ^(١)، وَقِيلَ: مَطُورِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ: مَفْنِيَّاتٌ بِقَسَمِهِ^(٢) وهذا قولٌ مرغوبٌ عنه.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مَنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥) ﴿

صَعِقَ﴾: مَاتَ بِحَالٍ هَائِلَةٍ ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هُمُ الْمَلَائِكَةُ الْأَرْبَعَةُ، وَقِيلَ: هُمُ الشُّهَدَاءُ^(٣) ﴿أُخْرَى﴾ أَي: نَفْخَةٌ أُخْرَى، وَيُحْتَمَلُ النَّصْبُ عَلَى قِرَاءَةٍ مِّن قَرَأَ: «نَفْخَةً وَاحِدَةً»، وَحُذِفَتْ «نَفْخَةٌ» لِدَلَالَةِ «أُخْرَى» عَلَيْهَا، وَلَكُونَهَا مَعْلُومَةً بِذِكْرِهَا فِي غَيْرِ مَكَانٍ. ﴿يَنْظُرُونَ﴾ يُقَلِّبُونَ أَبْصَارَهُمْ فِي الْجِهَاتِ نَظَرَ الْمَبْهُوتِ إِذَا عَرَاهُ

(١ و ٢) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١٤٤.

(٣) قاله سعيد بن جبير. راجع التبيان: ج ٩ ص ٤٦.

خَطْبٌ، وَقِيلَ: يَنْتَظِرُونَ مَا يُفْعَلُ بِهِمْ^(١). وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْقِيَامُ بِمَعْنَى الْوُقُوفِ وَالْجُمُودِ فِي مَكَانٍ لِتَحْيِيرِهِمْ.

قَدْ اسْتَعَارَ سُبْحَانَهُ النُّورَ لِلْحَقِّ وَالْقُرْآنَ وَالْبُرْهَانَ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، وَهَذَا مِنْ ذَلِكَ، وَالْمَعْنَى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ بِمَا يَقِيمُهُ فِيهَا مِنَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَ﴿الْكِتَابُ﴾: صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، وَهُوَ أَسْمُ الْجَنَسِ.

﴿زُمَرًا﴾ أَفْوَاجًا مَتَفَرِّقَةً بَعْضُهَا فِي إِثْرِ بَعْضٍ ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أَتَانَا الرُّسُلُ وَتَلَوْا عَلَيْنَا الْآيَاتِ وَالْحُجَجَ، وَلَكِنْ وَجَبَتْ عَلَيْنَا ﴿كَلِمَةً﴾ رَبَّنَا: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾^(٢) بِسُوءِ أَعْمَالِنَا. ﴿مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فَاعِلٌ ﴿بِئْسَ﴾ وَاللَّامُ لِلْجَنَسِ، وَالْمَخْصُوصُ بِالذِّمِّ مَحْذُوفٌ وَهُوَ «جَهَنَّمَ». ﴿حَتَّى﴾ هِيَ الَّتِي يُحْكِي بَعْدَهَا الْجُمْلُ، وَالْجُمْلَةُ الْمَحْكِيَّةُ الَّتِي بَعْدَهَا هِيَ الشَّرْطِيَّةُ، إِلَّا أَنَّ جَزَاءَهَا مَحْذُوفٌ، وَإِنَّمَا حُذِفَ لِأَنَّهُ فِي صِفَةِ ثَوَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَذَلَّ بِحَذْفِهِ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ لَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ، وَمَوْضِعُهُ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿خَالِدِينَ﴾، وَقِيلَ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أَي: مَعَ فَتْحِ أَبْوَابِهَا^(٣)، وَالْمُرَادُ بِسَوْقِ أَهْلِ النَّارِ طَرْدُهُمْ إِلَيْهَا بَعْفٍ وَإِهَانَةٍ، وَالْمُرَادُ بِسَوْقِ أَهْلِ الْجَنَّةِ سَوْقُ مَرَاقِبِهِمْ وَحَثُّهَا سَرَاعًا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلِ الْكَرَامَةِ وَالرِّضْوَانِ، وَقِيلَ: إِنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ لَا تُفْتَحُ إِلَّا عِنْدَ دُخُولِ أَهْلِهَا فِيهَا، وَأَمَّا أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَيُقَدَّمُ فَتْحُهَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ فَلِذَلِكَ جِيءَ بِالْوَاوِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا^(٤). ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ دُعَاءٌ لَهُمْ بِالسَّلَامَةِ وَالْخُلُودِ ﴿طِبْتُمْ﴾ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي الدُّنْيَا، وَطَابَتْ أَعْمَالُكُمْ وَزَكَتْ ﴿فَادْخُلُوهَا﴾ جَعَلَ دُخُولَهُمُ الْجَنَّةَ مُسَبِّبًا عَنِ الطَّيِّبِ

(١) قاله البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٨٧. (٢) الاعراف: ١٨، هود: ١١٩.

(٣) حكاة الزجاج في معاني القرآن: ج ٤ ص ٣٦٤.

(٤) قاله النحاس في إعراب القرآن: ج ٤ ص ٢٣، والآية من سورة ص: ٥٠.

وَالزَّكَاةَ، لِأَنَّهَا دَارُ الطَّيِّبِينَ، طَهَّرَهَا اللَّهُ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، فَإِنَّمَا يَدْخُلُهَا مَنْ أَتَّصَفَ بِصِفَتِهَا، وَمَا أَبْعَدَ أَحْوَالُنَا عَنْ أَكْتِسَابِ هَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنَا اللَّهُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ﴿خَالِدِينَ﴾ مُقَدَّرِينَ الْخُلُودَ.

وَالْأَرْضُ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي اتَّخَذُوهُ مَقَرًّا وَمَبْوَأً، وَأَوْرَثْنَاهَا: مَلَكَتْنَاهَا، وَجَعَلْنَا مُلُوكَهَا وَأَطْلَقَ لَنَا التَّصَرُّفَ فِيهَا؛ تَشْبِيهَا بِحَالِ الْوَارِثِ وَتَصَرُّفِهِ فِيهَا يَشَاءُ مِمَّا يَرِثُهُ.

﴿حَافِينَ﴾ أَي: طَائِفِينَ ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ مُحَدِّقِينَ بِهَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ بِصِفَاتِهِ الْعُلَى ﴿وَقُضِيَ﴾ بَيْنَ الْخَلَائِقِ بِالْعَدْلِ، وَقِيلَ: بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ ^(١)، وَقِيلَ: بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ^(٢) ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَى قَضَائِهِ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ أَسْمُهُ ^(٣)، وَقَدْ قَالَ مِنْ ^(٤) ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ^(٥) تَعْلِيمًا لِخَلْقِهِ فِي ابْتِدَاءِ كُلِّ أَمْرٍ بِالْحَمْدِ وَخَتْمِهِ بِالْحَمْدِ.



(١) قاله الكلبي. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ١٣٩.

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٤ ص ٣٦٤.

(٣) قاله مقاتل. راجع تفسير السمرقندي: ج ٣ ص ١٥٩.

(٤) في نسخة: «في» بدل «من». (٥) الأنعام: ١.

سُورَةُ غَافِرٍ (١)

مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَتَيْنِ (٢)، خَمْسٌ وَثَمَانُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، اثْنَتَانِ بَصْرِيٌّ، عَدَّ الْكُوفِيُّ ﴿حَمَّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ (٣)، ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ (٤)، ﴿كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (٥)، وَعَدَّ الْبَصْرِيُّ ﴿كَظِيمِينَ﴾ (٦).

وعن أنسٍ عن النبي ﷺ: «الْحَوَامِيمُ دِيْبَاجُ الْقُرْآنِ» (٧)
وفي حديث أبيٍّ: «مَنْ قَرَأَ حَمَّ الْمُؤْمِنِ لَمْ يَبْقَ رُوحُ نَبِيٍّ وَلَا صَدِّيقٍ وَلَا مُؤْمِنٍ إِلَّا صَلَّوْا عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرُوا لَهُ» (٨).

(١) في بعض النسخ: سورة المؤمن .

(٢) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٥٢: مَكِّيَّةٌ في قول مجاهد وقتادة، ليس فيها ناسخ ولا منسوخ، وقال الحسن: هي مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَةً وَاحِدَةً وهي قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ يعني بذلك صلاة الفجر والمغرب وقد ثبت أنَّ فرض الصلاة كان بالمدينة. وهي خمس وثمانون آيةً في الكوفي وأربع في المدنيّين واثنتان في البصري .
وفي الكشف: ج ٤ ص ١٤٨: وهي خمس وثمانون آيةً، وقيل: ثنتان وثمانون، نزلت بعد الزمر.

(٤) الآية: ٧ .

(٣) الآية: ١ و ٢ .

(٦) الآية: ١٨ .

(٥) الآية: ٧٣ .

(٧) أخرجه السيوطي في الدرّ المنثور: ج ٧ ص ٢٦٩ وعزاه إلى أبي الشيخ وأبي نعيم والديلمي. والحاكم في مستدركه: ج ٢ ص ٤٣٧ .

(٨) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ١٨٣ مرسلًا .

وعن الباقر عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ حَمَّ الْمُؤْمِنِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَالزَّمَهُ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَجَعَلَ الْآخِرَةَ خَيْرًا لَهُ مِنَ الدُّنْيَا» (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُزُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) ﴿

قُرِئَ بِإِمَالَةِ الْأَلْفِ مِنْ «حَا» وَبِالتَّفْخِيمِ (٢)، وَ «التَّوْبِ» وَالتَّوْبُ وَالْأَوْبُ أَخَوَاتٌ فِي مَعْنَى الرُّجُوعِ، «الطُّوْلُ» الْإِنْعَامُ الَّذِي يَطُولُ لَبْثُهُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَطَالَ عَلَيْهِ وَتَطَوَّلَ أَيُّ: تَفَضَّلَ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ مَعْرِفَتَانِ وَإِضَافَتُهُمَا حَقِيقَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُرَدَّ بِهِمَا حَدُوثُ الْفَعْلَيْنِ فِي الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ بَلْ أُرِيدَ ثُبُوتُ ذَلِكَ وَدَوَامُهُ فَهُمَا صِفَتَانِ (٣). وَأَمَّا ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ فَتَقْدِيرُهُ: شَدِيدُ عِقَابِهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ بَدَلُ (٤)، وَالْوَجْهُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً وَإِنَّمَا حُذِفَ الْأَلْفُ وَاللَّامُ مِنْ ﴿شَدِيدِ﴾ لِيُوَافِقَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ لَفْظًا، وَذُكِرَ بَعْدَ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ لئَلَّا يَعُولَ الْمَكَلَّفُ عَلَى الْغُفْرَانِ بَلْ يَكُونَ مُرْجَأً بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ ﴿ذِي الطُّوْلِ﴾ ذِي النِّعَمِ السَّابِغَةِ عَلَى عِبَادِهِ دِينًا وَدُنْيَا.

(١) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٠، وليس فيه: «ثلاث مرّات».

(٢) قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً وابن ذكوان بالإمالة، والباقون بالفتح وتفخيمه من غير إمالة.

راجع التبيان: ج ٩ ص ٥٣. (٣) وبه قال الفراء في معاني القرآن: ج ٣ ص ٥.

(٤) وهو قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: ج ٤ ص ٣٦٦.

و ﴿مَا يُجَادِلُ﴾ أي: ما يُخَاصِمُ في دَفْعِ حُجَجِ اللَّهِ إِلَّا الْكَفَّارُ ﴿فَلَا يَغْرُزُكَ تَقْلِبُهُمْ﴾ بالتَّجَارَاتِ وَالْمَكَاسِبِ ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ فَإِنَّ مَصِيرَ ذَلِكَ إِلَى الزَّوَالِ وَالنَّفَادِ، فلا يفوتون الله على حالٍ.

ثُمَّ ضَرَبَ سَبْحَانَهُ لَتَكْذِيبِهِم بِالرُّسُلِ وَجِدَالِهِم بِالْبَاطِلِ مَثَلًا مَا كَانَ مِنْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فَقَالَ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ رُسُولَهُمْ ﴿وَالْأَخْزَابُ﴾ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ وَنَاصِبُوهُمْ وَهُمْ عَادٌ وَثَمُودُ وَفِرْعَوْنُ وَغَيْرُهُمْ ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ ﴿بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ قَتْلِهِ وَإِهْلَاكِهِ أَوْ تَعْذِيبِهِ، وَيُقَالُ لِلْأَسِيرِ: أَخِذْ ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ أَي: قَصَدُوا أَخْذَهُ فَجَعَلَتْ جَزَاءَهُمْ عَلَى إِرَادَةِ أَخْذِهِ أَنْ أَخَذْتُهُمْ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ هَذَا تَقْرِيرٌ فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ.

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (٦) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَنِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَسَتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخَذَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ، تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢)

﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ بَدَلٌ مِنْ ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، أَي: وَمِثْلُ

ذَلِكَ الْوُجُوبِ وَجَبَ عَلَى الْكَفَرَةِ كَوْنُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، وَالْمَعْنَى: كَمَا وَجَبَ إِهْلَاكُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِعَذَابِ الْإِسْتِصَالِ كَذَلِكَ وَجَبَ إِهْلَاكُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِعَذَابِ النَّارِ، أَوْ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى حَذْفِ لَامِ التَّعْلِيلِ وَإِصْصَالِ الْفِعْلِ، وَ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كَفَّارٌ مَكَّةُ أَي: كَمَا وَجَبَ إِهْلَاكُ أُولَئِكَ الْأُمَمِ كَذَلِكَ وَجَبَ إِهْلَاكُ هَؤُلَاءِ، لِأَنَّ عَلَّةً وَاحِدَةً تَجْمَعُهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، وَقُرِئَ: «كَلِمَاتٌ» عَلَى الْجَمْعِ ^(١).

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ بَعْدَ ذِكْرِ حَالِ الْكُفَّارِ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارِ وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ يَمْدُونَهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يَخْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ أَمْتَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ ﴿وَمَنْ﴾ حَوْلَ الْعَرْشِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُطِيفِينَ بِهِ وَهُمْ الْكَرُوبِيُّونَ وَسَادَةُ الْمَلَائِكَةِ ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وَيَنْزِعُهُنَّ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمَجَادِلُونَ، أَوْ: يَسَبِّحُونَهُ بِالتَّسْبِيحِ الْمَعْهُودِ، أَيِ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا﴾ وَهَذَا الْمَضْمَرُ ^(٢) فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ بَيَانًا لـ ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أَوْ نَصْبَ حَالًا، ﴿وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ الرَّحْمَةُ وَالْعِلْمُ هُمَا اللَّذَانِ وَسِعَا كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَعْنَى، وَالْأَصْلُ: وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَتَكَ وَعِلْمَكَ، فَأَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى صَاحِبَيْهِمَا وَأَخْرَجَا مِنْصُوبَيْنِ عَلَى التَّمْيِيزِ لِلْإِغْرَاقِ فِي وَصْفِهِ بِالرَّحْمَةِ، كَأَنَّ ذَاتَهُ سُبْحَانَهُ رَحْمَةٌ وَعِلْمٌ وَاسِعَانِ كُلُّ شَيْءٍ ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ﴾ عَلِمْتَ مِنْهُمْ التَّوْبَةَ وَاتَّبَاعُ ﴿سَبِيلِكَ﴾ وَسَبِيلُ اللَّهِ: الْحَقُّ الَّذِي دَعَا عِبَادَهُ إِلَيْهِ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ قَبُولَ التَّوْبَةِ وَإِسْقَاطَ الْعِقَابِ عِنْدَهَا تَفْضُّلٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ لَوْ كَانَ وَاجِبًا لَمَا أَحْتِيجَ فِيهِ إِلَى الدُّعَاءِ وَالسُّؤَالِ.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أَي: الْعُقُوبَاتِ، سَمَّاها سَيِّئَاتٍ اتِّسَاعًا، أَوْ: جَزَاءَ السَّيِّئَاتِ

فَحَذَفَ الْمُضَافَ.

(١) قرأه نافع وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٦٧.

(٢) في نسخة: «الضمير».

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقَالُ لَهُمْ: ﴿لَمَقْتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ﴾ والتَّقْدِيرُ: لَمَقْتُ اللَّهَ أَنْفُسَكُمْ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ، فَاسْتَغْنَى بِذِكْرِهَا مَرَّةً، وَ ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ مَنْصُوبٌ بِالْمَقْتِ الْأَوَّلِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: كَانَ اللَّهُ يَمَقْتُ أَنْفُسَكُمْ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ وَالْكَفْرِ حِينَ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ يَدْعُونَكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَابُونَ وَتَخْتَارُونَ عَلَيْهِ الْكَفْرَ، أَشَدَّ مِمَّا تَمَقُّتُونَهُنَّ الْيَوْمَ وَأَنْتُمْ فِي النَّارِ، إِذَا أَوْقَعْتُمْ فِيهَا بِاتِّبَاعِكُمْ هَوَاهُنَّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَمَقْتُ اللَّهَ إِيَّاكُمْ الْآنَ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ، وَ ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ تَعْلِيلٌ^(١)، وَالْمَقْتُ أَشَدُّ الْبُغْضِ، فَوَضَعَ فِي مَوْضِعِ أَشَدِّ الْإِنْكَارِ.

﴿اِثْنَتَيْنِ﴾ أَي: إِمَاتَتَيْنِ وَإِحْيَاءَتَيْنِ، أَوْ: مَوْتَيْنِ وَحَيَاتَيْنِ أَرَادَ بِالْإِمَاتَتَيْنِ: خَلَقَهُنَّ أَمْوَاتًا أَوَّلًا وَإِمَاتَتَهُنَّ عِنْدَ أَنْقِضَاءِ أَجَالِهِمْ، وَبِالْإِحْيَاءَتَيْنِ: الْإِحْيَاءَةَ الْأُولَى وَإِحْيَاءَةَ الْبَعْثِ، وَقِيلَ: الْإِمَاتَتَانِ هُمَا: الَّتِي فِي الدُّنْيَا بَعْدَ الْحَيَاةِ وَالَّتِي فِي الْقَبْرِ قَبْلَ الْبَعْثِ، وَالْإِحْيَاءَتَانِ هُمَا: الَّتِي فِي الْقَبْرِ لِلْمُسَاءَلَةِ وَالَّتِي فِي الْبَعْثِ^(٢) ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ الَّتِي أَقْتَرَفْنَاهَا فِي الدُّنْيَا ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ أَي: إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْخُرُوجِ ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ قَطُّ، أَوْ: الْيَأْسُ حَاصِلٌ دُونَ ذَلِكَ فَلَا خُرُوجَ وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ. ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: ذَلِكَ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ وَأَنْ لَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْخُرُوجِ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ بِسَبَبِ أَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ بِالتَّوْحِيدِ وَأَمَنْتُمْ بِالْإِشْرَاقِ ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ حَيْثُ حَكَمَ عَلَيْكُمْ بِعَذَابِ الْأَبَدِ.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ، وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤)

(١) حكاه ابن عيسى كما في تفسير الماوردي: ج ٥ ص ١٤٥.

(٢) قاله السدي. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٤٥.

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأُزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠) ﴿

﴿آيَاتُهُ﴾ أي: مصنوعاتُ الدالة على كمالِ قدرته وتوحيده ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ وَمَا يَتَفَكَّرُ في حقيقتها ولا يتعظُّ بها ﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ أي: يرجع إلى الله ويُقبل إلى طاعته، فإنَّ المعاند لا سبيلَ إلى تذكُّره واتِّعاضه. ثمَّ قالَ لِمَنْ يُنِيبُ: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ أي: أَعْبُدُوهُ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشِّركِ ﴿وَلَوْ كَرِهَ﴾ ذلكَ أعداؤُكم الكفَّارُ. ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ﴾ ثلاثة أخبارٍ لقوله: ﴿هُوَ﴾ مترتبة على قوله: ﴿الَّذِي يُرِيكُمْ﴾، أو أخبارٌ مبتدأ محذوف، وهي مختلفة تعريفاً وتنكيراً. و ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ مثلُ قوله: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ^(١) وهي مصاعدُ الملائكة إلى أن تبلغَ العرش، وهي دليلٌ على عزِّته وملكوته، وعن سعيد بن جبَّير: سماءٌ فوقَ سماءٍ والعرشُ فوقهنَّ ^(٢)، وقيل: هي درجَاتُ ثوابه التي يُنزلُها أنبياءُه وأولياءُه في الجنة ^(٣)، وقيل: هو عبارة عن رفعة شأنه وعلوِّ سلطانه، كما أنَّ ذاتَ

(١) المعارج: ٣.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١٥٦.

(٣) قاله يحيى بن سلام. راجع تفسير القرطبي: ج ١٥ ص ٢٩٩.

العرش عبارة عن مُلكِه^(١) ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ الذي هو سَبَبُ الحياةِ للقلبِ ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ يُريدُ الوَحْيَ الذي هو أَمْرٌ بِالْخَيْرِ، وقيل: إِنَّ الرُّوحَ جِبْرَائِيلُ^(٢) ﴿لِيُنْذِرَ﴾ اللهَ أو المُلقي عليه وهو الرسولُ أو الرُّوحُ، وَقُرئ: «لِتُنْذِرَ» بالتاء^(٣) لَأَنَّ الرُّوحَ مُؤَنَّثٌ، أو: على خِطَابِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ يومَ القيامةِ لَأَنَّ الْخَلَائِقَ تَلْتَقِي فِيهِ، أو: يَلْتَقِي فِيهِ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ وَالْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ.

والمعنى: أَنَّهُمْ كَانُوا يَظُنُّونَ إِذَا أَسْتَرَوْا أَنَّ اللَّهَ لَا يَرَاهُمْ فَهُمْ الْيَوْمَ صَائِرُونَ مِنَ الْبُرُوزِ إِلَى حَالٍ لَا يَتَوَهَّمُونَ ذَلِكَ ﴿لِمَنَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ حِكَايَةٌ لِمَا يُسْأَلُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلِمَا يُجَابُ بِهِ، أَي: ينادي مُنَادٍ لِمَنَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ فَيُجِيبُهُ أَهْلُ الْحَشْرِ: لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، أو يَكُونُ الْمُنَادِي هُوَ الْمُجِيبُ. وَلَمَّا قَرَّوْا أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَدَدَ نَتَائِجِ ذَلِكَ، وَهِيَ: أَنَّ ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾ تُجْزَى ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ وَأَنَّ ﴿لَا ظُلْمَ﴾ مِنْ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْ ثَوَابِ أَحَدٍ، وَلَا يُزَادُ فِي عِقَابِ أَحَدٍ، وَأَنَّ الْحِسَابَ لَا يُبْطِئُ لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يَشْغَلُهُ حِسَابٌ عَنْ حِسَابٍ.

و﴿الْآزِفَةُ﴾: الدَّانِيَةُ وَهِيَ الْقِيَامَةُ، لَأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ، وَ﴿كَظِيمٍ﴾ نَضَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ، لَأَنَّ الْمَعْنَى: إِذْ قُلُوبُهُمْ لَدَى حَنَاجِرِهِمْ كَاطِمِينَ عَلَيْهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ ﴿الْقُلُوبِ﴾ وَأَنَّ الْقُلُوبَ كَاطِمَةً عَلَى كَرْبٍ وَغَمٍّ فِيهَا مَعَ بُلُوغِهَا الْحَنَاجِرَ، وَلَمَّا وَصَفَهَا بِالْكَظْمِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَوْصَافِ الْعُقْلَاءِ جَمَعَ «كَاطِمٌ» جَمَعَ سَلَامَةً، وَ﴿يُطَاعُ﴾ مَجَازٌ فِي الشَّفِيعِ، لَأَنَّ الطَّاعَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ فَوْقَكَ.

(١) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١٥٦.

(٢) قاله الضحاك. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ١٤٨.

(٣) قرأه رويس. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٥١.

وَالْخَائِنَةُ: مصدرٌ بمعنى الخِيَانَةِ، كَالْعَافِيَةِ بِمَعْنَى الْمُعَافَاةِ، أَوْ: صِفَةُ لِلنَّظَرَةِ، وَالْمُرَادُ: اسْتِرَاقُ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ، وَقَوْلُهُ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ خَبْرٌ مِنْ أَخْبَارِ ﴿هُوَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ﴾ مِثْلُ: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ وَلَكِنْ قَدْ عُلِّلَ سُبْحَانَهُ ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ثُمَّ اسْتَطَرَدَ ذِكْرَ أَحْوَالِ يَوْمِ التَّلَاقِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ فَبَعْدَ ذَلِكَ عَنْ أَخَوَاتِهِ.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ لَاسْتِغْنَائِهِ عَنِ الظُّلْمِ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ قُرئُ بِالتَّاءِ ^(١) وَالْيَاءِ يَعْنِي آلِهَتَهُمْ ﴿لَا يَقْضُونَ بَشَى﴾ وَهَذَا تَهَكُّمٌ بِهِمْ، لِأَنَّ مَا لَا يُوصَفُ بِالْقُدْرَةِ لَا يُقَالُ فِيهِ يَقْضِي أَوْ لَا يَقْضِي.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧)﴾

﴿هُمْ﴾ فِي ﴿كَانُوا هُمْ﴾ فَضْلٌ، وَالْفَضْلُ لَا يَقَعُ إِلَّا بَيْنَ مَعْرِفَتَيْنِ، فَالْوَجْهُ هُنَا أَنَّ ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ ضَارَعَ الْمَعْرِفَةَ فِي أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهُ الْأَلْفُ وَاللَّامُ فَأَجْرِي مَجْرَاهُ،

(١) قرأه نافع وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٦٨.

وَقُرِئَ: «أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً»^(١)، والمراد بالآثار: حصونهم وقلاعهم وعدودهم ممّا يوصف بالشدة.

﴿فَقَالُوا﴾ هذا ﴿سَجَرٌ كَذَابٌ﴾ فسَمُّوا السُّلْطَانَ المُبِينَ سِحْرًا وَكَذِبًا. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالدين الحق، أو بالنبوة ﴿قَالُوا أَاقْتُلُوا﴾ عن ابن عباس: أي أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولاً^(٢) يريد أن هذا قتلٌ غير القتل الأول ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ أي: ضياع وذهابٍ لم يجد عليهم.

﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ فيه دلالة على خوف فرعون من موسى عليه السلام ومن دعوته ربّه، وأن قوله: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ تمويه منه على قومه، وإيهام أنهم كانوا هم المُشيرين عليه بأن لا يقتله، وما كان يكفه عن ذلك إلا ما في نفسه من الفزع، وقُرِئ: «وَأَنْ يَظْهَرَ» بالواو وفتح الياء «الفساد» بالرفع^(٣)، والمعنى: إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معاً.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (٢٨) يَقُومُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَهْرَيْنِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ

(١) قرأه ابن عامر وحده. راجع المصدر السابق.

(٢) تفسير ابن عباس: ص ٣٩٥.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر وأبي بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات:

بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ
التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَالِكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي
شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا
كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤) ﴿

﴿ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ صِفَّةٌ لـ ﴿ رَجُلٍ ﴾ أو صِلَةٌ لـ ﴿ يَكْتُمُ ﴾ أي: ﴿ يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ ﴾
من آلِ فِرْعَوْنَ، وَأَسْمُهُ حَيْبُ أو خَزِيلُ^(١) ﴿ أَنْ يَقُولَ ﴾ لِأَنْ يَقُولَ، أي:
أَتَرْتَكِبُونَ قَتْلَ رَجُلٍ بَأَنْ يَقُولَ الْكَلِمَةَ الصَّادِقَةَ الَّتِي نَطَقَ بِهَا وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿ رَبِّي
اللَّهُ ﴾ مع أَنَّهُ أَحْضَرَ لِتَصْحِيحِ قَوْلِهِ بَيِّنَاتٍ عِدَّةٍ مِنْ عِنْدِ مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ الرُّبُوبِيَّةَ وَهُوَ
رُبُّكُمْ لَا رَبُّهُ وَحْدَهُ؟! اسْتَدْرَجَهُمْ إِلَى الاعْتِرَافِ بِهِ، ثُمَّ أَحْتَجَّ عَلَيْهِمْ عَلَى طَرِيقَةِ
التَّقْسِيمِ بَأَنْ قَالَ: لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا أَوْ كَاذِبًا ﴿ فَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴾
أي: يَعُودُ عَلَيْهِ ضَرَرُ كَذِبِهِ ﴿ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ وَفِي ذَلِكَ
الْبَعْضِ هَلَاكُكُمْ. وَهَذَا كَلَامٌ مَنْ يُنْصِفُ فِي مَقَالِهِ لِيُسْمَعَ مِنْهُ، لِأَنَّهُ حِينَ فَرَضَهُ صَادِقًا
فَقَدْ أَثْبَتَ أَنَّهُ صَادِقٌ فِي جَمِيعِ مَا يَعِدُ، وَلَكِنَّهُ أَرَدَفَهُ ﴿ يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾
لِيَهْضِمَهُ بَعْضَ حَقِّهِ فِي الظَّاهِرِ، وَلِيُرِيَهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ بِكَلَامٍ مَنْ يَتَعَصَّبُ لَهُ.

﴿ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: عَالِينَ فِي أَرْضٍ مُضَرَّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ قَالَ
فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾ أي: مَا أُشِيرُ عَلَيْكُمْ بِرَأْيٍ إِلَّا بِمَا أَرَى مِنْ قَتْلِهِ، يَعْنِي:
لَا أَسْتَصِيبُ إِلَّا قَتْلَهُ، وَهَذَا الَّذِي تَقُولُونَهُ غَيْرُ صَوَابٍ ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ ﴾ بِهَذَا الرَّأْيِ
﴿ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ وَالصَّوَابُ^(٢) عِنْدِي.

﴿ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ أي: مِثْلَ أَيَّامِهِمْ، لِأَنَّهُ لَمَّا أَضَافَهُ إِلَى الْأَحْزَابِ وَفَسَّرَ

(٢) فِي نَسْخَةِ: «وَالثَّوَابِ».

(١) لَيْسَ فِي نَسْخَةِ: «خَزِيل».

الْأَحْزَابَ بِقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَلَمْ يَلْتَبِسْ أَنْ كُلَّ حَزْبٍ مِنْهُمْ كَانَ لَهُ يَوْمٌ دَمَارٍ،
اِقْتَصَرَ عَلَى الْوَاحِدِ عَنِ الْجَمْعِ؛ لِأَنَّ الْمُضَافَ إِلَيْهِ أَغْنَى عَنْ ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ:
كُلُّوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا^(١).

وَدَائِبُهُمْ: دُؤُوبُهُمْ فِي عَمَلِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ وَالْمَعَاصِي، وَكَوْنُ ذَلِكَ دَائِبًا
دَائِمًا مِنْهُمْ لَا يَفْتَرُونَ عَنْهُ، وَلَا بَدْءَ مِنْ حَذْفِ مُضَافٍ أَيْ: «مِثْلَ جَزَاءٍ دَائِبِهِمْ» وَإِنَّمَا
اِنْتَصَبَ ﴿مِثْلَ﴾ الثَّانِي بِأَنَّهُ عَطْفُ بَيَانٍ مِثْلَ الْأَوَّلِ، لِأَنَّ آخَرَ مَا تَنَاوَلَتْهُ الْإِضَافَةُ
«قَوْمُ نُوحٍ»، وَلَوْ قُلْتُ: «أَهْلَكَ اللَّهُ الْأَحْزَابَ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ» لَمْ يَكُنْ إِلَّا
عَطْفُ بَيَانٍ لِإِضَافَةِ «قَوْمٍ» إِلَى أَعْلَامٍ، فَسُرِّيَ ذَلِكَ الْحُكْمُ إِلَى أَوَّلِ مَا تَنَاوَلَتْهُ
الْإِضَافَةُ ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ فَتَدْمِيرُهُمْ كَانَ عَدْلًا مِنْهُ إِذْ أَسْتَوْجَبُوهُ
بِأَعْمَالِهِمْ.

والتَّنَادِي: مَا حَكَاهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
أَصْحَابَ النَّارِ﴾^(٢) ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾^(٣). وَقِيلَ: يُنَادِي
بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ^(٤)، وَقِيلَ: يُنَادِي فِيهِ كُلُّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ^(٥).
﴿يَوْمَ تُؤْلَوْنَ﴾ أَي: يَوْمَ تُعْرِضُونَ عَنِ النَّارِ ﴿مُذْبِرِينَ﴾ فَارِّينَ مُقَدِّرِينَ أَنَّ الْفِرَارَ
يَنْفَعُكُمْ.

﴿يُوسُفُ﴾ هُوَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ، قِيلَ: إِنَّ فِرْعَوْنَ مُوسَى هُوَ فِرْعَوْنُ يُوسُفَ،

(١) وعجزه: فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمْنٌ خَمِيضٌ. لَمْ يُعْلَمْ قَائِلُهُ، يَقُولُ: اِقْتَصَرُوا عَلَى بَعْضِ مَا يَشْبَعُكُمْ،
وَلَا تَمْلُؤُوا بِطُونَكُمْ مِنَ الطَّعَامِ فَيَنْفَدَ طَعَامُكُمْ، فَإِذَا نَفَدَ احْتَجْتُمْ إِلَى أَنْ تَسْأَلُوا النَّاسَ أَنْ
يُطْعَمَوْكُمْ شَيْئًا، لِأَنَّ زَمَانَكُمْ زَمْنُ الْقَحْطِ وَالْجُوعِ. انْظُرْ خَزَانَةَ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ: ج ٧ ص ٥٥٩
وَمَا بَعْدَهُ. (٢) وَالْأَعْرَافُ: ٤٤ وَ ٥٠.

(٤) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ. رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْمَاورِدِيِّ: ج ٥ ص ١٥٤.

(٥) حَكَاهُ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٩ ص ٧٥.

عُمِّرَ إِلَى زَمَنِهِ^(١)، وَقِيلَ: هُوَ فِرْعَوْنُ آخِرُ^(٢) ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلُ ذَلِكَ الضَّلَالِ
﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ عَلَى نَفْسِهِ كَافِرٌ ﴿مُزْتَابٌ﴾ شَاكٌّ فِي التَّوْحِيدِ وَنُبُوَّةِ
الأنبياء.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ
اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٣٥)
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمَنُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ
السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ
لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧)
وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَتَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَتَقَوْمِ إِنَّمَا
هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ
سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِىَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)﴾

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى: كُلُّ
مُسْرِفٍ، وَفَاعِلٌ ﴿كَبْرٌ﴾ ضَمِيرٌ ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ عَلَى اللفظ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ مَبْتَدَأٌ وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿كَبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ عَلَى حَدِّ قَوْلِكَ: نِعَمَ
رَجُلًا زَيْدًا، وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ وَهُوَ جِدَالُهُمْ، وَتَكُونُ الْجُمْلَةُ خَبَرًا الْمَبْتَدَأُ،
وَلَا يَكُونُ «جِدَالُهُمْ» فَاعِلًا لـ ﴿كَبْرٌ﴾ فَيَمْتَنِعُ حَذْفُهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ جَارُ اللَّهِ^(٣)،
وَقُرئ: «قَلْبٌ» بِالتَّنْوِينِ^(٤)، وَجَازَ وَصَفُ الْقَلْبِ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّجَبُّرِ لِأَنَّهُ مَوْضِعُهُمَا

(١ و ٢) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١٦٦.

(٣) الكشاف: ج ٤ ص ١٦٧.

(٤) قرأه أبو عمرو والأخفش والداجوني عن هشام وقتيبة. راجع التبيان: ج ٩ ص ٧٤.

وَمُنْبَعَهُمَا، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(١)، وَالْإِثْمُ هُوَ الْجَمْلَةُ، أَوْ يَكُونُ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ أَي: عَلَى كُلِّ ذِي قَلْبٍ ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾، وَمَنْ قَرَأَ عَلَى الْإِضَافَةِ فَالْمَعْنَى: يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى الْقُلُوبِ إِذَا كَانَتْ قَلْبًا مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ، وَحُذِفَ «كُلُّ» لِتَقْدُّمِ ذِكْرِهِ كَمَا جَاءَ فِي الْمَثَلِ: «مَا كُلُّ سُودَاءِ تَمْرَةٍ وَلَا بَيْضَاءِ شَحْمَةٍ»^(٢) فَحُذِفَ «كُلُّ» لِتَقْدُّمِ ذِكْرِهِ.

وَالصَّرْحُ: الْبِنَاءُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى النَّاطِرِ وَإِنْ بَعْدَ، مِنْ صَرَاحِ الشَّيْءِ إِذَا ظَهَرَ، وَهَامَانُ: وَزِيرُ فِرْعَوْنَ وَصَاحِبُ أَمْرِهِ، وَأَسْبَابُ السَّمَاوَاتِ: طُرُقُهَا وَأَبْوَابُهَا وَمَا يُوَدِّي إِلَيْهَا، وَكُلُّ مَا أَوْصَلَكَ إِلَى شَيْءٍ فَهُوَ سَبَبٌ إِلَيْهِ كَالرِّشَاءِ وَنَحْوِهِ. وَفَائِدَةُ التَّكْرِيرِ أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ تَفْخِيمَ مَا أُمِّلَ بُلُوغُهُ مِنْ أَسْبَابِ السَّمَاوَاتِ أَبْهَمَهَا ثُمَّ أَوْضَحَهَا ﴿فَأُطْلِعَ﴾ قُرِئَ بِالرَّفْعِ^(٣) وَالنَّصْبِ، لِلْعَطْفِ عَلَى ﴿أُبْلَغَ﴾، وَالنَّصْبُ عَلَى جَوَابِ التَّرَجِّيِّ تَشْبِيهًا لِلتَّرَجِّيِّ بِالتَّمْنِيِّ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أَي: وَمِثْلُ ذَلِكَ التَّزْيِينِ وَذَلِكَ الصَّدُّ ﴿زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنْ السَّبِيلِ﴾، وَقُرِئَ: «صَدَّ» عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ^(٤) بِمَعْنَى: أَنَّهُ صَدَّ نَفْسَهُ أَوْ صَدَّ غَيْرَهُ ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ فِي إِبْطَالِ آيَاتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ أَي: خَسَارٍ لَا يَنْفَعُهُ.

ثُمَّ عَادَ إِلَى ذِكْرِ نَصِيحَةِ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ فَأَجْمَلَ لَهُمْ بِأَنْ قَالَ: ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، ثُمَّ فَسَّرَ فَافْتَتَحَ بِذِمِّ الدُّنْيَا وَتَحْقِيرِ شَأْنِهَا، لِأَنَّ الرُّكُونَ إِلَيْهَا أَصْلٌ لِكُلِّ شَرٍّ وَإِثْمٍ، وَجَالِبٌ لِسَخَطِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، ثُمَّ ثَنَّى بِتَعْظِيمِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهَا ﴿دَارُ الْقَرَارِ﴾

(١) البقرة: ٢٨٣.

(٢) انظر مجمع الأمثال للميداني: ج ٢ ص ٢٣٦.

(٣) قرأه عاصم برواية أبي بكر عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٧٠.

(٤) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر. راجع المصدر السابق.

والإقامة، ثم ذكر الأعمال السيئة والحسنة وما يستحق على كل واحدة منهما. وقوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ في مقابل ﴿إِلَّا مِثْلَهَا﴾، معناه: أن جزاء السيئة له حساب وتقدير، فلا يزيد على المستحق، وأمّا جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب، بل هو زائد على المستحق بما شئت من الزيادة والكثرة.

﴿وَيَقُومَ مَالِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ، عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَّهْ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾

يُقَالُ: دَعَاهُ إِلَى الشَّيْءِ وَلِلشَّيْءِ، كَمَا قِيلَ: هَدَاهُ إِلَى الطَّرِيقِ وَلِلطَّرِيقِ. ﴿لَيْسَ لِي بِهِ﴾ أي: برُبُوبِيَّتِهِ ﴿عِلْمٌ﴾ والمرادُ بِنَفْيِ الْعِلْمِ نَفْيُ الْمَعْلُومِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَأُشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ بِلَّهِ وَ«مَا لَيْسَ» كَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يُعْلَمَ إِلَهًا؟!

﴿لَا جَرَمَ﴾ سياقه على مذهب البصريين أن يُجْعَلَ «لا» ردًّا لِمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ قَوْمُهُ، و«جَرَمَ» فعلٌ بمعنى «حَقٌّ»، و«أَنَّ» مع ما في حيزه فاعله، أي: حَقٌّ وَوَجَبَ بُطْلَانُ دَعْوَتِهِ^(١)، أو: بمعنى «كَسَبَ» أي: كَسَبَ ذَلِكَ الدُّعَاءُ إِلَيْهِ بُطْلَانُ دَعْوَتِهِ، على معنى: أَنَّهُ مَا حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا ظُهُورُ بُطْلَانِ دَعْوَتِهِ^(٢)، وقيل: «لَا جَرَمَ» نظيرُ

(١) وهو قول الخليل. حكاه عنه تلميذه سيبويه في كتابه: ج ١ ص ٤٦٩.

(٢) وهو قول الزجاج في معاني القرآن: ج ٤ ص ٣٧٦.

«لأبد» فِعْلٌ من الجرم وهو القَطْعُ^(١)، كما أن «بُداً» فعلٌ من التَّبْدِيدِ وهو التَّفْرِيقُ، فَكَمَا أَنَّ معنى «لأبدَ أَنَّكَ تَفْعَلُ كَذَا» بمعنى «لا بدَّ لك من فِعْلِهِ» فكذلك ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾^(٢) بمعنى «لا قَطْعَ لذلك» أي: يَسْتَحِقُّونَ النَّارَ أَبَداً، لا انْقِطَاعَ لاستحقاقِهِمْ، ولا قَطْعَ لِبَطْلَانِ دَعْوَةِ الْأَصْنَامِ، أي: لا تَزَالُ باطِلَةً لا يَنْقَطِعُ ذَلِكَ فَيَنْقَلِبُ حَقًّا، ومعناه: ﴿أَنَّمَا تَدْعُونِنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ إلى نَفْسِهِ قَطُّ، ولا يَدَّعِي إِلَهِيَّةً، وقيل: لَيْسَ لَهُ اسْتِجَابَةٌ دَعْوَةٍ تَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ أَوْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ^(٣)، جَعَلَ الدَّعْوَةَ الَّتِي لَا مَنَفْعَةَ لَهَا كَلَامَ دَعْوَةٍ، أَوْ سَمَّيْتَ الاسْتِجَابَةَ بِاسْمِ الدَّعْوَةِ كَمَا سَمَّى الْفِعْلُ الْمُجَازِي عَلَيْهِ بِاسْمِ الْجَزَاءِ فِي قَوْلِهِمْ: «كَمَا تُدِينُ تُدَانُ»^(٤).
﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ عندَ نَزُولِ الْعَذَابِ بِكُمْ، أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَحَّةَ ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ من النَّصْحِ، وَأَسْلَمُ ﴿أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ.

﴿النَّارُ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿سُوءِ الْعَذَابِ﴾، أَوْ: خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ أَي: هُوَ النَّارُ، أَوْ: مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ أَي: يُعَذَّبُونَ بِهَا فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ، وَفِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِحَالِهِمْ، فَإِمَّا أَنْ يُعَذَّبُوا بِجَنَسٍ آخَرَ مِنَ الْعَذَابِ، أَوْ يُنْقَسَ عَنْهُمْ، فَإِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ قِيلَ لَهُمْ: «ادْخُلُوا»^(٥) يَا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ عَذَابٍ جَهَنَّمَ «وَقُرِئَ: ﴿ادْخُلُوا﴾ أَي: يُقَالُ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ: ادْخُلُوهُمْ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى صَحَّةِ عَذَابِ الْقَبْرِ.

﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا

(١) قاله المفضل. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ١٥٧.

(٢) النحل: ٦٢.

(٣) قاله السدي. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٩٩.

(٤) أي: كما تجازي تُجَازَى. انظر مجمع الأمثال للميداني: ج ٢ ص ١٠٠.

(٥) الظاهر أن القراءة المعتمدة لدى المصنّف هنا بضمّ الخاء وألف موصولة تبعاً للزمخشري في الكشف.

لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) ﴿

وَأَذْكُرُ وَقْتَ تَحَاجِّهِمْ فِي النَّارِ ﴿تَبَعًا﴾ أَي: أَتْبَاعًا، جَمْعُ «تَابِع» وَمِثْلُهُ «خَدَمٌ» جَمْعُ «خَادِمٌ»، أَوْ: ذَوِي تَبَعٍ أَي: أَتْبَاع، أَوْ: هُوَ وَصِفٌ بِالْمُضَدِّ وَ ﴿كُلٌّ﴾ مَعْرِفَةٌ، وَالتَّنْوِينُ فِيهِ عِوَضٌ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَي: كُلُّنَا فِيهَا لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ، وَلَمْ يَقُلْ: «لِخَزَنَتِهَا» لِأَنَّ فِي ذِكْرِ جَهَنَّمَ تَهْوِيلًا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ جَهَنَّمَ هِيَ أَبْعَدُ النَّارِ قَعْرًا، مِنْ قَوْلِهِمْ: بئْرُ جَهَنَّمَ: بَعِيدَةُ الْقَعْرِ. ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ﴾ الْإِزَامُ لِلْحُجَّةِ وَتَوْبِيخٌ ﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾ أَنْتُمْ فَإِنَّا لَا نَدْعُو إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَمْ يُؤْذَنْ لَنَا فِيهِ.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩) وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴿

أي: نُغَلِّبُ ﴿رُسُلَنَا﴾ فِي الدَّارَيْنِ بِالظَّفَرِ عَلَى مَخَالِفِهِمْ وَبِالْحُجَّةِ، وَلَوْ غَلِبُوا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَالْعَاقِبَةُ لَهُمْ، وَ«الْيَوْمَ» الثَّانِي بَدَلٌ مِنَ الْأَوَّلِ، وَالْأَشْهَادُ: جَمْعُ شَاهِدٍ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ، وَقُرِئَ: ﴿لَا يَنْفَعُ﴾ بِالتَّاءِ ^(١) وَالْيَاءِ.

وَالْمُرَادُ بِ﴿الْهُدَى﴾: مَا آتَاهُ اللَّهُ فِي بَابِ الدِّينِ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ وَالتَّوَرَاةِ وَالشَّرَائِعِ ﴿وَأَوْزَنَّا﴾ وَتَرَكْنَا عَلَى ﴿بَنَى إِسْرَءِيلَ﴾ مِنْ بَعْدِهِ ﴿الْكِتَابَ﴾ أَيِ: التَّوَرَاةِ ﴿هُدًى وَذِكْرًى﴾ أَيِ: إِرْشَاداً وَتَذَكُّراً، وَهُمَا مَفْعُولٌ لِهَما أَوْ حَالَانِ.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فِي ضَمَانِ نُصْرَةِ رُسُلِهِ، وَأَسْتَشْهَدُ بِحَالِ مُوسَى وَنُصْرَتِهِ عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ، وَإِثْقَاءِ آثَارِ هُدَاهُ فِي بَنِي إِسْرَءِيلَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُكَ كَمَا نَصَرَهُ ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ﴾ تَعَبُّدُهُ سُبْحَانَهُ بِالِدَعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ لِيَزِيدَ فِي دَرَجَاتِهِ، وَيَصِيرَ سُنَّةً لَأُمَّتِهِ.

﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أَيِ: تَكَبُّرٌ، وَهُوَ إِرَادَةُ التَّقَدُّمِ وَالرَّئَاسَةِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ أَحَدٌ فَوْقَهُمْ، وَلِذَلِكَ عَادُوكَ وَدَفَعُوا مُعْجَزَاتِكَ، وَذَلِكَ أَنَّ النُّبُوَّةَ تَحْتَهَا كُلُّ مُلْكٍ وَرِئَاسَةٍ، أَوْ: إِرَادَةُ أَنْ تَكُونَ لَهُمُ النُّبُوَّةُ دُونَكَ ﴿مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ﴾ أَيِ: بِبَالِغِي مُوْجِبِ الْكِبَرِ وَمُقْتَضِيهِ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ إِرَادَتِهِمْ مِنَ الرِّئَاسَةِ أَوْ النُّبُوَّةِ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ مِنْ شَرِّهِمْ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِأَقْوَالِهِمْ ﴿الْبَصِيرُ﴾ بِأَحْوَالِهِمْ، وَفِيهِ تَهْدِيدٌ.

وَلَمَّا كَانَ جَدَالُهُمْ وَحِجَاؤُهُمْ فِي آيَاتِ اللَّهِ مُشْتَمِلًا عَلَى انْكَارِ الْبَعْثِ، حُجُّوا بِخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْرَءُونَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَالِقُهُمَا، وَخَلَقَ النَّاسَ

(١) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٧٢.

بالقياس إليهما أهون. ثم ضَرَبَ ﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ﴾ مَثَلًا لِلْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ،
وَقُرئ: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ (١).

﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لَا بُدَّ مِنْ مَجِيئِهَا، وَلَيْسَ بِمُرْتَابٍ فِيهَا لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْجَزَاءِ.
﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إِذَا اقْتَضَتْ الْمَصْلَحَةُ إِجَابَتَكُمْ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: ادْعُونِي
أُثْبِتْكُمْ (٢).

وفي الحديث: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ (٣).

وعن الباقر عليه السلام: «هُوَ الدُّعَاءُ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ» (٤).

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو
فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦١) ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ
خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَنِي تُؤَفَّكُونَ (٦٢) كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ
كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا
وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ
اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ
أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ
أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ
مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي

(١) وبالياء هي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر. راجع المصدر السابق.

(٢) قاله البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ١٠٣. (٣) أخرجه أحمد في مسنده: ج ٤ ص ٢٧١.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٦ ح ١ باسناده عن زرارة.

يُخَيِّ، وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٨) ﴿

﴿مُبْصِرًا﴾ من الإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ، ومعناه: لِيُبْصِرُوا فِيهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ﴾ لا يوازنه فَضْلٌ، وَكَرَّرَ ذِكْرَ «النَّاسِ» تَخْصِيصًا لِكُفْرَانِ النِّعَمِ بِهِمْ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ لَا يَشْكُرُونَهُ. ﴿ذَلِكُمْ﴾ الْمَعْلُومُ الْمُخْتَصُّ بِهَذِهِ الْأَفْعَالِ هُوَ ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هِيَ أَخْبَارٌ مُتَرَادِفَةٌ، أَي: هُوَ الْجَامِعُ لِهَذِهِ الْأَوْصَافِ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَإِنْشَاءِ الْأَشْيَاءِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ ﴿فَأَنبِئْ تُؤْفِكُونَ﴾ فَكَيْفَ تُضَرْفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟! ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ كُلَّ مَنْ جَحَدَ ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أَفْكَ كَمَا أَفْكُوا. ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَفْعَالٍ أُخْرَىٰ خَاصَّةٍ بِهِ، وَهِيَ أَنَّهُ ﴿جَعَلَ... الْأَرْضَ﴾ مُسْتَقَرًّا ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ أَي: قُبَّةً، وَمَضَارِبُ الْعَرَبِ: أُبْيَيْتُهُمْ؛ لِأَنَّ السَّمَاءَ فِي مَنْظَرِ الْعَيْنِ كَالْقُبَّةِ الْمَضْرُوبَةِ عَلَى الْأَرْضِ. ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ الطَّاعَةَ مِنَ الشَّرْكِ فِي دَعَائِهِ وَعِبَادَتِهِ، قَائِلِينَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿أَنْ أَسْلِمَ﴾ أَي: اسْتُسْلِمَ لِأَمْرِ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ مَتَعَلِّقٌ بِفِعْلِ مُحذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: ثُمَّ يُبْقِيكُمْ لِتَبْلُغُوا، وَكَذَلِكَ ﴿لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾، وَيَفْعَلُ ذَلِكَ ﴿لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وَهُوَ وَقْتُ الْمَوْتِ، أَوْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يَرِيدُ: مِنْ قَبْلِ الشَّيْخُوخَةِ، أَوْ: مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ هَذِهِ الْأَغْرَاضُ الْمَذْكُورَةُ، وَتَتَفَكَّرُونَ فِي الْعِبَرِ وَالْحُجَجِ ﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا﴾ يَكُونُهُ مِنْ غَيْرِ كُفْلَةٍ، جَعَلَ هَذَا نَتِيجَةً مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ وَسَائِرِ مَا ذَكَرَ مِنْ أَفْعَالِهِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَقْدُورَاتِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: فَلِذَلِكَ الْاِقْتِدَارُ ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ تَيَسَّرَ لَهُ وَلَمْ يَمْتَنِعْ عَلَيْهِ، وَكَانَ أَهْوَنَ شَيْءٍ وَأَسْرَعَ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُضَرَفُونَ﴾ (٦٩)
 الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ
 الْأَغْلَلُ فِي أَغْنَقِيهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ
 يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا
 ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ
 الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ
 تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى
 الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) ﴿

﴿أَنَّى يُضَرَفُونَ﴾ أي: من أيِّ جهةٍ يُقْلَبُونَ عن الحقِّ إلى الضلالِ. ﴿إِذِ الْأَغْلَلُ
 فِي أَغْنَقِيهِمْ﴾ المعنى على: إِذْ إِنَّ أَخْبَارَهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا كَانَتْ مُتَيَقِّنَةً عَبَّرَ عَنِ الْأُمُورِ
 الْمُسْتَقْبَلَةِ فِيهَا بِلَفْظٍ مَا قَدْ كَانَ وَوُجِدَ، و ﴿يُسْحَبُونَ﴾ حَالٌ ﴿فِي حَمِيمٍ﴾ فِي الْمَاءِ
 الَّذِي أَنْتَهَتْ حَرَارَتُهُ ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ وَيُقَذَّفُونَ فِيهَا وَتُوَقَّدُ بِهِمْ.
 ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ أي: تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا، وَمَا كُنَّا
 نَعْبُدُ بِعِبَادَتِهِمْ شَيْئًا ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مِثْلُ ضَلَالِ آلِهَتِهِمْ عَنْهُمْ يُضِلُّهُمْ اللَّهُ عَنِ آلِهَتِهِمْ
 حَتَّى لَوْ طَلَبُوهَا أَوْ طَلَبْتَهُمْ لَمْ يَتَّصَادَفُوا. ﴿ذَلِكَ﴾ الْإِضْلَالُ بِسَبَبِ مَا كَانَ لَكُمْ مِنَ
 الْفَرَحِ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وَالْمَرَحِ ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وَهُوَ الشِّرْكُ وَعِبَادَةُ الْأَوْثَانِ.
 ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ مَثْوَاكُمْ أَي: جَهَنَّمَ.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
 فَإِنَّا يُرْجِعُونَ (٧٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ
 وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
 فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨) اللَّهُ الَّذِي

جَعَلَ لَكُمُ الْإِنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨١) ﴿

الأصل: «فَإِنْ نُرِيَّتَكَ»، و «مَا» مَزِيدَةٌ لِتَأْكِيدِ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَلِذَلِكَ أَلْحَقَتْ التَّوْنُ بِالْفِعْلِ، لَا يُقَالُ: إِنْ تُكْرِمْنِي أَكْرِمَكَ، وَلَكِنْ: إِمَّا تُكْرِمْنِي أَكْرِمَكَ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَالَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يَتَعَلَّقُ بِـ ﴿تَتَوَفَّيْتِكَ﴾، وَجَزَاءُ ﴿نُرِيَّتَكَ﴾ مَحْذُوفٌ وَتَقْدِيرُهُ: ﴿فَإِمَّا نُرِيَّتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ مِنَ الْعَذَابِ فِي حَيَاتِكَ وَهُوَ الْقَتْلُ يَوْمَ بَدْرٍ فَذَلِكَ ﴿أَوْ تَتَوَفَّيْتِكَ﴾ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ ذَلِكَ ﴿فَالَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَفَعْلُ بِهِمْ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ، وَلَا يَفُوتُنَا مِنْهُمْ.

﴿مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ ذَكَرَهُمْ وَأَخْبَارَهُمْ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ ذَكَرَهُمْ. ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ إِلَى الْحَجِّ وَالْغَزْوِ وَالْهَجْرَةِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لِإِقَامَةِ دِينٍ أَوْ طَلَبِ عِلْمٍ، وَهَذِهِ أَغْرَاضُ دِينِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِهَا إِرَادَةُ الْحَكِيمِ، فَأَمَّا الْأَكْلُ فَمِنْ جِنْسِ الْمَنَافِعِ الْمُبَاحَةِ الَّتِي لَا تَتَعَلَّقُ بِهَا إِرَادَتُهُ، وَعَلَى الْإِنْعَامِ ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴿تُحْمَلُونَ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أَيَّ حُجَجِهِ وَبَيِّنَاتِهِ ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ تَوْبِيخٌ لَهُمْ عَلَى الْجَحْدِ.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)﴾

آثَارُهُمْ: أُنْيِتُهُمُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي بَنَوْهَا، وَقُصُورُهُمْ وَمَصَانِعُهُمْ، وَقِيلَ: مَشْيُهُمْ بِأَرْجُلِهِمْ لِعِظَمِ أَجْرَامِهِمْ^(١) ﴿فَمَا أَغْنَى﴾: «مَا» نَافِيَةٌ أَوْ أَسْتَفْهَامِيَّةٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ وَ«مَا» الثَّانِيَةُ مَصْدَرِيَّةٌ أَوْ مَوْضُولَةٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مَعْنَاهُ: أَيُّ شَيْءٍ أَغْنَى عَنْهُمْ مَكْسُوبُهُمْ أَوْ كَسْبُهُمْ.

﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ﴾ قِيلَ فِيهِ وَجُوهٌ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ وَرِدَ عَلَى طَرِيقِ التَّهَكُّمِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلِ أَدَارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾^(٢) وَعِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: لَا تُبْعَثْ، وَكَانُوا يَفْرَحُونَ بِذَلِكَ وَيَدْفَعُونَ بِهِ عِلْمَ الْأَنْبِيَاءِ^(٣). وَالْآخَرُ: أَنَّ الْمُرَادَ عِلْمُ الْفَلَاسِفَةِ كَانُوا يُصَغِّرُونَ عِلْمَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى عِلْمِهِمْ^(٤).

وَعَنْ سُقْرَاطٍ أَنَّهُ قِيلَ: ائْتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ فِي زَمَانِهِ، فَقَالَ: نَحْنُ قَوْمٌ مُّهْذَبُونَ، فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى مَنْ يَهْدِينَا^(٥).

(١) قاله مجاهد. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٨١.

(٢) النمل: ٦٦.

(٣) وهو قول مجاهد. راجع تفسير الطبري السابق: ص ٨٢.

(٤) حكاية الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١٨٢.

(٥) في هامش النسخة المطبوعة كلام للمعلق، يقول: «نقل العلامة المصنف رحمه الله هذه القصة تبعاً للعلامة الزمخشري في الكشاف، ونقلها منهما مع تبخّرهما وكونهما من أهل البحث والتحقيق في غاية الغرابة: فَإِنَّ سُقْرَاطَ تَوَفَّى قَبْلَ مِيلَادِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ، وَلَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً أَوْ أَزِيدَ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ سُقْرَاطَ بِأَزِيدَ مِنْ أَلْفِ عَامٍ، فَإِنَّ بَيْنَ زَمَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْفَ وَسِتْمِائَةِ سَنَةٍ عَلَى مَا فِي تَفْسِيرِ الشَّيْخِ الثَّقَةِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَوْ كَانَ أَزِيدَ مِنْهَا عَلَى مَا فِي بَعْضِ كُتُبِ التَّوَارِيخِ، فَإِنَّ سُقْرَاطَ - وَهُوَ الْحَكِيمُ الْإِلَهِي الَّذِي كَانَ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى التَّوْحِيدِ مَعَ جِهَادِهِ وَنُضَالِهِ الدَّائِمِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ مَعَ عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ حَتَّى سَقَوْهُ سُمًّا - مِنْ زَمَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! وَمَا ذَكَرْنَاهُ غَيْرَ خَفِيِّ عَلَى الْبَاحِثِ الْمُنْقَبِ، فَلَا حَظَّ التَّوَارِيخِ وَالتَّفَاسِيرِ وَكُتُبِ الْحَدِيثِ حَتَّى تَجِدَ صَدَقَ مَا قُلْنَاهُ، وَلَا تَغْتَرَّ بِجَلَالَةِ الْمَصْنَفِ وَصَاحِبِ الْكَشَافِ، وَتَرْحَمَ بِمَا يُقَالُ قَدِيمًا: (كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ). وَذَكَرَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ مِثْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْوَاهِيَةِ فِي حَقِّ إِفْلَاطُونِ الْإِلَهِيِّ أَوْ جَالِينُوسِ مَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.»

وقيل: إِنَّ الْفَرَحَ لِلرُّسُلِ ^(١) والمعنى: أَنَّ الرُّسُلَ لَمَّا رَأَوْا أَسْتِهْزَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَجَهْلَهُمْ فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ وَشَكَرُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴿وَحَاقَ﴾ بِالْكَافِرِينَ جَزَاءُ جَهْلِهِمْ وَأَسْتِهْزَائِهِمْ، وقيل: إِنَّ الْمُرَادَ عِلْمُهُمْ بِأُمُورِ الدُّنْيَا ^(٢) كَمَا قَالُوا: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ^(٣) فَلَمَّا جَاءَهُم الرُّسُلُ بِعُلُومِ الدِّيَانَاتِ لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهَا، إِذْ كَانَتْ بَاعِثَةً عَلَى رَفْضِ الشَّهَوَاتِ وَتَرْكِ الدُّنْيَا، وَأَعْتَقَدُوا أَنَّ لَا عِلْمَ أَنْفَعُ مِنْ عِلْمِهِمْ فَفَرِحُوا بِهِ. ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ﴾ أَي: لَمْ يَصِحَّ أَنْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ ﴿لَمَّا رَأَوْا﴾ بِأَسَى اللَّهِ ﴿سُنَّتَ اللَّهِ﴾ بِمَنْزِلَةِ «وَعْدِ اللَّهِ» وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَادِرِ الْمَوْكَّدَةِ، وَ﴿هُنَالِكَ﴾ مَكَانٌ مُسْتَعَارٌ لِلزَّمَانِ، أَي: وَخَسِرُوا وَقْتُ رُؤْيَةِ الْبَاسِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ أَي: خَسِرُوا وَقْتُ مَجِيءِ أَمْرِ اللَّهِ، أَوْ: وَقْتُ الْقَضَاءِ بِالْحَقِّ.



(١) حكاة ابن عيسى. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ١٦٥.

(٢) قاله السدي. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٨٢.

(٣) الروم: ٧.

سُورَةُ فَصَّلَتْ^(١)

مَكِّيَّةٌ^(٢) آيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، اثْنَتَانِ بَصْرِيٌّ، عَدَّ الْكُوفِيُّ

﴿حَم﴾^(٣) آيَةً، ﴿عَادٍ وَثَمُودَ﴾^(٤) آيَةً.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ حَمَ السَّجْدَةِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا

عَشْرُ حَسَنَاتٍ»^(٥).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ حَمَ السَّجْدَةِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَدَّ بَصَرَهُ،

وَسُرُورًا، وَعَاشَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَغْبُوطًا مَحْمُودًا»^(٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم (١) تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا

(١) فِي نَسْخَةِ «سُورَةِ السَّجْدَةِ»، وَأُخْرَى: «سُورَةِ حَمِ السَّجْدَةِ».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٩ ص ١٠٣: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ قَتَادَةَ وَمَجَاهِدَ، وَلَيْسَ فِيهَا نَاسِخٌ وَلَا مَنْسُوخٌ، وَهِيَ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، وَثَلَاثٌ فِي الْمَدَنِيِّينَ، وَاثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ فِي الْبَصْرِيِّ وَالشَّامِيِّ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ١٨٤ مَا لَفْظُهُ: مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا (٥٤) وَقِيلَ: (٥٣) نَزَلَتْ بَعْدَ غَافِرٍ.

(٣) الْآيَةُ: ١. (٤) الْآيَةُ: ١٣.

(٥) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٢٠٧ مَرْسَلًا.

(٦) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٠.

عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) ﴿

﴿تَنْزِيلٌ﴾ مبتدأ و ﴿كِتَبٌ﴾ خبره، أو: ﴿تَنْزِيلٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف و ﴿كِتَبٌ﴾ بدل من ﴿تَنْزِيلٌ﴾، أو: خبرٌ بعد خبرٍ. ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصبٌ على المدح، أي: أغني بالكتاب المفصل قرآنًا بهذه الصفة، وقيل: نصبٌ على الحال ^(١) أي: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ في حال كونه قرآنًا عربيًّا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي، لا يلتبس عليهم شيء منه، وتعلق اللام بـ ﴿فُصِّلَتْ﴾ أو بـ ﴿تَنْزِيلٌ﴾، أي: فُصِّلَتْ آيَاتُهُ لَهُمْ، أو: تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ لِأَجْلِهِمْ، وأجودُ منهما أن يكونَ صفةً مثلَ ما قبله وما بعده، أي: قرآنًا عربيًّا كائنًا لقومٍ عربٍ لئلا يفرق بين الصفات والصلات. ﴿بَشِيرًا﴾ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنَ بِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الْوَعْدِ ﴿وَنَذِيرًا﴾ يُنذِرُ الْكَافِرَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ لَا يَقْبَلُونَ وَلَا يُطِيعُونَ.

﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ أي: أُغْطِيَةٍ ﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ فَلَا نَفْقَهُ مَا تَقُولُ ﴿وَفِي ءَاذَانِنَا﴾ ثِقْلٌ وَصَمٌّ عَلَى اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ سَاتِرٌ وَحَاجِزٌ مَنِيْعٌ، وهذه تمثيلاتٌ لِنُبُوِّ قُلُوبِهِمْ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ ﴿فَاعْمَلْ﴾ عَلَى دِينِكَ إِنَّا عَمِلُونَ عَلَى دِينِنَا، أو: فاعمل في إبطال أمرنا إِنَّا عامِلُونَ فِي إِبْطَالِ أَمْرِكَ.

(١) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٤ ص ٣٧٩.

والفائدة في زيادة «من» في قوله: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا﴾ أنه لو قال: «وبيننا وبينك حجاب» لكان المعنى: أن حجاباً حاصل وسط الجهتين، ومعنى ﴿مِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: أن الحجاب ابتداءً منا وأبتداءً منك. فالمسافة المتوسطة بجهتك وجهتنا مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها.

وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ جواب لقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ لأن المعنى: إني لست بملك وإنما أنا بشرٌ مثلكم وقد أوحى ﴿إِلَى﴾ دُونَكُمْ، وإذا صحَّت بالوحي نبوتِي وَجَبَ عَلَيْكُمْ أَتْبَاعِي ﴿فَاسْتَقِيمُوا﴾ فَاسْتَوُوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالتوحيد وإخلاص العبادَةِ ﴿وَأَسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشُّركِ.

وخصَّ من أوصاف المشركين مَنَعَ الزَّكَاةِ مقرّوناً بالكُفر بالآخرة، لأنَّ أَحَبَّ الأشياءِ إلى الإنسانِ ماله، فإذا بذله لله دَلَّ ذلك على ثباته في الدينِ وَصِدْقِ نَبِيِّهِ، وفيه حَتٌّ شَدِيدٌ على أداءِ الزَّكَاةِ، وتخويفٌ مَنْ مَنَعَهَا، حَيْثُ جَعَلَهُ مقرّوناً بالكُفر بالآخرة. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غيرُ مقطوعٍ بل هو مُتَّصِلٌ دائِمٌ، أو: هو خَالِصٌ مِنَ الْمَنَّةِ.

﴿قُلْ أَتُكْفِرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِلْسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا

لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥)

﴿أَتِنَكُم لَتَكْفُرُونَ﴾ استنفهاً تعجب، أي: كيف تستجيزون أن تكفروا بمن خلق الأرض ﴿مِقْدَارٍ﴾ مقدار ﴿يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا﴾ أمثالاً وأشباهاً تعبدونهم ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قدر على الخلق ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ومالك التصرف فيهم.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أي: في الأرض جبلاً ﴿رَوَاسِيَ﴾ أي: ثوابت ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ جعلها فوق الأرض لتكون منافعها حاصلة لمن طلبها ﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ وأكثر خيرها ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي: أرزاق أهلها ومنافعهم ومعائشهم ﴿فِي﴾ ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ من حين ابتداء الخلق، كأنه قال: كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان، وقُرئ: ﴿سَوَاءً﴾ بالحرركات الثلاث^(١)، فالجرُّ على الوصف لـ ﴿أَيَّامٍ﴾، والنصب على «أستوت سواء» أي: استواء، والرفع على «هي سواء»، وتعلق قوله: ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ بمحذوف فكأنه قال: هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها، أو: يُقدر أي: قدر فيها أقواتها لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ من قولك: استوى إلى مكان كذا: إذا توجه إليه توجهاً لا يلوي على شيء، وهو من الاستواء الذي هو ضد الإعوجاج، ونحوه قولهم: استقام إليه وأمتد إليه، ومنه قوله: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾^(٢) والمعنى: ثم دعا

(١) قرأ زيد بن علي عليه السلام والحسن وابن أبي اسحاق ويعقوب بالجر، وأبو جعفر بالرفع، والباقون بالنصب. راجع التبيان: ج ٩ ص ١٠٦، والبحر المحيط: ج ٧ ص ٤٧٦.

(٢) الآية: ٦.

دَاعِيَ الْحِكْمَةِ إِلَى خَلْقِ السَّمَاءِ بَعْدَ خَلْقِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنْ غَيْرِ صَارِفٍ يَصْرِفُهُ
عَنْ ذَلِكَ.

ومعنى أَمْرِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِالْإِثْيَانِ، وَقَوْلِهِمَا: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ أَنَّهُ أَرَادَ
تَكْوِينَهُمَا وَإِنْشَاءَهُمَا فَلَمْ تَمْتَنِعَا عَلَيْهِ وَوُجِدَتَا كَمَا أَرَادَهُمَا، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَمْرٌ عَلَى
الْحَقِيقَةِ وَلَا جَوَابٌ، وَهُوَ مِنَ الْمَجَازِ الَّذِي يُسَمَّى التَّمثِيلُ، بِمَعْنَى: أَنََّّهُمَا كَانَتَا
كَالْمَأْمُورِ الْمُطِيعِ إِذَا وُردَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْآمْرِ الْمُطَاعِ، وَخَلَقَ سُبْحَانَهُ جِزْمَ الْأَرْضِ غَيْرَ
مَذْحُوءَةٍ، ثُمَّ دَحَاَهَا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(١)
فَالْمَعْنَى: أَتَيْنَا عَلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ تَأْتِيَا مِنَ الشَّكْلِ وَالْوَصْفِ: أَتَيْتِ يَا أَرْضُ مَذْحُوءَةً
قَرَاراً لِسكَّانِكَ، وَأَتَيْتِ يَا سَمَاءُ سَقْفاً مَبْنِئاً عَلَيْهِمَ، وَمَعْنَى الْإِثْيَانِ: الْحُصُولُ
وَالْوُقُوعُ، كَمَا يُقَالُ: أَتَى عَمَلُ فُلَانٍ مَقْبُولاً، وَقَوْلُهُ: ﴿طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ مَثَلٌ لِلزُّومِ
تَأْثِيرِ قُدْرَتِهِ فِيهِمَا، وَأَتَتْصَابُهُمَا عَلَى الْحَالِ، أَي: طَائِعَتَيْنِ أَوْ مُكْرَهَتَيْنِ، وَلَمَّا
خُوطِبْنِ جُعِلْنَ مُجِيبَاتٍ وَوُصِفْنَ بِالطَّوْعِ وَالْكَرْهِ، وَقِيلَ: «طَائِعِينَ» فِي مَوْضِعِ
«طَائِعَاتٍ»^(٢) نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٣)، ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٤).

﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَرْجَعَ الضَّمِيرُ فِيهِ إِلَى ﴿السَّمَاءِ﴾ عَلَى الْمَعْنَى، وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ ضَمِيراً مُبْهِماً مُفَسَّراً بِـ ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ «سَبْعَ
سَمَوَاتٍ» عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ، وَفِي الثَّانِي نَصْبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ
﴿وَأَوْحَى﴾ أَي: خَلَقَ أَوْامِرَ ﴿فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ مَا أَمَرَ بِهِ فِيهَا وَدَبَّرَهُ مِنْ خَلْقِ
الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبَرَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ: شَأْنَهَا وَمَا يُصْلِحُهَا ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا

(١) النازعات: ٣٠.

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٤ ص ٣٨١.

(٣) الأنبياء: ٣٣، يس: ٤٠.

(٤) يوسف: ٤.

بِمَصْبِيحٍ ﴿يُهْتَدَىٰ بِهَا﴾ ﴿وَحِفْظًا﴾ أي: وَحَفَظْنَاهَا حِفْظًا مِنْ أَسْتِرَاقِ السَّمْعِ
بِالتَّوَاقِبِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لَهُ أَي: وَخَلَقْنَا الْمَصَابِيحَ زِينَةً وَحِفْظًا.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ بعدما تَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنْ هَذِهِ الْحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ
وَالْقُدْرَةِ فَحَذَّرَهُمْ أَنْ تُصِيبَهُمْ ﴿صَعِقَةٌ﴾ أي: عَذَابٌ شَدِيدُ الْوَقْعِ كَأَنَّهُ صَاعِقَةٌ.
﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يَرِيدُ: أَتَوْهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَلَمْ
يَرَوْا مِنْهُمْ إِلَّا الْعُتُوَّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنْذَرُوهُمْ مِنْ وَقَائِعِ اللَّهِ فِيمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَمِنْ
عَذَابِ الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُمْ إِذَا حَذَّرُوهُمْ ذَلِكَ فَقَدْ جَاؤُوهُمْ بِالْوَعْظِ مِنْ جِهَةِ الزَّمَانِ
الْمَاضِي، وَمَا جَرَى فِيهِ عَلَى أَمْثَالِهِمْ، وَمِنْ جِهَةِ الْمُسْتَقْبَلِ وَمَا سَيَجْرِي عَلَيْهِمْ ^(١).
﴿أَنْ﴾ فِي ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ بِمَعْنَى: أَي، أَوْ: مَخَفَّةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَأَصْلُهُ «بَأَنْ لَا
تَعْبُدُوا» أَي: بِأَنَّ الشَّأْنَ وَالْحَدِيثَ قَوْلُنَا لَكُمْ: لَا تَعْبُدُوا، وَمَفْعُولُ ﴿شَاءَ﴾ مَحْذُوفٌ،
أَي: لَوْ شَاءَ رَبُّنَا إِرْسَالِ الرُّسُلِ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً.

وَحَقِيقَةُ الْقُوَّةِ زِيَادَةُ الْقُدْرَةِ، وَهِيَ فِي الْإِنْسَانِ صِحَّةُ الْبُنْيَةِ وَالْإِعْتِدَالُ وَالشَّدَّةُ
وَالصَّلَابَةُ ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّهَا حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ جَحَدُوهَا كَمَا
يَجْحَدُ الْمُودَعُ الْوَدِيعَةَ، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ
الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (١٦)
وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةٌ
الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ (١٨) وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا
مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِمَ جُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْنَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴿

﴿رِيحاً صَرْصَرًا﴾ عَاصِفَةٌ تُصْرِصِرُ، أي: تُصَوِّتُ، وَالصَّرَّةُ: الصَّيْحَةُ، وَقِيلَ: بَارِدَةٌ تُحْرِقُ بِبَرْدِهَا^(١)، مِنَ الصَّرِّ وَهُوَ الْبَرْدُ الَّذِي يَصُرُّ أَي: يَجْمَعُ وَيَقْبِضُ ﴿نَحِيسَاتٍ﴾ قُرِئَ بِكسر الحاءِ وَسُكُونِهَا^(٢)، يُقَالُ: نَحِسَ نَحْسًا فَهُوَ نَحِيسٌ، فَالنَحِيسُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُخَفَّفَ «نَحِيسٌ»، وَأَنْ يَكُونَ وَصْفًا بِالمصدرِ، نَحْوُ: رَجُلٌ عَدْلٌ. وَ﴿عَذَابُ الْخِزْيِ﴾ أَضَافَ «العَذَابَ» إِلَى «الخِزْيِ» وَهُوَ الذُّلُّ وَالْهَوَانُ، عَلَى أَنَّهُ وَصَفُ للعَذَابِ، كَأَنَّهُ قَالَ: «عَذَابُ خِزْيٍ» كَمَا تَقُولُ: «فِعْلُ السُّوءِ» تَرِيدُ: الْفِعْلَ السَّيِّئَ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ وَهُوَ أَبْلَغُ فِي الْوَصْفِ، فَإِنَّ قَوْلَكَ: هُوَ شَاعِرٌ، وَلَهُ شِعْرٌ شَاعِرٍ، بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ.

﴿وَأَمَّا تَعْمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ﴾ أَي: دَلَلْنَاهُمْ عَلَى طَرِيقِي الضَّلَالَةِ وَالرُّشْدِ، وَبَيَّنَّا لَهُمْ سَبِيلِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٣)، ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ فَاخْتَارُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَالضَّلَالَ عَلَى الرُّشْدِ ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ﴾ أَي: قَارِعَةُ الْعَذَابِ، وَوَاهِيَةُ الْعَذَابِ، وَ﴿الْهُونِ﴾: الْهَوَانُ، وَصَفَ بِهِ الْعَذَابَ مِبَالِغَةً أَوْ أَبْدَلَهُ مِنْهُ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ بِالْغَةِ عَلَى الْمُجْبَرَةِ.

(١) قاله عكرمة وسعيد بن جبير كما في تفسير الماوردي: ج ٥ ص ١٧٤.

(٢) وبالسكون قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٧٦.

(٣) البلد: ١٠.

﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُ﴾ قُرئ بالياءِ على البناء للمفعول و ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ بالرفع، و «يَخْشَرُ» على البناء للفاعل و «أَعْدَاءُ» بالنصب^(١)، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُخْبَسُ أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ، أي: تُسْتَوْقَفُ سِوَابَهُمْ حَتَّى يَدْرَكَهُمْ لَوْاحِقُهُمْ. و «مَا» فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ مَزِيدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ، أي: لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ وَقْتُ مَجِيئِهِمُ النَّارَ وَقْتُ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ. وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ نُطْقِ الْجَوَارِحِ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْطِقُهَا كَمَا أُنْطِقَ الشَّجَرَةُ بَأَنْ يَخْلُقَ فِيهَا كَلَامًا، وَقِيلَ: إِنَّ الْجُلُودَ كُنَايَةٌ عَنِ الْفُرُوجِ^(٢)، وَأَرَادَ بـ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْحَيَوَانِ، وَمَعْنَاهُ: أَنْ نُنْطِقَنَا لَيْسَ بِعَجِيبٍ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ ﴿الَّذِي أُنْطِقَ كُلَّ حَيَوَانٍ﴾ وَهُوَ ﴿أَنْشَأَكُمْ﴾ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِعَادَتِكُمْ وَرَجْعِكُمْ إِلَى جَزَائِهِ.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ﴾ بِالْحُجُبِ عِنْدَ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي مَخَافَةً ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ جَوَارِحُكُمْ لِأَنَّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهَا تَشْهَدُ عَلَيْكُمْ ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا﴾ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَعَنْ أَبِي عُبَّاسٍ: أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ مَا فِي نُفُوسِنَا، إِنَّمَا يَعْلَمُ مَا يَظْهَرُ^(٣). و ﴿ذَلِكُمْ﴾ رَفَعُ بِالْإِبْتِدَاءِ وَ ﴿ظَنِّكُمْ﴾ وَ ﴿أَزْدَانَكُمْ﴾ خَبْرَانِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿ظَنِّكُمْ﴾ بَدَلًا مِنْ ﴿ذَلِكُمْ﴾ وَ ﴿أَزْدَانَكُمْ﴾ الْخَبَرُ.

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ: إِنْ خَيْرٌ فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرٌّ فَشَرٌّ»^(٤). ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنْ الْمُعْتَبِينَ﴾ (٢٤) وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

(١) هذه القراءة ذكرها الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ١٩٥ وتبعه المصنف رحمه الله في ذلك، ولم نعثر هكذا قراءة في المصادر المعتمدة لدينا.

(٢) قاله ابن زيد. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ١٧٦.

(٣) تفسير ابن عباس: ص ٤٠٢.

(٤) الكافي: ج ٨ ص ٣٠٢ ذ ح ٤٦٢ بإسناده عن سنان بن طريف.

وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ
كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا
فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ
الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا
أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ
الْأَسْفَلِينَ (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَنْزِيلَ عَلَيْهِمْ
الْمَلَكَةَ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)
نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى
أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نَزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) ﴿

أي: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ لَمْ يَنْفَعَهُمُ الصَّبْرُ وَلَمْ يَنْفَكُوا بِهِ مِنَ الثَّوَاءِ فِي النَّارِ ﴿وَإِنْ﴾
يَسْأَلُوا الْعُتْبَى وَيَطْلُبُوا الرِّضَا لَمْ يُعْتَبُوا وَلَمْ يُجَابُوا إِلَى الْعُتْبَى، وَلَمْ يُعْطُوا الرِّضَا.
﴿وَقَيَّضْنَا﴾ أي: وَقَدَّرْنَا ﴿لَهُمْ قُرْنَاءَ﴾ أَخْدَانًا^(١) مِنَ الشَّيَاطِينِ، جَمْعُ قَرِينٍ وَهُوَ
كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٢) والمعنى:
أَنَّهُ خَذَلَهُمْ وَمَنْعَهُمُ التَّوْفِيقَ لِتَضْمِيمِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ قُرْنَاءُ سِوَى
الشَّيَاطِينِ ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ﴾ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَمَا هُمْ عَازِمُونَ عَلَيْهَا، أَوْ: ﴿مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ﴾ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ﴿وَمَا خَلَقَهُمْ﴾ مِنْ أَمْرِ الْعَاقِبَةِ، وَأَنْ لَا بَعَثَ
وَلَا حِسَابَ ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴿فِي أُمَمٍ﴾ فِي جُمْلَةِ أُمَمٍ،
ومثله قول الشاعر:

(٢) الزخرف: ٣٦.

(١) في بعض النسخ: «إخواناً».

إِنْ تَكُ عَنْ أَحْسَنِ الْمُرُوءَةِ مَا فُوكَاً فِي آخِرِينَ قَدْ أَفْكُوا^(١)
 يريد: فأنّت في جملة آخرين، أو: في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد،
 ﴿فِي أُمَمٍ﴾ في محلّ النصب على الحال من الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا
 خَاسِرِينَ﴾ تعليلٌ لاستحقاقهم العذاب، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ للأمم.
 ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعضهم لبعض ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ الذي يقرأه
 محمّدٌ ولا تصغوا إليه ﴿وَالْغُوا فِيهِ﴾ يُقَالُ: لَغِيَ يَلْغَى، وَاللَّغْوُ: السَّاقِطُ مِنَ الْكَلَامِ
 الذي لا طائل تحته، أي: واشتغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات وبالزجر
 والهذيان حتّى تشوشوا عليه قراءته لتغلبوه بذلك، ولا يتمكّن أصحابه من
 الاستماع.

﴿النَّارُ﴾ عطفٌ بيانٍ للجزاء، أو: خبرٌ مبتدأ محذوف ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾
 معناه: أنّ النار في نفسها دارُ الخلد، كقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
 حَسَنَةٌ﴾^(٢) معناه: أنّ رسول الله أسوة حسنة، وتقول: لك في هذا الدار دارُ السُّرورِ،
 وأنّ تعني الدار بعينها ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا﴾ يلغون فيها، فذكر الجحود الذي هو سبب
 اللغو.

وَقُرِئَ: «أَرْنَا» بسكونِ الراء^(٣) لثقل الكسرة، كمّا قيل: «فخذ» في «فخذ»، أي
 الشَّيْطَانَيْنِ اللَّذَيْنِ ﴿أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ لأنّ الشَّيْطَانَ ضَرْبَانِ: جَنِّي
 وَإِنْسِي ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار، والمرادُ به: ندوسُهُمَا ونَطُوهُمَا بأقدامنا
 ليكونا أشدَّ عذاباً مِنَّا.

(١) لعروة بن أذينة الكناني، يقول: إنّ لم توفّق للإحسان فأنّت في قومٍ قد صُرفوا عن ذلك أيضاً.
 أنظر ديوان عروة: ص ٣٤٣. (٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) قرأه الابنان (ابن كثير وابن عامر) وأبو بكر والسوسي ويعقوب. راجع التذكرة في القراءات
 لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٥٧.

﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ ثُمَّ اسْتَمَرُّوا عَلَيْهِ وَتَبَتُوا عَلَى مَقْتَضِيَّاتِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَةِ.
وَسَأَلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضِيلِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَاءُ عليه السلام عَنِ الاسْتِقَامَةِ فَقَالَ:
هِيَ وَاللَّهُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عِنْدَ الْمَوْتِ بِالْبُشْرَى ﴿أَنْ لَا تَخَافُوا﴾ بِمَعْنَى
«أَي»، أَوْ: مَخَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَأَصْلُهُ: بَأَنَّهُ لَا تَخَافُوا، وَالْهَاءُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ، وَالْخَوْفُ:
غَمٌّ يَلْحَقُ لِتَوَقُّعِ الْمَكْرُوهِ، وَالْحُزْنُ: غَمٌّ يَلْحَقُ لَوْقُوعِهِ مِنْ فَوْتِ نَفْعٍ أَوْ حُصُولِ
ضَرَرٍ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ لَكُمْ الْأَمَانَ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَغَمٍّ، وَكَمَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ
قُرْنَاءُ مِنْ تَقَدَّمَ، فَالْمَلَائِكَةُ أَوْلِيَاءُ هَؤُلَاءِ وَأَحِبَّاءُهُمْ فِي الدَّارَيْنِ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا
تَدْعُونَ﴾ أَي: تَتَمَنَّوْنَ مِنَ النَّعِيمِ، وَفِي بُشْرَاهُمْ بَوْلَايَةِ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ
وَأُخْرَاهُمْ، وَإِنَّا لَنَهْمُ فِي الْجَنَّةِ مَشْتَهَاهُمْ وَغَايَةَ مُتَمَنَّاهُمْ، دَلَالَةٌ عَلَى شَرَفِ هَذِهِ
الطَّاعَةِ الَّتِي هِيَ الْاسْتِقَامَةُ، وَأَنَّهَا أَجَلُ الدِّيَانَاتِ وَالدرَجَةِ الْقُصْوَى فِيهَا. وَالتَّزِيلُ:
رِزْقُ التَّزِيلِ وَهُوَ الضَّيْفُ، وَأَنْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْمَوْصُولِ، أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ
الْمَنْصُوبِ الْمَحْذُوفِ، لِأَنَّ التَّقْدِيرَ: مَا تَدْعُونَهُ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ
صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
يَسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) ﴿

مَنْ ﴿دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، وَالْأُتَمَّةُ الدُّعَاءُ إِلَى الْحَقِّ الْقَائِمُونَ مَقَامَهُ، وَقِيلَ: هُمُ الْمُؤَذِّنُونَ^(١)، وَالْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْأَوْصَافِ الثَّلَاثَةِ: أَنْ يَكُونَ مُوَحِّدًا مُعْتَقِدًا لِلْحَقِّ عَامِلًا لِلْخَيْرِ دَاعِيًا إِلَيْهِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْحَسَنَةَ وَالسَّيِّئَةَ مَتَفَاوَتَتَانِ فِي أَنْفُسِهِمَا، فَلَا تَسْتَوِي الْأَعْمَالُ الْحَسَنَةُ وَالْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ، فَخُذْ بِالْحَسَنَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنْ أُخْتِهَا إِذَا اعْتَرَضَتْكَ حَسَنَتَانِ فَـ ﴿أَدْفَعْ﴾ بِهَا السَّيِّئَةَ الْوَارِدَةَ عَلَيْكَ مِنْ بَعْضِ أَعْدَائِكَ، وَمِثَالُ ذَلِكَ: أَنَّ الْحَسَنَةَ أَنْ تَعْفُو عَنْهُ ﴿وَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِ فِي مَقَابِلَةِ إِسَاءَتِهِ، مِثْلُ أَنْ يَذُمَّكَ فَتَمْدَحْهُ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ صَارَ الَّذِي هُوَ عَدُوُّكَ الْمَنَاوِيَّ مِثْلَ الْوَلِيِّ الْحَمِيمِ الْمُنَاسِبِ الْمُصَافِي. وَمَا يُلَقَّى هَذِهِ الْخَصْلَةُ الْحَمِيدَةُ وَالسَّجِيَّةُ الْمَرْضِيَّةُ الَّتِي هِيَ مَقَابِلَةُ الْإِسَاءَةِ بِالْإِحْسَانِ وَلَا يُؤْتَاهَا ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ وَأَحْتِمَالِ الْمَكَارِهِ، وَ ﴿إِلَّا ذُو﴾ نَصِيبٍ وَ ﴿حَظٌّ عَظِيمٌ﴾ مِنَ الثَّوَابِ وَالْخَيْرِ.

وَالنَّزْعُ وَالنَّشْخُ بِمَعْنَى، وَهُوَ شَبَهُ النَّخْسِ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ يَنْخَسُ الْإِنْسَانَ: إِذَا بَعَثَهُ عَلَى بَعْضِ الْمَعَاصِي، وَأُسْنِدَ الْفِعْلُ إِلَى النَّزْعِ كَمَا قَالُوا: جَدَّ جَدُّهُ، أَوْ: وَصَفَ الشَّيْطَانُ وَتَسْوِيلُهُ بِالْمَصْدَرِ، وَالْمَعْنَى: وَإِنْ صَرَفَكَ الشَّيْطَانُ عَمَّا وَصَّيْتَ بِهِ مِنَ الدَّفْعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ مِنْ شَرِّهِ وَلَا تُطْعُهُ.

﴿وَمِنْ ءَايَتِهِ﴾ أَي: حُجَجِهِ وَأَدَلَّتِهِ الدَّالَّةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ﴿اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ وَتَقْدِيرُهُمَا عَلَى حَدٍّ مُسْتَقَرٍّ وَنِظَامٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ وَمَا ظَهَرَ فِيهِمَا مِنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّسْيِيرِ فِي فَلَكَ التَّدْوِيرِ. وَالضَّمِيرُ فِي ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ لِجَمِيعِهَا؛ لِأَنَّ حُكْمَ جَمَاعَةٍ مَا لَا يَعْقِلُ حُكْمُ الْإِنْسَانِ أَوْ الْإِنَاثِ، تَقُولُ: الدَّوْرُ رَأَيْتُهَا وَرَأَيْتُهَا، أَوْ: لِأَنَّهَا

(١) وَهُوَ قَوْلُ عَائِشَةَ. رَاجِعِ الدَّرَ الْمُنْثَوْرَ لِلْسِّيَوطِيِّ: ج ٧ ص ٣٢٥ وَعِزَاهُ إِلَى ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَابْنِ مَرْدَوِيهِ.

في معنى الآياتِ فذلك قال: ﴿خَلَقْنَهُ﴾. وموضع السجدة عند الشافعي ^(١) ﴿تَعْبُدُونَ﴾ وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام ^(٢)، وعند أبي حنيفة ﴿يَسْتَمُونَ﴾ ^(٣). وقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ عبارة عن قُربِ المنزلة والكرامة والزُلفى.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (٤٥)﴾

(١) ذكره المصنّف رحمه الله تبعاً للزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٢٠٠، وإلا فالمشهور عن الشافعي عند قوله: ﴿يَسْتَمُونَ﴾. راجع على سبيل المثال: الخلاف للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٤٣٠، وعمدة القاري: ج ٧ ص ٩٧، وأحكام القرآن لابن العربي: ج ٤ ص ٨٧. نعم في المجموع: ج ٤ ص ٦٠ للعلامة النووي الشافعي ما لفظه: سجدة حم السجدة فيها وجهان لأصحابنا حكاها القاضي والبلغوي وغيرهما أصحهما عند ﴿يَسْتَمُونَ﴾ وبهذا قطع الأكثرون، والثاني: أنها عند قوله تعالى: ﴿تَعْبُدُونَ﴾.

(٢) أنظر التبيان: ج ٩ ص ١٢٨.

(٣) أنظر الفتاوى الهندية: ج ١ ص ١٣٢، والمجموع: ج ٤ ص ٦٠.

وَالْخُشُوعُ فِي وَصْفِ الْأَرْضِ مُسْتَعَارٌ لَكُونِهَا يَابِسَةً غَيْرَ مَمْطُورَةٍ، لَا نَبَاتَ فِيهَا، وَهُوَ خِلَافٌ وَصْفِهَا بِالْإِهْتِزَازِ، وَالرَّبُّوْ وَهُوَ الْإِنْتِفَاحُ: إِذَا أُخْصِبَتْ وَتَزَيَّنَتْ بِالنَّبَاتِ تَشْبِيهًا لَهَا بِالْمُخْتَالِ فِي زَيِّهِ، وَشُبِّهَتْ قَبْلُ بِالذَّلِيلِ الْخَاضِعِ فِي الْأَطْمَارِ الرَّثِيَّةِ، وَقُرِئَ: «وَرَبَّاتٌ»^(١) أَي: أَرْتَفَعَتْ.

وَلَحَدَ الْحَافِرُ وَالْحَدَّ: إِذَا مَالَ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ فَحَفَرَ فِي شَقٍّ، فَاسْتُعِيرَ لِلانْحِرَافِ فِي تَأْوِيلِ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَنْ جِهَةِ الصَّحَّةِ وَالْإِسْتِقَامَةِ، وَقُرِئَ بِاللُّغَتَيْنِ^(٢) ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ وَعِيدٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾، وَالذِّكْرُ: الْقُرْآنُ لِأَنَّهُمْ لِكُفْرِهِمْ بِهِ طَعَنُوا فِيهِ وَحَرَّفُوا تَأْوِيلَهُ ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ مَنِيعٌ مَحْمِيٌّ بِحِمَايَةِ اللَّهِ. ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ﴾ مَثَلٌ، أَي: لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الْبَاطِلُ مِنْ جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ، وَنَحْوُهُ: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣)، وَعَنِ السَّيِّدَيْنِ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «لَيْسَ فِي أَخْبَارِهِ عَمَّا مَضَى، وَلَا فِي أَخْبَارِهِ عَمَّا يَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بَاطِلٌ، بَلْ أَخْبَارُهُ كُلُّهَا مُوَافِقَةٌ لِمُخْبَرَاتِهَا».

﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ أَي: مَا يَقُولُ لَكَ كُفَّارُ قَوْمِكَ ﴿إِلَّا﴾ مِثْلَ مَا قَالَ لِلرُّسُلِ كُفَّارُ قَوْمِهِمْ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمُؤْذِيَةِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لِمَنْ آمَنَ بِكَ ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لِمَنْ كَذَّبَكَ، أَوْ يَكُونُ الْمَعْنَى: مَا يَقُولُ لَكَ اللَّهُ إِلَّا مِثْلَ مَا قَالَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ، وَالْمَقُولُ: إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ.

﴿وَلَوْ﴾ جَعَلْنَا الْقُرْآنَ ﴿أَعْجَمِيًّا﴾ بِغَيْرِ لُغَةِ الْعَرَبِ، وَسَمَّوْا مَنْ لَمْ يَبَيِّنْ كَلَامَهُ

(١) وهي قراءة أبي جعفر المدني وخالد. راجع تفسير القرطبي: ج ١٥ ص ٣٦٥.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وأبو عمرو بضم الياء وكسر الحاء في جميع القرآن، وحمزة وحده بفتح الياء والحاء، والكسائي في النحل مثل حمزة والباقي كما قرأه الجمهور من السبعة. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٢٩٨.

(٣) الحجر: ٩.

من أيِّ صِنْفٍ كَانَ مِنَ النَّاسِ أَعْجَمٌ، قَالَ عَنَتْرَةُ:

حَزَقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمِ طِنْطِمْ^(١)

﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ أي: يُبَيِّنَتْ بِلِسَانٍ تَفْهَمُهُ^(٢) ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾
والهمزة للإِنْكَارِ، أي: قُرْآنُ أَعْجَمِيٍّ وَرَسُولُ عَرَبِيٍّ، أَوْ مُرْسَلٌ إِلَيْهِ عَرَبِيٌّ، لِأَنَّ مَبْنَى
الْإِنْكَارِ عَلَى تَنَافِي حَالَتِي الْكِتَابِ وَالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ، لَا عَلَى أَنَّ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ
أَوْ جَمَاعَةٌ ﴿قُلْ هُوَ﴾ الضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ ﴿هُدًى﴾ و^(٣) إِرْشَادٌ إِلَى الْحَقِّ ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا
فِي الصُّدُورِ﴾^(٤) مِنَ الشَّكِّ، أَوْ: شِفَاءٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ، وَ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إِنْ
عَطَفْتُهُ عَلَى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كَانَ فِي مَوْضِعٍ جَرٍّ عَلَى مَعْنَى قَوْلِكَ: وَهُوَ لِلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ﴾، إِلَّا أَنَّ فِيهِ عَطْفًا عَلَى عَامِلَيْنِ وَقَدْ أَجَازَهُ
الْأَخْفَشُ^(٥)، وَإِنْ جَعَلْتَهُ مُبْتَدَأً فَالْخَبَرُ: هُوَ ﴿فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ﴾ عَلَى حَذْفِ «هُوَ»،
أَوْ: فِي آذَانِهِمْ مِنْهُ وَقُرْ، وَ ﴿يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَهُ وَلَا
يَرْعَوْنَهُ أَسْمَاعَهُمْ، فَمَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ مَثَلُ مَنْ يُصَوِّتُ بِهِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ، لَا يَسْمَعُ مَنْ
مِثْلُهُ الصَّوْتَ فَلَا يَسْمَعُ النَّدَاءَ.

﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: آمَنَ بِهِ قَوْمٌ وَكَذَّبَ بِهِ آخَرُونَ، وَهُوَ تَسْلِيَةٌ لِنَبِيِّنَا ﷺ
﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ فِي تَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْ قَوْمِكَ لَفَرَّغَ مِنْ عَذَابِهِمْ
وَأَسْتَيْصَالِهِمْ، وَهِيَ كَقَوْلِهِ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾^(٦).

(١) وصدره: تَأْوِي لَهُ قُلُوصُ النَّعَامِ كَمَا أَوَتْ. والبيت من معلّقة المشهورة وهو يصف ناقته. انظر
ديوان عنتر بن شداد: ص ٥٩. والحَزَقُ: جماعات الإبل، والطِنْطِمْ: الأعجمي الذي لا يفهم
كلامه.
(٢) في نسخة: «تفقه».

(٣) في نسخة: «أي» بدل الواو. (٤) القمر: ٤٦.

(٥) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٢٠٣.

(٦) يونس: ٥٧.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ
لِّلْعَبِيدِ﴾ (٤٦) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا
تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ، وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا
ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا
مَا لَهُمْ مِّنْ مَّحِيصٍ (٤٨) لَا يَسْمُؤُا الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ
الشَّرُّ فَيَكْشُ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّهُ
لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي
عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ
غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَا آتَيْنَاهُمَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ، وَإِذَا مَسَّهُ
الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ،
مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي
أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ (٥٤) ﴿

﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ نَفْعُ صَلاَحِهِ ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وَبَالَ إِسَاءَتِهِ دُونَ غَيْرِهَا.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أَي: إِذَا سُئِلَ عَنْهَا قِيلَ: اللَّهُ يَعْلَمُ، أَوْ: لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ،
الْأَكْمَامُ جَمْعُ كِمٍ بِكَسْرِ الْكَافِ وَهُوَ وَعَاءُ الثَّمَرَةِ، وَقُرِئَ: ﴿مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ عَلَى
الْجَمْعِ ^(١) ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِي﴾ أَضَافَهُمْ إِلَيْهِ عَلَى زَعْمِهِمْ، وَفِيهِ تَقْرِيعٌ عَلَى طَرِيقِ
التَّهَكُّمِ ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ أَي: مَا مِنَّا أَحَدٌ الْيَوْمَ يَشْهَدُ بِأَنَّهُمْ شُرَكَاءُكَ، وَمَا مِنَّا أَحَدٌ
يُشَاهدُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ ضَلُّوا عَنْهُمْ، وَمَعْنَى ﴿ءَاذَنَّاكَ﴾: أَنَّكَ تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِنَا ذَلِكَ،

(١) الظاهر من عبارة المصنّف رحمه الله أنّه اعتمد هنا على قراءة المفرد تبعاً للزمخشري في
الكشاف.

أَوْ: هُوَ كَمَا تَقُولُ: أَعْلَمَ الْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ كَيْتَ وَكَيْتَ، وَعَلَّقَ ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ مَعْنَى الْإِعْلَامِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ لَهُ حُكْمُ الِاسْتِفْهَامِ فِي أَنَّ لَهُ صَدَرَ الْكَلَامِ. وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَضَنُّوا مَا لَهُمْ مِّنْ مَّحِيصٍ﴾ وَالْمَعْنَى: عَلِمُوا أَنَّ لَا مَخْلَصَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، عَبَّرَ بِالظَّنِّ عَنِ الْعِلْمِ.

﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ مِنْ طَلَبِ السَّعَةِ فِي الْمَالِ وَالصَّحَّةِ ﴿وَإِنْ مَسَّهُ﴾ الْبَلَاءُ وَالشَّدَّةُ ﴿فَيَتَوَسَّسُ قَنُوطٌ﴾ شَدِيدُ الْيَأْسِ مَقْطُوعُ الرَّجَاءِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَوْحِهِ، وَهَذِهِ صِفَةُ الْكَافِرِ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَتَأَسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أَي: هَذَا حَقِّي وَصَلَ إِلَيَّ، لِأَنِّي أَسْتَوْجِبُهُ بِمَا عِنْدِي مِنْ فَضْلٍ، أَوْ: هَذَا لِي دَائِمًا أَبَدًا ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ كَائِنَةً ﴿وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ عَلَى مَا يَقُولُهُ الْمُسْلِمُونَ ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ﴾ الْحَالَةَ الْحُسْنَى وَهِيَ الْجَنَّةُ، أَي: سَيُعْطِينِي فِي الْآخِرَةِ مِثْلَ مَا أُعْطَانِي فِي الدُّنْيَا.

﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ اسْتَعَارَ الْعَرِضَ لِكثْرَةِ الدُّعَاءِ وَدَوَامِهِ كَمَا اسْتَعَارَ الْغِلْظَ لَشِدَّةِ الْعَذَابِ. وَقُرِئَ: «وَنَائِي» بِإِمَالَةِ الْأَلْفِ وَكَسْرِ النُّونِ^(٢)، «وَنَاءً»^(٣) عَلَى الْقَلْبِ كَمَا قِيلَ: «رَاءً» فِي «رَأَيْ»، وَيُرِيدُ ﴿بِجَانِبِهِ﴾ نَفْسَهُ وَذَاتَهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَنَائِي بِنَفْسِهِ، أَوْ يُرِيدُ ﴿بِجَانِبِهِ﴾ عِطْفُهُ، وَمَعْنَاهُ: انْحَرَفَ وَازْوَرَّ، كَمَا قِيلَ: ثَنَى عِطْفَهُ^(٤)، وَ﴿تَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾^(٥).

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أَخْبِرُونِي ﴿إِنْ كَانَ﴾ الْقُرْآنُ ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وَقَدْ ﴿كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ وَكَانَ

(١) يوسف: ٨٧.

(٢) قرأه الكسائي وحمزة برواية خلف عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٧٧.

(٣) وهي قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان عنه. راجع المصدر السابق.

(٤) أي: أعرض عنك. (٥) الذاريات: ٣٩.

الكسائي يَحذفُ همزةَ «رأى» إذا كانَ مع همزةِ الاستفهامِ، نحو: «أَرَيْتُمْ» و «أَرَيْتُكُمْ» في جميعِ القرآنِ أَسْتَقَالًا لِلْهَمْزَتَيْنِ، ولا يَحذفُ في غيرها، نحو: «رأى القمرَ» و «رأى الشمسَ» ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ بَلَغْتُمْ الْغَايَةَ فِي الْمَشَاقَّةِ وَالْمَنَاصِبَةِ؟ فَوَضَعَ ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ مَوْضِعَ «مِنْكُمْ» بَيَانًا لِصِفَتِهِمْ.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ فِي نُصْرَةِ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿فِي﴾ آفَاقِ الدُّنْيَا مِنَ الْفُتُوحِ وَمِنَ الْإِظْهَارِ عَلَى الْأَكَاسِرَةِ وَالْمُلُوكِ وَتَغْلِيْبِ الْعَدَدِ الْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ، وَالْأُمُورِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْمَعْهُودِ ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يَوْمَ بَدْرٍ، أَوْ: يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، ﴿بِرَبِّكَ﴾ مَرْفُوعُ الْمَحَلِّ بِأَنَّهُ فَاعِلٌ، و ﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ بَدَلٌ مِنْهُ عَلَى الْمَوْضِعِ ^(١)، وَتَقْدِيرُهُ: أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّ رَبَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمَوْعُودَ مِنْ إِظْهَارِ آيَاتِ اللَّهِ فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ سَيَرُونَهُ وَيُشَاهِدُونَهُ، فَيَتَبَيَّنُونَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ تَنْزِيلُ عَالِمِ الْغَيْبِ الَّذِي هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، أَي: مَطَّلَعٌ مُهَيِّمٌ، يَسْتَوِي عِنْدَهُ غَيْبُهُ وَشَهَادَتُهُ، فَيَكْفِيهِمْ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ حَقٌّ وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ.



(١) ليس في نسخة: «على الموضع».

سُورَةُ الشُّورَى^(١)

مَكِّيَّةٌ^(٢) غَيْرُ آيَاتٍ مِنْهَا، وَهِيَ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، خَمْسُونَ فِي الْبَاقِي،

عَدَّ الْكُوفِيُّ ﴿حَم﴾ و ﴿عَسَق﴾ و ﴿كَالْأَعْلَم﴾^(٣).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ حَمَّ عَسَقَ كَانَ مَمَّنْ تُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ،

وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ»^(٤).

عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»،

الْخَبَرُ بِطَوِيلِهِ^(٥).

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «سُورَةُ حَمَّ عَسَقَ».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٩ ص ١٤٠: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ قَتَادَةَ وَمَجَاهِدٍ، وَلَيْسَ فِيهَا نَاسِخٌ وَلَا مَنْسُوخٌ، وَهِيَ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ، وَخَمْسُونَ فِي الْبَصْرِيِّ وَالْمَدَنِيِّينَ. وَفِي تَفْسِيرِ الْمَاورِدِيِّ: ج ٥ ص ١٩١: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعُكْرَمَةَ وَعَطَاءَ وَجَابِرٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ إِلَّا أَرْبَعَ آيَاتٍ مِنْهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ إِلَى آخِرِهَا.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٢٠٨: مَكِّيَّةٌ إِلَّا الْآيَاتِ ٢٣ وَ ٢٤ وَ ٢٥ وَ ٢٧ فَمَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٥٣) نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ فَصَّلَتْ.

(٣) الْآيَةُ: ٣٢.

(٤) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٢٣٥ مَرْسَلًا.

(٥) انْظُرْ ثَوَابَ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ (١) عَسَقَ (٢) كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٦) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَالَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) ﴿

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الوحي يوحى إليك وإلى الأنبياء ﴿مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ﴾ يعني: أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور، وأوحاه إلى من قبلك، على معنى: أن الله كرّر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية، لما فيها من المنافع الدينية لعباده، وقرئ: «يُوحَىٰ إِلَيْكَ»^(١)، وعلى هذا فإنما يرتفع اسم «الله» بما دلّ عليه «يُوحَىٰ»، فكان قائلاً قال: مَنْ الْمُوحَى؟ فقيل: الله.

(١) قرأه ابن كثير وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨٠.

﴿تَكَادُ﴾ قُرِئَ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ^(١)، وقُرِئَ: «يَنْفَطِرْنَ»^(٢) و ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ ومعناه: يَتَشَقَّقْنَ من علو شأنِ الله وعَظَمَتِهِ، بدلالةِ مَجِيئِهِ بعدَ قَوْلِهِ: ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، وقيلَ: من دُعَائِهِمْ لَهُ وَلَدًا^(٣) ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ أي: يَكَادُ يَبْتَدَأُ الْانْفِطَارُ مِنْ جِهَتَيْهِنَّ الْفَوْقَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ آيَاتِ الْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ، وَهِيَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ، وقيلَ: من فَوْقِ الْأَرْضِينَ^(٤)، وعن الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الْمُؤْمِنِينَ. ﴿اللَّهُ حَفِيفٌ﴾ يَحْفَظُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَلَمْ تُوَكَّلْ لِحِفْظِهَا، فَلَا يَضِيقَنَّ صَدْرُكَ لِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وَمِثْلُ ذَلِكَ ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: و«ذلك» إشارةٌ إلى معنى الآية قَبْلَهَا من أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَفِيفُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ بِحَفِيفٍ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ نَذِيرٌ لَهُمْ، لِأَنَّهُ قَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِي مَوَاضِعَ مِنَ التَّنْزِيلِ، فَالكَافُ مَفْعُولٌ لـ ﴿أَوْحَيْنَا﴾ و ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حَالٌ مِنَ الْمَفْعُولِ بِهِ، أي: أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ وَهُوَ قُرْآنٌ عَرَبِيٌّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿ذَلِكَ﴾ إِشَارَةً إِلَى مَصْدَرٍ ﴿أَوْحَيْنَا﴾ أي: وَمِثْلُ ذَلِكَ الْإِيْحَاءِ الْبَيِّنِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا بِلِسَانِكَ ﴿لِتُنذِرَ﴾ أَهْلَ ﴿أُمِّ الْقُرَى﴾ وَهِيَ مَكَّةُ ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، وَتُنذِرَهُمْ ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ، يَقَالُ: أَنْذَرْتُهُ كَذَا وَأَنْذَرْتُهُ بِكَذَا، وَقَدْ عَدَّيَ الْأَوَّلَ إِلَى الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي إِلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي وَهُوَ يَوْمُ الْجَمْعِ، وَقِيلَ: يَجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ^(٥)، وَقِيلَ: يَجْمَعُ بَيْنَ كُلِّ عَامِلٍ وَعَمَلِهِ^(٦)، و ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعْتِرَاضٌ لَا مَحَلَّ لَهُ.

(١) وبالياء قرأه نافع والكسائي. راجع المصدر السابق.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وعاصم برواية أبي بكر. راجع المصدر نفسه.

(٣) حكاها الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٢٠٨.

(٤) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٠٦.

(٥ و ٦) حكاها الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٢١٠.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مَشِيئَةً قُدْرَةً لَأَجْبَرَهُمْ جَمِيعاً عَلَى الْإِيمَانِ، وَلَكِنَّهُ شَاءَ مَشِيئَةً حَكَمَةً أَنْ يُكَلِّفَهُمْ، وَبَنَى أَمْرَهُمْ عَلَى الْإِخْتِيَارِ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾. ﴿أَمْ﴾ مَنْقُطَةً، وَمَعْنَى الْهَمْزَةِ فِيهَا الْإِنْكَارُ ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُتَوَلَّى وَحْدَهُ، وَيَعْتَقَدُ أَنَّهُ الْحَقِيقُ بِالْوِلَايَةِ دُونَ غَيْرِهِ، وَالْفَاءُ جَوَابُ شَرْطٍ مُقَدَّرٍ كَأَنَّهُ قَالَ بَعْدَ إِنْكَارِ كُلِّ وَلِيٍّ سِوَاهُ: إِنْ أَرَادُوا وَلِيّاً بِحَقِّ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَقُّ، وَمِنْ شَأْنِ هَذَا الْوَلِيِّ أَنَّهُ ﴿يُخَيِّمُ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فَهُوَ الْحَرِيُّ بِأَنْ يُتَّخَذَ وَلِيّاً دُونَ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ حِكَايَةُ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَمَعْنَاهُ: مَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ فَحُكْمُ ذَلِكَ الْمُخْتَلَفِ فِيهِ مُفَوَّضٌ ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ يُثِيبُ الْمُحَقَّ وَيُعَاقِبُ الْمُبْطِلَ ﴿ذَلِكُمْ﴾ الْحَاكِمُ ﴿اللَّهُ﴾ هُوَ ﴿رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فِي رَدِّ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ.

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ (١٤) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ

وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥) ﴿

﴿فَاطِرٌ﴾ خبرٌ بعد خبرٍ لـ ﴿ذَلِكُمْ﴾، أو خبرٌ مبتدأ محذوف، أي: خلقَ لكم من جنسِكُمْ ﴿أَزْوَاجًا﴾ وخلق ﴿الأنعم﴾ أيضاً من أجناسها ﴿أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ﴾ يُكْثِرُكُمْ ﴿فيه﴾ في هذا التَّدييرِ، وهو أن جعلَ بين الذُّكورِ والإِناثِ من النَّاسِ والأنعامِ التَّوالِدَ والتَّناسُلَ، والضميرُ في ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ يرجعُ إلى المُخَاطَبِينَ والأنعامِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو كَقَوْلِهِمْ: مِثْلَكَ لَا يَبْخُلُ، والمُرَادُ: نَفْيُ الْبُخْلِ عَنْ ذَاتِهِ، وهو من بابِ الكِنَايَةِ، لأنَّهم إذا نَقَوْا الشَّيْءَ عَمَّنْ يَسُدُّ مَسَدَهُ فَقَدْ نَقَوْهُ عَنْهُ، فالمعنى: نَفْيُ المِثَالَةِ عَنْ ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ، فلا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يُقَالَ: لَيْسَ كَاللَّهِ شَيْءٌ، وَأَنْ يُقَالَ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، إِلَّا فَائِدَةُ الْكِنَايَةِ، وقيل: كُرِّرَتْ كَلِمَةُ التَّشْبِيهِ لِلتَّأْكِيدِ (١) كَمَا كُرِّرَتْ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَصَالِيَاتٍ كَمَا يُوثَقِينَ (٢)

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ دينِ نُوحٍ ومُحَمَّدٍ وَمَنْ بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ فَسَّرَ الْمَشْرُوعَ الَّذِي أَشْتَرَكَ هَؤُلَاءِ الرُّسُلُ فِيهِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ والمُرَادُ: إِقَامَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ وَطَاعَتُهُ وَالْإِيمَانُ بِرُسُلِهِ وَحُجَجِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَحَلُّ ﴿أَنْ أَقِيمُوا﴾ نَصْبٌ بَدَلٌ مِنْ مَفْعُولِ ﴿شَرَعَ﴾ وَالْمَعْطُوفِينَ عَلَيْهِ ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ أَي: عَظُمَ عَلَيْهِمْ وَشَقَّ ﴿يَجْتَبِي إِلَيْهِ﴾ وَالضَّمِيرُ لـ ﴿الدِّينِ﴾ أَي: يَجْتَلِبُ إِلَيْهِ بِالتَّوْفِيقِ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ مَنْ يُجْدِي عَلَيْهِمْ لُطْفَهُ.

(١) قاله الزَّجَّاجُ فِي معاني القرآن: ج ٤ ص ٣٩٥.

(٢) لَخَطَامُ الرِّيحِ المَجَاشِعِيُّ الرَّاجِزُ، وَهُوَ خَطَامُ بْنُ نَصْرِ بْنِ عِيَّاضٍ، وَقِيلَ: اسْمُهُ بَشَرٌ، وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ يَصِفُ فِيهَا آثَارَ دِيَارِ مَهْجُورَةٍ. رَاجِعُ خَزَانَةِ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ: ج ٢ ص ٣١٣.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني: أهل الكتاب بعد أنبيائهم ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ﴾ أن علموا أنَّ
 الفرقة ضلالٌ وفسادٌ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهي عِدَّةُ التَّأخيرِ ﴿إِلَى﴾ يوم
 القيامةِ ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ حينَ أَفْتَرَقُوا لِعَظَمِ مَا أَفْتَرَقُوا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ
 مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وهم أهلُ الكتابِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﴿لَفِي شَكٍّ﴾ من
 كتابِهِمْ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَقَّ الْإِيمَانِ. وقيل: وَمَا تَفَرَّقَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
 جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الْعَرَبُ،
 وَالْكِتَابِ: الْقُرْآنُ ^(١). ﴿فَلِذَلِكَ﴾ أي: فَلِأَجْلِ ذَلِكَ التَّفَرُّقِ ﴿فَادْعُ﴾ إِلَى الْإِتِّفَاقِ
 وَالْإِتِّلَافِ عَلَى الْمِلَّةِ الْحَنِيفَةِ ﴿وَأَسْتَقِمْ﴾ عَلَيْهَا وَعَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهَا ﴿كَمَا أُمِرْتُ وَلَا
 تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الْمُخْتَلِفَةَ الْبَاطِلَةَ ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ مِنَ الْكُتُبِ عَلَى
 الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ فِي الدُّعَاءِ إِلَى الْحَقِّ وَلَا أُحَابِي أَحَدًا، أَوْ:
 أَعْدِلَ بَيْنَكُمْ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: لا خُصُومَةَ لَأَنَّ الْحَقَّ
 قَدْ ظَهَرَ، وَالْحُجَّةُ قَدْ لَزِمَتْكُمْ فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْمَحَاجَّةِ، وَالْمَعْنَى: لَا إِيرَادَ حُجَّةٍ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَفْصِلُ بَيْنَنَا وَيَتَّقِمُ لَنَا مِنْكُمْ.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ
 بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا
 الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) اللَّهُ لَطِيفٌ
 بِعِبَادِهِ، يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

(١) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٠٧.

الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠) ﴿

﴿الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي﴾ دِينَ ﴿اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ أَي: اسْتَجَابُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ لِظُهُورِ حُجَّتِهِ بِالْمُعْجَزَاتِ وَالآيَاتِ الَّتِي أَظْهَرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِيهِ ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أَي: بَاطِلَةٌ، سَمَّى سُبُهَتَهُمْ حُجَّةً عَلَى حَسَبِ اعْتِقَادِهِمْ.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ﴾ جِنْسَ ﴿الْكِتَابِ... وَالْمِيزَانَ﴾ أَي: وَأَنْزَلَ الْعَدْلَ وَالتَّسْوِيَةَ فِي كُتُبِهِ الْمَنْزَلَةِ، وَقِيلَ: الْمِيزَانُ الَّذِي يوزَنُ بِهِ أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ ^(١) ﴿بِالْحَقِّ﴾ مُتَلَبِّسًا بِالْحَقِّ مُقْتَرِنًا بِهِ، أَوْ: بِالْغَرَضِ الصَّحِيحِ كَمَا أَقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ، أَوْ: بِالوَاجِبِ مِنَ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿السَّاعَةِ﴾ فِي تَأْوِيلِ الْبَعْثِ، فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿قَرِيبٌ﴾، أَوْ: لَعَلَّ مَجِيءَ السَّاعَةِ قَرِيبٌ.

﴿يُعَارُونَ﴾ يُلَاجُونَ وَيُخَاصِمُونَ فِي مَجِيءِ السَّاعَةِ ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ مِنَ الْحَقِّ؛ لِأَنَّ قِيَامَ السَّاعَةِ غَيْرُ مُسْتَبْعَدٍ مِنْ قُدْرَةِ الْقَادِرِ بِالذَّاتِ، وَلِدَلَالَةِ الْكِتَابِ الْمُعْجَزِ عَلَى أَنَّهَا آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَلِقِيَامِ دَلِيلِ الْعَقْلِ عَلَى أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ دَارِ جَزَاءِ ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ أَي: بَرُّ بِهِمْ، بَلِغُ الْبِرِّ، قَدْ وَصَلَ بَرُّهُ إِلَى جَمِيعِهِمْ، وَإِلَى حَيْثُ لَا يَبْلُغُهُ وَهُمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ.

سَمَّى مَا يَعْمَلُهُ الْعَامِلُ مِمَّا يَبْتَغِي بِهِ الْفَائِدَةَ حَرْثًا عَلَى الْمَجَازِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ عَمَلِ الْعَامِلِينَ بَانَ مَنْ عَمِلَ لِلْآخِرَةِ وَفَّقَ فِي عَمَلِهِ وَضَوْعِفَتْ حَسَنَاتُهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِلدُّنْيَا أُعْطِيَ شَيْئًا مِنْهَا لَا مَا يَبْتَغِيهِ ﴿وَمَا لَهُ... نَصِيبٌ﴾ قَطُّ فِي الْآخِرَةِ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي مَعْنَى

(١) قاله الجبائي. راجع التبيان: ج ٩ ص ١٥٤.

عامل الآخرة: «وله في الدنيا نصيب» مع أن رزقه المقسوم له لا بد أن يصل إليه؛ للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدره من الفوز والسعادة في المآب.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢١) ترى الظالمين مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦) وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّل بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧)﴾

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ الهمزة في «أَمْ» للتقريع والتقرير، وشركاؤهم: شياطينهم الذين زَيَّنُوا لَهُمُ الشُّرَكَ، والعمل للدنيا، وإنكار الحشر والجزاء وما لم يأمر الله به ولا أذن فيه ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ﴾ في تأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرغ من عذابهم في الدنيا.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ في الآخرة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين خوفاً شديداً، أرق قلوبهم ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ من السيئات ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ وجزاؤه وبأله واقع بهم، واصل

إِلَيْهِمْ، أَشْفَقُوا أَوْ لَمْ يَشْفَقُوا، وَالضَّمِيرُ لِكَسْبِهِمُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ «مَا كَسَبُوا»، وَالرَّوَضَةُ: الْأَرْضُ الْخَضِرَةُ لِحُسْنِ النَّبَاتِ، وَكَأَنَّ ﴿رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ أَطْيَبُ الْبِقَاعِ فِيهَا وَأَنْزَهَهَا ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ وَيَشْتَهُونَ، وَأَنْتَصَبَ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ بِالظَّرْفِ لَا بـ ﴿يَشَاءُونَ﴾، ﴿ذَلِكَ﴾ الثَّوَابُ ﴿هُوَ الْفَضْلُ﴾ الْعَظِيمُ، وَالنَّعِيمُ الْمُقِيمُ الَّذِي يَسْتَأْهِلُ أَنْ يُسَمَّى كَبِيرًا

﴿ذَلِكَ﴾ الثَّوَابُ ﴿الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ فَحُذِفَ الْجَارُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾^(١)، ثُمَّ حُذِفَ الضَّمِيرُ الْعَائِدُ إِلَى الْمَوْصُولِ، أَوْ: ذَلِكَ التَّبَشِيرُ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ لِيَسْتَبَشِرُوا بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا. وَقُرِئَ: ﴿يُبَشِّرُ﴾ مِنْ: بَشَّرَهُ، وَ «يُبَشِّرُ»^(٢) مِنْ: أَبْشَرَهُ.

وَرُوي: أَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَالُوا فِيما بَيْنَهُمْ: أَتَرُونَ مُحَمَّدًا يَسْأَلُ عَلَى مَا يَتَعَاطَاهُ أَجْرًا؟ وَنَزَلَتِ الْآيَةُ^(٣)، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ﴾ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ﴿أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلًا، أَيْ: لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا إِلَّا هَذَا، وَهُوَ أَنْ تَوَدُّوا أَهْلَ قَرَابَتِي، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا أَجْرًا فِي الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ قَرَابَتَهُ قَرَابَتُهُمْ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُمْ لَزِمَةً لَهُمْ فِي الْمُرُوءَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعًا، أَيْ: لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا قَطُّ وَلَكِنْ أَسْأَلُكُمْ أَنْ تُوَادُّوا قَرَابَتِي وَعِشْرَتِي وَتَحْفَظُونِي فِيهِمْ، وَمَعْنَى ﴿فِي الْقُرْبَى﴾ أَنَّهُ جَعَلَهُمْ مَكَانًا لِلْمَوَدَّةِ وَمَقَرًّا لَهَا، كَمَا تَقُولُ: لِي فِي آلِ فُلَانٍ مَوَدَّةٌ؛ وَ: لِي فِيهِمْ حُبٌّ شَدِيدٌ، تُرِيدُ: أُحِبُّهُمْ، وَ: هُمْ مَكَانُ حُبِّي وَمَوَدَّتِي، وَلَيْسَتْ ﴿فِي﴾ بِصِلَةٍ لـ ﴿الْمَوَدَّةِ﴾ كَاللَّامِ إِذَا قُلْتَ: إِلَّا الْمَوَدَّةَ لِلْقُرْبَى، إِنَّمَا هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحذُوفٍ كَمَا

(١) الأعراف: ١٥٥.

(٢) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٢٠٥.

(٣) رواه الواحدي النيسابوري في أسباب النزول: ص ٣١٥ ذح ٧٧٨ عن قتادة.

يَتَعَلَّقُ الظَرْفُ بِهِ فِي قَوْلِكَ: الْمَالُ فِي الْكَيْسِ، وَتَقْدِيرُهُ: إِلَّا الْمَوَدَّةَ ثَابِتَةً فِي الْقُرْبَى.
وعن ابن عباس: أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالُوا: مَنْ قَرَابَتِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرَنَا اللَّهُ
بِمَوَدَّتِهِمْ؟ قَالَ: «عَلَيَّ وَفَاطِمَةُ وَوُلْدُهُمَا»^(١).

وَرَوَى زَادَانُ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «فِينَا مِنْ آلِ حَمِ آيَةٍ لَا يَحْفَظُ مَوَدَّتَنَا إِلَّا كُلُّ
مُؤْمِنٍ» ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ^(٢). وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ الْكُمَيْتُ فِي قَوْلِهِ:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَمِ آيَةً تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُغْرِبُ^(٣)

﴿وَمَنْ يَفْتَرِ حَسَنَةً﴾ عَنِ السَّيِّ: أَنَّ الْحَسَنَةَ الْمَوَدَّةَ فِي آلِ رَسُولِ اللَّهِ^(٤)
وَزِيَادَةُ حُسْنِهَا مِنْ جِهَةِ اللَّهِ عَزَّ أَسْمُهُ: مَضَاعَفْتُهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿فَيَضَعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً﴾^(٥)، وَ «الشُّكُورُ» فِي صِفَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مَجَازٌ لِلْإِعْتِدَادِ بِالطَّاعَةِ وَتَوَفِيَةِ
ثَوَابِهَا، وَالتَّفَضُّلُ عَلَى الْمُثَابِ.

﴿أَمْ﴾ مَنْقُطَةٌ، وَمَعْنَى الْهَمْزَةِ فِيهَا: التَّوْبِيخُ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَيْنَسِبُونَ مِثْلَهُ إِلَى
الْإِفْتِرَاءِ، ثُمَّ إِلَى الْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ أَفْحَشُ الْفِرَى وَأَعْظَمُهَا ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ﴾
يَجْعَلُكَ مِنَ الْمُخْتَوِمِ عَلَى قُلُوبِهِمْ حَتَّى تَفْتَرِيَ عَلَيْهِ الْكَذِبَ، فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى
إِفْتِرَاءِ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِهِمْ، وَهَذَا الْأُسْلُوبُ مُؤَدَّاهُ أَسْتِبْعَادُ
الْإِفْتِرَاءِ مِنْ مِثْلِهِ، وَأَنَّهُ فِي الْبُعْدِ مِثْلُ الشَّرِكِ بِاللَّهِ، وَالِدُّخُولُ فِي جُمْلَةِ الْمُخْتَوِمِ عَلَى
قُلُوبِهِمْ. ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُبْطِلُ مَا يَقُولُونَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَمْحُو اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ أَي:

(١) شواهد التنزيل للحسكاني: ج ٢ ص ١٣٠، المعجم الكبير للطبراني: ج ١ ص ١٢٥
ح ١١٣، مناقب ابن المغازلي الشافعي: ص ٣٠٧، ذخائر العقبى للطبري: ص ٢٤، المناقب
لابن حنبل: ص ٢١٨ مخطوط.

(٢) شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٤٢، الصواعق المحرقة: ص ١٠١، كنز العمال: ج ١ ص ٢٠٨.

(٣) أنظر القصائد الهاشميات والقصائد العلويات: ص ٣٠.

(٤) حكاها عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٢٢١.

(٥) البقرة: ٢٤٥.

ومن عَادَةِ اللَّهِ أَنْ يَمْحُوَ الْبَاطِلَ ﴿وَيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ وَيُثَبِّتَهُ ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ بِوَحْيِهِ أَوْ بِقَضَائِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾^(١)، فَهُوَ يَمْحُو الْبَاطِلَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِكَ وَالْبُهْتِ عَلَيْكَ، وَيُثَبِّتُ الْحَقَّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ وَيَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ.

يَقَالُ: قَبِلْتُ الشَّيْءَ مِنْهُ وَقَبِلْتُهُ عَنْهُ، فَمَعْنَى قَبِلْتُهُ مِنْهُ: أَخَذْتُهُ مِنْهُ وَجَعَلْتُهُ مَبْدَأَ قَبُولِي، وَمَعْنَى قَبِلْتُهُ عَنْهُ: عَزَلْتُهُ عَنْهُ وَأَبْنَيْتُهُ عَنْهُ.

وَالْتَّوْبَةُ: أَنْ يَرْجَعَ عَنِ الْقَبِيحِ وَالْإِخْلَالِ بِالْوَاجِبِ، بَأَنْ يَنْدَمَ عَلَيْهَا وَيَعْزِمَ عَلَى أَنْ لَا يُعَاوِدَهُمَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، لِأَنَّ الْمَرْجُوعَ عَنْهُ قَبِيحٌ وَإِخْلَالٌ بِالْوَاجِبِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ لِعَبْدٍ حَقٌّ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ التَّقْصِي (٢) عَلَى طَرِيقِهِ، وَقُرِئَ ﴿مَا تَفْعَلُونَ﴾ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ (٣).

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ فَحُذِفُ اللَّامُ كَمَا حُذِفَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا كَانُوا لَهُمْ﴾ (٤)، أَي: يَقْبَلُ طَاعَاتِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ عَلَى مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الثَّوَابِ تَفْضُّلاً، وَإِذَا دَعَاهُمْ أَسْتَجَابَ لَهُمْ دَعَاءَهُمْ وَزَادَهُمْ عَلَى مَطْلُوبِهِمْ.

وعن عبد الله عن النبي ﷺ في قَوْلِهِ: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إِنَّهُ الشَّفَاعَةُ لِمَنْ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ مِمَّنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا (٥).

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ﴾ أَي: لَوْ وَسَّعَ اللَّهُ الرِّزْقَ عَلَى عِبَادِهِ عَلَى حَسَبِ مَا يَطْلُبُونَهُ ﴿لَبَغَّوْا﴾ وَظَلَمُوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: يَظْلِمُ هَذَا ذَاكَ، وَذَاكَ هَذَا، لِأَنَّ

(١) الأنبياء: ١٨. (٢) في بعض النسخ: «التقصي».

(٣) وبالياء قرأه ابن كثير ونافع وعاصم برواية أبي بكر وابن عامر وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨٠. (٤) المطففين: ٣.

(٥) أخرجه ابن كثير في تفسيره: ج ٤ ص ١١٧ وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

الْغَنَى مَاشِرَةً مَبْطَرَةً وَكَفَى بِحَالِ قَارُونَ عِزَّةً، وَلَكِنَّهُ ﴿يُنْزَلُ بِقَدَرٍ﴾ أَي: بِتَقْدِيرٍ.
وفي الحديث: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَكَثْرَتَهَا»^(١).

ويجوز أن يكون من البغي الذي هو البَذَخُ والتكبر، أي: لَتَكَبَّرُوا فِي الْأَرْضِ
وَفَعَلُوا مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْكِبَرُ مِنَ الْفَسَادِ فِيهَا، وَلَا شُبْهَةَ أَنْ كِلَا الْأَمْرَيْنِ مَعَ الْفَقْرِ أَقْلُ
وَمَعَ الْبَسْطِ أَكْثَرُ ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ﴾ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ ﴿بَصِيرٌ﴾ بِمَصَالِحِهِمْ وَمَفَاسِدِهِمْ.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ
الْحَمِيدُ﴾ (٢٨) وَمِنْ ءَايَتِهِ، خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ
دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا
لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١) وَمِنْ ءَايَتِهِ، الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ
كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ، إِنْ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ
كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ (٣٥) ﴿

يُرِيدُ بِرَحْمَتِهِ: بَرَكَاتِ الْغَيْثِ وَمَنَافِعَهُ، وَمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنَ الْخَصْبِ بِإِخْرَاجِ
النَّبَاتِ وَالثَّمَارِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: رَحْمَتُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، أَي: ﴿يُنْزَلُ الْغَيْثُ﴾ وَيَنْشُرُ
غَيْرَهَا مِنْ رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ.

﴿وَمَا بَثَّ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَجْرُوراً وَمَرْفُوعاً عَطْفاً عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ
أَوِ الْمُضَافِ، وَقَالَ فِيهِمَا: «وَالدَّوَابُّ فِي الْأَرْضِ» لِأَنَّ الشَّيْءَ يَجُوزُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى
جَمِيعِ الْمَذْكُورِ وَإِنْ كَانَ مُلْتَبِساً بَعْضُهُ، كَقَوْلِهِ ﴿يَخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ﴾^(٢)
وَإِنَّمَا يَخْرِجُ مِنَ الْمَلْحِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْمَلَائِكَةِ مَشْيٌ مَعَ الطَّيْرَانِ فَيُوصَفُوا

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ١٤٩.

(٢) الرحمن: ٢٢.

بِالدَّبِيبِ كَمَا يُوصَفُ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ فِي السَّمَاوَاتِ مَنْ يَمْشِي فِيهَا
كَمَا يَمْشِي الْإِنْسَانُ فِي الْأَرْضِ.

وَقُرِئَ: «بِمَا كَسَبَتْ» بغير فاء^(١) وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة^(٢)،
على أن يكون «بِمَا كَسَبَتْ» خبر المبتدأ الذي هو ﴿مَا أَصَابَكُمْ﴾ من غير تضمين
معنى الشرط، والآية مخصوصة بالمجرمين، ولا يمتنع أن يستوفي الله بعض عقاب
المجرم في الدنيا ويعفو عن بعض، فأما من لا جرم له من المعصومين أو غير
المكلفين من الأطفال والمجانين، فإذا أصابهم شيء من الآلام من مرض وغيره
فللعوض الموفى عليه والغرض الذي هو المصلحة.

وعن عليّ عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «خَيْرُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ هَذِهِ الْآيَةُ، يَا
عَلِيُّ مَا مِنْ خَذَشٍ عُدَّ وَلَا نَكْبَةٍ^(٣) قَوْمٍ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ
أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِيهِ، وَمَا عَاقَبَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عَلَيْهِ
عَبْدُهُ»^(٤).

وَالْأَعْلَامُ: الْجِبَالُ، وَاحِدُهَا عَلَمٌ، قَالَتِ الْخَنَسَاءُ:
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ^(٥)
﴿الْجَوَارِ﴾ وَقُرِئَ بِحَذْفِ الْيَاءِ وَإِثْبَاتِهَا^(٦)، وَالْقِيَاسُ الْإِثْبَاتُ، وَحَذْفُ هَذِهِ

(١) قرأه نافع وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨١.

(٢) أنظر المصدر السابق. (٣) في نسخة: «نكبة».

(٤) ورد الحديث بألفاظ مختلفة فانظر الكافي: ج ٢ ص ٤٤٥ ح ٦، والدر المنثور: ج ٧
ص ٣٥٤ وعزاه إلى أحمد وابن راهويه وابن منيع وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وأبي
يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم.

(٥) والبيت من قصيدة طويلة ترثي بها أخاها صخرًا. أنظر ديوان الخنساء: ص ٤٩.

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بياء في الوصل، ويقف ابن كثير بالياء ونافع وأبو عمرو بغير
ياء. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨١.

الياءاتِ قد كَثُرَ في كلامِهِمْ فَصَارَ مِثْلَ الْقِيَاسِ، وَهِيَ السُّفُنُ الْجَارِيَةُ ﴿إِنْ يَشَأْ﴾ اللَّهُ
 ﴿يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ فَتَبْقَى السُّفُنُ رَاكِدَةً وَاقِفَةً ﴿عَلَى﴾ ظَهْرِ الْمَاءِ، فَجَعَلَ سُبْحَانَهُ
 بِكَمَالِ قُدْرَتِهِ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْجَهَةِ الَّتِي تَسِيرُ إِلَيْهَا السَّفِينَةُ ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عَلَى
 بَلَاءِ اللَّهِ ﴿شَكُورٍ﴾ لِنِعْمَائِهِ، وَهُمَا صِفَتَا الْمُؤْمِنِ الْمُخْلِصِ. ﴿أَوْ يُوبِقُهُنَّ﴾ أَيِ:
 يُهْلِكُهُنَّ بِأَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ عَاصِفَةً فَيَغْرِقَهُنَّ بِسَبَبِ ﴿مَا كَسَبُوا﴾ مِنَ الذُّنُوبِ
 ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ مِنْهَا، وَعَطَفَ ﴿يُوبِقُهُنَّ﴾ عَلَى ﴿يُسْكِنِ﴾ لِأَنَّ الْمَعْنَى: إِنْ يَشَأْ
 يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَرْكُدْنَ أَوْ يَعْصِفُهَا فَيَغْرِقَنَّ بَعْضُهَا.

وَقُرِئَ: ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ ^(١) فَأَمَّا النَّصْبُ فَلِلْعَطْفِ عَلَى تَعْلِيلِ
 مَحْذُوفٍ، وَتَقْدِيرُهُ: لِنَتَقِمَ مِنْهُمْ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ، وَنَحْوُهُ كَثِيرٌ فِي التَّنْزِيلِ، مِنْهُ
 قَوْلُهُ: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ ^(٢) ﴿وَلتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ^(٣)، وَأَمَّا الرَّفْعُ
 فَعَلَى الِاسْتِثْنَاءِ.

﴿فَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ
 وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨)
 وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا
 فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ أَنْتَصَرَ
 بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ
 يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) وَمَنْ يُضْلِلِ

(١) وبالرفع هي قراءة نافع وابن عامر. راجع المصدر السابق.

(٢) البقرة: ٢٥٩.

(٣) الجاثية: ٢٢.

اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ وَلِيِّ مِّنْ بَعْدِهِ، وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ (٤٤) وَتَرَنَّهُمْ يُغَرِّضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِّنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِّنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٦) ﴿

وَقُرِئَ: «كَبِيرَ الْأَثْمِ» عَلَى التَّوْحِيدِ ^(١) وَجَازَ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْجَمْعُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ^(٢).

وفي الحديث: «مُنِعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا» ^(٣).

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ عَظْفٌ عَلَى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وَكَذَلِكَ مَا بَعْدَهُ، ﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أَي: هُمُ الْأَخِصَّاءُ بِالْغَفَرَانِ فِي حَالِ الْغَضَبِ، لَا يَغُولُ الْغَضَبُ أَحْلَامَهُمْ كَمَا يَغُولُ أَحْلَامَ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، فَهَذِهِ فَائِدَةٌ «هُمْ» وَإِيقَاعُهُ مُبْتَدَأً، وَمِثْلُهُ ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾.

وَالشُّورَى: مَصْدَرٌ بِمَعْنَى التَّشَاوُرِ، أَي: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ وَقِيلَ: إِنَّ الْمَعْنَى بِالآيَةِ أَنَّ الْأَنْصَارَ تَشَاوَرُوا فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا وَرَدَ النَّبَاءُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِهِ، فَاجْتَمَعُوا فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَالنُّصْرَةِ لَهُ ^(٤). وَالْمُنْتَصِرُونَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ مَكَّةَ وَبَغَى عَلَيْهِمُ الْكُفَّارُ، ثُمَّ مَكَّنَهُمُ اللَّهُ فَانْتَصَرُوا مِنْهُمْ.

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨١.

(٢) إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: ج ٤ ص ٢٢٢٠ ح ٣٣ عن أبي هريرة.

(٤) قاله الضحاك. راجع تفسير القرطبي: ج ١٦ ص ٣٧.

﴿وَجَزُوا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾ سَمَى سُبْحَانَهُ كِلْتَا الْفِعْلَتَيْنِ: الْأُولَى وَجَزَاءَهَا سَيِّئَةً؛ لِأَنَّهَا تَسُوءُ مَنْ تَنْزِلُ بِهِ. وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ إِذَا قُوِبِلَتِ الْإِسَاءَةُ وَجَبَ أَنْ يُقَابَلَ بِمِثْلِهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عَمَّا لَهُ الْمَوَاخَذَةُ بِهِ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أَمْرُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، أَوْ: بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَصْمِهِ بِالْعَفْوِ وَالْإِغْضَاءِ ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ عِدَّةٌ مُبْهَمَةٌ لَا يُحَاطُ بِكُنْهِيَ فِي الْعِظَمِ ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْتِصَارَ لَا يُؤْمَنُ فِيهِ تَجَاوُزُ النَّصْفَةِ وَالسَّوِيَّةِ وَالْإِعْتِدَاءِ، وَلَا سَيِّمَا فِي حَالِ الْغَضَبِ، فَرُبَّمَا كَانَ الْمُنْتَصِرُ ظَالِمًا مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ: مَنْ ذَا الَّذِي أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ؟ فَيَقَالُ: الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (١).

﴿بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أَضَافَ الْمَصْدَرَ إِلَى الْمَفْعُولِ، أَيِ: بَعْدَ أَنْ ظَلِمَ وَتُعَدِّي عَلَيْهِ ﴿فَأُولَئِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى مَعْنَى «مَنْ» دُونَ لَفْظِهِ ﴿مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ لِلْمُعَاقِبِ وَلَا لِلْعَائِبِ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ أَيِ: الْعِقَابُ وَالذَّمُّ ﴿عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ ابْتِدَاءً. ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ عَلَى الظُّلْمِ وَالْأَذَى ﴿وَعَفَرَ﴾ وَلَمْ يَنْتَصِرْ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصَّبْرَ وَالْمَغْفِرَةَ مِنْهُ ﴿لَمِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ وَحُذِفَ الرَّاجِعُ؛ لِلْعِلْمِ بِهِ كَمَا حُذِفَ مِنْ قَوْلِهِمْ: السَّمْنُ مَنَوَانٍ بِدَرَاهِمٍ، وَعَزَمِ الْأُمُورِ: هُوَ الْأَخْذُ بِأَعْلَاهَا فِي بَابِ نَيْلِ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ.

﴿خَشِيعِينَ﴾ مُتَوَاضِعِينَ مُتَضَائِلِينَ مِمَّا يَلْحَقُهُمْ ﴿مِنْ أَلْذَلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أَيِ: يَبْتَدِئُ نَظْرَهُمْ مِنْ تَحْرِيكِ ضَعِيفٍ لِأَجْفَانِهِمْ، خَفِيَ بِمُسَارَقَةٍ، كَمَا تَرَى الْمَصْبُورَ (٢) يَنْظُرُ إِلَى السَّيْفِ لَا يَمَلَأُ أَجْفَانَهُ مِنْهُ كَمَا يَفْعَلُهُ النََّاظِرُ إِلَى

(١) أَخْرَجَهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرَجِ: ج ٧ ص ٣٥٩ وَعَزَاهُ إِلَى ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنِ مَرْدُوَيْهِ وَابْنِ بَيْهَقٍ فِي الشَّعْبِ عَنْ أَنَسٍ .

(٢) الْمَصْبُورُ: الْمَحْبُوسُ لِلْقَتْلِ (لِسَانَ الْعَرَبِ: مَادَّةُ صَبَرَ) .

مَا يُحِبُّهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إِنَّ تَعَلَّقَ بِـ ﴿خَسِرُوا﴾ كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ وَاقِعًا فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ تَعَلَّقَ بِـ ﴿قَالَ﴾ فَالْمَعْنَى: يَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿إِنَّ الْخَسِرِينَ﴾ فِي الْحَقِيقَةِ هُمُ الَّذِينَ فَوَّتُوا ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ الْإِنْتِفَاعَ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ ﴿وَوَخَسِرُوا﴾ أَهْلِيهِمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ إِذْ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَأَهْلِيهِمْ ^(١) مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ.

﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٨) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ، مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ (٥١) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ، مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)

﴿مِنْ اللَّهِ﴾: «مِنْ» صِلَةٌ ﴿لَا مَرَدَّ﴾ أَي: لَا يَرُدُّهُ اللَّهُ بَعْدَ مَا حَكَمَ بِهِ، أَوْ: «مِنْ» صِلَةٌ ﴿يَأْتِي﴾ أَي: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ اللَّهِ يَوْمٌ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى رَدِّهِ، وَالنَّكِيرُ: الْإِنْكَارُ وَالتَّغْيِيرُ.

وَالْمَرَادُ بِالْإِنْسَانِ هُنَا الْجَمْعُ لَا الْوَاحِدُ لِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ﴾ وَالْمَعْنَى بِهِمْ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «أَوْ أَهْلِيهِمْ».

المجرمون، لَأَنَّ إصَابَةَ السَّيِّئَةِ ﴿بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ﴾ لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا فِيهِمْ، وَالْمُرَادُ بِالرَّحْمَةِ: النُّعْمَةُ مِنَ الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ وَالْغِنَى وَالْأَمْنِ، وَبِالسَّيِّئَةِ: الْبَلَاءُ مِنَ الْقَحْطِ وَالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ وَالْمَخَافِ، وَالْكَفُورُ: الْبَلِيغُ فِي الْكُفْرَانِ، وَلَمْ يَقُلْ: فَإِنَّهُ كَفُورٌ لِيَسْجَلَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْجَنَسَ مُوسُومٌ بِكُفْرَانِ النَّعْمِ كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(١)، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾^(٢) أَي: يَذْكُرُ الْبَلَاءَ وَيَنْسَى النَّعْمَ.

وَلَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ إِذَاقَةَ الْإِنْسَانِ الرَّحْمَةَ وَإِصَابَتَهُ بِضِدَّهَا عَقَّبَ ذَلِكَ بِأَنَّ لَهُ ﴿مُلْكُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ وَأَنَّهُ يُقَسَّمُ كَيْفَ شَاءَ النُّعْمَةُ وَالْبَلَاءُ، وَ﴿يَهَبُ﴾ كَيْفَ أَرَادَ لِعِبَادِهِ الْأَوْلَادَ فَيَخُصُّ بَعْضَهُمْ بِالْإِنَاثِ، وَبَعْضَهُمْ بِالذُّكُورِ، وَبَعْضَهُمْ بِالصَّنَفَيْنِ جَمِيعاً، وَيُعْطِمُ مِنْهُمْ مَنْ يَشَاءُ فَلَا يَهَبُ لَهُ وَلِذَا.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ وَمَا صَحَّ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾ إِلَّا عَلَى أَحَدٍ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: إِمَّا عَلَى طَرِيقِ الْوَحْيِ وَهُوَ الْإِلْهَامُ وَالْقَذْفُ فِي الْقَلْبِ أَوْ الْمَنَامُ، كَمَا أَوْحَى إِلَى أُمِّ مُوسَى، وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي ذَبْحِ وَلَدِهِ، وَأَوْحَى إِلَى دَاوُدَ الزَّبُورَ فِي صَدْرِهِ، وَإِمَّا أَنْ يُسْمِعَهُ كَلَامَهُ الَّذِي يَحْدِثُهُ فِي بَعْضِ الْأَجْرَامِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْصُرَ السَّامِعُ مَنْ يُكَلِّمُهُ، لِأَنَّهُ فِي ذَاتِهِ غَيْرُ مَرْتَبِيٍّ، وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ مَثَلُ أَي: كَمَا يُكَلِّمُ الْمَلِكُ الْمُحْتَاجُ بَعْضَ خَوَاصِّهِ وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ فَيَسْمَعُ صَوْتَهُ وَلَا يَرَى شَخْصَهُ، وَذَلِكَ كَمَا كَلَّمَ سُبْحَانَهُ مُوسَى وَيُكَلِّمُ الْمَلَائِكَةَ، وَإِمَّا عَلَى أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ رَسُولًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَيُوحِي الْمَلِكُ إِلَيْهِ، كَمَا كَلَّمَ غَيْرَ مُوسَى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى السَّنَنِهِمْ وَقِيلَ: ﴿وَحْيًا﴾ كَمَا أَوْحَى إِلَى الرُّسُلِ بِوَاسِطَةِ الْمَلِكِ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا نَبِيًّا كَمَا كَلَّمَ أُمَّمَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى السَّنَنِهِمْ^(٣)، وَ﴿وَحْيًا﴾ وَ«أَنْ يُرْسِلَ» مَصْدَرَانِ وَقَعَا مَوْقِعَ الْحَالِ، كَمَا يُقَالُ: جِئْتُ رِكْضًا، وَ: أَتَيْتُ مَشِيًّا، لِأَنَّ «أَنْ يُرْسِلَ» فِي مَعْنَى

(٢) العاديات: ٦.

(١) إِبْرَاهِيمَ: ٣٤.

(٣) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٢٣٣.

«إِرسَالاً»، و ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ظَرَفٌ وَقَعَ مَوْقِعَ الْحَالِ أَيْضاً كَقَوْلِهِ: ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً﴾^(١)، وتَقْدِيرُهُ: وَمَا صَحَّ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهُ وَاحِداً إِلَّا مُوَحِّياً أَوْ مُسْمِعاً ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أَوْ مُرْسِلاً رَسُولاً. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿وَخِياً﴾ مَوْضُوعاً مَوْضِعَ «كَلَاماً» لِأَنَّ الْوَحْيَ كَلَامٌ خَفِيٌّ فِي سُرْعَةٍ، كَمَا يَقُولُ: لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا جَهْراً، لِأَنَّ الْجَهْرَ ضَرْبٌ مِنَ الْكَلَامِ، وَكَذَلِكَ «إِرسَالاً» جَعَلَ الْكَلَامَ عَلَى لِسَانِ الرُّسُولِ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ بغيرِ واسِطَةٍ، تَقُولُ: قُلْتُ لِفُلَانٍ كَذَا، وَإِنَّمَا قَالَهُ وَكَيْلُكَ أَوْ رَسُولُكَ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ مَعْنَاهُ: أَوْ إِسْمَاعاً مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. وَمَنْ جَعَلَ ﴿وَخِياً﴾ فِي مَعْنَى «أَنْ يُوَحِّيَ» وَعَطَفَ ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ عَلَيْهِ عَلَى مَعْنَى: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ إِلَّا بَأَنْ يُوَحِّيَ أَوْ بَأَنْ يُرْسِلَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَدَّرَ قَوْلُهُ: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ تَقْدِيراً يُطَابِقُهُمَا عَلَيْهِ، نَحْوُ: أَوْ أَنْ يُسْمِعَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. وَقُرِئَ: «أَوْ يُرْسِلُ فَيُوَحِّيُ» بِالرَّفْعِ^(٢) عَلَى: «أَوْ هُوَ يُرْسِلُ»، أَوْ: هُوَ بِمَعْنَى «مُرْسِلاً» عَطْفاً عَلَى ﴿وَخِياً﴾ فِي مَعْنَى «مُوَحِّياً» ﴿إِنَّهُ عَلَى﴾ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ ﴿حَكِيمٌ﴾ يُجْرِي أَفْعَالَهُ عَنْ الْحِكْمَةِ، فَيُكَلِّمُ تَارَةً بِوَاسِطَةٍ، وَأُخْرَى بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ: إِمَّا إِلْهَاماً أَوْ خِطَاباً.

﴿رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، لِأَنَّ الْخَلْقَ يَحْيُونَ بِهِ فِي دِينِهِمْ كَمَا يَحْيَا الْجَسَدُ بِالرُّوحِ، وَقِيلَ: هُوَ رُوحُ الْقُدُسِ^(٣)، وَقِيلَ: هُوَ مَلَكٌ أَعْظَمُ مِنْ جِبْرَائِيلَ أَوْ مِيكَائِيلَ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٤) ﴿وَلَا الْإِيمَنُ﴾ يَعْنِي: مَعَالِمُ الْإِيمَانِ مِنَ الشَّرَائِعِ.



(١) يونس: ١٢.

(٢) قرأه نافع وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨٢.

(٣) وهو قول الربيع كما في تفسير البغوي: ج ٤ ص ١٣٢ وفيه ذكر «جبرئيل» بناءً على أَنَّ «روح القدس» هو جبرئيل عليه السلام وهو مذهب العامة.

(٤) وهو المروي عن أهل البيت عليهم السلام، أنظر الكافي: ج ١ ص ٢٧٣ باب الروح التي يمدد الله بها الأئمة عليهم السلام.

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

مَكِّيَّةٌ^(١)، وَقِيلَ: إِلَّا آيَاتٍ، وَرَوَى أَنْ قَوْلَهُ: ﴿وَسْئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾^(٢) نَزَلَتْ
بَيْتِ الْمَقْدِسِ^(٣)، وَقِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾^(٤) الْآيَاتُ نَزَلَتْ فِي حَجَّةِ
الْوَدَاعِ^(٥). تِسْعٌ وَثَمَانُونَ آيَةً ﴿حَمٌ﴾ كُوفِيٌّ، ﴿هُوَ مَهِينٌ﴾^(٦) بَصْرِيٌّ.
وَفِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الزُّخْرُفِ كَانَ مَمَّنْ يُقَالُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:
﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَخْزَنُونَ﴾»^(٧).
وَعَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَدَمَّنَ قِرَاءَةَ حَمِ الزُّخْرُفِ آمَنَهُ اللَّهُ فِي قَبْرِهِ مِنْ هَوَامِّ
الْأَرْضِ، وَمِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ»^(٨).

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٩ ص ١٧٩: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ، وَهِيَ تِسْعٌ
وَثَمَانُونَ آيَةً بِإِخْلَافٍ فِي جَمَلَتِهَا.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٢٣٥: مَكِّيَّةٌ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿وَسْئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
مِنْ رُسُلِنَا﴾ وَهِيَ تِسْعٌ وَثَمَانُونَ آيَةً، نَزَلَتْ بَعْدَ الشُّورَى.
(٢) الْآيَةُ: ٤٥.

(٣) وَهُوَ قَوْلُ مُقَاتِلٍ كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْأَلُوسِيِّ: ج ٢٥ ص ٦٣.
(٤) الْآيَةُ: ٤١ وَمَا بَعْدَهَا.

(٥) وَهُوَ قَوْلُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ. رَاجِعْ شَوَاهِدَ التَّنْزِيلِ لِلْحَسْكَانِيِّ: ج ٢ ص ٢١٦
ح ٨٥١.
(٦) الْآيَةُ: ٥٢.

(٧) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٢٦٨ مَرْسَلًا، وَالْآيَةُ: ٦٨ مِنْهَا.

(٨) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤١ وَزَادَ: «حَتَّى يَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ جَاءَتْ ←

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ (٤) أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠)﴾

﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ القرآن، وهو البَيِّنُ للَّذِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ بَلَّغَتْهُمْ، وَقِيلَ: الَّذِي أَبَانَ طَرِيقَ الْهُدَى وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ مِنَ الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ^(١). و ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ، وَهُوَ بِمَعْنَى «صَيَّرْنَاهُ» فَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، أَوْ تَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ عَلَى مَعْنَى «خَلَقْنَاهُ»، و ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حَالٌ، و «لَعَلَّ» مُسْتَعَارٌ بِمَعْنَى الْإِرَادَةِ لِتِلَاخِظِ مَعْنَاهَا وَمَعْنَى^(٢) التَّرَجُّي، أَي: خَلَقْنَاهُ عَرَبِيًّا غَيْرَ عَجْمِيٍّ إِرَادَةً أَنْ تَعْقِلَهُ الْعَرَبُ، وَلَيْلًا يَقُولُوا: ﴿لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَتُهُ﴾^(٣). وَقُرِئَ: «إِثْمُ الْكِتَابِ» بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ^(٤) وَهُوَ اللَّوْحُ، كَقَوْلِهِ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^(٥) سُمِّيَ بِأُمِّ الْكِتَابِ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ الَّذِي أُثْبِتَتْ فِيهِ الْكُتُبُ،

حَتَّى تَكُونَ هِيَ الَّتِي تَدْخُلُهُ الْجَنَّةُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

(١) قَالَه مِقَاتِل. رَاجِعُ تَفْسِيرِ الْمَاورِدِي: ج ٥ ص ٢١٤.

(٢) لَعَلَّه: «أَوْ مَعْنَى». (٣) فَصَّلَتْ: ٤٤.

(٤) قرأه الأخوان (حمزة والكسائي). راجع العنوان في القراءات السبع لابن خلف: ص ١٧١.

(٥) البروج: ٢١ و ٢٢.

مَنْهُ تَنْقُلُ وَتَسْتَنْسِخُ ﴿لَعَلِّي﴾ أَي: عَالٍ رَفِيعُ الشَّأْنِ فِي الْكُتُبِ لِكَوْنِهِ مُعْجِزاً مَنْ بَيْنَهَا، ﴿حَكِيمٌ﴾ ذُو حِكْمَةٍ بِالْفَعْلِ، أَي: مَنْزِلَتُهُ عِنْدَنَا مَنْزِلَةُ كِتَابٍ هُمَا صِفَتَاهُ، وَهُوَ مُثَبَّتٌ فِي أُمِّ الْكِتَابِ هَكَذَا.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾ أَي: أَفُنْصَحِي ^(١) عَنْكُمُ الذِّكْرَ وَنَذُودُهُ عَنْكُمُ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: «ضَرَبَ الْغَرَائِبِ عَنِ الْحَوْضِ» ^(٢) وَالْفَاءُ لِلْعَطْفِ عَلَى مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: أَنَّهُمْ لَكُمْ فَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ ﴿صَفْحاً﴾ عَلَى وَجْهَيْنِ: إِمَّا مَصْدَرٌ مِنْ: صَفَحَ عَنْهُ إِذَا أَعْرَضَ، انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ عَلَى مَعْنَى: أَفَنَعَزِلُ عَنْكُمُ انْزَالَ الْقُرْآنِ وَالْزَامَ الْحُجَّةَ إِعْرَاضاً عَنْكُمُ، وَإِمَّا بِمَعْنَى الْجَانِبِ فَانْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ كَمَا تَقُولُ: فُلَانٌ يَمْشِي جَانِباً ﴿أَنْ كُنْتُمْ﴾ لَأَنْ كُنْتُمْ. وَقُرِئَ «إِنْ كُنْتُمْ» ^(٣) وَإِنَّمَا اسْتَقَامَ مَعْنَى الشَّرْطِ وَقَدْ كَانُوا ﴿مُسْرِفِينَ﴾ عَلَى الْقَطْعِ، لِأَنَّهُ مِنَ الشَّرْطِ الَّذِي يَصْدُرُ عَنِ الْمُدِلِّ أَي: الْمُظْهِرِ بِصَحَّةِ الْأَمْرِ الْمُتَحَقِّقِ لِثُبُوتِهِ، كَمَا يَقُولُ الْأَجِيرُ: إِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ لَكَ فَوْفَنِي حَقِّي، وَهُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ وَلَكِنَّهُ يُخَيِّلُ فِي كَلَامِهِ أَنَّ تَفْرِيطَكَ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْحَقِّ فِعْلٌ مَنْ لَهُ شَكٌّ فِي الْاسْتِحْقَاقِ مَعَ وَضُوحِهِ اسْتِجْهَالاً لَهُ.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾ حِكَايَةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ، وَهِيَ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَسْتِهْزَاءِ قَوْمِهِ. الضَّمِيرُ فِي ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ لِلْمُسْرِفِينَ، لِأَنَّهُ صَرَفَ الْخِطَابَ عَنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ عَنْهُمْ ﴿وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَي: سَلَفَ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ ذِكْرُ قِصَّتِهِمُ الَّتِي سَارَتْ مَسِيرَ الْمَثَلِ، وَهَذَا وَعْدٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَعِيدٌ

(١) فِي نَسْخَةِ: «أَفُنْصَحِي».

(٢) فِي الْمَجْمَعِ: «ضَرَبَهُ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ» وَذَلِكَ أَنَّ الْغَرِيبَةَ تَزْدَحِمُ عَلَى الْحِيَاضِ عِنْدَ الْوُرُودِ، وَصَاحِبُ الْحَوْضِ يَطْرُدُهَا وَيَضْرِبُهَا بِسَبَبِ إِبِلِهِ. وَالْمَثَلُ يُضْرَبُ فِي دَفْعِ الظَّالِمِ عَنْ ظَلَمِهِ بِأَشَدِّ مَا يُمْكِنُ. رَاجِعَ مَجْمَعَ الْأَمْثَالِ: ج ١ ص ٤٣٢.

(٣) قَرَأَهُ نَافِعٌ وَحَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ. رَاجِعَ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٥٨٤.

لَهُمْ. ﴿لَيَقُولَنَّ خَلَقْنَاهُ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ لَيَسْبُبَنَّ خَلْقَهَا إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ، وَلَيَسْنِدُنَّهُ إِلَيْهِ. ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ، ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوْ مَن يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا أَلَمَاتٍ كَلِمَةً الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) ﴿

﴿بِقَدَرٍ﴾ بِمَقْدَارِ الْحَاجَةِ وَلَمْ يَكُنْ طَوْفَانًا يَضُرُّ بِالْبِلَادِ وَالْعِبَادِ. وَ ﴿الْأَزْوَاجَ﴾: الْأَصْنَافَ وَ ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ أَي: تَرْكَبُونَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، يُقَالُ: رَكَبُوا الْأَنْعَامَ وَرَكَبُوا فِي الْفُلْكِ، فَغَلَبَ الْمُتَعَدِّي بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ لِقَوَّتِهِ عَلَى الْمُتَعَدِّي بِوَاسِطَةٍ وَإِنْ كَانَ الْجِنْسَانِ مَذْكُورَيْنِ. ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ أَي: عَلَى ظُهُورِ مَا تَرْكَبُونَهُ، وَ ﴿تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ أَنْ تَعْتَرَفُوا بِهَا فِي قُلُوبِكُمْ مُسْتَغْظِمِينَ لَهَا، ثُمَّ تَحْمِدُوهُ عَلَيْهَا بِالسِّنِّتِكُمْ.

وهو ما رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا فِي سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَىٰ وَالْعَمَلَ بِمَا تَرْضَىٰ، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا

سَفَرْنَا هَذَا وَأَطَوْ عَنَّا بُغْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ وَكَآيَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ، وَإِذَا رَجَعَ قَالَ: آيِبُونَ تَائِبُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ^(١).

وعن الصادق عليه السلام قال: «ذِكْرُ النِّعْمَةِ أَنْ تَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَعَلَّمَنَا الْقُرْآنَ، وَمَنْ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَقُولُ بَعْدَهُ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ إِلَى آخِرِهِ»^(٢).

﴿مُفْرِنِينَ﴾ أَي: مُطِيقِينَ، وَحَقِيقَةً «أَقْرَنَهُ»: وَجَدَهُ قَرِينَتَهُ وَمَا يُقْرَنُ بِهِ؛ لِأَنَّ الصَّغَبَ لَا يُقْرَنُ بِالضَّعِيفِ، وَلَمَّا كَانَ الرُّكُوبُ مَبَاشِرَةً أَمْرٍ ذِي خَطَرٍ، فَمِنْ حَقِّ الرَّاكِبِ أَنْ لَا يَنْسَى أَنْقِلَابَهُ إِلَى اللَّهِ، وَلَا يَدَعُ ذِكْرَ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ مُسْتَعِدًّا لِلِقَاءِ اللَّهِ. ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ مَتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ أَي: إِنْ سَأَلْتَهُمْ عَنِ الْخَالِقِ اعْتَرَفُوا بِهِ، وَقَدْ جَعَلُوا لَهُ مَعَ ذَلِكَ الْاعْتِرَافِ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا أَبَانُ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، فَجَعَلُوهُمْ جُزْءًا لَهُ وَبَعْضًا مِنْهُ، كَمَا يَكُونُ الْوَلَدُ بِضْعَةً مِنَ وَالِدِهِ، فَوَصَفُوهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ جَحُودُ النِّعْمَةِ ﴿مُبِينٌ﴾ ظَاهِرُ جُحُودِهِ؛ لِأَنَّ نِسْبَةَ الْوَلَدِ إِلَيْهِ كُفْرٌ، وَالْكَفْرُ أَصْلُ الْكُفْرَانِ كُلِّهِ.

﴿أَمْ اتَّخَذَ﴾ بَلِ اتَّخَذَ، الْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ تَجْهِيلًا لَهُمْ وَتَعْجِيبًا مِنْ نَشَأَتِهِمْ^(٣) حَيْثُ لَمْ يَرْضَوْا بِأَنْ جَعَلُوا لِلَّهِ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا، حَتَّى جَعَلُوا ذَلِكَ الْجُزْءَ أَذْوَنَ الْجُزْأَيْنِ، وَهُوَ الْإِنَاثُ دُونَ الذُّكُورِ، عَلَى أَنَّهُمْ أَمَقَّتْ خَلْقُ اللَّهِ لِلْإِنَاثِ حَتَّى أَنَّهُمْ كَانُوا يَيْدُونَهُنَّ. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ﴾ بِالْجِنْسِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ ﴿مَثَلًا﴾ أَي: شَبَهًا،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: ج ٢ ص ٩٧٨ ح ١٣٤٢ عن ابن عمر.

(٢) رواه العياشي كما في تفسير البرهان للبحراني: ج ٤ ص ١٤٧ ح ٥.

(٣) في بعض النسخ: «شأنهم».

لأنَّه إِذَا جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ جُزْءاً لَهُ وَبَعْضاً مِنْهُ فَقَدْ جَعَلَهُ مِنْ جَنْسِهِ وَمُمَاثِلاً لَهُ، لِأَنَّ الْوَلَدَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جَنْسِ الْوَالِدِ ﴿ظِلٌّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ غَيْظاً وَأَسْفَاً ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مَمْلُوءٌ مِنَ الْكَرْبِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿أَوْ﴾ يَجْعَلُ لِلرَّحْمَنِ مِنَ الْوَلَدِ مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَهُوَ أَنَّهُ ﴿يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ أَي: يَتَرَبَّى فِي الزَّيْنَةِ وَالنَّعْمَةِ، وَهُوَ إِذَا أَحْتَاجَ إِلَى مُجَآثَاةِ الْخُصُومِ وَمَخَاصِمَةِ الرِّجَالِ كَانَ ﴿غَيْرَ مُبِينٍ﴾ لَيْسَ عِنْدَهُ بَيَانٌ، وَلَا يَأْتِي بِبُرْهَانٍ يَحُجُّ بِهِ مَنْ خَاصَمَهُ، وَذَلِكَ لِضَعْفِ عُقُولِ النِّسَاءِ.

وَقُرِئَ: «عِنْدَ الرَّحْمَنِ» ^(١) وَهُوَ مَثَلٌ لاختصاصِهِمْ وزُلفَاهُمْ و ﴿عِبْدُ الرَّحْمَنِ﴾ وَقُرِئَ: «يُنْشَأُ» ^(٢) و ﴿يُنْشَأُ﴾، وَمَعْنَى ﴿جَعَلُوا﴾ سَمَّوْا وَقَالُوا: إِنَّهُمْ إِنَاثٌ، وَقُرِئَ «أَشْهَدُوا» بِهَمْزَتَيْنِ مَفْتُوحَةٍ وَمَضْمُومَةٍ ^(٣)، و «أَشْهَدُوا» بِالْألفِ بَيْنَ الْهَمْزَتَيْنِ ^(٤)، وَهَذَا تَهَكُّمٌ بِهِمْ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَدَلِيلٍ، فَلَمْ يَتَّقَ إِلَّا أَنْ يُشَآهَدُوا ﴿خَلَقَهُمْ﴾ فَأَخْبِرُوا عَنِ الْمَشَاهِدَةِ ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ الَّتِي شَهِدُوا بِهَا عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ وَهَذَا وَعِيدٌ.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ هُمَا نَوْعَانِ مِنَ الْكُفْرِ: عِبَادَتُهُمُ الْمَلَائِكَةَ، وَزَعْمُهُمْ أَنَّ عِبَادَتَهُمْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ كَمَا قَالَ إِخْوَانُهُمُ الْمُجْبَرَّةُ، ثُمَّ كَذَّبَهُمْ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أَي: يَكْذِبُونَ.

﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ، فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا

(١) قرأه ابن كثير ونافع وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨٥.

(٢) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر. راجع المصدر السابق.

(٣) وهي قراءة نافع وعاصم برواية المفضل. راجع المصدر السابق نفسه، وفي شواذ القرآن

لابن خالويه: ص ١٣٥ نسبها إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) وهي قراءة المسيبي عن نافع. راجع كتاب السبعة السابق.

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ (٢٣) * قُلْ أُولَٰؤِ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) ﴿

أي: أهذا شيءٌ يخْرِصُونَهُ ﴿أم آتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾ قبل هذا الكتابِ نَسَبْنَا فِيهِ الْكُفْرَ إِلَيْنَا فَهُمْ ﴿مُسْتَمْسِكُونَ﴾ بِهِ، بَلْ لَا حُجَّةَ لَهُمْ يَسْتَمْسِكُونَ بِهَا إِلَّا قَوْلُهُمْ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ أي: دينٍ ومِلَّةٍ وطَرِيقَةٍ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ خَبْرَانِ لـ «إِنَّ» أَوِ الظَّرْفُ صِلَةٌ ﴿مُهِتَدُونَ﴾. وَ ﴿مُتْرَفُوهَا﴾: الَّذِينَ أَثَرَتْهُمْ النِّعْمَةُ، أَي: أَبْطَرَتْهُمْ فَأَثَرُوا التَّرَفُّهُ عَلَى طَلَبِ الْحُجَّةِ، وَعَاقُوا مَشَاقَّ التَّكْلِيفِ، وَكُلُّ فَرِيقٍ يُقَلِّدُ أَسْلَافَهُ.

وَقُرِئَ «قُلْ» ^(١) وَ ﴿قَالَ﴾ أَي: قَالَ لَهُمُ النَّذِيرُ، وَ «قُلْ» حِكَايَةُ لِمَا أُوحِيَ إِلَى النَّذِيرِ، أَي: قُلْ لَهُمْ ﴿أُولَٰؤِ جِئْتُكُمْ﴾، وَقُرِئَ: «جِئْنَاكُمْ» ^(٢)، أَي: أَتَيْتُكُمْ آبَاءَكُمْ وَلَوْ جِئْتُكُمْ بِدِينٍ أَهْدَىٰ مِنْ دِينِ آبَائِكُمْ؟ ﴿قَالُوا إِنَّا﴾ ثَابِتُونَ عَلَى دِينِ آبَائِنَا وَإِنْ جِئْنَا بِمَا هُوَ أَهْدَىٰ.

(١) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحزمة والكسائي وأبو بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨٥.

(٢) قرأه أبي وأبو جعفر وأبو شيخ الهنائي. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٣٦.

﴿بَرَاءٌ﴾ يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْاِثْنَانِ وَالْجَمَاعَةُ، وَالْمَذْكُورُ وَالْمَوْثُوثُ؛ لِأَنَّهُ مُضَدَّرٌ، يُقَالُ: نَحْنُ الْبَرَاءُ مِنْكَ وَالْخَلَاءُ مِنْكَ. ﴿الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوباً عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَكِنِ الَّذِي فَطَرَنِي وَأَنْشَأَنِي فَإِنَّهُ ﴿سَيَهْدِينِ﴾، وَأَنْ يَكُونَ مَجْرُوراً بَدَلًا مِنَ الْمَجْرُورِ بِـ«مِنْ» كَأَنَّهُ قَالَ: إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا مِنَ الَّذِي فَطَرَنِي. وَعَنْ قَتَادَةَ: كَانُوا يَقُولُونَ: اللَّهُ رَبُّنَا مَعَ عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامِ^(١)، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مَا» مَوْصُوفَةً فِي ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، وَ﴿إِلَّا﴾ صِفَةٌ بِمَعْنَى «غَيْرِ»، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: إِنِّي بَرَاءٌ مِنْ آلِهَةٍ تَعْبُدُونَهَا غَيْرَ الَّذِي فَطَرَنِي. ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أَي: جَعَلَ إِبْرَاهِيمُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ فِي ذُرِّيَّتِهِ، فَلَا يَزَالُ فِيهِمْ مَنْ يُوحِّدُ اللَّهَ وَيَدْعُوا إِلَى تَوْحِيدِهِ، وَقِيلَ: وَجَعَلَهَا اللَّهُ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْكَلِمَةُ الْبَاقِيَةُ فِي عَقِبِهِ هِيَ الْإِمَامَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).
وَعَنِ السُّدِّيِّ: هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ^(٤).

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لَعَلَّ مَنْ أَشْرَكَ مِنْهُمْ يَرْجِعُ بِدُعَاءٍ مَنِ وَحَّدَ مِنْهُمْ. ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾ يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ وَهُمْ مِنْ عَقِبِ إِبْرَاهِيمَ بِالْمَدِّ فِي الْعُمْرِ وَالنِّعْمَةِ، فَاغْتَرَّوْا بِالْمُهْلَةِ، وَشُغِلُوا بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ عَنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ الرِّسَالَةِ وَاضِحُهَا بِمَا مَعَهُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ، فَكَذَّبُوهُ وَسَمَّوْهُ سَاحِرًا وَمَا جَاءَ بِهِ سِحْرًا.

(١) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ١٩٣.

(٢) قاله ابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ١٧٩.

(٣) معاني الأخبار للصدوق: ص ١٣١ - ١٣٢.

(٤) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ١٩٤، والماوردي في تفسيره: ج ٥

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١)
 أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمَتُ
 رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا
 لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣)
 وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَيَّوْنَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا
 مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) وَمَن يَعِشْ عَن ذِكْرِ
 الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ
 السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي
 وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَلَن يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ
 أَنكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩) أَفَأَن تَسْمَعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى
 وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤٠)﴾

الْقَرْيَتَانِ: مَكَّةُ وَالطَّائِفُ ﴿مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ من إِحْدَى الْقَرْيَتَيْنِ، وَقِيلَ: من
 رَجُلِي الْقَرْيَتَيْنِ وهما: الْوَلِيدُ بن الْمُغِيرَةِ من مَكَّةَ، وَحَبِيبُ بن عَمْرٍو الشَّقْفِي من
 الطَّائِفِ عَن أَبِي عَبَّاسٍ^(١)، وَالْوَلِيدُ بن الْمُغِيرَةِ وَعُرْوَةُ بن مَسْعُودٍ الشَّقْفِي عَن
 قَتَادَةَ^(٢)، وَأَرَادَ بِعِظَمِ الرَّجُلِ رِئَاسَتَهُ فِي الدُّنْيَا.

﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ الْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ وَالتَّعَجُّبِ من أَعْتَرَضِهِمْ
 وَتَحَكَّمِهِمْ، أَي: أَهْمُ الْمَدْبُرُونَ لِأَمْرِ النُّبُوَّةِ وَالتَّخْيِيرِ لَهَا مَن يَصْلُحُ لَهَا وَيَقُومُ بِهَا،
 وَالْمَتَوَلُّونَ لِقِسْمَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَتَوَلَّاهَا إِلَّا هُوَ بِحِكْمَتِهِ، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا

(١) تفسير ابن عباس: ص ٤١٣.

(٢) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ١٩٥.

فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ عاجِزُونَ عن تَدْبِيرِ مَصَالِحِهِمْ في دُنْيَاهُمْ، وَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ قَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ وَقَدَرَهَا، وَفَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِيهَا فَجَعَلَ مِنْهُمْ أَغْنِيَاءَ وَمَحَاوِيجَ، وَأَقْوِيَاءَ وَضُعَفَاءَ، لِيَسْتَخْدِمَ ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ وَلِيَسَخَّرُوهُمْ فِي أَشْغَالِهِمْ حَتَّى يَصْلُوا إِلَى مَنَافِعِهِمْ، وَلَمْ يُؤْلِهِمْ ذَلِكَ التَّدْبِيرَ وَلَمْ يَفُوضْهُ إِلَيْهِمْ مَعَ قَلَّةِ خَطَرِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ اخْتِيَارُ النُّبُوَّةِ إِلَيْهِمْ مَعَ جَلَالَةِ قَدَرِهَا وَعِظَمِ خَطَرِهَا وَكَوْنُهَا رَحْمَةً اللَّهِ الْكَبْرَى؟ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَرَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ يُرِيدُ: وَهَذِهِ الرَّحْمَةُ الَّتِي هِيَ دِينُ اللَّهِ وَمَا يَتَّبَعُهُ مِنَ الْفَوْزِ وَالتَّوَابِ ﴿خَيْرٌ مِّمَّا﴾ يَجْمَعُ هَؤُلَاءِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ عَنْ هَوَانِ الدُّنْيَا وَقَلَّةِ خَطَرِهَا عِنْدَهُ فَقَالَ: ﴿وَلَوْلَا أَنُ يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أَي: لَوْلَا كَرَاهَةُ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى الْكُفْرِ ﴿لَجَعَلْنَا﴾ لِلْكَفَّارِ سُقُوفًا وَمَصَاعِدَ، وَ﴿أَبُوبًا وَسُرُرًا﴾ مِنْ فِضَّةٍ ﴿وَوَجَعَلْنَا لَهُمْ﴾ زُخْرَفًا أَي: زِينَةً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالزُّخْرَفُ: الذَّهَبُ وَالزَّيْنَةُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ: «سُقُوفًا مِنْ فِضَّةٍ وَزُخْرَفٍ» يَعْنِي: بَعْضُهَا مِنْ فِضَّةٍ وَبَعْضُهَا مِنْ ذَهَبٍ، فَنُصِبَ ﴿زُخْرَفًا﴾ عَطْفًا عَلَى مُحَلٍّ ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿لِيُبَيِّنَهُمْ﴾ بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لِمَنْ يَكْفُرُ﴾ وَقُرِئَ: «سُقُوفًا» بِفَتْحِ السِّينِ وَسُكُونِ الْقَافِ ^(١)، وَ﴿سُقُوفًا﴾ بِضَمِّهِمَا، جَمْعُ سَقْفٍ كـ«رَهْنٍ» وَ«رُهْنٍ»، وَ﴿مَعَارِجَ﴾ جَمْعُ مِعْرَاجٍ، أَوْ: أَسْمُ جَمْعٍ لِمِعْرَاجٍ وَهِيَ الْمَصَاعِدُ إِلَى الْعَلَالِي، ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أَي: عَلَى الْمَعَارِجِ، يَظْهَرُونَ السُّطُوحَ: يَعْلُونَهَا كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَا اسْطَبَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ ^(٢) وَقُرِئَ ﴿لَمَّا﴾ بِالتَّخْفِيفِ ^(٣) وَالتَّشْدِيدِ، فَالتَّخْفِيفُ عَلَى أَنَّ اللَّامَ هِيَ الْمَفَارِقَةُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَ﴿إِنْ﴾

(١) قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨٥.

(٢) الكهف: ٩٧.

(٣) قرأه نافع وابن كثير والكسائي وأبو عمرو وابن عامر برواية ابن ذكوان. راجع كتاب السبعة: ص ٥٨٦.

هي المخففة من الثقلية و «ما» مزيّدة، والتّشديد على أن ﴿لَمَّا﴾ بمعنى «إلا»، و﴿إِنْ﴾ هي النّافية.

يَقَالُ: عَشَا يَعْشُو: إِذَا نَظَرَ نَظَرَ الْمَعْشَى وَلَا آفَةٌ بِهِ، وَعَشَى يَعْشَى: إِذَا حَصَلَتْ الْآفَةُ فِي بَصَرِهِ، أَي: مَنْ يَتَعَامَ ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ فَيَعْرِفُ أَنَّهُ حَقٌّ وَيَتَجَاهَلُ ﴿نَقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا﴾ نَخْذُلُهُ وَنُخَلُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيَاطِينِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾^(١)، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾^(٢). وَقُرِئَ «يُقَيِّضُ» بِالْيَاءِ^(٣)، وَجُمِعَ ضَمِيرُ «مَنْ» وَضَمِيرُ «الشَّيْطَانِ» فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ لَأَنَّ «مَنْ» مُبْهَمٌ فِي جِنْسِ الْعَاشِي وَقَدْ قُيِّضَ لَهُ شَيْطَانٌ مُبْهَمٌ فِي جِنْسِهِ، فَلَمَّا جَازَ أَنْ يَتَنَاولَا لِإِبْهَامِهِمَا غَيْرَ وَاحِدَيْنِ جَازَ أَنْ يُرْجَعَ الضَّمِيرُ إِلَيْهِمَا مَجْمُوعًا.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾ الْعَاشِي، وَقُرِئَ «جَاءَنَا»^(٤) عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ لَهُ وَلِشَيْطَانِهِ، قَالَ لِشَيْطَانِهِ: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ يُرِيدُ: الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، فَغَلَبَ، كَمَا قِيلَ: «الْقَمَرَان» لِلْقَمَرِ وَالشَّمْسِ، قَالَ:

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالتُّجُومُ الطَّوَالِعُ^(٥)

وَبُعْدُهُمَا: تَبَاعَدُهُمَا، الْأَصْلُ: بُعْدُ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَالْمَغْرِبِ مِنَ الْمَشْرِقِ. ﴿أَنْتُمْ﴾ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، أَي: ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ﴾ كَوْنُكُمْ مُشْتَرِكِينَ ﴿فِي الْعَذَابِ﴾، ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ مَعْنَاهُ: إِذَا صَحَّ ظُلْمُكُمْ وَتَبَيَّنَ.

(١) فَصَّلَتْ: ٢٥. (٢) مريم: ٨٣.

(٣) وهي قراءة عليّ عليه السلام والسلمي وعاصم برواية حمّاد والأعمش. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٣٦.

(٤) أي بألف بعد الهمزة على التثنية، وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨٦.

(٥) البيت للفرزدق من قصيدة يفخر بقومه ويذمّ جريراً. راجع ديوان الفرزدق: ج ٢ ص ٧٣.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ﴾ إنكارٌ تعجيبٌ، والمرادُ: أنتَ لا تقدرُ على إكراهِهِم على

الإيمان.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) وَسَأَلَ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبُدُونَ (٤٥) ﴿مَا﴾ في قوله ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ﴾ بمنزلة لام القسم في أنها ^(١) إذا دخلت معها النون الثقيلة، والمعنى: إن قبضناك وتوفيناك ﴿فَإِنَّا... مُنْتَقِمُونَ﴾ منهم بعدك. وعن الحسن وقتادة: أن الله أكرم نبيه بأن لم يره تلك النعمة، وقد كان ذلك بعده ^(٢). وقد روي أنه عليه السلام أري ما تلقى أمته بعده، فما زال منقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتى قبض ^(٣).

وروى جابر بن عبد الله قال: إني لأدناهم من رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى حين قال: «لا ألفيتكم، ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم» ثم ألفت إلى خلفه فقال: «أو عليّ أو عليّ» ثلاث مرات، فرأينا أن جبرائيل عليه السلام غمزه فأنزل الله تعالى على أثر ذلك: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ بعلي بن أبي طالب عليه السلام ^(٤).

وإن أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب فإنهم تحت قدرتنا لا يفوتونا،

(١) كذا في النسخ، والظاهر: إذا دخلت دخلت معها النون، كما في الكشف ج ٤ ص ٢٥٤.

(٢) حكاها عنهما الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ١٩٠.

(٣) رواه أنس، أخرجه الحاكم في مستدركه: ج ٢ ص ٤٤٧.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي: ج ٢ ص ١١٦ - ١١٧، شواهد التنزيل للحسكاني: ج ٢ ص ٢١٦ ح

٨٥١، المناقب لابن المغازلي الشافعي: ص ٢٧٤ ح ٣٢١.

وقيل: إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى نِقْمَةَ اللَّهِ مِنْهُمْ يَوْمَ بَذَرَ بَأْنَ أَسَرَ مِنْهُمْ وَقَتْلَ^(١).

﴿فَاسْتَمْسِكْ﴾ أي: تَمَسَّكْ بما أَوْحَيْنَا ﴿إِلَيْكَ﴾ وَالْعَمَلِ بِهِ ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لَا يَحِيدُ عَنْهُ إِلَّا ضَالٌّ. ﴿وَإِنَّهُ﴾ وَإِنَّ الَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ ﴿لَذِكْرٌ لَكَ﴾ لَشَرَفٍ لَكَ ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ لِقُرَيْشٍ أَوْ لِلْعَرَبِ، يَخْتَصُّ بِذَلِكَ الشَّرَفِ الْأَقْرَبُ مِنْهُمْ فَالْأَقْرَبُ، وَلَـ ﴿سَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ قِيَامِكُمْ بِحَقِّهِ، وَشُكْرِكُمْ عَلَى أَنْ رَزَقْتُمُوهُ وَخَصَّصْتُمْ بِهِ مِنْ بَيْنِ الْعَالَمِينَ.

والمُرَادُ بِسُؤَالِ الرُّسُلِ النَّظَرُ فِي أَدْيَانِهِمْ وَالْفَحْصُ عَنْهَا: هَلْ جَاءَتْ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ قَطُّ فِي شَيْءٍ مِنْ مِلَلِهِمْ؟ وَهَذَا كَمَا قِيلَ: سَلَ الْأَرْضَ مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ، وَجَنَى ثِمَارَكَ؟ فَإِنَّهَا إِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَارًا أَجَابَتْكَ أَعْتَابَارًا، وَقِيلَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جُمِعَ لَهُ الْأَنْبِيَاءُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأَمَّهُمْ، وَقِيلَ لَهُ: سَلُّهُمْ، فَلَمْ يُشَكِّكَ وَلَمْ يَسْأَلْ^(٢).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الْاَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥٠) وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومِ الْاِنْسَ لِي مَلِكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ اْلأَنْهَرُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا اْلُقَىٰ عَلَيْهِ اْأَسُورَةُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ اْلْمَلَكَةُ

(١) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤١٤.

(٢) قاله ابن عباس وابن زيد. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٢٢٨.

مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ (٥٤) فَلَمَّا
ءَاسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا
لِّلْآخِرِينَ (٥٦) ﴿

ما أَجَابُوهُ بِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مَحْذُوفٌ دَلٌّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ:
﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ وَهُوَ مُطَالَبَتُهُمْ إِيَّاهُ بِالدَّلَالَةِ عَلَى دَعْوَاهُ، وَأُجِيبَ ﴿لَمَّا﴾
بِـ﴿إِذَا﴾ الْمَفَاجَأَةِ، لِأَنَّ فِعْلَ الْمَفَاجَأَةِ مَعَهَا مُقَدَّرٌ، وَهُوَ عَامِلُ النَّصْبِ فِي مَحَلِّهَا،
كَأَنَّهُ قَالَ: فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا فَاجْعَلُوا وَقْتُ ضَحْكِهِمْ. ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ﴾ مِنْ
آيَاتِهِ الْمُرَادِفَةِ عَلَيْهِمْ مِنَ الطُّوفَانِ وَالْجَرَادِ وَالْقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ وَالْدَّمَ وَالطُّمَسِ ﴿إِلَّا
هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ الَّتِي قَبْلَهَا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أَي: إِرَادَةُ أَنْ يَرْجِعُوا عَنِ الْكُفْرِ
إِلَى الْإِيمَانِ.

﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ أَي: بِعَهْدِهِ عِنْدَكَ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَأَنَّ دَعْوَتَكَ مُسْتَجَابَةٌ، أَوْ: بِمَا
عَاهَدَ عِنْدَكَ مِنْ كَشْفِ الْعَذَابِ عَمَّنِ اهْتَدَى، وَقَوْلُهُمْ: ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ وَعَدُّ قَدِ نَوَّوْا
خِلَافَهُ، فَمَا كَانَتْ تَسْمِيَّتُهُمْ إِيَّاهُ بِالسَّاحِرِ بِمَنَافِيَةِ لِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾.

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ جَعَلَهُمْ مَحَلًّا لِنَدَائِهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ أَمَرَ بِالنِّدَاءِ فِي
مَحَافِلِهِمْ مَنْ نَادَى فِيهَا بِذَلِكَ، فَأُسْنِدَ النِّدَاءِ إِلَيْهِ، كَقَوْلِكَ: قَطَعَ الْأَمِيرُ اللَّصَّ: إِذَا أَمَرَ
بِقَطْعِهِ ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ﴾ مِنَ النَّيْلِ وَغَيْرِهِ ﴿تَجْرِي مِنْ﴾ تَحْتَ أَمْرِي، مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ،
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿الْأَنْهَارُ﴾ عَطْفًا عَلَى ﴿مُلْكُ مِصْرَ﴾ وَ ﴿تَجْرِي﴾ نَصْبٌ عَلَى
الْحَالِ مِنْهَا. ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾: «أَمْ» هَذِهِ مُتَّصِلَةٌ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ تُبْصِرُونَ،
إِلَّا أَنَّهُ وَضَعَ قَوْلَهُ: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ مَوْضِعَ ﴿تُبْصِرُونَ﴾ لِأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا لَهُ: أَنْتَ خَيْرٌ فَهُمْ
عِنْدَهُ بُصْرَاءُ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَنْقُطَةً عَلَى مَعْنَى: بَلْ أَنَا خَيْرٌ، وَالْهَمْزَةُ لِلتَّقْرِيرِ
وَالْمَعْنَى: أَثْبَتَ عِنْدَكُمْ وَأَسْتَقَرَّ أُنِّي أَنَا خَيْرٌ مَعَ أُنِّي عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ ﴿مِنْ هَذَا الَّذِي

هُوَ مَهِينٌ ﴿١﴾ أَي: ضَعِيفٌ حَقِيرٌ ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الْكَلَامَ؛ لِمَا بِهِ مِنَ الرُّتَّةِ ^(١).
وعن الحسن: كَانَتْ الْعُقْدَةُ زَالَتْ عَنْ لِسَانِهِ كَمَا قَالَ: ﴿وَأَخْلُلُ عُقْدَةً مِنْ
لِسَانِي﴾ وَإِنَّمَا غَيَّرَهُ بِمَا كَانَ فِي لِسَانِهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ^(٢).
وَقُرِئَ: «أَسَاوِرَةٌ» ^(٣) وَهِيَ جَمْعُ أَشْوَارٍ عَلَى تَعْوِضِ النَّاءِ مِنْ يَاءٍ «أَسَاوِيرُ»،
و «أَسْوَرَةٌ» جَمْعُ «سِوَارٍ» ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ بِهِ، مِنْ قَوْلِكَ: قَرَنْتُهُ بِهِ فَاقْتَرَنَ بِهِ، أَوْ: مِنْ
قَوْلِكَ: أَقْتَرْتُنَا بِمَعْنَى «تَقَارَنُوا».

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ فَاسْتَفَزَّهُمْ، وَحَقِيقَتُهُ: حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَخْفُوا لَهُ وَلِمَا أَرَادَهُ
مِنْهُمْ، وَكَذَلِكَ «اسْتَفَزَّهُ» فَإِنَّ الْفَزَّ هُوَ الْخَفِيفُ. ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ أَي: أَغْضَبُونَا،
وَغَضَبُهُ سَبْحَانُهُ عَلَى الْعَصَاةِ هُوَ إِرَادَةُ عِقَابِهِمْ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: آسَفُوا رُسُلَنَا ^(٤)، لِأَنَّ
فِي الْأَسْفِ مَعْنَى الْحُزَنِ ^(٥). وَقُرِئَ: ﴿سَلَفًا﴾ جَمْعُ سَالِفٍ، وَ «سُلْفًا» ^(٦) جَمْعُ
سَلِيفٍ، أَي: جَعَلْنَاهُمْ قُدْوَةً لِمَنْ أَتَى بَعْدَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ يَقْتَدُونَ بِهِمْ فِي اسْتِحْقَاقِ
مِثْلِ عِقَابِهِمْ لِإِثْنَانِهِمْ بِمِثْلِ أَفْعَالِهِمْ ﴿وَمَثَلًا﴾ أَي: حَدِيثًا عَجِيبَ الشَّأْنِ، سَائِرًا مَسِيرَ
الْمَثَلِ، يُشَبَّهُ غَيْرُهُمْ بِهِمْ.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا

(١) الرُّتَّةُ: عَجَلَةٌ فِي الْكَلَامِ وَقَلَّةُ أُنَاةٍ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يُقْلَبَ اللَّامُ يَاءً، وَقِيلَ: هِيَ الْعَجْمَةُ فِي الْكَلَامِ
وَالْحُكْلَةُ فِيهِ، (لسان العرب: مادة رتت).

(٢) حكاة عنه الشيخ في التبيان: ج ٩ ص ٢٠٨، والآية من سورة طه: ٢٧.

(٣) وهي قراءة الجمهور من السبعة إلا حفصاً. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨٧.

(٤) حكاة الماوردي في تفسيره: ج ٥ ص ٢٣٢.

(٥) قال الخليل: الْأَسْفُ: الْحُزْنُ فِي حَالٍ، وَالْغَضَبُ فِي حَالٍ، فَإِذَا جَاءَكَ أَمْرٌ مِمَّنْ هُوَ دُونَكَ
فَأَنْتَ أَسْفٌ أَي: غَضَبَانِ، وَإِذَا جَاءَكَ مِمَّنْ فَوْقَكَ أَوْ مِنْ مِثْلِكَ فَأَنْتَ أَسْفٌ أَي: حَزِينٌ. انظر
كتاب العين: مادة «أسف».

(٦) قرأه حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨٧.

ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُونَ بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٢) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ (٦٣) إِنْ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ الْيَوْمِ (٦٥) ﴿

قُرئ: ﴿يَصِدُّونَ﴾ بضم الصاد^(١) وكسرها، واختلَفُوا في معنى الآية على

وجوه:

أحدها: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾^(٢) قَالُوا: أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى نَبِيٌّ؟ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّصَارَى يَعْبُدُونَهُ، وَعُزَيْرٌ يُعْبَدُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُعْبَدُونَ، فَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ فِي النَّارِ فَقَدْ رَضِينَا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ وَآلِهَتُنَا فِي النَّارِ مَعَهُمْ!! وَالْمَعْنَى: وَلَمَّا ضَرَبُوا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ مَثَلًا بِعِبَادَةِ النَّصَارَى إِيَّاهُ إِذَا قُرِئَ مِنْ هَذَا الْمَثَلِ ﴿يَصِدُّونَ﴾ بِالْكَسْرِ، أَي: يَرْتَفِعُ لَهُمْ جَلْبَةٌ وَضَجِيجٌ فَرَحًا وَجَدَلًا وَضَحِكًا، وَبِالضَّمِّ مِنَ الصُّدُودِ أَي: يَصُدُّونَ عَنِ الْحَقِّ وَيُعَرِّضُونَ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْمَثَلِ، وَقِيلَ: مِنَ الصَّدِيدِ وَهُوَ الْجَلْبَةُ^(٣)، وَهُمَا لُغَتَانِ ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أَي: لَيْسَتْ آلِهَتُنَا عِنْدَكَ خَيْرًا مِنْ عِيسَى، فَإِذَا كَانَ عِيسَى مِنْ حَصَبِ النَّارِ

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي. راجع المصدر السابق.

(٢) الأنبياء: ٩٨.

(٣) وهو قول الجوهري في الصحاح: مادة «صد».

كَانَ أَمْرُ آلِهَتِنَا هَيْئًا!! مَا ضَرَبُوا هَذَا الْمَثَلَ لَكَ إِلَّا لِأَجْلِ الْجَدَلِ وَالْغَلْبَةِ فِي الْقَوْلِ لَا لِطَلَبِ الْمَعْرِفَةِ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ دَأْبُهُمُ الْخُصُومَةُ ^(١) وَاللَّجَاجِ. وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ^(٢) مَا أُرِيدَ بِهِ إِلَّا الْأَصْنَامُ، وَمَحَالٌ أَنْ يُقْصَدَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ.

وِثَانِيهَا: أَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا أَنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ، قَالُوا: نَحْنُ أَهْدَى مِنَ النَّصَارَى؛ لِأَنَّهُمْ عَبَدُوا آدَمِيًّا وَنَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، فَزَلَّتْ ^(٣). فَعَلَى هَذَا يَكُونُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ تَفْضِيلُ آلِهَتِهِمْ عَلَى عِيسَى!! وَمَا قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا لِلْجَدَلِ، أَوْ يَكُونُ ﴿جَدَلًا﴾ حَالًا بِمَعْنَى: جَدَلِينَ.

وِثَالِثُهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَدَحَ الْمَسِيحَ وَأُمُّهُ قَالُوا: مَا يُرِيدُ مُحَمَّدٌ ﷺ بِهَذَا إِلَّا أَنْ نَعْبُدَهُ كَمَا عَبَدَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ^(٤). وَمَعْنَى ﴿يَصُدُّونَ﴾: يَضْجُرُونَ وَيَضْجُونَ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿أَمْ هُوَ﴾ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَغَرَضُهُمْ بِالْمُوَازَنَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آلِهَتِهِمُ السُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ.

وَالْمَرْوِيُّ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فَوَجَدْتُهُ فِي مَلَأَمِنْ قُرَيْشٍ، فَنَظَرَ إِلَيَّ ثُمَّ قَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّمَا مَثَلُكَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، أَحَبَّهُ قَوْمٌ وَأَفْرَطُوا فِي حُبِّهِ فَهَلَكُوا، وَأَبْغَضَهُ قَوْمٌ وَأَفْرَطُوا فِي بُغْضِهِ فَهَلَكُوا، وَأَقْتَصَدَ فِيهِ قَوْمٌ فَنَجَوْا» فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَضَحَكُوا، فَزَلَّتِ الْآيَةُ ^(٥).

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ أَي: مَا عِيسَى إِلَّا عَبْدٌ كَسَائِرِ الْعَبِيدِ ﴿أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ حَيْثُ

(١) في نسخة: «الخصومة والجدال». (٢) الأنبياء: ٩٨.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ص ٣١٧ ح ٧٨٣.

(٤) حكاية الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٢٦٠.

(٥) تفسير فرات الكوفي: ص ١٥١.

﴿جَعَلْنَاهُ﴾ آيَةً بَأْنَ خَلَقْنَاهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ كَمَا خَلَقْنَا آدَمَ، وَشَرَّفْنَاهُ بِالنَّبَوَّةِ، وَصَيَّرْنَاهُ عِبْرَةً^(١) عَجِيبَةً كَالْمَثَلِ السَّائِرِ ﴿لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ﴾ لِقُدْرَتِنَا عَلَى عَجَائِبِ الْأُمُورِ ﴿لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أَي: لَوْلَدْنَا مِنْكُمْ يَا رِجَالِ ﴿مَلَائِكَةً﴾ يَخْلُقُونَكُمْ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كَمَا يَخْلُقُكُمْ أَوْلَادَكُمْ، كَمَا وَلَدْنَا عِيسَى مِنْ أُنْثَى مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ، أَوْ: لَجَعَلْنَا بَدَلًا مِنْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ مَلَائِكَةً يَخْلُقُونَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَيَكُونُ ﴿مِنْكُمْ﴾ فِي الْآيَةِ مَثَلٌ مَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ^(٢)

أَوْ: لَجَعَلْنَاكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ مَلَائِكَةً، فَيَكُونُ ﴿مِنْكُمْ﴾ مِنْ بَابِ التَّجْرِيدِ، وَيَكُونُ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قُدْرَتِهِ عَلَى تَغْيِيرِ بُنْيَةِ الْبَشَرِ إِلَى بُنْيَةِ الْمَلَائِكَةِ.

﴿وَإِنَّهُ﴾ وَإِنَّ عِيسَى ﴿لَعَلِمَ لِلسَّاعَةِ﴾ أَي: شَرُطُ مِنْ أَشْرَاطِهَا تُعْلَمُ بِهِ، فَسُمِّيَ الشَّرْطُ عَلَمًا لِحُصُولِ الْعِلْمِ بِهِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «وَإِنَّهُ لَعَلِمَ»^(٣) أَي: عَلَامَةٌ وَأَمَارَةٌ ﴿فَلَا تَمْتَرْنَ بِهَا﴾ فَلَا تَشْكُوكَ فِيهَا وَلَا تَكْذُبُوهَا بِهَا.

وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ عَلَى ثَنِيَّةٍ بِالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ يَقَالُ لَهَا: أَفِيقِي، وَعَلَيْهِ مُمَصَّرَتَانِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ دَهِينٌ، وَبِيَدِهِ حُرْبَةٌ وَبِهَا يَقْتُلُ الدَّجَالَ، فَيَأْتِي بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَالنَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمُهُمْ، فَيَتَأَخَّرُ الْإِمَامُ فَيَقْدُمُهُ عِيسَى وَيُصَلِّي خَلْفَهُ عَلَى شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ يَقْتُلُ الْخَنَازِيرَ، وَيَكْسِرُ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «غَيْرِ».

(٢) الْبَيْتُ لِعَلِيِّ بْنِ مُسْلِمِ الْأَحْوَلِ الْأَزْدِيِّ مِنْ شِعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ، مِنْ قَصِيدَةِ نَظْمِهَا وَهُوَ مَحْبُوسٌ بِمَكَّةَ عِنْدَ نَافِعِ بْنِ عُلْقَمَةَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَقِيلَ: الْبَيْتُ لِعَمْرُو بْنِ أَبِي عِمَارَةَ الْأَزْدِيِّ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. رَاجِعْ خَزَانَةُ الْأَدَبِ: ج ٥ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ وَج ٩ ص ٤٥٣.

(٣) بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَاللَّامِ. رَاجِعْ شَوَاذِ الْقُرْآنِ لِابْنِ خَالَوَيْهِ: ص ١٣٦ وَزَادَ: أَبُو هُرَيْرَةَ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكَ وَجَمَاعَةً.

الصليب، ويُخَرَّبُ الْبَيْعَ وَالْكَنَائِسَ، وَيَقْتُلُ النَّصَارَى إِلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ» كَذَا وَجَدْتُهُ فِي الْكَشَافِ^(١).

وعن الحسن: أَنَّ الضَّمِيرَ لِلْقُرْآنِ وَبِهِ تُعْلَمُ السَّاعَةُ لِأَنَّ فِيهِ الْإِغْلَامَ بِهَا^(٢)، ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ هُوَ أَمْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَهُ، أَي: وَاتَّبِعُوا شَرْعِي وَهُدَايَ، أَوْ: مَعْنَاهُ: وَاتَّبِعُوا رَسُولِي.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أَي: بِالْمُعْجَزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّتِهِ ﴿وَلَا يُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وَهُوَ مَا أَحْتَاجُوا إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَمَا تَعَبَّدُوا بِمَعْرِفَتِهِ دُونَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَ ﴿الْأَحْزَابُ﴾: الْفِرَقُ الْمُتَحَزِّبَةُ بَعْدَ عِيسَى.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦٦) الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَعْبَادِ لَا خَوْفُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ

(١) الكشاف: ج ٤ ص ٢٦١. وكذا أورده مرسلًا البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ١٤٤، والبيضاوي

في أنوار التنزيل: ج ٢ ص ٣٧٠ ط مصر.

(٢) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٢٧٥.

مَكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ (٧٨) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) ﴿

﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿السَّاعَةِ﴾، ﴿بَغْتَةً﴾ أَي: فُجَاءَةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ معناه: وهم غافلون لا اشتغالهم بأمور دنياهم. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَنْتَصِبُ بـ ﴿عَدُوٌّ﴾ أَي: يَنْقَطِعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كُلُّ خَلَّةٍ فَيَنْقَلِبُ عَدَاوَةً إِلَّا خَلَّةَ ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ الْبَتَّالِينَ فِي اللَّهِ، فَإِنَّهَا الْخَلَّةُ الْبَاقِيَةُ تَزْدَادُ وَتَتَأَكَّدُ.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مَنْصُوبُ الْمَوْضِعِ صِفَةً لـ ﴿عِبَادٍ﴾ لِأَنَّهُ مَنَادَى مَضَافٌ ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ مُسْتَسْلِمِينَ لِأَمْرِنَا خَاضِعِينَ مُنْقَادِينَ، جَاعِلِينَ نَفْسَهُمْ سَالِمَةً لِّطَاعَتِنَا. ﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ اللَّاتِي كَنَّ مُؤْمِنَاتٍ مِثْلَكُمْ ﴿تُخْبِرُونَ﴾ أَي: تُسَرُّونَ سُرُورًا، يَظْهَرُ حَبَارُهُ - أَي: أَثَرُهُ - عَلَىٰ وَجُوهِكُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ ^(١). وَالصَّخَافُ: الْقِصَاعُ، وَالْأَكْوَابُ: الْكِيزَانُ لَا عُرَىٰ لَهَا، وَقِيلَ: هِيَ الْآنِيَةُ الْمُسْتَدِيرَةُ الرُّوُوسِ ^(٢)، وَفِيهَا الضَّمِيرُ لـ ﴿الْجَنَّةِ﴾، وَقُرِئَ «مَا تَشْتَهِي» ^(٣) وَ ﴿مَا تَشْتَهِيهِ﴾ وَهَذَا حَصْرٌ لِأَنْوَاعِ النِّعَمِ، لِأَنَّهَا: إِمَّا مُشْتَهَاةٌ فِي الْقُلُوبِ، وَإِمَّا مُسْتَلَذَّةٌ فِي الْعُيُونِ.

﴿وَتِلْكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ الْمَذْكُورَةِ، وَهِيَ مُبْتَدَأٌ وَ ﴿الْجَنَّةِ﴾ خَبَرٌ، وَ ﴿الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ صِفَةٌ لـ ﴿الْجَنَّةِ﴾، أَوْ: ﴿الْجَنَّةِ﴾ صِفَةٌ لـ ﴿تِلْكَ﴾ وَ ﴿الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ خَبَرٌ، وَ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ وَالْبَاءُ يَتَعَلَّقُ بِمَحذُوفٍ، وَفِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ

(١) المطففين: ٢٤.

(٢) قاله مجاهد. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٢٣٨.

(٣) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم برواية أبي بكر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨٩.

يَتَعَلَّقُ بِهِ ﴿أُورِثْتُوهَا﴾ وَشُبِّهَتْ فِي بَقَائِهَا عَلَى أَهْلِهَا بِالْمِيرَاثِ الْبَاقِي عَلَى الْوَرَثَةِ.
﴿مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: «من» للتبعية، أي: لا تأكلون إلا بغيرها.

وفي الحديث: «لا يَنْزِعُ رَجُلٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْ ثَمَرِهَا إِلَّا ثَبَّتَ مَكَانَهَا مِثْلُهَا»^(١).
﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ. وَرُويَ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَبْنِ مَسْعُودٍ: «يَا مَالٍ» بِحَذْفِ الْكَافِ لِلتَّخْلِيمِ^(٢)، أَي: ﴿يَمْلِكُ﴾ سَلْ ﴿رَبِّكَ﴾ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْنَا أَي: يُمِيتَنَا لِتَتَخَلَّصَ وَنَسْتَرِيحَ مِمَّا بَنَّا، فَيَقُولُ مَالِكُ: ﴿إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾ لَا يَثُونُ دَائِمُونَ. ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾ هُوَ كَلَامُ مَالِكٍ، وَإِنَّمَا قَالَ: «جِئْنَاكُمْ» لِأَنَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ^(٣)، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ فِي ﴿قَالَ﴾ ضَمِيرًا «لِلَّهِ»، لَمَّا سَأَلُوا مَالِكًا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ الْقَضَاءَ عَلَيْهِمْ أَجَابَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ.

﴿أَمْ﴾ مَنْقُطَةٌ أَي: بَلْ أَتَرْمُوا، أَي: أَلْأَحْكَمَ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ ﴿أَمْراً﴾ أَي: كَيْدًا فِي الْخِلَافِ عَنْ أَمْرِكَ ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كَيْدَنَا كَمَا أَتَرْمُوا كَيْدَهُمْ وَالسَّرُّ: مَا حَدَّثَ بِهِ الرَّجُلُ نَفْسَهُ أَوْ غَيْرَهُ فِي مَكَانٍ خَالٍ، وَالتَّجْوَى: مَا تَكَلَّمُوا بِهِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَقِيلَ: السَّرُّ: مَا يُضْمِرُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ، وَالتَّجْوَى: مَا يُحَدِّثُ بِهِ غَيْرَهُ فِي الْخُفْيَةِ ﴿بَلَى﴾ نَسَمَعُهُمَا وَنَطَّلَعُ عَلَيْهِمَا ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الْحَفَظَةُ مَعَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ ﴿يَكْتُبُونَ﴾ مَا يَكِيدُونَهُ وَيُيَسِّرُونَهُ. وَقَدْ رُويَ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ السَّبَبُ فِي نَزُولِ الْآيَتَيْنِ^(٤).

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ﴾ (٨١) سُبْحَنَ رَبِّ

(١) أخرجه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ١٤٦.

(٢) شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٣٧، وزاد: والنبي ﷺ.

(٣) قاله الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٢٦٥.

(٤) وهو ما رواه الكليني في أصول الكافي: ص ٤٢٠ ح ٤٣ بإسناده عن عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام، وفي الروضة: ص ١٧٩ ح ٢٠٢ بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام أيضاً.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا
وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ (٨٣) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ
إِلَهُهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥)
وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ (٨٦) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧)
وَقِيلِهِ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩) ﴿

﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ إِنَّ صَحَّ ذَلِكَ وَثُبَّتْ بُرْهَانٍ صَحِيحٌ ﴿فَأَنَا أَوَّلُ﴾ مَنْ
يُعَظَّمُ ذَلِكَ الْوَلَدَ وَيُطِيعُهُ كَمَا يُعَظَّمُ الرَّجُلُ الْوَلَدَ الْمَلِكَ لِتَعْظِيمِ أَبِيهِ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَى
سَبِيلِ الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي نَفْيِ الْوَلَدِ لِأَنَّهُ تَعْلِيقٌ لِلْعِبَادَةِ بِكَيْفُونَةِ الْوَلَدِ، وَهُوَ
مُحَالٌّ، فَالْمُعْلَقُ بِهِ مُحَالٌّ مِثْلُهُ، فَهُوَ فِي صُورَةِ الْإِثْبَاتِ وَالْمُرَادُ النَّفْيُ عَلَى أَبْلَغِ
الْوَجْهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فِي زَعْمِكُمْ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ
الْمُوحِّدِينَ لِلَّهِ الْمَكْذِبِينَ قَوْلَكُمْ ^(١)، وَقِيلَ: فَأَنَا أَوَّلُ الْآتِفِينَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ
مِنْ عِبَادَتِهِ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ لَا يَكُونُ إِلَّا مُحَدَّثًا جِسْمًا غَيْرَ مُسْتَحَقٍّ لِلْعِبَادَةِ، مِنْ:
عَبْدٍ يَعْبُدُ: إِذَا أَشْتَدَّ أَنْفُهُ فَهُوَ عَبْدٌ وَعَابِدٌ ^(٢). وَقِيلَ: هِيَ «إِنْ» النَّافِيَةُ، أَي: مَا كَانَ
لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ لِلَّهِ ^(٣). ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَمَّا يَصِفُونَهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ.

التَّقْدِيرُ: وَهُوَ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ إِلَهُهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُهُ، فَ﴿إِلَهُهُ﴾ خَبَرُ الْمَبْتَدَأِ

(١) قاله مجاهد. راجع التبيان: ج ٩ ص ٢١٩.

(٢) قاله الكسائي وابن قتيبة. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٢٤١.

(٣) وهو قول ابن زيد وابن أسلم وقتادة. راجع التبيان: ج ٩ ص ٢١٩.

العائد إلى الموصول، وهو اسمٌ ضُمِّن معنى الوصف، فلذلك علّق به الظرف في قوله: ﴿فِي السَّمَاءِ... وَفِي الْأَرْضِ﴾ كما يقول: «هو حاتم في طي وحاتم في تغلب» على تضمين معنى الجواد الذي هو مشهور به، ومثله قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمُوتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾^(١) فكانك قلت: هو المعبود أو المالك أو نحو ذلك، وحذف «هو» العائد لطول الكلام بالصلة كقولهم: ما أنا بالذي قائل لك شيئاً، وزاد طولاً هاهنا أن المعطوف داخل في حيز الصلة.

﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾ إلهتهم ﴿الَّذِينَ﴾ يدعونهم من دون الله ﴿الشَّفَعَةَ﴾ كما زعموا أنهم شفعاءهم عند الله لكن ﴿مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ وهو توحيد الله، وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإخلاص هو الذي يملك الشفاعة، وهو استثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً لأن في جملة: «الذين يدعون من دون الله» الملائكة، وقرئ: «تدعون» بالتاء^(٢).

﴿وَقِيلَهُ﴾ قرئ بالنصب^(٣) والجَرِّ، وعن مجاهد: بالرفع والنصب^(٤) للعطف على موضع ﴿السَّاعَةِ﴾، والجَرُّ على اللفظ، أي: «وعنده علم الساعة وقيله» كما تقول: عجبْتُ من ضرب زيد وعَمَرُوا أو عَمِرُوا، والمعنى: يعلم الساعة ومن يصدق بها ويعلم قيله^(٥)، لأن «السَّاعَةَ» ليست بظرف وإنما هي مفعولٌ بها، والرفع للعطف أيضاً على تقدير حذف المضاف أي: وعلم قيله، أو: على الابتداء والخبر محذوف

(١) الأنعام: ٣.

(٢) وهي قراءة عليّ عليه السلام والسلمي كما في شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٣٧.

(٣) قرأه ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٨٩.

(٤) نسب الرفع إليه كما في تفسير الألوسي: ج ٢٥ ص ١٠٨، والنصب كما في اعراب القرآن للنحاس: ج ٤ ص ١٢٣.

(٥) واليه ذهب الزجاج في معانيه: ج ٤ ص ٤٢١.

والتَّقديرُ: وَقِيلَهُ يَا رَبِّ مَسْمُوعٌ وَمَتَقَبَّلٌ، أَوْ: وَقِيلَهُ قِيلَ يَا رَبِّ، وَحَمَلَ الْأَخْفَشُ النَّصْبَ عَلَى ﴿أَمْ يَخْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ وَقِيلَهُ^(١)، وَعَنْهُ أَيْضاً أَنَّهُ عَلَى تَأْوِيلٍ: «وَقَالَ قِيلَهُ»^(٢). وَقَالَ جَارُ اللَّهِ: الْجَرُّ وَالنَّصْبُ عَلَى إِضْمَارِ حَرْفِ الْقَسَمِ وَحَذْفِهِ، وَالرَّفْعُ عَلَى قَوْلِهِمْ: أَيَمْنُ اللَّهُ، وَلَعَمْرُكَ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَأُقْسِمُ بِقِيلِهِ يَا رَبِّ، أَوْ: قِيلَهُ يَا رَبِّ قَسَمِي ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

﴿فَاصْفَحْ﴾ أَي: أَعْرِضْ عَنْهُمْ بِصَفْحَةٍ وَجْهِكَ ﴿وَقُلْ﴾ لَهُمْ ﴿سَلَامٌ﴾ أَي: تَسَلَّمَ مِنْكُمْ وَمُتَارَكَةٌ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وَعِيدٌ، وَقُرِئَ بِالتَّاءِ^(٤) أَيْضاً.



(١ و ٢) حكاها عنه الزجّاج في معاني القرآن: ج ٤ ص ٤٢١.

(٣) الكشف: ج ٤ ص ٢٦٨.

(٤) قرأه نافع وابن عامر برواية هشام بن عمار. راجع كتاب السبعة: ص ٥٨٩.

سُورَةُ الدُّخَانِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، وَهِيَ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ آيَةً، سَبْعٌ بَصْرِيٌّ، ﴿حَم﴾ وَ ﴿إِنَّا هُوَ لَآءِ لَيَقُولُونَ﴾ ^(٢) كُوفِيٌّ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الدُّخَانِ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ» ^(٣).

وَعَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا فِي فَرَائِضِهِ وَنَوَافِلِهِ بَعَثَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَظْلَهُ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ، وَحَاسَبَهُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَأُعْطِيَ كِتَابَهُ يَمِينِهِ» ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٩ ص ٢٢٣: هِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ قَتَادَةَ وَمَجَاهِدَ، وَهِيَ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ، وَسَبْعٌ فِي الْبَصْرِيِّ، وَسَتْ فِي الْمَدَنِيِّينَ وَالشَّامِيِّ. وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٢٦٩: مَكِّيَّةٌ إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ الْآيَةُ، وَهِيَ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ آيَةً وَقِيلَ: تِسْعٌ وَخَمْسُونَ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الزَّخْرَفِ. (٢) الْآيَةُ: ٣٤.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٢٨٣ مَرْسَلًا.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤١ وَفِيهِ: «أَعْطَاهُ» بَدَلَ «أُعْطِيَ».

مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) .

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر وهو الصحيح،
وقيل: ليلة النصف من شعبان (١). ومعنى إنزال الله القرآن في ليلة القدر أنه أنزله
جُمْلَةً واحدةً إلى السماء الدنيا فيها، فكان جبرئيل يُنزلُهُ إلى رسول الله ﷺ
نُجُومًا، وقيل: كان يُنزلُ ما يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ: فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، ثُمَّ كَانَ يُنزلُهُ
شَيْئًا فَشَيْئًا وَقْتَ الْحَاجَةِ (٢). وَسُمِّيَتْ مُبَارَكَةً لِأَنَّ فِيهَا يَقْسِمُ اللَّهُ نِعَمَهُ عَلَى عِبَادِهِ
فَتَدُومُ بَرَكَاتُهَا، وَالْبَرَكَةُ: نَمَاءُ الْخَيْرِ، وَالمُبَارَكَةُ: الْكَثِيرَةُ الْخَيْرِ وَالبَرَكَةُ، وَلَوْ لَمْ يُوْجَدْ
فِيهَا إِلَّا أَنْزَالُ الْقُرْآنِ لَكَفَى بِهِ بَرَكَةٌ. ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ أَي: يُفْصَلُ وَيُكْتَبُ ﴿كُلُّ أَمْرٍ
حَكِيمٍ﴾ كُلُّ شَأْنٍ ذِي حِكْمَةٍ، أَي: مَفْعُولٌ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ مِنْ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ
وَأَجَالِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ السَّنَةِ إِلَى اللَّيْلَةِ الْآخَرَى الْقَابِلَةِ، وَوَصَفُ الْأَمْرِ
بِالْحَكِيمِ مَجَازٌ؛ لِأَنَّ «الْحَكِيمَ» صِفَةُ صَاحِبِ الْأَمْرِ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ جُمْلَتَانِ مُسْتَأْنَفَتَانِ
مَلْفُوقَتَانِ فُسِّرَ بِهِمَا جَوَابُ الْقَسَمِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِنَا الْإِنْذَارَ،
وَأَنْزَلْنَاهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ خُصُوصًا لِأَنَّ أَنْزَالَ الْقُرْآنِ مِنَ الْأُمُورِ الْحَكِيمَةِ، وَهَذِهِ اللَّيْلَةُ
مَفْرَقُ كُلِّ أَمْرٍ حَكِيمٍ.

﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ نَضَبٌ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ، أَي: أَغْنَى أَمْرًا حَاصِلًا مِنْ عِنْدِنَا
عَلَى مَا أَقْتَضَتْهُ حِكْمَتُنَا وَتَدْبِيرُنَا، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْأَمْرُ ضِدُّ النَّهْيِ فَوَضِعَ مَوْضِعَ

(١) وهو قول عكرمة. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٢٤٤.

(٢) قاله قتادة وابن زيد. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ١٤٨.

مَصْدَرٌ ﴿يُفَرِّقُ﴾ من حيثُ أَنَّ الأَمْرَ والْفُرْقَانَ واحدٌ، لأنَّ مَنْ حَكَمَ بِالشَّيْءِ وَكَتَبَهُ فَقَدْ أَمَرَ بِهِ وَأَوْجَبَهُ، أَوْ: جُعِلَ حَالًا مِنْ أَحَدِ الضَّمِيرَيْنِ فِي ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أَي: أَنْزَلْنَاهُ فِي حَالِ كَوْنِهِ أَمْرًا بِمَا يَجِبُ أَنْ يُفْعَلَ، أَوْ: أَنْزَلْنَاهُ آمِرِينَ ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾، و ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ مَفْعُولٌ لَهُ والمعنى: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِنَا إِرْسَالَ الرُّسُلِ بِالْكِتَابِ إِلَى عِبَادِنَا لِأَجْلِ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَكُونَ تَعْلِيلًا لـ ﴿يُفَرِّقُ﴾، أَوْ: لِقَوْلِهِ: ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ و ﴿رَحْمَةً﴾ مَفْعُولًا بِهِ، أَي: يُفَرِّقُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ كُلُّ أَمْرٍ، أَوْ: تَصْدُرُ الْأَوَامِرُ مِنْ عِنْدِنَا، لِأَنَّ مِنْ عَادَتِنَا أَنْ نُرْسِلَ رَحْمَتَنَا، وَفَضْلُ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ قِسْمَةِ الْأَرْزَاقِ وَغَيْرِهَا مِنْ بَابِ الرَّحْمَةِ، وَكَذَلِكَ الْأَوَامِرُ الصَّادِرَةُ مِنْ جِهَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ مِنْ تَكْلِيفِ الْعِبَادِ تَغْرِیْضُهُمْ لِلْمَنَافِعِ، وَالْأَصْلُ: إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنَّا، فَوَضِعَ الظَّاهِرُ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ إِذْنًا بِأَنَّ الرُّبُوبِيَّةَ تَقْتَضِي الرَّحْمَةَ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وَمَا بَعْدَهُ تَحْقِيقٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ وَأَنَّهَا لَا تَحِقُّ إِلَّا لِمَنْ هَذِهِ أَوْصَافُهُ.

وَقُرِئَ: «رَبِّ السَّمَوَاتِ» و «رَبِّكُمْ وَرَبِّ آبَائِكُمْ» بِالْجَرِّ^(١) بَدَلًا مِنْ ﴿رَبِّكَ﴾، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أَي: إِنْ كَانَ إِقْرَارُكُمْ بِأَنَّ لِلْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبًّا وَخَالِقًا عَنْ مَعْرِفَةٍ وَإِيقَانٍ. ثُمَّ رَدَّ كَوْنَهُمْ مُوقِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ أَي: إِقْرَارُهُمْ لَا يَصْدُرُ عَنْ عِلْمٍ وَحَقِيقَةٍ بَلْ هُوَ قَوْلٌ مَخْلُوطٌ بِلَعِبٍ وَهُزْءٍ.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ

(١) وهي قراءة ابن أبي اسحاق وابن محيصة والكسائي في رواية الحجازي. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٣٨.

مَّجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ
الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦) وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ
رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَأَنْ لَا
تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ
أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِزْ لُونِ (٢١) ﴿

﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ مفعول به ﴿فَارْتَقِبْ﴾ يقال: رَقَبْتُهُ وَارْتَقَبْتُهُ. وَاخْتَلَفَ فِي
«الدُّخَانِ» فَقِيلَ: إِنَّهُ دُخَانٌ يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ يَدْخُلُ فِي أَسْمَاعِ
الْكُفْرَةِ حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الْوَاحِدِ كَالرَّأْسِ الْحَنِيذِ^(١)، وَيَعْتَرِي الْمُؤْمِنَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ
الزُّكَّامِ، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كُلُّهَا كَبَيْتٍ أَوْقَدَ فِيهِ لَيْسَ فِيهِ خَصَاصٌ^(٢)، وَيَمْتَدُّ ذَلِكَ
أَرْبَعِينَ يَوْمًا، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَبْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ^(٣) وَقِيلَ: إِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا عَلَىٰ قَوْمِهِ لَمَّا كَذَّبُوهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَىٰ مُضْرٍ،
وَأَجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سَنِينَ كَسَنِي يَوْسُفَ، فَأَصَابَهُمُ الْجَهْدُ حَتَّىٰ أَكَلُوا الْجِيْفَ وَالْعِلْهَزَ^(٤)،
وَكَانَ الرَّجُلُ يَرَىٰ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الدُّخَانَ، وَكَانَ يُحَدِّثُ الرَّجُلَ فَيَسْمَعُ
كَلَامَهُ وَلَا يَرَاهُ مِنَ الدُّخَانِ، فَمَشَىٰ إِلَيْهِ أَبُو سُفْيَانَ وَنَفَرٌ مَعَهُ وَنَاشَدُوهُ بِاللَّهِ وَالرَّحْمِ،
وَوَاعَدُوهُ أَنْ دَعَا لَهُمْ وَكَشَفَ عَنْهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا، فَلَمَّا كَشَفَ عَنْهُمْ رَجَعُوا إِلَىٰ شِرْكِهِمْ،

(١) فِي الصَّحَاحِ: حَنَدْتُ الشَّاةَ حَنْدًا أَي: شَوَيْتُهَا وَجَعَلْتُ فَوْقَهَا حِجَارَةً مُحَمَّاةً لَتُنْضِجَهَا فِيهَا
حَنِيذٌ.

(٢) الْخَصَاصُ: شِبْهُ كَوَّةٍ فِي قَبَّةٍ وَنَحْوِهَا إِذَا كَانَ وَاسِعًا قَدْرَ الْوَجْهِ، وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهَا لِلْوَاسِعِ
وَالضَّيِّقِ حَتَّىٰ قَالُوا لَخُرُوقِ الْمِصْفَاةِ وَالْمِنْخَلِ: خَصَاصٌ، وَكَذَلِكَ كُلُّ خَلَلٍ وَخَرْقٍ يَكُونُ فِي
السَّحَابِ. (لِسَانُ الْعَرَبِ).

(٣) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ: ج ١١ ص ٢٢٧، التَّبْيَانُ: ج ٩ ص ٢٢٦.

(٤) الْعِلْهَزُ: طَعَامٌ كَانُوا يَتَّخِذُونَهُ مِنَ الدَّمِ وَوَبَرِ الْبَعِيرِ فِي سِنِي الْمَجَاعَةِ. (الصَّحَاحُ).

رُوي ذلك عن ابن مسعود^(١).

﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ أي: يَشْمِلُهُمْ وَيَلْبِسُهُمْ، وهو في محلِّ الجرِّ صفةٌ لـ ﴿دخان﴾ أي: يَقُولُونَ: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿مُؤْمِنُونَ﴾، و «يَقُولُونَ» المحذوفُ نَصْبٌ على الحالِ أي: قَائِلِينَ ذَلِكَ. وَ ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مَوْعِدَةٌ بِالْإِيمَانِ إِنْ كُشِفَ الْعَذَابُ عَنْهُمْ ﴿أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ كَيْفَ يَذْكُرُونَ وَيَتَعَطَّوْنَ وَيَفُونَ بِوَعْدِهِمْ ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ ما هو أَعْظَمُ مِنْ كَشْفِ الدُّخَانِ، وهو ما ظَهَرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ من الآياتِ الْبَيِّنَاتِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُعْجِزِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الْقَاهِرَةِ، فَلَمْ يَذْكُرُوا وَ ﴿تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ وَبَهْتُوهُ، بَأَنَّ غُلَامًا أُعْجِمِيًّا اسْمُهُ عَدَّاسُ هُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ، وَنَسَبُوهُ إِلَى الْجُنُونِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾ الْجُوعِ وَالْدُّخَانِ ﴿قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ أي: رِيشًا يُكْشَفُ عَنْكُمْ الْعَذَابُ تَعَوَّدُونَ إِلَى شِرْكِكُمْ، لَا تَلْبَثُونَ غِبَّ الْكَشْفِ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِبْتِهَالِ وَالتَّضَرُّعِ. وَمَنْ جَعَلَ الدُّخَانَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾: إِنَّهُ إِذَا أَتَتْ السَّمَاءُ بِالدُّخَانِ تَضَرَّعَ الْمَعَذَّبُونَ بِهِ وَقَالُوا: رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُنِيبُونَ، فَيُكْشِفُهُ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَرِيشًا يَكْشِفُهُ عَنْهُمْ يَرْتَدُّونَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ﴾ يُرِيدُ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾^(٢)، ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ نَنْتَقِمُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَانْتَصَبَ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾، لِأَنَّ مَا بَعْدَ «إِنَّ» لَا يَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَهَا. وَقُرِئَ: ﴿نَبْطِشُ﴾ بِضَمِّ الطَّاءِ^(٣) وَكُسْرِهَا.

(١) رواه عنه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٢٢٥.

(٢) النازعات: ٣٤.

(٣) وهي قراءة الحسن وأبي جعفر المدني. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٣٨.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ مَعْنَى الْفِتْنَةِ: أَنَّهُ أَمْهَلَهُمْ وَوَسَّعَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لَانْهِمَاكِهِمْ فِي الْمَعَاصِي، وَأَبْتَلَاهُمْ بِإِرْسَالِ مُوسَى إِلَيْهِمْ لِيُؤْمِنُوا، فَاخْتَارُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ عَلَى اللَّهِ، أَوْ: كَرِيمُ الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ. ﴿أَنْ أَدُّوا﴾ هِيَ «أَنْ» الْمَفْسَّرَةُ، لِأَنَّهُ لَا يَجِيءُ الرَّسُولُ قَوْمَهُ إِلَّا مَبَشِّرًا وَنَذِيرًا، فَيَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْقَوْلِ، وَهِيَ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ أَيْ: جَاءَهُمْ بِأَنَّ الشَّأْنَ وَالْحَدِيثَ أَدُّوا إِلَيَّ، وَ ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ مَفْعُولٌ بِهِ وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، أَيْ: أَدُّوهُمْ إِلَيَّ وَأَرْسَلُوهُمْ مَعِيَ، أَوْ: أَدُّوا إِلَيَّ يَا عِبَادَ اللَّهِ مَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِي وَقَبُولِ دَعْوَتِي، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ قَدْ أَتَمَّنَهُ اللَّهُ عَلَى وَحْيِهِ وَرِسَالَتِهِ. ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا﴾: «أَنْ» هَذِهِ مِثْلُ الْأُولَى، أَيْ: لَا تَسْتَكْبِرُوا عَلَى اللَّهِ بِالْإِسْتِهَانَةِ بِرَسُولِهِ وَوَحْيِهِ.

وَقُرِئَ: «عُتُّ» بِالْإِدْغَامِ ^(١) وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ عَائِدٌ بِرَبِّهِ، مَعْتَصِمٌ بِهِ مِنْ كَيْدِهِمْ، فَلَا يَكْتَرِثُ بِتَهْدِيدِهِمْ بِالْقَتْلِ وَالرَّجْمِ. ﴿فَاعْتَرِلُونِ﴾ يُرِيدُ: ﴿إِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا بِي﴾ فَتَنَحَّوْا عَنِّي وَأَقْطَعُوا أَسْبَابَ الْوَضَلَةِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، أَوْ: فَخَلُّوْنِي كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، وَلَا تَتَعَرَّضُوا لِي بِشِرْكِكُمْ وَأَذَاكُم، فَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ دَعَاكُمْ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُكُمْ وَفَلَاحُكُمْ ذَلِكَ.

﴿فَدَعَا رَبُّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ (٢٢) فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ (٢٣) وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ

(١) قرأه أبو عمرو وحمزة والكسائي ونافع برواية اسماعيل بن جعفر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٧٠.

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ
الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدْ
اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ (٣٢) وَءَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْأَيِّتِ مَا فِيهِ
بَلَاءٌ مُّبِينٌ (٣٣) ﴿

﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ قَالَ: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ أي: مشركون لا يؤمنون.
﴿فَأَسْرِبْ بَعْدِي﴾ فِيهِ وَجْهَانِ: إِضْمَارُ الْقَوْلِ بَعْدَ الْفَاءِ «فَقَالَ: أَسْرِبْ»، وَأَنْ يَكُونَ
جَوَابَ شَرْطٍ مَحذُوفٍ نَحْوُ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ فَأَسْرِبْ بَعْدِي.

﴿رَهْوَ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ السَّائِكُنُ^(١)، قَالَ الْأَعَشِيُّ:
يَمْشِينَ رَهْوَاً فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلَّمُ^(٢)
أي: مَشِيّاً سَاكِناً عَلَى هَيْئَتِهِ، أَرَادَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا جَاوَزَ الْبَحْرَ أَنْ يَضْرِبَهُ بَعْصَاهُ
فَيَنْطَبِقُ كَمَا ضَرَبَهُ فَاَنْفَلَقَ، فَأَمَرَهُ سَبْحَانَهُ أَنْ يَتْرَكَهُ سَاكِناً قَارِئاً عَلَى حَالِهِ مِنْ
أَنْتَصَابِ الْمَاءِ وَكَوْنِ الطَّرِيقِ يَبِيساً لِيَدْخُلَهُ الْقَبْطُ فَيَغْرَقُوا، وَقِيلَ: الرَّهْوَةُ: الْفَجْوَةُ
الْوَاسِعَةُ^(٣)، أَي: تَرَكَهُ مَفْتُوحاً عَلَى حَالِهِ ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ وَمَجْلِسٍ خَطِيرٍ وَمَنْزِلٍ
بِهَيٍّ وَنِعْمَةٍ وَتَنْعَمٍ وَسَعَةٍ فِي الْعَيْشِ.

﴿كَذَلِكَ﴾ الْكَافُ مَنْصُوبَةٌ عَلَى مَعْنَى: مِثْلُ ذَلِكَ الْإِخْرَاجِ أَخْرَجْنَاهُمْ مِنْهَا، أَوْ:
فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ، أَيِ الْأَمْرِ كَذَلِكَ ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ لِيَسُوءُوا مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ
مِنْ قَرَابَةٍ وَلَا دِينٍ. ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ فِيهِ تَهَكُّمٌ بِهِمْ وَبِحَالِهِمْ
الْمَنَافِيَةُ لِحَالٍ مِنْ يَجَلُّ رِزْوُهُ وَيَعْظُمُ فَقْدُهُ فَيَقَالُ فِيهِ: بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ ﴿وَمَا كَانُوا

(١) وهو قول الكلبي والأخفش وقطرب. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٢٥٠.

(٢) كذا نسبه تبعاً للزمخشري، والمشهور للقطامي الضبعي من أبيات يصف إبلاً يمشين مشياً
على هينة وسكينة. أنظر الصحاح: مادة «رها».

(٣) قاله مجاهد. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٢٥٠.

مُنْظَرِينَ ﴿٣٤﴾ أَي: مُمَهِّلِينَ مِنْ فِرْعَوْنَ، بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مِنْ أَلْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ كَأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ كَانَ عَذَابًا مُهِينًا لِإِفْرَاطِهِ فِي تَعْذِيْبِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ حَالًا مِنْ ﴿أَلْعَذَابِ﴾ أَي: وَاقِعًا مِنْ جِهَةِ فِرْعَوْنَ ﴿عَالِيًا مِنْ الْمُسْرِفِينَ﴾ أَي: كَبِيرًا رَفِيعَ الطَّبَقَةِ مِنْ بَيْنِهِمْ بَلِيغًا فِي إِسْرَافِهِ، أَوْ: عَالِيًا مُتَكَبِّرًا، وَ ﴿مِنْ الْمُسْرِفِينَ﴾ خَبَرٌ ثَانٍ كَأَنَّهُ قَالَ: كَانَ مُتَكَبِّرًا مُسْرِفًا.

﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَي: عَالِمِينَ بِمَكَانِ الْخَيْرَةِ، وَبِأَنَّهُمْ أَحِقَّاءُ بِالْاِخْتِيَارِ ﴿عَلَى الْعَالِمِينَ﴾ عَالِمِي زَمَانِهِمْ ﴿وَأَتَيْنَهُمْ مِنْ﴾ الدَّلَالَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ ﴿مَا فِيهِ بَلَلُوا مُبِينٌ﴾ نِعْمَةٌ ظَاهِرَةٌ^(١) أَوْ اخْتِبَارٌ ظَاهِرٌ لِنَنْظَرِ كَيْفَ يَعْمَلُونَ.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾ (٣٤) إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢) إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِي الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءٍ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠) ﴿

(١) فِي التَّبْيَانِ: ج ٩ ص ٢٣٥: قَالَ الْفَرَّاءُ: الْبَلَاءُ قَدْ يَكُونُ بِالْعَذَابِ وَقَدْ يَكُونُ بِالنِّعْمَةِ، وَهُوَ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ إِهْلَاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وَتَخْلِيصِهِمْ مِنْهُ وَإِظْهَارِ نِعْمَةٍ عَلَيْهِمْ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ.

ثُمَّ رَجَعَ سُبْحَانَهُ إِلَى ذِكْرِ مَنْ ذَكَرَهُمْ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ. فَقَالَ: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنَّ هِيَ﴾ أي: ما المَوْتَةُ ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾ نَمُوتُهَا فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَا بَعَثَ بَعْدَهَا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بِمَبْعُوثِينَ وَلَا مُعَادِينَ. ﴿فَاتُوا بِآبَاتِنَا﴾ الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلَنَا وَأَعِيدُوهُمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي أَنَّ اللَّهَ يُعِيدُ الْأَمْوَاتَ، وَقَائِلُهُ أَبُو جَهْلٍ قَالَ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَابْعَثْ جَدَّكَ قُصَيَّ بْنَ كِلَابٍ!! وَهَذَا جَهْلٌ مِنْ أَبِي جَهْلٍ؛ لِأَنَّ النِّشْأَةَ الثَّانِيَةَ إِنَّمَا وَجِبَتْ لِلْجَزَاءِ لَا لِلتَّكْلِيفِ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الدَّارُ بِدَارِ جَزَاءٍ بَلْ دَارُ تَكْلِيفٍ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي إِعَادَتِهِمْ لِلْجَزَاءِ فَأَعِدْهُمْ لِلتَّكْلِيفِ!! فَلِذَلِكَ عَدَلَ عَنْ مَقَابِلَتِهِ إِلَى الْوَعْدِ وَالْوَعْظِ بِمَا هُوَ أَعْوَدُ عَلَيْهِ فَقِيلَ: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ أي: أَهْمُ أَكْثَرُ عَدَدًا وَعُدَّةً وَنِعْمَةً وَقُوَّةً؟! كَقَوْلِهِ: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾^(١) بَعْدَ ذِكْرِ آلِ فِرْعَوْنَ، وَهُوَ تُبَّعُ الْحِمَيْرِيُّ، كَانَ مُؤْمِنًا وَقَوْمُهُ كَافِرِينَ، وَهُوَ الَّذِي سَارَ بِالْجِيُوشِ حَتَّى حَيَّرَ الْحَيْرَةَ، ثُمَّ أَتَى سَمَرْقَنْدَ فَهَدَمَهَا ثُمَّ بَنَاهَا، وَكَانَ إِذَا كَتَبَ كَتَبَ: «بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي مَلَكَ بَرًّا وَبَحْرًا وَضَحًا وَرِيحًا» ذَمَّ اللَّهُ قَوْمَهُ وَلَمْ يَذُمَّهُ.

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ تُبَّعَ قَالَ لِلْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ: كُونُوا هَاهُنَا حَتَّى يَخْرُجَ هَذَا النَّبِيُّ، أَمَّا أَنَا فَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَخَدَمْتُهُ وَخَرَجْتُ مَعَهُ^(٢).

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يُرِيدُ: وَمَا بَيْنَ الْجَنْسَيْنِ. ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ مِيقَاتُ حَسَابِهِمْ وَجَزَائِهِمْ ﴿أَجْمَعِينَ﴾. ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى﴾ أَيُّ مَوْلَى كَانَ مِنْ قَرَابَةٍ وَغَيْرِهَا ﴿عَنْ﴾ أَيُّ ﴿مَوْلَى﴾ كَانَ شَيْئًا مِنْ إِغْنَاءٍ ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الضَّمِيرُ لِلْمَوَالِي؛ لِأَنَّهُمْ فِي الْمَعْنَى كَثِيرٌ لَتَنَاوُلِ اللَّفْظِ عَلَى الْإِثْهَامِ وَالشِّيَاعِ كُلِّ مَوْلَى. ﴿مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾

(١) القمر: ٤٣.

(٢) رواه الصدوق في كمال الدين: ج ١ ص ١٧٠ ح ٢٦.

فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْوَائِ فِي ﴿يُنْصَرُونَ﴾، أَي: لَا يُمْنَعُ مِنَ الْعَذَابِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِمَّا بَأَنْ يُسْقِطَ عِقَابَهُمْ أَبْتَدَاءً، أَوْ يَأْذَنَ بِالشَّفَاعَةِ فِيهِمْ لِمَنْ عُلَتْ دَرَجَتُهُ عِنْدَهُ فَيُسْقِطُ عِقَابُ الْمَشْفُوعِ لَهُ بِشَفَاعَتِهِ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي أَنْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ مَنْصُوباً عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ.

و ﴿الْأَثِيمُ﴾: الْآثِمُ، وَقِيلَ: هُوَ أَبُو جَهْلٍ ^(١)، وَرُوي أَنَّهُ أَتَى بَتَمْرٍ وَزَبْدٍ فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا وَأَكَلَ وَقَالَ: هَذَا هُوَ الزَّقُّومُ الَّذِي يُخَوِّفُنَا مُحَمَّدٌ بِهِ وَنَحْنُ نَتَزَقَّمُهُ أَي: نَمْلَأُ أَفْوَاهَنَا بِهِ ^(٢). ﴿كَالْمُهْلِ﴾ وَهُوَ الْمَذَابُ مِنَ التُّحَّاسِ، وَقِيلَ: هُوَ دُرْدِيُّ الزَّيْتِ ^(٣)، وَقُرِئَ: ﴿يَغْلِي﴾ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ ^(٤)، فَمَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ فَعَلَى «الشَّجَرَةِ»، وَمَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ حَمَلَهُ عَلَى «الطَّعَامِ»، لِأَنَّ الطَّعَامَ هُوَ الشَّجَرَةُ فِي الْمَعْنَى، وَلَا يُحْمَلُ عَلَى «الْمُهْلِ» بَلْ عَلَى الْمُشَبَّهِ بِالْمُهْلِ، وَالْكَافُ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ، وَكَذَلِكَ يَغْلِي.

يُقَالُ لِلزَّبَانِيَةِ: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾ فَقُودُوهُ بِعُنْفٍ، وَهُوَ أَنْ يُوْخَذَ بِتَلَايِبِ ^(٥) الرَّجُلِ فَيَجَرَّ إِلَى قَتْلِ أَوْ حَبْسٍ، وَمِنْهُ: «الْعُتْلُ»، وَقُرِئَ بِكَسْرِ التَّاءِ وَضَمِّهَا ^(٦) ﴿إِلَى سَوَاءٍ أَلْجَحِيمِ﴾ إِلَى وَسْطِهَا وَمُعْظَمِهَا، وَسُمِّيَ وَسْطُ الشَّيْءِ سَوَاءً لِاسْتِوَاءِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَطْرَافِهِ الْمُحِيطَةِ بِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «الصَّبُّ» عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِعَارَةِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

(١) قَالَ ابْنُ زَيْدٍ. رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ: ج ١١ ص ٢٤٣.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٢٨١ عَنْ ابْنِ الزَّبْعَرِيِّ.

(٣) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عَمْرٍو وَسَعِيدٌ. رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ: ج ١١ ص ٢٤٣ - ٢٤٥.

(٤) وَبِالتَّاءِ قَرَأَهُ نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَحُمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَعَاصِمٌ بِرَوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ. رَاجِعْ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقُرْآنِ: ص ٥٩٢.

(٥) لَبَّيْتُ الرَّجُلَ تَلْبِيئاً: إِذَا جَمَعْتَ ثِيَابَهُ عِنْدَ صَدْرِهِ وَنَحْوَهُ فِي الْخُصُومَةِ ثُمَّ جَرَرْتَهُ. (الصَّحَاحُ: مَادَّةُ لَبَّ).

(٦) بِالضَّمِّ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَنَافِعٍ وَابْنِ عَامِرٍ. رَاجِعِ الْمَصْدَرِ السَّابِقَ.

صُبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ^(١)

وكَقَوْلِهِ: ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾^(٢) يُقَالُ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ عَلَى

سَبِيلِ الْهَزْءِ وَالتَّهَكُّمِ لِمَنْ كَانَ يَتَعَزَّزُ وَيَتَكَّرَّمُ عَلَى قَوْمِهِ.

وَرُوي أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا أَعَزُّ وَلَا أَكْرَمُ

مَنِّي»^(٣).

وَقُرِئَ: «أَنَّكَ» بِالْفَتْحِ^(٤) أَي: لَأَنَّكَ. ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الْعَذَابَ، أَوْ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ

هُوَ ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ أَي: تَشْكُونَ فِيهِ، أَوْ: تَتَمَارُونَ وَتَتَلَا جُونَ بِسَبَبِهِ.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (٥١) فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ

سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤)

يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ

الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضَلًّا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ

مُرْتَقِبُونَ (٥٩) ﴿

قُرِئَ ﴿مَقَامٍ﴾ بِالْفَتْحِ^(٥) وَهُوَ مَوْضِعُ الْقِيَامِ، وَبِالضَّمِّ^(٦) - مَقَام - وَهُوَ مَوْضِعُ

الْإِقَامَةِ، وَ «الْأَمِين» فِي وَصْفِ الْمَكَانِ مُسْتَعَارٌ، لِأَنَّ الْمَكَانَ الْمُخِيفَ كَأَنَّمَا يُخَوِّفُ

صَاحِبَهُ مِمَّا يَلْقَى فِيهِ مِنَ الْمَكَارِهِ.

(١) و صدره: كم امرئ كان في خفضٍ وفي دعة. لم نثر على قائله، قد ذكره صاحب الكشاف، ومعناه واضح. (٢) البقرة: ٢٥٠.

(٣) رواه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٢٤٦ عن قتادة.

(٤) وهي قراءة الكسائي وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٩٣.

(٥) أي فتح الميم الأولى.

(٦) وهي قراءة نافع وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٩٣.

قَالُوا: السُّنْدُسُ: مَا رَقَّ مِنَ الدِّيَابِجِ، وَالِاسْتَبْرَقُ: مَا غَلِظَ مِنْهُ^(١)، وَهُوَ مَعْرَبُ «اسْتَبَر»، وَإِنَّمَا سَاغَ وَقُوعُ اللَّفْظِ الْأَعْجَمِيِّ فِي الْقُرْآنِ لِأَنَّ مَعْنَى التَّعْرِيبِ أَنْ يُجْعَلَ عَرَبِيًّا بِالتَّصَرُّفِ فِيهِ، وَإِجْرَائِهِ عَلَى وَجْهِ الْإِعْرَابِ^(٢). ﴿كَذَلِكَ﴾ الْكَافُ مَرْفُوعَةٌ، أَي: الْأَمْرُ كَذَلِكَ، أَوْ: مَنْصُوبَةٌ أَي: مِثْلَ ذَلِكَ آتَيْنَاهُمْ ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ وَعَنِ الْأَخْفَشِ: هُوَ التَّزْوِيجُ الْمَعْرُوفُ^(٣)، وَعَنْ غَيْرِهِ: لَا يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ تَزْوِيجٌ، وَالْمَعْنَى: وَقَرَّنَاهُمْ ﴿بِخُورٍ عَيْنٍ﴾^(٤). ﴿يَدْعُونَ﴾ أَي: يَسْتَدْعُونَ فِيهَا أَيَّ ثَمَرَةٍ شَاءُوا وَهِيَ وَأَشْتَهَوْهَا ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِنْ نَفَادِهَا وَمَضَرَّتِهَا، غَيْرَ خَائِفِينَ فَوْتَهَا.

أَي: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ الْبَتَّةَ، فَوَضَعَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ مَوْضِعَ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْمَوْتَةَ الْمَاضِيَةَ لَا يُمَكِّنُ ذَوْقُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّعْلِيقِ بِالْمَحَالِ، فَكَانَهُ قَالَ: إِنْ كَانَتِ الْمَوْتَةُ الْأُولَى يَسْتَقِيمُ ذَوْقُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَإِنَّهُمْ يَذُوقُونَهَا. ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ أَي: تَفَضُّلاً مِنْهُ وَعَطَاءً وَثَوَاباً. يَعْنِي: كُلُّ مَا أُعْطِيَ الْمُتَّقِينَ مِنْ نَّعِيمِ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ مَعْنَاهُ: ذَكَرَهُم بِالْكِتَابِ الْمُبِينِ فَإِنَّمَا سَهَّلْنَاهُ ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بَلُغَتِكَ، حَيْثُ أَنْزَلْنَاهُ عَرَبِيًّا لَيْسَهُلَ عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ تَفْهَمُهُ وَالتَّذَكُّرُ بِهِ. ﴿فَارْتَقِبْ﴾ فَانْتَظِرْ مَا يَحُلُّ بِهِمْ ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ مَا يَحُلُّ بِكَ وَمُتَرَبِّصُونَ بِكُمْ^(٥) الدَّوَائِرَ، وَقِيلَ: انْتَظِرْ نَصْرَكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ خِلَافَهُ بِزَعْمِهِمْ^(٦).



(١) وَهُوَ قَوْلُ عِكْرَمَةَ. رَاجِعُ تَفْسِيرِ الْمَاورِدِي: ج ٥ ص ٢٥٨.

(٢) وَهُوَ قَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٢٨٢.

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْأَخْفَشِ: ج ٢ ص ٦٩١.

(٤) وَهُوَ مَا قَالَهُ يُونُسُ كَمَا فِي تَفْسِيرِ الرَّازِيِّ: ج ٢٧ ص ٢٥٣.

(٥) فِي نَسْخَةٍ: «بِكَ».

(٦) قَالَهُ قَتَادَةُ. رَاجِعُ تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ: ج ١١ ص ٢٥١.

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

مَكِّيَّةٌ ^(١) إِلَّا آيَةً نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا﴾ ^(٢) سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، سِتٌّ فِي غَيْرِهِمْ، ﴿حَم﴾ كُوفِيٌّ.
في حديث أبيي: «وَمَنْ قَرَأَ حَمَ الْجَاثِيَةِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَسَكَّنَ رُوعَتَهُ عِنْدَ الْحِسَابِ» ^(٣).

وعن الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَهَا كَانَ ثَوَابُهَا أَنْ لَا يَرَى النَّارَ أَبَدًا، وَهُوَ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٢٤٤: مَكِّيَّةٌ في قول قتادة ومجاهد، وهي سبع وثلاثون آية في الكوفي وست في البصري والمدنيين.

وفي تفسير الماوردي ج ٥ ص ٢٦٠: مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا في قول الحسن وجابر وعطاء وعكرمة، وقال ابن عباس وقتادة: إِلَّا آيَةً وهي ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا﴾.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٢٨٤: مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَةً (١٤) فمدنية، وآياتها (٣٧) وقيل: (٣٦) آية، نزلت بعد الدخان. (٢) الآية: ١٤.

(٣) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٢٩٤ مرسلاً.

(٤) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤١، وفيه بعد «أبدًا»: «ولا يسمع زفير جهنم ولا شهيقها».

وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) ﴿

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ﴾ يجوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَأَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ» لِقَوْلِهِ: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾. وَقُرِئَ: ﴿ءَايَاتُ﴾ بِالرَّفْعِ وَالتَّنْصِبِ^(١) فِي الْمَوْضِعَيْنِ: فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَعَلَى قَوْلِكَ: إِنَّ فِي الدَّارِ لَزَيْدًا وَفِي الْبَيْتِ عَمْرًا، أَوْ: فِي الْبَيْتِ عَمْرٌ. وَأَمَّا الثَّانِي وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ءَايَاتُ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فَمِنْ الْعَطْفِ عَلَى عَامِلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ سَوَاءٌ نَصَبْتُ أَوْ رَفَعْتُ، فَالْعَامِلَانِ إِذَا نَصَبْتُ هُمَا: «إِنَّ» وَ «فِي»، وَإِذَا رَفَعْتُ فَالْعَامِلَانِ: الْإِبْتِدَاءُ وَ «فِي»، عَمَلُ الْإِبْتِدَاءِ الرَّفْعُ فِي ﴿ءَايَاتُ﴾ وَعَمَلُ فِي الْجَرِّ فِي ﴿اخْتَلَفَ﴾، وَالْعَطْفُ عَلَى عَامِلَيْنِ سَدِيدٌ سَائِعٌ عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ^(٢)، فَأَمَّا سَبِيوِيهِ فَلَا يُجِيزُهُ^(٣)، وَمَخْرَجُ الْآيَةِ عَلَى مَذْهَبِهِ أَنْ يُقَدَّرَ «فِي» وَيُضْمَرُ، لِأَنَّ ذِكْرَهُ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْآيَتَيْنِ قَبْلَهُ كَمَا قَدَّرَهُ سَبِيوِيهِ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَكُلَّ أَمْرٍ تَحْسِينِ أَمْرًا وَنَارٍ تَأَجَّجُ بِاللَّيْلِ نَارًا^(٤)

وَقَالَ: إِنَّ «كُلَّ» فِي حَكْمِ الْمَلْفُوظِ وَأَسْتُغْنِي عَنْ إِظْهَارِهِ بِتَقَدُّمِ ذِكْرِهِ^(٥)،

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٩٤.

(٢) انظر معاني القرآن: ج ١ ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٣) أنظر كتاب سيبويه: ج ١ ص ٦٥ - ٦٦.

(٤) لأبي داود الإيادي. والبيت واضح المعنى. راجع ديوان أبي داود: ص ٣٥٣، والكامل

للمبرد: ج ١ ص ٣٧٦ وفيهما بدل «تَأَجَّجُ»: «تَوَقَّدُ».

(٥) كتاب سيبويه: ج ١ ص ٦٦.

أَوْ: يُحْمَلُ ﴿وَاخْتَلَفَ الْأَيْلُ﴾ عَلَى «فِي» الْمَتَقَدِّمِ ذِكْرَهَا وَيُجْعَلُ ﴿ءَايَاتُ﴾ عَلَى التَّكَرُّرِ لِطُولِ الْكَلَامِ، كَمَا قِيلَ فِي الثَّانِيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ ^(١)، أَوْ: يَنْتَصِبُ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ بَعْدَ أَنْقِضَاءِ الْمَجْرُورِ مَعْطُوفاً عَلَى مَا قَبْلِهِ، وَيَرْتَفِعُ بِإِضْمَارِ «هِيَ»، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ.

﴿تِلْكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الْآيَاتِ الْمَتَقَدِّمَةِ، أَي: تِلْكَ الْآيَاتُ آيَاتُ اللَّهِ، وَ ﴿تَتْلُوَهَا﴾ فِي مَحَلِّ الْحَالِ أَي: مَتْلُوءَةً عَلَيْكَ بِالْحَقِّ، وَالْعَامِلُ فِي الْحَالِ مَعْنَى الْإِشَارَةِ ﴿بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ﴾ أَي: بَعْدَ آيَاتِ اللَّهِ كَمَا قَالُوا: أَعْجَبَنِي زَيْدٌ وَكَرَّمَهُ. وَالْمُرَادُ: أَعْجَبَنِي كَرَمُ زَيْدٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ﴾ حَدِيثِ ﴿اللَّهِ﴾ وَهُوَ كِتَابُهُ وَقِرَانُهُ كَقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ ^(٢) وَآيَاتُهُ أَي: أَدَلَّتُهُ الْفَاصِلَةُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

﴿وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (٧) يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُثَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩) مِّنْ وَرَآيِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّحْزٍ أَلِيمٍ (١١) اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِي أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣).

الْأَفَّاكُ: الْكَثِيرُ الْإِفْكُ، وَهُوَ الْكَذِبُ. ﴿يُصِرُّ﴾ يُقْبِلُ عَلَى كُفْرِهِ وَيُقِيمُ عَلَيْهِ ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْآيَاتِ، وَعَنِ الْانْقِيَادِ لِلْحَقِّ ﴿كَأَنَّ﴾ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ

أي: كأنه ﴿لَمْ يَسْمَعْهَا﴾ والضَّمِيرُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ والحديث، والجملة في محلِّ النَّصْبِ على الحال، أي: يُصِرُّ مثلَ غيرِ السَّامِعِ

﴿وَإِذَا﴾ بَلَّغَهُ شَيْءٌ ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ وَعَلِمَ أَنَّهُ مِنْهَا ﴿اتَّخَذَهَا﴾ أي: اتَّخَذَ الآيَاتِ ﴿هُزُؤًا﴾ وَلَمْ يَقُلْ: اتَّخَذَهُ؛ لِلإِيذَانِ بِأَنَّهُ إِذَا أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ أَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ اسْتَهْزَأَ بِجَمِيعِ الآيَاتِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى الاسْتَهْزَاءِ بِمَا بَلَّغَهُ ﴿أُولَئِكَ﴾ إِمَارَةٌ إِلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ.

والوراء: اسمٌ للجهة التي يُوارِيها الشَّخْصُ من خَلْفٍ أو قَدَّامٍ، والمعنى: من قُدَّامِهِمْ جَهَنَّمَ ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا﴾ أي: مَا أَكْتَسَبُوهُ وَحَصَّلُوهُ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي مَتَاجِرِهِمْ ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ مِنَ الْأَصْنَامِ.

﴿هَذَا﴾ إِمَارَةٌ إِلَى الْقُرْآنِ ﴿هُدًى﴾ أي: دَلَالَةٌ مُوصِلَةٌ إِلَى الْحَقِّ كَامِلَةٌ فِي الْهَدَايَةِ، كَمَا تَقُولُ: زَيْدٌ رَجُلٌ، أي: كَامِلٌ فِي الرَّجُولِيَّةِ وَأَيُّ رَجُلٍ، وَالرَّجْزُ: أَشَدُّ الْعَذَابِ، وَقُرِئَ بِجَرٍّ ﴿أَلِيمٌ﴾ وَرَفِعِهِ ^(١).

ثُمَّ دَلَّ سَبْحَانَهُ عَلَى تَوْحِيدِهِ فَقَالَ: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾ أي: السُّفُنُ ﴿فِيهِ﴾، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بِالتَّجَارَةِ أَوْ بِالغَوْصِ عَلَى اللَّوْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ، وَأَسْتِخْرَاجِ اللَّحْمِ الطَّرِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعِ الْبَحْرِ. وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْهُ﴾ وَاقِعَةٌ مَوْقِعَ الْحَالِ، وَالْمَعْنَى: سَخَّرَ لَكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ كَائِنَتْ مِنْهُ وَحَاصِلَةٌ مِنْ عِنْدِهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ مَكُونُهَا وَمُوجِدُهَا بِقُدْرَتِهِ وَمُسَخِّرُهَا لِخَلْقِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُحذوفٌ تَقْدِيرُهُ: هِيَ جَمِيعاً مِنْهُ، وَأَنْ يَكُونَ ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُبْتَدَأٌ ﴿مِنْهُ﴾ خَبَرُهُ.

(١) قرأ ابن كثير وعاصم برواية حفص بالرفع والباقون بجره. راجع كتاب السبعة في القراءات:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم تَرْجَعُونَ (١٥) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ (١٦) وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَغْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصِيرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) ﴿

أَي: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ اغْفِرُوا ﴿يَغْفِرُوا﴾ فحذف القول لدلالة جوابه عليه ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أَي: لَا يَتَوَقَّعُونَ وقائع الله بأعدائه، وهو من قولهم: أَيَّامُ الْعَرَبِ؛ لوقائعهم، وقيل: لَا يَأْمَلُونَ الأوقات التي وقَّتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها^(١)، ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ تعليل الأمر بالمغفرة، أَي: إِنَّمَا أُمِرُوا بِأَنْ يَغْفِرُوا لِمَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ تَوْفِيَّتِهِمْ جزاء مغفرتهم في الآخرة، ونكَّر ﴿قَوْمًا﴾ والمراد به الذين آمنوا؛ للثناء عليهم، كأنه قال: لِيَجْزِيَ قَوْمًا أَيَّاماً قوم، أو: قَوْمًا مخصوصين لصبرهم وإغضائهم على أذى أعدائهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ له من الثواب العظيم باحتمال المكاره وكظم الغيظ، وقُرئ: «لِنَجْزِي»^(٢) بالنون، وقُرئ: «لِيَجْزِي قَوْمًا»^(٣) على معنى: لِيَجْزِيَ الْجَزَاءَ قَوْمًا.

(١) حكاها الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٢٨٨.

(٢) قرأه ابن عامر وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٩٥.

(٣) وهي قراءة شعبة وأبي جعفر المدني. راجع البحر المحيط لأبي حيان: ج ٨ ص ٤٥.

﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يُرِيدُ مَا أَحَلَّهُ لَهُمْ وَأَطَابَ مِنَ الْأَرْزَاقِ
 ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فِي كَثْرَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْهُمْ، ﴿وَعَاتَيْنَاهُمْ يَتْنًا﴾ آيَاتِ
 مُعْجَزَاتٍ ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ فَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمُ الْخِلَافُ
 فِي الدِّينِ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ﴾ مَا يُوجِبُ دَفْعَ ^(١) الْخِلَافِ وَهُوَ ﴿الْعِلْمُ﴾،
 وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا لِبُغْيِ حَدَثٍ بَيْنَهُمْ، أَيْ: لِعِدَاوَةٍ وَحَسَدٍ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ أَيْ: طَرِيقَةٍ وَمُنْهَاجٍ ﴿مِنْ﴾ أَمْرِ الدِّينِ، وَأَصْلُهُ:
 الشَّرِيعَةُ الَّتِي هِيَ الطَّرِيقُ إِلَى الْمَاءِ ﴿فَاتَّبِعْهَا﴾ أَيْ: فَاتَّبِعْ شَرِيعَتَكَ الثَّابِتَةَ بِالْبَرَاهِينِ
 وَالْمُعْجَزَاتِ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ﴾ الْجُهَالِ مِنْ قَوْمِكَ ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الْحَقَّ
 ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ إِنْ أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ.

﴿هَذَا﴾ الْقُرْآنُ ﴿بَصَّيْتُ لِلنَّاسِ﴾ جَعَلَ سَبْحَانَهُ مَا فِيهِ مِنْ مَعَالِمِ الدِّينِ
 وَالشَّرَائِعِ بِمَنْزِلَةِ الْبَصَائِرِ فِي الْقُلُوبِ، كَمَا جَعَلَهُ رُوحًا وَحَيَاةً ﴿وَهَدَى﴾ وَهُوَ هَدَى
 لِلنَّاسِ ﴿وَرَحْمَةً﴾ مِنَ اللَّهِ.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢١) وَخَلَقَ
 اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
 يُظْلَمُونَ (٢٢) أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ
 عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ
 أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا
 إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ
 ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَابِائِنَا إِنْ كُنْتُمْ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «رَفَع».

صَدِيقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُنْظِلُونَ (٢٧) ﴿

﴿أَمْ﴾ منقطة، ومعنى الهمزة فيها إنكارُ الحُساب، والاجترأح؛ الاكتسابُ ﴿أَنْ نَّجْعَلَهُمْ﴾ أَنْ نُصَيِّرَهُمْ، وهو مِنْ «جَعَلَ» الَّذي يتعدى إلى مفعولين، فالأولُ الضميرُ والثاني الكافُ، والجملةُ التي هي ﴿سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بَدَلٌ مِنَ الكافِ؛ لأنَّ الجملةَ تَقَعُ مفعولاً ثانياً، فكانت في حُكمِ المفرد. وَمَنْ قَرَأَ^(١) ﴿سَوَاءٌ﴾ بِالنَّصْبِ جَعَلَ «سواء» مِثْلَ «مُسْتَوِيّاً» وَيَكُونُ ﴿مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ رَفْعاً عَلَى الفاعلية، والمعنى: إنكارُ أَنْ يَسْتَوِيَ الْمُسِيئُونَ وَالْمُحْسِنُونَ مَحْيَاهُمْ وَأَنْ يَسْتَوُوا مَمَاتاً؛ لافتراقِ أحوالهم أحياءَ حيثُ عاشوا على الحالتين المختلفتين: هؤلاءِ عَلَى الطاعاتِ وأولئك عَلَى المَعَاصي، وَأَمواتاً حيثُ ماتَ هؤلاءِ عَلَى البشريِّ بِالرَّحْمَةِ وَالْوُضُولِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ، وَأولئك عَلَى اليأسِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْوُضُولِ إِلَى سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: إنكارُ أَنْ يَسْتَوُوا فِي الْمَمَاتِ كَمَا اسْتَوُوا فِي الْحَيَاةِ، لأنَّ الْمُسِيئِينَ وَالْمُحْسِنِينَ مُسْتَوٍ مَحْيَاهُمْ فِي الرِّزْقِ وَالصَّحَّةِ وَإِنَّمَا يَفْتَرِقُونَ فِي الْمَمَاتِ^(٢)، وَقِيلَ: «سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ» كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ عَلَى مَعْنَى: أَنْ مَحْيَا الْمُسِيئِينَ وَمَمَاتَهُمْ سَوَاءٌ، وَكَذَلِكَ مَحْيَا الْمُحْسِنِينَ وَمَمَاتُهُمْ، كُلُّ يَمُوتُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ^(٣).

(١) الظاهر من عبارة المصنّف رحمه الله هنا أَنَّهُ يميل إلى قراءة الرفع، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٩٥.

(٢ و ٣) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٢٩٠.

﴿وَلْتَجْزَى﴾ عَظُفٌ عَلَى ﴿بِالْحَقِّ﴾ لَأَنَّ فِيهِ مَعْنَى التَّعْلِيلِ، أَوْ عَلَى مُعَلَّلٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَدُلَّ عَلَى قُدْرَتِهِ وَلْتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ.

﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أَي: اتَّخَذَ مَعْبُودَهُ مَا يَهْوَاهُ، فَهُوَ مِطْوَاعٌ لَهُ يَتَّبِعُ مَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾ أَي: تَرَكَهُ عَنِ الْهَدَايَةِ وَاللُّطْفِ وَخَذَلَهُ ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ أَي: عَالِمًا بِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَيْهِ وَأَنَّهُ مَمَّنْ لَا لُطْفَ لَهُ، أَوْ: مَعَ عِلْمِهِ بِوُجُوهِ الْهَدَايَةِ وَإِحَاطَتِهِ بِأَنْوَاعِ الْأَطَافِ ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ﴾ إِضْلَالِ ﴿اللَّهِ﴾.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أَي: نَمُوتُ نَحْنُ وَيَحْيَا أَوْلَادُنَا، أَوْ: يَمُوتُ بَعْضُ مَنَا وَيَحْيَا بَعْضُ، أَوْ: يُصِيبُنَا الْأَمْرَانِ: الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ، يَرِيدُونَ: الْحَيَاةُ فِي الدُّنْيَا وَالْمَوْتُ بَعْدَهَا، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ حَيَاةٌ ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أَي: وَمَا يُمِيتُنَا إِلَّا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، وَكَانُوا يَضِيفُونَ كُلَّ حَادِثَةٍ تَحْدُثُ إِلَى الدَّهْرِ، وَيَجْعَلُونَهُ الْمُؤَثَّرَ فِي هَلَاكِ النُّفُوسِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَسْبُوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»^(١). أَي: فَإِنَّهُ الْفَاعِلُ

لِلْحَادِثِ لَا الدَّهْرُ.

وَسَمَّى مَا لَيْسَ بِحُجَّةٍ مِنْ مَقَالَتِهِمُ الْبَاطِلَةِ حُجَّةً؛ لِأَنَّهُمْ أَدْلَوْا بِهِ كَمَا يُدَلَّى بِالْحُجَّةِ، وَسَاقُوهُ مَسَاقَهَا فَسَمَّى حُجَّةً عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ، أَوْ: لِأَنَّهُ فِي أُسْلُوبِ قَوْلِهِمْ:

تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(٢)

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ: ج ٢ ص ٣٩٥ و ٤٩١ و ٤٩٦ و ٤٩٩.

(٢) وَصَدَرَهُ: وَخَيْلٌ قَدْ دَلَّغَتْ لَهَا بِخَيْلٍ. لِعَمْرُو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ. تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي ج ١ ص ٧٣ فَرَاغَ.

كأنه قيل: ما كان حجّهم إلّا ما ليس بحجّة، والمراد نفى الحجّة. وإنّما وقّع قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم﴾ جواباً لقولهم: ﴿اثْبُتُوا بِآبَائِنَا﴾ لأنّهم لما أنكروا البعث ألزّموا ما هم به مقرّون من أنّ الله هو الذي يحييهم ثمّ يميتهم، وضمّ إلى ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا وهو جمّعهم ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ ومن كان قادراً على ذلك قدر على الإثبات بآبائهم. وعامل النصب في ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: ﴿يَخْسَرُ﴾، و ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾.

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّصِيرِينَ (٣٤) ذَلِكَ بِأَنكُم اتَّخَذْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)﴾

﴿وَتَرَى﴾ يوم القيامة أهل ﴿كُلِّ﴾ ملّة باركة على ركبها مستوفزة، وعن

قتادة: ﴿جَائِيَةً﴾ جماعات ^(١)، من الجثوة وهي الجماعة وجمعها: «جُثَى». وفي الحديث: «من جُثِيَ جَهَنَّم» ^(٢).

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ أي: إلى كُتُبِ أعمالِها التي كانت تُسْتَنْسَخُ لها، فاكتفى باسم الجنس كما في قوله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ ^(٣)، وقيل: إلى كتابِها المنزل على رسولها لِيُسْأَلُوا عَمَّا عَمِلُوا بِهِ ^(٤)، والأوَّلُ أَصَحُّ ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ محمولٌ على القول. ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ إِنَّمَا أُضِيفَ إِلَيْهِمْ وإلى الله عزَّ وجلَّ لأنَّ الإِضافةَ تَكُونُ لِلْمَلَابَسَةِ، وَقَدْ لَابَسَهُمْ لَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ مُثَبَّتَةٌ فِيهِ، وَلَابَسَهُ سُبْحَانَهُ لِأَنَّهُ الْآمِرُ مَلَأَتْهُ أَنْ يَكْتُبُوا فِيهِ أَعْمَالَ الْعِبَادِ ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ﴾ يَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴿بِالْحَقِّ﴾ بلا زيادةٍ ونقصانٍ ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾ الملائكة، أي: نَسْتَكْتُبُهُمْ أَعْمَالَكُمْ. ﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي: في جَنَّتِهِ وَثَوَابِهِ، وَقَرَأَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يُنْطِقُ عَلَيْكُمْ» على البناء للمفعول.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جَوَابُهُ محذوف، والتقدير: فيقال لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ أَتَيْتَنِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ والمعنى: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلِي فَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ؟ فَحُذِفَ الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ ﴿فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ فَتَعَظَّمْتُمْ عَنْ قُبُولِهَا ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ أي: كافرين، كَمَا قَالَ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ ^(٥).

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٢٩٢.

(٢) ونص الحديث: عن الحارث الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: «من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جُثِيَ جهنم، قال رجل: يا رسول الله، وإن صام وصلى؟ قال: نعم، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين والمؤمنين عباد الله». أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٦ ص ٨١ وعزاه إلى الطيالسي وأحمد والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم.

(٣) الكهف: ٤٩، الزمر: ٦٩.

(٤) وهو المحكي عن الجاحظ. راجع التبيان: ج ٩ ص ٢٦٢.

(٥) القلم: ٣٥.

وَقُرِئَ: ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ بالرفع والنصب^(١). فالرفع محمولٌ على موضع ﴿إِنَّ﴾ وما عملت فيه، والنصب على لفظه ﴿إِنَّ﴾، و ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ في موضع الرفع، ﴿مَا السَّاعَةُ﴾ أي: وأي شيء الساعة ﴿إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ والأصل: نَظْنُ ظَنًّا. ومعناه: إثبات الظن، فأدخل حرف التثني وحرف الاستثناء ليفيد إثبات الظن مع نفي ما سواه، وزاد نفي ما سوى الظن تأكيداً لقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾. ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ﴾ أي: ظهر لهم ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: قبايح أعمالهم، أو: عقوبات سيئاتهم كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٢).

﴿الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾ أي: نترككم في العذاب كما تركتم عُدَّةَ ﴿لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ وهي الطاعة، أو: نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي الذي لا يُبالي به كما لم تُبالوا بلقاء يومكم هذا، وإضافة «اللِّقَاءِ» إلى «اليوم» كإضافة «المَكْرِ» في قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٣) أي: نسيتم لقاء الله ولقاء جزائه في يومكم هذا. ﴿ذَلِكُمْ﴾ المفعول بكم ﴿بِأَنَّكُمْ أَتَّخَذْتُمْ﴾ بسبب استهزائكم بآيات الله وأغتراركم بالدُّنيا ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي: يرضوه.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السماوات والأرض والعالمين وكبروه، فقد ظهرت آثار كبريائه في الجميع، فإن مثل هذه الربوبية الشاملة العامة تُوجبُ الثناء والحمد والتكبير والتعظيم على المرئيين.



(١) وبالنصب قراءة حمزة وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٩٥.

(٢) سبأ: ٣٣.

(٣) الشورى: ٤٠.

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

مَكِّيَّةٌ ^(١) غَيْرُ آيَاتٍ، وَهِيَ خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً كُوفِيَّةٌ، أَرْبَعٌ فِي الْبَاقِينَ، ﴿حَمْ﴾ كُوفِيَّةٌ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَحْقَافِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ رَمَلٍ فِي الدُّنْيَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَرُفِعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا كُلَّ لَيْلَةٍ أَوْ كُلَّ جُمُعَةٍ لَمْ يُصِبْهُ اللَّهُ بَرُوعَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَآمَنَهُ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْ﴾ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٩ ص ٢٦٦: مَكِّيَّةٌ بِإِخْلَافٍ، وَهِيَ خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ فِي الْبَصْرِيِّ وَالْمَدَنِيِّينَ، عَدَّ أَهْلُ الْكُوفَةِ ﴿حَمْ﴾ آيَةً وَلَمْ يَعُدَّهُ الْبَاقُونَ، وَالْبَاقِي لَا إِخْلَافَ فِيهِ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٢٩٤: مَكِّيَّةٌ إِلَّا الْآيَاتِ ١٠ وَ ١٥ وَ ٣٥ فَمَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٣٤) وَقِيلَ: (٣٥) آيَةٌ، نَزَلَتْ بَعْدَ الْجَائِيَةِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٣١٤ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤١.

عَمَّا أَنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (٣) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨) ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أَي: إِلَّا خَلَقًا مُلْتَبَسًا بِالْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ وَالْغَرَضِ الصَّحِيحِ، وَلَمْ يَخْلُقْهَا عَبَثًا وَلَا بَاطِلًا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ وَبِتَقْدِيرِ أَجَلٍ مُّسَمًّى يَنْتَهِي إِلَيْهِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أَنْذِرُوا﴾ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْجَزَاءِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَلَا يَسْتَعِدُّونَ لَهُ، وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْتَهَائِهِمْ وَأَنْتَهَاءِ كُلِّ خَلْقٍ إِلَيْهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مَا» مَصْدَرِيَّةً أَي: عَنِ الْإِنْذَارِ.

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ الْأَصْنَامِ وَتَدْعُونَهُمْ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ حَتَّى اسْتَحَقُّوا بِهِ الْعِبَادَةَ وَتَوَجَّيَ الْقُرْبُ إِلَيْهِمْ، بَلْ ﴿لَهُمْ شِرْكٌ فِي﴾ خَلْقِ ﴿السَّمَوَاتِ﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ادِّعَاءِ ذَلِكَ، ﴿اتُّونِي بِكِتَابٍ﴾ أَنْزَلَهُ اللَّهُ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِكُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ ﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ أَوْ بَقِيَّةٍ مِنْ عِلْمٍ تُؤَثِّرُ مِنْ كُتُبِ الْأَوَّلِينَ، وَفِي الشَّوَاذِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَوْ أَثَرَةٍ» بِسُكُونِ التَّاءِ (١)، وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: «أَثَرَةٍ» بِفَتْحَتَيْنِ (٢)، فَالْأَثَرَةُ: الْمَرَّةُ

(١) أنظر شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٤٠.

(٢) حكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط: ج ٨ ص ٥٥.

من مَصْدَرٍ أَثَرَ الْحَدِيثِ أَي: رَوَاهُ، وَالْأَثَرَةُ بِمَعْنَى الْأَثَارَةِ أَيْضاً، أَي: خَاصَّةً مِنْ عِلْمٍ أُوتِرْتُمْ بِهِ وَخُصِّصْتُمْ الْإِحَاطَةَ بِهِ لِغَيْرِكُمْ.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ معنى الاستفهام فيه إنكارُ أن يكونَ في الضلالِ كلُّه ^(١) أَضَلُّ ضَلَالاً مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ حَيْثُ يَدْعُونَ جَمَاداً ﴿لَا يَسْتَجِيبُ﴾ لَهُمْ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِجَابَةِ أَحَدٍ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا وَإِلَى تَقْوَمِ السَّاعَةُ، وَيَتْرَكُونَ دُعَاءَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، السَّمِيعِ الْمُجِيبِ. ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا﴾ عَلَيْهِمْ ضِدّاً وَ﴿لَهُمْ أَعْدَاءٌ﴾ فَلْيَسُوا فِي الدَّارَيْنِ إِلَّا عَلَى نَكْدٍ وَمَضَرَّةٍ مِنْهُمْ.

﴿بَيَّنْتَ﴾ جَمْعُ بَيَّنَّةٍ، وَهِيَ الْحِجَّةُ وَالشَّاهِدُ، أَوْ: وَاضِحَاتُ مُبَيِّنَاتٍ، وَاللَّامُ فِي ﴿لِلْحَقِّ﴾ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ ^(٢) أَي: لِأَجْلِ الْحَقِّ وَلَا أَجْلِ الَّذِينَ آمَنُوا، وَالْمُرَادُ بِالْحَقِّ: الْآيَاتُ، وَبِالَّذِينَ كَفَرُوا: الْمَتَلُّو عَلَيْهِمْ، فُوضِعَ الظَّاهِرَانِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرَيْنِ لِلتَّسْجِيلِ عَلَيْهِمْ بِالْكَفْرِ وَلِلتَّمَلُّقِ بِالْحَقِّ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أَي: بِأَدْهَوِهِ ^(٣) بِالْجُحُودِ سَاعَةً أَتَاهُمْ وَأَوَّلَ مَا سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ وَنَظَرٍ وَسَمَوُهُ سِحْرًا مَبِينًا ظَاهِرًا لظُلْمِهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ إِغْرَاضٌ وَإِضْرَابٌ عَنْ ذِكْرِ تَسْمِيَّتِهِمُ الْآيَاتِ سِحْرًا إِلَى ذِكْرِ قَوْلِهِمْ: إِنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: دَعْ هَذَا وَأَسْمَعْ قَوْلَهُمُ الْمُنْكَرَ الْعَجِيبَ، وَذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَقَوْلَهُ وَيَفْتَرِيهِ عَلَى اللَّهِ، وَلَوْ اخْتَصَّ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْعَرَبِ الْفُصَحَاءِ لَكَانَتْ قُدْرَتُهُ عَلَيْهِ مُعْجَزَةً خَارِقَةً لِلْعَادَةِ، وَإِذَا كَانَتْ مُعْجَزَةً كَانَتْ تَصْدِيقًا مِنْ اللَّهِ لَهُ، وَالْحَكِيمُ لَا يَصْدُقُ الْكَاذِبَ فَلَا يَكُونُ مُفْتَرِيًا، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿افْتَرَاهُ﴾ لـ ﴿الْحَقِّ﴾ وَالْمُرَادُ بِهِ الْآيَاتُ ﴿قُلْ إِنْ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «كُلُّهُمْ» . (٢) الْآيَةُ: ١١ .

(٣) بَادَهُ بِالْأَمْرِ: فَاجَأَهُ بِهِ. (الصَّحَاحُ: مَادَةٌ بِهِ).

أَفْتَرَيْتُهُ ﴿ عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ عَاجَلَنِي اللَّهُ لَا مُحَالَةَ بِعُقُوبَةِ الْاِفْتِرَاءِ عَلَيْهِ ﴾ فَلَا تَمْلِكُونَ ﴿ دَفَعَ شَيْءٌ مِنْ عِقَابِهِ عَنِّي، فَكَيْفَ أَتَعَرَّضُ لِعِقَابِهِ؟! يُقَالُ: فُلَانٌ لَا يَمْلِكُ إِذَا غَضِبَ، وَمِثْلُهُ: ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ ^(١)، ثُمَّ قَالَ: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أَي: تَدْفَعُونَ فِيهِ مِنَ الْقَدَحِ فِي وَحْيِ اللَّهِ وَالطَّعْنِ فِي آيَاتِهِ ﴿ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ يَشْهَدُ لِي بِالصِّدْقِ وَالْبَلَاغِ وَيَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِالْكَذِبِ وَالْجُحُودِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ ^(٢) الْعِلْمُ وَالشَّهَادَةُ وَعَيْدُ مُجَازَاتِهِمْ ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وَعَدُّ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ إِنْ رَجَعُوا عَنِ الْكُفْرِ وَتَابُوا وَآمَنُوا، وَإِشْعَارُ بِحِلْمِ اللَّهِ عَنْهُمْ مَعَ عِظَمِ مَا أَرْتَكِبُوهُ.

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ^(٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ، فَأَمَنْ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ^(١٠) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ، فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ^(١١) وَمِنْ قَبْلِهِ، كَتَبُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ^(١٢) إِنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ^(١٣) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(١٤) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ

أَشْكُرُ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) ﴿

البِدْعُ: البديع، وهو مثل الخِفِّ بمعنى الخفيف، أي: ﴿مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ فأتاكم بكل ما تَقَرَّحُونَهُ من الآيات، وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات التي لم يُوحَ بها إليَّ، فإنَّ الرُّسُلَ ما كانوا يأتون من الآيات إلا بما آتاهم الله، ولا كانوا يُخبرون من الغيوب إلا بما أوحاه إليهم ﴿وَمَا أَدرِي﴾ ما يَفْعَلُهُ ﴿اللهُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ فيما يُسْتَقْبَلُ من الزَّمان، وما يُقَدَّرُهُ لي ولكم من أفعاله وقضاياءه، وقيل: وما أدري ما يصيرُ إليه أمري وأمرُكم في الدنيا، ومَن الغالبُ مِنَّا والمغلوبُ ^(١)، وَوَجْهُ الكلام: ما يُفْعَلُ بي وبِكم، لأنَّه مُثَبَّتٌ غَيْرُ مُنْفِيٍّ، ولكنَّ النفيَّ في «ما أدري» لَمَّا كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَيْهِ لَتَنَاوِلِهِ «ما» وما في حيزِهِ صَحَّ ذَلِكَ وَحَسُنَ، و«ما» في ﴿مَا يُفْعَلُ﴾ يجوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْصُولَةً مَنْصُوبَةً، وَأَنْ يَكُونَ اسْتِفْهَامِيَّةً مَرْفُوعَةً.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ جَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ، والتقدير: إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ؟ ويدلُّ على هذا المحذوفِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، والشَّاهِدُ من بني إِسْرَائِيلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ، لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ نَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ وَتَأَمَّلَهُ، وَسَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتِ، وَإِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ عَنِّي

(١) قاله الحسن البصري، راجع تفسيره: ج ٢ ص ٢٨٣.

بَهْتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتْ الْيَهُودُ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُمْ؟ فَقَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟ قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، قَالَ: هَذَا مَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ (١).

قال سعد بن أبي وقاص: ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ لأحدٍ يمشي على وجه الأرض: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ، وفيه نَزَلُ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ (٢) وَالضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ، أَي: عَلَى مِثْلِهِ فِي الْمَعْنَى، وَهُوَ مَا فِي التَّوْرَةِ مِنَ الْمَعَانِي الْمَطَابِقَةِ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣)، ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (٤). وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: وَشَهِدَ شَاهِدٌ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ، يَعْنِي: عَلَى كَوْنِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَنَظْمُ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ الْوَائِ الْأُولَى عَاطِفَةٌ لـ ﴿كَفَرْتُمْ﴾ عَلَى فِعْلِ الشَّرْطِ، وَكَذَلِكَ الْوَائِ الْأَخِيرَةُ عَاطِفَةٌ لـ ﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عَلَى ﴿شَهِدَ﴾، فَأَمَّا الْوَائِ فِي ﴿وَشَهِدَ﴾ فَقَدْ عَطَفَتْ جُمْلَةً قَوْلِهِ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عَلَى جُمْلَةٍ قَوْلِهِ: ﴿كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾، وَالْمَعْنَى: قُلْ أَخْبِرُونِي إِنْ أَجْتَمَعَ كَوْنُ الْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَعَ كُفْرِكُمْ بِهِ، وَأَجْتَمَعَ شَهَادَةُ أَعْلَمِ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى نُزُولِ مِثْلِهِ بِإِيْمَانِهِ بِهِ مَعَ أَسْتِكْبَارِكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْإِيْمَانِ بِهِ، أَلَسْتُمْ أَضَلَّ النَّاسِ وَأَظْلَمَهُمْ؟ وَجَعَلَ الْإِيْمَانَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَنْ﴾ مُسَبِّبًا عَنِ الشَّهَادَةِ عَلَى مِثْلِهِ،

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٢٧٩ و ٢٨٠ عن ابن عباس والضحاك والحسن.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره أيضاً: ج ١١ ص ٢٧٩.

(٣) الشعراء: ١٩٦. (٤) الأعلى: ١٨.

لأنَّه لَمَّا عَلِمَ أَنَّ مِثْلَهُ أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّهُ وَحْيٌ وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ فَشَهِدَ عَلَيْهِ وَاعْتَرَفَ ، كَانَ إِيمَانُهُ نَتِيجَةُ ذَلِكَ .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي : لِأَجْلِهِمْ قَالُوا : عَامَّةُ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ سُقَّاطٌ ، فَلَوْ ﴿ كَانَ ﴾ مَا جَاءَ بِهِ ﴿ خَيْرًا ﴾ لَمَّا سَبَقْنَا ﴿ إِلَيْهِ ﴾ هَؤُلَاءِ ، وَقِيلَ : لَمَّا أَسْلَمْتَ جُهِينَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمَ وَغَفَّارٌ ، قَالَتْ بُنُو عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَغَطَفَانَ وَأَسَدٌ وَأَشْجَعٌ : لَوْ كَانَ دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرًا مَا سَبَقْنَا إِلَيْهِ عَامَّةُ الْبَهْمِ ^(١) . وَالْعَامِلُ فِي ﴿ إِذْ ﴾ مَحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ ، وَالتَّقْدِيرُ : وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ظَهَرَ عِنَادُهُمْ ﴿ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ : ﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ^(٢) .

﴿ كَتَبَ مُوسَى ﴾ مَبْتَدَأٌ ، ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ ﴾ خَبَرٌ مَقْدَّمٌ ، وَ ﴿ إِمَامًا ﴾ حَالٌ مِنَ الظَّرْفِ كَقَوْلِكَ : فِي الدَّارِ زَيْدٌ قَائِمًا ، أَي : مُؤْتَمًّا بِهِ قَدْوَةً فِي دِينِ اللَّهِ ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ لِمَنْ آمَنَ بِهِ ﴿ وَهَذَا ﴾ الْقُرْآنُ ﴿ كِتَابٌ مُصَدِّقٌ ﴾ لِكِتَابِ مُوسَى ، أَوْ : لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْكُتُبِ ، وَ ﴿ لِسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ « الْكِتَابِ » فِي ﴿ مُصَدِّقٌ ﴾ وَالْعَامِلُ فِيهِ ﴿ مُصَدِّقٌ ﴾ ، أَوْ : حَالٌ مِنْ ﴿ كِتَابٍ ﴾ لِتَخْصُصِهِ بِالْصِّفَةِ وَيَعْمَلُ فِيهِ مَعْنَى الْإِشَارَةِ ، وَقُرِئَ ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ بِالتَّاءِ ^(٣) وَالْيَاءِ ، وَ ﴿ بُشْرَى ﴾ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ .

وَقُرِئَ : « حُسْنًا » ^(٤) وَ ﴿ إِحْسَنًا ﴾ ، وَ ﴿ كُرْهًا ﴾ بِضَمِّ الْكَافِ وَفَتْحِهَا ^(٥) وَهُمَا

(١) حكاها الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٢٧٣ .

(٢) الأنعام: ٢٥ ، الأنفال: ٣١ وغيرهما .

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر وابن كثير على رواية . راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٩٦ .

(٤) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر . راجع المصدر السابق .

(٥) وبفتح الكاف هي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو . راجع المصدر نفسه .

لُغْتَانِ، وَأَنْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ أَي: ذَاتُ كُرْهِ، أَوْ: عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْمَصْدَرِ أَي: حَمْلًا ذَا كُرْهِ ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أَي: وَمَدَّةُ حَمْلِهِ وَفِصَالِهِ ثَلَاثُونَ شَهْرًا، وَقُرِئَ: ﴿وَفِصَالُهُ﴾^(١)، وَالْفِصَالُ وَالْفِصَالُ فِي مَعْنَى الْفِطَمِ وَالْفِطَامِ، وَالْمُرَادُ: بَيَانُ مَدَّةِ الرِّضَاعِ لَا الْفِطَامِ. وَلَكِنْ عَبَّرَ عَنْهُ بِالْفِصَالِ لِمَا كَانَ الرِّضَاعُ يَلِيهِ الْفِصَالُ وَيُنْتَهِي بِهِ، وَفِيهِ فَائِدَةٌ وَهِيَ: الدَّلَالَةُ عَلَى الرِّضَاعِ التَّامِّ الْمُنْتَهِي بِالْفِصَالِ وَوَقْتِهِ. وَبُلُوغُ الْأَشَدِّ: أَنْ يَكْتَهِلَ وَيَسْتَوْفِيَ السِّنَّ الَّتِي يَسْتَحْكُمُ فِيهَا قُوَّتُهُ وَعَقْلُهُ وَتَمَيُّزُهُ، وَذَلِكَ إِذَا أَنْفَ عَلَى الثَّلَاثِينَ وَنَاهَزَ الْأَرْبَعِينَ، وَعَنْ أَبِي عُبَّاسٍ وَقْتَادَةَ: ثَلَاثُ وَثَلَاثُونَ سَنَةً^(٢)، وَوَجْهُهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْأَشَدِّ وَغَايَتُهُ الْأَرْبَعِينَ، وَذَلِكَ وَقْتُ انْزَالِ الْوَحْيِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أَي: أَلْهِمْنِي، وَالْمُرَادُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي أَسْتَوْزَعَ الشُّكْرَ عَلَيْهَا: نِعْمَةُ الدِّينِ ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ سَأَلَهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَ ذُرِّيَّتَهُ مِزْنَةً لِلصَّلَاحِ، كَأَنَّهُ قَالَ: هَبْ لِي الصَّلَاحَ فِي ذُرِّيَّتِي، وَأَوْقِعْهُ فِيهِمْ. ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الْمُنْقَادِينَ لِأَمْرِكَ.

وَقُرِئَ «يَتَقَبَّلُ» وَ«يَتَجَاوَزُ» وَ«أَحْسَنُ» بِالرَّفْعِ^(٣)، وَ﴿نَتَقَبَّلُ﴾ وَ﴿نَتَجَاوَزُ﴾ بِالنُّونِ وَ﴿أَحْسَنُ﴾ بِالنَّضْبِ، وَ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ مِنْ نَحْوِ قَوْلِكَ: أَكْرَمَنِي الْأَمِيرُ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، تُرِيدُ: أَكْرَمَنِي فِي جُمْلَةٍ مِّنْ أَكْرَمَ مِنْهُمْ وَنَظَمَنِي فِي عِدَادِهِمْ، وَهُوَ فِي مَحَلِّ النَّضْبِ عَلَى الْحَالِ عَلَى مَعْنَى: كَائِنِينَ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ، مَعْدُودِينَ فِيهِمْ. ﴿وَعَدَ الصَّدِّيقُ﴾ مَصْدَرٌ مُّوَكَّدٌ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾ وَعَدٌ مِنْ اللَّهِ لَهُمْ بِتَقَبُّلِ أَعْمَالِهِمْ، وَبِالتَّجَاوُزِ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.

(١) قرأه الحسن والجحدري. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٤٠.

(٢) حكاه عنهما الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٢٨٤.

(٣) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٩٧.

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُي لَنُكَفِّرَنَّ عَنْ ذُنُوبِي وَأَعَذُّكَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ (١٧) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (١٨) ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٩) ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طِبِّيتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (٢٠)

﴿الَّذِي قَالَ﴾ مبتدأ وخبره: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول، ولذلك جاء الخبر بلفظ الجمع، و ﴿أَفَّ﴾ كلمة تَضَجَّرُ، واللام للبيان، معناه: هذا التأفيف ﴿لَكُمْ﴾ ولأجلكما خاصة دون غيركما ﴿أَتَعِدَّائِي أَنْ أُخْرِجَ﴾ أي: أبعث وأخرج من الأرض ﴿وَهُمَا يَسْتَعِثَّانِ اللَّهَ﴾ يقولان: الغيثُ بالله منك ومن قولك ﴿وَيْلَكَ﴾ دعاء عليه بالثبور، والمراد به التحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك. ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ فَيَقُولُ﴾ في جوابيهما: ﴿مَا هَذَا﴾ القرآن أو الذي تدعوني إليه ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ سطرؤها وليس لها حقيقة.

﴿فِي أُمَمٍ﴾ مثل قوله: ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ ﴿وَلِكُلِّ﴾ من الجنسين المذكورين ﴿دَرَجَةٍ﴾ على مراتبهم ومقادير أعمالهم من الخير والشر، أو: من أجل أعمالهم الحسنة والقيحة، وإنما قال: «درجات» وقد جاء: «الجنة درجات» والتأرددات «على وجه التغليب؛ لاشتغال كل على الفريقين. ﴿وَلِيُؤْفِقَهُمْ﴾ تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه، كأنه قال: وليؤفقه أعمالهم ولا يظلمهم

حُقُوقَهُمْ، قَدَّرَ جَزَاءَهُمْ عَلَى مَقَادِيرِ أَعْمَالِهِمْ، فَجَعَلَ الثَّوَابَ دَرَجَاتٍ وَالْعِقَابَ دَرَكَاتٍ.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ انتَصَبَ بِالْقَوْلِ الْمَضْمَرِ قَبْلَ ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾، وَعَرَضُهُمْ عَلَى النَّارِ: تَعَذِّيبُهُمْ بِهَا، كَمَا يُقَالُ: عَرَضَ بَنُو فُلَانٍ عَلَى السَّيْفِ إِذَا قَتَلُوا بِهِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾^(١)، أَوْ يَكُونُ الْمَعْنَى: عُرِضَتِ النَّارُ عَلَيْهِمْ، كَمَا يُقَالُ: عُرِضَتِ النَّاقَةُ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّمَا يُعْرَضُ الْحَوْضُ عَلَيْهَا، وَهُوَ مِنَ الْقَلْبِ. وَيَدُلُّ عَلَيْهِ تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ: يُجَاءُ بِهِمْ إِلَيْهَا فَيُكْشَفُ لَهُمْ عَنْهَا^(٢) ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ أَي: مَا كُتِبَ لَكُمْ حَظٌّ مِنَ الطَّيِّبَاتِ إِلَّا مَا قَدْ أَصَبْتُمُوهُ فِي دُنْيَاكُمْ وَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِهِ وَأَخَذْتُمُوهُ فَلَمْ يَبْقَ لَكُمْ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ حَظِّكُمْ شَيْءٌ مِنْهَا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنْفَقْتُمْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْتُمْ فِي شَهَوَاتِكُمْ وَفِي مَلَاذِ الدُّنْيَا وَلَمْ تُنْفِقُوها فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ عَزَّ أَسْمَهُ^(٣).

وَرُوي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ وَهُمْ يَرْقَعُونَ ثِيَابَهُمْ بِالْأَدْمِ وَمَا يَجِدُونَ لَهَا رِقَاعًا، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرٌ أَمْ يَوْمَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ وَيَرُوحُ فِي أُخْرَى، وَيُغْدَى عَلَيْهِ بِجَفْنَةٍ وَيُرَاحُ عَلَيْهِ بِأُخْرَى، وَيُسْتَرُّ بَيْتُهُ كَمَا تُسْتَرُّ الْكَعْبَةُ؟» قَالُوا: نَحْنُ يَوْمئِذٍ خَيْرٌ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرٌ»^(٤).

وَقُرئ: «أَذْهَبْتُمْ»^(٥) بهمزة الاستفهام، و «أَذْهَبْتُمْ» بِالْفِ بين هَمْزَيْنِ^(٦).
﴿وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتُؤْفِكَنَا عَنْ إِلَهِنَا فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنْ

(١) غافر: ٤٦. (٢) تفسير ابن عباس: ص ٤٢٥.

(٣) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٢٥. (٤) رواه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٢٨٩.

(٥) قرأه ابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٥٩٨.

(٦) قرأه ابن كثير. راجع المصدر السابق.

الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا أَلِمْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ، وَلَكِنِّي
أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا
عَارِضٌ مُّظِرُّنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ، رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تَدْمِرُ
كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ
الْمُجْرِمِينَ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا
وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ
مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ،
يَسْتَهْزِئُونَ (٢٦) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧) فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا
إِلَٰهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨) ﴿

﴿أَخَا عَادٍ﴾ هُوَذَا ^(١)، الأحقاف: جَمْعُ حَقْفٍ وهو الرَّمْلُ المستطيل ^(١)
المرتفع فيه أنحناء، من: احْقَوْقَفَ الشَّيْءُ إِذَا أَعْوَجَّ. وكانت عاد بين رِمَالٍ مُّشْرِفَةٍ
على البحر بالشَّخْرِ ^(٢) من بلاد اليمن، وقيل: بين عُمان ومَهَرَة ^(٣). ^(٤) و﴿النُّذُرُ﴾
جَمْعُ نَذِيرٍ بمعنى المنذِرُ أو الإنذار ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ من قبل هُوْدٍ ومن
بعده، أي: قال لهم: ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ العذاب، وقوله: ﴿وَقَدْ
خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ اعتراض.

(١) أي: الذي استطال وارتفع.

(٢) في الكشف: بأرضٍ يقال لها: الشَّخْرُ، انتهى. وفي معجم البلدان: ج ٣ ص ٣٢٧: هو صقع
على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، قال الأصمعي: هو بين عدن وعمان.

(٣) قال في المعجم: ج ٢ ص ٧٠٠: قال العمراني: هي بلاد تنسب إليهم الإبل المهرية، وباليمن
لهم مخلاف بينه وبين عمان نحو شهر.

(٤) قاله ابن عباس. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٢٩٠.

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفِكََنَّ﴾ لِتَضَرَفْنَا عَنْ عِبَادَةِ ﴿ءَالِهَتِنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ مِنَ الْعَذَابِ. ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلْعَلُّمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ مَعْنَاهُ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ الْوَقْتَ الَّذِي فِيهِ يَكُونُ تَعَذِيبُكُمْ حِكْمَةً وَثَوَاباً^(١)، إِنَّمَا عَلِمُ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ، فَكَيْفَ أَدْعُوهُ بِأَنْ يَأْتِيَكُمْ بِعَذَابِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟ ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ﴾ أَي: وَأَنَا أُبَلِّغُكُمْ ﴿مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ وَأَمِرْتُ بِتَبْلِيغِهِ إِلَيْكُمْ ﴿وَلَكِنِّي أَرَكُمُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ حَيْثُ لَا تَجِيبُونَ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُكُمْ وَنَجَاتُكُمْ، وَتَسْتَعْجِلُونَ الْعَذَابَ الَّذِي فِيهِ هَلَاكُكُمْ.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى ﴿مَا تَعِدُنَا﴾، أَوْ: هُوَ ضَمِيرٌ مَبْهَمٌ قَدْ وَضَحَ بِقَوْلِهِ: ﴿عَارِضًا﴾ إِمَّا تَمَيِّزًا وَإِمَّا حَالًا، وَالْعَارِضُ: السَّحَابُ الَّذِي يَعْرِضُ فِي أَفْقٍ مِنْ آفَاقِ السَّمَاءِ، وَمِثْلُهُ: الْعَنَانُ مِنْ: عَنْ إِذَا عَرَضَ، وَالْحَبِيبِيُّ مِنْ: حَبَا، وَإِضَافَةٌ ﴿مُسْتَقْبَلٍ﴾ وَ ﴿مُمْطِرٍ﴾ غَيْرُ حَقِيقِيَّةٍ لَكُونِهِمَا نَكِرَتَيْنِ وَإِنْ أُضِيفَا إِلَى الْمَعْرِفَتَيْنِ، أَلَا تَرَى أَنْ كِلَيْهِمَا وَصْفٌ لِلنَّكَرَةِ، وَفِي تَقْدِيرِ الْإِنْفِصَالِ كَأَنَّهُ قَالَ: عَارِضًا مُسْتَقْبَلًا أَوْ دِيْتَهُمْ وَهَذَا عَارِضٌ مُمْطِرٌ إِيَّانَا ﴿بَلْ هُوَ﴾ أَي: قَالَ هُودُ: لَيْسَ هُوَ كَمَا تَوْهَمْتُمْ ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ هِيَ ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ﴾ مُؤَلِّمٌ. ﴿تُدَمِّرُ﴾ أَي: تُهْلِكُ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مِنْ نَفُوسٍ عَادٍ وَأَمْوَالِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ الْكَثِيرَةِ، فَعَبَّرَ عَنِ الْكَثْرَةِ بِالْكَلْبَةِ «فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى» أَيُّهَا الرَّائِي «إِلَّا مَسْكِنُهُمْ»، وَقُرِئَ: ﴿لَا يُرَى﴾ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ﴿إِلَّا مَسْكِنُهُمْ﴾ بِالرَّفْعِ^(٢).

﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّكُمْ فِيهِ﴾: «إِنْ» نَافِيَةٌ أَي: فِيمَا مَا مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الْأَجْسَامِ وَطُولِ الْعُمُرِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ، إِلَّا أَنَّ «إِنْ» أَحْسَنُ فِي اللَّفْظِ لِمَا فِي تَكْرِيرِ «مَا» مِنْ

(١) فِي نَسْخَةٍ: «وَصَوَابًا».

(٢) الظَّاهِرُ مِنْ عِبَارَةِ الْمَصْنُفِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ يَمِيلُ إِلَى الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى الْمَشْهُورَةِ «لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ» وَهِيَ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ إِلَّا عَاصِمًا وَحَمْزَةً. رَاجِعُ كِتَابِ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٥٩٨.

البَشَاعَةِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ قَلَّبُوا الْآلْفَ مِنْ «مَا» هَاءٌ فِي «مَهْمَا» وَأَضْلَهُ «مَامَا» لِبَشَاعَةِ التَّكْرِيرِ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْإِغْنَاءِ، وَهُوَ الْقَلِيلُ مِنْهُ، وَأَنْتَصَبَ ﴿إِذَا كَانُوا﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَا أَغْنَى﴾ وَجَرَى مَجْرَى التَّعْلِيلِ، أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَكَ: ضَرَبْتُهُ لِإِسَاءَتِهِ، وَ: ضَرَبْتُهُ إِذَا أَسَاءَ يَسْتَوِيَانِ فِي الْمَعْنَى، لِأَنَّكَ إِذَا ضَرَبْتُهُ فِي وَقْتِ إِسَاءَتِهِ فَإِنَّمَا ضَرَبْتَ فِيهِ لَوْجُودِ إِسَاءَتِهِ فِيهِ.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿مِنَ الْقُرَى﴾ نَحْنُ حَجَرُ تَمُودَ وَقَرِيَّةُ سَدُومَ وَغَيْرَهُمَا، وَالْمُرَادُ: أَهْلُ الْقُرَى، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. ﴿فَلَوْلَا﴾ أَي: فَهَلَّا نَصَرَ هَؤُلَاءِ الْمُهْلَكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ شُفَعَاءَ مَتَقَرِّبًا بِهِمْ إِلَى اللَّهِ حَيْثُ قَالُوا: ﴿هُؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ^(١) وَأَحَدُ مَفْعُولِي «اتَّخَذَ» الْمَحْذُوفُ الرَّاجِعُ إِلَى «الَّذِينَ» وَالثَّانِي: ﴿ءَالِهَةً﴾ وَ ﴿قُرْبَانًا﴾ حَالٌ، وَالْمَعْنَى: فَهَلَّا مَنَعَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ آلِهَتُهُمْ ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ أَي: غَابُوا عَنْ نُصْرَتِهِمْ وَ ﴿ذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى أَمْتِنَاعِ نُصْرَةِ آلِهَتِهِمْ لَهُمْ وَضَلَالِهِمْ عَنْهُمْ، أَي: ﴿وَذَلِكَ﴾ أَثَرُ ﴿إِفْكَهِمْ﴾ الَّذِي هُوَ اتِّخَاذُهُمْ إِيَّاهَا آلِهَةً، وَثَمَرَةُ شِرْكِهِمْ وَأَفْتَرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ كَوْنِهِ ذَا شُرَكَاءَ.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٢٩) قَالُوا يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرُ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزُّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٢) أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيَّ

بِخَلْقِهِنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ، أَلَمْ تَوْتِنِي بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣)
 وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا
 قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ
 مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا
 سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغْ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥) ﴿

﴿صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنَّ﴾ أي: أَمَلْنَاهُمْ إِلَيْكَ مِنْ بِلَادِهِمْ بِالتَّوْفِيقِ
 وَالْإِطَافِ حَتَّى أَتَوْكَ، وَالنَّفَرُ: دُونَ الْعَشْرَةِ، وَجَمْعُهُ: أَنْفَارٌ. وَعَنْ أَبِي عُبَّاسٍ:
 صَرَفْنَاهُمْ إِلَيْكَ عَنْ اسْتِزْوَاقِ سَمْعِ السَّمَاءِ بِرُجُومِ الشَّهْبِ فَقَالُوا: مَا هَذَا الَّذِي حَدَثَ
 فِي السَّمَاءِ إِلَّا لِأَجْلِ شَيْءٍ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ، فَضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ حَتَّى وَقَعُوا عَلَى
 النَّبِيِّ ﷺ بَيْطُنِ نَخْلَةٍ عَامِدًا إِلَى عُكَازٍ وَهُوَ يُصَلِّي الْفَجْرَ، فَاسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ
 وَنَظَرُوا كَيْفَ يُصَلِّي ^(١). وَالضَّمِيرُ فِي ﴿حَضَرُوهُ﴾ لِلْقُرْآنِ أَوْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﴿قَالُوا﴾
 أَي: قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿أَنْصِتُوا﴾ أَي: اسْكُتُوا مُسْتَمِعِينَ ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ أَي: فَرِغَ
 مِنَ التَّلَاوَةِ ﴿وَلَّوْا﴾ انصرفوا ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ يَخَوْفُونَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ
 لَمْ يُؤْمِنُوا.

قَالُوا: ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْيَهُودِيَّةِ ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾
 مُحَمَّدًا ﷺ، دَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ ﴿وَأَمِنُوا بِهِ﴾ الْهَاءُ لـ«اللَّهُ»، فَجَاءُوا إِلَى
 رَسُولِ اللَّهِ وَآمَنُوا وَعَلَّمَهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ سُورَةَ الْجِنِّ، وَكَانُوا
 يَفِدُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَبْعُوثًا إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. ﴿فَلَيْسَ
 بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: لَا يُنْجِي مِنْهُ مَهْرَبٌ وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ
 أَوْلِيَاءُ﴾ أَي: أَنْصَارٌ يَدْفَعُونَ عَنْهُ عَذَابَ اللَّهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ.

(١) أَخْرَجَهُ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ فِي السَّنَنِ: ج ٥ ص ٤٢٦ ح ٣٣٢٣.

﴿يَقْدِرُ﴾ محلُّه الرِّفْعُ لَأَنَّهُ خَبَرٌ ﴿أَنَّ﴾ وَإِنَّمَا دَخَلَتِ الْبَاءُ لاشتِمَالِ النَّفْيِ فِي
أَوَّلِ الْآيَةِ عَلَى «أَنَّ» وَمَا فِي حَيْزِهَا، كَأَنَّهُ قَالَ: أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ؟ أَلَا تَرَى أَنَّ
﴿بَلَى﴾ مَقَرَّرَةٌ لِكُونِهِ سُبْحَانَهُ قَادِرًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَا لِرُؤْيِيهِمْ؟ وَقُرِئَ: «يَقْدِرُ»^(١).
﴿وَلَمْ يَعْى بِخَلْقِهِنَّ﴾ يَقَالُ: عَيِيَ فُلَانٌ بِأَمْرِهِ: إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لَهُ وَلَمْ يَعْرِفْ وَجْهَهُ، وَمِنْهُ
﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾^(٢).

﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ مُحْكِيٌّ بَعْدَ قَوْلٍ مُضْمَرٍ، وَهَذَا الْمُضْمَرُ هُوَ النَّاصِبُ
لِلظَّرْفِ، وَ﴿هَذَا﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الْعَذَابِ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ وَهُوَ تَوْبِيخٌ
لَهُمْ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ بِوَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ.

﴿أُولُوا الْعِزْمِ﴾ أُولُو الْجِدِّ وَالثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ، قِيلَ: إِنَّ «مِنْ» لِلتَّبْيِينِ^(٣)،
وَالْمُرَادُ: جَمِيعُ الرُّسُلِ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ «مِنْ» لِلتَّبْعِيضِ، وَأُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ: مَنْ أَتَى
بَشَرِيَّةً مُسْتَأْنَفَةً نَسَخَتْ شَرِيعَةً مِنْ تَقَدَّمَه، وَهُمْ خَمْسَةٌ: نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى
وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمُ﴾ الْعَذَابَ،
أَي: لَا تَدْعُ لَهُمْ بِتَعْجِيلِهِ فَإِنَّهُ نَازِلٌ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ وَإِنْ تَأَخَّرَ، وَإِنَّهُمْ مُسْتَقْصِرُونَ حِينَئِذٍ
مُدَّةَ لَبِثِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَحْسُبُوهَا ﴿سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾، وَ﴿بَلَّغُ﴾ أَي: هَذَا بَلَاغٌ،
وَالْمَعْنَى: هَذَا الْقُرْآنُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ كَفَايَةً، أَوْ: هَذَا تَبْلِيغٌ مِنَ الرُّسُولِ ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ
إِلَّا الْقَوْمُ﴾ الْخَارِجُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، الْمَتَمَرِّدُونَ فِي الْفِسْقِ وَالْمَعَاصِي؟ وَعَنْ
الزَّجَّاجِ: مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ شَيْءٌ أَبْلَغُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ^(٤).



(١) وهي قراءة يعقوب. راجع التبيان: ج ٩ ص ٢٨٥.

(٢) ق: ١٥. (٣) أنظر الكشف: ج ٤ ص ٣١٣.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ج ٤ ص ٤٤٨.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

مدنيّة^(١) وهي أربعون آيةً بصريّ، ثمانٍ وثلاثون كوفيّ، عدّ البصريّ ﴿أَوْزَارَهَا﴾^(٢) و ﴿لِلشَّرِّينَ﴾^(٣).

وفي حديث أبيّ: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُسْقِيَهُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ»^(٤).

وعن الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَهَا لَمْ يَدْخُلْهُ شَكٌّ فِي دِينِهِ أَبَدًا، وَلَمْ يَزَلْ مُحْفُوظًا مِنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ حَتَّى يَمُوتَ»^(٥)، تَمَامُ الْخَبَرِ^(٦).

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٢٨٨: هي مدنيّة كلّها إلّا آيةً واحدةً، قال ابن عباس وقتادة: فالآية الواحدة نزلت حين خرج النبي ﷺ من مكّة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكي حزناً عليه فنزل قوله: ﴿فَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾ الآية، وهي ثمان وثلاثون آيةً في الكوفيّ وتسع وثلاثون في المدنيّين وأربعون في البصريّ. وفي الكشف: ج ٤ ص ٣١٤: مدنيّة عند مجاهد، وقال الضحاك وسعيد بن جبير: مكّية، وهي سورة القتال، وهي تسع وثلاثون آية، وقيل: ثمان وثلاثون، نزلت بعد الحديد. (٢ و ٣) الآية: ٤ و ١٥ على التوالي.

(٤) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٣٣١ مرسلًا.

(٥) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٢.

(٦) وفي نسخة زيادة: «وفي حديث آخر: من قرأ هذه السورة كان له بعدد كلّ مؤمن وكافر حسنات ودرجات في جنّات، وكان له بعدد كلّ حرف منها عتق ألف ذرّية مؤمنة مع ما له عند الله من المزيد. وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (١) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ (٣) فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦) ﴿

﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي ظَنُّوْهَا خَيْرًا وَقُرْبَةً، يُسَمُّونَهَا مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ صِلَةِ الْأَرْحَامِ وَقِرَى الْأَضْيَافِ وَحِفْظِ الْجَوَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَأَذْهَبَهَا وَأَبْطَلَهَا كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ، وَقِيلَ: هُمُ الْعَشْرَةُ فِي وَقْعَةٍ بِذَرٍّ أَطْعَمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْجُنْدَ يَوْمًا^(١)، وَقِيلَ: هُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ صَدَّ وَأَعْرَضَ عَنِ الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ أَوْ صَدَّ غَيْرُهُ عَنْهُ^(٢). وَحَقِيقَةُ «أَضَلَّهَا»: جَعَلَهَا ضَالَّةً ضَائِعَةً لَيْسَ لَهَا مَنْ يَتَقَبَّلُهَا وَيُثِيبُ عَلَيْهَا، كَالضَّالَّةِ مِنَ الْإِبِلِ الَّتِي هِيَ بِمَضِيعَةٍ لَا حَافِظَ لَهَا.

لم يرتب أبدأً، ولم يدخله شك في دينه أبدأً، ولا ينله الله بفقر أبدأً ولا خوف من سلطان أبدأً، ولم يزل محفوظاً من الشك والكفر أبدأً حتى يموت، فإذا مات وكل الله في قبره ألف يصلون في قبره، ويكون ثواب صلاتهم له، ويشيعونه حتى يوقفونه موقف الأمن عند الله عز وجل، ويكون في أمان الله وأمان محمد ﷺ، تمام الخبر.

(١) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٢٧. (٢) قاله الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٣٠٤.

وقوله: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ﴾ اختصاصٌ للإيمانِ بما نُزِّلَ على رسولِ الله من بين ما يجب الإيمانُ به تعظيماً لشأنه، وإيداناً بأنَّ الإيمانَ لا يتمُّ إلاَّ به، وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، وقيل: معناه: أنَّ دينَ مُحَمَّدٍ ﷺ هو الحقُّ إذ لا يردُّ عليه النسخُ وهو ناسخٌ لغيره^(١)، ﴿وَأَصْلَحَ بِأَلْهِمْ﴾ أي: حالهم وشأنهم بأن نصرهم على أعدائهم في الدنيا، ويُدخلهم الجنة في العقبى.

﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، أي: ذلك الأمرُ وهو إضلالُ أعمالِ أَحَدِ الفريقين، وتكفيرُ سيئاتِ الآخرين وإصلاحُ بالِهِم كائِنْ بسببِ اتِّباعِ هؤلاءِ الباطلِ وهؤلاءِ الحقِّ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿ذَلِكَ﴾ خبرَ مبتدأ محذوفٍ، أي: الأمرُ ذلك بهذا السَّبَبِ، فيكونُ محلُّ الجارِّ والمجرورِ منصوباً على هذا الوجه، ومرفوعاً على الأوَّلِ، و﴿الْبَاطِلُ﴾: ما لا يُنتَفَعُ به، وعن قتادة: الباطلُ: الشَّيْطَانُ^(٢) ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثلُ ذلك الضَّرْبِ ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ والضميرُ راجعٌ إلى ﴿الناسِ﴾ أو إلى المذكورين، قيل: من الفريقين^(٣)، أي: يَضْرِبُ أَمْثَالَهُم لِلنَّاسِ لأجلِ الناسِ ليعتبروا بِهِمْ، وضَرْبُ المَثَلِ هو في أَنْ جَعَلَ الإِضْلالَ مَثَلًا لِخَيْبَةِ الكافرينَ، وإِصلاحِ البَالِ مَثَلًا لَفَوْزِ المؤمنينَ، أو: في أَنْ جَعَلَ الحقَّ كَأَنَّهُ دَعَا المؤمنينَ إلى نفسه فَأَجَابَهُ، والباطلَ كَأَنَّهُ دَعَا الكافرينَ إلى نفسه فَأَجَابَهُ.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ﴾ هو من اللِّقَاءِ بمعنى الحَرْبِ ﴿فَضْرَبَ الرِّقَابِ﴾ أصله: فاضربوا الرقابَ ضرباً، فحُذِفَ الفِعْلُ وقُدِّمَ المصدرُ وأُنِيبَ منابَهُ مضافاً إلى المفعولِ،

(١) قاله السمرقندي في تفسيره: ج ٣ ص ٢٣٩.

(٢) في الكشف: ج ٤ ص ٣١٥ عن مجاهد.

(٣) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٦.

وفيه اختصارٌ مع إعطاءٍ معنى التوكيد، لَأَنَّكَ تَذَكَّرُ المصدرَ وتَدُلُّ على الفعلِ بالنَّصْبِ التي فيه، وَضَرْبُ الرِّقَابِ عبارةٌ عن القَتْلِ، لأنَّ الواجبَ أن يضربَ الرقابَ خاصَّةً دونَ غيرها من الأعضاء في القَتْلِ، وإن جازَ الضَّرْبُ في سائرِ المواضعِ ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ﴾ أي: أَكْثَرْتُمْ قَتْلَهُمْ وَأَغْلَظْتُمُوهُ، من: الشَّيْءُ الشَّخِينُ وهو الغليظُ، أو: أَثْقَلْتُمُوهُمْ بالقَتْلِ والجراحِ حَتَّى أَذْهَبْتُمْ عَنْهُمْ النُّهُوضَ ﴿فَشُدُّوا أَلْوِثَاقَ﴾ أي: فَأَسْرُوهُمْ وَأَحْكِمُوا وَثَاقَهُمْ، والوِثَاقُ - بالفتح والكسر - : اسمُ ما يُوثَقُ بِهِ ﴿فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ﴾ هُما منصوبانِ بفِعْلَيْهِمَا مَضْمَرَيْنِ أي: فَأَمَّا تَمَنُّونَ مَنَّا وَإِنَّا تَقْدُونَ فِدَاءً، والمعنى: التَّخْيِيرُ بَعْدَ الْأَسْرِ بَيْنَ أَنْ يَمُتُّوا عَلَيْهِمْ فَيُطْلِقُوهُمْ، وبين أن يُفَادُوهُمْ بِأَسَارَى الْمُسْلِمِينَ أَوْ بِالْمَالِ.

والمَرْوِيُّ^(١) عن أَثَمْتِنَا عليه السلام: أَنَّ الْأَسَارَى ضَرْبَانِ: ضَرْبٌ يُوْخَذُونَ قَبْلَ أَنْقِضَاءِ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ قَائِمَةً، فالإِمَامُ مُخَيَّرٌ فِيهِمْ بَيْنَ أَنْ يَقْتُلَهُمْ أَوْ يَقْطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلَافٍ، وَضَرْبٌ يُوْخَذُونَ بَعْدَ أَنْقِضَاءِ الْقِتَالِ، فالإِمَامُ مُخَيَّرٌ فِيهِمْ بَيْنَ الْمَنِّ وَالْفِدَاءِ: إِمَّا بِالْمَالِ أَوْ بِالنَّفْسِ، وبين الاسترقاقِ، وبين ضَرْبِ الرِّقَابِ^(٢).

﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ وَأَوْزَارُ الْحَرْبِ: آلَاتُهَا وَأَثْقَالُهَا الَّتِي لَا تَقُومُ إِلَّا بِهَا كَالسَّلَاحِ وَالْكُرَاعِ^(٣). وَسَمِّيَتْ أَوْزَارَهَا لِأَنَّهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا بَدٌّ مِنْ جَرِّهَا فَكَأَنَّهَا تَحْمِلُهَا. فَإِذَا أَنْقَضَتْ فَكَأَنَّهَا وَضَعَتْهَا، وَقِيلَ: أَوْزَارُهَا: آثَامُهَا، يَعْنِي: حَتَّى يَتْرَكَ أَهْلُ الْحَرْبِ - وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ - شِرْكَهُمْ وَمَعَاصِيَهُمْ بِأَنْ يُسَلِّمُوا فَلَا يَبْقَى إِلَّا الْإِسْلَامُ خَيْرُ الْأَدْيَانِ، وَلَا يُعْبَدُ إِلَّا الْوُثَانُ^(٤). وَعَنْ الْفَرَّاءِ: حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا مُسْلِمٌ

(١) أنظر الكافي: ج ٥ ص ٣٢ ح ١. (٢) أنظر التبيان: ج ٩ ص ٢٩١.

(٣) الكُرَاع: السلاح، وقيل: هو اسم يجمع الخيل والسلاح. (لسان العرب: مادة كرع).

(٤) قاله الكلبي. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٢٩٣.

أَوْ مُسَالِمٍ^(١). وعن الزَجَّاج: يعني: اقتلوهُمْ وأسرّوهُمْ حتّى يؤمنوا، فما دامَ الكُفْرُ باقٍ فَالْحَرْبُ قائِمةٌ أبداً^(٢) ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمرُ ذلك، أو: افعلُوا ذلك ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَا نَتَصَّرَ مِنْهُمْ﴾ ببعض أسبابِ الهلاكِ من خَسْفٍ أو رَجْفَةٍ أو حَاصِبٍ أو غَرَقٍ أو مَوْتٍ خَارِقٍ ﴿وَلَكِنْ﴾ أَمَرَكُم بِقِتَالِهِمْ ﴿لِيَبْلُغُوا﴾ المؤمنِينَ بالكافرينَ بَأَنَ يجَاهِدُوا وَيَصْبِرُوا، أو: يبدلُوا أَنفُسَهُمْ فِي إحياءِ الدينِ حتّى يَسْتَوْجِبُوا الثَّوَابَ الْعَظِيمَ «وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣) أي جَاهِدُوا. وَقُرِئَ: ﴿قَاتِلُوا﴾، ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ بَلْ يَتَقَبَّلُهَا وَيُثَبِّتُهُمْ عَلَيْهَا جَزِيلَ الثَّوَابِ.

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ ﴿وَيُضِلُّهُمْ﴾ حَالَهُمْ. ﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ أَعْلَمَهَا لَهُمْ وَيَبَيِّنُهَا بِمَا يَعْلَمُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ مَنْزِلَتَهُ وَدَرَجَتَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وعن مجاهدٍ: يهتدي أهلُ الْجَنَّةِ إِلَى مَسَاكِينِهِمْ لَا يَخْطِئُونَ، كَانَتْهُمْ كَانُوا سَكَّانَهَا مِنْذُ خُلِقُوا^(٤). وعن مقاتلٍ: أَنَّ الْمَلَكَ الَّذِي وَكَّلَ بِحِفْظِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَعْرِفُهُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ^(٥). وقيل: معناه: طَيَّبَهَا لَهُمْ، مِنَ الْعَرَفِ وَهُوَ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ^(٦).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَصَّرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ

(١) معاني القرآن للقرّاء: ج ٣ ص ٥٧. (٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٥ ص ٦.

(٣) الظاهر من العبارة أَنَّ المصنّف رحمه الله يميل إلى هذه القراءة هنا «قاتلوا» بألف بعد القاف مع فتحها وهي قراءة الجمهور إلّا حفصاً وأبا عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٠٠.

(٤) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٣١٠.

(٥) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣١٨.

(٦) قاله ابن عباس. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ١٧٩.

اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١) إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢)
وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا
نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ، كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ،
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤) ﴿

﴿إِنْ تَنْصُرُوا﴾ دين الله ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ في
مواطن الحرب، أو: على محجة الإسلام. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مبتدأ ﴿وَأَضَلَّ
أَعْمَالَهُمْ﴾ عطف على الفعل الذي هو الخبر، وانتصب به ﴿تَعْسًا﴾ أي: فقضي تعساً
لهم، أو: فقال: تعساً لهم أي: اتعسهم الله فتعسوا تعساً، ونقيض «تعساً له»: لعا له،
قال الأعشى:

فالتعس أولى لها من أن يقال لعا^(١)

والمراد: فالعشور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت، وعن ابن
عباس: يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردّي في النار^(٢). ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَرَهُوا﴾ القرآن و ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فيه من الأحكام، لأنهم قد ألفوا الإهمال فشقَّ
عليهم التكليف. قال الباقر عليه السلام: «كَرَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٣).

﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهلكهم، ومعناه: دَمَّرَ عليهم وأهلك ما اختص بهم من
أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَاللَّكَافِرِينَ أَهْلُهَا﴾ الضمير للعاقبة المذكورة، أو:

(١) صدره: بذات لوث عفراًة إذا عثرت. والبيت من قصيدة يمدح بها هوزة بن علي الحنفي،

ويثني على من عزم زيارته. راجع ديوان الاعشى: ص ١١١.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣١٩.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٠٢.

لِلْهَلَكَةِ؛ لَأَنَّ التَّدْمِيرَ يَدُلُّ عَلَيْهَا. ﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي فَعَلْنَاهُ بِالْفَرِيقَيْنِ بِسَبَبِ ﴿أَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أَي: وَلِيُّهُمْ وَنَاصِرُهُمْ وَالِدَّافِعُ عَنْهُمْ، ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ يَنْصُرُهُمْ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾ وَيَسْتَفْعُونَ بِمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَيَّامًا قَلِيلًا ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ غَافِلِينَ غَيْرَ مُفَكِّرِينَ فِي الْعَاقِبَةِ ﴿كَمَا تَأْكُلُ الْإِنْعَمُ﴾ فِي مَسَارِحِهَا وَمَعَالِفِهَا غَافِلَةً عَمَّا هِيَ بِصَدَدِهِ مِنَ الذَّبْحِ وَالتَّحْرِ ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ أَي: مَنْزِلٌ لَهُمْ وَمَقَامٌ.

﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أَي: أَهْلِ قَرْيَةٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَكَمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَوْمِكَ الَّذِينَ أَخْرَجُوكَ مِنْ مَكَّةَ أَهْلَكْنَاهُمْ، وَمَعْنَى «أَخْرَجُوكَ»: كَانُوا سَبَبَ خُرُوجِكَ ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ يَجْرِي مَجْرَى الْحَالِ الْمَحْكِيَةِ بِمَعْنَى: فَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أَي: عَلَى حُجَّةٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَبُرْهَانٍ وَهِيَ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ وَسَائِرُ الْمُعْجِزَاتِ، يُرِيدُ: رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ﴿كَمْ مِنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ يُرِيدُ: أَهْلَ مَكَّةَ الَّذِينَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ شِرْكَهُمْ وَعَدَاوَتَهُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَقَالَ: ﴿سُوءُ عَمَلِهِ﴾ وَ ﴿اتَّبِعُوا﴾ حَمَلًا عَلَى لَفْظِ «مَنْ» وَمَعْنَاهُ.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (١٥) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١٦) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا

زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ (١٨) فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ (٢٠) ﴿

قَوْلُهُ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ... كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ﴾ كَلَامٌ فِي صُورَةِ الْإِثْبَاتِ، وَالْمَعْنَى: النَّفْيُ وَالْإِنْكَارُ؛ لَانْطَوَائِهِ تَحْتَ كَلَامٍ مُصَدَّرٍ بِحَرْفِ الْإِنْكَارِ وَدُخُولِهِ فِي حَيْزِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَمَثَلُ الْجَنَّةِ كَمَثَلِ جَزَاءٍ مَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ، وَفِي تَعْرِيتِهِ مِنْ حَرْفِ الْإِنْكَارِ زِيَادَةٌ تَصْوِيرٌ لِمُكَابَرَةِ مَنْ يُسَوِّي بَيْنَ الْمَتَمَسِّكِ بِالْبَيِّنَةِ وَالْمَتَّبِعِ لِهَوَاهُ، وَأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يُسَوِّي بَيْنَ الْجَنَّةِ الَّتِي فِيهَا تِلْكَ الْأَنْهَارِ وَبَيْنَ النَّارِ الَّتِي يُسْقَى أَهْلُهَا الْحَمِيمُ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُ الْقَائِلِ:

أَفْرَحُ أَنْ أَرْزَأَ الْكِرَامَ وَأَنْ أُورَثَ ذُوداً شَصَائِصاً نُبَلَاً^(١)

فَإِنَّهُ إِنْكَارٌ لِلْفَرَحِ بِرِزْوَةِ الْكِرَامِ وَوَرَاثَةِ الذُّودِ مَعَ تَعْرِْيِ الْكَلَامِ عَنْ حَرْفِ الْإِنْكَارِ، لَانْطَوَائِهِ تَحْتَ حُكْمِ قَوْلٍ مَنْ قَالَ لَهُ: أَتَفْرَحُ بِمَوْتِ أَخِيكَ وَبِوَرَاثَةِ إِيْلِهِ؟ فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَمِثْلِي يَفْرَحُ بِذَلِكَ! وَهُوَ مِنَ التَّسْلِيمِ الَّذِي تَحْتَهُ كُلُّ إِنْكَارٍ، وَ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ صِفَةُ الْجَنَّةِ الْعَجِيبَةِ الشَّأْنِ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿فِيهَا أَنْهَرٌ﴾ دَاخِلٌ فِي حُكْمِ الصَّلَةِ كَالْتَّكْرِيرِ لَهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَحَلٍّ

(١) البيت منسوب لحضرمي بن عامر من أبيات يخاطب بها جزء بن سنان حين آتاهمه بفرحه وسروره بأخذ دية أخيه القَتِيل. راجع شرح شواهد الكشف للأفندي: ص ٢٧١.

النَّصِبِ عَلَى الْحَالِ، أَي: مُسْتَقَرَّةً فِيهَا أَنْهَارٌ. وَفِي قِرَاءَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَمْثَالُ الْجَنَّةِ»^(١) أَي: مَا صِفَاتُهَا كَصِفَاتِ النَّارِ، وَقُرئ: «أَسْنُ»^(٢) يَقَالُ: أَسَنَ الْمَاءُ وَأَجَنَ: إِذَا تَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَرِيحُهُ، فَهُوَ آسِنٌ وَأَسْنُ. ﴿مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ كَمَا يَتَغَيَّرُ اللَّبَنُ الدُّنْيَا، فَلَا يَصِيرُ قَارِصًا وَلَا حَازِرًا^(٣) ﴿لَذَّةٌ﴾ تَأْنِيثُ «لَذَّةٌ» وَهُوَ اللَّذِيذُ، أَوْ: وَصِفَ بِمُضَدِّرٍ أَي: يَلْتَذُّونَ بِهَا وَلَا يَتَأَذُّونَ بِعَاقِبَتِهَا بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا تَخْلُو مِنَ الْمَرَارَةِ وَالْخُمَارِ وَالصُّدَاعِ ﴿مُصَفًّى﴾ أَي: خَالِصٌ مِنَ الشَّمْعِ وَالْقَذَى وَالْأَذَى ﴿وَلَهُمْ﴾ مَعَ ذَلِكَ ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أَي: سِتْرٌ لذنُوبِهِمْ وَإِنْسَاءٌ لِسَيِّئَاتِهِمْ، حَتَّى لَا يَتَنَغَّصَ عَلَيْهِمُ النَّعِيمُ ﴿وَسَقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ شَدِيدَ الْحَرِّ، رُوي: أَنَّهُ إِذَا دُنِيَ مِنْهُمْ شَوْىُ وَجُوهَهُمْ وَأَنْمَارَتْ فَرُوءُ رُؤُوسِهِمْ، فَإِذَا شَرِبُوهُ قَطَعَ أَمْعَاءُهُمْ^(٤).

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ وَهُمْ الْمَنَافِقُونَ، أَي: يَسْتَمْعُونَ إِلَى كَلَامِكَ فَيَسْمَعُونَهُ وَلَا يَعُونَهُ، فَإِذَا ﴿خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ﴾ آتَاهُمُ اللَّهُ ﴿الْعِلْمَ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿مَاذَا قَالِ عَنِفًا﴾ أَيُّ شَيْءٍ قَالَ السَّاعَةُ؟ وَإِنَّمَا قَالُوهُ أَسْتَهْزَاءً وَقَلَّةٌ مُبَالَاةٍ بِهِ، يَعْنُونَ: أَنَّا لَمْ نَشْتَغَلْ بِوَعْيِهِ وَفَهْمِهِ، قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ مِنْ [قَوْلِكَ:] اسْتَأْنَفْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَبْتَدَأْتُهُ، وَالْمَعْنَى: مَاذَا قَالَ فِي أَوَّلِ وَقْتٍ يَقْرُبُ مِنَّا؟!^(٥)

وَعَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نَبَاتَةَ عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّا كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيُخْبِرُنَا بِالْوَحْيِ، فَأَعْيَاهِ أَنَا وَمَنْ يَعِيهِ، فَإِذَا خَرَجْنَا قَالُوا: مَاذَا قَالَ آنَفًا.

(١) حكاه عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ الْفَرَاءُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ: ج ٣ ص ٦٠.

(٢) وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَحْدَهُ. رَاجَعَ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٦٠٠.

(٣) قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْقَارِصُ: اللَّبَنُ الَّذِي يَخْذِي اللِّسَانَ، وَفِي الْمَثَلِ: «عَدَا الْقَارِصُ فَحَزَرَ» أَي: جَاوَزَ إِلَّا أَنْ حَمُضَ. الصَّحَاحُ: مَادَةُ «قِرْصٍ».

(٤) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ١١ ص ٣١٥ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ.

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ: ج ٥ ص ١٠.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى﴾ بالتَّوْفِيقِ ﴿وَعَاتَاهُمْ﴾ جَزَاءُ ﴿تَقْوَاهُمْ﴾، أو: أَعَانَهُمْ عليها، وقيل: الضَّمِيرُ فِي ﴿زَادَهُمْ﴾ لِقَوْلِ الرَّسُولِ، أو: لَا سَهْزَاءَ الْمُنَافِقِينَ أَي: زَادَهُمْ أَسْتَهْزَأُوهُمْ بِصِيرَةٍ وَتَصَدِيقاً لِنَبِيِّهِمْ^(١).

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أَي: يَنْتَظِرُونَ ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بَدَلُ أَشْتَمَالٍ مِنْ ﴿السَّاعَةِ﴾، ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أَي: عَلَامَاتُهَا، وقيل: هِيَ مَبْعَثُ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنُزُولُ آخِرِ الْكِتَابِ وَأَنْشِقَاقُ الْقَمَرِ وَالْدُّخَانُ^(٢)، وقيل: قَطْعُ الْأَرْحَامِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ وَكَثْرَةُ اللَّئَامِ وَقِلَّةُ الْكِرَامِ^(٣) ﴿فَأَنَّى لَهُمْ﴾ أَي: فَمَنْ أَيْنَ لَهُمْ وَكَيْفَ لَهُمُ الذِّكْرَى وَالِاتِّعَاضُ وَالتَّوْبَةُ ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ السَّاعَةُ؟ أَي: لَا تَنْفَعُهُمُ الذِّكْرَى يَوْمَئِذٍ.

ثُمَّ خَاطَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ قَالَ: إِذَا عَلِمْتَ سَعَادَةَ هَؤُلَاءِ وَشَقَاوَةَ هَؤُلَاءِ فَاثْبَتْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ عَزَّ أَسْمُهُ وَعَلَى التَّوَاضِعِ وَهَضْمِ النَّفْسِ بِالِاسْتِغْفَارِ ﴿لِذَنْبِكَ﴾ مَعَ كَمَالِ عِصْمَتِكَ لِتَسْتَنِّ أُمَّتَكَ بِسُنَّتِكَ ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أَمْرُهُ بِالِاسْتِغْفَارِ لِذُنُوبِهِمْ تَكْرِمَةً لَهُمْ، إِذْ هُوَ الشَّفِيعُ الْمُجَابُ فِيهِمْ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ فِي مَعَايِشِكُمْ وَمَتَاجِرِكُمْ ﴿وَمَثُونَكُمْ﴾ وَمُسْتَقَرَّكُمْ فِي^(٤) مَنَازِلِكُمْ، أو: مُتَقَلَّبَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ وَمَثُوكُمْ فِي الْقُبُورِ أو: فِي^(٥) الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، أو: مُتَقَلَّبَكُمْ فِي أَصْلَابِ الْآبَاءِ إِلَى أَرْحَامِ الْأُمَّهَاتِ وَمَقَامِكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَمِثْلُهُ حَقِيقٌ بِأَنْ يُتَّقَى وَيُخْشَى.

(١) حكاية الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٢٣.

(٢) قاله الحسن والضحاك. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٢٩٩.

(٣) قاله الكلبي. راجع الكشاف: ج ٤ ص ٣٢٣.

(٤ و ٥) في بعض النسخ: «من» بدل «في».

وَسُئِلَ سُفْيَانُ بْنُ عَيِّنَةَ عَنْ فَضْلِ الْعِلْمِ فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ حِينَ بَدَأَ بِهِ:
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فـ ﴿أَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ﴾ فَأَمَرَ بِالْعَمَلِ بَعْدَ الْعِلْمِ، وَقَالَ:
﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ ^(١) ثُمَّ قَالَ: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾ ^(٢)،
وَقَالَ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ^(٣) ثُمَّ قَالَ: ﴿فَاخْذَرُواهُمْ﴾ ^(٤) ^(٥).
﴿لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ﴾ أَي: هَلَّا نَزَلَتْ سُورَةٌ، كَانُوا يَدْعُونَ الْحِرْصَ عَلَى الْجِهَادِ
وَيَقُولُونَ: هَلَّا نَزَلَتْ سُورَةٌ فِي مَعْنَى الْجِهَادِ ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ مُبَيِّنَةٌ غَيْرُ
مُتَشَابِهَةٍ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا الْقِتَالَ وَأَمَرُوا بِهِ ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ﴾
﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أَي: يَشْخَصُونَ نَحْوَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴿نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ
الْمَوْتِ﴾ كَمَا يَنْظُرُ مَنْ أَصَابَتْهُ الْغَشْيَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ جُبْنًا وَهَلَعًا، ﴿فَأُولَى لَهُمْ﴾ وَعِيدٌ
بِمَعْنَى: فَوَيْلٌ لَهُمْ، وَهُوَ أَفْعَلٌ مِنَ الْوَلَّى وَهُوَ الْقُرْبُ، وَمَعْنَاهُ: وَلِيَهُمْ وَقَارِبَهُمْ مَا
يَكْرَهُونَ.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا
لَهُمْ﴾ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا
أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ (٢٣)
أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ آرْتَدُّوا عَلَى
أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ (٢٥)
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

(١ و ٢) الحديد: ٢٠ و ٢١.

(٣) الأنفال: ٢٨.

(٤) التغابن: ١٤.

(٥) حكاية الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٢٤.

وَأَدْبَرَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا أَشْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ (٢٨) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ
اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ
فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ (٣١) ﴿

هذا استئناف كلام، أي: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ خَيْرٌ لَهُمْ، وقيل: هي حكاية
قولهم ^(١) يعني: قالوا: طاعةٌ وقولٌ معروفٌ، أي: أمرنا طاعةً وقولٌ معروفٌ، أي:
حُسْنٌ لا تُنْكِرُهُ الْعُقُولُ ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: جدَّ، وإنما العزمُ والجدُّ لأصحابِ
الأمرِ، وأسندَ إلى الأمرِ مجازاً ﴿فَلَوْ صَدَقُوا﴾ فيما زعموا من الحرصِ على
الجهادِ، أو: في إيمانِهِمْ بأن يواطىءَ فيه قُلُوبُهُمْ أَلَسْتَهُمْ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ من
نفاقِهِمْ.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: يتوقعُ منكم يا معشرَ المنافقين ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي:
تَسَلَّطْتُمْ وَمَلَكَتُمْ أُمُورَ النَّاسِ وَتَأَمَّرْتُمْ عَلَيْهِمْ وَجُعِلْتُمْ وَلَاءَةً ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ﴾ بِسَفْكِ الدِّمِ الْحَرَامِ وَأَخْذِ الرُّشَا ﴿وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ تَهَالُكاً عَلَى مُلْكِ
الدُّنْيَا، فَيَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، وَيَقْطَعُ بَعْضُكُمْ رَحِمَ بَعْضٍ. ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارةٌ إلى
المذكورين الذين لعنهم الله لإفْسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ وَقَطْعِهِمُ الْأَرْحَامَ، فَمَنْعَهُمُ الطَّافَةَ
وَحَذْلَهُمْ حَتَّى صُمُّوا عَنْ اسْتِمَاعِ الْمَوْعِظَةِ، وَعُمُّوا عَنْ إِنْصَارِ طَرِيقِ الْهُدَى.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ وَيَتَصَفَّحُونَهُ وَيَعْتَبِرُونَ بِهِ وَيَقْضُونَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ
الْحَقُوقِ ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ هي «أَمْ» المنقطعة، ومعنى الهمزة فيه: التَّسْجِيلُ
عَلَيْهِمْ بِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مَقْفَلَةٌ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا ذِكْرٌ، ومعنى تَكْيِيرِ الْقُلُوبِ: أَنَّهَا قُلُوبٌ

قَاسِيَةٌ مُنْهَمٌ أَمْرُهَا، أَوْ: بَعْضُ الْقُلُوبِ وَهِيَ قُلُوبُ الْمُنَافِقِينَ. وَأَمَّا إِضَافَةُ الْأَقْفَالِ إِلَيْهَا فَلأنَّ الْمُرَادَ الْأَقْفَالُ الْمُخْتَصَّةُ بِهَا، وَهِيَ أَقْفَالُ الْكُفْرِ الَّتِي اسْتَغْلَقَتْ فَلَا تَفْتَحُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ بَأَن رَجَعُوا عَنِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ وَظَهَرَ لَهُمْ طَرِيقُ الْحَقِّ ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ جُمْلَةً مِنْ مَبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ، وَقَعَتْ خَبَرًا لـ ﴿إِنَّ﴾ وَمَعْنَاهُ: الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ رُكُوبَ الْعِظَائِمِ مِنَ الذُّنُوبِ، مِنَ السَّوْلِ وَهُوَ الْاسْتِرْخَاءُ ﴿وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ وَمَدَّ لَهُمْ فِي الْأَمَالِ.

﴿ذَلِكَ﴾ بِسَبَبِ ﴿أَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي وَلَايَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١). ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أَي: فِي بَعْضِ مَا تَأْمُرُونَ بِهِ وَتُرِيدُونَهُ «وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ» وَقُرِئَ: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بِكسْرِ الهمزة (٢)، أَي: مَا أَسْرَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الْقَوْلِ، وَمَا أَسْرَوْهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْإِعْتِقَادِ. ﴿فَكَيْفَ﴾ يَعْمَلُونَ وَمَا حِيلَتْهُمْ ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَأِكَةُ﴾ وَقَبِضَتْ أَرْوَاحَهُمْ ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾؟؟ ﴿ذَلِكَ﴾ التَّوَفِّي الْمَوْصُوفُ ﴿بِ﴾ تِلْكَ الصِّفَةِ بِسَبَبِ ﴿أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَشْخَطَ اللَّهَ﴾ مِنْ عِظَائِمِ الْأُمُورِ، ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَنَهُ فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا مِنْ صَلَاةٍ وَغَيْرِهَا لِأَنَّهَا فِي غَيْرِ إِيمَانٍ.

بَلْ ﴿أَحْسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْتَهُمْ﴾ أَحْقَادَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَإِخْرَاجُهَا: إِبْرَازُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ الْمَخْلَصِينَ، وَإِظْهَارُهَا عَلَى نَفَاقِهِمْ. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى تَعْرِفَهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ بَعْلَامَتِهِمْ، وَعَنْ أَنَسٍ: مَا خَفِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٢٠ ح ٤٣.

(٢) الظاهر أَنَّ المصنّف رحمه الله يعتمد على قراءة فتح الهمزة هنا تبعاً لصاحب الكشف.

هذه الآية أَحَدُ من المنافقين، وكان يَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ^(١).

والفَرْقُ بين اللَّامَيْنِ في: ﴿فَلَعَرَفْتُهُمْ﴾، ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾: أَنَّ الأولى هي الداخلة في جَوَابِ «لَوْ» كَالَّتِي في ﴿لَأَرَيْنَكَهُمْ﴾ ثُمَّ كُرِّرَتْ في المَعْطُوفِ، وَاللَّامُ في ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ وَقَعَتْ مع التَّوْنِ في جَوَابِ الْقَسَمِ المَحْذُوفِ، ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أَي: تَعْرِفُهُمْ في فَخْوَى كَلَامِهِمْ وَمَغْزَاهُ وَمَعْنَاهُ، وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: لَحْنُ الْقَوْلِ: بُغْضُهُمْ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢). وعن جَابِرٍ مِثْلُهُ^(٣).

وعن عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: كُنَّا نَبُورُ^(٤) أَوْلَادَنَا بِحُبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا رَأَيْنَا أَحَدَهُمْ لَا يَحِبُّهُ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَغَيْرِ رَشْدَةٍ^(٥).

وقِيلَ: اللَّحْنُ أَنْ تَلْحَنَ بِكَلَامِكَ أَي: تَمِيلُهُ إِلَى نَحْوٍ مِنَ الْأَنْحَاءِ لِيَتَفَتَّنَ لَهُ صَاحِبُكَ كَالْتَّعْرِيزِ وَالتَّوْرِيَةِ^(٦)، قَالَ:

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْقَهُوا وَاللَّحْنُ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ^(٧)

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٢٧.

(٢) أخرجه عنه ابن المغازلي الشافعي في المناقب: ص ٣١٥، والسيوطي في الدر المنثور: ج ٧ ص ٥٠٤ وعزاه إلى ابن مردويه وابن عساكر. وأخرج أيضاً عن ابن مسعود قال: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلا ببغضهم علي بن أبي طالب.

(٣) أخرجه عنه الحافظ أحمد في الفضائل: ص ١٧١، والذهبي في التذكرة: ج ١ ص ٢٦٢، وابن عبد البر في الاستيعاب: ج ٢ ص ٤٦٤.

(٤) بَارَهُ يَبُورُهُ: أَي جَرَّبَهُ وَأَخْتَبَرَهُ، وَالْإِبْتِيَارُ مِثْلُهُ. (الصحاح: مادة بور).

(٥) أخرجه عنه الجزري الشافعي في أسنى المطالب: ص ٥٧ وفي أسنى المناقب: ص ٥٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٢٢٤، والعيني في مناقب علي عليه السلام: ص ٤٢، والهروي في كتاب الأربعين: ص ٥٤.

(٦) قاله محمد بن يزيد. راجع إعراب القرآن للنحاس: ج ٥ ص ١٩١.

(٧) وكذا في الكشاف، وفي الصحاح واللسان:

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لِكَيْ مَا تَفْهَمُوا وَلَحَنْتُ لَحْنًا لَيْسَ بِالْمَرْتَابِ
لِلْقَتَالِ الْكَلَابِيِّ. أنظر الصحاح واللسان: مادة «لحن».

وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْمُخْطِئِ: لَا حِينَ؛ لِأَنَّهُ يَعْدِلُ بِكَلَامِهِ عَنِ الصَّوَابِ. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾
بِمَشَاقِّ الْأُمُورِ وَالتَّكَالِيفِ.

وَعَنِ الْفُضَيْلِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا بَكَى وَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَبْلُنَا فَإِنَّكَ إِن بَلَوْتَنَا
فَضَحْتَنَا وَهَتَكْتَ أَسْتَارَتَنَا وَعَذَّبْتَنَا ^(١).

﴿وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ﴾ أَي: مَا يُحْكِي عَنْكُمْ وَمَا يُخْبِرُ بِهِ عَنْ أَعْمَالِكُمْ لِنَعْلَمَ حَسَنَهُ
مِنْ قَبِيحِهِ، لِأَنَّ الْخَبَرَ عَلَى حَسَبِ الْمُخْبِرِ عَنْهُ. وَقُرِئَ: «وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ» وَ «يَعْلَمُ»
و «يَبْلُو» بِالْيَاءِ ^(٢)، وَهُوَ قِرَاءَةُ الْبَاقِرِ ^(٣)، وَقُرِئَ: «وَنَبْلُو» بِالتَّوْنِ وَسَكُونِ
الْوَاوِ ^(٤)، وَالتَّوْنُ عَلَى مَعْنَى: وَنَحْنُ نَبْلُو.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ (٣٢) يَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
لَهُمْ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ
يَتْرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا
يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخْفِكُمْ تَبْخُلُوا
وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ تَدْعُونَ لِنُفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ
الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ (٣٨)﴾

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٢٨.

(٢) وهي قراءة عاصم وحده برواية أبي بكر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٠١.

(٣) قرأه رويس وحده. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٨٥.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ وَظَهَرَ لَهُمُ الْحَقُّ إِنَّمَا ضَرُّوا أَنْفُسَهُمْ ^(١)، وَ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ﴾ بِذَلِكَ ﴿وَسَيُحِيطُ أَعْمَلُهُمْ﴾ الَّتِي عَمَلُوهَا فَلَا يَرَوْنَ لَهَا فِي الْآخِرَةِ ثَوَابًا.

﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَالرُّسُولِ، أَوْ: بِالشَّكِّ وَالنَّفَاقِ. وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: لَا تُبْطِلُوهَا بِالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ ^(٢). ﴿فَلَا تَهْنُوا﴾ أَي: فَلَا تَضَعُفُوا وَلَا تَتَوَانُوا فِي قِتَالِ أَعْدَاءِ اللَّهِ، ﴿وَوَ﴾ لَا ﴿تَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ قُرِئَ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ ^(٣) وَهُمَا الْمُسَالَمَةُ ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ أَي: الْأَغْلَبُونَ الْأَقْهَرُونَ، وَقِيلَ: إِنَّ الْوَاوَ لِلْحَالِ، أَي: لَا تَدْعُوهُمْ إِلَى الصُّلْحِ وَالْحَالِ أَنْكُمْ الْغَالِبُونَ الْقَاهِرُونَ لَهُمْ، وَ﴿تَدْعُوا﴾ مَجْزُومٌ لِدُخُولِهِ فِي حُكْمِ التَّهْنِي كَمَا ذَكَرْنَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِإِضْمَارِ «أَنْ»، ﴿وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ هُوَ مَنْ: وَتَرَتْ الرَّجُلَ إِذَا قَتَلْتَ لَهُ قَتِيلًا أَوْ حَرَبْتُهُ ^(٤)، وَحَقِيقَتُهُ: أَفْرَدْتُهُ مِنْ حَمِيمِهِ أَوْ مَالِهِ، مِنَ الْوَتْرِ وَهُوَ الْفَرْدُ.

وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «وَمَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ» ^(٥)، أَي: أَفْرَدَ عَنْهُمَا قَتْلًا وَنَهْبًا، فَشَبَّهَ سَبْحَانَهُ إِضَاعَةَ عَمَلِ الْعَامِلِ وَإِطْلَالَ ثَوَابِهِ بِوَتْرِ الْوَاتِرِ، وَهُوَ مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ.

﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ﴾ أَي: ثَوَابَ إِيْمَانِكُمْ وَتَقْوَاكُمْ ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ أَي: وَلَا يَسْأَلُكُمْ جَمِيعَهَا فِي الصَّدَقَةِ، وَإِنَّمَا أُوجِبَ عَلَيْكُمْ الزَّكَاةُ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «نَفْسَهُمْ». (٢) تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ: ص ٤٣٠.

(٣) أَي بِكَسْرِ السِّينِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْزَةٍ وَعَاصِمٌ بِرَوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ. رَاجِعْ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٦٠١.

(٤) حَرَبَهُ يَحْرِبُهُ حَرْبًا: إِذَا أَخَذَ مَالَهُ وَتَرَكَه بِلا شَيْءٍ، وَحَرَبَ مَالَهُ أَي: سَلَبَهُ. (الصَّحاح: مَادَةُ حَرْبٍ).

(٥) أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ: ج ١ ص ١٢ ح ٢١، وَابْنُ مَاجَةَ فِي السَّنَنِ: ج ١ ص ٢٢٤ ح ٦٨٥ بِإِسْنَادِهِمَا إِلَى ابْنِ عَمْرٍ.

فِي بَعْضِهَا، وَأَقْتَصَرَ مِنْهُ عَلَى الْقَلِيلِ وَهُوَ رُبْعُ الْعَشْرِ، وَقِيلَ: لَا يَسْأَلُكُمُ الرَّسُولُ عَلَى
 آدَاءِ الرِّسَالَةِ أَمْوَالَكُمْ أَنْ تَدْفَعُوهَا إِلَيْهِ ﴿إِنْ يَسْأَلُكُمُوهَا فَيُخْفِئْكُمْ﴾ أَي: فَيُجْهِدْكُمْ
 بِمَسْأَلَةِ جَمِيعِهَا ^(١)، وَالْإِخْفَاءُ: الْمَبَالِغَةُ وَبُلُوغُ الْغَايَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، يُقَالُ: أَحْفَاهُ فِي
 الْمَسْأَلَةِ إِذَا لَمْ يَتْرِكْ شَيْئاً مِنَ الْإِلْحَاحِ، وَمِنْهُ: إِخْفَاءُ الشَّارِبِ وَهُوَ اسْتِثْصَالُ شَعْرِهِ
 ﴿تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَنْكُمْ﴾ أَي: تَضْطَعُون عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَتَضِيقُ صُدُورَكُمْ
 لَذَلِكَ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿يُخْرِجْ﴾ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَي: يَضْغَنْكُمْ بِطَلَبِ أَمْوَالِكُمْ، أَوْ: لِلْبُخْلِ
 لِأَنَّهُ سَبَبُ الْاضْطِعَانِ.

﴿هُؤُلَاءِ﴾ مَوْصُولٌ صَلَّيْتُهُ ﴿تُدْعُونَ﴾، أَي: هَآؤُنَا الَّذِينَ تُدْعُونَ، أَوْ: أَنْتُمْ يَا
 مُخَاطَبُونَ هَؤُلَاءِ الْمَوْصُوفُونَ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ وَصَفَهُمْ، كَانْتُمْ قَالُوا: وَمَا وَصَفْنَا؟ فَقَالَ:
 ﴿تُدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كَأَنَّهُ قِيلَ: الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَوْ أَحْفَاكُمْ لَبَخِلْتُمْ
 وَكَرِهْتُمْ الْعَطَاءَ وَأَضْطَعْتُمْ أَنْكُمْ تَدْعُونَ إِلَى آدَاءِ رُبْعِ الْعَشْرِ، فَمِنْكُمْ نَاسٌ يَبْخُلُونَ
 بِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ﴾ بِالصَّدَقَةِ وَأَدَاءِ الْفَرِيضَةِ فَلَا يَتَعَدَّاهُ ضَرَرُ بُخْلِهِ، وَإِنَّمَا
 ﴿يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ إِذْ يُلْزِمُهَا الْعِقَابَ الْأَلِيمَ وَيَحْرُمُهَا الثَّوَابَ الْعَظِيمَ، يُقَالُ: بَخَلْتُ
 عَلَيْهِ وَعَنْهُ، وَضَنْتُ عَلَيْهِ وَعَنْهُ. وَفِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مُعْطِيَ الْمَالِ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَ
 الْفَقِيرِ الْآخِذِ، فَبَخْلُهُ بِهِ بُخْلٌ عَلَى نَفْسِهِ. ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عَمَّا عِنْدَكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ
 ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالثَّوَابِ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى
 ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾، ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ عَلَى خِلَافِ صِفَتِكُمْ، رَاغِبِينَ فِي
 الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، غَيْرَ مَتَوَلِّينَ عَنْهُمَا ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ بَلْ خَيْرًا مِنْكُمْ
 وَأَطْوَعًا لِلَّهِ.

(١) قَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ١٠ ص ٣٢٨.

رُوي: أَنَّهُمْ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَضَرَبَ ﷺ يَدَهُ عَلَى فَخْذِ
سَلْمَانَ فَقَالَ: «هَذَا وَقَوْمُهُ، لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنْوِطًا بِالثَّرِيَّا لَتَنَاولَهُ رِجَالٌ مِنْ
فَارِسٍ»^(١).

وَعَنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾. يَعْنِي:
الْمَوَالِي^(٢).



(١) أخرجه الترمذي في السنن: ج ٥ ص ٣٨٣ ح ٣٢٦٠ بإسناده إلى أبي هريرة، والسيوطي
في الدر المنثور: ج ٧ ص ٥٠٦ وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي
حاتم وابن مردويه وعبد الرزاق وعبد بن حميد والطبراني والبيهقي عن أبي هريرة أيضاً
وآخر عن جابر.

(٢) أنظر تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ٢ ص ٣٠٩ عن الصادق عليه السلام.

سُورَةُ الْفَتْحِ

مدنيّة^(١) وهي تسع وعشرون آية.

في حديث أبي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْفَتْحِ فَكَأَنَّمَا شَهِدَ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَتُحَ مَكَّةَ^(٢)». وفي رواية أخرى^(٣): «فَكَأَنَّمَا كَانَ مَعَ مَنْ بَايَعَ مُحَمَّدًا ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^(٤).

وعن الصادق عليه السلام: «حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ التَّلَفِ بِقِرَاءَةِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ مِمَّنْ يُدْمِنُ قِرَاءَتَهَا نَادَاهُ مَنَادٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَنْتَ مِنْ عِبَادِي الْمَخْلُصِينَ، الْحَقُّوهُ بِالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِي، فَأَسْكِنُوهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَأَسْقُوهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ بِمَزَاجِ الْكَافُورِ»^(٥).

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٣١٢: مدنيّة بلاخلاف، وهي تسع وعشرون آية بلاخلاف.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٣٣١: مدنيّة، نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية، وآياتها (٢٩)، نزلت بعد الجمعة.

(٢) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٣٤٨ مرسلاً، وكذا الفتني في التذكرة: ص ٨١.

(٣) في نسخة زيادة: «مَنْ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ كَانَ لَهُ بَعْدُ مِنْ قَامَ لِلَّهِ رَاكِعًا وَسَاجِدًا مَدَائِنَ فِي الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ مِنْ أَنْوَاعِ فَضَائِلِ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمَزِيدِ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى».

(٤) التذكرة في الموضوعات للفتني: ص ٨١.

(٥) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٢، وفيه «أَدْخِلُوهُ» بدل «أَسْكِنُوهُ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) لِيَدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥) وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآبِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٦) وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧)﴾

اختلف في هذا الفتح، فقيل: هو فتح مكة وعده الله ذلك عند أنكفائه من الحديبية^(١)، وعن جابر: ما كنا نعلم فتح مكة إلا يوم الحديبية^(٢). وجاء به على لفظ الماضي على عادته عز اسمه في أخباره، لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة، وقيل: هو فتح الحديبية^(٣)، فروي: أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية قال رجل من أصحابه: ما هذا بفتح، لقد صدونا عن البيت وصد هدينا! فقال عليه السلام: «بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن

(١) قاله قتادة. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ١٨٨.

(٢) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٣٣٤.

(٣) قاله أنس وجابر وأبو وائل والبراء بن عازب. راجع تفسير الطبري المتقدم.

يدفعوكم عن بلادهم بالراح، ويسألوكم القضية، ورغبوا إليكم في الأمان، وقدروا منكم ما كرهوا»^(١). وعن الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكّن الإسلام في قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير كثير بهم سواد الإسلام^(٢).

والحديبية بئر نعد ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة، فأتاها النبي ﷺ فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ومجّه فيها، فدرت بالماء حتى أضدرت جميع من معه وركابهم^(٣).

وعن سالم بن أبي الجعد قال: قلت لجابر: كم كنتم يوم الشجرة؟ قال: كنا ألفاً وخمسائة، وذكر عطشاً أصابهم ثم قال: فأتى رسول الله ﷺ بماء في ثور فوضع يده فيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه كأنه العيون، قال: فشربنا وسقانا وكفانا، ولو كنا مائة ألف كفانا^(٤).

وقيل: المراد بالفتح هنا فتح خيبر^(٥)، وذكر مجمع بن حارثة الأنصاري - وهو أحد القراء - في حديثه: لما أنصرفنا من الحديبية أوحى إلى رسول الله ﷺ فوجدناه واقفاً عند كراع الغنم وقرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ السورة، فقال عمر: أو فتح هو؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده إنه لفتح» فقسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل فيها أحد إلا من شهدا^(٦).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: ج ٤ ص ١٦٠.

(٢) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ١٨٨.

(٣) رواه البراء كما في تفسير البغوي المتقدم.

(٤) أخرجه ابن كثير في تفسيره: ج ٤ ص ١٨٨ وعزاه الى البخاري ومسلم.

(٥) قاله مجاهد. راجع تفسير البغوي المتقدم آنفاً.

(٦) أخرجه عنه السيوطي في الدر المنثور: ج ٧ ص ٥٠٨ وعزاه الى ابن أبي شيبة وأحمد. ←

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ لأصحابنا فيه وجهان^(١) من التأويل: أحدهما: أن المراد: يغفر لك ما تقدم من ذنب أمّتك وما تأخر بشفاعتك. وحسنت إضافة ذنوب أمّة إليه للاتصال بينه وبينهم، ويعضده ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: والله ما كان له ذنب ولكن الله سبحانه ضمّن له أن يغفر ذنوب شيعة علي عليه السلام ما تقدم وما تأخر.

والآخر: ذكره المرتضى^(٢) قدس الله روحه: أن الذنب مصدر، والمصدر يجوز إضافته إلى الفاعل والمفعول، والمراد هنا: ما تقدم من ذنوبهم إليك في إخراجهم إياك من مكة وما تأخر من صدك عن المسجد الحرام، أي: ليغفر ما أذنبه قومك إليك من إخراجك من مكة وصدك عنها، فالذنب مضاف إلى المفعول هنا، ويُعدّى بنفسه حملاً على الإخراج والصد للذين هو في معناهما، ولذلك جعل المغفرة علّة للفتح وغرضاً فيه. والمراد بالمغفرة على هذا إزالة أحكام المشركين وفتحها^(٣) عنه، وسرّ تلك الوصمة عليه بما يفتح له من مكة بأن يدخلها فيما بعد، ولو أراد مغفرة ذنوبه لم يكن لكون المغفرة غرضاً في الفتح معنى ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ في الدنيا بإعلاء أمرك وإظهارك على الدين كله وبقاء شريعتك، وفي الآخرة برّفع محلّك ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ويرشدك طريقاً يؤدّي سالكه إلى الجنة ويثبتك عليها. ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ تمتنع به من كل جبار عنيد، وصّف النصر بالعزير لأن فيه العزة والمنعة، أو: يعني عزيزاً صاحبهُ، أو: وصفه بصفة المنصور إسناداً مجازياً.

وأبي داود وابن المنذر والحاكم وابن مردويه والبيهقي. وفيها بدل «فقال عمر»: «فقال رجل» و«فقال بعض الناس».

(١) حكاهما الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٣١٤.

(٢) في كتاب تنزيه الأنبياء: ص ١١٨. (٣) في نسخة: «ونسخها».

﴿السَّكِينَةَ﴾ السُّكُونُ، أي: أُنْزِلَ اللهُ السُّكُونَ ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
 وَالطَّمَأْنِينَةَ بِسَبَبِ الصُّلْحِ وَالْأَمْنِ، لِيَعْرِفُوا فَضْلَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِتَيْسِيرِ الْأَمْنِ بَعْدَ الْخَوْفِ
 فَيَزِدَادُوا يَقِيناً إِلَى يَقِينِهِمْ بِمَا يَرُونَ مِنَ الْفَتْوحِ وَعُلُوِّ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ وَفَقَ مَا وَعَدُوا
 ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ يُسَلِّطُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ
 عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ وَحُكْمُهُ. وَمِنْ قَضِيَّتِهِ أَنْ سَكَنَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ بِصُلْحِ
 الْحَدِيثِ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ مَكَّةَ لِيَعْرِفَ الْمُؤْمِنُونَ نِعْمَةَ اللهِ فِي ذَلِكَ وَيَشْكُرُوهَا
 فَيُثَبِّتُهَا. ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾ وَالْكَافِرِينَ.

وَمَعْنَى ﴿ظَنَّ السُّوءَ﴾: أَنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُرْجِعُهُمْ إِلَى
 مَكَّةَ ظَافِرِينَ فَاتَحِينَ إِيَّاهَا، وَالسُّوءُ: عِبَارَةٌ عَنْ رَدَاءَةِ الشَّيْءِ وَفَسَادِهِ، كَمَا يَقَعُ
 الصَّدَقُ عِبَارَةً عَنْ جَوْدَةِ الشَّيْءِ وَصَلَاحِهِ ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ أَي: مَا يَظُنُّونَهُ
 وَيَتَرَبَّصُونَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ دَائِرٌ عَلَيْهِمْ، حَائِقٌ بِهِمْ، وَهُوَ الْهَلَاكُ وَالذَّمَّارُ، وَقُرِئَ:
 ﴿دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ بِفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّهَا ^(١) وَهِيَ لُغَتَانِ مِنْ «سَاءَ» كَالْكَرْهِ وَالْكُرْهِ،
 وَالضَّعْفِ وَالضُّعْفِ، إِلَّا أَنَّ الْمَفْتُوحَ غَلَبَ فِي أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ مَا يُرَادُ ضَمُّهُ مِنْ كُلِّ
 شَيْءٍ، وَالْمَضْمُومَ جَارٍ مَجْرَى الشَّرِّ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ الْخَيْرِ، يَقَالُ: أَرَادَ بِهِ السُّوءَ،:
 وَأَرَادَ بِهِ الْخَيْرَ، وَلِذَلِكَ أُضِيفَ «الظَّنُّ» إِلَى الْمَفْتُوحِ لِكَوْنِهِ مَذْمُوماً، وَكَانَتْ
 «الدَّائِرَةُ» مَحْمُودَةً فَكَانَ حَقُّهَا أَنْ لَا تُضَافَ إِلَيْهِ إِلَّا عَلَى التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ
 ﴿وَعَظِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ بِأَنْ أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ.

وَكَرَّرَ قَوْلَهُ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لِأَنَّ الْأَوَّلَ اتَّصَلَ بِذِكْرِ
 الْمُؤْمِنِينَ، أَي: فَلَهُ الْجُنُودُ الَّتِي يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُعِينَهُمْ بِهَا، وَالثَّانِي اتَّصَلَ بِذِكْرِ

(١) وبالضم قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٠٣.

الكافرين، أي: فله الجنود التي يقدّر على الانتقام منهم بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في قهره وانتقامه من أعدائه ﴿حَكِيمًا﴾ في فعله وقضائه.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠) سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنَاهُمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٤)﴾

وَقُرِئَ: ﴿لَتُؤْمِنُوا﴾ وما بعده بالتاء والياء^(١)، فالتاء على الخطاب لرسول الله ﷺ ولأُمَّتِهِ، والياء على أَنَّ الضمير في الجميع للناس ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: تُقَوِّوهُ بِالنُّصْرَةِ ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تُعَظِّمُوهُ وَتُطِيعُوهُ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ من التَّسْبِيحِ أَوْ: من السُّبْحَةِ، وَالضَّمَاثِرُ لِلَّهِ عَزَّ أَسْمُهُ، وَالْمُرَادُ بِتَعْزِيزِ اللَّهِ: تَعْزِيزُ دِينِهِ وَرَسُولِهِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يريد: بَيْعَةَ الْحَدِيثِ وَهِيَ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ، أي: بَايَعُوا

(١) وبالياء هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٠٣.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَوْتِ ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (١) ثُمَّ أَكَّدَهُ تَأْكِيداً بِقَوْلِهِ: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ كَأَنَّ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ الَّتِي تَعْلُو أَيْدِيَ الْمُبَايِعِينَ يَدُ اللَّهِ، إِذْ هُوَ جَلٌّ جَلَالُهُ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لَا يَعُودُ ضَرَرُ نَكْثِهِ إِلَّا عَلَيْهِ، وَيُقَالُ: وَفَيْتَ بِالْعَهْدِ وَأَوْفَيْتُ بِهِ، وَقُرِئَ: ﴿فَسِيؤُتِيهِ﴾ بِالنُّونِ (٢) وَالْيَاءِ .

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْحَدِيثِ لَمَّا أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِراً، وَذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ، فَاسْتَنْفَرَ مَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَأَهْلِ الْبَوَادِي لِيَخْرُجُوا مَعَهُ حَذَرًا مِنْ قَرِيشٍ أَنْ يَعْضُوا لَهُ بِحَرْبٍ أَوْ يَصُدُّوهُ عَنِ الْبَيْتِ، وَأَحْرَمَ بِالْعِمْرَةِ وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ لِيُعْلِمَ النَّاسَ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ حَرْبًا، فَتَثَاقَلَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَالُوا: نَذْهَبُ مَعَهُ إِلَى قَوْمٍ قَدْ جَاؤُوهُ فَقَتَلُوا كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَتَخَلَّفُوا عَنْهُ وَاعْتَلُّوا بِالشُّغْلِ، وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا يَنْقَلِبُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَيَهْلِكُ، وَ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ هُوَ تَكْذِيبٌ لَهُمْ فِي اعْتِذَارِهِمْ، وَإِخْبَارٌ عَنْ ضَمَائِرِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يَبَالُونَ اسْتِغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ أَمْ لَا ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أَي: فَمَنْ يَمْنَعُكُمْ مِنْ مَشِئَةِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ﴾ مَا يَضُرُّكُمْ مِنْ قَتْلِ أَوْ مَوْتٍ ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ مِنْ ظَفَرٍ وَغُنْمٍ، وَقُرِئَ: «ضَرًّا» (٣) وَهُمَا لُغَتَانِ، كَالْفُقْرِ وَالْفَقْرِ، وَقِيلَ: إِنَّ الضَّرَّ خِلَافُ النَّفْعِ، وَالضَّرُّ: سُوءُ الْحَالِ (٤) .

(١) النساء: ٨٠.

(٢) قرأه ابن كثير ونافع وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٠٣.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي. راجع المصدر السابق: ص ٦٠٤.

(٤) قاله أبو عبيد. راجع إعراب القرآن للنحاس: ج ٤ ص ١٩٩.

والأهلون: جَمْعُ أَهْلٍ، وَأَمَّا الْأَهَالِي فَاسْمٌ لِلْجَمِيعِ ^(١) كَاللِّيَالِي، وَالْبُورُ: جَمْعُ
بَائِرٍ كَعَائِدٍ وَعُودٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَصْدَرُ «بَار» كَالْهَلَكِ مَصْدَرُ «هَلَكَ»، وَلِذَلِكَ وَصِفَ بِهِ
الوَاحِدُ وَالْجَمْعُ وَالْمَذْكُورُ وَالْمَوْثُوثُ ^(٢). وَالْمَعْنَى: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا﴾ فَاسْدِينَ فِي
أَنْفُسِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ، وَهَالِكِينَ عِنْدَ اللَّهِ، لَا خَيْرَ فِيكُمْ، وَمُسْتَوْجِبِينَ لِسَخَطِهِ
وَعِقَابِهِ.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ أَقِيمَ مَقَامَ «لَهُمْ» لِيُعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ الْإِيمَانَيْنِ وَهُوَ
الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَنُكِّرَ ﴿سَعِيرًا﴾ إِيدَانًا بِأَنَّهَا نَارٌ مَخْصُوصَةٌ لَهُمْ، كَمَا
نُكِّرَ قَوْلُهُ: ﴿نَارًا تَلْظَى﴾ ^(٣).

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ
يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥) قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ
مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَتِّلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ
فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا (١٦) لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا
عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ
إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ
فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩)﴾

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «لِلْجَمْع».

(٢) حَكَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ: ج ٢ ص ٧٢ - ٧٣.

(٣) اللَّيْل: ١٤.

﴿سَيَقُولُ﴾ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْحَدِيثِ ﴿إِذَا أُنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ﴾ خَيْرَ لَتَأْخُذُواهَا ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ وَقُرِئَ: «كَلِمَ اللَّهِ» ^(١) أَي: مَوْعِدَ اللَّهِ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ خَاصَّةً بِغَنِيمَةِ خَيْرِ عَوْضًا مِنْ مَغَانِمِ مَكَّةَ ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ مَرْجِعُنَا إِلَيْكُمْ أَنَّ غَنِيمَةَ خَيْرِ عَوْضًا لِمَنْ شَهِدَ الْحَدِيثَ لَا يَشْرِكُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أَنْ نُصِيبَ مَعَكُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَنُشَارِكُكُمْ فِيهَا ﴿بَلْ كَانُوا﴾ قَوْمًا ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ أَي: لَا يَفْهَمُونَ ﴿إِلَّا﴾ فَهْمًا ﴿قَلِيلًا﴾ وَهُوَ فِطْنَتُهُمْ لِأُمُورِ الدُّنْيَا دُونَ أُمُورِ الدِّينِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ حَرْفِي الْإِضْرَابِ: أَنَّ الْأَوَّلَ إِضْرَابٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حُكْمَ اللَّهِ وَإِثْبَاتٌ لِلْحَسَدِ، وَالثَّانِي إِضْرَابٌ مِنْ وَصْفِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَسَدِ وَإِثْبَاتٌ لَجَهْلِهِمْ.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ﴾ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْحَدِيثِ ﴿سَتُدْعُونَ﴾ فِيمَا بَعْدُ ﴿إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأْسٍ شَدِيدٍ﴾ وَهُمْ هَوَازِنُ وَثَقِيفٌ ﴿أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ﴾، أَي: يَكُونُ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ: إِمَّا الْمَقَاتِلَةُ أَوْ الْإِسْلَامُ، لَا ثَالِثَ لَهُمَا، ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا﴾ وَتُجِيبُوا إِلَى قِتَالِهِمْ يَأْجِرْكُمْ اللَّهُ، ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عَنْ قِتَالِهِمْ ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى الْحَدِيثِ ﴿يُعَذِّبُكُمْ اللَّهُ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ نَفَى الْحَرَجَ عَنْ هَؤُلَاءِ مِنْ ذَوِي الْعَاهَاتِ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْغَزْوِ، وَقُرِئَ ﴿يُدْخِلُهُ﴾ وَ ﴿يُعَذِّبُهُ﴾ بِالنُّونِ ^(٢) وَالْيَاءِ.

إِنَّمَا سَمِيَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، بَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ بِالْحَدِيثِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ الْمَعْرُوفَةِ وَهِيَ الشَّجَرَةُ السَّمُرَةُ ^(٣) ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ مِنْ صِدْقِ النِّيَّةِ

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٠٤.

(٢) قرأه نافع وابن عامر. راجع المصدر السابق.

(٣) السَّمُرَةُ: ضربٌ من شجر الطَّلْحِ ومنه الحديث: «يا أصحاب السَّمُرَةِ». (النهاية: مادة طلح).

في القتالِ والصَّبْرِ والوفاءِ، وكانَ عَدَدُهُم ألفاً وخمسمائةٍ أو ثلاثمائة ﴿فَأَنْزَلَ
السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ والضَّمِيرُ للمؤمنينَ، والسَّكِينَةُ: هي اللُّطْفُ المَقْوِي لِقُلُوبِهِم
كالطَّمَانِينَةِ ^(١) ﴿وَأَثْبَتَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني: فَتَحَ خَيْبَرَ ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾
وهي مَغَانِمُ خَيْبَرَ وكانت مشهورةً بكثرةِ الأموالِ والعقارِ ^(٢).

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ
النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةًَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٢٠)
وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرًا (٢١) وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا (٢٣) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْ لَا
رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ
مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) ﴿

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ هي جميعُ ما يَفِيءُ على المؤمنينَ إلى يومِ القيامةِ
﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ المَغَانِمُ يعني: غَنَائِمُ خَيْبَرَ ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ يعني:
أَيْدِيَ أَهْلِ خَيْبَرَ وحُلَفَائِهِمْ من أسَدٍ وعُظَفَانٍ حينَ جَاءُوا لِنُصْرَتِهِمْ ﴿فَقَذَفَ﴾ اللهُ

(١) في بعض النسخ: «والطمانينة».

(٢) العقار: الأرضُ والضياعُ والنخلُ، والمعقرُ: الرجلُ الكثيرُ العقارِ. (الصحاح).

﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ﴾ ^(١) فَتَنَكَّصُوا، وَقِيلَ: يُرِيدُ أَيْدِي أَهْلِ مَكَّةَ بَصْلَحِ الْحَدِيثِ ^(٢) ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هَذِهِ الْكَفَّةُ وَالْهُدَنَةُ وَالْغَنِيمَةُ الَّتِي عُجِّلَتْ ﴿ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَعِبرَةٌ يُعْرِفُونَ بِهَا أَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ، وَأَنَّهُ ضَامِنٌ نَصْرَهُمْ وَالْفَتْحَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الصُّلْحَ وَقَعَ: عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرُ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ، وَعَلَى أَنَّ مَنْ قَدِمَ مَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ آمِنٌ عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ، وَمَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ قُرَيْشٍ فَهُوَ آمِنٌ عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ، فَقَالَتْ خُزَاعَةُ: نَحْنُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَهْدِهِ، وَقَالَتْ كِنَانَةُ: نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِّنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتُهُ إِلَيْنَا، وَمَنْ جَاءَنَا مِمَّنْ مَعَكَ لَا نَرُدُّهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَقَالَ ﷺ: مَنْ جَاءَهُمْ مِّنَّا فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ رَدَدْنَاهُ إِلَيْهِمْ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ مِنْ قَلْبِهِ جَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّكَ تَرْجِعُ عَنَّا عَامَكَ هَذَا فَلَا تَدْخُلُ مَكَّةَ، فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْقَابِلُ خَرَجْنَا عَنْهَا لَكَ فَدَخَلْتَهَا بِأَصْحَابِكَ فَأَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا فَلَا تَدْخُلُهَا بِالسَّلَاحِ إِلَّا وَالسُّيُوفُ فِي الْقِرَابِ، وَعَلَى أَنَّ هَذَا الْهَدْيَ حَيْثُ مَا حَسْبَنَاهُ مَجَلَّةٌ لَا تُقَدِّمُهُ عَلَيْنَا، فَقَالَ ﷺ: نَحْنُ نَسُوقُ وَأَنْتُمْ تَرُدُّونَ؟! قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: وَاللَّهِ مَا شَكَكْتُ مِنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ فَقَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ تَعْطِي الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَغْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي، قُلْتُ: أَوَلَسْتَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَا

(١) الاحزاب: ٢٦، الحشر: ٢.

(٢) قاله أنس وعبد الله بن مغفل المزني والكلبي. راجع تفسير القرطبي: ج ١٦ ص ٢٨١.

سَنَاتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَام؟ قُلْتُ: لَا قَالَ: فَإِنَّكَ تَأْتِيهِ، فَتَطُوفُ بِهِ، فَتَحَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُدْنَةً وَدَعَا بِحَالِقِهِ فَحَلَقَ شَعْرَهُ (١).

وعن محمد بن كعب: كَانَ كَاتِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الصُّلْحِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؓ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ: اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، وَجَعَلَ عَلِيٌّ يَتَلَكَّأُ وَيَأْبَى أَنْ يَكْتُبَ إِلَّا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عَلِيٌّ: فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهَا، تَعْطِيهَا وَأَنْتَ مُضْطَهَّدٌ، فَكَتَبَ (٢).

وَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ مِنَ الْحَدِيثَةِ مَكَثَ بِهَا عَشْرِينَ لَيْلَةً ثُمَّ خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ فَأَعْطَى اللُّوَاءَ أَبَا بَكْرٍ وَبَعَثَهُ إِلَى الْقَوْمِ، فَاَنْطَلَقَ فَلَقِيَ الْقَوْمَ ثُمَّ أَنْكَشَفَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَرَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ بَعَثَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَنَهَضَ يَمْنُ نَهَضَ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ، فَلَقُوا أَهْلَ خَيْبَرَ فَاَنْكَشَفَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَرَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُجَبُّهُ أَصْحَابُهُ وَيُجَبُّهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا أُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، كَرَّارًا غَيْرَ فَرَّارٍ، لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ بِجُمْلَتِهِمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؓ؟ فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَتِي بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَبَرَزَ مَرْحَبٌ وَهُوَ يَقُولُ:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أُنِي مَرْحَبٌ (٣)

(١) أنظر تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٦٣٣ - ٦٣٤ من حوادث سنة ست من الهجرة .

(٢) سيرة ابن إسحاق: ص ٢٣١، وتفسير القمي: ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٣) قد عَلِمْتُ خَيْبَرُ أُنِي مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مَجْرَبٌ
أَطْعَنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرَبُ إِذَا اللَّسِيوْتُ أَقْبَلْتُ تَحَرَّبُ
كَانَ حِمَايَ كَالْحِمَى لَا يُقْرَبُ

الآيات، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتُ أُمِّي حَيْدَرَهُ كَلَيْتُ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهُ

أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ^(١)

فَضْرَبَ مَرْحَبًا فَقَتَلَهُ، وَكَانَ الْفَتْحُ^(٢).

وقوله: ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ اغْتِرَاضٌ، أي: وليكونَ ذلكَ آيةً فَعَلَ ذلكَ،

ويجوزُ أن يكونَ المعنى: وَعَدَكُمْ الْمَغَانِمَ فَجَعَلَ هَذِهِ الْغَنِيمَةَ وَكَفَّ الْأَعْدَاءَ لِيَنْفَعَكُمْ

بِهَا، وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ إِذَا وَجَدُوا وَعْدَ اللَّهِ بِهَا صَادِقًا؛ لِأَنَّ الْإِخْبَارَ بِالْمَغْيِبَاتِ

مُعْجِزَةٌ وَآيَةٌ ﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: ويزيدُكم بصيرةً وَثِقَةً - بِفَضْلِ اللَّهِ -

وَيَقِينًا. ﴿وَأُخْرَى﴾ أي: وَوَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ أُخْرَى ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ بَعْدُ، وَهِيَ

مَغَانِمُ هَوَازِنَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: قَدْ قَدِرَ عَلَيْهَا وَأَسْتَوْلَى،

وَأَظْهَرَ كُمْ عَلَيْهَا وَغَنَمَكُمْوَهَا.

﴿وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ﴾ هَذَا مِنَ الْعِلْمِ بِالْمَعْدُومِ، عَلِمَ

سُبْحَانَهُ مَا لَمْ يَكُنْ أَنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ الْمُؤَكَّدِ،

أَي: سُنَّ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ غَلَبَةُ أَنْبِيَائِهِ سُنَّةً، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا

وَرُسُلِي﴾^(٣).

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾ يَعْنِي: أَيْدِي أَهْلِ مَكَّةَ ﴿عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾

بِالنَّهْيِ ﴿بِطَنِ مَكَّةَ﴾ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بَعَثُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا لِيُصِيبُوا مِنَ

الْمُسْلِمِينَ، فَأَسْرَوْا فَخَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبِيلَهُمْ.

(١) السندرة: مكيال كبير.

(٢) أنظر تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١١ وما بعده من حوادث سنة سبع من الهجرة عن بريدة

(٣) المجادلة: ٢١.

الأسلمي.

وعن عبد الله بن المغفل: كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل شجرة وبين يديه علي بن أبي طالب يكتب كتاب الصلح، فخرج ثلاثون شابا عليهم السلاح، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله أبصارهم، فقمنا فأخذناهم، فخلى علي بن أبي طالب سبيلهم^(١).

وقرئ: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء^(٢). ﴿وَالْهَدَى﴾ عطف على الضمير المنصوب في ﴿وَصَدُّوْكُمْ﴾ أي: وصدوا ﴿الْهَدَى مَغْكَوْفَا﴾ محبوسا عن ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ وهو مكانه الذي يحل فيه نحره، أي: يجب، وبغض الحديبة من الحرم، ورؤي: أَنَّ مَضَارِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي الْحِلِّ وَمُصَلَّاهُ فِي الْحَرَمِ^(٣). ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ﴾ مستضعفون كانوا بمكة بين الكفار ﴿وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ﴾ كذلك ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ صفة لرجال ونساء جميعا، و ﴿أَنْ تَطَّوُّوهُمْ﴾ بدل أشتمال منهم، أو: من الضمير المنصوب في ﴿تَعْلَمُوهُمْ﴾، ﴿فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ﴾ هي مفعلة، من: عَرَّهُ يَعْرُهُ: إذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْ تَطَّوُّوهُمْ﴾ يعني: أَنْ تَطَّوُّوهُمْ غَيْرُ عَالِمِينَ بِهِمْ، والوطء عبارة عن الإيقاع والإبادة، وقال:

وَوَطَّئْنَا وَطَاءً عَلَى حَقٍّ وَطَاءً الْمُقَيَّدِ نَابِتِ الْهَرَمِ^(٤)

(١) أخرجه عنه السيوطي في الدر المنثور: ج ٧ ص ٥٣٢ وعزاه الى احمد والنسائي والحاكم وابن جرير وأبي نعيم وابن مردويه .

(٢) وبالياء هي قراءة أبي عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٠٤ .

(٣) رواه أحمد في مسنده: ج ٤ ص ٣٢٦ بإسناده الى المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ضمن حديث طويل .

(٤) للحارث بن وعله الذهلي، وفي اللسان نسبه الى زهير ولم نثر عليه في ديوانه. أنظر شرح شواهد الكشف للأفندي: ص ٢٩١ .

والمعنى: لولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين ظهرائي المشركين مختلطين بهم، وأنتم غير عارفين بهم، فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ﴿فَحَذَفَ جَوَابُ «لَوْلا» لدلالة الكلام عليه، ويجوز أن يكون ﴿لَوْ تَزِيلُوا﴾ كالتركير لـ ﴿لَوْلا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ﴾ لرجوعيهما إلى معنى واحد، ويكون الجواب ﴿لَعَذَّبْنَا﴾، والمعرة التي كانت تُصيبهم إذا قتلوهم هي وجوب الدية والكفارة وسوء مقالة المشركين: إنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا، وقوله: ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ تعليل لما دلت عليه الآية، كأنه قال: كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في توفيقه للخير والطاعة مؤمنهم، أو: ليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركهم ﴿لَوْ تَزِيلُوا﴾ لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض، من: زاله يزيله ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة بأيديكم وبالسيف، ولكن الله يدفع عن الكفار بالمؤمنين وحرمة اختلاطهم بهم.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٢٦) لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى

عَلَى سُوْقِهِ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴿

﴿إِذْ﴾ يَتَعَلَّقُ بِمَا قَبْلَهُ، أَي: لَعَذَّبْنَاهُمْ إِذْ ^(١) صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حِينَ جَعَلُوا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الْاِتِّفَاقَ الَّتِي تَحْمِي الْإِنْسَانَ، وَ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ قَوْلُهُمْ: قَدْ قَتَلَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا، وَيَدْخُلُونَ عَلَيْنَا فِي مَنَازِلِنَا، لَا يَتَحَدَّثُ ^(٢) الْعَرَبُ بِذَلِكَ، وَقِيلَ: هِيَ أَنْفَتُهُمْ مِنَ الْإِقْرَارِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ بِالرَّسَالَةِ وَ^(٣) الْاِسْتِفْتَا ح بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حِينَ قَالُوا: مَا نَعْرِفُ هَذَا، وَلَكِنْ أَكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(٤). ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ﴾ سُبْحَانَهُ ﴿تَسْكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَتَوَقَّرُوا وَحَلِمُوا وَصَبَرُوا عَلَى الدُّخُولِ تَحْتَ مَا أَرَادُوهُ ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ وَهِيَ قَوْلُهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقِيلَ: هِيَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَمُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ اخْتَارَهَا اللَّهُ لِنَبِيِّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ^(٥). وَمَعْنَى إِضَافَتِهَا إِلَى التَّقْوَى أَنَّهَا سَبَبُ التَّقْوَى وَأَسَاسُهَا ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ﴾ بِالسَّكِينَةِ ﴿وَأَهْلَهَا﴾ أَوْ: أَحَقَّ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ: أَحَقَّ بِمَكَّةَ وَدُخُولِهَا. ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّوْيَا﴾ أَي: صَدَقَهُ فِي رُؤْيَاهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ عَنِ الْكَذِبِ وَعَنِ كُلِّ قَبِيحٍ، فَحُذِفَ الْجَارُ وَأُوصِلَ الْفِعْلُ، وَقَوْلُهُ: ﴿بِالْحَقِّ﴾ تَعَلَّقَ بِـ﴿صَدَقَ﴾ أَي: صَدَقَهُ فِيمَا رَأَى وَفِي حُصُولِهِ صِدْقًا مُلْتَبَسًا بِالْحَقِّ، أَي: بِالْحِكْمَةِ وَالْغَرَضِ الصَّحِيحِ، وَذَلِكَ مَا فِيهِ مِنَ الْاِبْتِلَاءِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُخْلِصِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِـ﴿الرُّؤْيَا﴾ أَي: صَدَقَهُ الرُّؤْيَا مُلْتَبَسَةً بِالْحَقِّ. ﴿لَتَدْخُلَنَّ﴾ جَوَابُ قَسَمِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «أَوْ» بَدَل «إِذْ». (٢) فِي الْمَجْمَع: «فَتَتَحَدَّثُ».

(٣) فِي بَعْضِ النُّسخ: «أَوْ» بَدَل الْوَاوِ. (٤) قَالَهُ الزَّهْرِيُّ. رَاجَعَ التَّبْيَانُ: ج ٩ ص ٣٣٤.

(٥) وَهُوَ قَوْلُ الزَّهْرِيِّ أَيْضًا. رَاجَعَ تَفْسِيرَ الْبَغْوِيِّ: ج ٤ ص ٢٠٤.

مَحْذُوفٍ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْحَدِيثَةِ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَدْخُلُونَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ فَفَرَحُوا، فَلَمَّا أَنْصَرَفُوا مِنَ الْحَدِيثَةِ وَلَمْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ قَالَ الْمَنَافِقُونَ: مَا حَلَقْنَا وَلَا قَصَرْنَا وَلَا دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَفَزَلَتْ (١). أَخْبَرَهُمْ بِأَنْ مَنَامَهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَأَكَّدَ الدُّخُولَ بِالْقَسَمِ. وَفِي دُخُولِ ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وَجُوهٌ: أَنْ يُرِيدَ: لَتَدْخُلَنَّ جَمِيعاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَمْ يَمُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ، وَيُرِيدَ: تَعْلِيمَ عِبَادِهِ أَنْ يَقُولُوا فِي عِدَاتِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ مُتَأَدِّينَ بِأَدَبِ اللَّهِ، أَوْ: هُوَ مُتَعَلِّقٌ بـ ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ أَي: يَحْلِقُ بَعْضُكُمْ وَيُقَصِّرُ بَعْضٌ وَهُوَ أَنْ يُوْخَذَ بَعْضُ الشَّعْرِ، ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالصَّلَاحِ فِي الصُّلْحِ الْمُبَارَكِ لِمَوْقِعِهِ وَتَأْخِيرِ فَتْحِ مَكَّةَ ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أَي: مِنْ دُونِ فَتْحِ مَكَّةَ ﴿فَتْحاً قَرِيباً﴾ وَهُوَ فَتْحُ خَيْبَرَ لِتَسْتَرْوَحَ إِلَيْهِ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ يَتَيَسَّرَ الْفَتْحُ الْمَوْعُودُ.

و ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ أَي: بِالْقُرْآنِ وَبِالدَّلِيلِ الْوَاضِحِ ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ وَهُوَ الْإِسْلَامُ ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ لِيُعْلِيَهُ عَلَى جَنْسِ ﴿الَّذِينَ كُلَّهُ﴾، يُرِيدُ: الْأَدْيَانَ الْمُخْتَلِفَةَ مِنْ أَدْيَانِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، وَهَذَا تَوْكِيدٌ لِمَا وَعَدَهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الْفَتْحِ، وَتَوَطُّينٌ لِنَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَفْتَحُ لَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ مَا يَسْتَقِلُّونَ إِلَيْهِ فَتَحَ مَكَّةَ، وَقِيلَ: إِنَّ تَمَامَ ذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَهُ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ دِينَ غَيْرُ دِينِ الْإِسْلَامِ (٢) ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ عَلَى أَنْ مَا وَعَدَهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ.

﴿مُحَمَّدٌ﴾ إِمَّا خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ أَي: هُوَ مُحَمَّدٌ؛ لِتَقْدَمَ قَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٣٦٧ عن مجاهد وقتادة وابن زيد.

(٢) أنظر تفسير القمي: ج ٢ ص ٣١٧.

رَسُولُهُ، وَإِمَامًا مَبْتَدَأُ وَ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أَصْحَابُهُ
 ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ جَمْعُ «شديد» و «رحيم». وعن الحسن: بَلَغَ
 مِنْ تَشَدُّدِهِمْ عَلَى الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَرَّزُونَ مِنْ ثِيَابِهِمْ أَنْ يَلْزِقَ بِثِيَابِهِمْ وَمِنْ
 أَبْدَانِهِمْ أَنْ تَمَسَّ أَبْدَانَهُمْ، وَبَلَغَ مِنْ تَرَاخُمِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَنْ كَانَ لَا يَرَى مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا
 إِلَّا صَافِحَهُ وَعَانَقَهُ^(١). وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى
 الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ إِخْبَارٌ عَنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ وَمُدَاوَمَتِهِمْ عَلَيْهَا
 ﴿يَتَتَّبِعُونَ﴾ أَي: يَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ زِيَادَةَ نِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ يَطْلُبُونَ مَرْضَاتَهُ.

﴿سِيمَاهُمْ﴾ عَلَامَتُهُمْ ﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾ يُرِيدُ: السِّمَّةَ الَّتِي تَحْدُثُ فِي جَبْهَةِ
 السُّجَّادِ مِنْ كَثْرَةِ السُّجُودِ، يُفَسِّرُهَا قَوْلُهُ: ﴿مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ أَي: مِنَ التَّأثيرِ الَّذِي
 يُؤَثِّرُهُ السُّجُودُ، وَكَانَ يُقَالُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ذُو التَّفَنَاتِ؛ لِأَنَّهُ
 كَانَ قَدْ ظَهَرَ فِي مَوَاضِعِ سُجُودِهِ أَشْبَاهُ تَفَنَاتِ الْبَعِيرِ. وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: هِيَ نَدَى
 الطَّهُّورِ وَتُرَابُ الْأَرْضِ^(٣). ﴿ذَلِكَ﴾ الْوَصْفُ ﴿مَثْلُهُمْ﴾ أَي: وَصْفُهُمُ الْعَجِيبُ
 الشَّانِ ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾ وَتَمَّ الْكَلَامُ، ثُمَّ أَبْتَدَأَهُ: ﴿وَمَثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ﴾،
 وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: ذَلِكَ مَثْلُهُمْ فِي الْكِتَابَيْنِ جَمِيعًا^(٤)، ثُمَّ أَبْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿كَزَرْعٍ﴾ أَي: هُمْ
 كَزَرْعٍ ﴿أَخْرَجَ شَطْئَهُ﴾ أَي: فَرَاخَهُ، يُقَالُ: أَشْطَأَ الزَّرْعُ إِذَا أَفْرَخَ. وَقُرئ: «شَطَاءُ»
 بِفَتْحِ الطَّاءِ^(٥). ﴿فَازَرَهُ﴾ مِنَ الْمَوَازَرَةِ وَهِيَ الْمَعَاوَنَةُ. وَعَنْ الْأَخْفَشِ: أَنَّهُ أَفْعَلَ^(٦)،

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٤٦.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٥ ص ٣٢٣.

(٤) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: ج ٥ ص ٢٩.

(٥) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٠٤.

(٦) معاني القرآن: ج ٢ ص ٦٩٥.

أَي: شَدَّهُ وَأَعَانَهُ وَقَوَّاهُ، وَقُرِئَ: «فَأَزَرَهُ» ^(١) أَي: شَدَّ أَزَرَهُ ﴿فَاسْتَفْلَظْ﴾ فَصَارَ مِنَ الدَّقَّةِ إِلَى الْغُلْظَةِ ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾ جَمَعَ سَاقِي أَي: فَاسْتَقَامَ عَلَى قَصْبِهِ، وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِبَدْءِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَتَرْقِيهِ فِي الزِّيَادَةِ إِلَى أَنْ قَوِيَ وَعَلَا أَمْرُهُ ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أَي: يَرُوعُ ذَلِكَ الزَّرْعُ الْأَكْرَةَ الَّذِينَ زَرَعُوهُ ﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ هَذَا تَعْلِيلٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ تَشْبِيهُهُمْ بِالزَّرْعِ فِي نَمَائِهِمْ وَتَرْقِيَّتِهِمْ فِي الْقُوَّةِ وَالِاسْتِكْمَالِ وَتَظَاهُرِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَعْلِيلًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لِأَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا سَمِعُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْأَجْرِ مَعَ مَا يُنِيلُهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعِزِّ غَاظَهُمْ ذَلِكَ، أَي: وَعَدَ اللَّهُ مَنْ أَقَامَ مِنْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ﴿مَغْفِرَةً﴾ لِدُنُوبِهِمْ وَثَوَابًا ﴿عَظِيمًا﴾ وَنَعِيمًا مُّقِيمًا.



(١) وهي قراءة ابن عامر وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٠٥.

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

مدنيّة^(١) وهي ثمان عشرة آية.

في حديث أبي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحُجُرَاتِ أُعْطِيَ مِنْ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَاهُ»^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ كَانَ مِنْ زُورِ مُحَمَّدٍ ﷺ»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٣٣٩: مدنيّة إلا آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الآية ١١ الى آخرها، وقال قوم: كلّها مدنيّة، وهي ثمان عشرة آية بلا خلاف.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٣٤٩: مدنيّة وآياتها (١٨)، نزلت بعد المجادلة.

(٢) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٣٧٩ مرسلًا.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٢.

أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) ﴿

﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾ يجوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ: قَدَّمَ بِمعنى: «تَقَدَّمَ»، مثل: وَجَّهَ وَبَيَّنَّ بِمعنى: «تَوَجَّهَ» و «تَبَيَّنَّ»، وَيَعْضُدُهُ قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَ: «لَا تُقَدِّمُوا» (١)، أي: لَا تَتَقَدَّمُوا فَحَذِفَ أَحَدُ التَّاءَيْنِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَدِّيًا، يَقَالُ: قَدَّمَهُ وَأَقَدَّمَهُ، فَحَذِفَ الْمَفْعُولُ لِيَتَنَاوَلَ كُلُّ مَا يُقَدَّمُ، وَالْمَعْنَى: لَا تَقْطَعُوا أَمْرًا دُونَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِيهِ، وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: لَا تَتَكَلَّمُوا قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَا تَسْبِقُوهُ بِالْجَوَابِ حَتَّى يُجِيبُ أَوَّلًا (٢). وَعَنِ الْحَسَنِ: نَزَلَ فِي قَوْمٍ ذَبَحُوا الْأَضْحِيَّةَ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْإِعَادَةِ (٣). وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَالْمُرَادُ: كُونُوا تَبَعًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخْرُوا أَقْوَالَكُمْ وَأَفْعَالَكُمْ عَنْ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَلَا تَعْمَلُوا شَيْئًا مِنْ ذَاتِ أَنْفُسِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْمِرُوهُ ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ فَإِنَّكُمْ إِنْ أَتَقَيْتُمُوهُ لَمْ تَسْبِقُوا رَسُولَهُ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ حَتَّى يَأْمُرَكُمْ بِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لَأَقْوَالِكُمْ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأَعْمَالِكُمْ.

ثُمَّ أَعَادَ سُبْحَانَهُ النَّدَاءَ عَلَيْهِمْ أَسْتَدْعَاءَ مِنْهُمْ لِتَجْدِيدِ الْإِسْتِبْصَارِ عِنْدَ كُلِّ خِطَابٍ وَارِدٍ: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ يَعْنِي: إِذَا نَطَقَ وَنَطَقْتُمْ فَعَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَبْلُغُوا بِأَصْوَاتِكُمْ وَرَاءَ الْحَدِّ الَّذِي يَبْلُغُهُ صَوْتُهُ ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ

(١) وهي قراءة يعقوب. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٨٩.

(٢) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٣٧٧.

(٣) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٢٩٤.

بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ۖ أَي: لَا تَجْهَرُوا لَهُ جَهْرًا مِثْلَ جَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ، وهذا يدلُّ على أَنَّهُمْ نُهُوا عَنْ جَهْرِ مَوْصُوفٍ بِمِثَالِهِ مَا قَدْ أَعْتَادُوهُ مِنْهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وهو أَن يَكُونَ خَالِيًا مِنْ مُرَاعَاةِ حَشَمَةِ النُّبُوَّةِ وَجَلَالَةِ مَقْدَارِهَا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَلَا تَقُولُوا: يَا مُحَمَّدُ يَا أَحْمَدُ، كَمَا يُخَاطَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، بَلْ خَاطِبُوهُ بِالْتَّعْظِيمِ وَقُولُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(١).

وعن ابنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَكَانَ فِي أُذُنِهِ وَقْرٌ، وَكَانَ جَهْوَرِيَّ الصَّوْتِ، فَكَانَ إِذَا كَلَّمَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ وَرَبَّمَا تَأَذَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَوْتِهِ ^(٢).

وعن أَنَسٍ: لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ فَقَدْ ثَابِتٌ، فَتَفَقَّدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَ بِشَأْنِهِ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَإِنِّي رَجُلٌ جَهِيرُ الصَّوْتِ فَأَخَافُ أَن يَكُونَ عَمَلِي قَدْ حَبِطَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَسْتَ هُنَاكَ، إِنَّكَ تَعِيشُ بِخَيْرٍ وَتَمُوتُ بِخَيْرٍ وَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ^(٣).

﴿أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ مَفْعُولٌ لَهُ، وَمَعْنَاهُ: انْتَهَوْا عَمَّا نُهَيْتُمْ عَنْهُ لِحُبُوطِ أَعْمَالِكُمْ أَي: لِخَشْيَةِ حُبُوطِهَا، فَحُذِفَ الْمُضَافُ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أَنَّ أَعْمَالَكُمْ حَبِطَتْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ أَي: يَخْفِضُونَهَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِجْلَالًا لَهُ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أَي: اخْتَبَرَهَا فَأَخْلَصَهَا ﴿لِلتَّقْوَى﴾ مِنْ قَوْلِهِمْ:

(١) قاله الفراء في معاني القرآن: ج ٣ ص ٧٠، والزجاج أيضاً في معاني القرآن وإعرابه: ج ٥ ص ٣٢.

(٢) رواه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٥٣.

(٣) أخرجه عنه السيوطي في الدر المنثور: ج ٧ ص ٥٤٨ وعزاه إلى أحمد والبخاري ومسلم وأبو يعلى والبلغوي وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي.

امْتَحِنَ فَلَانٌ لِأَمْرِ كَذَا وَجُرِّبَ فَهُوَ مُضْطَلَعٌ بِهِ غَيْرُ مُقْصِرٍ فِيهِ، أَوْ: وَضِعَ الامْتِحَانُ مَوْضِعَ الْمَعْرِفَةِ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ بِالِاخْتِبَارِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: عَرَّفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى، وَيَكُونُ اللَّامُ مُتَعَلِّقَةً بِمَحذُوفٍ كَمَا فِي قَوْلِكَ: أَنْتَ لِهَذَا الْأَمْرِ، أَي: كَائِنَ لَهُ وَمَخْتَصِّ بِهِ، قَالَ:

أَعْدَاءُ مَنْ لِلْيَعْمَلَاتِ عَلَى الْوَجَى^(١)

وهي مَعَ مَعْمُولِهَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ مِنْ خَلْفِهَا وَقُدَّامِهَا، وَ«مِنْ» لابتداء الغاية، وَإِنَّ النَّدَاءَ إِنْشَاءً مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَالْحُجْرَةُ: الْبُقْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ الْمَحْجُورَةِ بِحَائِطٍ يَحُوطُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فُعْلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ كَالْعُرْفَةِ وَالْقُبْضَةِ. وَالْمُرَادُ حُجَرَاتُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَرُوي: أَنَّ وَفَدَ بَنِي تَمِيمٍ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَتَ الظَّهِيرَةِ وَهُوَ رَاقِدٌ فَنَادَوْهُ: يَا مُحَمَّدُ، اخْرُجْ إِلَيْنَا! فَاسْتَيْقِظَ فَخَرَجَ، فَنَزَلَتْ^(٢).

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ سَجَّلَ عَلَيْهِمُ بِالْسَّفَهَةِ وَالْجَهْلِ لِمَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ فِي مَحَلٍّ رَفَعَ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: وَلَوْ ثَبَّتَ صَبْرُهُمْ، وَالصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنْ أَنْ تُتَنَازَعَ إِلَى هَوَاهَا، وَقَوْلُهُمْ: «صَبَرُوا عَنْ كَذَا» حُذِفَ مِنْهُ الْمَفْعُولُ وَهُوَ النَّفْسُ، وَهُوَ حَبْسٌ فِيهِ شِدَّةٌ عَلَى الْمَحْبُوسِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْحَبْسِ عَلَى الْيَمِينِ أَوِ الْقَتْلِ: صَبْرٌ، وَالْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أَنَّهُ لَوْ خَرَجَ وَلَمْ يَكُنْ خُرُوجُهُ لِأَجْلِهِمْ

(١) وعجزه: وأضياف بيت بيتوا لنزول. لعتبة بن مالك العقيلي يرثي عداء صاحبه ويصفه بأنه كان معداً لاغاثة المطايا الكثيرات العمل، ولأضياف بيته الذين كانوا يبيتون عنده لطلب الاستراحة. انظر شرح شواهد الكشف للأفندي: ص ١٨٨.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول: ص ٣٣٠ ح ٨٠٥ عن جابر بن عبد الله. وفيه عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا: أبوبكر وعمر رفعاً أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب من بني تميم، فأشار أحدهما بالآخر بن حابس، وأشار الآخر برجل آخر فارتفعت أصواتهما في ذلك فنزلت.

لَلزِمَهُمْ أَنْ يَضْرِبُوا إِلَى أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ خُرُوجَهُ إِلَيْهِمْ وَلَا أَجْلَهُمْ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾
 فِي «كَانَ»: إِمَّا ضَمِيرُ مَصْدَرِ الْفِعْلِ ^(١) الْمُضْمَرِ بَعْدَ «لَوْ» وَإِمَّا ضَمِيرُ مَصْدَرِ
 ﴿صَبَرُوا﴾ كَقَوْلِهِمْ: مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا
 بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦) وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ
 لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ
 وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ
 الرَّاشِدُونَ (٧) فَضَلَّاهُمُ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَإِنْ طَائِفَتَانِ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ
 فَاقْتُلُوا آلَتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا
 بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ
 فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) ﴿

الْفَاسِقُ هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ ^(٢)؛ أَخُو عَثْمَانَ لِأُمِّهِ، وَهُوَ الَّذِي وَلَّاهُ عَثْمَانُ
 الْكُوفَةَ، فَصَلَّىٰ بِالنَّاسِ وَهُوَ سَكْرَانٌ صَلَاةَ الصُّبْحِ أَرْبَعًا ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكُمْ فَإِنِّي
 نَشِيطٌ؟! بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصَدِّقًا ^(٣) إِلَىٰ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ

(١) فِي الْكَشَافِ: «فَاعِلُ الْفِعْلِ».

(٢) فِي التَّهْذِيبِ: أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَىٰ صَدَقَاتِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَوَلَّاهُ عَمْرَ
 صَدَقَاتِ بَنِي تَغْلِبَ، وَوَلَّاهُ عَثْمَانَ الْكُوفَةَ ثُمَّ عَزَلَهُ، وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: وَلَا خِلَافَ بَيْنِ أَهْلِ
 الْعِلْمِ بِالتَّوَاتُؤِ أَنْ قَوْلَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ...﴾ نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ،
 قَالَ: وَلَهُ أَخْبَارٌ فِيهَا نِكَارَةٌ وَشَنَاعَةٌ، وَخَبَرَ صَلَاتَهُ بِأَهْلِ الْكُوفَةِ وَهُوَ سَكْرَانٌ وَقَوْلَهُ: «أَزِيدُكُمْ
 بَعْدَ أَنْ صَلَّى الصُّبْحَ أَرْبَعًا»!! مشهورٌ مِنْ حَدِيثِ الثَّقَاتِ. تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ: ج ١١ ص ١٤٢ -
 ١٤٣.

(٣) الْمَصْدُقُ: الَّذِي يَأْخُذُ صَدَقَاتِ الْغَنَمِ. (الصَّحَاحُ).

إِحْنَةً^(١) فَاسْتَقْبَلُوهُ فَظَنَّ أَنَّهُمْ هُمُوا يَبْقِيَتُهُ فَرَجَعَ وَقَالَ: إِنَّهُمْ قَدْ أَرْتَدُّوا وَمَنَعُوا الزَّكَاةَ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُمْ أَن يَغْزُوهُمْ فَنَزَلَتْ^(٢).

وفي تنكير «الْفَاسِقِ» و «النَّبَأِ» معنى الشَّيَاعِ، والمُرَادُ: أَيُّ فَاسِقٍ جَاءَكُمْ بِأَيِّ نَبَأٍ كَانَ ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ صِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ، وَتَطَلَّلُوا بَيَانَ الْأَمْرِ وَانْكَشَافَ الْحَقِيقَةِ وَلَا تَعْتَمِدُوا قَوْلَ الْفَاسِقِ، وَقُرِئَ: «فَتَشَبَّهُوا»^(٣) وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالتَّشَبُّهُ وَالتَّبَيُّنُ مَتَقَارِبَانِ وَهُمَا التَّوَقُّفُ وَطَلَبُ الثَّبَاتِ وَالْبَيَانِ ﴿أَنْ تُصِيبُوا﴾ مَفْعُولٌ لَهُ أَيُّ: كَرَاهَةً إصَابَتِكُمْ ﴿قَوْمًا بِجَهَلَةٍ﴾ حَالٌ بِمَعْنَى: جَاهِلِينَ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٤) بَغَيْظِهِمْ ﴿فَتُصِيبُوا﴾ أَيُّ: فَتَصِيرُوا ﴿عَلَى مَا فَعَلْتُمْ﴾ مِنْ إصَابَتِهِمْ بِالْخَطَا ﴿نَدِمِينَ﴾ وَالنَّدَمُ ضَرْبٌ مِنَ الْغَمِّ، وَهُوَ أَنْ تَغْتَمَّ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْكَ تَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْمَصْدَرَةُ بِـ«لَوْ» حَالٌ مِنْ أَحَدِ الضَّمِيرَيْنِ فِي ﴿فِيكُمْ﴾ الْمَرْفُوعُ الْمُسْتَكْنُ أَوْ الْمَجْرُورُ الظَّاهِرُ، وَالْمَعْنَى: إِنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى حَالَةٍ يَجِبُ عَلَيْكُمْ تَغْيِيرُهَا، أَوْ: أَنْتُمْ عَلَى حَالَةٍ يَجِبُ عَلَيْكُمْ تَغْيِيرُهَا، وَهِيَ أَنَّكُمْ تُحَاوِلُونَ مِنْهُ أَنْ يَعْمَلَ فِي الْحَوَادِثِ مَا تَسْتَصِوْبُونَهُ فِعْلَ التَّابِعِ لِغَيْرِهِ الْمَطْوَاعِ لَهُ، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ ﴿لَعَنْتُمْ﴾ أَيُّ: لَوْ قَعْتُمْ فِي الْإِثْمِ وَالْهَلَاكِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ زَيَّنُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَصْدِيقَ قَوْلِ الْوَلِيدِ وَالْإِيقَاعَ بِنَبِيِّ الْمِصْطَلَقِ،

(١) الإِحْنَةُ: الْحَقْدُ فِي الصَّدْرِ (لسان العرب: مادة أحن).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ١١ ص ٣٨٣ - ٣٨٤ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَيزِيدُ بْنُ رُومَانَ.

(٣) قَرَأَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَحُمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ. رَاجِعِ الْكَشَّافَ: ج ٤ ص ٣٦٠، وَالتَّذَكُّرَةَ فِي الْقِرَاءَاتِ

لِابْنِ غُلَبُونَ: ج ٢ ص ٣٧٨.

(٤) الْأَحْزَابُ: ٢٥.

وَأَنَّ نَظَائِرَ ذَلِكَ مِنَ الْهَنَاتِ كَانَتْ تَفَرُّطُ مِنْهُمْ، وَأَنَّ بَعْضَهُمْ يَرِيئُهُمْ ^(١) التَّقْوَى عَنْ الْحَسَادَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَهُمْ الَّذِينَ اسْتَثْنَاهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ أَي: إِلَى بَعْضِكُمْ، وَهُمْ ﴿الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾، وَالْمَعْنَى فِي تَخْيِيبِ اللَّهِ وَتَكْرِيبِهِ: اللَّطْفُ وَالْإِمْدَادُ بِالتَّوْفِيقِ، وَكُلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَكُونُ مَمْدُوحًا بِفِعْلٍ غَيْرِهِ، وَإِذَا حُمِلَتِ الْآيَةُ عَلَى ظَاهِرِهَا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ جَلٌّ وَعَزٌّ أَثْنَى عَلَيْهِمْ بِفِعْلِ نَفْسِهِ، وَ ﴿الْكُفْرُ﴾: تَغْطِيَةٌ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَغَطْيُهَا بِالْجُحُودِ ﴿وَالْفُسُوقُ﴾ الْخُرُوجُ عَنْ قَصْدِ الْإِيمَانِ وَمَحَبَّتِهِ بِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَقِيلَ: هُوَ الْكَذِبُ ^(٢) وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) ﴿وَالْعِصْيَانُ﴾ الْمَعْصِيَةُ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرُّشِدُونَ﴾ الْمَهْتَدُونَ إِلَى مَحَاسِنِ الْأُمُورِ، الْمُسْتَقِيمُونَ عَلَى الْحَقِّ. ﴿فَضْلًا﴾ مَفْعُولٌ لَهُ أَوْ مَصْدَرٌ مِنْ غَيْرِ فِعْلِهِ، وَالْفَضْلُ وَالنِّعْمَةُ بِمَعْنَى الْإِفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ.

وَعَنْ أَبِي عُبَّاسٍ قَالَ: وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَجْلِسٍ بَعْضِ الْأَنْصَارِ وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ، فَرَأَتْ ^(٤) الْحِمَارُ فَأَمْسَكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَأْنَفَةَ فَقَالَ: خَلِّ سَبِيلَ حِمَارِكَ فَقَدْ آذَانَا نَتْنُهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: وَاللَّهِ لِحِمَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَالَ الْخَوْضُ بَيْنَهُمَا حَتَّى اسْتَبَّأَ وَجَاءَ قَوْمُهُمَا الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ فَتَجَالَدُوا بِالْعِصْيَانِ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ، فَتَزَلَّتْ، وَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ فَاصْطَلَحُوا ^(٥).

وَالْبَغْيُ: الْإِسْطِطَالَةُ وَالظُّلْمُ، وَالْفَيْءُ: الرُّجُوعُ، وَقَدْ يَسْمَى بِهِ الظِّلُّ وَالْغَنِيمَةُ؛ لِأَنَّ الظِّلَّ يَرْجِعُ، وَالْغَنِيمَةُ: مَا تَرْجِعُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ ﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾ أَي:

(١) الرَّيْمُ: الْبَرَاخُ، يُقَالُ: رَامَ يَرِيمُ إِذَا بَرَحَ. (لسان العرب).

(٢) قاله ابن عباس. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢١٢.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٩٦ ح ٢٦٠. (٤) الرُّوْثُ: رَجِيعُ ذِي الْحَافِرِ. (لسان العرب).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: ج ٥ ص ٢١٨ ح ٢٦٩١ كتاب الصلح.

رَجَعَتْ وَأُنَابَتْ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ بِالْعَدْلِ
﴿وَأَقْسِطُوا﴾ أَي: اْعْدِلُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أَي: الْعَادِلِينَ.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فِي الدِّينِ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ بَيْنَ كُلِّ رَجُلَيْنِ
تَقَاتِلَا وَتَخَاصَمَا، أَي: كَفُّوا الظَّالِمَ عَنِ الْمَظْلُومِ وَأَعِينُوا الْمَظْلُومَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلَمُهُ» (١).

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْأَخَوَيْنِ: الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ (٢)، وَقُرِئَ: «بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ» عَلَى
الْجَمْعِ (٣) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ حَمَلَكُمْ التَّقْوَى عَلَى التَّوَاصُلِ
وَالِاتِّلَافِ، فَتَصِلُ عِنْدَ ذَلِكَ رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، وَتَشْمَلُ رَأْفَتُهُ عَلَيْكُمْ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا
مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ
وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ
إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢)
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) قَالَتِ
الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ
فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤)﴾

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى: ج ٦ ص ٩٤.

(٢) قَالَهُ مُجَاهِدٌ. رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ: ج ١١ ص ٣٨٨.

(٣) وَهِيَ قِرَاءَةُ يَعْقُوبَ. رَاجِعْ التَّذَكُّرَةَ فِي الْقِرَاءَاتِ لِابْنِ غَلْبُونِ: ج ٢ ص ٦٨٩.

الْقَوْمُ: رِجَالٌ خَاصَّةٌ لَأَنَّهُمُ الْقَوَّامُ بِأُمُورِ النِّسَاءِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ جَمْعُ «قَائِمٍ»، كَصَوْمٍ وَزَوْرٍ فِي جَمْعِ «صَائِمٍ» وَ«زَائِرٍ»، قَالَ زُهَيْرٌ:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي أَقَوْمُ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ^(١)

وَالْمَعْنَى: ﴿لَا يَسْخَرُ﴾ بَعْضُ الرِّجَالِ مِنْ بَعْضٍ، وَلَا بَعْضُ النِّسَاءِ مِنْ بَعْضٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ، وَقَدْ وَرَدَ مُورِدَ جَوَابِ الْمُسْتَخِيرِ عَنِ الْعِلَّةِ الْمُوجِبَةِ لِمَا جَاءَ النَّهْيُ عَنْهُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمُسْخُورَ مِنْهُ رَبَّمَا كَانَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا مِنَ السَّاخِرِ، فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَسْتَهْزِئَ أَحَدٌ بِمَنْ يَرَاهُ رَثَّ الْحَالِ أَوْ ذَا عَاهَةٍ، فَلَعَلَّهُ أَتَقَى عِنْدَ اللَّهِ وَأَخْلَصَ ضَمِيرًا مِمَّنْ هُوَ عَلَى ضِدِّ صِفَتِهِ، فَيَكُونُ قَدْ حَقَّرَ مَنْ وَقَرَّهُ اللَّهُ. ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أَي: لَا يَطْعَنُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمِثْلُهُ ﴿لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢) لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، أَي: حَصَّنُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْإِنْتِهَاءِ عَنْ عَيْبِهَا وَالطَّعْنِ فِيهَا، وَلَا عَلَيْكُمْ أَنْ يَتَعَبُوا^(٣) غَيْرَكُمْ مِمَّنْ لَا يَدِينُ بِدِينِكُمْ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «اذْكُرُوا الْفَاجِرَ بِمَا فِيهِ كِي يَحْذَرَهُ النَّاسُ»^(٤).

وَاللَّمْزُ: الطَّعْنُ وَالْعَيْبُ فِي الْمَشْهَدِ، وَالْهَمْزُ: فِي الْغَيْبِ، وَقِيلَ: إِنَّ اللَّمْزَ مَا يَكُونُ بِاللِّسَانِ وَبِالْعَيْنِ وَالْإِشَارَةِ، وَالْهَمْزُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللِّسَانِ^(٥). ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أَي: لَا تَدَاعَوْا بِهَا، وَهُوَ تَفَاعُلٌ مِنَ النَّبْزِ، وَبُنُو فُلَانٍ يَتَنَابَزُونَ وَيَتَنَابَزُونَ

(١) البيت من قصيدة طويلة يهجو فيها قوماً من بني غليب، يقول: سأبحث عن حقيقة أمر هؤلاء الناس أرجال هم أم نساء! وهذا هزء بهم وتوعد لهم. راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ١٢. (٢) النساء: ٢٩.

(٣) في نسخة: «تعيبوا».

(٤) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء: ج ١ ص ١١٤ وج ٢ ص ٤٩٢، وابن حجر في الكاف الشاف: ص ١٥٧، والشهيد الثاني في كشف الريبة: ص ٧٩.

(٥) قاله الطبري كما في تفسير القرطبي: ج ١٦ ص ٣٢٧.

بمعنى، والتلقيب المنهي عنه هو ما يدخل على المدعو به كراهة لكونه ذمًا له وشينًا، فأما ما يحبه وما يزيئه ويؤوه به فلا بأس به.

وفي الحديث: «من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه إليه»^(١). وعن ابن عباس: أن أم سلمة ربت حقوها بسبية - وهي ثوب أبيض - وسدلت طرفها خلفها فكانت تجرُّه، فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تجرُّ خلفها كأنه لسان كلب، فهذه كانت سُخْرِيَّتْهَا^(٢). وقيل: إنها عيرتها بالقصر وأشارت بيدها أنها قصيرة^(٣).

وقيل: إن صفية بنت حيي أتت رسول الله تبكي وقالت: إن عائشة تُعيرني وتقول: يا يهودية بنت يهوديين، فقال لها رسول الله ﷺ: «هلا قلت إن أبي هارون، وإن عمي موسى، وإن زوجي محمد ﷺ» فنزلت^(٤).

﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ الاسم هنا بمعنى الذكر من قولهم: طار أسمه في الناس بالكرم أو باللؤم، أي: صيته وذكره، وحقيقته: ما سما من ذكره وأرتفع بين الناس، كأنه قال: بئس الاسم المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يذكروا بالفسوق. وفي قوله: ﴿بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ ثلاثة أوجه: أحدها: استقباح الجمع بين الإيمان والفسق، كما يقال: بئس الشأن بعد الكبر الصبوة. والثاني: أن يكون المعنى: بئس الذكر أن يذكّر الرجل بالفسق بعد إيمانه، وذلك أنهم كانوا يقولون لمن أسلم من اليهود: يا يهودي يا فاسق، فنهوا عنه، وتكون الجملة

(١) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٦٩.

(٢) تفسير ابن عباس: ص ٤٣٦.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٣٩٥ عن حسان بن المخارق.

(٤) قاله ابن عباس. راجع أسباب النزول للواحدي: ص ٣٣٤ ح ٨١٢ وأورده القمي علي بن

إبراهيم في تفسيره: ج ٢ ص ٣٢٩.

على هذا التفسير متعلّقة بالنهي عن التنازع، والثالث: أن يُجعلَ مَنْ فسقَ غيرُ مؤمنٍ، كما تقول للمتحوّل عن التجارة إلى الفلاحة: بُسِتَ الحرفةُ الفلاحةُ بعد التجارة. ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ وهو أن يظنَّ بأهل الخير سوءاً، يقال: جَنَّبَهُ الشَّرَّ إذا أَبْعَدَهُ عَنْهُ، وَحَقِيقَتُهُ: جَعَلَهُ مِنْهُ فِي جَانِبٍ، فَيُعَدِّي إِلَى مَفْعُولَيْنِ، وَمُطَاوَعَتُهُ: اجْتَنَبَ الشَّرَّ، فَتُعَدِّي إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي: ذَنْبٌ يَسْتَحَقُّ بِهِ الْعِقَابُ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وَالتَّجَسَّسُ - بِالْجِيمِ وَالْحَاءِ - وَاحِدٌ، وَالْجِيمُ تَفْعُلُ مِنَ الْجَسَّ، كَمَا أَنَّ التَّلَمَّسَ بِمَعْنَى التَّطَلُّبِ مِنَ اللَّمَسِ، وَالْحَاءُ بِمَعْنَى التَّعَرُّفِ مِنَ الْحَسِّ، وَلِتَقَارِبِهِمَا قِيلَ لِمَشَاعِرِ الْإِنْسَانِ: الْحَوَاسِ، بِالْحَاءِ وَالْجِيمِ، وَالْمُرَادُ: النَّهْيُ عَنْ تَتَبُعِ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَمَعَائِنِهِمْ ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يُقَالُ: غَابَهُ وَأَغْتَابَهُ كَغَالَهُ وَأَغْتَالَهُ، وَالْغَيْبَةُ مِنَ الْاِغْتِيَابِ كَالْغِيلَةِ مِنَ الْاِغْتِيَالِ، وَهِيَ ذِكْرُ الشُّوْءِ فِي الْغَيْبَةِ. وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْغَيْبَةِ فَقَالَ: «أَنْ تَذْكُرَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ فَقَدْ أَغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ» (١).

﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾ تَمَثِيلٌ وَتَصْوِيرٌ لِمَا يَنَالُهُ الْمَغْتَابُ مِنْ عَرْضِ الْمَغْتَابِ عَلَى أَفْطَحِ وَجْهِهِ. وَعَنْ قَتَادَةَ: كَمَا تَكْرَهُهُ إِنْ وَجَدْتَ جِيفَةً مَدُودَةً أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا كَذَلِكَ فَاتَّكِرُهُ لَحْمَ أَخِيكَ وَهُوَ حَيٌّ (٢). وَ ﴿مَيْتًا﴾ نَضَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ ﴿لَحْمِ أَخِيهِ﴾ أَوْ مِنْ «الْأَخِ»، وَلَمَّا قَرَّرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَا يُحِبُّ أَكْلَ جِيفَةِ أَخِيهِ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أَي: فَتَحَقَّقْتُ بِوُجُوبِ الْإِقْرَارِ عَلَيْكُمْ كَرَاهَتُكُمْ لَهُ وَنُفُورُ طَبَاعِكُمْ مِنْهُ، فَاتَّكِرْهُوَ مَا هُوَ نَظِيرُهُ مِنَ الْغَيْبَةِ.

(١) أخرجه مسلم في الصحيح: ج ٤ ص ٢٠٠١ ح ٢٥٨٩، وفي مجموعة ورام: ص ٩٥ بالفاظ متقاربة، والشهيد الثاني في كشف الريبة: ص ٥٢.

(٢) حكاها عنه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٣٩٦.

وَرُوي: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ بَعَثَا سَلْمَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَأْتِي لَهُمَا بِطَعَامٍ، فَبَعَثَهُ إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - وَكَانَ خَازِنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَحْلِهِ - فَقَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ، فَعَادَ إِلَيْهِمَا فَقَالَا: بَخِلَ أُسَامَةُ، وَلَوْ بَعَثْنَا سَلْمَانَ إِلَى بُرٍّ سَمِيحَةٍ لَغَارَ مَاؤُهَا، ثُمَّ انْطَلَقَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا: مَا لِي أَرَى خُضْرَةَ اللَّحْمِ فِي أَفْوَاهِكُمَا؟ قَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَنَاوَلْنَا الْيَوْمَ لَحْمًا! قَالَ: ظَلَلْتُمْ تَأْكُلُونَ لَحْمَ سَلْمَانَ وَأُسَامَةَ، فَتَزَلْتُمْ^(١).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بِتَرْكِ مَا أَمَرْتُمْ بِاجْتِنَائِهِ، وَالنَّدَمِ عَلَى مَا وَجَدَ مِنْكُمْ مِنْهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يَقْبَلُ تَوْبَتَكُمْ.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَقِيلَ: خَلَقْنَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِنْ أَبِي وَأُمٍّ، فَمَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُدْلِي بِمِثْلِ مَا يُدْلِي بِهِ الْآخَرُ^(٢)، فَلَا وَجْهَ لِلتَّفَاخِرِ وَالتَّفَاضُلِ فِي النَّسَبِ ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ جَمْعُ شَعْبٍ وَهُوَ الطَّبَقَةُ الْأُولَى مِنْ طَبَقَاتِ السِّتِّ مِثْلُ مُضَرٍّ وَرَبِيعَةٍ ﴿وَقَبَائِلَ﴾ وَهِيَ دُونَ الشُّعُوبِ كَبْكُرِ بْنِ^(٣) رَبِيعَةٍ وَتَمِيمِ بْنِ^(٤) مُضَرٍّ، ثُمَّ الْعِمَارَةُ دُونَ الْقَبِيلَةِ، ثُمَّ الْبَطْنُ، ثُمَّ الْفَخْدُ، ثُمَّ الْفَصِيلَةُ ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ أَي: لَتَتَعَارَفُوا فَيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِنَسَبِهِ وَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ، لَا لِأَنْ تَتَفَاخَرُوا بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ وَتَدَّعُوا التَّفَاوْتَ وَالتَّفَاضُلَ، ثُمَّ يَبَيِّنَ سُبْحَانَهُ الْخِصْلَةَ الَّتِي يَكْتَسِبُ الْإِنْسَانُ بِهَا الْكَرَمَ وَالشَّرَفَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَيَفْضُلُ غَيْرَهُ فَقَالَ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ أَي: أَرْفَعَكُمْ مَنَزَلَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَكْثَرَكُمْ ثَوَابًا أَتْقَاكُمْ لِمَعَاصِيهِ، وَأَعْمَلَكُمْ بِطَاعَتِهِ.

(١) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٧٤ عن ابن عباس ولم يذكر اسم الرجلين إلا بلفظ «رجلين من الصحابة».

(٢) قاله مجاهد. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٣٩٧.

(٣ و ٤) في نسخة «من» بدل «بن».

الإِيمَانُ: هو التَّصَدِيقُ مع الثِّقَةِ وَطُمَأْنِينَةِ النَّفْسِ، وَالإِسْلَامُ: الدُّخُولُ فِي السَّلَامِ،
وَالخُرُوجُ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَرْباً لِلْمُؤْمِنِينَ بِإِظْهَارِ الشَّهَادَتَيْنِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ:
﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾. وَضَعَ قَوْلُهُ ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ مَوْضِعَ «كَذَّبْتُمْ»
بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ فِي صِفَةِ الْمُخْلِصِينَ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ تَعْرِيضاً بِأَنْ هَؤُلَاءِ هُمُ
الكَاذِبُونَ، ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ وَلَمْ يَقُلْ: «وَلَكِنْ أَسْلَمْتُمْ» لِيَكُونَ خَارِجاً مَخْرَجَ
الرَّعْمِ وَالِدَّعْوَى، كَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ: ﴿ءَامَنَّا﴾ كَذَلِكَ، ﴿لَا يَلْتَكُمُ﴾ أَي: لَا يُنْقِصُكُمْ وَلَا
يُظْلِمُكُمْ ﴿مِنْ﴾ ثَوَابِ ﴿أَعْمَلِكُمْ شَيْئاً﴾ يُقَالُ: اللَّهُ حَقُّهُ يَا لَئِنَّهُ أَتَنَّا، وَلَا تَهُ يَلِيَّتُهُ
بِمَعْنَاهُ، وَقُرِئَ ﴿لَا يَلْتَكُمُ﴾ وَ «لَا يَلْتَكُمُ» ^(١) عَلَى اللَّغَتَيْنِ.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فِي سَنَةِ جَدْبَةٍ فَأَظْهَرُوا
الشَّهَادَةَ، وَأَغْلَوْا أَسْعَارَ الْمَدِينَةِ، وَهُمْ يَغْدُونَ وَيَرْوَحُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَيَقُولُونَ: أَتَيْتَكَ الْعَرَبُ بِأَنْفُسِهَا عَلَى ظُهُورِ رَوَاحِلِهَا، وَجِئْنَاكَ بِالْأَثْقَالِ وَالذَّرَارِي،
يُرِيدُونَ الصَّدَقَةَ وَيَمْتَنُونَ عَلَيْهِ، فَزَلَّتْ ^(٢).

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ
اللَّهَ بَدِينَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ (١٦) يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾

(١) قرأه البصريان (أبو عمرو ويعقوب) بهمزة ساكنة، لكن أبو عمرو يقلبها ألفاً إذا ترك الهمز.
راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٨٩.

(٢) تفسير ابن عباس: ص ٤٣٧.

﴿ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا﴾ ثُمَّ لَمْ يَشْكُوا بَعْدَ ثَلَجِ صُدُورِهِمْ بِالْإِيمَانِ بَأَنَّ يَغْتَرِضَهُمُ الشَّيْطَانُ أَوْ بَعْضُ الْمُضِلِّينَ فَيُشَكِّكُهُمْ وَيَقْذِفُ فِي قُلُوبِهِمْ مَا يَثْلُمُ الْيَقِينَ ﴿وَجَاهِدُوا﴾ الْعَدُوَّ الْمُحَارِبَ أَوِ الشَّيْطَانَ أَوِ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ صَدَّقُوا فِي قَوْلِهِمْ: آمَنَّا، وَلَمْ يَكْذِبُوا كَمَا كَذَبَ أَغْرَابُ بَنِي أَسَدٍ، وَهُمْ الَّذِينَ إِيْمَانُهُمْ إِيْمَانُ صِدْقٍ وَحَقٍّ.﴾

﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أَي: أَتُخْبِرُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ عَالِمٌ بِذَلِكَ، وَمُحِيطٌ بِضَمَائِرِكُمْ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى إِخْبَارِكُمْ بِهِ؛ لِأَنَّهُ ﴿يَعْلَمُ﴾ جَمِيعَ الْمَعْلُومَاتِ لِدَايَتِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ يَعْلَمُ بِهِ وَلَا إِلَى مَنْ يُعَلِّمُهُ.

يُقَالُ: مَنْ عَلَيْهِ بَيْدٌ أَشَدَّهَا إِلَيْهِ: إِذَا أَعْتَدَّهَا عَلَيْهِ إِنْْعَامًا، أَي: لَا تَعْتَدُّوا عَلَيَّ بِمَا لَيْسَ جَدِيرًا بِالْإِعْتَادِ بِهِ مِنْ حَدِيثِكُمْ الَّذِي حَقَّ تَسْمِيَتُهُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: إِسْلَامٌ لَا إِيْمَانُ ﴿بَلِ اللَّهِ﴾ يَعْتَدُّ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بِأَنَّ أَمَدَكُمْ بِتَوْفِيقِهِ حِينَ ﴿هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيْمَانِ﴾ عَلَى مَا زَعَمْتُمْ وَأَدَّعَيْتُمْ: أَنَّكُمْ أُرْشِدْتُمْ إِلَيْهِ وَوُفِّقْتُمْ لَهُ، إِنْ صَحَّ زَعْمُكُمْ وَصَدَقَتْ دَعْوَاكُمْ، لَا أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ: مَا اللَّهُ عَالِمٌ بِخِلَافِهِ! وَفِي إِضَافَةِ «الْإِسْلَامِ» إِلَيْهِمْ وَإِثْرَادِ «الْإِيْمَانِ» غَيْرِ مُضَافٍ مَا لَا يَخْفَى عَلَى مَتَأَمِّلِهِ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ مُحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلِهِ عَلَيْهِ، تَقْدِيرُهُ: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي ادِّعَائِكُمْ الْإِيْمَانَ فَلِلَّهِ الْمِنَّةُ عَلَيْكُمْ.

وَقُرِئَ: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ ^(١) وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى كَوْنِهِمْ غَيْرَ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاهُمْ، أَي: لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَسْرَارِكُمْ فَكَيْفَ لَا يَظْهَرُ عَلَى صَدَقِكُمْ وَكَذِبِكُمْ؟



(١) وبالياء هي قراءة ابن كثير وعاصم برواية أبان عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات:

سُورَةُ قَٰ

مَكِّيَّةٌ ^(١) إِلَّا آيَةٌ ^(٢)، وَهِيَ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً.

وفي حديث أبي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ قَٰ هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ» ^(٣).

وعن الباقر عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ فِي فَرَائِضِهِ وَنَوَافِلِهِ سُورَةَ قَٰ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَأَعْطَاهُ اللَّهُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَحَاسَبَهُ حِسَابًا يَسِيرًا» ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَٰ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَيْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣)﴾

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٣٥٦: مكية بلاخلاف، وهي خمس وأربعون آية بلاخلاف.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٣٧٩: مكية إلا آية (٣٨) فمدنية، وآياتها (٤٥) نزلت بعد المرسلات.

وفي تفسير القرطبي: ج ١٧ ص ١: مكية كلها في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر. قال ابن عباس وقتادة: إلا آية وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الآية. (٢) في نسخة: «يقال إلا آية».

(٣) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٣٩٤ مرسلاً.

(٤) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٢ وفيه: «مَنْ أَدَمَنَ» بدل «مَنْ قَرَأَ».

قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ (٥) أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَالَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رَزَقْنَا لِلْعِبَادِ وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مِيثًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١) ﴿

الكَلَامُ فِي ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ مِثْلُ الْكَلَامِ فِي ﴿صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الْأَذْكُرِ﴾^(١) لِأَنَّهُمَا فِي أُسْلُوبٍ وَاحِدٍ، وَ﴿الْمَجِيدِ﴾: ذُو الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ الْكُتُبِ الْكَرِيمَةِ عَلَى اللَّهِ.

﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ أَي: تَعَجَّبُوا مِمَّا لَيْسَ بِعَجَبٍ وَهُوَ ﴿أَنْ جَاءَهُمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ﴾ قَدْ عَرَفُوا أَمَانَتَهُ وَعَدَالَتَهُ يُنْذِرُهُمْ بِالْمَخُوفِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ وَضَعَ الظَّاهِرُ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ مُقَدِّمُونَ عَلَى كُفْرٍ عَظِيمٍ. وَ﴿هَذَا﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الرَّجْعِ، وَ﴿إِذَا﴾ مَنْصُوبٌ بِمَضْمَرٍ، وَالْمَعْنَى: أَحِينَ نَمُوتُ وَنَصِيرُ تُرَابًا نُبْعَثُ وَنُرْجَعُ؟! ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ مُسْتَبْعَدٌ مُسْتَنْكَرٌ، كَمَا تَقُولُ: هَذَا قَوْلٌ بَعِيدٌ، أَي: بَعِيدٌ مِنَ الْوَهْمِ وَالْعَادَةِ.

و ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ رَدٌّ لَاسْتِبْعَادِهِمُ الرَّجْعِ، أَي: عَلِمْنَا مَا تَأْكُلُ ﴿الْأَرْضُ﴾ مِنْ لُحُومِهِمْ وَتُبْلِيهِ مِنْ عِظَامِهِمْ، فَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْنَا رَجْعُهُمْ أَحْيَاءَ، وَعَنِ السُّدِّيِّ: ﴿مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ مَا يَمُوتُ فَيُدْفَنُ فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ^(٢). ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ

(١) ص: ١.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٣٨٠.

حَفِظْتُ ﴿ أَي: محفوظٌ عن البَلَى والدُّرُوسِ، وهو كتابُ الحَفَظَةِ، أو: كِتَابُ حَافِظٍ لِمَا أُودِعَ وَكُتِبَ فِيهِ.

﴿ بَلْ كَذَّبُوا ﴾ إِضْرَابٌ أَتْبَعَ الْإِضْرَابَ الْأَوَّلَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ جَاءُوا بِمَا هُوَ أَفْطَعُ مِنْ تَعَجُّبِهِمْ، وَهُوَ التَّكْذِيبُ ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ الَّذِي هُوَ النَّبُوءَةُ الْمُؤَيَّدَةُ بِالْمُعْجَزَاتِ ﴿ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾ أَي: مُخْتَلِطٍ مُضْطَرِبٍ، يُقَالُ: مَرَجَ الْخَاتَمُ فِي إِضْبَعِهِ وَخَرَجَ، فَمَرَّةً يَقُولُونَ: مَجْنُونٌ، وَتَارَةً: سَاحِرٌ، وَتَارَةً: شَاعِرٌ.

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا ﴾ حِينَ كَفَرُوا بِالْبَعْثِ ﴿ إِلَى ﴾ آثَارِ قُدْرَةِ اللَّهِ فِي بِنَاءِ ﴿ السَّمَاءِ ﴾ مَعَ عِظَمِهَا وَحُسْنِ أَنْتَظَامِهَا ﴿ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ﴾ بِغَيْرِ عِلَاقَةٍ وَعِمَادٍ ﴿ وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ أَي: شُقُوقٍ وَفُتُوقٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ ^(١). ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ﴾ دَحَوْنَاهَا وَبَسَطْنَاهَا، ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ ﴾ أَي: جِبَالًا تَوَابَتْ ﴿ مِنْ كُلِّ رَوْجٍ بِهِجٍ ﴾ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ تَبْتَهِجُ بِهِ لِحُسْنِهِ. ﴿ تَبْصِرَةً ﴾ لِيُبْصَرَ بِهِ وَيَذْكُرَ كُلُّ ﴿ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ رَاجِعٍ إِلَى رَبِّهِ، مَفَكِّرٍ فِي بَدَائِعِ خَلْقِهِ.

﴿ مَاءٍ مُبْرَكًا ﴾ أَي: مَطَرًا وَغَيْثًا يَكْثُرُ النَّفْعُ بِهِ وَالْبَرَكَاتُ ﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ ﴾ أَي: بَسَاتِينَ فِيهَا أَشْجَارٌ تَشْتَمِلُ عَلَى الْفَوَاكِهِ ﴿ وَحَبِّ الْحَصِيدِ ﴾ أَي: وَحَبِّ الزَّرْعِ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُخْصَدَ، وَهُوَ مَا يُقْتَاتُ بِهِ مِنْ نَحْوِ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا ﴿ وَ ﴾ أَنْبَتْنَا بِهِ ﴿ النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾ طَوَالًا فِي السَّمَاءِ ﴿ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ مُنْضُودٌ، نُضِدَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، يُرِيدُ: كَثْرَةُ الطَّلْعِ وَتَرَاكُمُهُ وَكَثْرَةُ مَا فِيهِ مِنَ الثَّمَرِ. ﴿ رِزْقًا ﴾ مَفْعُولٌ لَهُ، أَي: أَنْبَتْنَا لِنَرْزُقَهُمْ ^(٢)، أو: مصدر ﴿ أَنْبَتْنَا ﴾ لِأَنَّ الْإِنْبَاتَ فِي مَعْنَى الرِّزْقِ، وَ ﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ أَي: كَمَا ﴿ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ﴾ لَا تَنْبُتُ شَيْئًا فَانْبَتَتْ وَعَاشَتْ كَذَلِكَ تُخْرِجُونَ أَحْيَاءً بَعْدَ مَوْتِكُمْ، وَالْكَافُ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ (١٢) وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ
وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ
وَعِيدُ (١٤) أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ
حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧)
مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ
ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) ﴿

كُلٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ كَذَّبُوا ﴿الرُّسُلَ﴾ الَّذِينَ بُعِثُوا إِلَيْهِمْ ﴿فَحَقَّ﴾ أَي:
وَجَبَّ وَحَلَّ ﴿وَعِيدٍ﴾ وَهُوَ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، وَفِيهِ تَسْلِيَةٌ لِنَبِيِّنَا ﷺ وَوَعِيدٌ لِلْكَفَّارِ.
﴿أَفَعَيْنَا﴾ الْهَمْزَةُ لِلإِنْكَارِ، يُقَالُ: عَيِيَ بِالْأَمْرِ: إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لَهُ، وَالْمَعْنَى: إِنَّا لَمْ
نَعْجِزْ عَنِ الْخَلْقِ ﴿الْأَوَّلِ﴾ كَمَا عَلِمُوا حَتَّى نَعْجِزَ عَنِ الثَّانِي ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ
خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا قُدْرَتَنَا عَلَى الْخَلْقِ الْأَوَّلِ، بَلْ هُمْ فِي خَلْطٍ
وَشُبْهَةٍ مِنَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، قَدْ لَبَسَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ وَحَيَّرَهُمْ بِأَنْ سَوَّلَ إِلَيْهِمْ أَنَّ
إِحْيَاءَ الْأَمْوَاتِ أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ الْعَادَةِ.

وَالْوَسْوَسَةُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، وَوَسْوَسَةُ النَّفْسِ: مَا يَخْطُرُ بِبَالِ الْإِنْسَانِ وَيَهْجُسُ
فِي ضَمِيرِهِ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَالْبَاءُ مِثْلُهَا فِي قَوْلِكَ: صَوَّتَ بِكَذَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
لِلتَّعْدِيَةِ، وَالضَّمِيرُ لـ ﴿الْإِنْسَانِ﴾ أَي: مَا تَجْعَلُهُ مَوْسُوسًا، وَ«مَا» مُصَدَّرِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُمْ
يَقُولُونَ: حَدَّثَ نَفْسَهُ بِكَذَا، كَمَا يَقُولُونَ: حَدَّثْتُهُ بِهِ نَفْسُهُ، قَالَ لَبِيدٌ:

وَكَذِبَ النَّفْسِ إِذَا حَدَّثَهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزِرِّي بِالْأَمَلِ^(١)

(١) البيت من قصيدة طويلة يذكر فيها مآثره ومواقفه ولا تخلو من حِكم، ومنها هذا البيت،
يقول: حَدَّثَ نَفْسَكَ بِالظَّفَرِ وَبَلُوغِ الْأَمَلِ دَائِمًا لَتَنْشِطَهَا عَلَى الْإِقْدَامِ وَالْعَمَلِ رَاجِعَ دِيْوَانِ ←

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ يُرِيدُ: قُرْبَ عِلْمِهِ مِنْهُ وَتَعَلُّقَهُ بِالْأَحْوَالِ حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، فَكَأَنَّ ذَاتَهُ قَرِيبَةٌ مِنْهُ ﴿وَحَبْلُ الْوَرِيدِ﴾ مَثَلٌ فِي فَرْطِ الْقُرْبِ، كَمَا قَالُوا: هُوَ مِنِّي مَعْقَدُ الْعِذَارِ، وَالْحَبْلُ: الْعِرْقُ، وَالْوَرِيدَانِ: عِرْقَانِ مَكْتَفَانِ بِصَفْحَتَيْ الْعُنُقِ فِي مَقَدِّمِهَا يَتَّصِلَانِ بِالْوَتَيْنِ يَرْدَانِ مِنَ الرَّأْسِ إِلَيْهِ.

﴿إِذْ﴾ مَنْصُوبٌ بـ ﴿أَقْرَبُ﴾ وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ سَبْحَانَهُ يَعْلَمُ خَطَرَاتِ النَّفْسِ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ حِينَ ﴿يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أَيِ: الْمَكَانِ الْحَافِظَانِ يَأْخُذَانِ مَا يَتَلَفَّظُ بِهِ، وَهَذَا إِيْذَانٌ بِاسْتِغْنَائِهِ عَزَّاسْمُهُ عَنْ أَسْتِحْفَاطِ الْمَلَائِكِينَ، إِذْ هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى أَخْفَى الْخَفِيَّاتِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ تَقْتَضِيهِ، وَهِيَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ زِيَادَةِ اللَّطْفِ فِي أَنْتِهَاءِ الْعِبَادِ عَنِ الْقَبَائِحِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْعِبَادَاتِ، وَالتَّلَقِّي: التَّلَقُّنُ، وَالْقَعِيدُ: الْقَاعِدُ كَالْجَلِيسِ، وَتَقْدِيرُهُ: عَنِ الْيَمِينِ قَعِيدٌ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ مِنَ الْمُتَلَقِّيَيْنِ، فَتَرَكَ أَحَدَهُمَا لِدَلَالَةِ الثَّانِي عَلَيْهِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا وَمِنْ جَوْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي ^(١)
﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ﴾ مَلِكٌ يَرْقُبُ عَمَلَهُ ﴿عَتِيدٌ﴾ حَاضِرٌ مَعَهُ.

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ عَلَى يَمِينِ الرَّجُلِ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ عَلَى يَسَارِهِ، وَصَاحِبُ الْيَمِينِ أَمِيرٌ عَلَى صَاحِبِ الشَّمَالِ، فَإِذَا عَمَلَ حَسَنَةً كَتَبَهَا مَلِكُ الْيَمِينِ عَشْرًا، وَإِذَا عَمَلَ سَيِّئَةً قَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ لَصَاحِبِ الشَّمَالِ: دَعُهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ لَعَلَّهُ يُسَبِّحُ أَوْ يَسْتَغْفِرُ» ^(٢).

→ لبيد بن ربيعة العامري: ص ١٤١.

(١) البيت لابن أحرر، وقيل: للأزرق بن طرفة الفراءسي، يقول: رماني بأمر عاد إليه قبحه لأن الذي يرمي من جول البئر يعود ما رمى به عليه. أنظر لسان العرب: مادة «جول».

(٢) أخرجه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٢٢٣ عن أبي أمامة.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: شدته الذاهبة بالعقل، والباء في ﴿بِالْحَقِّ﴾ للتعدية، أي: وأحضرت شدة الموت حقيقة الأمر من السعادة أو الشقاوة، وقيل: بالحق الذي خلق له الإنسان^(١)، ويجوز أن يكون الباء مثلها في قوله: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾^(٢) أي: جاءت ملتبسة بالحق أي: بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغرض الصحيح، وقرئ: «سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ»^(٣) ورؤي ذلك عن أئمتنا عليهم السلام^(٤)، أُضِيفَتْ «السَّكْرَةُ» إلى «الحق» دلالة على أنه السَّكْرَةُ المكتوبة على الإنسان، وأنها حكمة، والباء للتعدية؛ لأنها سبب زهوق الروح لشدتها، أو: لأن الموت يعقبها، فكانها جاءت به، ويجوز أن يكون المعنى: جاءت ومعه الموت، وقيل: سَكْرَةُ الْحَقِّ: سَكْرَةُ اللَّهِ أُضِيفَتْ إِلَيْهِ تَعْظِيماً وَتَفْظِيحاً لَشَأْنِهَا^(٥) ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الموت، والخطاب للإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ على طريق الالتفات، أو: إلى الحق، والخطاب للفاجر ﴿تَحِيدُ﴾ أي: تهرب وتنفّر، ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى مصدر ﴿نُفَخَ﴾ أي: وقت ذلك يوم الوعيد فحذف المضاف.

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ

(١) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٤٥.

(٢) المؤمنون: ٢٠.

(٣) وهي قراءة أبي بكر وابن مسعود. راجع التبيان: ج ٩ ص ٣٦٥.

(٤) أنظر المصدر السابق. (٥) حكاها الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٤١٨.

بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ
الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْبَعِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ
وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا
تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ
مُنِيبٍ (٣٣) أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا
وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) ﴿

﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾ من الملائكة يحثُّها على السير إلى الحساب ﴿وَشَهِيدٌ﴾ منهم
أيضاً يشهدُ عليها بما يعلمُ من حالها، و ﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾ في موضع الحال من ﴿كُلُّ﴾
لتعرِّفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة، أي: يقالُ له: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ
هَذَا﴾ اليوم في الدنيا، وجُعِلَتِ الغفلة كأنَّها غطاءٌ لكَ وَغِشَاوَةٌ لِّعَيْنِكَ ﴿فَكَشَفْنَا
عَنكَ﴾ الغطاءَ وزَالَتْ عَنْكَ الغفلة فَرَجَعَ ﴿بَصْرُكَ﴾ الكليلُ عن الإبصارِ حَدِيداً
لَتَيَقُظْهُ.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ وهو الشَّيْطَانُ الَّذِي قِيضَ لَهُ فِي قَوْلِهِ سبحانه: ﴿نُقِضَ لَهُ
شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(١) وقيل: هو الْمَلَكُ الشَّهِيدُ عَلَيْهِ^(٢) وهو الْمَرْوِيُّ
عَنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: إنَّ كَانَ الْمُرَادُ بِالْقَرِينِ الشَّيْطَانُ فالمعنى: هذا
شيءٌ لَدَيَّ وفي مِلْكِي عَتِيدٌ لِّجَهَنَّمَ أَعْتَدْتُهُ وَهَيَّأْتُهُ لَهَا بِإِغْوَائِي وَإِضْلَالِي، وَإِنْ كَانَ
الْمُرَادُ الْمَلَكُ فالمعنى: هذا شيءٌ حَاضِرٌ عِنْدِي مِنْ عَمَلِهِ كَتَبْتُهُ عَلَيْهِ إِذْ وَكَّلْتَنِي بِهِ،
يَقُولُ اللَّهُ سبحانه، و ﴿مَا﴾ مَوْصُوفَةٌ و ﴿عَتِيدٌ﴾ صِفَةٌ لَهَا، وَإِنْ جَعَلْتَهَا مَوْصُوفَةً
فـ ﴿عَتِيدٌ﴾ بَدَلٌ أَوْ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ أَوْ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ.

(١) الزخرف: ٣٦.

(٢) قاله الحسن وقتادة. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٣٥٠.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ خِطَابٌ مِنْ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ السَّائِقِ وَالشَّهِيدِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خِطَاباً لِلوَاحِدِ بَأَنْ يُنْزَلَ تَثْنِيَةُ الْفَاعِلِ مَنْزِلَةً تَثْنِيَةُ الْفِعْلِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَلْقِ الْقِي، أَوْ: لِأَنَّ الْعَرَبَ أَكْثَرُ مَا يُرَافِقُ الرَّجُلَ مِنْهُمْ اثْنَانِ فَكَثُرَ عَلَى السُّنَنِ أَنْ يَقُولُوا: «يَا صَاحِبَيَّ» وَ «خَلِيلَيَّ» وَ «قِفَا» حَتَّى خَاطَبُوا الْوَاحِدَ خِطَابَ الْاِثْنَيْنِ، كَمَا وَرَدَ عَنِ الْحَجَّاجِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: يَا حَرَسِي اضْرِبَا عُنُقَهُ، أَوْ: يَكُونُ الْأَلْفُ بَدَلاً مِنَ التَّوْنِ الْخَفِيفَةِ لِلتَّأْكِيدِ إِجْرَاءً لِلْوَصْلِ مَجْرَى الْوَقْفِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللَّهُ لِي وَلِعَلِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلْقِيَا فِي النَّارِ مَنْ أَبْغَضَكُمَا، وَأَدْخِلَا الْجَنَّةَ مَنْ أَحَبَّكُمَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ أَسْمُهُ: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(١). وَالْعَنِيدُ: الْمَعَانِدُ، الْمَجَانِبُ لِلْحَقِّ، الْمَعَادِي لِأَهْلِهِ.

﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ كَثِيرُ الْمَنَعِ لِلْمَالِ عَنْ حَقُّوقِهِ، أَوْ: مَنَاعٌ لِجِنْسِ الْخَيْرِ أَنْ يَصِلَ إِلَى أَهْلِهِ، يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، قِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُهَاجِرَةِ حِينَ اسْتَشَارَهُ بَنُو أَخِيهِ فِي الْإِسْلَامِ فَمَنَعَهُمْ^(٢) ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظَالِمٍ مُتَعَدٍّ لِلْحَقِّ ﴿مُريبٍ﴾ شَاكٍّ فِي اللَّهِ وَفِي دِينِهِ، وَقِيلَ: مَتَّهِمْ بِفِعْلٍ مَا يُرْتَابُ بِفِعْلِهِ مِثْلُ الْمَلِيمِ^(٣) ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ مَبْتَدَأٌ مُضْمَنٌ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَخَبَرُهُ: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلاً مِنْ ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ وَيَكُونُ ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ تَكْريراً لِلتَّأْكِيدِ.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أَي: مَا جَعَلْتُهُ طَاغِيًا، وَمَا أَوْقَعْتُهُ فِي الطُّغْيَانِ،

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ الْحَسْكَانِيُّ فِي شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ: ج ٢ ص ٢٦١ ج ٨٩٥ وَمِنْ طَرِيقٍ آخَرَ أَيْضاً عَنْهُ فِي ص ٢٦٤ ح ٨٩٦، وَابْنُ الْمَغَازَلِيِّ الشَّافِعِيُّ فِي الْمَنَاقِبِ: ص ٤٢٧، وَالشَّيْخُ الطُّوسِي فِي الْأُمَالِي: ج ١ ص ٢٩٦، وَفَرَاتُ الْكُوفِيِّ فِي التَّفْسِيرِ: ص ١٦٧.

(٢) وَهُوَ قَوْلُ الضَّحَّاكِ. رَاجِ تَفْسِيرَ الْمَاورِدِيِّ: ج ٥ ص ٣٥٢.

(٣) حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ٥ ص ٣٥١.

ولكنه طغى وأختار الضلال على الهدى، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَنِ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾^(١). ﴿قَالَ﴾ أي: يقول الله عز اسمه لهم: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أي: لا يخاصم بعضكم بعضاً عندي في دار الجزاء فلا فائدة في اختصاصكم ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ على السنة رُسلي، ثم قال: لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعدني لكم في تكذيب رُسلي ومخالفة أمري بغيره ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ في عقابي^(٢)، ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب القبائح، والباء في ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ مَزِيدَةٌ، مثلها في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٣) أو متعديّة إن كان «قَدَّمَ» بمعنى «تَقَدَّمَ»، والجملة التي هي: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ وَقَعَتْ مَوْجِعَ الْحَالِ مِنْ ﴿لَا تَخْتَصِمُوا﴾، بمعنى: وَقَدْ صَحَّ عِنْدَكُمْ أَنِّي قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ.

﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ قُرئ بالنون والياء^(٤)، وَأَنْتَصَبَ ﴿يَوْمَ﴾ بـ ﴿ظَلَمَ﴾ أو بـ ﴿نُفَخَ﴾ وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل^(٥) الذي يُقصدُ به تصوّر المعنى في القلب، وفيه معنيان: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ تَمَتَّلَىٰ مَعَ تَبَاعُدِ أَطْرَافِهَا حَتَّى لَا يُزَادَ عَلَىٰ أَمْتِلَائِهَا، والثاني: أَنَّهَا مِنَ السَّعَةِ بِحَيْثُ يَدْخُلُهَا مَنْ يَدْخُلُهَا وَفِيهَا مَوْضِعٌ لِلْمَزِيدِ،

(١) ابراهيم: ٢٢. (٢) في بعض النسخ: «عقابهم».

(٣) البقرة: ١٩٥.

(٤) وبالياء هي قراءة نافع وعاصم برواية أبي بكر عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٠٧.

(٥) ومثله في الأدب الانساني كثير كقول الشاعر:

امتلاً الحوضُ وقالَ قِطْنِي

وفي الشعر الفارسي كقوله في المثنوي:

دوزخ است اين نفس و دوزخ اژدهاست

عالمی را لقمه کرد و درکشید

مهلاً رویداً قد ملأت بطني

كو بدريها نگردهد كم و كاست

معهدهاش نعره زنان هل من مزید

والمزید: مَصْدَرٌ كالمَجِيدِ، أو: اسمٌ مفعولٍ كالمَبِيعِ. ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ
أَي: مَكَانًا غَيْرَ بَعِيدٍ، أو عَلَى الْحَالِ، وَإِنَّمَا ذُكِّرَ لِأَنَّهُ عَلَى زِنَةِ الْمَصْدَرِ، وَالْمَصَادَرُ
يَسْتَوِي فِي الْوَصْفِ بِهَا الْمَذَكَّرُ وَالْمَوْثُوثُ، أو: عَلَى حَذْفِ الْمَوْصُوفِ أَي: شَيْئًا غَيْرَ
بَعِيدٍ، وَمَعْنَاهُ التَّوَكِيدُ كَمَا تَقُولُ: هُوَ قَرِيبٌ غَيْرُ بَعِيدٍ.

﴿هَذَا مَا تُوعِدُونَ﴾ جُمْلَةٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿الْمُتَّقِينَ﴾
بِتَكَرُّرِ الْجَارِّ، و ﴿هَذَا﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الثَّوَابِ أو إِلَى مَصْدَرٍ ﴿أُزِلَّتْ﴾، و «الْأَوَّابُ»:
الثَّوَابُ الرَّجَاءُ إِلَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَالْحَفِيزُ: الْحَافِظُ لِحُدُودِهِ. ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾
بَدَلٌ بَعْدَ بَدَلٍ تَابِعٌ لـ ﴿كُلِّ﴾ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا عَنْ مَوْصُوفٍ ﴿أَوَّابٍ﴾ و
﴿حَفِيزٍ﴾، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي حُكْمِ ﴿أَوَّابٍ﴾ و ﴿حَفِيزٍ﴾ لِأَنَّ «مَنْ» لَا
يُوصَفُ بِهِ، وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَوْصُولَاتِ إِلَّا بِـ ﴿الَّذِي﴾ وَحْدَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ مَبْتَدَأً وَخَبَرُهُ يُقَالُ لَهُمْ: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ لِأَنَّ «مَنْ» فِي مَعْنَى الْجَمْعِ،
و ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حَالٌ مِنَ الْمَفْعُولِ أَي: خَشِيَهُ وَهُوَ غَائِبٌ، أو: صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ «خَشِيَهُ»
أَي: خَشِيَهُ خَشِيَةً مُلْتَبِسَةً بِالْغَيْبِ حَتَّى خَشِيَ عِقَابَهُ وَهُوَ غَائِبٌ، أو: مِنَ الْفَاعِلِ أَي:
وَهُوَ فِي الْخُلُوعِ حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ،
يُقَالُ لَهُمْ: أَدْخُلُوهَا سَالِمِينَ مِنَ الْعَذَابِ، أو: مُسَلِّمًا عَلَيْكُمْ بِسَلَامِ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
عَلَيْكُمْ ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ﴾ تَقْدِيرُ ﴿الْخُلُودِ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(١) أَي:
مَقْدَرِينَ الْخُلُودَ ﴿وَلَهُمْ مَا﴾ يُرِيدُونَ وَمَا يَشْتَهُونَ مِنْ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ
﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ عَلَى ﴿مَا يَشَاءُونَ﴾ هُ مَّا لَمْ يَخْطُرْ بِأَلْهِم وَلَمْ تَبْلُغْهُ أَمَانِيَّتُهُمْ،
أو: ﴿مَزِيدٌ﴾ عَلَى قَدَرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ (٤٠) وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مَن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥) ﴿

﴿فَنَقَّبُوا﴾ أي: فَتَحُوا الْمَسَالِكَ ﴿فِي الْبِلَادِ﴾، من النَّقَبِ وهو الطَّرِيقُ، والمعنى: دَوَّخُوا الْبِلَادَ وَتَقَرَّوْا عَنْ أُمُورِهَا، قَالَ حَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ:

نَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ وَجَالُوا فِي الْأَرْضِ كُلَّ مَجَالٍ^(١) وَالْفَاءُ لِلتَّسْبِيحِ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أي: شِدَّةُ بَطْشِهِمْ أَقْدَرَتْهُمْ عَلَى التَّنْقِيبِ وَقَوَّتَهُمْ عَلَيْهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: فَتَقَبَّ أَهْلُ مَكَّةَ فِي بِلَادِ تِلْكَ الْقُرُونِ فَهَلْ رَأَوْا لَهُمْ مَحِيصًا مِنْ اللَّهِ أَوْ مِنَ الْمَوْتِ حَتَّى يَأْمَلُوا مِثْلَهُ لِنَفْسِهِمْ؟

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ أي: تَذَكُّرٌ وَأَعْتِبَارٌ ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ وَاع، لِأَنَّ مَنْ لَا يَعِي قَلْبُهُ فَكَأَنَّهُ بِلَا قَلْبٍ، وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: الْقَلْبُ هُنَا الْعَقْلُ^(٢) ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ بَأَنْ يُضْغِي وَيَسْتَمِعُ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حَاضِرٌ بِفِطْنَتِهِ، لِأَنَّ مَنْ لَا يَحْضُرُ ذَهْنُهُ

(١) كَذَا تَبَعًا لِلْكَشَافِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ، وَلَمْ نَجِدْهُ فِي دِيَوَانِهِ الْمَطْبُوعِ فِي دَارِ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ - لُبْنَانِ .
(٢) تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ: ص ٤٤٠ .

فهو كَالْغَائِبِ، أَوْ: وَهُوَ مُؤْمِنٌ شَاهِدٌ عَلَى صَحَّتِهِ وَأَنَّهُ وَخِيٌّ مِنْ اللَّهِ.
وَاللُّغُوبُ: النَّصَبُ وَالْإِغْيَاءُ، أَكْذَبَ اللَّهُ تَعَالَى الْيَهُودَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ
لُغُوبٍ﴾ حَيْثُ قَالُوا: اسْتَراحَ اللَّهُ يَوْمَ السَّبْتِ! ﴿فَاصْبِرْ عَلَى﴾ مَا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ
مِنْ إِنْكَارِ الْبَعْثِ وَتَكْذِيبِكَ، وَأَحْتَمِلْ ذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِالْفَرَجِ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ﴾ التَّسْبِيحُ: مُحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ وَعَلَى الصَّلَاةِ، فَالصَّلَاةُ ﴿قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ﴾ صَلَاةُ الصُّبْحِ ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ﴾ الْعِشَاءِ يَنْ،
وَقِيلَ: صَلَاةُ اللَّيْلِ ^(١) فَيَدْخُلُ فِيهَا الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ، ﴿وَأَذْبَرَ السُّجُودِ﴾ التَّسْبِيحُ
فِي أَعْقَابِ الصَّلَوَاتِ، وَالسُّجُودُ وَالرُّكُوعُ قَدْ يَعْبَرُ بِهِمَا عَنِ الصَّلَاةِ، وَقِيلَ: التَّوَافُلُ
بَعْدَ الْمَغْرِبِ ﴿وَأَذْبَرَ النُّجُومِ﴾ الرَّكَعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ^(٢). وَرُوي: «أَنَّ مَنْ
صَلَّاهَا بَعْدَ الْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ كُتِبَتْ صَلَاتُهُ فِي عِلِّيِّينَ» ^(٣). وَالْأَذْبَارُ: جَمْعُ دُبُرٍ،
وَقُرِئَ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ ^(٤)، مِنْ أَذْبَرَتِ الصَّلَاةُ: إِذَا انْقَضَتْ وَتَمَّتْ، وَالْمَعْنَى: وَقْتَ
انْقِضَاءِ السُّجُودِ، كَمَا يَقَالُ: آتَيْكَ خُفُوقَ النَّجْمِ.

﴿وَأَسْتَمِعْ﴾ لِمَا أَخْبَرَكَ بِهِ مِنْ حَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَفِيهِ تَهْوِيلٌ لِسَانِ الْمُخْبِرِ بِهِ،
وَأَنْتَصَبَ ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ أَي: يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي
يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَ ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾، وَالْمُنَادِي:
إِسْرَافِيلُ، يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَيُنَادِي: أَيُّهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ وَالْأَوْصَالُ الْمَنْقُطَةُ وَاللُّحُومُ

(١) قاله مجاهد. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٣٥٧.

(٢) وهو قول أبي هريرة وابن عباس والشعبي وإبراهيم ومجاهد والحسن وقتادة وروي عن
علي والحسن عليهما السلام، وابن عباس عن النبي ﷺ. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٤٣٦ -

٤٣٧، وسنن الترمذي: ج ٥ ص ٣٩٢ ح ٣٢٧٥.

(٣) رواه القرطبي في تفسيره: ج ١٧ ص ٢٥ عن أنس عن النبي ﷺ.

(٤) قرأه ابن كثير ونافع وحزمة. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٠٧.

الْمَتَمَرِّقَةُ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَجْتَمِعْنَ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ. ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ مِنْ صَخْرَةٍ
يَبُتُّ الْمَقْدِسِ، وَهِيَ أَقْرَبُ الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ، وَ ﴿الصَّيْحَةُ﴾ هِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ
﴿بِالْحَقِّ﴾ يَتَعَلَّقُ بِـ ﴿الصَّيْحَةِ﴾ وَالْمُرَادُ بِهِ الْبَعْثُ وَالْحَشْرُ لِلْجَزَاءِ ﴿ذَلِكَ يَوْمُ
الْخُرُوجِ﴾ مِنَ الْقُبُورِ إِلَى أَرْضِ الْمَوْقِفِ. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي﴾ الْخَلْقَ وَنُمِيتُهُمْ بَعْدَ
الْحَيَاةِ ﴿وَالِنَا الْمَصِيرُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقُرِئَ: ﴿تَشَقَّقُ﴾ بِإِذْغَامِ التَّاءِ فِي الشَّيْنِ وَبِحَذْفِ التَّاءِ ^(١) أَي: تَتَصَدَّعُ
﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ فَيَخْرُجُونَ عَنْهَا ﴿سِرَاعًا﴾ بِلَا تَأْخِيرٍ، وَهُوَ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ
الْمَجْرُورِ فِي ﴿عَنْهُمْ﴾، وَالْحَشْرُ: الْجَمْعُ بِالسُّوقِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ﴿عَلَيْنَا يَسِيرُ﴾ تَقْدِيمُ
الظَّرْفِ يَدُلُّ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ، يَعْنِي: لَا يَتَيَسَّرُ مِثْلُ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ إِلَّا عَلَى
الْقَادِرِ بِالذَّاتِ الَّذِي لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تَهْدِيدٌ لَهُمْ وَتَسْلِيَةٌ لِنَبِيِّنَا ﷺ ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِجَبَّارٍ﴾ أَي: مُتَسَلِّطٌ تُجْبِرُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ إِنَّمَا أَنْتَ دَاعٍ وَمُنْذِرٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَسْتُ
عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ﴾ ^(٢) يَقَالُ: جَبَرَهُ وَأَجْبَرَهُ عَلَى الْأَمْرِ، وَ«عَلَى» بِمَثَلِهِ فِي قَوْلِكَ:
هُوَ عَلَيْهِمْ: إِذَا كَانَ وَالِيَهُمْ وَمَالِكُ أَمْرِهِمْ ﴿مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ
مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ ^(٣) خَصَّ التَّذْكِيرَ بِهِمْ لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا فِيهِمْ.



(١) أَي: تَشَقَّقُ، وَأَصْلُهَا: تَشَقَّقُ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَنَافِعِ وَابْنِ عَامِرٍ. رَاجِعِ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ.

(٢) الْغَاشِيَةُ: ٢٢.

(٣) النَّازِعَاتُ: ٤٥.

سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ

مَكِّيَّةٌ^(١) وَهِيَ سِتُّونَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الذَّارِيَّاتِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ

كُلِّ رِيحٍ هَبَّتْ وَجَرَتْ فِي الدُّنْيَا»^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَمَنْ قَرَأَهَا فِي يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ مَعِيشَتَهُ، وَآتَاهُ

بِرِزْقٍ وَاسِعٍ، وَنَوَّرَ لَهُ فِي قَبْرِهِ بِسَرَّاجٍ يَزْهَرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَّتِ ذَرَوَا (١) فَالْحَمِلَتِ وَقُرَا (٢) فَالْجَرِيَّتِ يُسْرَا (٣)
فَالْمُقْسِمَتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَقِعُ (٦)
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِّكَ (٩) قَتَلَ الْخَرَّصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ
أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٩ ص ٣٧٨: مَكِّيَّةٌ بِإِخْلَافٍ، وَهِيَ سِتُّونَ آيَةً بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٣٩٤: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّاتُهَا (٦٠) نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَحْقَافِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٤٠٧ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٣.

الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) ﴿

﴿الذَّارِيَّتِ﴾ الرِّيحُ، لَأَنَّهَا تَذَرُو التُّرَابَ ^(١) وَغَيْرَهُ، كَمَا يَقَالُ: ﴿تَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾ ^(٢) وَقُرِئَ بِإِذْغَامِ النَّاءِ فِي الذَّالِ ^(٣). ﴿فَالْحَمِلَتِ وَقَرَأَ﴾ هِيَ السَّحَابُ تَحْمِلُ الْمَطَرَ. ﴿فَالْجَرِيَّتِ﴾ هِيَ السُّفُنُ ﴿يُسْرَأُ﴾ أَي: جَزِيًّا ذَا يُسْرِ وَسُهُولَةٍ. ﴿فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا﴾ هِيَ الْمَلَائِكَةُ تُقَسِّمُ الْأُمُورَ مِنَ الْأَمْطَارِ وَالْأَرْزَاقِ وَغَيْرِهَا، أَوْ: تَفْعَلُ التَّقْسِيمَ مَأْمُورَةٌ بِذَلِكَ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ مَرْوِيٌّ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّهِ ^(٤) وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ ^(٥)، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: تَتَوَلَّى الْمَلَائِكَةُ تَقْسِيمَ أَمْرِ الْعِبَادِ: جَبْرِئِيلُ لِلْغُلْظَةِ، وَمِيكَائِيلُ لِلرَّحْمَةِ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ، وَإِسْرَافِيلُ لِلنَّفْخِ، وَقَدْ حُمِلَتْ عَلَى الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ ^(٦).

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَبَدِيعِ حِكْمَتِهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ. وَعَنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُقْسِمَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَهُ عَزَّ أَسْمُهُ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ» ^(٧). وَجَوَابُ الْقَسَمِ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾، وَ«مَا» مَوْضُوعَةٌ أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ، وَالْمَوْعُودُ: الْبَعْثُ ﴿لَصَادِقٌ﴾ أَي: ذُو صِدْقٍ كـ ﴿عِيشَةِ رَاضِيَةٍ﴾ ^(٨). وَ﴿الَّذِينَ﴾ الْجَزَاءُ ﴿لَوَاقِعُ﴾ أَي: حَاصِلٌ كَائِنٌ. وَ﴿الْحُبُّكَ﴾ الطَّرَائِقُ مِثْلُ حُبِّكَ الرَّمْلِ وَالْمَاءِ: إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ، وَكَذَلِكَ: حُبُّكَ الشَّعْرَ: آثَارُ تَشْيِهِ وَتَكَسُّرِهِ، وَالذَّرْعُ مَحْبُوكَةٌ لِأَنَّ حَلْقَهَا مُطَرَّقٌ بِطَرَائِقٍ، وَعَنْ الْحَسَنِ: حُبُّكَهَا:

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «السَّحَابُ». (٢) الْكُهْفُ: ٤٥.

(٣) أَيِ النَّاءِ مِنْ «الذَّارِيَّتِ» فِي الذَّالِ مِنْ «ذَرَوْا» وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْزَةٍ وَأَبْيَ عَمْرُو. رَاجِعِ التَّذَكُّرَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ لِابْنِ غَلْبُونِ: ج ٢ ص ٦٩٣.

(٤) تَفْسِيرُ الْقَمِي: ج ٢ ص ٣٣٦، تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ: ج ١١ ص ٤٤٢ - ٤٤٣.

(٥) تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ: ص ٤٤٠. (٦) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ: ص ٦١٧.

(٧) رَوَاهُ الشَّيْخُ فِي التَّبْيَانِ: ج ٩ ص ٣٧٩ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٨) الْحَاقَّةُ: ٢١، الْقَارِعَةُ: ٧.

نُجُومُهَا^(١)، وعن عليٍّ عليه السلام : حُسْنُهَا وَزِينَتُهَا^(٢) . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ النُّجُومُ تُزَيِّنُهَا كَمَا تُزَيِّنُ الْمُوشَى طَرَائِقُ الْوَشْيِ، وَهِيَ جَمْعُ حَبَاكٍ، كـ «حِمَالٍ» و «مُثَلٍ»، وَحَبِيكَةٌ كـ «طَرِيقَةٍ».

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ هُوَ قَوْلُهُمْ فِي الرَّسُولِ عليه السلام : شَاعِرٌ وَسَاحِرٌ وَمَجْنُونٌ، وَفِي الْقُرْآنِ : إِنَّهُ سِحْرٌ وَكَهَانَةٌ وَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَعَنْ قَتَادَةَ : مِنْكُمْ مُصَدِّقٌ وَمُكَذِّبٌ، وَمُقَرَّرٌ وَمُنْكَرٌ^(٣) .

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾ الضَّمِيرُ لِلرَّسُولِ أَوْ الْقُرْآنِ، أَي : يُصَرَفُ عَنْهُ مَنْ صُرِفَ الصَّرْفَ الَّذِي لَا صَرْفَ أَشَدُّ مِنْهُ وَأَعْظَمُ، كَقَوْلِهِ عليه السلام : «لَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ»^(٤) . وَقِيلَ : يُصَرَفُ عَنْهُ مَنْ هُوَ مَصْرُوفٌ عَنِ الْخَيْرِ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ^(٥) . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لـ ﴿مَا تُوْعَدُونَ﴾ وَمَعْنَاهُ : يُؤْفَكُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِأَمْرِ الْقِيَامَةِ مَنْ هُوَ الْمَافُوكُ.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ، وَأَصْلُهُ : الدُّعَاءُ بِالْقَتْلِ وَالْهَلَاكِ، ثُمَّ أُجْرِيَ مَجْرَى : لَعَنَ وَقَبَّحَ، أَي : لَعِنَ الْكَذَّابُونَ الْمَقْدَرُونَ مَا لَا يَصِحُّ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْقَوْلِ الْمُخْتَلَفِ. وَاللَّامُ إِشَارَةٌ إِلَيْهِمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ : قُتِلَ هَؤُلَاءِ الْخَرَّاصُونَ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ أَي : جَهْلٍ يَغْمُرُهُمْ ﴿سَاهُونَ﴾ غَافِلُونَ عَمَّا أُمِرُوا بِهِ. ﴿يَسْتَلُونَ﴾ فَيَقُولُونَ : ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أَي : مَتَى يَوْمُ الْجَزَاءِ؟ وَمَعْنَاهُ : أَيَّانَ وَقُوعُ يَوْمِ الدِّينِ؟ ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أَي : يُخْرَقُونَ وَيُعَذَّبُونَ، وَمِنْهُ : الْفَتَيْنِ، وَهِيَ

(١) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٣٠١.

(٢) حكاه عنه عليه السلام الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٣٦٢.

(٣) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٣٦٣.

(٤) أخرجه أحمد في المسند: ج ١ ص ٢٧٩ عن ابن عباس .

(٥) حكاه السمرقندي في تفسيره: ج ٣ ص ٢٧٦ .

الْحَرَّةُ لَأَنَّ حَجَارَتَهَا كَانَتْهَا مُخْرَقَةً، و ﴿يَوْمٌ﴾ يجوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْتُوحاً لِإِضَافَتِهِ إِلَى غَيْرِ مُتَمَكِّنٍ، فَيَكُونُ مَحَلُّهُ رَفْعاً عَلَى: هُوَ يَوْمٌ هُمْ... يُفْتَتُونَ، أَوْ: نَضْباً بِفِعْلِ مُضْمَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ السُّؤَالُ، أَي: يَقَعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْضُوباً فِي الْأَصْلِ بِالْمُضْمَرِ الَّذِي هُوَ «يَقَعُ».

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ فِي مَحَلِّ الْحَالِ، أَي: مَقُولاً لَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ ﴿هَذَا﴾ مَبْتَدَأٌ وَ﴿الَّذِي﴾ خَبَرُهُ، أَي: هَذَا الْعَذَابُ هُوَ الَّذِي ﴿كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (١٥) ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣)

﴿ءَاخِذِينَ﴾ أَي: قَابِلِينَ مَا أَعْطَاهُمْ ﴿رَبُّهُمْ﴾ مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ، رَاضِينَ بِهِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ ﴿مُحْسِنِينَ﴾ قَدْ أَحْسَنُوا أَعْمَالَهُمْ. وَتَفْسِيرُ إِحْسَانِهِمْ مَا بَعْدَهُ، وَ«مَا» مَزِيدَةٌ أَي: كَانُوا يَهْجَعُونَ فِي زَمَانٍ قَلِيلٍ مِنَ اللَّيْلِ إِنْ جُعِلَتْ ﴿قَلِيلاً﴾ ظَرْفاً، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِّلْمُضَدَّرِ أَي: هُجُوعاً قَلِيلاً. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مَا» مَصْدَرِيَّةً أَوْ مَوْضُوعَةً عَلَى: كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ هُجُوعُهُمْ، أَوْ: مَا يَهْجَعُونَ فِيهِ هُجُوعاً، فَيَكُونُ فَاعِلَ ﴿قَلِيلاً﴾ وَفِيهِ ضَرْوبٌ مِنَ الْمَبَالِغَةِ بِلَفْظِ: «الْهُجُوعُ» وَهُوَ الْفِرَارُ مِنَ النَّوْمِ، قَالَ:

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمَ نَوْماً غَيْرَ تَهْجَاعٍ^(١)

(١) لأبي قيس بن الأسلت من أبيات له في الفخر والحماسة يقول: قد حلفت البيضة - وهي ←

وقوله: ﴿قَلِيلًا﴾ و ﴿مِنْ أَلِيلٍ﴾ وزيادة ﴿مَا﴾ المؤكدة لذلك، أي: يُحْيُونَ اللَّيْلَ مُتَهَجِّدِينَ فَإِذَا سَحَرُوا أَخَذُوا فِي الاستغفار، كَانَتْهُمْ أَسْلَفُوا فِي لَيْلِهِمُ الْجَرَائِمُ، وقوله: ﴿هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فيه: أَنَّهُمْ هُمُ الْمُخْتَصُّونَ بالاستغفار لِاسْتِدَامَتِهِمْ لَهُ. السَّائِلُ: هُوَ الْمُسْتَجِدِّي، وَالْمَحْرُومُ: الَّذِي يُخْسَبُ غَنِيًّا فَيَحْرُمُهُ النَّاسُ لِتَعَفُّفِهِ. وعن النبي ﷺ: لَيْسَ الْمُسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ الْأَكْلَةُ وَالْأَكْلَتَانِ وَالتَّمَرَةُ وَالتَّمَرَتَانِ، قَالُوا: فَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَجِدُ وَلَا يُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ^(١). وقيل: هُوَ الْمُحَارِفُ الَّذِي لَا يَنْمِي لَهُ مَالٌ^(٢).

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ دَلَالَاتٌ دَالَّةٌ عَلَى الصَّانِعِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَبَدَائِعِ حِكْمَتِهِ بِمَا فِيهَا مِنَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَأَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ، بِالثَّمَرِ الْمُخْتَلَفِ أَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا، الْمُوَافِقَةِ لِحَوَائِجِ سَاكِنِيهَا وَمَنَافِعِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، وَمَا أُنبِتَ فِي أَقْطَارِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ الصُّورِ وَالْأَشْكَالِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾ الْمُوَحِّدِينَ النَّاظِرِينَ الْمُتَأَمِّلِينَ بِبَصَائِرِهِمْ. ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ فِي مَبْتَدَأِ أَحْوَالِهَا وَتَقْلِيلِهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَمَا رُكِّبَ فِي ظَوَاهِرِهَا وَبَوَاطِنِهَا مِنْ عَجَائِبِ الْفَطْرِ وَبَدَائِعِ الْحَكَمِ مَا تُحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ، وَحَسْبُكَ بِالْقُلُوبِ وَمَا ذُكِرَ فِيهَا مِنْ لَطَائِفِ الْمَعَانِي، وَبِالْأَلْسِنِ وَالنُّطْقِ وَمَخَارِجِ الْحُرُوفِ، وَبِالصُّورِ وَالطَّبَائِعِ وَالْأَلْوَانِ وَاخْتِلَافِهَا فِي كُلِّ إِنْسَانٍ، وَبِالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ، وَمَا رُتِّبَ فِيهَا مِنْ فُنُونِ الْحِكْمَةِ:

→ ما تلبس على الرأس في الحرب - شعر رأسي من دوام لبسها، والتهجاع: التغافل قليلاً لطرْد النوم. راجع شرح شواهد الكشف: ص ١٨١.

(١) أخرجه أحمد في المسند: ج ٢ ص ٣٩٣ و ٤٥٧ عن أبي هريرة.

(٢) قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك. راجع التبيان: ج ٩ ص ٣٨٤.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ^(١)

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ وهو المَطَرُ لَأَنَّهُ سَبَبُ الْأَقْوَاتِ ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرَادَ: مَا تُرْزَقُونَهُ فِي الدُّنْيَا وَمَا تُوعَدُونَهُ فِي الْعُقْبَى، كُلُّهُ مَقْدَرٌ مَكْتُوبٌ فِي السَّمَاءِ. ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ وَقُرِئَ: «مِثْلُ» بِالرَّفْعِ^(٢) صِفَةً لِـ ﴿لِحَقٍّ﴾ أَيِ: حَقٍّ مِثْلَ نُطْقِكُمْ، وَبِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ: حَقٌّ حَقًّا مِثْلَ نُطْقِكُمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَتْحًا لِإِضَافَتِهِ إِلَى غَيْرِ مَتَمَكِّنٍ. وَ﴿مَا﴾ مَزِيدَةٌ بِنَصِّ الْخَلِيلِ^(٣) وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ: إِنَّ هَذَا لِحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ تَرَى وَتَسْمَعُ، وَمِثْلُ مَا أَنَّكَ هَا هُنَا، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿إِنَّهُ﴾ لِمَا ذَكَرَ مِنَ الْآيَاتِ وَالرِّزْقِ، أَوْ: لِلنَّبِيِّ ﷺ، أَوْ: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ فِي صِدْقِهِ وَتَحَقُّقِهِ كَالَّذِي تَعْرِفُهُ ضَرُورَةً.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِنِعْمٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ

(١) لأبي العتاهية من أبيات له قالها ردًّا على مَنْ رماه بالزندقة، وهي:

أَلَا إِنَّنَا كُلُّنَا بَائِدٌ	وَأَيُّ بَنِي آدَمَ خَالِدٌ
وَبَدْوُهُمْ كَانَ مِنْ رَبِّهِمْ	وَكُلُّهُ إِلَى رَبِّهِ عَائِدٌ
فَيَا عَجِبًا كَيْفَ يَعْصِي إِلَّا لَهُ	أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاهِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ	وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ	تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

(٢) قرأه حمزة والكسائي وعاصم برواية أبي بكر عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٠٩.

(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٠٠.

أَلْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧) وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْأَيِّمِ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠) ﴿

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ تَفْخِيمٌ لِلْحَدِيثِ وَتَنْبِيهُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِلْمِ نَبِيِّنَا ﷺ وَإِنَّمَا عَرَفَهُ بِالْوَحْيِ، وَالضَّيْفُ وَاحِدٌ وَجَمْعٌ، كَالصَّوْمِ وَالْفِطْرِ، لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ ضَافُهُ، سَمَّاهُمْ ضَيْفًا لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي صُورِ الضَّيْفِ، حَيْثُ أَضَافَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا، وَقِيلَ: ثَمَانِيَةٌ ^(١)، وَقِيلَ: ثَلَاثَةٌ ^(٢) وَإِكْرَامُهُمْ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَدَمَهُمْ بِنَفْسِهِ وَعَجَّلَ لَهُمُ الْقِرَى ^(٣)، أَوْ: لِأَنَّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مُكْرَمُونَ. ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ نُصِبَ بـ ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ إِذَا فُسِّرَ بِإِكْرَامِ إِبْرَاهِيمَ لَهُمْ، وَإِلَّا فِيمَا فِي «ضَيْفٍ» مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ ﴿سَلَامًا﴾ مَصْدَرٌ سَدَّ مَسَدَ الْفِعْلِ، وَأَضْلَهُ: نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ سَلَامًا، وَ ﴿سَلَّمَ﴾ عَلَىٰ مَعْنَى: عَلَيْكُمْ سَلَامٌ، عَدَلَ بِهِ إِلَى الرَّفْعِ لِيَدُلَّ عَلَى ثَبَاتِ السَّلَامِ، كَأَنَّهُ أَرَادَ أَن يُحْيِيَهُمْ بِأَحْسَنَ مِمَّا حَيَّوْهُ بِهِ أَخْذًا بِأَدَبِ اللَّهِ، وَقُرِئَ «سَلَّمَ» ^(٤) كَمَا فِي سُورَةِ هُودٍ ^(٥).

(١) قاله محمد بن كعب. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ٣٩٢.

(٢) قاله ابن عباس وعطاء. راجع المصدر السابق.

(٣) قَرِيتُ الضَّيْفَ قَرِيتٌ وَقَرَاءٌ: أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ، إِذَا كَسَرْتَ الْقَافَ قَصَرْتَ، وَإِذَا فَتَحْتَ مَدَدْتَ. (الصحاح: مادة قرا).

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٣٣٧.

(٥) الآية: ٦٩.

﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: قَالَ فِي نَفْسِهِ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا نَعْرِفُهُمْ.

﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ فِي خُفْيَةٍ مِنْ ضِيُوفِهِ، وَمِنْ أَدَبِ الْمُضَيِّفِ أَنْ يُخْفِيَ أَمْرَهُ، وَأَنْ يُبَادِرَهُ بِالْقِرَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ الضَّيْفُ حَذَرًا مِنْ أَنْ يَكُفَّهُ، وَعَنْ قَتَادَةَ: كَانَ عَامَّةُ مَالِ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ الْبَقَرِ ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ﴾^(١). وَالْهَمْزَةُ فِي ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ لِلإِنْكَارِ، أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ تَرَكَ الْأَكْلَ أَوْ: حَتَّاهُمْ عَلَيْهِ. ﴿فَأَوْجَسَ﴾ فَأَضْمَرَ. وَعَنْ أَبِي عُبَّاسٍ: وَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ أُرْسِلُوا لِلْعَذَابِ^(٢) ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَمٍ عَلِيمٍ﴾ يَكُونُ عَالِمًا نَبِيًّا وَهُوَ إِسْحَاقُ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ^(٣). ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ فِي صَيِّحَةٍ، مِنْ: صَرَّ الْجُنْدُبُ، وَصَرَّ الْقَلَمُ وَالْبَابُ، وَهُوَ فِي مَحَلِّ الْحَالِ، أَي: جَاءَتْ صَارَةً، وَعَنْ الْحَسَنِ: أَقْبَلْتُ إِلَى بَيْتِهَا وَكَانَتْ فِي زَاوِيَةٍ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّهَا وَجَدَتْ حَرَارَةَ الدَّمِ فَلَطَمَتْ وَجْهَهَا مِنَ الْحَيَاءِ^(٤)، وَقِيلَ: فَضْرَبَتْ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهَا جَبْهَتَهَا فِعْلَ الْمُتَعَجِّبِ^(٥) ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ﴾ أَي: أَنَا عَجُوزٌ ﴿عَقِيمٌ﴾ فَكَيْفَ أَلِدُ؟! قَالُوا: ﴿كَذَلِكَ﴾ مِثْلُ ذَلِكَ الَّذِي قُلْنَا وَأَخْبَرْنَا بِهِ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ أَي: إِنَّمَا نُخْبِرُكَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا تَسْتَبْعِدِينَ.

وَلَمَّا عَلِمَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أَي: فَمَا شَأْنُكُمْ وَمَا طَلَبُكُمْ؟ سَمَّاهُمْ: «مُسْرِفِينَ» كَمَا سَمَّاهُمْ «عَادِينَ» لِإِسْرَافِهِمْ فِي الْفَوَاحِشِ وَعَدَوَاتِهِمْ فِيهَا. ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أَي: فِي قُرَى قَوْمِ لُوطٍ، وَلَمْ يَجْرِلْهَا ذِكْرٌ لَكُونِهَا مَغْلُومَةً، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدٌ، وَأَنَّهُمَا صِفَتَا

(١) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٥ ص ٣٧٠.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٠٢.

(٣) تفسير مجاهد: ص ٦١٩.

(٤) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٠٢.

(٥) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٤٢.

مَدْح، وَالْإِيمَانُ هُوَ التَّصْدِيقُ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ التَّصْدِيقَ بِهِ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ وَالزَّمَّةُ. وَالْبَيْتُ: لُوطٌ وَبَنَاتُهُ، وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ جَمِيعاً، وَقِيلَ: كَانَ لُوطٌ وَأَهْلُ بَيْتِهِ الَّذِينَ نَجَوْا ثَلَاثَةَ عَشَرَ ^(١). ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ أَي: علامةً يَعْتَبَرُ بِهَا الْخَائِفُونَ دُونَ الَّذِينَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ.

﴿وَفِي مُوسَى﴾ مَغْطُوفٌ عَلَى ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾. ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ أَي: فَأَعْرَضَ فِرْعَوْنُ بِمَا كَانَ يَتَّقَوْنِي بِهِ مِنْ جُنُودِهِ ﴿وَقَالَ﴾ هُوَ ﴿سَجِرٌ﴾. ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾ أَي: آتٍ بِمَا يُلَامُ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعُتُوِّ. ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّمِيمِ (٤٢) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٥) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤٦) وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١) كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ

(١) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٠٢.

الْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ (٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠) ﴿

﴿الْعَقِيم﴾ التي عَقِمَتْ عن أَنْ تَأْتِي بخَيْرٍ من إِنْشَاءِ سَحَابٍ أوِ إِقْفَاحِ شَجَرٍ أوِ مُنْفَعَةٍ، إِذْ هِيَ رِيحُ الْهَلَاكِ. ﴿كَالرَّمِيمِ﴾ كالشَّيْءِ الْبَالِي الْمَتَفَتَّتِ مِنَ الْعَظْمِ وَالنَّبَاتِ أوِ غيرِ ذَلِكَ. ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ تَفْسِيرُهُ قَوْلُهُ: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ (١) ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ﴾ بعد مَضِيِّ الْإَيَّامِ الثَّلَاثَةِ، وَقُرِئَ: «الصَّعِقَةُ» (٢) وَهِيَ الْمَرَّةُ مِنْ: صَعَقَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إِلَيْهَا جَهَارًا. ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ (٣) أَي: لَمْ يَنْهَضُوا مِنْ تِلْكَ الصِّرْعَةِ ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ أَي: مَمْتَنِعِينَ مِنَ الْعَذَابِ. ﴿قَوْمَ نُوحٍ﴾ عَلَى مَعْنَى: وَأَهْلَكُنَا قَوْمَ نُوحٍ، لِأَنَّ مَا قَبْلَهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ عَادٍ وَثَمُودَ.

﴿و﴾ بَيْنَنَا ﴿السَّمَاءَ بَيْنِنَهَا﴾ أَي: رَفَعْنَا بِنَاءَهَا ﴿بِأَيْدٍ﴾ بِقُوَّةٍ، وَالْأَيْدُ وَالْآدُ: الْقُوَّةُ ﴿وَأَنَا لَمُوسِعُونَ﴾ لِقَادِرُونَ، مِنَ الْوُسْعِ وَهُوَ الطَّاقَةُ، وَعَنِ الْحَسَنِ: لَمُوسِعُونَ الرِّزْقَ عَلَى الْخَلْقِ بِالْمَطَرِ (٤). ﴿فَرَشْنَهَا﴾ أَي: بَسَطْنَاهَا ﴿فَنِعْمَ الْمِهْدُونَ﴾ نَحْنُ إِذْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لِمَنَافِعِ الْخَلْقِ لَا لِجَرِّ نَفْعٍ أوِ دَفْعِ ضَرَرٍ. ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْحَيَوَانِ ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَعَنِ الْحَسَنِ: السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَعَدَدَ أَشْيَاءٍ وَقَالَ: كُلَّ أَثْنَيْنِ مِنْهَا زَوْجٌ، وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ فَرَدُّ لَا مِثْلَ لَهُ (٥). ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أَي: فَعَلْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ: بِنَاءِ السَّمَاءِ وَفَرَشِ الْأَرْضِ وَخَلْقِ الْأَزْوَاجِ إِرَادَةً أَنْ تَتَذَكَّرُوا فَتَعْرِفُوا الْخَالِقَ وَتَعْبُدُوهُ.

(١) هود: ٦٥.

(٢) قرأه الكسائي وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٠٩.

(٤) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٣٠٤.

(٣) هود: ٦٧ و ٩٤.

(٥) حكاة عند الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٤٧٣.

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: طاعة الله وثوابه من معصيته وعقابه بتوحيده وإخلاص العباد له. وكرَّرَ قَوْلَهُ: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك، ليُعْلَمَ أَنَّ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ مَقْتَرِنَانِ، وبالجَمْعِ بينهما يفوز الإنسان. ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر مثل ذلك، و«ذلك» إشارة إلى تكذيبهم الرسول وقولهم: هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾، وقَوْلُهُ: ﴿مَا أَتَى﴾ تَفْسِيرٌ لِمَا أَجْمَلَ.

﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾ الضمير للقول، والمعنى: أتوصي الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعاً متفقين عليه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُونَ﴾ أي: لم يتوصوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمانٍ واحدٍ ﴿بَلْ﴾ جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان حملهم عليه.

﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عمن دعوتهم فلم يجيبوا، فلا لوم في إغراضك عنهم بعدما بلغت الرسالة وبذلت وسعك في الدعوة والإبلاغ. ﴿وَذَكَّرٌ﴾ ولا تدع التذكير والموعظة ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يعرفون الله ويوحّدونه. وعن عليٍّ عليه السلام أنه لما نزل: ﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ﴾ أشد ذلك علينا، فلما نزل: ﴿وَذَكَّرٌ﴾ طابت نفوسنا^(١).

المعنى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا﴾ لأجل العبادَةِ، ولم أرِدْ من جميعهم إلا إيتاها، والغرض في خلقهم تعريضهم للثواب، وذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات. ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ أي: لا أستعين بهم في تحصيل أرزاقهم ومعايشهم بل أفضّل عليهم برزقهم وبما يصلحهم، وما أريد أن يطعموا أحداً من خلقي، وإنما أسند إلى نفسه لأن الخلق كلهم عياله، ومن أطعم

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٧ ص ٦٢٤ وعزاه إلى ابن راهويه وأحمد بن منيع والهيثم بن كليب وابن جرير وغيرهم.

عِيَالٍ أَحَدٍ فَكَأَنَّمَا أَطْعَمَهُ. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ لِعِبَادِهِ وَلِلْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مُعِينٍ ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ الَّذِي لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الْعَجْزُ وَالضَّعْفُ ﴿الْمَتِينُ﴾ الشَّدِيدُ الْقُوَّةُ، الْبَلِيغُ الْاِقْتِدَارِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، يُقَالُ: مَتْنٌ مَتَانَةٌ فَهُوَ مَتِينٌ. وَالذَّنُوبُ: الدَّلُوءُ الْعَظِيمُ، وَهَذَا تَمْثِيلٌ، وَأَصْلُهُ فِي السُّقَاةِ يَقْتَسِمُونَ الْمَاءَ فَيَكُونُ لِهَذَا ذُنُوبٌ وَلِهَذَا ذُنُوبٌ، قَالَ:

لَنَا ذُنُوبٌ وَلَكُمْ ذُنُوبٌ فَإِنْ أَتَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيلُ ^(١)

وَالْمَعْنَى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بِتَكْذِيبِ النَّبِيِّ ﷺ نَصِيباً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴿مِثْلَ﴾ نَصِيبِ ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾ وَنُظَرَائِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ الْمُهْلَكَةِ ﴿فَلَا يَسْتَغْفِرُونَ﴾ بِإِنْزَالِ الْعَذَابِ فَإِنَّهُمْ لَا يَفُوتُونَنِي. ﴿مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.



(١) لم نعثر على قائله. والقليل: البئر، يقول: إِنَّا كَرَامُ نَشَاطِرِ شَرِينَا، فَإِنْ أَبَى وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا الْبَغْيَ قَلْنَا لَهُ ذَلِكَ. راجع شرح شواهد الكشاف: ص ٩٢.

سُورَةُ الطُّورِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، آيَاتُهَا تِسْعٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، ثَمَانٍ بَصْرِيٌّ، ﴿دَعَا﴾ ^(٢) كُوفِيٌّ.
وفي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الطُّورِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُؤَمِّنَهُ
مِنْ عَذَابِهِ، وَأَنْ يُنْعِمَهُ فِي جَنَّتِهِ» ^(٣).
وعَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الطُّورِ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ
الْمَغْمُورِ (٤) وَالسَّيِّدِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ
لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ
سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢)﴾

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٤٠١: مَكِّيَّةٌ بلاخلاف وهي تسع وأربعون آية في الكوفي، وثمان في البصري، وسبع في المدنيين.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٤٠٨: مَكِّيَّةٌ، وهي تسع وأربعون، وقيل: ثمان وأربعون آية، نزلت بعد السجدة.

(٢) الآية: ١٣.

(٣) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٤١٥ مرسلًا.

(٤) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٣.

يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحَرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) أَضَلُّوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦) ﴿

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالْجَبَلِ الَّذِي كَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى بِالْأَرْضِ الْمَقْدَسَةِ. ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٍ﴾ مَكْتُوبٍ ﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ وَالرَّقُّ: الصَّحِيفَةُ، وَقِيلَ: هُوَ التَّوْرَةُ^(١) وَقِيلَ: هُوَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ^(٢) وَقِيلَ: هُوَ الْقُرْآنُ مَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ^(٣). وَنُكِّرَ لِأَنَّهُ كِتَابٌ مَخْصُوصٌ مِنْ بَيْنِ جُنْسِ الْكُتُبِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾^(٤).

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هُوَ بَيْتٌ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ تَعْمُرُهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْعِبَادَةِ. وَعَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ أَبَدًا^(٥). وَرُوي: أَنَّ أَسْمَهُ الضَّرَّاحَ^(٦). وَقِيلَ: هُوَ الْكَعْبَةُ لِكُونِهَا مَعْمُورَةً بِالْحُجَّاجِ وَالْعُمَّارِ^(٧).

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ السَّمَاءُ ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ الْمَمْلُوءِ، وَقِيلَ: هُوَ الْمَوْقَدُ الْمُخْمِيُّ^(٨)، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾^(٩).

(١) قاله الكلبي. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢٣٦.

(٢) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ٣ ص ٩١.

(٣) وهو قول الماوردي في تفسيره: ج ٥ ص ٣٧٧.

(٤) الشمس: ٧.

(٥) رواه عنه عليه السلام الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٤٨٠ و ٤٨١ من طرق عن خالد بن عرعة.

(٦) رواه الطبري أيضاً بسنده عن علي عليه السلام. راجع المصدر السابق.

(٧) قاله الحسن في تفسيره: ج ٢ ص ٣٠٥.

(٨) وهو قول علي عليه السلام وشمر بن عطية ومجاهد وابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ١١

(٩) التكوين: ٦.

ص ٤٨٢ - ٤٨٣.

﴿لَوْ قَعُ﴾ لَنَازِلٌ. ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ﴾ ظَرْفٌ لـ ﴿وُقَعُ﴾، ومعنى ﴿تَمُورُ﴾: تَضَطَّرِبُ وتَجِيءُ وتَذْهَبُ وتَسْتَدْبِرُ. ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ﴾ وتَزُولُ عَنْ أَمَاكِنِهَا حَتَّى تَسْتَوِيَ الْأَرْضُ.

﴿فَوَيْلٌ﴾ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِمَنْ كَذَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَالْخَوْضُ: الْإِنْدِفَاعُ فِي الْبَاطِلِ. ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾ أَي: يُدْفَعُونَ دَفْعًا بَعُفٍّ وَجَفْوَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّ خَزَنَةَ النَّارِ يَغْلُونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ، وَيَجْمَعُونَ نَوَاصِيَهُمْ إِلَى أَقْدَامِهِمْ، وَيُدْفَعُونَهُمْ إِلَى النَّارِ دَفْعًا عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَزَخًّا^(١) فِي أَقْفِيَّتِهِمْ، يُقَالُ لَهُمْ: ﴿هَذِهِ النَّارُ﴾، ﴿أَفْسِحْرُ هَذَا﴾ مَعْنَاهُ: أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ لِلْوَحْيِ: هَذَا سَحْرٌ، أَفْسِحْرُ هَذَا؟ وَالْمُرَادُ: أَهَذَا الْمِصْدَاقُ أَيْضًا سِحْرٌ؟ وَإِنَّمَا دَخَلَتْهُ الْفَاءُ لِهَذَا الْمَعْنَى ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ كَمَا كُنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ فِي الدُّنْيَا؟ أَي: أَمْ أَنْتُمْ عُمِّي عَنْ الْمُخْبِرِ عَنْهُ كَمَا كُنْتُمْ عُمِيًّا عَنْ الْخَبَرِ؟ وَالصَّلِيُّ: لَزُومُ النَّارِ، يُقَالُ: صَلِّيَ يَصْلِي صَلِيًّا، أَي: الزُّمُوهَا ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الصَّبْرُ وَعَدَمُهُ.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ (١٧) فَكِهِينَ بِمَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى

(١) زَخَّةٌ: أَي دَفْعُهُ فِي وَهْدَةٍ (الصَّحَاح).

بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ، رَبِيبَ الْمُنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) ﴿

﴿فِي جَنَّتٍ﴾ أي: في آية جنات ﴿و﴾ أي ﴿نَعِيمٍ﴾، أو: في جنات مخصوصة خلقت لهم خاصة ونعيم اختص بهم. وقرئ: ﴿فَكِهِينَ﴾، و «فَكِهِينَ» ^(١) وهو منصوب على الحال، أي: متلذذين ﴿بِمَاءِ آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾، ﴿وَوَقَدْنَا رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ يجوز أن يكون الواو للحال و «قد» مضمرّة، ويجوز أن تعطفه على ﴿بِمَاءِ آتَاهُمْ﴾ إذا جعلت «ما» مصدرية، فيكون المعنى: فأكهين بإيتائهم ربهم ووقايتهم العذاب.

يَقَالُ لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أَكْلًا وَشُرْبًا ﴿هَنِيئًا﴾، أو: طعاماً وشراباً هنيئاً لا تنغيص فيه. ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ أي: قرّناهم ﴿بِحُورٍ﴾ نقيات البياض في حسنٍ وكمالٍ ﴿عَيْنٍ﴾ واسعة العيون في صفاء وبهاء.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطف على ﴿حُورٍ عَيْنٍ﴾ أي: وبالذين آمنوا، أي: بالرفقاء والجلساء منهم، فيتمتعون تارةً بملاعبة الحور العين، وتارةً بموانسة الإخوان. وقرئ: ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، و «ذُرِّيَّاتُهُمْ» ^(٢)، و «أَتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتَهُمْ» ^(٣)، وقرئ: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ و «ذُرِّيَّاتِهِمْ» ^(٤).

(١) قرأه الحسن. راجع تفسير القرطبي: ج ١٧ ص ٦٥.

(٢) قرأه ابن عامر وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦١٢.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو. راجع المصدر السابق.

(٤) وهي قراءة ابن عامر وأبي عمرو. راجع المصدر نفسه.

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْلَادَهُمْ فِي الْجَنَّةِ» وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ^(١).
 فالمعنى: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَجْمَعُ لَهُمْ أَنْوَاعَ السُّرُورِ بِسَعَادَتِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ،
 وبِمَزَاجَةِ الْخُورِ الْعَيْنِ، وبِمُؤَانَسَةِ الْإِخْوَانِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَقَابِلِينَ، وباجْتِمَاعِ
 أَوْلَادِهِمْ وَنَسْلِهِمْ مَعَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿يَايْمَنِ﴾ أي: بِسَبَبِ الْإِيمَانِ الرَّفِيعِ الْمَحَلِّ، وَهُوَ
 إِيْمَانُ الْآبَاءِ، الْحَقُّنَا بِدَرَجَاتِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِنْ كَانُوا لَا يَسْتَأْهِلُونَهَا؛ تَفَضُّلاً عَلَيْهِمْ
 وَعَلَى آبَائِهِمْ، لِيَتِمَّ سُرُورُهُمْ وَتَقَرَّرَ بِهِمْ عِيُونُهُمْ ﴿وَمَا أَلْتَنَاهُمْ﴾ وَمَا نَقَصْنَاهُمْ ﴿مِنْ
 عَمَلِهِمْ﴾ مِنْ ثَوَابِ عَمَلِهِمْ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: مَا نَقَصْنَاهُمْ مِنْ ثَوَابِ عَمَلِهِمْ
 شَيْئاً نُعْطِيهِ الْأَبْنَاءَ بَلْ الْحَقُّنَاهُمْ بِهِمْ عَلَى سَبِيلِ التَّفَضُّلِ ^(٢)، وَقُرِئَ: «مَا أَلْتَنَاهُمْ»
 بِكُسْرِ اللَّامِ ^(٣)، مِنْ: أَلَتْ يَأَلْتُ، وَيَكُونُ لُغَةً فِي: أَلَتْ يَأَلْتُ ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ
 رَهِينٌ﴾ أي: مَرهُونٌ، وَالْمَعْنَى: كُلُّ نَفْسٍ رَهِينٌ عِنْدَ اللَّهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي هُوَ
 مُطَالَبٌ بِهِ، كَمَا يَرْهَنُ الرَّجُلُ عَبْدَهُ بِدَيْنٍ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمَلَ صَالِحاً فَكَفَّهَا وَخَلَّصَهَا
 وَإِلَّا أَوْبَقَهَا.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ﴾ أي: وَزَدْنَاهُمْ حَالاً بَعْدَ حَالٍ بِمَا يَشْتَهَوْنَهُ مِنْ ﴿فَكِهَةٍ
 وَلَحْمٍ﴾. ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ يَتَعَاطُونَ ^(٤) وَيَتَعَاوَرُونَ ﴿كَأْسًا﴾ خَمِراً «لَا لَغْوَ» ^(٥)
 فِي شَرْبِهَا «وَلَا تَأْثِيمَ» أي: لَا يَتَكَلَّمُونَ فِي أَثْنَاءِ شَرْبِهَا بِالْكَلَامِ الَّذِي لَا طَائِلَ فِيهِ،
 وَلَا يَفْعَلُونَ مَا يُوْثَمُ بِهِ فَاعِلُهُ، أي: يُنْسَبُ إِلَى الْإِثْمِ مِنَ الْكَذِبِ وَالْفَوَاحِشِ،

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٧ ص ٦٣٣. وعزاه الى عبدالله بن أحمد في زوائد
 المسند عن علي بن أبي طالب.

(٢) قاله ابن عباس. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٣٨٢.

(٣) قرأه ابن كثير. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦١٢.

(٤) في نسخة: «يتعاملون»..

(٥) الظاهر أَنَّ المصنّف رحمه الله قد اعتمد هنا على قراءة النصب تبعاً لصاحب الكشف، وهي
 القراءة المروية عن ابن كثير وأبي عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦١٢.

وَأِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ بِالْحِكْمَةِ وَالْكَلَامِ الْحَسَنِ لَأَنَّهُمْ حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ، وَقُرِئَ: ﴿لَا لَغْوٌ وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ بِالرَّفْعِ.

﴿عِلْمَانُ لَهُمْ﴾ مَمْلُوكُونَ لَهُمْ مَخْصُوصُونَ بِهِمْ ﴿كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُ مَكْنُونٌ﴾ فِي الصَّدَفِ لِأَنَّهُ رَطْبٌ صَافٍ، أَوْ: مَخْزُونٌ لِأَنَّهُ لَا يُخْزَنُ إِلَّا الثَّمِينُ النَّفِيسُ. وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: هَذَا الْخَادِمُ فَكَيْفَ الْمَخْدُومُ؟ فَقَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ فَضْلَ الْمَخْدُومِ عَلَى الْخَادِمِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ»^(١).

﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ أَي: يَتَحَادَثُونَ وَيَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْ أَحْوَالِهِ وَعَمَّا أَسْتَوْجَبَ بِهِ ذَلِكَ. ﴿مُشْفِقِينَ﴾ أَي: أَرْقَاءُ الْقُلُوبِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ. ﴿عَذَابُ السَّمُومِ﴾ عَذَابُ النَّارِ وَلَفْحُهَا، وَالسَّمُومُ: الرِّيحُ الْحَارَّةُ الَّتِي تَدْخُلُ الْمَسَامَ، فَسُمِّيَتْ بِهَا نَارُ جَهَنَّمَ. ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾ لِقَاءِ اللَّهِ وَالْمَصِيرِ إِلَيْهِ أَي: فِي الدُّنْيَا ﴿نَدْعُوهُ﴾ أَي: نَدْعُو اللَّهَ وَنُوحِدُهُ وَنَعْبُدُهُ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ الْمُحْسِنُ ﴿الرَّحِيمُ﴾ الْكَثِيرُ الرَّحْمَةِ، وَقُرِئَ: «أَنَّهُ» بِالْفَتْحِ^(٢) بِمَعْنَى: «لَأَنَّهُ».

﴿فَذَكِّرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﷺ أَي: فَاثِبْتُ عَلَى تَذَكِيرِ النَّاسِ وَوَعْظِهِمْ، وَلَا تَتْرُكْ دَعْوَتَهُمْ وَإِنْ أَسَاءُوا الْقَوْلَ فَبِكَ فَاِنَّهُ قَوْلٌ بَاطِلٌ، وَ ﴿مَا أَنْتَ﴾ بِحَمْدِ اللَّهِ وَإِنْعَامِهِ عَلَيْكَ ﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ كَمَا يَقُولُونَ، بَلْ أَنْتَ نَبِيٌّ صَادِقٌ.

وَرَيْبُ الْمُنُونِ: حَوَادِثُ الدَّهْرِ، وَقِيلَ: الْمُنُونُ: الْمَوْتُ^(٣)، فَعُولٌ مِنْ «مَنَّهُ» إِذَا قَطَعَهُ، كَمَا سَمَّوْهُ شُعُوبَ، قَالُوا: نَنْتَظِرُ بِهِ نَوَائِبَ الزَّمَانِ فَيَهْلِكُ كَمَا هَلَكَ مَنْ قَبْلَهُ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِي فِي تَفْسِيرِهِ: ج ١١ ص ٤٩٢ عَنْ قَتَادَةَ.

(٢) قَرَأَهُ نَافِعٌ وَالْكَسَائِيُّ. رَاجِعْ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٦١٣.

(٣) قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِهِ: ص ٤٤٤.

مِنَ الشُّعْرَاءِ ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أَتَرَبَّصُ هَلَاكَكُمْ كَمَا تَتَرَبَّصُونَ هَلَاكِي.
 ﴿أَخْلَصْتُهُمْ﴾ بِهَذَا التَّنَاقُضِ فِي الْقَوْلِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ: كَاهِنٌ وَشَاعِرٌ مَعَ قَوْلِهِمْ:
 مَجْنُونٌ. وَكَانَتْ قُرَيْشٌ يُدْعَوْنَ أَهْلَ النَّهْيِ وَالْأَخْلَامِ ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾
 مُجَاوِزُونَ الْحَدَّ فِي الْعِنَادِ ^(١)، حَمَلَهُمْ طُغْيَانُهُمْ وَعِنَادُهُمْ عَلَى تَكْذِيبِكَ مَعَ ظُهُورِ
 الْحَقِّ لَهُمْ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ، إِنْ كَانُوا
 صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ
 الْمُصِيطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ
 مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ
 مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا
 فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ (٤٣) وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (٤٤)
 فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ
 كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ
 وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
 بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ (٤٩) ﴿

أَي: أَفْتَعَلَهُ وَأَخْتَلَقَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، وَالضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
 وَلِعِنَادِهِمْ وَكُفْرِهِمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهِمْ بَأَنَّهُ لَيْسَ بِمَقْذُولٍ. ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾

مِثْلِ الْقُرْآنِ فِي نَظْمِهِ وَفَصَاحَتِهِ ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾، وَإِذَا لَمْ يَقْدُرُوا عَلَى الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ - وَمَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْهُمْ - فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَنْقَوْلُهُ، بَلْ أ ﴿خَلِقُوا﴾ أَي: أَخْدِثُوا وَقَدِّرُوا التَّقْدِيرَ الَّذِي عَلَيْهِ فِطَرَتُهُمْ ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ مِنْ غَيْرِ مُقَدَّرٍ ﴿أَمْ هُمْ﴾ الَّذِينَ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ حَيْثُ لَا يَعْبُدُونَ الْخَالِقَ ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ وَهُمْ شَاكُونَ فِيمَا يَقُولُونَهُ، وَقِيلَ: أَخْلَقُوا بَاطِلًا مِنْ أَجْلِ غَيْرِ شَيْءٍ مِنْ جَزَاءٍ وَ (١) حَسَابٍ؟ (٢) بَلْ أ ﴿عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ﴾ الرِّزْقِ فَيَرْزُقُوا النَّبِيَّةَ مَنْ شَاؤُوا؟ أَوْ: عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ عِلْمِهِ حَتَّى يَخْتَارُوا لَهَا مَنْ اخْتَارَهُ حِكْمَةً وَصَلَاحٌ؟ «أَمْ هُمْ الْمُصَيِّطُونَ» (٣) الْأَرْبَابُ الْمُسَلِّطُونَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يُدَبِّرُوا أَمْرَ الرُّبُوبِيَّةِ؟ وَقُرِئَ: ﴿الْمُصَيِّطُونَ﴾ بِالصَّادِ. ﴿سَلَّمَ﴾ أَي: مَرَقَى وَمِصْعَدٌ مَنْصُوبٌ إِلَى السَّمَاءِ ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ إِلَى كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ، فَوَثَّقُوا بِمَا هُمْ عَلَيْهِ وَرَدُّوا مَا سِوَاهُ ﴿يَسْلُطُنِ مُبِينٍ﴾ بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ تُصَدِّقُ أَسْتِمَاعَ مُسْتَمِعِهِمْ. ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ وَهَذَا تَسْفِيَةٌ لِأَحْلَامِهِمْ، حَيْثُ أَضَافُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا أَنْفَعُوا مِنْهُ، وَهَذَا غَايَةٌ فِي جَهْلِهِمْ إِذْ جَوَّزُوا عَلَيْهِ الْوَلَدَ ثُمَّ أَدَّعَوْا أَنَّهُ اخْتَارَ الْأَدْوَنَ عَلَى الْأَعْلَى.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ عَلَى مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الدِّينِ ﴿فَهُمْ مِّنْ﴾ جِهَةٍ ﴿مَغْرَمٍ﴾ فَدَحَهُمْ (٤) ﴿مُثْقَلُونَ﴾ أَثْقَلَهُمْ ذَلِكَ الْمَغْرَمُ الَّذِي سَأَلْتَهُمْ فَزَهَّدَهُمْ فِي اتِّبَاعِكَ. ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أَي: اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ مَا فِيهِ حَتَّى قَالُوا: لَا تُبْعَثْ وَلَا نُعَذَّبُ.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وَهُوَ كَيْدُهُمْ فِي دَارِ النَّدْوَةِ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ﴾ الَّذِينَ

(١) فِي نَسْخَةٍ: «أَوْ» بَدَلَ الْوَاوِ. (٢) قَالَهُ الزَّجَّاجُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ: ج ٥ ص ٦٥.

(٣) الظَّاهِرُ أَنَّ الْمَصْنَفَ اعْتَمَدَهَا عَلَى قِرَاءَةِ السِّينِ دُونَ الصَّادِ الَّتِي هِيَ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ إِلَّا ابْنَ عَامِرٍ بِرَوَايَةِ الْحُلَوَانِيِّ وَالْكَسَائِيِّ بِرَوَايَةِ الْفَرَّاءِ عَنْهُ. رَاجِعْ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٦١٣.

(٤) يُقَالُ: فَدَحَهُ الدَّيْنُ أَي: أَثْقَلَهُ، وَأَمْرٌ فَادِحٌ: إِذَا عَالَهُ وَبَهَظَهُ. (الصَّحَاحُ).

يَعُودُ عَلَيْهِمْ وَبَالُ كَيْدِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، ﴿وَالْمَكِيدُونَ﴾: المغلوبون في الكيد، من: كَايَدْتُهُ فَكَيْدْتُهُ. ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾ أي: قِطْعَةً ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ لَقَالُوا ﴿هَذَا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ «يَضَعُقُونَ» ^(١) أي: يَمُوتُونَ، وَقُرِئَ ﴿يُضَعُقُونَ﴾ من: صَعِقْتُهُ فَصَعِقَ وَأَضَعَقْتُهُ لُغَةً، وَذَلِكَ عِنْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى.

﴿وَإِنَّ﴾ لَهُوْلَاءِ الظَّلَمَةِ ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُوَ الْقَتْلُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَالْقَحْطُ سَنَعَ سِنِينَ، أَوْ عَذَابُ الْقَبْرِ.

﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بِإِمْهَالِهِمْ وَمَا يُلْحَقُكَ فِيهِ مِنَ الْكُلْفَةِ وَالْمَشَقَّةِ ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ مِثْلُ أَيِّ بَحِثٍ نَرَاكَ وَنَكَلُوكَ، وَجَمَعَ «الْعَيْنُ» لِأَنَّ الضَّمِيرَ ضَمِيرُ الْجَمْعِ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ^(٢)، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ قُمْتَ فِيهِ، وَقِيلَ: مِنْ مَنَامِكَ ^(٣)، وَقِيلَ: وَأذْكُرِ اللَّهَ حِينَ تَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ إِلَى أَنْ تَدْخُلَ فِي الصَّلَاةِ ^(٤). ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يَعْنِي: صَلَاةَ اللَّيْلِ إِذَا قَامَ مِنَ النَّوْمِ ﴿وَإِذْبُرَ النُّجُومِ﴾ يَعْنِي: رُكْعَتَيِ الْفَجْرِ قَبْلَ الْفَرِيضَةِ ^(٥)، وَقِيلَ: هِيَ الْفَرِيضَةُ ^(٦)، أَي: حِينَ تَدْبُرُ النُّجُومَ وَتَغِيبُ بَضْوَةُ الصُّبْحِ، وَقُرِئَ: «وَأُدْبَارَ» ^(٧) بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ، مِثْلُ: أَعْقَابِ النُّجُومِ.



(١) يظهر من المصنّف هنا أنّه اعتمد على قراءة فتح الياء على البناء للفاعل تبعاً للزمخشري في الكشف، وهي قراءة الجمهور إلاّ عاصماً وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٦١٣. (٢) طه: ٣٩.

(٣) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٤٥.

(٤) قاله الكلبي. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢٤٣.

(٥) وهو قول ابن عباس وقتادة وعائشة والمروي عن النبي ﷺ وعلي عليه السلام. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٥٠١.

(٦) قاله الضحاك وابن زيد. راجع المصدر السابق.

(٧) وهي قراءة الاعمش. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٤٧.

سُورَةُ النَّجْمِ

مَكِّيَّةٌ ^(١) اثْنَتَانِ وَسِتُّونَ آيَةً كُوفِيٌّ ^(٢)، وَآيَةٌ غَيْرُهُمْ، ﴿مِنْ أَلْحَقَّ شَيْئًا﴾ ^(٣)

كُوفِيٌّ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ

مَنْ صَدَّقَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَجَحَدَ بِهِ» ^(٤).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كَانَ يُدْمِنُ قِرَاءَةَ ﴿وَالنَّجْمِ﴾ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ

عَاشَ مَحْمُودًا بَيْنَ النَّاسِ مُحَبَّبًا» ^(٥).

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٩ ص ٤٢٠: هِيَ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ اثْنَتَانِ وَسِتُّونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ، وَسِتُّونَ فِي الْبَصْرِيِّ وَالْمَدَنِيِّينَ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْمَاورِدِيِّ: ج ٥ ص ٣٨٩: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعَطَاءٍ وَعُكْرَمَةَ وَجَابِرٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: إِلَّا آيَةً وَهِيَ ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ الْآيَةُ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٤١٦: مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَةً (٣٢) فَمَدَنِيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (٦٢) وَقِيلَ: (٦١) آيَةً،

نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِخْلَاصِ.

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ: «مَكِّيَّةٌ وَعَنِ الْحَسَنِ مَدَنِيَّةٌ، سِتُّونَ وَآيَتَانِ كُوفِيٌّ...».

(٣) الْآيَةُ: ٢٨.

(٤) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٤٣٠ مَرْسَلًا.

(٥) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٣ وَفِيهِ بَعْدَ «النَّاسِ»: «وَكَانَ مَغْفُورًا لَهُ، وَكَانَ مُحَبُّوبًا بَيْنَ

النَّاسِ»، وَلَيْسَ فِيهِ: «مُحَبَّبًا».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ
 الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ
 فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ
 أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١)
 أَفَتُمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ
 الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦)
 مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨) ﴿
 النَّجْمُ: الثُّرَيَّا، اسْمٌ غَالِبٌ لَهَا، قَالَ:

فَوَرَدَنَ وَالْعِشْقُ مَقْعَدَ رَابِئٍ الضُّرْبَاءِ فَوْقَ النَّجْمِ لَا يَسْتَلْعُ^(١)
 أو: جِنْسُ النُّجُومِ ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إِذَا غَرَبَ أَوْ اَنْتَثَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أو: النَّجْمُ الَّذِي
 يُرْجَمُ بِهِ إِذَا اُنْقَضَ، أو: النَّجْمُ مِنْ نُجُومِ الْقُرْآنِ وَقَدْ نَزَلَ مُنْجَمًا فِي نَيْفٍ وَعَشْرِينَ
 سَنَةً ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إِذَا نَزَلَ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ، وَالْخِطَابُ
 لِقُرَيْشٍ، وَهُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ، أَي: هُوَ هَادٍ مُهْتَدٍ رَاشِدٌ مُرْتَدِدٌ، وَلَيْسَ كَمَا زَعَمْتُمْ فِي
 نُسْبَتِكُمْ إِيَّاهُ إِلَى الضَّلَالِ وَالْغَيِّ. وَمَا آتَاكُمْ بِهِ مِنَ الدِّينِ وَالْقُرْآنِ لَيْسَ بِمَنْطِقٍ صَادِرٍ
 عَنْ رَأْيِهِ وَهَوَاهُ. مَا ﴿هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿يُوحَىٰ﴾ إِلَيْهِ.
 ﴿عَلَّمَهُ﴾ مَلَكٌ ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ أَي: شَدِيدُ قُوَاهُ، وَهُوَ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
 وَالْإِضَافَةُ لَفْظِيَّةٌ لِأَنَّهَا إِضَافَةُ الصِّفَةِ الْمُسَبَّهَةِ إِلَى فَاعِلِهَا. ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذُو حَصَافَةٍ فِي

(١) لأبي ذؤيب خويلد بن خالد بن محرز الهذلي من قصيدة في رثاء سبعة أبناء له ماتوا في
 يومٍ واحدٍ. أنظر جمهرة أشعار العرب: ص ٣١٣ فصل المراثي.

عَقْلِهِ وَرَأْيِهِ، وَمَتَانَةٍ فِي دِينِهِ، وَصَحَّةٍ فِي جَسْمِهِ ﴿فَاسْتَوَى﴾ فَاسْتَقَامَ عَلَى صُورَةٍ نَفْسِهِ الْحَقِيقِيَّةِ دُونَ الصُّورِ الَّتِي كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهَا كُلَّمَا هَبَطَ بِالْوَحْيِ، وَكَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الْإِدْمِيشِ، فَأَحَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرَاهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا فَاسْتَوَى لَهُ. ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ يَعْنِي: أَفُقَ الشَّمْسِ فَمَلَأَ الْأُفُقَ، وَقِيلَ: مَا رَأَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ غَيْرُ مُحَمَّدٍ ﷺ رَأَاهُ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً فِي الْأَرْضِ وَمَرَّةً فِي السَّمَاءِ (١).

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿فَتَدَلَّى﴾ فَتَعَلَّقَ عَلَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، وَهُوَ مَثَلٌ فِي الْقُرْبِ. ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ مِقْدَارَ قَوْسَيْنِ، وَالْقَابُ وَالْقَيْبُ وَالْقَادُ وَالْقَيْدُ وَالْقَاسُ وَالْقَيْسُ: الْمِقْدَارُ، وَأَصْلُهُ: فَكَانَ مِقْدَارُ مَسَافَةِ قُرْبِهِ مِثْلَ قَابِ قَوْسَيْنِ، فَحُذِفَتْ هَذِهِ الْمُضَافَاتِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَقَدْ جَعَلْتَنِي مِنْ حَزِيمَةٍ إِصْبَعًا (٢)

أَي: ذَا مِقْدَارِ مَسَافَةِ إِصْبَعٍ أَوْ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ. ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ﴾ الضَّمِيرُ لِلَّهِ، وَإِنْ لَمْ يَجْرِ ذِكْرُ لَاسْمِهِ سُبْحَانَهُ لِأَنَّهُ لَا يَلْتَبَسُ ﴿مَا أَوْحَى﴾ تَفْخِيمٌ لِلْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَى إِلَيْهِ، وَ«مَا» مَصْدَرِيَّةٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْصُولَةً، وَقِيلَ: فَأَوْحَى جِبْرَائِيلُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ (٣)، وَقِيلَ: أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أَنْتَ، وَعَلَى الْأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتُكَ (٤).

﴿مَا كَذَبَ﴾ فُؤَادُ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا رَأَاهُ بِبَصَرِهِ مِنْ صُورَةِ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَي:

(١) وهو قول ابن مسعود. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٣٩٢.

(٢) وصدرة: فأدرك إبقاء العرادة ظلُّها. للكلحبة العريني من أبيات يفخر بها على بني تغلب ورئيسهم حزيمة بن طارق، والعرادة: اسم فرس الكلحبة. راجع خزانة الأدب للبغدادى: ج ١ ص ٣٨٨ و ج ٤ ص ٤٠١.

(٣) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٤٦.

(٤) حكاها الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٢٠.

مَا قَالَ فَوَّادُهُ لَمَّا رَأَاهُ: لَمْ أَعْرِفَكَ، وَلَوْ قَالَ ذَلِكَ لَكَانَ كَاذِبًا لِأَنَّهُ عَرَفَهُ، يَعْنِي: أَنَّهُ رَأَاهُ بَعَيْنِهِ وَعَرَفَهُ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَشْكُ فِي أَنَّهُ حَقٌّ، وَقُرِئَ: «مَا كَذَّبَ» ^(١) أَي: صَدَّقَهُ وَلَمْ يَشْكُ أَنَّهُ جِبْرَائِيلُ بِصُورَتِهِ.

﴿أَفْتَمَرُونَهُ﴾ مِنَ الْمِرَاءِ وَهُوَ الْجِدَالُ وَالْمُلَاحَاةُ، وَأَشْتَقَاقُهُ مِنْ: «مِرَى النَّاقَةِ»، كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَجَادِلِينَ يُمِرِّي مَا عِنْدَ صَاحِبِهِ، وَقُرِئَ: «أَفْتَمَرُونَهُ» ^(٢) مِنْ: مَا رَيْتُهُ فَمَرَيْتُهُ، أَي: أَفْتَعْلِبُونَهُ فِي الْمِرَاءِ؟ وَلِذَلِكَ عُذِّي بـ«عَلَى»، كَمَا تَقُولُ: غَلَبْتُهُ عَلَى كَذَا. وَقِيلَ: أَفْتَمَرُونَهُ: أَفْتَجَحَدُونَهُ؟ ^(٣)

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ يَعْنِي: رَأَى جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿نَزَلَةً أُخْرَى﴾ يَعْنِي: مَرَّةً أُخْرَى، مِنَ النَّزُولِ، أَي: نَازِلًا عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ نَزَلَةً أُخْرَى فِي صُورَةٍ نَفْسِهِ. ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ وَهِيَ شَجَرَةٌ نَبَقٍ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، ثَمَرُهَا كَقِلَالِ هَجَرَ ^(٤)، وَوَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفَيْوَلِ، يَسِيرُ الرِّكَبُ فِي ظِلِّهَا سَبْعِينَ عَامًا. وَالْمُنْتَهَى: مَوْضِعُ الْإِنْتِهَاءِ وَلَمْ يُجَاوِزْهَا أَحَدٌ، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي عِلْمُ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ، لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا وَرَاءَهَا، وَقِيلَ: يَنْتَهِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ ^(٥)، وَقِيلَ: هِيَ شَجَرَةٌ طُوبَى كَانَتْهَا فِي مُنْتَهَى الْجَنَّةِ ^(٦). ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ وَهِيَ جَنَّةُ الْخُلْدِ يَصِيرُ إِلَيْهَا الْمُتَّقُونَ، وَقِيلَ: يَأْوِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ ^(٧)، وَعَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ: «جَنَّةُ

(١) قرأه هشام وحده. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٩٧.

(٢) قرأه حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦١٤.

(٣) وهو قول الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٧٢.

(٤) القِلَال: جمع قُلَّةٍ وهي الجُرَّةُ الكبيرة. وهَجَرَ: قرية قريبة من المدينة كانت تعمل بها القِلَال.

لسان العرب: مادة «قلل».

(٥) قاله الربيع بن أنس. راجع تفسير القرطبي: ج ١٧ ص ٩٥.

(٦) قاله مقاتل. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢٤٨.

(٧) قاله مقاتل والكلبي. راجع المصدر السابق.

المأوى» بالهاء^(١)، ورُوي ذلك عن الصادق عليه السلام، ومعناه: ستره بظلاله ودخل فيه. ﴿إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ﴾ من النور والبهاء ﴿مَا يَغْشَى﴾ ممّا لا يكتنّهُ الوصف، وقيل: يغشاها الجَمُّ الغفير من الملائكة^(٢).

وعن النبي ﷺ: «رَأَيْتُ عَلَى كُلِّ وَرَقَةٍ مِنْ وَرَقِهَا مَلَكًا قَائِمًا يُسَبِّحُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»^(٣).

ومعناه: أنّه رأى جبرئيل على صورته لئيلة المعراج في الحال التي غشي السدرة فيها ما غشيه^(٤) من الخلائق الدالة على جلال الله وعظمته. ﴿مَا زَاغَ بَصَرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَغَى﴾ أي: أثبت ما رآه إثباتاً صحيحاً من غير أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوزّه، أو: ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها، وما جاوز الحد الذي حدّ له. ﴿لَقَدْ رَأَى﴾ أي: والله لقد رأى ﴿مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ﴾ التي هي كبرها وعظماها حين عرج به إلى السماء فأري عجائب الملكوت. و «من» للتبعية لأنها كانت بعض آيات الله.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ (٢٥) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦)﴾

(١) حكاها عنهما ابن جنّي في المحتسب: ج ٢ ص ٢٩٣.

(٢) قاله مقاتل. راجع تفسير البغوي المتقدم.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٥١٨ عن ابن زيد.

(٤) كذا في النسخ، والظاهر أن الصحيح «ما غشيا».

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوتُونَ أَلْمَلِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنْثَى (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى (٣٠) ﴿

ثُمَّ خَاطَبَ سَبْحَانَهُ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ أَيُّهَا الزَّاعِمُونَ أَنَّ ﴿اللَّتِ وَالْعُزَّى وَمَنْوَةَ﴾ إِلَهَةٌ؟ وَهِيَ مَوْثَنَاتٌ، فَاللَّاتُ كَانَتْ لِثَقِيفٍ بِالطَّائِفِ، وَقِيلَ: كَانَتْ بَنَخْلَةً يَعْبُدُهَا قُرَيْشٌ ^(١)، وَالْعُزَّى كَانَتْ لِعُظْفَانَ، وَمَنَاةُ كَانَتْ لَهُذَيْلَ وَخُزَاعَةَ. وَقِيلَ: هُنَّ أَصْنَامٌ مِنْ حِجَارَةٍ كَانَتْ فِي الْكَعْبَةِ يَعْبُدُونَهَا ^(٢)، وَ﴿الْأُخْرَى﴾ صِفَةٌ لـ ﴿مَنْوَةَ﴾، وَهِيَ ذَمٌّ، أَي: الْمَتَأَخِّرَةُ الْوَضِيعَةُ الْمِقْدَارُ، وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْأَوَّلِيَّةُ وَالتَّقَدُّمُ عِنْدَهُمُ اللَّاتُ وَالْعُزَّى.

وكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَهَذِهِ الْأَصْنَامَ بَنَاتُ اللَّهِ، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾، وَيُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ: أَنَّ الْأَصْنَامَ الثَّلَاثَةَ إِنَاثٌ وَقَدْ جَعَلْتُمُوهُنَّ شُرَكَاءَ اللَّهِ، وَقَدْ أَسْتَنْكَفْتُمْ مِنْ أَنْ يُوَلَّدَ لَكُمْ الْإِنَاثُ وَيُنْسَبَنَّ إِلَيْكُمْ، فَكَيْفَ سَمَّيْتُمُ الْإِنَاثَ إِلَهَةً وَأَنْتُمْ قَوْمٌ لَوْ خَيْرْتُمْ لَاخْتَرْتُمُ الذُّكُورَ؟! ﴿تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ جَائِرَةٌ غَيْرُ مُعْتَدِلَةٍ، مِنْ: ضَاوَرَهُ يَضِيرُهُ إِذَا ضَامَهُ، وَالْأَضْلُ: «ضُوزَى» فَفَعَلَ بِهَا مَا فَعَلَ بـ «بَيْض» وَ «عَيْن» لِتَسْلَمَ الْيَاءُ، وَقُرِئَ بِالْهَمْزَةِ ^(٣) مِنْ: ضَاوَرَهُ.

و﴿هِيَ﴾ ضَمِيرُ الْأَصْنَامِ، وَالْمَعْنَى: مَا ﴿هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ﴾ لَيْسَ تَحْتَهَا فِي

(١) قاله ابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٥٢٠.

(٢) حكاه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٥٢١ ونسبه إلى بعض أهل البصرة.

(٣) قرأه ابن كثير وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦١٥.

الحقيقة مُسَمَّياتٌ، لَأَنَّكُمْ تُسَمُّونَ آلِهَةً مَا هُوَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مِنْهَا، أَوْ: ضَمِيرُ اللَّاتِ وَالْعَزَّى وَمَنَاةَ، أَي: مَا هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي سَمَّيْتُمُوهَا بِهَوَاكُمْ وَزَعَمْتُمْ أَنَّ اللَّاتَ مِنْ «اللَّهِ» وَالْعَزَّى مِنَ «العزیز»، لَيْسَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عَلَى صَحَّةِ تَسْمِيَّتِهَا بُرْهَانٌ تَتَمَسَّكُونَ بِهِ، يُقَالُ: سَمَّيْتَهُ زَيْدًا وَبَزَيْدٍ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ إِلَّا تَوَهُّمَ أَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ حَقٌّ، وَمَا تَهَوَّاهُ أَنْفُسُهُمْ، وَيَتْرَكُونَ مَا جَاءَهُمْ مِنَ ﴿الْهُدَى﴾ وَالْأَدَلَّةَ عَلَى أَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ بَاطِلٌ.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ هِيَ «أَمْ» الْمُنْقَطِعَةُ، وَالْهَمْزَةُ لِلإِنْكَارِ، أَي: لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَلْ يَفْعَلُهُ تَعَالَى بِحَسَبِ الْمَصْلَحَةِ. ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ يَعْطِي مِنْهَا مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ، يَعْنِي: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مَعَ كَثَرَتِهِمْ وَقُرْبِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ﴾ عَنْ أَحَدٍ ﴿شَيْئًا إِلَّا﴾ بَعْدَ ﴿أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ إِلَيْهِ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ لَهُمْ أَنْ يَشْفَعُوا فِيهِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ، فَكَيْفَ تَشْفَعُ الْأَضْنَامُ إِلَيْهِ لِعَابِدِيهِمْ؟!

﴿يُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْإِنْسَانِ﴾ بِقَوْلِهِمْ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ. ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ أَي: بِمَا يَقُولُونَ ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾، ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ إِنَّمَا تُدْرَكُ بِالْعِلْمِ وَالتَّيَقُّنِ لَا بِالظَّنِّ وَالتَّوَهُّمِ.

﴿فَاعْرِضْ عَنْ﴾ دَعْوَةٍ ﴿مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وَمَنَافِعَهَا وَلَذَاتَهَا. ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أَي: ذَلِكَ مُنْتَهَى عِلْمِهِمْ، وَهُوَ مَبْلَغُ خَسِيسٍ لَا يَرْضَى بِهِ لِنَفْسِهِ عَاقِلٌ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ بِالضَّالِّ وَالْمُهْتَدِي فَيُجَازِيهِمَا عَلَى حَسَبِ مَا يَسْتَحِقُّانَهُ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ

وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) ﴿

تَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿لِيَجْزَى﴾ بِمَا قَبْلَهُ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ إِنَّمَا خَلَقَ ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لِهَذَا الْغَرَضِ، وَهُوَ أَنْ يُجَازِيَ الْمُسِيئِينَ وَالْمُحْسِنِينَ بِالْإِسَاءَةِ وَالْإِحْسَانِ، أَوْ: يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ لِأَنَّ نَتِيجَةَ الْعِلْمِ بِالضَّالِّ وَالْمُهْتَدِي جَزَاؤُهُمَا بِأَعْمَالِهِمَا، وَمَعْنَى ﴿الْحُسْنَى﴾: الْمَثُوبَةُ الْحُسْنَى، وَهِيَ الْجَنَّةُ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِسَبَبِ مَا عَمَلُوا مِنَ الشُّوْءِ وَبَسَبَبِ الْأَعْمَالِ الْحُسْنَى.

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ أَي: عَظَائِمَ الذُّنُوبِ ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ جَمْعُ الْفَاحِشَةِ، وَقُرِئَ: «كَبِيرُ الْإِثْمِ»^(١) أَي: النَّوعُ الْكَبِيرُ مِنْهُ، ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ وَهُوَ مَا قَلَّ مِنْهُ، وَمِنْهُ اللَّمَمُ: الْمَسُّ مِنَ الْجُنُونِ، وَالْمَ الرَّجُلُ بِالْمَكَانِ: إِذَا قَلَّ فِيهِ لَبَثُهُ، وَالْمَ بِالطَّعَامِ: إِذَا قَلَّ مِنْهُ أَكْلُهُ، وَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مَنْقُطِعٌ أَوْ صِفَةٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: كَبَائِرُ الْإِثْمِ غَيْرُ اللَّمَمِ، وَقِيلَ: هُوَ النَّظَرَةُ وَالْغَمْزَةُ وَالْقُبْلَةُ وَمَا كَانَ دُونَ الزُّنَا مِنَ الذُّنُوبِ^(٢)،

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦١٥.

(٢) قاله ابن عباس وابن مسعود وأبو هريرة ومسروق والشعبي. راجع تفسير الطبري: ج ١١

وعن السُّدِّي: الْخَطَرَةُ مِنَ الذَّنْبِ ^(١)، وعن الكلبي: كُلُّ ذَنْبٍ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ عَلَيْهِ حَدًّا وَلَا عِقَابًا ^(٢) ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ تَسَعُ مَغْفِرَتُهُ الذُّنُوبَ وَلَا يَضِيقُ عَنْهَا حِينَ ﴿أَنْشَأَكُمْ﴾ أَي: أَنْشَأَ آبَاءَكُمْ آدَمَ ﴿مِنْ﴾ أَدِيمَ ﴿الْأَرْضِ﴾ وَفِي وَقْتِ كَوْنِكُمْ ﴿أَجِنَّةً﴾ فِي الْأَرْحَامِ، فَهُوَ يَعْلَمُ مِثْلَ طِبَاعِكُمْ إِلَى اللَّئِمِ ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ فَلَا تَتَسَبَّوْهَا إِلَى الزَّكَاةِ وَالطَّهَارَةِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَلَا تُثْنُوا عَلَيْهَا فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الزَّكِيَّ مِنْكُمْ وَالتَّقِيَّ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَقِيلَ: كَانَ نَاسٌ يَعْمَلُونَ أَعْمَالًا حَسَنَةً ثُمَّ يَقُولُونَ: صَلَاتُنَا وَزَكَاتُنَا وَصِيَامُنَا وَعِبَادَاتُنَا... فَتَنَزَّلَتْ ^(٣)، وَهَذَا إِذَا كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْإِعْجَابِ أَوْ الرِّيَاءِ.

رُوي ^(٤): أَنَّ عُثْمَانَ كَانَ يَعْطِي مَالَهُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي سَرْحٍ وَهُوَ أَخُوهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ: يُوشِكُ أَنْ لَا يَبْقَى لَكَ شَيْءٌ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: إِنَّ لِي ذُنُوبًا وَخَطَايَا وَإِنِّي أَطْلُبُ بِمَا أَصْنَعُ رِضَا اللَّهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: اعْطِنِي نَاقَتَكَ بِرَحْلِهَا وَأَنَا أَتَحْمِلُ عَنْكَ ذُنُوبَكَ كُلَّهَا، فَأَعْطَاهُ وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ وَأَمْسَكَ عَنْ الْعَطَاءِ، فَتَنَزَّلَتْ: ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ عَنِ الْخَيْرِ ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ وَقَطَعَ عَطِيَّتَهُ وَأَمْسَكَ، وَأَصْلُهُ مِنْ: أَكْدَى الْحَافِرُ إِذَا بَلَغَ الْكُدْيَةَ، وَهِيَ صَلَابَةٌ كَالصَّخْرَةِ إِذَا بَلَغَ الْحَافِرُ إِلَيْهَا يَيْسَ مِنَ الْمَاءِ فَأَمْسَكَ عَنِ الْحَفْرِ. ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾ أَي: مَا غَابَ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْعَذَابِ ﴿فَهُوَ يَرَى﴾ أَي: يَعْلَمُ أَنَّ مَا قَالَهُ لَهُ أَخُوهُ مِنْ أَحْتِمَالِ أَوْزَارِهِ حَقٌّ؟ أَلَمْ يُخْبِرْ ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ مِنْ أَسْفَارِ التَّوْرَةِ ﴿وَو﴾ فِي صُحُفِ ﴿إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أَي: تَمَّ وَوَفَّرَ مَا أَمَرَ بِهِ، وَإِنَّمَا أَطْلَقَ لِيَتَنَاوَلَ كُلُّ تَوْفِيَةٍ مِنْ: تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ،

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٢٦.

(٢) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٣٥٢.

(٣) وهو قول الكلبي ومقاتل. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢٥٣.

(٤) رواه ابن عباس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك كما في أسباب النزول للواحدي:

ص ٣٣٨ ح ٨٢٢.

وَالصَّبْرُ عَلَى ذَبْحِ الْوَلَدِ وَعَلَى نَارِ نَمْرُودَ... وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قِيَامِهِ بِالْأَوَامِرِ، وَعَنِ الْحَسَنِ: مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِشَيْءٍ إِلَّا وَفَّى بِهِ ^(١). ﴿أَنْ لَا تَزِرُ﴾ هِيَ الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا تَزِرُ، وَالضَّمِيرُ لِلشَّانِ، وَمَحَلُّ «أَنْ» وَمَا فِي حَيْزِهَا الْجَرُّ بَدَلًا مِنْ ﴿مَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾، أَوْ: الرَّفْعُ عَلَى: هُوَ أَنْ لَا تَزِرَ، كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: وَمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ؟ فَقَالَ: أَنْ لَا تَزِرَ، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَنِ إِلَّا﴾ سَعْيُهُ، وَ«مَا» مَصْدَرِيَّةٌ.

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ مِنَ الصَّدَقَةِ عَنِ الْمَيْتِ وَالْحَجِّ عَنْهُ وَالصَّلَاةِ فَإِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ سَعْيٍ غَيْرِهِ فَكَأَنَّهُ سَعْيُ نَفْسِهِ لَكُونِهِ قَائِمًا مَقَامَهُ وَتَابِعًا لَهُ، فَهُوَ بِحُكْمِ الشَّرِيعَةِ كَالْوَكِيلِ النَّائِبِ عَنْهُ. ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ أَي: ثُمَّ يُجْزَى الْعَبْدُ سَعْيُهُ، يُقَالُ: جَزَاهُ اللَّهُ عَمَلَهُ، وَ: جَزَاهُ عَلَى عَمَلِهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَرَى سَعْيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يُجْزِيهِ أَوْفَى الْجَزَاءِ.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنْتَهَىٰ﴾ (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَى (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (٥٥) هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى (٥٦) أَرِفَتِ الْأَرْفَةَ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ

وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَاعِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢) ﴿

الْفَتْحُ فِي ﴿أَنَّ﴾ وَمَا بَعْدَهُ عَلَى مَعْنَى: أَنَّ هَذَا كُلَّهُ فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، و﴿الْمُنْتَهَى﴾ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْإِنْتِهَاءِ، أَي: يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْخَلْقُ وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَالِىَ اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(١).

وَمَعْنَى ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾: خَلَقَ قُوَّتِي الضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ، أَوْ: فَعَلَ سَبَبَ الضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ مِنَ السُّرُورِ وَالْحُزَنِ، وَقِيلَ: أَضْحَكَ الْأَشْجَارَ بِالْأَنْوَارِ وَأَبْكَى السَّحَابَ بِالْأَمْطَارِ.

﴿إِذَا تُمْنَى﴾ إِذَا تَدَفَّقَ فِي الرَّحِمِ، يُقَالُ: مَنِي وَأُمْنَى، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: تَخَلَّقَ^(٢). قَالَ:

حَتَّى يَبِينَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي^(٣)

أَي: يَقْدَرُ لَكَ الْمُقَدَّرُ. وَقُرِئَ: «النَّشَاءُ» بِالْمَدِّ^(٤)، يَرِيدُ: أَنَّهَا وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ فِي الْحِكْمَةِ لِيُجَازِيَ عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ. ﴿وَأَقْنَى﴾ أَي: أُعْطِيَ الْقُنْيَةَ وَهِيَ الْمَالُ الْمُؤْتَلُّ الْمُدَّخَرُ، وَقِيلَ: ﴿أَغْنَى﴾: مَوْلًى، ﴿وَأَقْنَى﴾: أَرْضَى بِمَا أُعْطِيَ^(٥).

﴿رَبُّ الشَّعْرَى﴾ أَي: خَالِقُهَا وَكَانَتْ خُرَاعَةً تَعْبُدُهَا، سَنَّ لَهُمْ ذَلِكَ أَبُو كَبْشَةَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَكَانَ أَحَدُ أَجْدَادِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قَبْلِ أُمِّهَا تَيْه، وَكَانَتْ قُرَيْشُ

(١) آل عمران: ٢٨، النور: ٤٢، فاطر: ١٨.

(٢) قاله الأخفش كما في تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٤٠٥.

(٣) لأبي قلابة الهذلي، وصدرة: ولا تقولنَّ لشيء سوف أفعله. وقيل لسويد بن عامر المصطلق، وصدرة: وأسلك طريقك فيها غير محتشم. راجع خزانة الأدب للبغدادى: ج ٤ ص ٤١٨.

(٤) قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٤٩٨.

(٥) قاله مجاهد في تفسيره: ص ٦٢٨.

يُسَمُّونَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ابن أبي كَبْشَةَ» لمخالفته إِيَّاهُمْ فِي الدِّينِ، كَمَا خَالَفَ أَبُو كَبْشَةَ غَيْرَهُ فِي عِبَادَةِ الشُّعْرَى.

وَعَادِ الْأُولَى: قَوْمُ هُودٍ، وَعَادِ الْأُخْرَى: إِرَمَ، وَقِيلَ: الْأُولَى الْقَدَمَاءُ لِأَنََّّهُمْ أُولَى الْأُمَمِ هَلَاكاً بَعْدَ قَوْمِ نُوحٍ ^(١). وَقُرِئَ: «عَادِ لُولَى» بِإِدْغَامِ التَّنْوِينِ فِي اللَّامِ وَطَرَحِ هَمْزَةِ «أُولَى» وَنَقْلِ ضَمَّتِهَا إِلَى لَامِ التَّعْرِيفِ ^(٢). وَقُرِئَ: «وَتُمُوداً» ^(٣) ﴿وَتُمُودَ﴾. ﴿و﴾ أَهْلَكْنَا ﴿قَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ عَادٍ وَتُمُودَ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُؤْذُونَهُ وَيَضْرِبُونَهُ حَتَّى لَا يَكُونَ بِهِ حَرَكَ، وَمَا أَثَرٌ فِيهِمْ دُعَاؤُهُ قَرِيباً مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ أَي: وَالْقُرَى الَّتِي اتَّفَكَتْ بِأَهْلِهَا أَي: أُنْقَلَبَتْ، وَهُمْ قَوْمُ لُوطٍ ﴿أَهْوَى﴾ أَي: رَفَعَهَا إِلَى السَّمَاءِ عَلَى جَنَاحِ جَبْرِئِيلَ ثُمَّ أَهْوَاهَا إِلَى الْأَرْضِ أَي: أَسْقَطَهَا، ﴿فَغَشَّاهَا﴾ أَي: فَالْبَسَهَا مِنَ الْعَذَابِ ﴿مَا غَشَّى﴾ وَهُوَ تَهْوِيلٌ لِمَا صَبَّ عَلَيْهَا مِنَ الْعَذَابِ وَأَمْطَرَ عَلَيْهَا مِنَ الْحِجَارَةِ الْمُسَوَّمَةِ. ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ تَتَشَكَّكُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ؟ وَقَدْ عَدَّدَ سُبْحَانَهُ نِعَمًا وَنِقَمًا وَسَمَّاها كُلَّهَا آيَاتٍ؛ لِمَا فِي نِقَمِهِ مِنَ الْعِبَرِ لِلْمُعْتَبِرِينَ.

﴿هَذَا﴾ الْقُرْآنُ إِنْذَارٌ مِنْ جِنْسِ الْإِنْذَارَاتِ ﴿الْأُولَى﴾، أَوْ: هَذَا الرَّسُولُ مُنْذِرٌ مِنَ الْمُنْذِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿الْأُولَى﴾ عَلَى تَأْوِيلِ الْجَمَاعَةِ. ﴿أَزِفَتْ الْأَزِفَةُ﴾ قُرْبَتْ الْمَوْصُوفَةُ بِالْقُرْبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ ^(٤).

(١) قاله ابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٥٣٨.

(٢) قرأه نافع وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة: ص ٦١٥.

(٣) والتنوين هي قراءة الجمهور إلا حمزة وعاصماً برواية حفص عنه. راجع المصدر السابق.

(٤) القمر: ١.

﴿لَيْسَ لَهَا﴾ نَفْسٌ ﴿كَاشِفَةٌ﴾ أَي: مُبَيَّنَّةٌ مَتَى تَقُومُ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لَوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾^(١)، أَوْ: لَيْسَ لَهَا نَفْسٌ قَادِرَةٌ عَلَى كَشْفِهَا إِذَا وَقَعَتْ إِلَّا اللَّهُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَكْشِفُهَا. وَقِيلَ: «كَاشِفَةٌ» مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْكَشْفِ كَالْعَافِيَةِ وَالْخَائِنَةِ^(٢)، أَي: لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَشْفٌ، وَالْمُرَادُ: لَا يَكْشِفُ عَنْهَا غَيْرُهُ.

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ ﴿تَعْجَبُونَ﴾ إِنْكَارًا. ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ اسْتِهْزَاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ انْزِجَارًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ. وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَدِيثِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَخْبَارِ. ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ لَاهُونَ لَا عِبُونَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَجَارِيَّتِهِ: اسْمِدِي لَنَا أَي: غَنِّي^(٣). ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ مُخْلِصِينَ وَلَا تَعْبُدُوا الْآلِهَةَ.



(١) الأعراف: ١٨٧.

(٢) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ٣ ص ١٠٣.

(٣) روي عن ابن عباس قال: السُّمُودُ: الغناء بلغة حِمِيرٍ، يُقَالُ لِلْقَيْتَةِ: أَسْمَدِينَا أَي أَلْهِنَا بِالْغِنَاءِ. أَنْظِرْ لِسَانَ الْعَرَبِ: مَادَّةُ «سَمَد».

سُورَةُ الْقَمَرِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، وَهِيَ خَمْسُ وَخَمْسُونَ آيَةً.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا فِي كُلِّ غَبٍّ بُعِثَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «مَنْ قَرَأَهَا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ قَبْرِهِ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا
سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ (٣) وَلَقَدْ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ٩ ص ٤٤٢: مَكِّيَّةٌ بِإِخْلَافٍ، وَهِيَ خَمْسُ وَخَمْسُونَ آيَةً بِإِخْلَافٍ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْمَاورِدِي: ج ٥ ص ٤٠٨: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾
وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٤٣٠ مَا لَفْظُهُ: مَكِّيَّةٌ إِلَّا الْآيَاتِ ٤٤ وَ ٤٥ وَ ٤٦ فَمَدْنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٥٥) نَزَلَتْ بَعْدَ الطَّارِقِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٤٤٢ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٣.

جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ (٦) خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْحِ وَدُسِرَ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءٌ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) ﴿

انشقاق القمر من معجزات نبيِّنا ﷺ الباهرة^(١)، رواه كثير من الصحابة^(٢) منهم: حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود، وأنس، وأبْنُ عَبَّاسٍ، وأبْنُ عُمَرَ وغيرهم.

قَالَ حُذَيْفَةُ: إِنَّ السَّاعَةَ قَدْ اقْتَرَبَتْ، وَإِنَّ الْقَمَرَ قَدْ انْشَقَّ عَلَى عَهْدِ نَبِيِّكُمْ ﷺ^(٣).

(١) أخرج المحدث البحراني في البرهان: ج ٤ ص ٢٥٩ ح ٥ عن عمر بن ابراهيم الأوسي قال: قال ابن مسعود: انشقاق القمر لرسول الله ﷺ ورد الشمس لعلي بن أبي طالب لأن كل فضل أعطى الله نبيه ﷺ أعطى مثله لوليّه إلا النبوة، وقيل: هذا خاتم النبيين وهذا خاتم الوصيين.

(٢) قال المحدث الثقة ابن شهر آشوب في مناقبه: أجمع المفسرون والمحدثون سوى عطاء والحسين والبلخي في قوله: «اقتربت الساعة وأنشق القمر» أنه اجتمع المشركون ليلة بدر إلى النبي ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، قال: إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم، فأشار إليه بإصبعه فانشق شقتين، روي حراء بين فلقتيه. المناقب: ج ١ ص ١٢٢.

(٣) أخرجه عنه السيوطي في الدر المنثور: ج ٧ ص ٦٧٢ وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد وابن جرير وابن مردويه وأبي نعيم.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رَأَيْتُ حِرَاءَ بَيْنَ فَلَقَتِي الْقَمَرِ ^(١).

وعن ابن عباس: انشقَّ القمرُ فَلَقَتَيْنِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنَادِي: «يَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ اشْهَدُوا» ^(٢) ^(٣).

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ عن الانقيادِ لِصَحَّتِهَا ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ ^(٤) قَوِيٌّ مُحْكَمٌ، مِنْ قَوْلِهِمْ: اسْتَمَرَ مَرِيرَةً، وَقِيلَ: مُسْتَمِرٌّ: مَا زُذَّ هَابُ يَزُولُ وَلَا يَبْقَى؛ تَمْنِيَةً لِنَفْسِهِمْ وَتَغْلِيلًا ^(٥). ﴿وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ وَمَا زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ دَفْعِ الْحَقِّ بَعْدَ ظُهُورِهِ ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ أَي: كُلُّ أَمْرٍ لَا بَدَّ أَنْ يَصِيرَ إِلَى غَايَةٍ لِيَسْتَقَرَّ عَلَيْهَا، وَإِنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَيَصِيرُ إِلَى غَايَةٍ يَتَبَيَّنُ عِنْدَهَا أَنَّهُ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ، وَسَيَظْهَرُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ. وَقُرِئَ: «مُسْتَقَرٌّ» بِالْجَرِّ ^(٦) عَطْفًا عَلَى ﴿السَّاعَةِ﴾ أَي: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَاقْتَرَبَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ يَسْتَقَرُّ وَيَتَبَيَّنُ حَالُهُ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أَي: مِنَ الْقُرْآنِ الْمَوْدَعِ أَنْبَاءُ الْآخِرَةِ، أَوْ أَنْبَاءُ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أَي: أَرْدَجَارٌ، أَوْ: مَوْضِعُ أَرْدَجَارٍ عَنِ الْكُفْرِ وَتَكْذِيبِ الرُّسُلِ. ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ بَدَلٌ مِنْ «مَا»، أَوْ: عَلَى هُوَ حِكْمَةٌ ﴿فَمَا تُغْنِ الْتُّذُرُ﴾ نَفْيٌ أَوْ إِنْكَارٌ، مَعْنَاهُ: وَأَيُّ غِنَاءٍ تُغْنِي التُّذُرُ.

﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ﴾ لِعِلْمِكَ أَنَّ الْإِنْذَارَ لَا يُغْنِي فِيهِمْ ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ انْتَصَبَتْ

(١) أَخْرَجَهُ عَنْهُ السَّيُوطِيُّ أَيْضًا فِي الدَّرِّ وَعَزَاهُ إِلَى أَحْمَدَ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدَ وَابْنِ جَرِيرٍ وَالْحَاكِمِ وَابْنِ مَرْدُودِيهِ وَأَبِي نَعِيمٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ عَنْهُ كَذَلِكَ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ وَعَزَاهُ إِلَى أَبِي نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ.

(٣) أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ١١ ص ٥٤٧ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُجَاهِدٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «اشْهَدْ يَا أَبَا بَكْرٍ».

(٤) فِي نَسْخَةٍ زِيَادَةٍ: «دَائِمٌ مَطْرَدٌ وَقِيلَ: مُسْتَمِرٌّ».

(٥) قَالَهُ مُجَاهِدٌ فِي تَفْسِيرِهِ: ص ٦٣٣.

(٦) قَرَأَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَدَنِيُّ. رَاجِعْ شَوَازِ الْقُرْآنِ لِابْنِ خَالَوَيْهِ: ص ١٤٨.

بـ ﴿يَخْرُجُونَ﴾، وُقِرَّ بِإِسْقَاطِ الْيَاءِ مِنْ «الدَّاعِي» اِكْتِفَاءً بِالْكَسْرِ عَنْهَا ^(١).
 ﴿إِلَى شَيْءٍ تُكْرٍ﴾ مُنْكَرٍ فَطِيعٍ تَنْكُرُهُ النَّفُوسُ، وَهُوَ هَوْلُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وُقِرَّ «نُكْرٍ»
 بِالتَّخْفِيفِ ^(٢)، والدَّاعِي هُوَ إِسْرَافِيلُ.

﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾، وُقِرَّ: «خَاشِعًا» ^(٣) عَلَى: يَخْشَعْنَ أَبْصَارُهُمْ، وَيَخْشَعُ
 أَبْصَارُهُمْ، وَهُوَ حَالٌ مِنْ ﴿يَخْرُجُونَ﴾، وَ ﴿خُشَعًا﴾ عَلَى لُغَةٍ مِنْ قَالَ: أَكَلُونِي
 الْبَرَاغِيثُ وَهُمْ طَيْئٌ، أَوْ: فِيهِ ضَمِيرٌ «هُمْ» وَ ﴿أَبْصَرُهُمْ﴾ بَدَلٌ عَنْ ذَلِكَ الضَّمِيرِ
 تَقُولُ: مَرَزْتُ بِرَجَالٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ وَحَسَانٍ أَوْجُهُهُمْ. وَخُشُوعُ الْأَبْصَارِ كِنَايَةٌ عَنْ
 الذَّلَّةِ، لِأَنَّ ذَلَّةَ الدَّلِيلِ وَعِزَّةَ الْعَزِيزِ يَظْهَرَانِ فِي عُيُونِهِمَا ﴿مِنْ الْأَجْدَاثِ﴾ مِنَ الْقُبُورِ
 ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ شَبَّهَهُم بِالْجَرَادِ لِكَثْرَتِهِمْ وَتَمَوُّجِهِمْ، يُقَالُ لِلْجَيْشِ الْكَثِيرِ
 الْمَائِجِ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ: جَاءُوا كَالْجَرَادِ. ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ أَي: مُسْرِعِينَ إِلَى
 إِجَابَةِ الدَّاعِي، مَا دَيَّ أَعْنَاقَهُمْ إِلَيْهِ.

﴿كَذَّبَتْ﴾ قَبْلَ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نُوحًا تَكْذِيبًا عَلَى عَقِيبِ
 تَكْذِيبِ ﴿وَقَالُوا﴾ هُوَ ﴿مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ وَأَنْتَهَرَ بِالشَّتْمِ وَالضَّرْبِ وَالْوَعِيدِ
 بِالرَّجْمِ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ ^(٤). ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ بِأَنِّي ﴿مَغْلُوبٌ﴾
 غَلَبَنِي قَوْمِي وَلَمْ يَسْمَعُوا مِنِّي، وَيَيْسَتْ مِنْ إِجَابَتِهِمْ لِي ﴿فَانْتَصِرْ﴾ فَانْتَقَمَ مِنْهُمْ
 بِعَذَابٍ تُنْزِلُهُ عَلَيْهِمْ. ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ قُرِئَ بِالتَّشْدِيدِ ^(٥) وَالتَّخْفِيفِ ﴿بِمَاءٍ﴾

(١) قرأه ابن كثير ونافع في الوصل فقط، وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في الوصل
 والوقف معاً. راجع كتاب السبعة في القراءات ص ٦١٧. والظاهر أن المصنف رحمه الله يعتمد
 قراءة إثبات الياء هنا تبعاً لصاحب الكشف.

(٢) أي سكون الكاف، وهي قراءة ابن كثير وحده. راجع كتاب السبعة المتقدم.

(٣) قرأه أبو عمرو وحمزة والكسائي. راجع المصدر السابق نفسه: ص ٦١٨.

(٤) الشعراء: ١١٦.

(٥) وهي قراءة ابن عامر وحده. راجع المصدر السابق نفسه.

مُنْهَمِرٍ ﴿ مُنْصَبٌّ فِي كَثْرَةٍ وَتَتَابِعٍ، لَمْ يَنْقَطِعْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ ﴿ شَقَّقْنَاهَا بِالْمَاءِ ﴿ عِيُونًا ﴾ أَي: جَعَلْنَا الْأَرْضَ كُلَّهَا كَأَنَّهَا عِيُونٌ مُتَفَجِّرَةٌ ^(١) . ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ ﴾ أَي: مِياهُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ عَلَى حَالٍ قَدَّرَهَا اللَّهُ كَيْفَ شَاءَ، وَقِيلَ: عَلَى حَالٍ جَاءَتْ مَقْدَرَةٌ مُسْتَوِيَّةٌ، وَهِيَ أَنَّ قَدَرَ مَا أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ كَقَدَرَ مَا أُخْرِجَ مِنَ الْأَرْضِ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ ^(٢) .

﴿ عَلَى ذَاتِ الْوُحِ وَدُسْرِ ﴾ يَعْنِي: السَّفِينَةَ، وَهِيَ صِفَةُ نَائِبٍ مَنَابٍ الْمَوْصُوفِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

... وَلَكِنْ قَمِيصِي دِرْعٌ وَالْدُّسْرُ: جَمْعُ دِسَارٍ وَهُوَ الْمِسْمَارُ، فَعَالٌ مِنْ دَسَرَهُ:

إِذَا دَفَعَهُ. ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ أَي: بِمَرَأَى مَنَا ﴿ جَزَاءً ﴾ مَفْعُولٌ لَهُ، أَي: فَعَلْنَا ذَلِكَ ﴿ جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴾ وَهُوَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، جَعَلَهُ مَكْفُورًا لِأَنَّ الرَّسُولَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ، فَكَانَ نُوحٌ نِعْمَةً مَكْفُورَةً. ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا ﴾ الضَّمِيرُ لِلْسَّفِينَةِ أَوِ لِلْفِعْلَةِ ﴿ آيَةً ﴾ يُعْتَبَرُ بِهَا، وَالْمَذَكِّرُ: الْمُعْتَبَرُ. وَ «النَّذْرُ»: جَمْعُ نَذِيرٍ وَهُوَ بِمَعْنَى الْإِنْذَارِ.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (١٧) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «تَنْفَجِرُ».

(٢) قَالَه ابْنُ قَتَيْبَةَ. رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْمَاورِدِي: ج ٥ ص ٤١٢.

(٣) وَصَدْرُهُ: مَفْرُشِي صِهْوَةِ الْحِصَانِ وَلَكِنْ. لَمْ نَعَثِرْ عَلَى قَائِلِهِ، يَرِيدُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْغَزْوِ وَالتَّجَلُّدِ فِي الْمَعِيشَةِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ التَّنْعَمِ وَالتَّرَفِّ. رَاجِعْ شَوَاهِدَ الْكَشَافِ: ص ٥٦.

وَسُعْرٍ (٢٤) أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ
غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ
وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَظَرٌ (٢٨)
فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (٣٠) إِنَّا
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ الْمُحْتَظِرِ (٣١) ﴿

﴿يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سَهَّلْنَاهُ لِلْحِفْظِ، وَأَعْنَّا عَلَيْهِ مَنْ أَرَادَ حِفْظَهُ حَتَّى
يَقْرَأَهُ ظَاهِرًا ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أي: طَالِبٍ لِحِفْظِهِ لِيَعَانَ عَلَيْهِ؟ أَوْ: هَيَّأْنَاهُ لِلذِّكْرِ مِنْ:
يَسَّرَ نَاقَتَهُ لِلسَّفَرِ إِذَا رَحَلَهَا، قَالَ:

وَقُمْتُ إِلَيْهِ بِاللَّجَامِ مُسِيرًا هُنَالِكَ يَجْزِينِي الَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ^(١)
وَرُوي: أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنْزَلَةِ كِتَابٌ يُقْرَأُ كُلُّهُ ظَاهِرًا إِلَّا الْقُرْآنُ^(٢).
وقيل: معناه: سَهَّلْنَاهُ لِلادِّكَارِ وَالِاتِّعَاطِ بِأَنْ شَحَّنَاهُ بِالْمَوَاعِظِ الشَّافِيَةِ وَالزَّوَاجِرِ
الكَافِيَةِ^(٣) ﴿فَهَلْ مِنْ مُتَعِظٍ؟

﴿وَنُذْرٍ﴾ أي: وَإِنْذَارٍ أَتَى لَهُمْ بِالْعَذَابِ قَبْلَ نُزُولِهِ، أَوْ: إِِنْذَارٍ أَتَى فِي تَعْذِيبِهِمْ
لِمَنْ بَعْدَهُمْ. ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ شَدِيدَةَ الْهُبُوبِ، أَوْ: شَدِيدَةَ الْبَرْدِ، مِنْ: الصَّرَّ وَهُوَ
الْبَرْدُ ﴿فِي يَوْمٍ نَخْسٍ﴾ شَوْمٍ ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ دَائِمِ الشَّوْمِ قَدْ اسْتَمَرَ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَهْلَكَهُمْ،
أَوْ: اسْتَمَرَ عَلَى كِبَرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ نَسَمَةٌ، وَكَانَ فِي أَرْبَعَاءٍ فِي آخِرِ
الشَّهْرِ لَا تَدُورُ؛ وَرُويَ ذَلِكَ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ تَقْلَعُهُمْ عَنْ أَمَاكِنِهِمْ
﴿كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ يَعْنِي: أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَسَاقَطُونَ عَلَى الْأَرْضِ أَمْوَاتًا وَهُمْ

(١) للأعرج الخارجي، في وصف فرسٍ له. أنظر شرح الشواهد: ص ١٣٩.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٢٦١ عن سعيد بن جبير.

(٣) حكاها الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٣٥.

جُثَّتْ طِوَالُ عِظَامٍ كَانَتْهُمْ أَصُولُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ عَنْ أَمَاكِينِهِ وَمَغَارِسِهِ، وَقِيلَ: شُبِّهُوا بِذَلِكَ لِأَنَّ الرِّيحَ قَطَعَتْ رُؤُوسَهُمْ فَبَقُوا أَجْسَاداً بِلَا رُؤُوسٍ ^(١). وَذُكِّرَ صِفَةُ ﴿نَخْلٍ﴾ عَلَى اللَّفْظِ، وَلَوْ أَنَّ حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى لَجَازَ، كَمَا قَالَ: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ ^(٢).

﴿أَبْشَرًا مِّنَّا﴾ نُصِبَ بِفِعْلِ يُفَسِّرُهُ ﴿نَتَّبِعُهُ﴾، أَنْكَرُوا أَنْ يَتَّبِعُوا مِثْلَهُمْ فِي الْجَنَسِيَّةِ، وَقَالُوا: ﴿مِنَّا﴾ لَتَكُونَ الْمُمَازِلَةُ أَقْوَى، وَقَالُوا: ﴿وَحِدَاً﴾ إِنْكَاراً لِأَنَّ تَتَّبَعَ الْأُمَّةُ رَجُلًا وَاحِدًا لَيْسَ بِأَشْرَفِهِمْ ﴿إِنَّا إِذَا لَفِى ضَلَلٍ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: إِنْ لَمْ تَتَّبِعُونِي كُنْتُمْ فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ ﴿وَسُعْرٍ﴾ أَي: وَنِيرَانٍ، جَمْعُ سَعِيرٍ، فَعَكَسُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: إِنْ أَتَبَعْنَاكَ كُنَّا إِذَا كَمَا تَقُولُ، وَقِيلَ: الضَّلَالُ: الْخَطَأُ وَالْبُعْدُ عَنِ الصَّوَابِ، وَالسُّعْرُ: الْجُنُونُ ^(٣). ﴿أَأُفْلِحَ الْذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أَي: أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنْ بَيْنِنَا وَفِينَا مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْهُ بِالْاِخْتِيَارِ لِلنُّبُوَّةِ؟! ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ بَطَرٌ مُتَكَبِّرٌ، يُرِيدُ أَنْ يَتَعَظَّمَ عَلَيْنَا بِادِّعَاءِ النُّبُوَّةِ. ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدَاً﴾ عِنْدَ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ، أَوْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿مَنْ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ﴾ أَصَالِحٌ أَمَّنْ كَذَّبَهُ؟

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ أَي: بِاعِثُوهَا وَمُخْرِجُوهَا مِنَ الْهَضْبَةِ كَمَا سَأَلُوا ﴿فِتْنَةً لَهُمْ﴾ وَامْتِحَانًا وَابْتِلَاءً ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ فَاانْتَظِرْهُمْ وَتَبَصَّرْ مَا هُمْ صَانِعُونَ ﴿وَأَصْطَبِرْ﴾ عَلَى مَا يُصِيبُكَ مِنْ أَذَاهُمْ، وَلَا تَعْجَلْ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي. ﴿وَنَبِّهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ مَّقْسُومٌ بَيْنَهُمْ، لَهَا شِرْبٌ يَوْمٍ وَلَهُمْ شِرْبٌ يَوْمٍ، وَقَالَ: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ تَغْلِيْبًا لِلْعُقَلَاءِ ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ مَخْضُورٌ يَخْضَرُهُ أَهْلُهُ لَا يَخْضَرُهُ الْآخَرُ مَعَهُ، وَقِيلَ: يَخْضَرُونَ الْمَاءَ فِي نَوْبَتِهِمْ وَاللَّبَنَ فِي نَوْبَتِهَا ^(٤). ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ قَدَارُ بْنُ سَالِفٍ

(١) قاله مجاهد. راجع إعراب القرآن للنحاس: ج ٤ ص ٢٩٢.

(٢) الحاقة: ٧. (٣) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٨٩.

(٤) قاله مجاهد في تفسيره: ص ٦٣٥.

أَحْيَمَرُ ثَمُودَ ﴿فَتَعَاطَى﴾ وَاجْتَرَأَ عَلَى تَعَاطِي الْأَمْرِ الْعَظِيمِ غَيْرَ مُبَالٍ بِهِ، فَأَخَذَتْ
الْعَقْرَ بِالنَّاقَةِ، أَوْ: فَتَعَاطَى السَّيْفَ فَعَقَرَهَا.

﴿صَيْحَةَ وَحْدَةٍ﴾ هِيَ صَيْحَةُ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْهَشِيمُ: الشَّجَرُ الْيَابِسُ الْمُتَهَشِّمُ
الْمُتَكَسِّرُ، وَ ﴿الْمُحْتَظَرُ﴾ الَّذِي يَعْمَلُ الْحَظِيرَةَ، وَمَا يَحْتَظَرُ بِهِ يَبْسُ وَتَتَوَطَّوُهُ
الْبَهَائِمُ فَيَتَهَشَّمُ.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ
بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤)
نِعْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٤٠) وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ
فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٤٢) ﴿
﴿حَاصِبًا﴾ رِيحًا تَحْصِبُهُمْ أَي: تَرْمِيهِمْ بِالْحَصْبَاءِ ^(١) ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ هُوَ
السُّدُسُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَصُرِفَ لِأَنَّهُ نَكْرَةٌ، وَتَقُولُ: لَقَيْتُهُ سَحْرًا تُرِيدُ: فِي سَحَرِ
يَوْمِكَ. ﴿نِعْمَةً﴾ أَي: إِنْعَامًا وَهُوَ مَفْعُولٌ لَهُ ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ نِعْمَةً اللَّهُ
بِإِيمَانِهِ وَطَاعَتِهِ.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ لُوطٌ ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أَخَذَتْنَا بِالْعَذَابِ ﴿فَتَمَارَوْا﴾ أَي: فَشَكُّوا
بِالْإِنْذَارَاتِ. ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ أَي: طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِمْ ضَيْفَهُ
﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ فَمَحَوْنَاهَا حَتَّى صَارَتْ مَمْسُوحَةً كَسَائِرِ الْوَجْهِ لَا يُرَى لَهَا

(١) فِي الصَّحَاحِ: الْحَصْبَاءُ: الْحَصَى، وَحَصَبْتُ الْمَسْجِدَ تَحْصِيًّا: إِذَا فَرَشْتَهُ بِهَا، وَالْمَحْصَبُ:
مَوْضِعُ الْجِمَارِ بِمَنْى.

شَقُّ، صَفَقَهُمْ جَبْرِئِلُ بِجَنَاحِهِ صَفَقَةً تَرَكْتَهُمْ يَتَرَدُّونَ، لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْبَابِ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ لُوطٌ ﴿فَذُوقُوا﴾ فَقُلْتُ لَهُمْ عَلَى السِّنَةِ الْمَلَائِكَةُ: ذُوقُوا ﴿عَذَابِي وَنَذِيرِي﴾. ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ﴾ أَي: أَتَاهُمْ صَبَاحاً ﴿بُكْرَةً﴾ وَبَاكِرَةً أَي: أَوَّلَ النَّهَارِ، هِيَ كَقَوْلِهِ: ﴿مُشْرِقِينَ﴾ ^(١) و ﴿مُضْجِحِينَ﴾ ^(٢)، ﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ ثَابِتٌ قَدْ اسْتَقَرَّ عَلَيْهِمْ.

والفائدة في تكرير قوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِي وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ...﴾ الآية أَنْ يُجَدِّدُوا ^(٣) عِنْدَ اسْتِمَاعِ كُلِّ نَبَأٍ مِنْ أَنْبَاءِ الْأُمَمِ أَدْكَاراً وَاتِّعَازاً إِذَا سَمِعُوا الْحَثَّ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنْ تَقَرَّعَ لَهُمُ الْعَصَا مِرَاراً حَتَّى لَا تَغْلِبَهُمُ الْغَفْلَةُ، وَهَكَذَا حُكْمُ التَّكْرِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَبَإِذَاءِ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ عِنْدَ ذِكْرِ كُلِّ نِعْمَةٍ عُدَّتْ فِي سُورَةِ «الرَّحْمَنِ»، وَقَوْلِهِ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ فِي «الْمُرْسَلَاتِ»، وَهَكَذَا حُكْمُ تَكْرِيرِ الْأَنْبَاءِ وَالْقَصَصِ فِي أَنْفُسِهَا، لِيَكُونَ كُلُّ مِنْهَا حَاضِرَةً لِلْقُلُوبِ غَيْرِ مَنْسِيَّةٍ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ إِهْلَاقُ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ﴾ مُوسَى وَهَارُونَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّهَا عَرَضًا عَلَيْهِمْ مَا أُنْذِرَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، أَوْ: هُوَ جَمْعُ نَذِيرٍ وَهُوَ الْإِنْذَارُ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ وَهِيَ الْآيَاتُ التَّسْعُ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا مُوسَى ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لَا يُغَالِبُ ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ عَلَى مَا يَشَاءُ.

﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ

(١) الحجر: ٧٣، الشعراء: ٦٠.

(٢) الحجر: ٦٦ و ٨٣، الصافات: ١٣٧، القلم: ١٧ و ٢١.

(٣) في نسخة: «يحذروا».

خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ
وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ
مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥) ﴿

﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَيْرٌ﴾ وأقوى ﴿من أولئكم﴾ الكفار المعذودين:
قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون؟ أي: أهما خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا
أو أقل كُفراً وعناداً؟ والمراد: أن هؤلاء مثل أولئك بل شرّ منهم ﴿أم﴾ أنزلت ﴿لكم
برآءة﴾ في الكتب المتقدمة: أن من كفر منكم وكذب الرُّسل كان آمناً من عذاب الله
فآمنتكم بتلك البرآءة؟ ﴿نحن جميع﴾ أي: جماعة أمرنا مجتمع ﴿مُنْتَصِرٌ﴾ مُنْتَعِ
لا نرام ولا نضام.

ويروى^(١): أن أبا جهل ضرب فرسه يوم بدر وقال: نحن ننتصر اليوم من
محمد ﷺ وأصحابه، فنزلت: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ يريد: كفار مكة ﴿ويؤولون
الدُّبُرَ﴾ أي: الأدبار، كما قال:

كُلُّوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعْفُوا^(٢)

أي: ينهزمون فيؤولونكم أدبارهم، وكانت هذه الهزيمة يوم بدر. ﴿بل الساعة﴾
أي: يوم القيامة ﴿مَوْعِدُهُمْ﴾ للعذاب ﴿والساعة أذهى﴾ وأشدُّ وأقطع، ﴿وأمر﴾
من الهزيمة والقتل والأسر بدير.

﴿في ضللٍ وسُعُرٍ﴾ أي: هلاكٍ ونيرانٍ، أو: في ضلالٍ عن الحق في الدنيا

(١) رواه مقاتل. راجع تفسير القرطبي: ج ١٧ ص ١٤٦.

(٢) وعجزه: فإن زمانكم زمنٌ خميض. لم نعثر على قائله، وفيه دعوة إلى العفة عن مساءلة
الناس أن يطعموهم شيئاً. انظر خزانة الأدب للبغدادى: ج ٧ ص ٥٥٩ وما بعده.

ونيرانٍ في الآخرة. ﴿ذُوقُوا﴾ على إرادة القول ﴿مَسَّ سَقَر﴾ هو مثل قولهم: وجد مس الحمى، وذاق طعم الضرب، لأن النار إذا أصابتهم بحرّها وشِدَّتِها فكأنّها مسَّتْهم مسّاً بذلك كما يمس الحيوان بما يؤذي ويؤلم، و ﴿سَقَر﴾: علّم لجهنّم، من: سَقَرْتُهُ النارُ وصَقَرْتُهُ إذا لوّحْتُهُ.

﴿كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ﴾ منصوبٌ بمضمرٍ يفسرُهُ هذا الظاهرُ، والقدرُ: التقديرُ أي: خلقنا كلَّ شيءٍ مقدّراً مُحْكَمًا مُرْتَباً على حَسَبِ ما أَقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ. ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ أي: كلمةٌ واحدةٌ سريعةُ التَّكْوِينِ ﴿كَلَمَحٍ بِالْبَصْرِ﴾ والمرادُ قوله: «كُن». والمرادُ: أنا إذا أردنا تَكْوِينَ شَيْءٍ لَمْ يَلْبَثْ كَوْنُهُ.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأممِ الماضيةِ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ في دواوين الحَفَظَةِ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من أعمالهم مسطورٌ عليهم مكتوبٌ، أو: كلُّ ما هو كائنٌ من الآجالِ والأرزاقِ وغيرهما مكتوبٌ في اللوحِ المحفوظِ.

﴿وَنَهَرٍ﴾ أي: أنهارٍ، اكتفى باسمِ الجنسِ، وقيل: هو السَّعَةُ والضياءُ من النَّهارِ^(١). ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مكانٍ مَرْضِيٍّ، وقيل: في مجلسٍ حقٍّ لا لغوٍ فيه^(٢) ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ أي: مُقَرَّبِينَ عِنْدَ مُقَدَّرٍ، لا شيءٍ إلّا وهو تحتَ مُلْكِهِ وقُدْرَتِهِ.



(١) قاله الضحاك. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢٦٦.

(٢) وهو قول الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٤٦١.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، وَقِيلَ: مَدِينِيَّةٌ ^(٢) وَهِيَ ثَمَانٍ وَسَبْعُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، سِتُّ بَصْرِيٌّ، عَدَّ الْكُوفِيُّ ﴿الرَّحْمَنَ﴾ ^(٣) وَ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ ^(٤).
وَفِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الرَّحْمَنِ رَحِمَ اللَّهُ ضَعْفَهُ، وَأَدَّى شُكْرَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» ^(٥).

وَعَنْ ^(٦) الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ الرَّجُلُ سُورَةَ الرَّحْمَنِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ فِي التَّبْيَانِ: ج ٩ ص ٤٦٢: قَالَ قَوْمٌ: هِيَ مَكِّيَّةٌ، وَقَالَ آخَرُونَ هِيَ مَدِينِيَّةٌ، وَهِيَ ثَمَانٍ وَسَبْعُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ وَالشَّامِيِّ، وَسَبْعٌ وَسَبْعُونَ عِنْدَ الْحِجَازِيِّينَ، وَسِتٌّ وَسَبْعُونَ فِي الْبَصْرِيِّ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٤٤٢: مَدِينِيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا (٧٨) نَزَلَتْ بَعْدَ الرَّعْدِ.

(٢) وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِرَوَايَةِ النَّحَّاسِ وَابْنِ ضَرِيرٍ، وَقَتَادَةَ بِرَوَايَةِ الْأَنْبَارِيِّ، وَابْنَ الْحَصَّارِ فِي مَنْظُومَتِهِ، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي الدَّلَائِلِ. رَاجِعَ الْإِتِّقَانُ لِلْسِّيُوطِيِّ: ج ١ ص ٤٨.

(٣ وَ ٤) الْآيَةُ: ١ وَ ٤٣.

(٥) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٤٥٤ مَرْسَلًا.

(٦) فِي نَسْخَةٍ زِيَادَةَ: «أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَدْعُوا قِرَاءَةَ سُورَةِ الرَّحْمَنِ وَالْقِيَامَ بِهَا فَإِنَّهُ لَا تَقْوَى فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ، وَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَطْيَبِ رِيحٍ حَتَّى تَقِفَ مِنْ اللَّهِ مَوْقِعًا لَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا فَيَقُولُ لَهَا: مَنْ الَّذِي كَانَ يَقُومُ بِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَنْ قَرَأَكَ؟ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَتَبْيِضُ وَجُوهُهُمْ، فَيَقُولُ: اشْفَعُوا فِيمَنْ أَحْبَبْتُمْ، فَيَشْفَعُونَ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُمْ غَايَةٌ، وَلَا أَحَدٌ يَشْفَعُونَ لَهُ فَيَقُولُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ وَأَسْكِنُوا فِيهَا حَيْثُ شِئْتُمْ. وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الرَّحْمَنِ ←

وَكُلَّمَا قَرَأَ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قَالَ: لَا بَشْيَءٍ مِنْ آيَاتِكَ رَبِّ أَكْذَبُ»^(١).
وعن موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام عن النبي ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ شَيْءٍ عَرُوسٌ، وَعَرُوسُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الرَّحْمَنِ»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ﴾ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)﴾

﴿الرَّحْمَنُ﴾: الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ. لَمَّا أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُعَدِّدَ نِعَمَهُ وَآلَاءَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ قَدَّمَ هَذَا الْاسْمَ لِيُعْلَمَ أَنَّ جَمِيعَ نِعْمَائِهِ وَأَفْعَالِهِ الْحُسْنَى صَدَرَتْ مِنَ الرَّحْمَةِ الَّتِي شَمَلَتْ خَلْقَهُ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ، وَهَذِهِ الْأَفْعَالُ مَعَ ضَمَائِرِهَا بَعْدَهُ أَخْبَارٌ مُتَرَادِفَةٌ، وَإِخْلَاؤُهَا مِنْ حَرْفِ الْعَطْفِ لِمَجِيئِهَا عَلَى نَمَطِ التَّعْدِيدِ، وَعَدَّ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ نِعْمَةً الدِّينِ الَّتِي هِيَ أَجَلُ النِّعَمِ، وَقَدَّمَ مِنْهَا مَا هُوَ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِهَا، وَهُوَ تَعْلِيمُهُ الْقُرْآنَ وَتَنْزِيلُهُ لَأَنَّهُ أَعْظَمُ وَحْيِ اللَّهِ مَنَزَلَةً، وَهُوَ مُصَدِّقُ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ.

→ فقال عند كل آية: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: لا بالآتيك أكذب، فإن قرأها ليلاً ثم مات؛ مات شهيداً، وإن قرأها نهاراً ثم مات؛ مات شهيداً.

(١) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٤.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ج ٢ ص ٤٩٠ ح ٢٤٩٤ بإسناده عن علي بن النعمان عن النبي ﷺ.

وَقَدْ آخَرَ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ عَنْ ذِكْرِهِ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا خَلَقَهُ لِيُعْلَمَ وَحْيُهُ، فَمَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ أَجْلِهِ كَانَ مَقْدَمًا عَلَيْهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ مَا يُمَيِّزُ بِهِ الْإِنْسَانَ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ مِنْ ﴿الْبَيَانَ﴾ وَهُوَ التَّنَطُّقُ الْمُغْرِبُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ، وَقِيلَ: إِنَّ ﴿الْإِنْسَانَ﴾ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ﴿الْبَيَانَ﴾ اللُّغَاتُ كُلُّهَا وَأَسْمَاءُ كُلِّ شَيْءٍ^(١). وَقِيلَ: ﴿الْإِنْسَانَ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَ﴿الْبَيَانَ﴾ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ^(٢). وَعَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿الْبَيَانَ﴾ الْأَسْمُ الْأَعْظَمُ الَّذِي عَلِمَ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ بِحِسَابٍ مَعْلُومٍ وَتَقْدِيرٍ سَوِيٍّ يَجْرِيَانِ فِي بُرُوجِهِمَا وَمَنَازِلِهِمَا، وَفِي ذَلِكَ مَنَافِعُ عَظِيمَةٌ لِلنَّاسِ مِنْهَا: عِلْمُ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ. ﴿وَالنَّجْمُ﴾: النَّبَاتُ الَّذِي يَنْجُمُ مِنَ الْأَرْضِ لَا سَاقَ لَهُ كَالْبَقُولِ ﴿وَالشَّجَرُ﴾: الَّذِي لَهُ سَاقٌ، وَسُجُودُهُمَا: انْقِيَادُهُمَا لِلَّهِ تَعَالَى فِيمَا خُلِقَا لَهُ، أَوْ: مَا فِيهِمَا مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى خُدُوتِهِمَا، وَأَنَّ لَهُمَا صَانِعاً مُخْدِثاً. وَاتَّصَلَتْ هَاتَانِ الْجُمْلَتَانِ بِ﴿الرَّحْمَنِ﴾ اتِّصَالاً مَعْنَوِيّاً، وَهُوَ مَا عَلِمَ أَنَّ الْحُسْبَانَ حُسْبَانُهُ، وَالسُّجُودَ لَهُ لَا لِغَيْرِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: بِحُسْبَانِهِ وَيَسْجُدَانِ لَهُ.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ خَلَقَهَا مَرْفُوعَةً مَسْمُوكَةً، حَيْثُ جَعَلَهَا مَنَشَأً أَحْكَامِهِ، وَمُنْتَزَلاً أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَمَسْكَنَ مَلَائِكَتِهِ الَّذِينَ يَهْبِطُونَ بِالْوَحْيِ عَلَى رُسُلِهِ ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ وَهُوَ كُلُّ مَا يُوزَنُ بِهِ الْأَشْيَاءُ، وَيُعْرَفُ مَقَادِيرُهَا، لِيُوصَلَ بِهِ إِلَى الْإِنصَافِ وَالْإِنْتِصَافِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ الْعَدْلُ^(٣). ﴿أَنْ لَا تَطْغَوْا﴾ لَيْلًا تَطْغَوَا، أَوْ: هِيَ «أَنْ» الْمُفَسَّرَةُ. ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ أَي: قَوِّمُوا وَزَنُوكُم بِالْعَدْلِ،

(١) قاله ابن عباس وقتادة والحسن كما في تفسير القرطبي: ج ١٧ ص ١٥٢.

(٢) وهو قول ابن عباس أيضاً وابن كيسان. راجع المصدر السابق.

(٣) قاله مجاهد وقتادة والسدي. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٤٢٤.

﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ وَلَا تُنْقِصُوهُ، وَهَذَا أَمْرٌ بِالتَّسْوِيَةِ، وَنَهْيٌ عَنِ الطُّغْيَانِ الَّذِي هُوَ أَعْتَدَاءُ وَزِيَادَةٌ، وَعَنِ الْخُسْرَانِ الَّذِي هُوَ تَطْفِيفٌ وَنُقْصَانٌ. وَكَرَّرَ لَفْظَ «الْمِيزَانَ» تَشْدِيداً لِلتَّوَصِيَةِ بِهِ وَتَأْكِيداً.

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ خَفَضَهَا مَذْحُوءَةً عَلَى الْمَاءِ ﴿لِلْأَنَامِ﴾ لِلخَلْقِ، وَهُوَ كُلُّ مَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ، وَعَنِ الْحَسَنِ: لِلإِنْسِ وَالْجِنِّ^(١)، فَهِيَ كَالْمِهَادِ لَهُمْ يَتَصَرَّفُونَ فَوْقَهَا. ﴿فِيهَا فَكِيهَةٌ﴾ ضُرُوبٌ مِمَّا يُتَفَكَّهُ بِهِ ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ وَهِيَ كُلُّ مَا يُكَمُّ أَيُّ: يُغَطَّى مِنْ لَيْفِ النَّخْلِ وَسَعْفِهِ وَكُفْرَاهُ^(٢)، وَيُتَنَفَّعُ بِجَمِيعِهِ كَمَا يُتَنَفَّعُ بِالْمَكْمُومِ مِنْ ثَمَرِهِ وَجَمَارِهِ وَجُذُوعِهِ. وَقِيلَ: الْأَكْمَامُ: أَوْعِيَةُ الثَّمَرِ، وَالْوَاحِدُ «كِمٌّ» بِكَسْرِ الْكَافِ^(٣).

﴿وَالْعَصْفَ﴾: وَرَقُ الزَّرْعِ، وَقِيلَ: التَّيْنُ^(٤) وَ﴿الرَّيْحَانَ﴾ الرِّزْقُ، وَهُوَ اللَّبُّ، أَرَادَ فِيهَا مَا يُتَلَذَّذُ بِهِ مِنَ الْفَوَاكِهِ، وَمَا هُوَ الْجَامِعُ بَيْنَ التَّلَذُّذِ وَالتَّغْذِي، وَهُوَ ثَمَرُ النَّخْلِ وَمَا يُتَغَذَّى بِهِ، وَهُوَ الْحَبُّ. وَقُرِئَ: «وَالرَّيْحَانَ» بِالْكَسْرِ^(٥) وَمَعْنَاهُ: وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ الَّذِي هُوَ عَلَفُ الْأَنْعَامِ وَالرَّيْحَانِ الَّذِي هُوَ مَطْعَمُ النَّاسِ، وَبِالضَّمِّ عَلَى: وَذُو الرَّيْحَانِ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَفِيهَا الرَّيْحَانُ الَّذِي يُشَمُّ^(٦)، وَقُرِئَ: «وَالْحَبُّ ذَا الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانَ» بِالنَّصْبِ^(٧)، أَيُّ:

(١) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٣١٤.

(٢) الْكَفَرُ وَالْكَفْرِيُّ وَالْكَفَرِيُّ وَالْكَفَرِيُّ: وعاء طلع النخل وقشره الأعلى. (السان العرب: مادة كفر).

(٣) قاله الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٤٦٦. وإليه ذهب الجوهري في الصحاح: مادة «كمم».

(٤) قاله الضحاك. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢٦٨.

(٥) قرأه حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٢٩.

(٦) قاله الحسن وابن زيد. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢٦٨.

(٧) وهي قراءة ابن عامر وحده. راجع كتاب السبعة المتقدم.

وَخَلَقَ الْحَبَّ وَالرَّيْحَانَ، أَوْ: وَأَخَصَّ الْحَبَّ وَالرَّيْحَانَ.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴿تُكْذِبَانِ﴾، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْخِطَابَ لهُمَا

قَوْلُهُ: ﴿لَا تَنَامُ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾^(١).

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ

مِّن نَّارٍ (١٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ (١٦) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ

الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ (١٨) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ

يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ (٢١)

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ (٢٣) وَلَهُ

الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

تُكْذِبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ

وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ (٢٨) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

تُكْذِبَانِ (٣٠) ﴿

الصَّلْصَالُ: الطِّينُ الْيَابِسُ لِتَصْلُصِلِهِ، وَ الْفَخَّارُ: الطِّينُ الْمَطْبُوحُ بِالنَّارِ وَهُوَ

الْخَزْفُ. وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾^(٢) وَ ﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾^(٣)

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ جَعَلَهُ طِينًا، ثُمَّ حَمَأَ مَسْنُونًا، ثُمَّ صَلْصَلًا.

و ﴿الْجَانَّ﴾ أَبُو الْجَنِّ، وَقِيلَ: هُوَ إِبْلِيسُ^(٤)، وَالْمَارِجُ: الصَّافِي مِنْ لَهَبِ النَّارِ

لَا دُخَانَ فِيهِ، وَقِيلَ: هُوَ الْمُخْتَلَطُ بِسَوَادِ النَّارِ^(٥)، وَ «مِنْ» لِلْبَيَانِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ:

(١) الآية: ٣١.

(٢) الحجر: ٢٦ و ٢٨ و ٣٣.

(٣) الصافات: ١١.

(٤) قاله الحسن. راجع التبيان: ج ٩ ص ٤٦٨.

(٥) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٩٩.

مِنْ صَافٍ مِنْ نَّارٍ أَوْ مُخْتَلَطٍ مِنْ نَّارٍ.

وَالْمَشْرِقَانِ وَالْمَغْرِبَانِ: مَشْرِقَا الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، أَوْ: مَشْرِقَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمَغْرِبَاهُمَا.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أَرْسَلَ الْبَحْرَ الْعَذْبَ وَالْبَحْرَ الْمِلْحَ مُتَجَاوِرَيْنِ مُتَلَاقِيَيْنِ لَا فَضْلَ بَيْنَهُمَا فِي مَرَأَى الْعَيْنِ. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حَاجِزٌ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ لَا يَتَجَاوَزَانِ حَدَّيْهِمَا، وَلَا يَنْبَغِي أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ بِالْمُمَازَجَةِ. ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ كِبَارُ الدَّرِّ وَصِغَارُهُ، وَقِيلَ: ﴿الْمَرْجَانُ﴾ خَرَزٌ أَحْمَرٌ كَالْقُضْبَانِ ^(١) وَهُوَ الْبُسْدُ، وَقُرِئَ: «يُخْرَجُ» ^(٢) مِنْ: أَخْرَجَ، وَقَالَ: ﴿مِنْهُمَا﴾ وَإِنَّمَا يَخْرُجَانِ مِنَ الْمِلْحِ لِأَنَّهُمَا لَمَّا اَلْتَقِيَا صَارَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ وَلَا يَخْرُجَانِ مِنْ جَمِيعِ الْبَحْرِ وَلَكِنْ مِنْ بَعْضِهِ، كَمَا تَقُولُ: خَرَجْتُ مِنَ الْبَلَدِ وَإِنَّمَا خَرَجْتُ مِنْ بَعْضِهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُمَا يَخْرُجَانِ مِنْ مُلْتَقَى الْمِلْحِ وَالْعَذْبِ.

وَالْجَوَارِي: السُّفُنُ، وَقُرِئَ: ﴿الْمُنْشَاتُ﴾ بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَكَسْرِهَا ^(٣)، وَهِيَ الْمَرْفُوعَاتُ الشُّرْعُ، وَبِالْكَسْرِ: الرَّافِعَاتُ الشُّرْعُ، أَوْ: اللَّوَاتِي تُنْشِئُ الْأَمْوَاجَ بِجَزْيِهِنَّ، وَالْأَعْلَامُ: جَمْعُ عَلَمٍ وَهُوَ الْجَبَلُ الطَّوِيلُ.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أَي: عَلَى الْأَرْضِ ﴿فَإِنْ﴾ أَي: هَالِكٌ، يَفْنُونَ وَيَخْرُجُونَ مِنَ الْوُجُودِ إِلَى الْعَدَمِ ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أَي: ذَاتُهُ، وَالْوَجْهُ يُعْبَرُ بِهِ عَنِ الْجُمْلَةِ وَالذَّاتِ ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ صِفَةُ لِلْوَجْهِ الَّذِي يَجُلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ بِخَلْقِهِ وَعَنِ أَفْعَالِهِمْ، أَوْ: مَنْ عِنْدَهُ الْجَلَالُ وَالْإِكْرَامُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ مِنْ عَظِيمِ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ أَسْمَهُ.

(١) قاله ابن مسعود. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٤٣١.

(٢) قرأه نافع وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦١٩.

(٣) وبالكسر هي قراءة حمزة وحده. راجع المصدر السابق.

وفي الحديث: «الْظُّوْا بِيَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(١).

وَالنَّعْمَةُ فِي الْفَنَاءِ أَنَّ عَقِيْبَهُ مَجِيءٌ وَقَتِ الْجَزَاءِ. ﴿يَسْأَلُهُ﴾ أَهْلُ ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مَا يَتَعَلَّقُ بِدِيْنِهِمْ ﴿و﴾ أَهْلُ ﴿الْأَرْضِ﴾ مَا يَتَعَلَّقُ بِدِيْنِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَكُلُّ مَنْ فِيْهِمَا مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ، ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أَي: كُلُّ وَقْتٍ وَحِينَ يُحْدِثُ أُمُورًا وَيُجَدِّدُ أَحْوَالًا، كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ تَلَاهَا، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا ذَلِكَ الشَّأْنُ؟ فَقَالَ: «مَنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا وَيُفَرِّجَ كَرْبًا وَيَرْفَعَ قَوْمًا وَيَضَعَ آخَرِينَ»^(٢).

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ (٣١) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَمْعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ (٣٣) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ (٣٩) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ (٤٤) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥) ﴿

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ مُسْتَعَارٌ مِنْ قَوْلِ الرَّجُلِ لِمَنْ يُهْدِّدُهُ: سَأَفْرُغُ لَكَ أَي: سَأَتَجَرَّدُ لِلْإِيقَاعِ بِكَ مِنْ كُلِّ مَا يَشْغَلُنِي عَنْهُ حَتَّى لَا يَكُونَ لِي شُغْلٌ سِوَاهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

(١) أخرجه أحمد في المسند: ج ٤ ص ١٧٧. وفي النهاية: يقال: أَلْظَّ بِالشَّيْءِ يُلْظُ الْظَاظًا: إِذَا لَزِمَهُ وَثَابَرَ عَلَيْهِ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٥٩٢ مسنداً عن منيب بن عبدالله الأزدي عن أبيه، وفيه «أقواماً».

المُرَادُ: ستنتهي الدنيا ويُنْتَهِي عِنْدَ ذَلِكَ شُؤْنُ الْخَلْقِ فَلَا يَبْقَى إِلَّا شَأْنٌ وَاحِدٌ وَهُوَ جَزَاؤُكُمْ، فَجَعَلَ ذَلِكَ فَرَاغاً عَلَى طَرِيقِ التَّمَثِيلِ، وَقُرِئَ: ﴿سَيَفْرُغُ﴾ بِالْيَاءِ ^(١) أَيِ: اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَسُمِّيَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ «الثَّقَلَيْنِ» لِأَنَّهُمَا ثِقَلَانِ عَلَى الْأَرْضِ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ وَزْنٌ وَقَدَرٌ فَهُوَ ثِقَلٌ.

وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِشْرَتِي» ^(٢) سَمَّاهُمَا «ثَقَلَيْنِ» لِعِظَمِ شَأْنَيْهِمَا وَعُلُوِّ مَكَانِهِمَا.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ كَالترجمة لقوله: ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾، ﴿إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنْ قَضَائِي وَتَخْرُجُوا مِنْ أَرْضِي وَسَمَائِي فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَالَ: لَا تَقْدِرُونَ عَلَى النُّفُوزِ مِنْ نَوَاحِيهِمَا﴾ ^(٣) إِلَّا بِسُلْطَانِي أَيِ: بِقَهْرٍ وَقُوَّةٍ وَغَلَبَةٍ، وَأَنِّي لَكُمْ ذَلِكَ، وَنَحْوُهُ: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ^(٤).

﴿شُواظُ﴾ بِالضَّمِّ، وَقُرِئَ بِالْكَسْرِ ^(٥)، وَهُوَ اللَّهَبُ الْخَالِصُ، وَالنُّحَاسُ: الدُّخَانُ، وَقِيلَ: الصُّفْرُ الْمَذَابُ يُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ^(٦). وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ سَاقَهُمْ شُواظٌ إِلَى الْمَحْشَرِ ^(٧)، قُرِئَ ﴿نُحَاسٌ﴾ بِالرَّفْعِ عَطْفًا

(١) قراه حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٢٠.

(٢) قد تواتر حديث الثقلين إلى حد الاستفاضة في كتب الفريقين: الشيعة وأهل العامة، منها - على سبيل المثال - : مسند أحمد بن حنبل: ج ٣ ص ١٧، المعجم الكبير للطبراني: ج ٥ ص ١٩٠ و ٢٠٥ و ٢١٠، والمعجم الصغير له أيضاً: ج ١ ص ١٣١ و ١٣٥، مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ١٤٨، مشكل الآثار للطحاوي: ج ٤ ص ٣٦٨، أمالي الطوسي: ص ٥٤٨ المجلس العشرون، كمال الدين: ج ١ ص ٢٣٩، كشف الغمة: ج ١ ص ٤٣.

(٣) العنكبوت: ٢٢.

(٤) أي بكسر الشين، قرأه ابن كثير وحده. راجع كتاب السبعة: ص ٦٢١.

(٥) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٥٩٧.

(٦) تفسير ابن عباس: ص ١٨٤.

على ﴿شَوَاطِئَ﴾، وبالجرّ^(١) عطفًا على ﴿نَارٍ﴾، ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ فَلَا تَمْتَنِعَانِ.
 ﴿انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ تَصَدَّعَتْ وَأَنْفَكَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ حُمْرَاءَ
 ﴿كَالدَّهَانِ﴾ كَدُّهُنِ الزَّيْتِ، كَمَا قَالَ: ﴿كَالْمُهْلِ﴾^(٢) وهو دُرْدِيُّ الزَّيْتِ، وهو اسمُ
 ما يُدَّهَنُ بِهِ كَالْأَدَامِ، أَوْ: جَمْعُ دُهْنٍ، وَقِيلَ: الدَّهَانُ: الْأَدِيمُ الْأَحْمَرُ^(٣).
 ﴿إِنْسٍ﴾ أَي: بَعْضٌ مِنَ الْإِنْسِ ﴿وَلَا جَانٌّ﴾ أَي: وَلَا بَعْضٌ مِنَ الْجِنِّ، فَوُضِعَ
 الَّذِي هُوَ أَبُو الْجِنِّ مَوْضِعَ الْجِنِّ، كَمَا يُقَالُ: هَاشِمٌ وَيُرَادُ وَلَدُهُ، وَعَادَ الضَّمِيرُ مَوْحَدًا
 فِي قَوْلِهِ: ﴿عَنْ ذَنْبِهِ﴾ لِكَوْنِهِ فِي مَعْنَى الْبَعْضِ، وَالْمَعْنَى: لَا يُسْأَلُونَ لِأَنَّ الْمُجْرِمِينَ
 يُعْرِفُونَ بِسِيمَاهُمْ مِنْ سَوَادِ الْوُجُوهِ، وَزُرْقَةِ الْعُيُونِ وَقِيلَ: لَا يُسْأَلُونَ عَنْ ذَلِكَ لِيُعْلَمَ
 مِنْ جِهَتِهِمْ، بَلْ يُسْأَلُونَ سُؤَالَ تَوْبِيخٍ^(٤)، وَعَنْ قَتَادَةَ: قَدْ كَانَتْ مَسْأَلَةٌ ثُمَّ خُتِمَ عَلَى
 أَفْوَاهِ الْقَوْمِ وَتَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٥).
 ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنُّوَصِي وَالْأُقْدَامِ﴾ عَنِ الضَّحَّاكِ: يُجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَتِهِ وَقَدَمِهِ فِي
 سِلْسِلَةٍ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ^(٦)، وَقِيلَ: يُسْحَبُونَ تَارَةً بِأَخْذِ النَّوَاصِي وَتَارَةً بِالْأُقْدَامِ^(٧).
 ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ مَاءٍ حَارٌّ قَدْ أَنْتَهَى حَرُّهُ وَنُضْجُهُ، أَي: تَعَاقَبَ عَلَيْهِمْ بَيْنَ التَّصْلِيَةِ بِالنَّارِ
 وَبَيْنَ شُرْبِ الْحَمِيمِ، لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَبَدًا فَرَجٌ.
 ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، جَنَّاتٍ (٤٦) فَبَائٍ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧)
 ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبَائٍ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ

(١) قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة: ص ٦٢١.

(٢) الكهف: ٢٩، الدخان: ٤٥، المعارج: ٨. (٣) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٥٢.

(٤) قاله ابن عباس. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢٧٢.

(٥) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٥ ص ٤٣٦.

(٦) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٥١.

(٧) حكاه الزمخشري في الكشاف أيضاً.

تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَكْهَةٍ
 زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَاطِنُهَا
 مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ (٥٤) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥)
 فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ ءَالٍ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ (٦٠) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣)
 مُدْهَامَتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ
 نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ
 وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠)
 فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ
 ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ
 ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ
 (٧٦) فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ
 وَالْإِكْرَامِ (٧٨) ﴿

﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ مَوْقِفُهُ الَّذِي يَقِفُ فِيهِ الْعِبَادُ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْوُهُ:
 ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ ^(١)، أَوْ: يُرِيدُ بِمَقَامِ رَبِّهِ: أَنَّ اللَّهَ قَائِمٌ عَلَيْهِ أَيْ: حَافِظٌ
 مُهِمِّنٌ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَقَمْنِ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ^(٢) فَهُوَ يُرَاقِبُ ذَلِكَ
 وَلَا يَجْسُرُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، أَوْ: يَكُونُ مَقَاماً مُقَحِّماً، كَمَا تَقُولُ: أَخَافُ جَانِبَ فُلَانٍ،
 وَ: فَعَلْتُ ذَلِكَ لِمَكَانِكَ أَيْ: لِأَجْلِكَ، ﴿جَنَّتَانِ﴾: جَنَّةٌ يُثَابُ بِهَا، وَجَنَّةٌ زَائِدَةٌ يَتَفَضَّلُ

عَلَيْهِ بِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ﴾^(١). أو: جَنَّةٌ لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَجَنَّةٌ لِمَتْرُكِ الْمَعَاصِي، لِأَنَّ التَّكْلِيفَ يَدُورُ عَلَى الْأَمْرَيْنِ، أَوْ: يَكُونُ عَلَى خِطَابِ الثَّقَلَيْنِ فَكَأَنَّهُ قَالَ: لِكُلِّ خَائِفٍ مِنْكُمَا جَنَّتَانِ: جَنَّةٌ لِلخَائِفِ مِنَ الْإِنْسِ، وَجَنَّةٌ لِلخَائِفِ مِنَ الْجِنِّ. ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ وَهِيَ الْأَغْصَانُ، خَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا تُشْمَرُ وَمِنْهَا تَمْتَدُّ الظَّلَالُ، وَقِيلَ: الْأَفْنَانُ: أَلْوَانُ النَّعْمِ مِمَّا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ^(٢).

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ حَيْثُ شَاءُوا فِي الْأَعَالِي وَالْأَسَافِلِ. ﴿زَوْجَانِ﴾ صِنْفَانِ: صِنْفٌ مَعْرُوفٌ وَصِنْفٌ غَرِيبٌ، أَوْ: مَتَشَاكِلَانِ كَالرَّطْبِ وَالْيَابِسِ، لَا يَقْصُرُ يَابِسُهُ عَنِ رَطْبِهِ فِي الْفَضْلِ وَالطَّيِّبِ. ﴿مُتَكَيِّنِ﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَدْحِ لِلخَائِفِينَ، أَوْ: حَالٌ مِنْهُمْ، لِأَنَّ «مَنْ خَافَ» فِي مَعْنَى الْجَمْعِ أَي: قَاعِدِينَ كَالْمُلُوكِ عَلَى ﴿فُرْشِ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ دِيْبَاجٍ ثَخِينٍ، وَإِذَا كَانَتِ الْبَطَائِنُ مِنْ اسْتَبْرَقٍ فَمَا ظَنُّكَ بِالظَّهَائِرِ؟! وَقِيلَ: إِنَّ ظَهَائِرَهَا مِنْ سُندُسٍ^(٣)، وَقِيلَ: مِنْ نُورٍ^(٤). ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ أَي: ثَمَرُهَا الْمُجْتَنَّى قَرِيبٌ يَبَالُغُ الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالتَّائِمُ.

﴿فِيهِنَّ﴾ أَي: فِي هَذِهِ الْأَلَاءِ الْمَعْدُودَةِ مِنَ الْجَنَّتَيْنِ وَالْعَيْنِينَ وَالْفَاكِهَةِ وَالْفُرْشِ وَالْجَنَى، أَوْ: فِي الْجَنَّتَيْنِ لِاشْتِمَالِهِمَا عَلَى قُصُورٍ وَمَجَالِسٍ ﴿قَصِيرَتُ الطَّرْفِ﴾ نِسَاءٌ قَصُرْنَ أَبْصَارُهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ ﴿لَمْ﴾ يَطْمِثُ الْإِنْسِيَّاتِ مِنْهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْإِنْسِ، وَلَا الْجِنِّيَّاتِ أَحَدٌ مِنَ الْجِنِّ، أَي: لَمْ يَفْتَضَّهِنَّ وَلَمْ يَطَّأَهُنَّ أَحَدٌ فَهُنَّ أَبْكَارٌ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجِنَّ يَطْمِثُ كَمَا يَطْمِثُ الْإِنْسُ، وَقُرِئَ: ﴿لَمْ يَطْمِثُهُنَّ﴾ بَضَمِّ الْمِيمِ^(٥). ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ يَعْنِي: أَنَّهُنَّ فِي صَفَاءِ

(١) يونس: ٢٦. (٢) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٥٢.

(٣) حكاة الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٤٨٠.

(٤) قاله سعيد بن جبیر. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢٧٤.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو الدوري وقتيبة. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٧٠٧.

الْيَاقُوتِ وَيَبْيَاضِ الْمَرْجَانِ وَصَفَارُ^(١) الدَّرِّ أَنْصَعُ بَيَاضاً. ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ﴾
فِي الْعَمَلِ ﴿إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ فِي الثَّوَابِ.

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ وَمِنْ دُونِ تِينِكَ الْجَنَّتَيْنِ الْمَوْعُودَتَيْنِ لِلْمَقَرِّيَيْنِ ﴿جَنَّتَانِ﴾
لِمَنْ دُونَهُمَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمَنِ. ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ قَدْ ادْهَامَتَا مِنْ شِدَّةِ الْخُسْرِ، وَكُلُّ
نَبْتٍ أَخْضَرَ، فَتَمَامُ خُسْرَتِهِ أَنْ يَضْرِبَ إِلَى السَّوَادِ ﴿نَضَّاحَتَانِ﴾ فَوَارَتَانِ بِالْمَاءِ،
وَالنَّضْحُ أَكْثَرُ مِنَ النَّضْحِ، لِأَنَّ النَّضْحَ مِثْلَ الرَّشِّ.

وَإِنَّمَا عَطَفَ «النَّخْلَ» وَ «الرُّمَانَ» إِلَى الْفَاكِهَةِ وَإِنْ كَانَا مِنْهُمَا بَيَاناً لِفَضْلِهِمَا،
فَكَأَنَّهُمَا لِمَزَيَّتَيْهِمَا فِي الْفَضْلِ جُنْسَانِ آخَرَانِ، كَقَوْلِهِ: ﴿جَبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(٢)، أَوْ:
لِأَنَّ النَّخْلَ ثَمَرُهُ فَاكِهَةٌ وَطَعَامٌ، وَالرُّمَانُ فَاكِهَةٌ وَدَوَاءٌ فَلَمْ يَخْلَصَا لِلتَّفَكُّهِ. ﴿خَيْرَاتُ﴾
أَي: خَيْرَاتٌ، فَخُفِّفَ لِأَنَّ «الْخَيْرَ» الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى «أَخِيرَ» لَا يَأْتِي مِنْهُ «خَيْرُونَ»
وَلَا «خَيْرَاتٌ»، وَالْمَعْنَى: فَاضِلَاتُ الْأَخْلَاقِ حِسَانُ الْخُلُقِ. ﴿مَقْصُورَاتُ﴾
مُخَدَّرَاتٌ، قَصُرْنَ فِي خُدُورِهِنَّ، امْرَأَةٌ قَصِيرَةٌ وَمَقْصُورَةٌ أَي: مُخَدَّرَةٌ ﴿فِي
الْخِيَامِ﴾ فِي الْحِجَالِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «الْخِيْمَةُ دُرَّةٌ وَاحِدَةٌ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ مَيْلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ
مِنْهَا أَهْلٌ لِلْمُؤْمِنِ لَا يَرَاهُ الْآخَرُونَ»^(٣).

وَالضَّمِيرُ فِي ﴿قَبْلَهُمْ﴾ لِأَصْحَابِ الْجَنَّتَيْنِ لِدَلَالَةِ ذِكْرِ «الْجَنَّتَيْنِ» عَلَيْهِمَا.
وَالرَّفْرَفُ: ضَرْبٌ مِنَ الْبَسْطِ، وَقِيلَ: الرَّفْرَفُ رِيَاضُ الْجَنَّةِ^(٤) وَالْوَاحِدَةُ:

(١) فِي نَسْخَةٍ: «وَصَفَاء».

(٢) الْبَقَرَةُ: ٩٨.

(٣) أَخْرَجَهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ: ج ٧ ص ٧١٩ وَعَزَاهُ إِلَى الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا.

(٤) قَالَهُ ابْنُ جَبْرِ. رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْمَاورِدِيِّ: ج ٥ ص ٤٤٣.

رَفْرَفَةً، وَقِيلَ: الْوَسَائِدُ^(١)، وَقِيلَ: كُلُّ ثَوْبٍ عَرِيضٍ رَفْرَفٌ^(٢) ﴿وَعَبَقَرِيٌّ حِسَانٌ﴾
 مَنُسوبٌ إِلَى عَبْقَرٍ، وَالْعَرَبُ تَزْعَمُ أَنَّهُ بَلَدُ الْجَنِّ فَتَنَسَّبُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ عَجِيبٍ، وَعَنْ
 أَبِي عُبَّاسٍ وَقْتَادَةَ: يُرِيدُ الزَّرَابِيَّ^(٣)، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: الدِّيْبَاجُ^(٤). وَقُرِئَ فِي الشَّوَادِ:
 «رَفَارِفَ خُضِرٍ وَعَبَاقِرِيٍّ»^(٥) كَمَدَائِنِيٍّ، وَرُويَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ^(٦). وَإِنْ شَدَّ
 فِي الْقِيَاسِ تَرَكَ صَرْفَ «عَبَاقِرِيٍّ» فَلَا يُسْتَنَكَّرُ مَعَ اسْتِمْرَارِهِ فِي الاسْتِعْمَالِ.
 وَقُرِئَ: «ذُو الْجَلَالِ» بِالْوَاوِ^(٧) صِفَةً لـ ﴿اسْمُ﴾.



(١) قاله الحسن في تفسيره: ج ٢ ص ٣٢٠.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٧١.

(٣) حكاه عنهما الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٦٢٠ مسنداً.

(٤) المصدر السابق.

(٥) وهي قراءة عثمان ونصر بن علي وعاصم الجحدري. راجع المحتسب لابن جني: ج ٢ ص ٣٠٥.

(٦) رواه عثمان عنه ﷺ. راجع المصدر السابق.

(٧) وهي قراءة ابن عامر وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٢٠.

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

مَكِّيَّةٌ ^(١) ^(٢) سَبْعٌ وَتِسْعُونَ آيَةً بَصْرِيٌّ، سِتُّ كُوفِيٌّ. عَدَّ الْبَصْرِيُّ: ﴿فَأَضْحَبُ
الْمَيْمَنَةَ﴾ ^(٣) ﴿وَأَضْحَبُ الْمَشْئِمَةَ﴾ ^(٤) ﴿وَأَضْحَبُ الْيَمِينَ﴾ ^(٥) ﴿وَأَضْحَبُ
الشَّمَالَ﴾ ^(٦)، وَعَدَّ الْكُوفِيُّ: ﴿مَوْضُونَةَ﴾ ^(٧) ﴿وَحَوْرَ عَيْنٍ﴾ ^(٨) ﴿أَنْشَأْنَهُنَّ
إِنْشَاءً﴾ ^(٩).

وفي حديث أبيي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ كُتِبَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْغَافِلِينَ». وعن ابن مسعودٍ عن النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ يَصِبْهُ
فَاقَةٌ أَبَدًا» ^(١٠).

وعن الباقر عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ لَقِيَ اللَّهَ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ
لَيْلَةَ الْبَدْرِ» ^(١١).

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٤٨٧: هي مكية بلا خلاف، وهي تسع وتسعون آيةً
حجازي وشامي، وسبع وتسعون بصري، وست وتسعون كوفي، وسبع وتسعون في المدنيين.
وفي الكشف: ج ٤ ص ٤٥٥: مكية إلا آيتي ٨١ و ٨٢ فمدنيتان، وآياتها (٩٦) وقيل:
(٩٧) نزلت بعد طه.

(٣ و ٤) الآية ٨ و ٩.

(٦) الآية: ٤١.

(٨) الآية: ٢٢.

(١٠) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٤٧١ مرسلاً.

(١١) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٤.

وعن الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَهَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَحَبَّيْهُ إِلَى النَّاسِ، وَلَمْ يَرِ فِي الدُّنْيَا بُؤْسًا أَبَدًا، وَلَا فَقْرًا، وَلَا آفَةً مِنْ آفَاتِ الدُّنْيَا، وَكَانَ مِنْ رُفَقَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذِهِ السُّورَةُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَاصَّةً، لَا يَشْرُكُ فِيهَا أَحَدٌ»^(١)، تمام الخبر^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١) لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) ﴿

﴿إِذَا﴾ ظَرْفٌ مِنْ مَعْنَى ﴿لَيْسَ﴾ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ: لَا يَكُونُ ﴿لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾، أَوْ: هُوَ ظَرْفٌ لِمَحْذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾ خَفَضَتْ قَوْمًا وَرَفَعَتْ آخَرِينَ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾. وَقَالَ ابْنُ جَنِّي: ﴿إِذَا﴾ الْأُولَى مَرْفُوعَةُ الْمَوْضِعِ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَ﴿إِذَا﴾ الثَّانِيَةُ خَبَرٌ عَنِ الْأُولَى، وَقَدْ فَارَقْنَا الظَّرْفِيَّةَ، وَالْمَعْنَى: وَقْتُ وَقُوعِ الْوَاقِعَةِ وَقْتُ رَجِّ الْأَرْضِ^(٣) وَالْمُرَادُ: إِذَا كَانَتِ الْكَائِنَةُ وَحَدَّثَتِ الْحَادِثَةُ

(١) المصدر السابق.

(٢) وعن الصادق عليه السلام: من اشتاق الى الجنة وصفته فليقرأ الواقعة، ومن أحب أن ينظر الى صفة أهل النار فليقرأ سورة لقمان. راجع المصدر السابق.

(٣) حكاه عنه أبو حيان الاندلسي في النهر الماد المطبوع بهامش البحر المحيط: ج ٨ ص ٢٠١.

وهي يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَصِفَتْ بِالْوُقُوعِ لِأَنَّهَا تَقَعُ لَا مَحَالَةَ.

﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا﴾ نَفْسٌ ﴿كَاذِبَةٌ﴾ تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ، وَتَكْذِبُ فِي تَكْذِيبِ الْغَيْبِ، لِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ حِينَئِذٍ مُؤَمِّنَةٌ صَادِقَةٌ مُصَدِّقَةٌ، وَأَكْثَرُ النَّفُوسِ الْيَوْمَ كَوَاذِبٌ مُكْذِبَاتٌ، وَاللَّامُ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾^(١). وَقِيلَ: ﴿كَاذِبَةٌ﴾ كَالْعَافِيَةِ بِمَعْنَى التَّكْذِيبِ مِنْ قَوْلِهِمْ: حَمَلَ فُلَانٌ عَلَى قِرْنِهِ فَمَا كَذَبَ، أَي: فَمَا جَبَنَ^(٢)، وَحَقِيقَتُهُ: فَمَا كَذَّبَ نَفْسَهُ فِيمَا حَدَّثَتْهُ بِهِ مِنْ إِطَاقَتِهِ لَهُ، قَالَ زُهَيْرٌ: لَيْتُ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالُ إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا^(٣) أَي: إِذَا وَقَعَتْ لَمْ يَكُنْ لَهَا رَجْعَةٌ وَلَا أَرْتَدَادٌ. ﴿خَافِضَةٌ﴾ خَبِرُ مَبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَي: هِيَ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ.

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أَي: حُرِّكَتْ تَحْرِيكًا شَدِيدًا حَتَّى يَنْهَدِمَ كُلُّ شَيْءٍ فَوْقَهَا مِنْ جَبَلٍ وَبَنَاءٍ. ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ وَفُتَّتْ حَتَّى تَعُودَ كَالسُّوَيْقِ، أَوْ: سَيِّقَتْ وَسُيِّرَتْ، مِنْ: بَسَّ الْغَنَمَ إِذَا سَاقَهَا. ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ مَتَفَرِّقًا، وَيَنْتَصِبُ ﴿إِذَا رُجَّتْ﴾ بـ ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾، أَوْ: عَلَى الْبَدَلِ مِنْ ﴿إِذَا وَقَعَتْ﴾.

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾ أَي: أَصْنَافًا ﴿ثَلَاثَةً﴾، ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ الَّذِينَ يُعْطَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الَّذِينَ يُعْطَوْنَهَا بِشَمَائِلِهِمْ، أَوْ: مَعْنَاهُمَا: أَصْحَابُ الْمَنْزِلَةِ السَّنِيَّةِ وَأَصْحَابُ الْمَنْزِلَةِ الدَّنِيَّةِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: فُلَانٌ مِنْ فُلَانٍ بِالْيَمِينِ أَوْ بِالشَّمَالِ: إِذَا وَصَفُوهُ بِالرَّفْعَةِ عِنْدَهُ أَوْ بِالضُّعْفَةِ، وَذَلِكَ لِتَيَمُّنِهِمْ بِالْيَمِينِ وَتَشَوُّمِهِمْ

(١) الفجر: ٢٤.

(٢) قاله الزَّجَّاجُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ: ج ٥ ص ١٠٧.

(٣) الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يَمْدَحُ فِيهَا رَجُلًا شَجَاعًا، وَعَثَّرَ: اسْمُ مَوْضِعٍ، يَقُولُ: إِذَا كَذَّبَ الْفَارِسُ - أَيِ جَبَنَ - عَنْ أَقْرَانِهِ فِي الْحَرْبِ صَدَقَ هُوَ وَنَفَذَ عَزْمَهُ وَقَتَلَ قِرْنَهُ. انْظُرْ دِيوَانَ زُهَيْرٍ: ص ٤٣ وَفِيهِ: «مَا كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ...».

بِالشَّامِلِ، وَلِذَلِكَ أَشْتَقُّوا مِنَ الْيُمْنِ: الْيُمْنَى لِلْيَمِينِ، وَمِنَ الشُّؤْمِ: الشُّؤْمَى لِلشَّامِلِ، وَتَفَالَّوْا بِالسَّانِحِ وَتَطَيَّرُوا بِالْبَارِحِ، وَقِيلَ: يُؤْخَذُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ ذَاتَ الْيَمِينِ، وَبِأَهْلِ النَّارِ ذَاتَ الشَّامِلِ^(١). ﴿مَا أَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ﴾ و ﴿مَا أَصْحَبُ الْمَشْئِمَةِ﴾ تَعْجِيبٌ مِنْ حَالِ الْفَرِيقَيْنِ فِي السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، كَمَا يَقَالُ: هُمْ، مَا هُمْ؟ وَالْمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ هُمْ؟ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أَيُّ: وَالسَّابِقُونَ مَنْ عَرَفْتَ حَالَهُمْ وَبَلَغَكَ صِفَتَهُمْ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي

أَيُّ: شِعْرِي مَا عَرَفْتُهُ وَسَمِعْتَ بِفَصَاحَتِهِ. ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ مَبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، أَيُّ: الَّذِينَ قَرُبَتْ دَرَجَاتُهُمْ ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ أَيُّ: أَعْلَى الْمَرَاتِبِ. وَالثَّلَّةُ: الْأُمَّةُ الْكَثِيرَةُ مِنَ النَّاسِ، وَهِيَ مِنْ «الثَّلَّ» وَهُوَ الْكَسْرُ، كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ مِنْ «الْأُمَّ» وَهُوَ الشَّجُّ، كَأَنَّهَا جَمَاعَةٌ كُسِرَتْ مِنَ النَّاسِ وَقُطِعَتْ مِنْهُمْ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ السَّابِقِينَ كَثِيرٌ ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ وَهُوَ الْأُمَمُ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ وَهُمْ أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقِيلَ: ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ مِنْ مَتَقَدِّمِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَمِنَ الْآخِرِينَ: مِنْ مَتَأَخِّرِيهَا^(٢). وَهَذَا فِي السَّابِقِينَ، وَقَالَ فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ: ﴿وَتِلْكَ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾، وَعَنِ الْحَسَنِ: سَابِقُوا الْأُمَمِ أَكْثَرُ مِنْ سَابِقِي أُمَّتِنَا، وَتَابِعُوا الْأُمَمِ مِثْلُ تَابِعِي هَذِهِ الْأُمَّةِ^(٣). وَ ﴿تِلْكَ﴾ خَبَرٌ مَبْتَدَأٌ مُحذُوفٌ، أَيُّ: هُمْ تِلْكَ. ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أَيُّ: مَنْسُوجَةٍ مَرْمُولَةٍ بِالذَّهَبِ مُشَبَّكَةً بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، كَمَا تَوْضَنُ حَلَقُ الدُّرُوعِ فَيَدْخُلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَقِيلَ: مَتَوَاصِلَةٌ أَدْنَى

(١) قاله السدي. راجع تفسير القرطبي: ج ١٧ ص ١٩٨.

(٢) قاله الحسن في تفسيره: ج ٢ ص ٣٢٢ ورفع إلى النبي ﷺ.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٢٣.

بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ^(١). ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿عَلَى﴾ أَي: اسْتَقَرُّوا عَلَيْهَا مُتَّكِنِينَ ﴿مُتَقَبِّلِينَ﴾ لَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي أَقْفَاءِ بَعْضٍ، وَصَفَهُمْ سُبْحَانَهُ بِتَهْدِيدِ الْأَخْلَاقِ وَحُسْنِ الْمَعَاشِرَةِ.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَكِهَةً مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَخُورٍ عَيْنٍ (٢٢) كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) غُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (٤٠) ﴿

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ وَصَفَاءُ وَغِلْمَانٌ لِلْخِدْمَةِ ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ مُبَقَّوْنَ أَبَدًا عَلَى شَكْلِ الْوِلْدَانِ، وَحَدُّ الْوَصَافَةِ لَا يَتَحَوَّلُونَ عَنْهُ، وَقِيلَ: مُقَرَّرُونَ وَالْخِلْدَةُ: الْقَرِطُ ^(٢)، وَقِيلَ: هُمْ أَوْلَادُ أَهْلِ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ فَيُثَابُوا عَلَيْهَا وَلَا سَيِّئَاتٌ فَيُعَاقَبُوا عَلَيْهَا ^(٣) رُويَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٤).

(١) قاله الضحاك. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢٨٠.

(٢) قاله الفراء. راجع التبيان: ج ٩ ص ٤٩٣.

(٣) قاله الحسن في تفسيره: ج ٢ ص ٣٢٤.

(٤) رواه عنه عليه السلام في تفسيره: ج ١٧ ص ٢٠٣ مرسلاً.

وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «هُمْ خُدَّامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).
 الْأَكْوَابُ: قِدَاحٌ وَاسِعَةٌ الرُّؤُوسِ بِلَا عُرَى وَلَا خَرَاطِيمٍ، جَمْعُ كُوبٍ،
 وَالْأَبَارِيقُ: الَّتِي لَهَا خَرَاطِيمٌ. ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أَي: بِسَبَبِهَا، وَحَقِيقَتُهُ: لَا يَصْدُرُ
 صَدَاعُهُمْ عَنْهَا وَلَا يُفَرِّقُونَ^(٢) عَنْهَا. ﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أَي: يَأْخُذُونَ خَيْرَهُ وَأَفْضَلَهُ،
 وَ﴿يَشْتَهُونَ﴾ يَتَمَنُّونَ.

وَقُرِئَ: ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ﴾ بِالرَّفْعِ عَلَى: وَفِيهَا حُورٌ عَيْنٌ، كَبَيْتِ الْكِتَابِ^(٣):
 بَادَتْ وَغَيْرَ آيَهِنَّ مَعَ الْبَلَى إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءً
 وَمُتَجَجِّجٌ أَمَّا سِوَاءُ قَذَالِهِ فَبَدَا وَغَيْرَ سَارَهُ الْمَغْرَاءُ^(٤)
 لِأَنَّ الْمَعْنَى بِهَا: «رَوَاكِدَ» وَ «مُتَجَجِّجٌ» أَوْ: الْعَطْفُ عَلَى ﴿وُلْدُنْ﴾، وَبِالْجَرِّ^(٥)
 عَطْفٌ عَلَى ﴿جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ: هُمْ فِي جَنَّاتٍ وَفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ وَحُورٍ، وَقَرَأَ
 أَبِي وَأَبْنُ مَسْعُودٍ: «وَحُوراً عَيْناً» بِالنَّصْبِ^(٦) عَلَى: وَيُؤْتُونَ حُوراً. ﴿جَزَاءً﴾
 مَفْعُولٌ لَهُ أَي: يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِهِمْ جَزَاءً بِأَعْمَالِهِمْ.
 ﴿سَلَاماً سَلَاماً﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿قِيلَا﴾ بِمَعْنَى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغَواً إِلَّا سَلَاماً،

(١) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٥٩ مرسلًا.

(٢) في نسخة: لا ينزفون.

(٣) أراد كتاب سيبويه الذي ألفه بعد موت استاذة الخليل سنة ١٦٠ هـ لأجل إحياء علم الخليل، وبلغ من شهرته وفضله عند النحويين فكان يقال: قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنه يريد كتاب سيبويه.

(٤) لذي الرمة، وقيل: للشماخ. والرواكِد: الأحجار التي توضع عليها القدر، والمشجج: وتد الخباء الذي تشجج رأسه من الدق فبرز حول رأسه أطراف تشبه الشعر، يقول: هلكت تلك الديار وبليت آثارها ولم يبق إلا محل للنار والرماد وبقيّة أوتاد الأخبية. أنظر ديوان ذي الرمة: ص ٦١٧.

(٥) قرأه حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٢٣.

(٦) حكاه عنهما ابن جني في المحتسب: ج ٢ ص ٣٠٩.

أَوْ: مَفْعُولٌ بِهِ لـ ﴿قِيلًا﴾ بِمَعْنَى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَقُولُوا: سَلَامًا سَلَامًا،
وَالْمُرَادُ: أَنَّهُمْ يُفْشُونَ السَّلَامَ بَيْنَهُمْ فَيَسْلُمُونَ سَلَامًا بَعْدَ سَلَامٍ.

وَالسِّدْرُ: شَجَرُ النَّبِيِّ، وَالْمَخْضُودُ: الَّذِي لَا شَوْكَ لَهُ كَأَنَّمَا خُضِدَ شَوْكُهُ، وَعَنْ
مُجَاهِدٍ: هُوَ الْمُوقِرُ الَّذِي تَتَنَّى أَغْصَانُهُ كَثْرَةَ حَمْلِهِ ^(١)، مِنْ: خَضَدَ الْغُصْنَ إِذَا ثَنَاهُ
رَطْبًا. وَالطَّلْحُ: شَجَرُ الْمَوْزِ، وَقِيلَ: هُوَ شَجَرٌ أُمَّ غَيْلَانَ، وَلَهُ نُوَارٌ كَثِيرٌ طَيِّبُ
الرَّائِحَةِ ^(٢). وَعَنْ السَّدِيِّ: هُوَ شَجَرٌ يُشَبِّهُ طَلْحَ الدُّنْيَا وَلَكِنْ لَهُ ثَمَرٌ أَخْلَى مِنْ
الْعَسَلِ ^(٣). وَالْمَنْضُودُ: الَّذِي نُضِدَ بِالْحَمَلِ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَغْلَاهُ، فَلَيْسَتْ لَهُ سَاقٌ
بَارِزَةٌ.

﴿وَزِلٌّ مُمْدُودٌ﴾ مُمْتَدٌّ مُنْبَسِطٌ لَا يَتَقَلَّصُ كَظِلٍّ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ
الشَّمْسِ. ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ يُسْكَبُ لَهُمْ أَيْنَ شَاءُوا وَكَيْفَ شَاءُوا وَلَا يَتَعَنُونَ فِيهِ،
وَقِيلَ: دَائِمُ الْجَرِيَّةِ لَا يَنْقَطِعُ ^(٤)، وَقِيلَ: مَصْبُوبٌ يَجْرِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فِي غَيْرِ
أُخْدُودٍ ^(٥). ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ أَي: هِيَ دَائِمَةٌ لَا تَنْقَطِعُ فِي بَعْضِ الْأَزْمَانِ كَفَوَاكِهِ الدُّنْيَا
﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بَوَجْهِهِ مِنْ وَجْهِ الْمَنْعِ مِنْ بُعْدِ مُتَنَاولٍ أَوْ شَوْكٍ، أَوْ حُظِرَ عَلَيْهَا كَمَا
يُحْظَرُ عَلَى بَسَاتِينِ الدُّنْيَا.

﴿وَفُرْشٍ﴾ جَمْعُ فِرَاشٍ ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ نُضِدَتْ حَتَّى أَرْتَفَعَتْ، أَوْ: مَرْفُوعَةٍ عَلَى
الْأَسِرَّةِ، وَقِيلَ: هِيَ النَّسَاءُ؛ لِأَنَّ الْمَرَأَةَ يُكْنَى عَنْهَا بِالْفِرَاشِ مَرْفُوعَةً عَلَى الْأَرَائِكِ ^(٦)،

(١) تفسير مجاهد: ص ٦٤١.

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ١١٢.

(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٦١.

(٤) قاله الفراء في معاني القرآن: ج ٣ ص ١٢٥.

(٥) قاله الثوري. راجع تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٢٩١.

(٦) قاله أبو عبيدة. راجع البحر المحیط لأبي حيان: ج ٨ ص ٢٠٧.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً﴾. وَعَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ أُضْمِرَ «لَهُنَّ» لِأَنَّ ذِكْرَ الْفُرْشِ - وَهِيَ الْمَضَاجِعُ - دَلٌّ عَلَيْهِنَّ.

﴿أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً﴾ ابْتَدَأْنَا خَلْقَهُنَّ ابْتِدَاءً جَدِيداً مِنْ غَيْرِ وَلَادَةٍ، فَإِمَّا أَنْ يُرَادَ: اللَّاتِي ابْتَدِئْتُ إِنْشَاؤَهُنَّ، أَوِ اللَّاتِي أُعِيدَ إِنْشَاؤُهُنَّ.

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَأُمِّ سَلَمَةَ: «هُنَّ اللَّوَاتِي قُبِضْنَ فِي دَارِ الدُّنْيَا عَجَائِزَ شُمُطاً رُمَصَاً، جَعَلَهُنَّ اللَّهُ بَعْدَ الْكِبَرِ ﴿أَثْرَاباً﴾ عَلَى مِيلَادٍ وَاحِدٍ فِي الْإِسْتِوَاءِ، كُلَّمَا أَتَاهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ وَجَدُوهُنَّ ﴿أَبْكَاراً﴾» فَلَمَّا سَمِعَتْ عَائِشَةُ ذَلِكَ قَالَتْ: وَآوَجَعَاهُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ هُنَاكَ وَجَعٌ»^(١).

﴿عُرْباً﴾ جَمْعُ عَرُوبٍ، وَهِيَ الْمَتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا، وَقُرِئَ: «عُرْباً» بِالتَّخْفِيفِ^(٢)، ﴿أَثْرَاباً﴾ مُسْتَوِيَاتٍ فِي السَّنِّ، وَأَزْوَاجُهُنَّ كَذَلِكَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْداً مُرْداً بَيْضاً جَعَاداً مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ»^(٣).

وَاللَّامُ فِي ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ مِنْ صِلَةِ «أَنْشَأْنَا» وَ«جَعَلْنَا». ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظْماً أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوْ ءَابَاؤُنَا

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ١١ ص ٦٤١ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ إِلَى قَوْلِهِ: «بَعْدَ الْكِبَرِ» وَزَادَ بَعْدَهُ: «فَجَعَلَهُنَّ عَذَارَى».

(٢) وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْزَةٍ وَاسْمَاعِيلَ وَيَحْيَى. رَاجِعِ التَّذَكُّرَةَ فِي الْقِرَاءَاتِ لِابْنِ غَلْبُونٍ: ج ٢ ص ٧٠٩.
(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ: ج ٢ ص ٢٩٥ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَزَادَ: «عَلَى خَلْقِ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي عَرْضِ سَبْعِ أَذْرُعٍ!»، وَفِي ج ٥ ص ٢٤٣ عَنْ مُعَاذٍ وَلَيْسَ فِيهِ: «بَيْضاً جَعَاداً».

الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ
يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ لَمُكْذِبُونَ (٥١) لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ
مِّنْ زُقُومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنْ
الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦)
نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ
أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ
بِمُسْبِقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١)
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣)
ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ
تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُعْرِضُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ
الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ
نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١)
ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً
وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤) ﴿

﴿فِي سَمُومٍ﴾ فِي رِيحٍ حَارَّةٍ تَدْخُلُ مَسَامَهُمْ ﴿وَحَمِيمٍ﴾ فِي مَاءٍ مَّغْلِيٍّ حَارٍّ
انْتَهَتْ حَرَارَتُهُ وَتَنَاهَتْ ﴿وَزِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ دُخَانٍ أَسْوَدَ بِهِيمٍ. ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا
كَرِيمٍ﴾ نَفْيُ لِصْفَتَيْ «الظِّلِّ» عَنْهُ، يَعْنِي: أَنَّهُ ظِلٌّ حَارٌّ ضَارٌّ لَا كَسَائِرِ الظَّلَالِ.

و ﴿الْحِنْتِ﴾: الذَّنْبُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: بَلَغَ الْغُلَامُ الْحِنْتَ أَي: الْحِلْمَ وَوَقَّتَ
الْمَوَازِدَةَ بِالْمَآثِمِ. ﴿أَوْ ءَابَاؤُنَا﴾ دَخَلَتْ هَمْزَةُ الاسْتِفْهَامِ عَلَى حَرْفِ الْعَطْفِ،
وَقُرِئَ: «أَوْ ءَابَاؤُنَا»^(١).

(١) قرأه نافع سوى ورش وابن عامر. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٣٦.

﴿إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ إِلَىٰ مَا وُقِّتَ بِهِ الدُّنْيَا مِنْ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ، وَالْإِضَافَةُ بِمَعْنَى: مِنْ، كـ «خَاتَمِ فِضَّةٍ»، وَالْمِيقَاتُ: مَا وُقِّتَ بِهِ الشَّيْءُ أَي: حَدٌّ، وَمِنْهُ مَوَاقِيتُ الْإِحْرَامِ.

﴿مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾: «مِنْ» الْأَوَّلَى لَا بَتْدَاءَ الْغَايَةِ، وَالثَّانِيَةُ لِلتَّبْيِينِ، وَأَنْتَ ضَمِيرَ «الشَّجَرِ» عَلَى الْمَعْنَى، وَذَكَرَهُ عَلَى اللَّفْظِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْهَا﴾ وَ ﴿عَلَيْهِ﴾.

﴿شَرِبَ الْهِيمَ﴾ قُرِئَ بَفَتْحِ الشَّيْنِ ^(١) وَضَمِّهَا، وَهُمَا مَصْدَرَانِ. وَالْهِيمُ: الْإِبِلُ الَّتِي بِهَا الْهَيَامُ، وَهُوَ دَاءٌ تَشْرَبُ مِنْهُ وَلَا تُرَوَّى، جَمْعُ «أَهِيم» وَ «هَيْمَاء». وَقِيلَ: الْهِيمُ: الرَّمَالُ ^(٢) فَيَكُونُ جَمْعُ الْهَيَامِ بَفَتْحِ الْهَاءِ، جُمِعَ عَلَى «فُعْلٍ» كَسَحَابٍ وَ سَحْبٍ، ثُمَّ فُعِلَ بِهِ مَا فُعِلَ بِجَمْعِ «أَبْيَض» ^(٣)، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُوعِ مَا يَضْطَرُّهُمْ إِلَى أَكْلِ الزُّقُومِ، فَإِذَا مَلَوْوْا مِنْهَا الْبُطُونَ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَطَشِ مَا يَضْطَرُّهُمْ إِلَى شُرْبِ الْحَمِيمِ الَّذِي يُقَطِّعُ أَمْعَاءَهُمْ فَيَشْرَبُونَهُ شُرْبَ الْهِيمِ.

وَالنُّزْلُ: الرِّزْقُ الَّذِي يُعَدُّ لِلنَّازِلِ تَكْرُمَةً لَهُ، وَفِيهِ تَهَكُّمٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ^(٤). ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تَحْضِيضٌ عَلَى التَّصْدِيقِ بِالْبَعْثِ، لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْإِنْشَاءِ قَدَرَ عَلَى الْإِعَادَةِ، يُرِيدُ: ﴿مَا تُمْنُونَهُ﴾ أَي: تَقْدِرُونَهُ فِي الْأَرْحَامِ مِنَ النَّطْفِ، ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ تُقَدِّرُونَهُ وَتُصَوِّرُونَهُ. ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ تَقْدِيرًا عَلَى تَفَاوُتٍ، كَمَا أَقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ فَاخْتَلَفَتْ أَعْمَارُكُمْ. وَقُرِئَ: «قَدَرْنَا» بِالتَّخْفِيفِ ^(٥)، يُقَالُ: سَبَقْتُهُ عَلَى الشَّيْءِ إِذَا غَلَبْتُهُ عَلَيْهِ وَأَعْجَزْتُهُ عَنْهُ.

(١) وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَابْنِ عَامِرٍ وَالْكَسَائِيِّ. رَاجِعْ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٦٢٣.

(٢) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِهِ: ص ٤٥٤.

(٣) وَهُوَ أَنْ خَفَّفَ وَكُسِرَ أَوَّلُهُ لِأَجْلِ الْيَاءِ، فَصَارَ «هَيْمًا» وَ «بَيْضًا».

(٤) آلِ عِمْرَانَ: ٢١.

(٥) قَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَحْدَهُ. رَاجِعْ كِتَابَ السَّبْعَةِ: ص ٦٢٣.

فمعنى قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾: إِنَّا قَادِرُونَ عَلَى ذَلِكَ لَا تَغْلِبُونَنِي عَلَيْهِ، و ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ جَمْعُ «مِثْلٍ»، أي: عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَمَكَانَكُمْ أَشْبَاهَكُمْ مِنَ الْخَلْقِ، وَعَلَى أَنْ ﴿نُنَشِّئَكُمْ فِي﴾ خَلْقٍ لَا تَعْلَمُونَهَا وَمَا عَهِدْتُمْ بِمِثْلِهَا، يَعْنِي: إِنَّا نَقْدِرُ عَلَى الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا: عَلَى خَلْقِ مَا يُمَآثِلُكُمْ وَمَا لَا يُمَآثِلُكُمْ، فَكَيْفَ نَعْجِزُ عَنْ إِعَادَتِكُمْ؟! وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «أَمْثَالُ» جَمْعُ «مِثْلٍ»، أي: عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ وَنُغَيِّرَ صِفَاتِكُمُ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا فِي خَلْقِكُمْ وَأَخْلَاقِكُمْ وَنُنَشِّئَكُمْ فِي صِفَاتٍ لَا تَعْلَمُونَهَا. وَقُرِئَ: ﴿النَّشَاءُ﴾ و «النَّشَاءُ»^(١).

مَا تَحْرُثُونَهُ مِنَ الطَّعَامِ أَي: تَبْذُرُونَ حَبَّهُ وَتَعْمَلُونَ فِي أَرْضِهِ ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ تُنْبِتُونَهُ وَتَجْعَلُونَهُ نَبَاتًا يَرْفُ وَيُنْمِي إِلَى أَنْ يَبْلُغَ غَايَتَهُ؟
وفي الحديث: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: زَرَعْتُ وَلَيْقُلْ: حَرَثْتُ»^(٢).

وَالْحُطَامُ: مَا تَحَطَّمَ وَصَارَ هَشِيمًا ﴿فَظَلَلْتُمْ﴾ أَي: فَظَلَلْتُمْ ﴿تَفْكَهُونَ﴾ تَتَعَجَّبُونَ مِمَّا أَصَابَكُمْ، وَعَنِ الْحَسَنِ: تَتَذَمُّونَ عَلَى تَعَبِكُمْ فِيهِ وَإِنْفَاقِكُمْ عَلَيْهِ، أَوْ: عَلَى مَا أَقْتَرَفْتُمْ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي بِسَبَبِهَا أَصَابَكُمْ ذَلِكَ^(٣)، وَتَقُولُونَ: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أَي: مُلْزَمُونَ غَرَامَةً مَا أَنْفَقْنَا، أَوْ: مُهْلَكُونَ لِهَلَاكِ رِزْقِنَا، مِنْ: «الْغَرَامِ» وَهُوَ الْهَلَاكُ. ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قَوْمٌ ﴿مَخْرُومُونَ﴾ مُحَارِفُونَ مَخْدُودُونَ لَا حِظَّ لَنَا وَلَا بَخْتٌ، وَلَوْ كُنَّا مَجْدُودِينَ^(٤) لَمَا أَصَابَنَا هَذَا.

و ﴿الْمُزْنُ﴾ السَّحَابُ، وَالْأَجَاغُ: الْمِلْحُ الزُّعَاقُ الَّذِي لَا يُقْدَرُ عَلَى شُرْبِهِ، وَحُذِفَ اللَّامُ مِنْ جَوَابِ «لَوْ» هُنَا اخْتِصَارًا، وَهِيَ ثَابِتَةٌ فِي الْمَعْنَى.

(١) قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٦٠١.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٦٥٢ عن أبي هريرة وفيه: «لَا تَقُولَنَّ».

(٣) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٣٣١.

(٤) أي: محظوظين، يقال: صرْتُ ذَا جَدٍّ أَي: ذَا حِظٍّ. (الصحاح: مادة جدد).

تُورُونَهَا: أَي تَقْدَحُونَهَا وَتَسْتَخْرِجُونَهَا مِنَ الزَّنَادِ، وَالْعَرَبُ تَقْدَحُ بِعُودَيْنِ، تَحْكُ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ، وَيُسَمُّونَ الْأَعْلَى: الزَّندَ، وَالْأَسْفَلَ: الزَّندَةَ. ﴿أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ الَّتِي مِنْهَا الزَّنَادُ وَأَنْبَتُمُوهَا. ﴿تَذِكْرَةٌ﴾ تَذَكِيرٌ لِنَارِ جَهَنَّمَ حَيْثُ عَلَّقْنَا بِهَا أَسْبَابَ الْمَعَاشِ كُلِّهَا، وَعَمَّمْنَا بِالْحَاجَةِ إِلَيْهَا الْبَلَوَى لَتَكُونَ حَاضِرَةً لِلنَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَيَذْكُرُونَ مَا أُوْعِدُوا بِهِ، أَوْ: جَعَلْنَاهَا أُنْمُودَجًا مِنْ جَهَنَّمَ ﴿وَمَتَاعًا﴾ وَمَنْفَعَةً ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ الْقَوَاءَ، وَهُوَ الْقَفْرُ، أَوْ: الَّذِينَ خَلَتْ بُطُونُهُمْ أَوْ مَزَاوِدُهُمْ مِنَ الطَّعَامِ.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ أَي: فَأَحْدِثِ التَّسْبِيحَ بِذِكْرِ اسْمِ رَبِّكَ، وَ ﴿الْعَظِيمِ﴾: صِفَةٌ لِلْمُضَافِ أَوْ لِلْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ؛ تَنْزِيهَا عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ الْجَا حِدُونَ نِعْمَهُ، أَوْ: تَعَجُّبًا مِنْ أَمْرِهِمْ، أَوْ: شُكْرًا عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي عَدَّدَهَا سُبْحَانَهُ وَنَبَّهَ عَلَيْهَا.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقَرِءٌ أَنْ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ (٩٤) إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦) ﴿

الْمَعْنَى: فَأُقْسِمُ، وَ «لَا» مَزِيدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ: «فَلَأُقْسِمُ»^(١)، وَمَعْنَاهُ: فَلَأَنَا أُقْسِمُ ﴿بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ بِمَسَاقِطِهَا وَمَغَارِبِهَا، أَوْ: بِمَنَازِلِهَا وَمَسَائِرِهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوُ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْقَسَمِ وَالْمُقْسَمِ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعْتِرَاضٌ فِي اعْتِرَاضٍ، اعْتِرَاضٌ بِهِ بَيْنَ الْمَوْصُوفِ وَالصِّفَةِ، وَقِيلَ: ﴿مَوْقِعِ النُّجُومِ﴾: أَوْقَاتُ وَقُوعِ نُجُومِ الْقُرْآنِ أَي: أَوْقَاتُ نُزُولِهَا^(٢)، وَقُرِئَ: «بِمَوْقِعٍ» عَلَى الْإِفْرَادِ^(٣) لِأَنَّهُ اسْمٌ جِنْسٍ يُؤَدِّي مُؤَدَّى الْجَمْعِ.

﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ عِنْدَ اللَّهِ أَكْرَمُهُ وَأَعَزُّهُ، أَوْ: كَرِيمٌ عَامُّ الْمَنَافِعِ كَثِيرُ الْخَيْرِ يُنَالُ الثَّوَابُ الْعَظِيمُ بِتِلَاوَتِهِ وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ، أَوْ: خَطِيرٌ مُعْجَزٌ مَرْضِيٌّ فِي جَنْسِهِ مِنَ الْكُتُبِ. ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ مَصُونٍ مِنْ غَيْرِ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مَنْ سِوَاهُمْ، وَهُمْ الْمُطَهَّرُونَ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْنَسِ، إِنْ جَعَلْتَ الْجُمْلَةَ صِفَةً لـ ﴿كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، وَإِنْ جَعَلْتَهُ صِفَةً لـ ﴿قُرْءَانٍ﴾ فَاَلْمَعْنَى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا﴾ مَنْ هُوَ عَلَى الطَّهَارَةِ مِنَ النَّاسِ، يَعْنِي: مَسَّ الْمَكْتُوبِ مِنْهُ. ﴿تَنْزِيلٌ﴾ صِفَةٌ أُخْرَى لِلْقُرْآنِ، أَي: مُنْزَلٌ ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أَوْ: وَصْفٌ بِالْمُصَدَّرِ لِأَنَّهُ نَزَلَ نُجُومًا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ كُتُبِ اللَّهِ، فَكَأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ تَنْزِيلٌ، وَلِذَلِكَ جَرَى مَجْرَى بَعْضِ أَسْمَائِهِ حِينَ قَالُوا: نَطَقَ التَّنْزِيلُ بِكَذَا، وَجَاءَ فِي التَّنْزِيلِ كَذَا، أَوْ: هُوَ تَنْزِيلٌ، عَلَى حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ.

﴿أَفْبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ ﴿أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ﴾ أَي: مُتَهَاوُونَ بِهِ كَمَنْ يُدْهِنُ فِي الْأَمْرِ أَي: يَلِينُ جَانِبُهُ وَلَا يَتَصَلَّبُ فِيهِ تَهَاوُنًا بِهِ. ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، أَي: وَتَجْعَلُونَ شُكْرَ رِزْقِكُمُ التَّكْذِيبَ؟! وَالْمَعْنَى: أَوْضَعْتُمْ

(١) حكاه عنه ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ١٥٢.

(٢) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٥٥.

(٣) قرأه حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة: ص ٦٢٤.

التَّكْذِيبَ مَوْضِعَ الشُّكْرِ؟! وَعَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَرَأَ: «وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ» ^(١) وَرُويَ ذَلِكَ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٢) أَي: وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ لِنِعْمَةِ الْقُرْآنِ أَنْكُمْ تُكْذِبُونَ بِهِ، أَوْ: تَجْعَلُونَ شُكْرَ مَا يَرْزُقُكُمْ اللَّهُ مِنَ الْغَيْثِ أَنْكُمْ تُكْذِبُونَ بِكَوْنِهِ مِنْ اللَّهِ حَيْثُ تَتَسَبَّوْنَهُ إِلَى النَّجُومِ؟ وَقُرِئَ: «تَكْذِبُونَ» ^(٣) وَهُوَ قَوْلُهُمْ فِي الْقُرْآنِ: سِحْرٌ وَشِعْرٌ وَأَفْتِرَاءٌ، وَفِي الْمَطَرِ: هُوَ مِنَ الْأَنْوَاءِ، وَلَآنَ كُلُّ مُكَذِّبٍ بِالْحَقِّ كَاذِبٌ.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ﴾ تَرْتِيبُهُ: فَلَوْلَا تَرْجِعُونَهَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ، فَ«لَوْلَا» الثَّانِيَةُ مُكْرَّرَةٌ لِلتَّوَكِيدِ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ لِلنَّفْسِ وَهِيَ الرُّوحُ، وَفِي ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ لِلْمُحْتَضَرِّ. وَقَوْلُهُ: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ مِنْ: دَانَ السُّلْطَانُ الرِّعْيَةَ إِذَا سَاسَهُمْ، أَي: غَيْرَ مَرْبُوبِينَ مَمْلُوكِينَ. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ يَا أَهْلَ الْمِيَّتِ بِعِلْمِنَا وَقُدْرَتِنَا، أَوْ: بِمَلَايَكَتِنَا الَّذِينَ يَقْبِضُونَ رُوحَهُ، وَالْمَعْنَى: إِنَّكُمْ فِي جُحُودِكُمْ آيَاتِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ قَدْ بَلَغْتُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ: إِنْ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابًا مُعْجَزًا قُلْتُمْ: سِحْرٌ وَأَفْتِرَاءٌ، وَإِنْ أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ رَسُولًا صَادِقًا قُلْتُمْ: سَاحِرٌ ^(٤) كَذَّابٌ، وَإِنْ رَزَقَكُمْ مَطَرًا يُخَيِّكُمْ بِهِ قُلْتُمْ: صَدَقَ نَوْءٌ كَذَا! فَمَا لَكُمْ لَا تَرْجِعُونَ الرُّوحَ إِلَى الْبَدَنِ بَعْدَ بُلُوغِهِ الْخُلُقُومَ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَّ قَابِضٌ وَكُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي كُفْرِكُمْ بِاللَّهِ وَتَعْطِيلِكُمْ؟!

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ الْمُتَوَقَّى ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ السَّابِقِينَ ﴿فَرُوحٌ﴾ فَلَهُ اسْتِرَاحَةٌ ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ وَرِزْقٌ، وَقُرِئَ: «فَرُوحٌ» بِالضَّمِّ ^(٥) وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٦)،

(١) حكاه عنه عليه السلام ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ١٥٢.

(٢) أنظر تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٤٩.

(٣) وهي قراءة المفضل عن عاصم. راجع كتاب السبعة: ص ٦٢٤.

(٤) في نسخة: «ساحرٌ شاعرٌ».

(٥) وهي قراءة النبي ﷺ وابن عباس وقتادة والحسن. راجع المحتسب لابن جني: ج ٢ ص ٣١٠.

(٦) حكاه عنه عليه السلام أبو حيان في البحر: ج ٨ ص ٢١٥.

أَي: فَرَحْمَةٌ لَأَنَّ الرَّحْمَةَ كَالْحَيَاةِ لِلْمَرْحُومِ، وَقِيلَ: هُوَ الْبَقَاءُ^(١)، أَي: فَهَذَانِ لَهُ مَعًا، وَهُوَ الْخُلُودُ مَعَ الرَّزْقِ.

﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أَي: فَسَلَامٌ لَكَ يَا صَاحِبَ الْيَمِينِ مِنْ إِخْوَانِكَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ أَي: يُسَلِّمُونَ عَلَيْكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾.
 ﴿فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ﴾ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٢). ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الَّذِي أُنْزِلَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ﴿لَهُوَ حَقٌّ الْيَقِينِ﴾ أَي: هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ مِنَ الْيَقِينِ.



(١) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج ٢ ص ٢٥٣.

(٢) الآية: ٥٦.

سُورَةُ الْحَدِيدِ

مدنيّة^(١)، وَهِيَ تِسْعٌ وَعَشْرُونَ آيَةً، عَدَّ الْكُوفِيُّ: ﴿مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾^(٢) وَالْبَصْرِيُّ: ﴿الْإِنْجِيلَ﴾^(٣).

وفي حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَدِيدِ كُتِبَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(٤).

وعن الباقر عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ الْمُسَبِّحَاتِ كُلَّهَا قَبْلَ أَنْ يَنَامَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يُدْرِكَ الْقَائِمَ، وَإِنْ مَاتَ كَانَ فِي جِوَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٥).

وعن الصَّادِق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَدِيدِ وَالْمُجَادِلَةَ فِي صَلَاةِ فَرِيضَةٍ أَدْمَنَهَا لَمْ يُعَذِّبْهُ اللَّهُ حَتَّى يَمُوتَ أَبَدًا، وَلَا يَرَى فِي نَفْسِهِ وَلَا فِي أَهْلِهِ سُوءًا أَبَدًا»^(٦).

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٥١٧: مدنيّة بلاخلاف، وهي تسع وعشرون آية في الكوفي والبصري، وثمان وعشرون في المدنيّين.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٤٧١: مدنيّة وهي تسع وعشرون آية، نزلت بعد الزلزلة.

(٢) الآية: ١٣. (٣) الآية: ٢٧.

(٤) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٤٨٤ مرسلًا وفيه: «ورُسله».

(٥) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٦. والمسبّحات: هي السور التي تبدأ بـ «سَبِّحْ» و«يَسْبِحْ»،

وهنّ ستّ في القرآن: الحديد، والحشر، والصفّ، والجمعة، والتغابن، والأعلى.

(٦) المصدر السابق: ص ١٤٥ وزاد بعده: «ولا خُصاصة في بدنه».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) لَهُ
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ
فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ
فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) ﴿

﴿سَبَّحَ﴾ يُعَدِّي بِنَفْسِهِ وباللَّامِ، وَأَصْلُهُ التَّعَدَّى بِنَفْسِهِ كَمَا مَرَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَتَسْبِّحُوهُ﴾ (١) لَأَنَّ مَعْنَى «سَبَّحْتُهُ»: بَعَّدْتُهُ عَنِ السُّوءِ، مَنَقُولٌ مِنْ: سَبَّحَ إِذَا ذَهَبَ
وَبَعُدَ، وَاللَّامُ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِمْ: نَصَحْتُهُ وَنَصَحْتُ لَهُ، أَوْ: بِمَعْنَى: أَخَذْتُ التَّسْبِيحَ لِأَجْلِ
اللَّهِ وَلَوْجْهِهِ خَالِصاً ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مِمَّا يَصِحُّ مِنْهُ أَنْ يُسَبَّحَ.

﴿يُحْيِي﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعَ الْمَحَلِّ عَلَى: هُوَ يُحْيِي، وَمَنْصُوباً عَلَى الْحَالِ
مِنَ الْمَجْرُورِ فِي ﴿لَهُ﴾، وَالْجَارُ يَعْمَلُ فِيهِ، وَأَنْ يَكُونَ جُمْلَةً بِرَأْسِهَا لَا مَحَلَّ لَهَا
كَقَوْلِهِ: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ﴾.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ الْقَدِيمُ السَّابِقُ لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ بِمَا لَا يَتَنَاهَى مِنَ الْأَوْقَاتِ
أَوْ تَقْدِيرِ الْأَوْقَاتِ، ﴿وَالْآخِرُ﴾ الَّذِي يَبْقَى بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بِالْأَدَلَّةِ

الدَّالَّةُ عَلَيْهِ ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ من إَحْسَاسِ خَلْقِهِ لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُمَا: الْعَالِمُ بِمَا ظَهَرَ وَالْعَالِمُ بِمَا بَطَنَ ^(١). ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بِالْعِلْمِ ﴿أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِكُمْ.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧) وَمَالَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٩) وَمَالَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ أَوْلِيَّتَكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكَلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)﴾

﴿وَأَنْفِقُوا﴾ من أموالكم التي ﴿جَعَلَكُمْ﴾ اللَّهُ خُلَفَاءَ فِي التَّصَرُّفِ فِيهَا، وَمَتَّعَكُمْ بِهَا، فَلَيْسَتْ هِيَ بِأَمْوَالِكُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوُكَلَاءِ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ فِيهَا، فَلْيَهْنُ عَلَيْكُمْ الْإِثْقَابُ مِنْهَا، كَمَا يَهُونُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْإِثْقَابُ مِنْ مَالِ الْغَيْرِ إِذَا أْذِنَ لَهُ فِيهِ، أَوْ: ﴿جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ﴾ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِتَوْرِيثِهِ إِيَّاكُمْ، فَاعْتَبِرُوا بِحَالِهِمْ حَيْثُ أَنْتَقَلَ مِنْهُمْ إِلَيْكُمْ، وَسَيَنْتَقِلُ مِنْكُمْ إِلَى مَنْ بَعْدَكُمْ، فَلَا تَبْخُلُوا بِهِ وَأَسْتَوْفُوا حَظَّكُمْ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ لْغَيْرِكُمْ.

﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ حَالٌ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ فِي ﴿مَا لَكُمْ﴾ كَمَا تَقُولُ: مَا لَكَ قَائِمًا؟ بِمَعْنَى: مَا تَصْنَعُ قَائِمًا؟ أَي: وَمَا لَكُمْ كَافِرِينَ بِاللَّهِ؟ وَالْوَاوُ فِي ﴿وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ﴾ وَاو الْحَالِ أَيْضًا، فَهُمَا حَالَانِ مُتَدَاخِلَتَانِ، وَالْمَعْنَى: وَأَيُّ عُذْرٍ لَكُمْ فِي

(١) قاله الزَّجَّاجُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ: ج ٥ ص ١٢٢.

تَرْكِ الْإِيمَانِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ وَيُنَبِّهُكُمْ عَلَيْهِ، وَيَتْلُو عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ الْمُعْجِزَ؟ ﴿و﴾ قَبْلَ ذَلِكَ ﴿قَدْ أَخَذَ﴾ اللَّهُ ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ بِالْإِيمَانِ حَيْثُ رَكَّبَ فِيكُمْ الْعُقُولَ، وَنَصَبَ لَكُمْ الْأَدْلَةَ، وَمَكَّنَكُمْ مِنَ النَّظَرِ فِيهَا، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ لَكُمْ عِلَّةٌ بَعْدَ أَدْلَةِ الْعُقُولِ وَتَنْبِيهِ الرَّسُولِ فَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لِمُوجِبِ مَا، فَإِنَّ هَذَا الْمُوجِبَ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ، وَقُرِئَ: «أُخِذَ مِيثَاقُكُمْ» ^(١) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ. ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ الضَّمِيرُ لِلَّهِ أَوْ لِلرَّسُولِ، أَيُ: لِيُخْرِجَكُمْ اللَّهُ بِآيَاتِهِ وَأَدْلَتِهِ، أَوِ الرَّسُولُ بِدَعْوَتِهِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ.

﴿مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا﴾ فِي أَنْ لَا تُنْفِقُوا ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يَرِثُ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِمَا، لَا يَبْقَى مِنْهُ بَاقٍ لِأَحَدٍ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ. وَالْمَعْنَى: وَأَيُّ غَرَضٍ لَكُمْ فِي تَرْكِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مُمِيتُكُمْ وَوَارِثُ أَمْوَالِكُمْ؟ ثُمَّ بَيَّنَّ التَّفَاوْتَ بَيْنَ الْمُنْفِقِينَ فَقَالَ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ﴾ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، قَبْلَ عِزِّ الْإِسْلَامِ وَقُوَّةِ أَهْلِهِ «وَمَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ الْفَتْحِ» فَحُذِفَ لِلْعِلْمِ بِهِ، ﴿أُولَئِكَ﴾ الَّذِينَ أَنْفَقُوا قَبْلَ الْفَتْحِ ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً... وَكُلًّا﴾ وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ الْمَثُوبَةَ ﴿الْحُسْنَى﴾ وَهِيَ الْجَنَّةُ مَعَ تَفَاوُتِ الدَّرَجَاتِ، وَقُرِئَ بِالرَّفْعِ ^(٢) عَلَى: وَكُلُّ وَعْدَهُ اللَّهُ الْحُسْنَى، وَقِيلَ: الْمُرَادُ: فَتَحُ الْحُدَيْبِيَّةِ ^(٣).

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

(١) قرأه أبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٢٥.

(٢) قرأه ابن عامر وحده. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٧١١.

(٣) قاله عامر الشعبي. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٦٧٤.

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥) ﴿

قُرِئَ: «فِيضَعْفُهُ»^(١) وَ «فِيضَعْفُهُ»^(٢) وَقُرِئَ مَنصُوبَيْنِ وَمَرْفُوعَيْنِ، أَيِ: يُعْطِيهِ أَجْرُهُ عَلَى إِتْقَانِهِ مُضَاعَفًا أَوْ مُضَاعَفًا مِنْ فَضْلِهِ ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ جَزَاءٌ خَالِصٌ لَا يَشُوبُهُ مَا يُنْغَصُّهُ^(٣).

﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ظَرَفَ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ لَا تَنَّهُمْ أَوْتُوا صَحَائِفَ أَعْمَالِهِمْ مِنْ هَاتَيْنِ الْجَهَّتَيْنِ، فَجَعَلَ النُّورَ فِي الْجَهَّتَيْنِ شَعَارًا لَهُمْ وَآيَةً لِسَعَادَتِهِمْ وَفَلَاحِهِمْ، فَإِذَا ذَهَبَ بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَرُّوا عَلَى الصَّرَاطِ يَسْعَوْنَ، سَعَى ذَلِكَ النُّورُ بِسَعْيِهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمُ الَّذِينَ يَتَلَقَّوْنَهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: ﴿بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ﴾ وَعَنْ أَبِي مُسْعُودٍ: يُؤْتُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ، وَأَدْنَاهُمْ نُورًا نُورُهُ عَلَى إِيْهَامِهِ يَطْفَأُ مَرَّةً وَيَتَّقَدُ أُخْرَى^(٤).

(١) هي قراءة ابن كثير وابن عامر، إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ يَرْفَعُهُ وَالْآخِرَ يَنْصِبُهُ. رَاجِعْ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقُرْآنِ: ص ٦٢٥.

(٢) بِالرَّفْعِ قَرَأَهُ نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَحُمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ. رَاجِعِ الْمَصْدَرِ السَّابِقَ.

(٣) فِي نَسْخَةٍ: «يَنْقُضُهُ».

(٤) حَكَاهُ عَنْهُ الْبَغْوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ٤ ص ٢٩٥.

﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمَ تَرَى﴾، ﴿أَنْظِرُونَا﴾ أَنْتَظِرُونَا لِأَنَّهُمْ يُسْرِعُ بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ: أَنْظِرُوا إِلَيْنَا لِأَنَّهُمْ إِذَا نَظَرُوا إِلَيْهِمْ أَسْتَقْبَلُوهُمْ بِوُجُوهِهِمْ وَالنُّورُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَيَسْتَضِيُّونَ بِهِ، وَقُرِئَ: «أَنْظِرُونَا» ^(١) مِنَ النَّظَرَةِ وَهِيَ الْإِمْهَالُ، جَعَلَ أَتَّادَهُمْ ^(٢) فِي الْمَضِيِّ إِلَى أَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ إِنْظَاراً لَهُمْ ﴿نَقْتِيسُ مِنْ نُورِكُمْ﴾ نُصِيبُ مِنْهُ، وَنَسْتَضِي بِهِ ﴿قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾ تَهَكُّمٌ بِهِمْ وَطَرْدٌ لَهُمْ، أَي: أَرْجِعُوا إِلَى حَيْثُ أُعْطِينَا هَذَا النُّورَ فَاطْلُبُوهُ هُنَاكَ، فَمِنْ ثَمَّ يُقْتَبَسُ، أَوْ: أَرْجِعُوا إِلَى الدُّنْيَا فَالْتَمِسُوا النُّورَ مِنْهَا فَإِنَّا كَسَبْنَا النُّورَ هُنَاكَ، وَقِيلَ: إِنَّ ﴿وَرَاءَكُمْ﴾ اسْمٌ لـ ﴿أَرْجِعُوا﴾، وَلَيْسَ بِظَرْفٍ لِلرُّجُوعِ، كَمَا تَقُولُ: وَرَاءَكَ بِمَعْنَى: ارْجِعْ، وَالتَّقْدِيرُ: ارْجِعُوا أَرْجِعُوا ﴿فَضْرِبْ﴾ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿بِسُورِ﴾ أَي: حَائِطٍ حَائِلٍ بَيْنَ شَقِّ الْجَنَّةِ وَشَقِّ النَّارِ، لِذَلِكَ السُّورِ ﴿بَابٌ﴾ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَ مِنْهُ، ﴿بَاطِنُهُ﴾ بَاطِنُ السُّورِ أَوْ الْبَابِ وَهُوَ الشَّقُّ الَّذِي يَلِي الْجَنَّةَ ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أَي: الْجَنَّةُ، ﴿وَظَاهِرُهُ﴾ مَا ظَهَرَ لِأَهْلِ النَّارِ ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ مِنْ عِنْدِهِ وَمِنْ جِهَتِهِ ﴿الْعَذَابُ﴾ وَهُوَ النَّارُ.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ يُرِيدُونَ مُوَافَقَتَهُمْ فِي الظَّاهِرِ، قَالَ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿بَلَى﴾ كُنْتُمْ مَعَنَا تُصَلُّونَ وَتُصُومُونَ ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ مَحَنَتْموها بِالنِّفَاقِ وَأَهْلَكْتُمُوهَا ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بِالْمُؤْمِنِينَ الدَّوَائِرَ ﴿وَأَرْبَبْتُمْ﴾ وَشَكَّكْتُمْ ﴿وَعَرَّيْتُمْ﴾ الْأَمَانِيَّاتِ الَّتِي تَمْنِيْتُمُوهَا ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وَهُوَ الْمَوْتُ ﴿وَعَرَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ الشَّيْطَانُ، وَقِيلَ: الدُّنْيَا ^(٣).

(١) قرأه حمزة. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٢٥.

(٢) التَّوْدَةُ - بسكون الهمزة وفتحها -: التَّائِي والتَّمْهَلُ، يُقَالُ: اتَّادَ فِي مَشْيِهِ وَتَوَادَّ: إِذَا تَمَهَّلَ فِيهِ وَتَأَنَّى. (لسان العرب: مادة وأد).

(٣) قاله الضحاك. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٤٧٦.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ قُرِئَ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ ^(١) ﴿فِدْيَةٌ﴾ مَا يُفْتَدَى بِهِ ﴿مَأْوَانَكُمْ
النَّارُ﴾ أَي: مَقَرُّكُمْ الَّذِي تَأْوِنَ أَنْتُمْ إِلَيْهِ ﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ أَوْلَى بِكُمْ، كَمَا قَالَ لِبَيْدٍ:
فَعَدَّتْ كِلَا الْفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّه مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا ^(٢)
وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا تَلِي عَلَيْكُمْ وَتَمْلِكُ أَمْرَكُمْ، فَهِيَ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ
فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦)﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ
وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعْفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ
كَرِيمٌ (١٨) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) أَعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ
نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠)
سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنَ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)﴾

أَنَّى الْأَمْرُ يَأْنِي: إِذَا جَاءَ أَنَاهُ أَي: وَقْتُهُ، وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ: مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا

(١) قرأه ابن عامر في رواية هشام. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٢٦.

(٢) البيت من معلقته المشهورة. أنظر ديوان لبید بن ربیع: ص ١٧٣.

وبين أن عوتبتنا بهذه الآية إلا أربع سنين^(١). وعن ابن عباس: إن الله استبطن قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن بهذه الآية^(٢). وعن محمد بن كعب: كانت الصحابة بمكة مجدين فلما هاجروا أصابوا الريف^(٣) والنعمه، فتغيروا عما كانوا عليه، فقست قلوبهم فنزلت^(٤). والمعنى: ألم يحزن للمؤمنين أن تلين قلوبهم وترق إذا ذكر الله وتلي القرآن عندهم؟ أو: لما يذكركم الله به من مواعظه وما نزل من القرآن؟ وقرئ: ﴿نزل﴾ و«نزل»^(٥) بالتخفيف والتشديد ﴿ولا يكونوا﴾ عطف على ﴿تخشع﴾، وقرئ: «ولا تكونوا» بالتاء^(٦) على الالتفات، ويجوز أن يكون نهياً عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب، بعد أن وبخوا، وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم، وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم، فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة، وأختلفوا، وأخذوا ما أحدثوا من التحريف وغيره، و﴿الأمدة﴾: الأجل. ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ هذا تمثيل لآثر الذكر في القلوب، وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض، أو: يحييها الله بعد موتها، ويلينها بعد القسوة بالأنطاف والتوفيقات.

﴿إن المصدقين﴾ قرئ بتشديد الصاد بمعنى: «المتصدقين»، وبتخفيفها^(٧) بمعنى: الذين يصدقون الله ورسوله، وعطف قوله: ﴿وأقرضوا الله﴾ على معنى

(١) و٢) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٢٩٧.

(٣) الريف: أرض فيها زرع وخصب، يقال: أرافت الأرض: أي أخصبت. (الصحاح: مادة ريف).

(٤) أوردها القرطبي في تفسيره: ج ١٧ ص ٢٥٠.

(٥) بالتشديد قرأها ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر.

راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٢٦٢.

(٦) هي قراءة رويس. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٧١٢.

(٧) قرأه ابن كثير وعاصم برواية أبي بكر عنه. راجع كتاب السبعة السابق.

الفِعْلُ فِي ﴿الْمُصَدِّقِينَ﴾ لِأَنَّ اللَّامَ بِمَعْنَى «الَّذِينَ»، وَأَسْمُ الْفَاعِلِ بِمَعْنَى: «أَصَدَّقُوا» أَوْ «صَدَّقُوا». كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ أَصَدَّقُوا وَأَقْرَضُوا، وَقُرِئَ: ﴿يُضَعِّفُ﴾ وَ«يُضَعِّفُ»^(١).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ هُمْ عِنْدَ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، وَهُمْ الَّذِينَ سَبَقُوا^(٢) إِلَى التَّصَدِيقِ، وَرَسَخَتْ أَقْدَامُهُمْ فِيهِ، وَالَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أَي: لَهُمْ مِثْلُ أَجْرِ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَمِثْلُ نُورِهِمْ. وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ شَهِيدٌ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ مَبْتَدَأٌ وَ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خَبَرُهُ.

ثُمَّ زَهَّدَ سُبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا فَقَالَ: لَيْسَتْ ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إِلَّا مُحَقَّرَاتٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَهِيَ اللَّعِبُ وَاللَّهْوُ وَالزَّيْنَةُ وَالتَّفَاخُرُ وَالتَّكَاثُرُ، ثُمَّ شَبَّهَ حَالَهَا وَسُرْعَةَ انْقِضَائِهَا وَقِلَّةَ جَدْوَاهَا بِبَنَاتِ أُنْتَبَهَ الْغَيْثُ وَ﴿أَعْجَبَ﴾ الْكُفَّارَ وَهُمْ الزُّرَّاعُ أَوْ الْكَافِرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ، ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾ وَيَصْفَرُّ وَيَصِيرُ ﴿حُطَمَاءً﴾، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أُمُورٌ عِظَامٌ وَهِيَ: الْعَذَابُ الشَّدِيدُ، وَمَغْفِرَةُ اللَّهِ، وَرِضْوَانُهُ.

﴿سَابِقُوا﴾ أَي: بَادِرُوا مُبَادَرَةَ السَّابِقِينَ لِأَقْرَانِهِمْ فِي الْمِضْمَارِ ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ مُنْجِيَةٍ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، وَإِلَى ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّبْعِ السَّمَوَاتِ وَسَبْعِ الْأَرْضِينَ. وَذَكَرَ الْعَرْضَ دُونَ الطُّوْلِ لِأَنَّ كُلَّ مَا لَهُ عَرْضٌ وَطُولٌ فَإِنَّ عَرْضَهُ أَقَلُّ مِنْ طَوْلِهِ، فَإِذَا كَانَ الْعَرْضُ مِثْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَطَوْلُهَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. وَعَنِ الْحَسَنِ: أَنَّ اللَّهَ يُفْنِي الْجَنَّةَ ثُمَّ يُعِيدُهَا عَلَى مَا وَصَفَهُ، فَلِذَلِكَ صَحَّ وَصْفُهَا بِأَنَّ عَرْضَهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ^(٣) ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أَي:

(١) هي قراءة ابن كثير وحده. راجع المصدر نفسه: ص ١٨٤.

(٢) في بعض النسخ: «صدقوا».

(٣) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٥٣٢.

هَيَّئْتُ وَأَدْخَرْتُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ ذَلِكَ الْمَوْعُودَ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالْجَنَّةِ ﴿فَضَّلُ
 اللَّهُ﴾ عَطَاؤُهُ، وَلَئِنَّ الْأَسْبَابَ الْمُوَصِّلَةَ إِلَى الثَّوَابِ مِنَ التَّكْلِيفِ وَالتَّعْزِيزِ
 وَالتَّمْكِينِ وَالْأَطَافِ كُلِّهَا تَفَضَّلُ ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ
 قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
 وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ
 يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
 الْحَمِيدُ (٢٤) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ
 لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ
 وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ
 وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ
 مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً
 وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا
 حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) ﴿
 الْمُصِيبَةُ فِي الْأَرْضِ مِثْلُ الْقَحْطِ وَنَقْصِ الثَّمَارِ، وَفِي الْأَنْفُسِ مِثْلُ الْأَمْرَاضِ
 وَالتُّكْلِ بِالْأَوْلَادِ، وَالْكِتَابُ: اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ الضَّمِيرُ لِلْأَنْفُسِ
 أَوِ الْمُصِيبَةِ ﴿إِنَّ﴾ تَقْدِيرُ ﴿ذَلِكَ﴾ وَإِبَاتُهُ فِي كِتَابٍ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هَيِّنٌ.

ثُمَّ عُلِّلَ ذَلِكَ وَبَيَّنَّ وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِيهِ بِقَوْلِهِ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ مِنْ
 نِّعَمِ الدُّنْيَا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ اللَّهُ عَزَّ أَسْمُهُ مِنْهَا. وَالْمَعْنَى: أَنَّكُمْ إِذَا عَلِمْتُمْ أَنَّ
 كُلَّ شَيْءٍ مُّقَدَّرٌ مَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ قَلَّ حُزْنُكُمْ عَلَى الْفَائِتِ وَفَرَحُكُمْ عَلَى الْآتِي، وَكَذَا
 إِذَا عَلِمْتُمْ أَنَّ شَيْئًا مِنْهَا لَا يَبْقَى لَمْ تَهْتَمُّوا لِأَجْلِهِ وَأَهْتَمَّمْتُمْ لِأُمُورِ الْآخِرَةِ الَّتِي تَدُومُ

وَلَا تَبِيدُ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لَأَنَّ مَنْ فَرَحَ بِشَيْءٍ مِنْ زَخَارِفِ الدُّنْيَا وَعَظُمَ قَدْرُهُ عِنْدَهُ اخْتَالَ وَافْتَخَرَ بِهِ وَتَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ. وَقُرِئَ: «بِمَاءَاتِكُمْ» و«أَتَاكُمْ»^(١) مِنَ الْإِثْنَاءِ وَالِإِثْيَانِ.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا يُحِبُّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَحْمِلُونَ النَّاسَ عَلَى الْبُخْلِ يُرْغَبُونَهُمْ فِيهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ نَتِيجَةُ فَرَحِهِمْ بِزِينَةِ الدُّنْيَا ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عَنْ أَوَامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنْهُ وَعَنْ طَاعَتِهِ ﴿الْحَمِيدُ﴾ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ، وَقُرِئَ: «فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ»^(٢).

﴿بِالْيُسْتِ﴾ بِالذَّلَائِلِ وَالْمُعْجَزَاتِ، وَ﴿الْكِتَابِ﴾: الْوَحْيِ وَمَا يَحْتَاجُ الْخَلْقُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: الْعَدْلُ، وَقِيلَ: هُوَ الْمِيزَانُ ذُو الْكَفَّتَيْنِ^(٣) وَرُوي: أَنَّ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ بِالْمِيزَانِ فَدَفَعَهُ إِلَى نُوحٍ وَقَالَ: مُرْ قَوْمَكَ يَزِنُوا بِهِ^(٤). ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أَي: خَلَقْنَاهُ وَأَنْشَأْنَاهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجَ﴾^(٥)، وَذَلِكَ أَنَّ أَوَامِرَهُ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَأَحْكَامُهُ. وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ أَرْبَعَ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ: أَنْزَلَ الْحَدِيدَ وَالنَّارَ وَالْمَاءَ وَالْمِلْحَ»^(٦).

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وَهُوَ الْقِتَالُ بِهِ ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ فِي مَعَائِشِهِمْ

(١) قرأه أبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٢٦.

(٢) أي بحذف «هو» وهي قراءة نافع وابن عامر، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. راجع المصدر السابق: ص ٦٢٧.

(٣) وهو قول الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٥٣٤.

(٤) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٨٠ مرسلاً.

(٥) الزمر: ٦.

(٦) رواه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٢٩٩ بسندٍ إلى ابن عمر يرفعه.

وَصَنَائِعِهِمْ^(١)، فَمَا مِنْ صِنَاعَةٍ إِلَّا وَالْحَدِيدُ آلهَ فِيهَا ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ بِاسْتِعْمَالِ السُّيُوفِ وَسَائِرِ الْأَسْلِحَةِ فِي مُجَاهَدَةِ أَعْدَاءِ الدِّينِ ﴿بِالْغَيْبِ﴾ غَائِباً عَنْهُمْ، عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: يَنْصُرُونَهُ وَلَا يُبْصِرُونَهُ^(٢)، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ بِقُدْرَتِهِ ﴿عَزِيزٌ﴾ يُهْلِكُ مَنْ أَرَادَ هَلَاكَهُ، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ، وَإِنَّمَا كَلَّفَهُمُ الْجِهَادَ لِيَصِلُوا بِامْتِنَالِ أَمْرِهِ إِلَى الثَّوَابِ.

خَصَّ سُبْحَانَهُ نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمَا أَبَوَا الْأَنْبِيَاءِ. ﴿وَالْكِتَابِ﴾: الْوَحْيِ، وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: الْخَطُّ بِالْقَلَمِ^(٣) ﴿فَمِنْهُمْ﴾ فَمِنْ الذَّرِّيَّةِ، أَوْ: مِنَ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، وَدَلَّ عَلَيْهِ ذِكْرُ الْإِرْسَالِ وَالْمُرْسَلِينَ، أَي: فَمِنْهُمْ ﴿مُهْتَدٍ﴾ وَمِنْهُمْ فَاسِقٌ، وَالْغَلَبَةُ لِلْفُسَّاقِ.

وَقُرِئَ: «رَافَةٌ»^(٤) وَالْمَعْنَى: وَقَفْنَاهُمْ لِلتَّعَاطُفِ وَالتَّرَاحُمِ بَيْنَهُمْ، وَالرَّهْبَانِيَّةُ: تَرَهُّبُهُمْ فِي الْجِبَالِ وَالصَّوَامِعِ، وَأَنْفِرَادُهُمْ عَنِ الْجَمَاعَةِ لِلْعِبَادَةِ، وَمَعْنَاهَا: الْفَعْلَةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الرَّهْبَانِ وَهُوَ الْخَائِفُ، فَعَلَانَ مِنْ رَهَبٍ، أَي خَافَ، كَخَشْيَانٍ مِنْ خَشْيٍ، وَأَنْتَصَابُهَا بِفِعْلِ مَضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ الظَّاهِرُ، وَالتَّقْدِيرُ: ابْتَدَعُوا رَهْبَانِيَّةً ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ أَي: وَأَخَذْتُوهَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ وَنَذَرُوهَا ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ لَمْ نَفْرِضْهَا نَحْنُ عَلَيْهِمْ ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَنِ اللَّهِ﴾ اسْتِثْنَاءً مُنْقَطِعٌ، أَي: وَلَكِنَّهُمْ ابْتَدَعُوهَا ﴿ابْتِغَاءَ رِضْوَنِ اللَّهِ﴾ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴿كَمَا يَجِبُ عَلَى النَّاذِرِ رِعَايَةَ نَذْرِهِ لِأَنَّهُ عَهْدٌ مَعَ اللَّهِ لَا يَحِلُّ نَكْثُهُ﴾ فَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ ﴿بِعِيسَى﴾ وَهُمْ أَهْلُ

(١) في نسخة: «ومنافعهم».

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٨١.

(٣) حكاه عنه الزمخشري أيضاً في الكشاف.

(٤) على زنة «فعالة» بإبدال الهمزة ألفاً وهي قراءة أبي عمرو والأعشى. راجع كتاب التذكرة

في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٥٦٥.

الرَّافَةِ وَالرَّحْمَةِ ﴿أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ لَمْ يُحَافِظُوا عَلَى نَذَرِهِمْ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا إِذْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِنَبِيِّنَا ﷺ حِينَ بُعِثَ ^(١)، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ أَي: كَافِرُونَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٨) لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِمُوسَى وَعِيسَى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ أَي: بِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ اللَّهُ ﴿كِفْلَيْنِ﴾ نَصِيْبَيْنِ ﴿مِّنْ رَّحْمَتِهِ﴾ لَا إِيمَانَكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ﴿وَيَجْعَلْ لَّكُمْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ مَا أَسْلَفْتُمُوهُ مِنَ الْمَعَاصِي.

﴿لَيْلًا يَعْلَمُ﴾: «لَا» مَزِيدَةٌ أَي: لِأَن يَعْلَمُ أَوْ: لِيَعْلَمَ ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿أَن لَا يَقْدِرُونَ﴾: «أَنَّ» مَخَفَّةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَأَصْلُهُ: أَنَّهُ لَا يَقْدِرُونَ، وَالضَّمِيرُ لِلشَّانِ ﴿عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أَي: لَا يَنَالُونَ شَيْئًا مِّمَّا ذُكِرَ مِنْ فَضْلِهِ مِنَ الْكِفْلَيْنِ وَالنُّورِ وَالْمَغْفِرَةِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ إِيمَانُهُمْ بِمَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَقِيلَ: إِنَّ ﴿لَا﴾ لَيْسَتْ بِزَائِدَةٍ، وَالْمَعْنَى: لَيْلًا يَعْلَمُ الْيَهُودُ أَنَّ النَّبِيَّ وَالْمُؤْمِنِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ ^(٢)، أَي: يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَعْلَمُوا خِلَافَهُ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿يَقْدِرُونَ﴾ لِلنَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ.



(١) قاله ابن عباس والضحاك. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٦٩١ و ٦٩٢.

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ١٣١.

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ

مدنيّة^(١) اثنتان وعشرون آية.

في حديث أبي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْمُجَادَلَةِ كَتَبَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

الخبر^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ
يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّنْ
نِّسَائِهِمْ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ
مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٥٣٩: مدنيّة بلاخلاف، وهي اثنا وعشرون آية في الكوفي والبصري والمدني الأول، وإحدى وعشرون في المدني الأخير.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٤٨٤: مدنيّة وآياتها (٢٢) نزلت بعد «المنافقون».

وفي تفسير القرطبي: ج ١٧ ص ٢٦٩: مدنيّة في قول الجميع إلا رواية عن عطاء: أنّ العشر الأول منها مدني وبقاها مكّي، وقال الكلبي: نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ نزلت بمكة.

(٢) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٤٩٧ مرسلًا وقد تقدّم حديث الصادق عليه السلام في سورة الحديد المباركة، فراجع.

نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَا ذَلِكَمُ
تُوعِظُونَ بِهِ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ
لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) إِنَّ
الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبِتُوا كَمَا كَبِتَ الَّذِينَ مِنَ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥) ﴿

نَزَلَتْ فِي خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ أَمْرَأَةِ أُوسِ بْنِ الصَّامِتِ أَخِي عَبَادَةَ، رَأَاهَا سَاجِدَةً،
فَلَمَّا أَنْصَرَفَتْ مِنْ صَلَاتِهَا رَأَوْدَهَا فَأَبَتْ، فَغَضِبَ، وَكَانَ بِهِ خُفَّةٌ وَلَمَمٌ^(١)، فَظَاهَرَ
مِنْهَا، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَالَتْ: إِنَّ أُوسًا تَزَوَّجَنِي وَأَنَا شَابَةٌ مَرْغُوبٌ فِيَّ،
فَلَمَّا خَلَا سِنِّي وَنَثَرْتُ بَطْنِي - أَي: كَثُرَ وَلَدِي - جَعَلَنِي عَلَيْهِ كَأُمِّهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ وَآلِهِ
السَّلَام: مَا أَرَاكَ إِلَّا حَرُمْتَ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا ذَكَرَ طَلَاقًا، وَإِنَّهُ أَبُو وَلَدِي،
وَجَعَلْتُ تَقُولُ: أَشْكُو إِلَى اللَّهِ فَاقْتِي وَشِدَّةَ حَالِي، فَنَزَلَتْ^(٢): ﴿قَوْلَ الَّتِي
تُجَدِّدُكَ﴾ أَي: تُرَاجِعُكَ الْكَلَامَ فِي أَمْرِ ﴿زَوْجِهَا﴾ وَشَأْنِهِ، تُظْهِرُ شَكْوَاهَا وَمَا بِهَا
مِنَ الْمَكْرُوهِ ﴿إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تَخَاطَبَكُمَا.

وَقُرِئَ: «يُظَاهَرُونَ»^(٣) وَ «يُظْهَرُونَ»^(٤) وَأَصْلُهُمَا: يَتَظَاهَرُونَ وَيَتَظْهَرُونَ،
وَقُرِئَ: ﴿يُظْهِرُونَ﴾ مِنَ الْمُظَاهَرَةِ وَالظَّهَارِ ﴿مِنْكُمْ﴾ فِيهِ تَوْبِيخٌ لِلْعَرَبِ، إِذْ كَانَ
الظَّهَارُ مِنْ أَيْمَانِهِمْ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ مَنْ يَقُولُ لَامْرَأَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي، مُلْحِقُ
فِي كَلَامِهِ هَذَا أَمْرَأَتَهُ بِأُمِّهِ وَجَاعِلُهَا مِثْلَهَا. وَهَذَا تَشْبِيهُ بَاطِلٌ لِتَبَايِنِ الْحَالَيْنِ.

(١) اللَّمَمُ: الْمُتَقَارِبُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَاللَمَمُ أَيْضًا: طَرَفٌ مِنَ الْجَنُونِ. (الصَّحَاحُ).

(٢) أَسْبَابُ النُّزُولِ لِلوَاحِدِيِّ: ص ٣٤٧.

(٣) قَرَأَهُ ابْنُ عَامِرٍ وَحُمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ. رَاجَعَ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٦٢٨.

(٤) وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَنَافِعٍ وَأَبِي عَمْرٍو. رَاجَعَ الْمَصْدَرُ السَّابِقَ.

﴿إِنْ أُمِّهُتُهُمْ﴾ أي: ما أمهاتهم على الحقيقة ﴿إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ﴾ وَغَيْرُهُنَّ مُلْحَقَاتُ بَيْنَ لِدُخُولِهِنَّ فِي حُكْمِهِنَّ، فَالْمُرْضِعَاتُ دَخَلْنَ بِالرِّضَاعِ فِي حُكْمِ الْأُمِّهَاتِ، وَكَذَلِكَ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمِّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ نِكَاحَهُنَّ عَلَى الْأُمَّةِ، فَدَخَلْنَ بِذَلِكَ فِي حُكْمِ الْأُمِّهَاتِ. وَأَمَّا الزَّوْجَاتُ فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مِنَ الْأُمُومَةِ، لِأَنَّهُنَّ لَسْنَ بِأُمِّهَاتٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَلَا بِدَاخِلَاتٍ فِي حُكْمِ الْأُمِّهَاتِ، فَكَانَ قَوْلُ الْمُظَاهِرِ ﴿مُنْكَرًا مِنْ الْقَوْلِ﴾ تَنْكُرُهُ الْحَقِيقَةُ وَتَنْكُرُهُ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ، ﴿وَزُورًا﴾ وَكَذِبًا بَاطِلًا مُنْخَرِفًا عَنِ الْحَقِّ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾ لِمَا سَلَفَ مِنْهُ إِذَا تَيَبَ مِنْهُ.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ فِيهِ وَجُوهٌ: أَحَدُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ: وَالَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ الْمُنْكَرَ فَتَرْكُوهُ بِالْإِسْلَامِ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمِثْلِهِ، فَكَفَّارَةٌ مِنْ عَادَ أَنْ يُحَرَّرَ رَقَبَةٌ - أَيْ: يُعْتَقَ - ثُمَّ يَمَسُّ أَمْرَأَتَهُ الَّتِي ظَاهَرَ مِنْهَا، لَا يَحِلُّ لَهُ مَمَاسَّتُهَا إِلَّا بَعْدَ تَقْدِيمِ الْكَفَّارَةِ. وَثَانِيهَا: أَنَّ الْمَعْنَى: ثُمَّ يَتَدَارَكُونَ مَا قَالُوا، لِأَنَّ الْمِتَدَارِكَ لِلْأَمْرِ عَائِدٌ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ: «عَادَ غَيْثٌ عَلَى مَا أَفْسَدَ» أَيْ: تَدَارَكَهُ بِالْإِصْلَاحِ. وَمَعْنَاهُ: أَنَّ تَدَارِكَ هَذَا الْقَوْلِ وَتَلَاْفِيَهُ بَأَن يُكْفَّرَ حَتَّى يَرْجَعَ حَالُهُمَا كَمَا كَانَتْ قَبْلَ الظَّهَارِ. وَثَالِثُهَا: أَنَّ يَكُونَ الْمُرَادُ بِمَا قَالُوا: مَا حَرَّمُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِلَفْظِ الظَّهَارِ تَنْزِيلًا لِلْمَقُولِ مَنْزِلَةً الْمَقُولِ فِيهِ، نَحْوُ مَا ذَكَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ ^(١)، وَمَعْنَاهُ: ثُمَّ يُرِيدُونَ الْعَوْدَ لِلتَّمَاسِّ، وَهُوَ الْاسْتِمْتَاعُ بِهَا مِنْ جِمَاعٍ أَوْ لَمَسٍ بِشَهْوَةٍ ﴿ذَلِكُمْ﴾ الْحُكْمُ ﴿تُوعِظُونَ بِهِ﴾ لِأَنَّ الْحُكْمَ بِالْكَفَّارَةِ دَلِيلٌ عَلَى رُكُوبِ الْإِثْمِ وَالْجَنَائَةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَعِظُوا بِهَذَا الْحُكْمِ حَتَّى لَا يَعُودُوا إِلَى الظَّهَارِ.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الرَّقَبَةَ فَعَلَيْهِ ﴿صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾
 فَإِنْ صَامَ بَعْضَ الشَّهْرَيْنِ ثُمَّ وَجَدَ الرَّقَبَةَ لَا يَلْزَمُهُ الرُّجُوعُ إِلَيْهَا، وَإِنْ رَجَعَ كَانَ
 أَفْضَلَ ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصَّوْمَ لِعِلَّةٍ أَوْ كِبَرٍ فَعَلَيْهِ ﴿إِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ لِكُلِّ
 مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَمُدٌّ ﴿ذَلِكَ﴾ الْبَيَانُ وَالتَّعْلِيمُ لِلْأَحْكَامِ ﴿لِتُؤْمِنُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فِي الْعَمَلِ بِشَرَائِعِهِ ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ الَّتِي لَا يَجُوزُ تَعَدِّيُهَا
 ﴿وَاللَّكَفِيرِينَ﴾ الْمُتَعَدِّينَ حُدُودَ اللَّهِ ﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾.

﴿يُحَادِّثُونَ﴾ يُعَادُّونَ وَيُشَاقُّونَ ﴿كُتِبُوا﴾ أَي: أَذِلُّوا وَأُخْزُوا كَمَا أُخْزِيَ الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ.

﴿يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا
 هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ
 يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ، اللَّهُ
 وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا
 فَيَنْسُوا الْمَصِيرَ (٨) يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
 إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ
 بِضَارٍّ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) ﴿

﴿يَوْمَ﴾ نُصِبَ بـ ﴿مُهِينٍ﴾ أو بـ «لَهُمْ»^(١)، أي: يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ كُلَّهُمْ، لَا يَتْرُكُ مِنْهُمْ أَحَدًا غَيْرَ مَبْعُوثٍ، أو: مجْتَمِعِينَ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يُقَالُ: حَيٌّ جَمِيعٌ. ﴿فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ تَوْبِيخًا لَهُمْ وَتَخْجِيلًا عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ﴿أَخْصَهُ اللَّهُ﴾ عَلَيْهِمْ وَأَثْبَتَهُ فِي كِتَابِ أَعْمَالِهِمْ، ﴿وَنَسُوهُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أَسْتَفْهَامٌ مَعْنَاهُ: التَّقْرِيرُ ﴿مَا يَكُونُ﴾ قُرِئَ بِالتَّاءِ^(٢) والياءِ وهي «كَانَ» التَّامَّةُ، و ﴿مِنْ﴾ مَزِيدَةٌ، وَالنَّجْوَى: التَّنَاجِي، وَهُوَ مُضَافٌ إِلَى ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ أي: مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ نَفَرٍ، أو: مَوْصُوفٍ بـ ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ أي: مِنْ أَهْلِ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ، فَحُذِفَ «أَهْلٌ» وَذَكَرَ عَزَّ أَسْمُهُ «الثَّلَاثَةُ» وَ «الخَمْسَةُ»، وَقَالَ: ﴿وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ﴾ فَدَلَّ عَلَى الْاِثْنَيْنِ وَالْأَرْبَعَةِ، وَقَالَ: ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ فَدَلَّ عَلَى مَا يَلِي هَذَا الْعَدَدَ وَيُقَارِبُهُ. وَقُرِئَ: ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ بِالنَّصْبِ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ «لَا» لِنَفْيِ الْجِنْسِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «وَلَا أَكْثَرَ» مَرْفُوعًا^(٣) مَعْطُوفًا عَلَى مَحَلٍّ ﴿لَا﴾ مَعَ ﴿أَذْنَى﴾ كَمَا يُقَالُ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» بَفَتْحِ الْأَوَّلِ وَرَفْعِ الثَّانِي، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعَيْنِ عَلَى الْاِبْتِدَاءِ، أو: عَطْفًا عَلَى مَحَلٍّ ﴿مِنْ نَجْوَى﴾، وَمَعْنَى كَوْنِهِ ﴿مَعَهُمْ﴾: أَنَّهُمْ يَتَنَاجَوْنَ وَهُوَ يَعْلَمُ نَجْوَاهُمْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، فَكَانَ يُشَاهِدُهُمْ.

و ﴿الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ الْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ، كَانُوا يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَغَامَزُونَ بِأَعْيُنِهِمْ، فَكَانَ ذَلِكَ يُحْزِنُ الْمُؤْمِنِينَ، فَنَهَاَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَعَادُوا لِمِثْلِ فِعْلِهِمْ، وَكَانَ تَنَاجِيَهُمْ بِمَا هُوَ إِثْمٌ وَعُدْوَانٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَتَوَاصَى بِمَعْصِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُخَالَفَتِهِ، وَقُرِئَ: «وَيَسْتَجُونُ»^(٤)

(١) بتقدير: استقرَّ لهم العذاب المهين في ذلك اليوم وهو يوم البعث .

(٢) هي قراءة أبي جعفر المدني. راجع التبيان: ج ٩ ص ٥٤٦ .

(٣) كذا قرأها يعقوب. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٧١٥ .

(٤) قرأه حمزة ورويس. راجع المصدر السابق .

«فَلَا تَتَّجُوا»^(١) من الانتجاع، أفتعال من «التجوى».

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ يَقُولُونَ فِي تَحِيَّتِكَ: «السَّامُ عَلَيْكَ»
وَالسَّامُ: الْمَوْتُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ^(٢): ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾^(٣).
﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: لَوْ كَانَ نَبِيًّا فَهَلَّا ﴿يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ:
﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عَذَابًا ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ وَالْمَالُ.
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِالسِّنْتِهِمْ إِنْ كَانَ الْخِطَابُ لِلْمُنَافِقِينَ، وَإِنْ كَانَ
لِلْمُؤْمِنِينَ فَالْمُرَادُ: ﴿إِذَا تَنْجَيْتُمْ﴾ فَلَا تَتَشَبَّهُوا بِأُولَئِكَ فِي تَنَاجِيهِمْ بِالشَّرِّ
﴿وَتَتَجَوَّأُ بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

وفي الحديث: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَ اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنْ ذَلِكَ
يُخْزَنُهُ»^(٤). وَرُوي: «دُونَ الثَّالِثِ»^(٥).

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ اللَّامُ إِشَارَةٌ إِلَى النَّجْوَى بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ:
﴿لِيُخْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وَالْمَعْنَى: أَنَّ الشَّيْطَانَ يُزَيِّنُهَا لَهُمْ فَكَأَنَّهُا مِنْهُ لِيُغِيْظَ الَّذِينَ
آمَنُوا وَيُخْزَنَهُمْ ﴿وَلَيْسَ﴾ الشَّيْطَانُ أَوْ الْحَزَنُ ﴿بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أَيِ:
بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَهُوَ أَنْ يَقْضِيَ الْمَوْتَ عَلَى أَقَارِبِهِمْ كَمَا كَانُوا يُوهِّمُونَ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ
إِذَا تَنَاجَوْا، وَقرئ: «لِيُخْزَنَ»^(٦) من: أَخْزَنَهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا

(١) هي قراءة رويس وحده. راجع المصدر نفسه.

(٢) في نسخة بدل «والله تعالى يقول»: «وتحيّة الله تعالى».

(٣) النمل: ٥٩.

(٤) رواه مسلم في الصحيح: ج ٤ ص ١٧١٨ ح ٢١٨٤ وما بعده عن ابن مسعود.

(٥) وهو ما رواه البخاري في الصحيح: ج ٨ ص ١١٧ ح ٦٢٩٠ من طريقه الى ابن مسعود،

وفي ح ٦٢٨٨ بلفظ «إذا كانوا» عن ابن عمر.

(٦) وهي قراءة نافع على ما في تفسير السمرقندي: ج ٣ ص ٣٣٦.

يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) يَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِذَا نَجِيتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ
لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا
بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ (١٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ
وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تَغْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) ﴿

﴿ تَفْسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ ﴾ تَوَسَّعُوا فِيهِ، وَلِيَفْسَحَ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ:
افْسَحْ عَنِّي أَي: تَنَحَّ، وَلَا تَتَضَامُوا. وَهُوَ مَجْلِسُ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا يَتَضَامُونَ فِيهِ
حِرْصًا عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُ لِيَسْتَمِعُوا مِنْهُ كَلَامَهُ، وَقُرِئَ: ﴿ فِي الْمَجَالِسِ ﴾ عَلَى
الْجَمْعِ ^(١) وَقِيلَ: هُوَ الْمَجْلِسُ مِنْ مَجَالِسِ الْقِتَالِ، وَهِيَ مَرَاكِزُ الْغَزَاةِ كَقَوْلِهِ: ﴿ مَقْعِدَ
لِلْقِتَالِ ﴾ ^(٢) وَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي الصَّفَّ فَيَقُولُ: تَفْسَحُوا فَيَأْبُونَ لِحِرْصِهِمْ عَلَى
الشَّهَادَةِ ^(٣) وَقَوْلُهُ: ﴿ يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ مُطْلَقٌ فِي كُلِّ مَا يَطْلُبُ الْفُسْحَةَ فِيهِ مِنْ
الرِّزْقِ وَالْمَكَانِ وَالْقَبْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا ﴾ انْهَضُوا عَنْ مَجْلِسِ

(١) الظاهر أن المصنف رحمه الله قد اعتمد هنا - تبعاً للكشاف - على قراءة المفرد، وهي قراءة الجمهور إلا عاصماً. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٢٨.

(٢) آل عمران: ١٢١.

(٣) قاله الحسن البصري في تفسيره: ج ٢ ص ٣٤٠.

النَّبِيِّ ﷺ أَوْ: انْهَضُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَالْجِهَادِ وَأَعْمَالِ الْبِرِّ ﴿فَانْشُرُوا﴾ قُرِئَ بِضَمِّ الشَّيْنِ وَكَسْرِهَا ^(١) ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ﴾ الْمُؤْمِنِينَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَأَوَامِرِ رَسُولِهِ وَالْعَالَمِينَ مِنْهُمْ خَاصَّةً ﴿دَرَجَاتٍ﴾ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ افْهَمُوا هَذِهِ الْآيَةَ، وَلْتَرْغَبْكُمْ فِي الْعِلْمِ ^(٢).

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «بَيْنَ الْعَالِمِ وَالْعَابِدِ مِائَةُ دَرَجَةٍ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ حَضْرُ الْجَوَادِ الْمُضْمَرِ سَبْعِينَ سَنَةً» ^(٣).

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ» ^(٤).

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ» ^(٥) فَأَعْظَمُ بَمَرْتَبَةٍ هِيَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالشَّهَادَةِ بِشَهَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ: الْعِلْمُ ذَكَرٌ فَلَا يُحِبُّهُ إِلَّا الذُّكُورَةُ مِنَ الرِّجَالِ ^(٦).

وَرُوي: أَنَّ النَّاسَ أَكْثَرُوا مُنَاجَاةَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى أَمَلُّوهُ، فَأَمَرُوا بِالصَّدَقَةِ قَبْلَ الْمُنَاجَاةِ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ انْتَهَوْا عَنْ مُنَاجَاةِهِ، فَلَمْ يُنَاجِهِ إِلَّا عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدَّمَ دِينَاراً فَتَصَدَّقَ بِهِ، ثُمَّ نَزَلَتْ آيَةُ الرُّخْصَةِ ^(٧).

(١) وبالكسر قرأه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٢٩.

(٢) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٣٠٩ - ٣١٠.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ج ١ ص ٢٧.

(٤) أخرجه الترمذي في السنن: ج ٥ ص ٤٨ - ٤٩ ضمن ح ٢٦٨٢ عن أبي الدرداء.

(٥) أخرجه ابن ماجه في السنن: ج ٢ ص ١٤٤٣ ح ٤٣١٣ عن عثمان بن عفان.

(٦) حكاه عنه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ج ١ ص ٢٥.

(٧) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٢١ قريباً منه، من طرق عن علي عليه السلام وابن عباس ومجاهد.

وَعَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَآيَةً مَا عَمَلَ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي، كَانَ لِي دِينَارٌ فَصَرَفْتُهُ، فَكُنْتُ إِذَا نَاجَيْتُهُ تَصَدَّقْتُ بِدِرْهِمٍ^(١). قَالَ الْكَلْبِيُّ: تَصَدَّقَ فِي عَشْرِ كَلِمَاتٍ سَأَلَهُنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ^(٢).

وعن ابنِ عمرَ: كَانَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثُ لَوْ كَانَتْ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جُمْرِ النَّعَمِ: تَزْوِيجُهُ فَاطِمَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِعْطَاؤُهُ الرَّايَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَآيَةُ النَّجْوَى^(٣).

﴿ذَلِكَ﴾ التَّقْدِيمُ ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فِي دِينِكُمْ ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لِأَنَّ الصَّدَقَةَ تَطْهِيْرُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِالْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا^(٤). ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أَخَفْتُمْ تَقْدِيمَ الصَّدَقَاتِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِتْفَاقِ الَّذِي يَعِدُّكُمْ الشَّيْطَانُ بِهِ الْفَقْرَ وَالْعِيْلَةَ، ﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا﴾ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ تَقْصِيرُكُمْ وَتَفْرِيطُكُمْ فِيهِ ﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فَلَا تَفَرِّطُوا فِي الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قُرِئَ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ^(٥).

كَانُوا يَتَوَلَّوْنَ الْيَهُودَ وَهُمْ ﴿الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾^(٦) وَيُنَاصِحُونَهُمْ ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ يَا مُسْلِمُونَ ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ وَلَا مِنَ الْيَهُودِ كَقَوْلِهِ: ﴿مُذَبْذَبَيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾^(٧)، ﴿وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ أَي: يَقُولُونَ:

(١) أخرجه في المستدرک علی الصحیحین: ج ٢ ص ٤٨٢، وفي أرجح المطالب: ص ٨٠، والطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٢٠.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٩٤.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في التذكرة: ص ٢١، وفي مرآة المؤمنين: ص ٦١، وفي منال الطالب: ص ١٢٤ مخطوط.

(٤) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٤٩٤، وفي تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٢١ عن عكرمة مولى ابن عباس والحسن البصري أنهما قالَا ذلك.

(٥) أي في الآية: ١١ و ١٣. وبالياء هي قراءة أبي عمرو برواية عباس عنه. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٥٤. (٦) المائدة: ٦٠.

(٧) النساء: ١٤٣.

وَاللَّهُ إِنَّا مُسْلِمُونَ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ الْمَخْلُوفَ عَلَيْهِ كَذِبٌ. ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾
الَّتِي حَلَفُوا بِهَا ﴿جُنَّةً﴾ أَي: سِتْرَةً يَدْفَعُونَ بِهَا عَنْ نَفْسِهِم الظَّنَّ إِذَا ظَهَرَتْ مِنْهُمْ.
﴿يَوْمَ يَنْعُثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٨) اسْتَحَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
فَأَنَسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أَوْلَيْكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ
الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَيْكَ فِي
الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لَا تَجِدُ
قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلَيْكَ كَتَبَ فِي
قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ
أَلَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴿

أَي: ﴿فَيَحْلِفُونَ﴾ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا ﴿كَمَا
يَحْلِفُونَ﴾ الْيَوْمَ ﴿لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ مِنَ النَّفْعِ. وَعَنِ الْحَسَنِ: فِي
الْقِيَامَةِ مَوَاطِنُ: فَمَوَاطِنُ يَعْرِفُونَ فِيهِ قُبْحَ الْكَذِبِ ضَرُورَةً فَيَتَرَكُونَهُ، وَمَوَاطِنُ
يَكُونُونَ فِيهِ كَالْمَذْهُوشِينَ فَيَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامِ الصَّبِيَّانِ: الْكَذِبِ وَغَيْرِ الْكَذِبِ ^(١).

﴿اسْتَحَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ، مِنْ: حَاذَ الْحِمَارِ الْعَانَةَ ^(٢): إِذَا
جَمَعَهَا وَسَاقَهَا غَالِبًا عَلَيْهَا، وَهُوَ أَحَدُ مَا جَاءَ عَلَى الْأَصْلِ، وَمِثْلُهُ: اسْتَضَوَّبَ
وَأَسْتَنَوَقَ، أَي: مَلَكَهُمُ الشَّيْطَانُ حَتَّى جَعَلَهُمْ رَعِيَّتَهُ ﴿فَأَنَسَهُمْ﴾ أَنْ يَذْكُرُوا ﴿اللَّهِ﴾

(١) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٥٥٤.

(٢) العانة: القطيع من حُمُرِ الوحش، والجمع: عُونٌ. (الصاحح: مادة عون).

أَصْلًا لَا يَقْلُوبِهِمْ وَلَا بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ أَي: جُنْدُهُ. ﴿فِي
 الْأَذْلَيْنِ﴾ أَي: فِي جُمْلَةٍ مِّنْ هُوَ أَذَلُّ خَلْقِ اللَّهِ.
 ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ ﴿لَا غَلْبَنَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بِالْحُجَجِ وَالسَّيْفِ أَوْ
 بِأَحَدِهِمَا. ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ هُوَ مِنْ بَابِ التَّخْيِيلِ، خِيَلٌ أَنَّ مِّنَ الْمُتَمَنِّعِ الْمُحَالِ أَنْ
 تَجِدَ قَوْمًا مُّؤْمِنِينَ يُوَالُونَ مَنْ خَالَفَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْغَرَضُ بِهِ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ
 يَكُونَ ذَلِكَ، وَحَقُّهُ أَنْ يَمْتَنِعَ وَلَا يُوجَدَ بِحَالٍ مُّبَالِغَةٍ فِي النَّهْيِ عَنْهُ، ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:
 ﴿وَلَوْ كَانُوا إِبَاءَهُمْ﴾ وَزَادَهُ تَأْكِيدًا بِقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾
 وَقَابَلَ قَوْلَهُ: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ فَلَا شَيْءَ أَذْخَلَ
 فِي الْإِخْلَاصِ مِنْ مُّوَالَاةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَمُعَادَاةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ، بَلْ هُوَ الْإِخْلَاصُ بِعَيْنِهِ،
 وَمَعْنَى ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾: أَثْبَتَهُ فِيهَا بِمَا وَفَّقَهُمْ فِيهِ، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لَهُ
 ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ بِلُطْفٍ مِّنْ عِنْدِهِ حَيَّيْتُ بِهِ قُلُوبَهُمْ، وَقِيلَ: بِرُوحٍ مِنَ الْإِيمَانِ
 لِأَنَّ الْقُلُوبَ تَحْيَا بِهِ ^(١).



(١) قاله السدّي. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٣١٣.

سُورَةُ الْحَشْرِ

مَدَنِيَّةٌ ^(١) وَهِيَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً.

وفي حديث أبي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَشْرِ لَمْ يَبْقَ جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ وَلَا عَرْشٌ وَلَا كُرْسِيُّ وَلَا السَّمَوَاتُ وَلَا الْأَرْضُونَ إِلَّا صَلُّوا عَلَيْهِ وَأَسْتَغْفَرُوا لَهُ» ^(٢).
وعن الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ إِذَا أَمْسَى الرَّحْمَنُ وَالْحَشْرَ وَكَلَّ اللَّهُ بِدَارِهِ مَلَكًا شَاهِرًا سَيْفُهُ حَتَّى يُصْبِحَ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)
هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ
مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٥٥٨: مدنيّة بلاخلاف، وهي أربع وعشرون آية بلاخلاف.

وفي الكشاف: ج ٤ ص ٤٩٨: مدنيّة، وهي أربع وعشرون آية، نزلت بعد البيّنة.

(٢) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٥ وفيه بعد «ولا كرسي»: «ولا الحجب والسّموات السبع والأرضون السبع والهواء والريح والطير والشجر والجبّال والشمس والقمر والملائكة»، وزاد في آخره: «وإن مات في يومه أو ليلته مات شهيداً».

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ
وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ
عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤)
مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ
الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ
وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (٦) ﴿

نَزَلَتْ فِي إِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ، فَجَلَّوْا إِلَى الشَّامِ إِلَى أَرِيحَاءَ وَأَذْرِعَاتٍ
إِلَّا آلَ حَيٍّ بْنِ أَخْطَبٍ وَآلَ أَبِي الْحَقِيقِ فَإِنَّهُمْ لَحِقُوا بِخَيْبَرَ، وَذَلِكَ أَنََّّهُمْ صَالَحُوا
النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَنْ لَا يَكُونُوا عَلَيْهِ وَلَا لَهُ، ثُمَّ تَقَضُّوا الْعَهْدَ، وَخَرَجَ كَعْبُ بْنُ
الْأَشْرَفِ فِي أَرْبَعِينَ رَاكِبًا إِلَى مَكَّةَ وَحَالَفُوا عَلَيْهِ قُرَيْشًا عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَأَمَرَ ﷺ
مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ الْأَنْصَارِيِّ فَقَتَلَ كَعْبًا ذَاتَ لَيْلَةٍ غِيلَةً - وَكَانَ أَخَاهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ -
ثُمَّ صَبَّحَهُمْ بِالْكَتَائِبِ وَحَاصَرَهُمْ حَتَّى أَعْطَوْهُ مَا أَرَادَ مِنْهُمْ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ
يَحْقِنَ دِمَاءَهُمْ، وَأَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، وَجَعَلَ لِكُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرًا
وَسِقَاءً^(١).

وَاللَّامُ فِي ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ يَتَعَلَّقُ بِـ ﴿أَخْرَجَ﴾ وَهِيَ اللَّامُ فِي قَوْلِكَ: جِئْتُ
لَوْقَتِ كَذَا. وَالْمَعْنَى: أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا عِنْدَ أَوَّلِ الْحَشْرِ، وَمَعْنَى «أَوَّلِ الْحَشْرِ»: أَنَّ
هَذَا أَوَّلُ حَشْرِهِمْ إِلَى الشَّامِ وَكَانُوا مِنْ سَبْطٍ لَمْ يُصِيبْهُمْ جَلَاءٌ قَطُّ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ

(١) السَّقَاءُ: ظَرْفُ الْمَاءِ مِنَ الْجِلْدِ، وَقِيلَ: هُوَ الْقُرْبَةُ لِلْمَاءِ وَاللِّبْنِ (لِسَانُ الْعَرَبِ).

أُخْرِجَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ إِلَى الشَّامِ، أَوْ: هَذَا أَوَّلُ حَشْرِهِمْ، وَآخِرُ حَشْرِهِمْ حَشْرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ الْمَحْشَرَ يَكُونُ بِالشَّامِ. ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ لِشِدَّةِ بَأْسِهِمْ، وَوَثَاقَةِ حُصُونِهِمْ، وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَعُدَّتِهِمْ، ﴿وَضَنُّوْا﴾ أَنْ حُصُونَهُمْ تَمْنَعُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ ﴿فَاتَّهَمُوا﴾ أَمْرُ ﴿اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَظُنُّوا وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِمْ، وَهُوَ قَتْلُ رَئِيسِهِمْ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَذَلِكَ مِمَّا أَضْعَفَ قُلُوبَهُمْ وَسَلَبَهَا الْأَمْنَ وَالطَّمَأْنِينَةَ ﴿وَقَذَفَ﴾ فِيهَا ﴿الرُّعْبَ﴾ وَهُوَ الْخَوْفُ الَّذِي يُزْعِبُ الصَّدْرَ أَي: يَمْلَأُهُ وَقُرِئَ: ﴿يُخْرِبُونَ﴾ وَ «يُخَرَّبُونَ» ^(١) مِنَ الْإِفْعَالِ وَالتَّفْعِيلِ، أَي: يَهْدِمُونَ بِيَوْتَهُمْ مِنْ دَاخِلٍ وَيَخْرِبُونَ مَا يَسْتَخْسِنُونَهُ مِنْهَا حَتَّى لَا يَكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَيَخْرِبُهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ خَارِجٍ، وَلَمَّا عَرَّضُوا الْمُسْلِمِينَ لِلتَّخْرِيبِ وَكَانُوا السَّبَبَ فِيهِ، فَكَانَتْهُمْ أَمْرُوهُمْ بِذَلِكَ وَكَلَّفُوهُمْ إِيَّاهُ، ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾ يَا أَهْلَ الْبَصَائِرِ بِمَا دَبَّرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مِنْ أَمْرِ إِخْرَاجِهِمْ، وَتَسْلِيطِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ.

﴿وَلَوْلَا﴾ أَنَّهُ ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْآلَاءَ﴾ وَأَقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ كَمَا فَعَلَ بِإِخْوَانِهِمْ بَنِي قُرَيْظَةَ ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ سِوَاءِ أَجَلُوا أَوْ قُتِلُوا.

وَاللَّيْنَةُ: النَّخْلَةُ، وَيَاوُهَا وَآوُ لَا تَهَا مِنْ: «اللَّوْنِ»، وَقِيلَ: هِيَ النَّخْلَةُ الْكَرِيمَةُ ^(٢)، مِنْ: «اللَّيْنِ»، وَ «مِنْ لَيْنَةٍ» بَيَانٌ لـ ﴿مَا قَطَعْتُمْ﴾ وَمَحَلٌّ ﴿مَا﴾ نَضَبٌ بـ ﴿قَطَعْتُمْ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ: أَيُّ شَيْءٍ قَطَعْتُمْ؟ وَأَنْتَ الضَّمِيرُ الرَّاجِعُ إِلَى مَا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى «اللَّيْنَةِ»، ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فَقَطَعُهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ، ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ وَلِيُذِلَّ الْيَهُودَ وَلِيُغِيظَهُمْ فِي قَطْعِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ أَنْ

(١) وهي قراءة أبي عمرو وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٣٢.

(٢) قاله سفيان. راجع التبيان: ج ٩ ص ٥٦١.

يُقْطَعُ نَخْلُهُمْ وَتُحْرَقُ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّد، قَدْ كُنْتَ تَنْهَى عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، فَمَا بَالُ قَطْعِ النَّخْلِ وَتَحْرِيقِهَا؟ فَكَانَ فِي أَنْفُسِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَنَزَلَتْ (١).
يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَذِنَ فِي قَطْعِهَا لِيَزِيدَكُمْ غَيْظًا إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ يَتَحَكَّمُونَ فِي
أَمْوَالِكُمْ كَيْفَ شَاءُوا وَأَحْبَبُوا. وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: قَطَعُوا مِنْهَا مَا كَانَ مَوْضِعًا
لِلْقِتَالِ (٢).

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ أَي: جَعَلَهُ فَيْثًا لَهُ خَاصَّةً، وَالْإِيْجَافُ: مَنْ
الْوَجِيفُ وَهُوَ السَّيْرُ السَّرِيعُ، وَالْمَعْنَى: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ عَلَى تَحْصِيلِهِ وَتَغْنِيمِهِ خَيْلًا
وَلَا رِكَابًا وَإِنَّمَا مَشَيْتُمْ إِلَيْهِ عَلَى أَرْجُلِكُمْ فَلَمْ تُحْصَلُوا أَمْوَالَهُمْ بِالْقِتَالِ وَالْغَلْبَةِ
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ﴾ رَسُولَهُ عَلَيْهِمْ، وَخَوَّلَهُ أَمْوَالَهُمْ كَمَا كَانَ يُسَلِّطُ ﴿رُسُلَهُ عَلَى﴾
أَعْدَائِهِمْ، فَالْأَمْرُ فِيهِ إِلَيْهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ وَالرَّكَابُ: الْإِبِلُ الَّتِي تَحْمِلُ الْقَوْمَ،
وَاحِدَتُهَا: رَاحِلَةٌ.

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي
الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كُنْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ
الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيْمَانَ مِنْ
قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا
وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ

(١) أسباب النزول للواحدي: ص ٣٥٤ ح ٨٥٦.

(٢) حكاها عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٠١.

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)

﴿مِنَ أَهْلِ الْقُرَى﴾ مِنْ أَمْوَالِ كُفَّارِ أَهْلِ الْقُرَى ﴿فَلِلَّهِ﴾ يَأْمُرُكُمْ فِيهِ بِمَا أَحَبَّ ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ بِتَمْلِكِ اللَّهِ إِيَّاهُ ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَرَابَتِهِ وَهُمْ بَنُو هَاشِمٍ ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ مِنْهُمْ، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هِيَ قُرْبَاؤُنَا وَمَسَاكِينُنَا وَأَبْنَاءُ سَبِيلِنَا»^(١). ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ قُرَى بِالنَّصَبِ وَالرَّفْعِ^(٢)، فَالنَّصَبُ عَلَى مَعْنَى: كَيْلَا يَكُونَ الْفِيءُ جَدًّا بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ يَتَكَاثَرُونَ بِهِ، أَوْ: كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً جَاهِلِيَّةً بَيْنَهُمْ يَسْتَأْثِرُ بِهِ الرُّؤَسَاءُ وَأَهْلُ الدُّوَلَةِ وَالْغَلَبَةِ وَأُنْشِدَ فِي ذَلِكَ:

لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ^(٣)

وقيل: الدُّوَلَةُ أَسْمُ مَا يُتَدَاوَلُ^(٤) كَالْغُرْفَةِ أَسْمُ مَا يُغْتَرَفُ، أَي: كَيْ لَا يَكُونَ الْفِيءُ شَيْئاً يَتَدَاوَلُهُ الْأَغْنِيَاءُ بَيْنَهُمْ وَيَتَعَاوَرُونَهُ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «اتَّخَذُوا عِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً وَمَالَ اللَّهِ دُولاً»^(٥)، أَي: غَلَبَةً، مَنْ غَلَبَ مِنْهُمْ سَلَبَهُ. وَالرَّفْعُ عَلَى «كَانَ»

(١) رواه العياشي في تفسيره: ج ٢ ص ٦٣ ح ٦٣ وذكر لفظ: «ليتامانا» بدل «قرباؤنا».

(٢) أي برفع «دولة» و «تكون» بالتاء، وهي قراءة هشام وحده. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٧١٧.

(٣) المِرْبَاعُ: ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة، والصفايا: ما يصطفيه الرئيس لنفسه، والنشيطه: ما أصاب من الغنيمة قبل أن يصير إلى مجتمع الحي، والفضول: ما عُجِزَ أَنْ يُقَسَّم لِقَلَّتْهُ وَخَصَّ بِهِ. والبيت لعبد الله بن عثمة الضبيي. راجع لسان العرب: مادة (ربع).

(٤) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ١٤٦.

(٥) والحديث بتمامه: بالاسناد عن أبي ذر الغفاري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دُولاً وعباد الله خولاً ودين الله دغلاً، فَأَنْكِرَ ←

التَّامَّةُ، أَي: كَي لَا يَقَعَ دَوْلَةُ جَاهِلِيَّةٌ، أَوْ: كَي لَا يَكُونَ شَيْءٌ يَتَدَاوَلُهُ الْأَغْنِيَاءُ بَيْنَهُمْ. ﴿وَمَاءَ اتَّكُمُ الرَّسُولُ﴾ مِنْ قِسْمَةِ غَنِيمَةٍ أَوْ فِيءٍ ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ﴾ مِنْ أَخْذِهِ مِنْهَا ﴿فَانْتَهُوا﴾ عَنْهُ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَنْ تُخَالِفُوهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَنْ خَالَفَ رَسُولَهُ.

والأوَّلَى أَنْ يَكُونَ عَامًّا فِي كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَهَى عَنْهُ، وَلِهَذَا قَسَمَ ﷺ أَمْوَالَ خَيْبَرَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ فِي رِقَابِهِمْ، وَأَجَلَى بَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي قَيْنُقَاعَ وَأَعْطَاهُمْ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ، وَقَتَلَ رَجَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ، وَقَسَمَ أَمْوَالَهُمْ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ خَاصَّةً، وَمَنْ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَأُطْلِقَهُمْ.

وَعَنِ الصَّادِقِ: مَا أُعْطِيَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مُحَمَّدًا ﷺ مِثْلَهُ، قَالَ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَمْنٌ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَاءَ اتَّكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الْآيَةُ (١).

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لِذِي الْقُرْبَى﴾، وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فِي إِيْمَانِهِمْ وَجِهَادِهِمْ. ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿الْمُهَاجِرِينَ﴾ وَهُمْ الْأَنْصَارُ، وَمَعْنَاهُ: ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أَي: الْمَدِينَةَ، وَأَخْلَصُوا ﴿الْإِيْمَانَ﴾ كَقَوْلِهِ: «عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا». أَوْ: وَجَعَلُوا الْإِيْمَانَ مُسْتَقَرًّا وَمُتَوَطَّنًا لَهُمْ لِتَمَكُّنِهِمْ فِيهِ وَأَسْتِقَامَتِهِمْ عَلَيْهِ كَمَا جَعَلُوا الْمَدِينَةَ كَذَلِكَ، أَوْ: أَرَادَ دَارَ الْهَجْرَةِ وَدَارَ الْإِيْمَانِ فَأَقَامَ لَامَ التَّعْرِيفِ فِي ﴿الدَّارِ﴾ مَقَامَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَحَذَفَ الْمُضَافَ

→ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَشَهِدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا أَظَلَّتْ الْخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْغُبَرَاءُ عَلَى ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَه. أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ: ج ٤ ص ٤٨٠. وَمِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عَنْهُ يُقَالُ: إِذَا بَلَغَتْ بَنُو أُمِيَّةٍ أَرْبَعِينَ اتَّخَذُوا... الخ.

(١) بصائر الدرجات: ص ٣٨٢. والآية (٣٩) مِنْ سُورَةِ ص.

مِنْ «دَارِ الْإِيمَانِ» وَوَضَعَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مِنْ قَبْلِ الْمُهَاجِرِينَ لَا تَهْمُ سَبْقُهُمْ فِي تَبَوُّءِ دَارِ الْهِجْرَةِ وَالْإِيمَانِ ﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾ وَلَا يَعْلَمُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ أَي: طَلَبَ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ مِمَّا أُوتِيَ الْمُهَاجِرُونَ مِنَ الْفَيْءِ وَغَيْرِهِ، وَالْمُحْتَاجُ إِلَيْهِ قَدْ يُسَمَّى حَاجَةً. يُقَالُ: خُذْ مِنْهُ حَاجَتَكَ، وَ: أَعْطَاهُ مِنْ مَالِهِ حَاجَتَهُ، يَعْنِي: أَنَّ نَفْسَهُمْ لَمْ تَطْمَحْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا أُعْطُوا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أَي: خِلَّةٌ، مِنْ: خَصَاصُ الْبَيْتِ وَهِيَ فُرُوجُهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَسَمَ أَمْوَالَ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا ثَلَاثَةً نَفَرٍ كَانَتْ بِهِمْ حَاجَةٌ، وَهُمْ: أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ، وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصُّمَّةِ، وَقَالَ لِلْأَنْصَارِ: إِنْ شِئْتُمْ قَسَمْتُ لِّلْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَدِيَارِكُمْ وَشَارَكْتُوهُمْ فِي هَذِهِ الْغَنِيمَةِ، وَإِنْ شِئْتُمْ كَانَتْ لَكُمْ دِيَارُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَلَمْ يُقَسِّمْ لَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: بَلْ نُقَسِّمُ لَهُمْ مِنْ دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا وَنُؤْثِرُهُمْ بِالْقِسْمَةِ وَلَا نُشَارِكُهُمْ فِيهَا، فَتَزَلَّتْ^(١). وَالشُّحُّ: اللُّؤْمُ، وَأَنْ تَكُونَ نَفْسُ الْمَرْءِ حَرِيصَةً عَلَى الْمَنْعِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

يُمَارِسُ نَفْساً بَيْنَ جَنْبَيْهِ كَرْزَةً إِذَا هَمَّ بِالْمَعْرُوفِ قَالَتْ لَهُ مَهْلًا^(٢)
وَقَدْ أَضِيفَ إِلَى «النَّفْسِ» لِأَنَّهُ غَرِيزَةٌ فِيهَا، وَأَمَّا الْبُخْلُ فَهُوَ مَنَعُ نَفْسِهِ، وَالْمَعْنَى:
وَمَنْ غَلَبَ مَا أَمَرَتْهُ بِهِ نَفْسُهُ وَخَالَفَ هَوَاهَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّافِرُونَ بِمَا أَرَادُوا. وَقِيلَ: ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا﴾ مَبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهُ ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ
إِلَيْهِمْ﴾ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَمْ يُقَسِّمْ لَهُمْ فِي بَنِي النَّضِيرِ إِلَّا لِلثَّلَاثَةِ^(٣).

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول: ص ٣٥٦ ح ٨٦٠ عن يزيد بن الأصم.

(٢) لم نعثر على قائله. والبيت يصف رجلاً بالبخل، وكثرة: أي شحيحة منقبضة عن فعل الخير.

(٣) ذكره النحاس في إعراب القرآن: ج ٤ ص ٣٩٦.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدُ، وَقِيلَ: التَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ ^(١) ﴿غِلَافًا﴾ أَي: حِقْدًا وَعَدَاوَةً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأُذُنُ ثُمَّ لَا يُنْصِرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)﴾

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ الْمَنَافِقِينَ ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ﴾ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ أَخُوَّةُ الْكُفْرِ، وَهُمْ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ، كَانُوا يَوَالُونَهُمْ فِي السَّرِّ ﴿وَلَا نُطِيعُ﴾ فِي قِتَالِكُمْ ﴿أَحَدًا﴾ يَعْنُونَ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ. وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى صَحَّةِ النَّبَوَّةِ لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ بِالْغَيْبِ، وَعَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ كَمَا يَعْلَمُ مَا يَكُونُ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مَا لَا يَكُونُ أَنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، وَالتَّقْدِيرُ: وَلَئِنْ نَصَرَهُمُ الْمَنَافِقُونَ عَلَى الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ لَيَنْهَزَنَّ الْمَنَافِقُونَ ﴿ثُمَّ لَا يُنْصِرُونَ﴾ بَعْدَ ذَلِكَ، أَي: يُهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْفَعُهُمْ نِفَاقُهُمْ لِظُهُورِ كُفْرِهِمْ.

﴿رَهْبَةً﴾ مَصْدَرُ «رَهَبَ» الْمَبْنِي لِلْمَفْعُولِ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَشَدُّ مَرْهُوبِيَّةً. وَفِي قَوْلِهِ:
﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ دَلَالَةٌ عَلَى نَفَاقِهِمْ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ لَكُمْ فِي الْعَلَانِيَةِ خَوْفَ
اللَّهِ وَأَنْتُمْ أَهْيَبُ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ أَي: لَا يَعْلَمُونَ اللَّهَ حَتَّى
يَخْشَوْهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ.

﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ﴾ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَقَاتِلَتِكُمْ ﴿جَمِيعاً﴾ مُجْتَمِعِينَ يَعْنِي: الْيَهُودَ
وَالْمُنَافِقِينَ ﴿إِلَّا﴾ كَاتِبِينَ ﴿فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾ بِالْخَنَادِقِ وَالْدُّرُوبِ ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ
جُدُرٍ﴾ دُونَ أَنْ يَصْحَرُوا لَكُمْ وَيُبَارِزُوكُمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ أَسْمُهُ قَذَفَ الرُّعْبَ فِي
قُلُوبِهِمْ، وَقُرَى: «جُدَارٍ» ^(١) ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أَي: قُوَّتُهُمْ وَشَوْكَتُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ
شَدِيدَةٌ، فَإِذَا لَاقُوكُمْ جَبُّوا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ بَأْسٌ وَشِدَّةٌ، لِأَنَّ الشُّجَاعَ يَجْبُنُ عِنْدَ
مُحَارَبَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿تَخَسَّبُ لَهُمْ جَمِيعاً﴾ مُجْتَمِعِينَ ذَوِي أَلْفَةٍ وَاتِّحَادٍ فِي الظَّاهِرِ
﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ مُتَفَرِّقَةٌ مُخْتَلِفَةٌ لَا أَلْفَةَ فِيهَا ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ مَا فِيهِ الرُّشْدُ.

﴿كَمَثَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أَي: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ قُتِلُوا بِدَرٍ فِي زَمَانٍ قَرِيبٍ،
وَذَلِكَ قَبْلَ إِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَأَنْتَصَبَ ﴿قَرِيباً﴾ بـ ﴿مَثَلٍ﴾ عَلَى مَعْنَى:
كَوْجُودِ مَثَلِ أَهْلِ بَدْرٍ قَرِيباً، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بَنُو قَيْنِقَاعَ ^(٢)،
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَدْرٍ فَأَمَرَهُمْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجُوا،
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي: لَا تَخْرُجُوا فَإِنِّي أَدْخَلُ مَعَكُمْ الْحِصْنَ فَكَانَ هَؤُلَاءِ فِي تَرْكِ
نُصْرَتِهِمْ كَأُولَئِكَ ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾ سُوءَ عَاقِبَةِ كُفْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

مَثَلُ الْمُنَافِقِينَ فِي إِغْرَائِهِمُ الْيَهُودَ عَلَى الْقِتَالِ وَوَعْدِهِمْ إِيَّاهُمْ النَّصْرَ ثُمَّ

(١) قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٣٢.

(٢) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٥٦٩.

إِخْلَافِهِمْ ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾ إِذَا ^(١) أَسْتَغْوَى الْإِنْسَانَ بِكَيْدِهِ ثُمَّ تَبَرَّأَ مِنْهُ فِي الْعَاقِبَةِ،
كَمَا أَسْتَغْوَى قُرَيْشًا يَوْمَ بَذَرِ بَقُولِهِ لَهُمْ: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارُ
لَكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾ ^(٢). ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا﴾ حَالٌ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ
فَأَنسَاهُمْ أَنفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ
وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا
الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصِدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ
نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ
اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴿
نَكَرَ سُبْحَانَهُ «النَّفْس» لَاسْتِقْلَالِ الْإِنْفُسِ النَّاطِرَةِ فِيمَا تُقَدِّمُهُ لِلْآخِرَةِ، فَكَانَهُ
قَالَ: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ﴾ وَاحِدَةً فِي ذَلِكَ. وَنَكَرَ «الْغَدَ» لِتَعْظِيمِ أَمْرِهِ، أَي: لِغَدٍ لَا يُعْرَفُ
كُنْهُهُ لِعَظَمِهِ، وَالْمُرَادُ بِالْغَدِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَعَنِ الْحَسَنِ: لَمْ يَزَلْ يُقَرِّبُهُ حَتَّى جَعَلَهُ
كَالْغَدِ ^(٣). نَحْوُهُ فِي تَقْرِيبِ الزَّمَانِ الْمَاضِي قَوْلُهُ: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأُمْسِ﴾ ^(٤).

(١) كذا في النسخ وفي الكشف أيضاً، ولعله «إذ» لمطابقة الآية الكريمة .

(٢) الأنفال: ٤٨ .

(٣) حكاها عنه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٥٠٨ .

(٤) يونس: ٢٤ .

وَكَرَّرَ قَوْلَهُ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ لَأَنَّ الْأَوَّلَ فِي أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ لَأَنَّهُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ، وَالثَّانِي فِي تَرْكِ الْمُقَبَّحَاتِ لَأَنَّهُ مَقْرُونٌ بِالْوَعِيدِ.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ نَسُوا حَقَّهُ فَجَعَلَهُمْ نَاسِينَ حَقَّ أَنْفُسِهِمْ بِالْخُذْلَانِ، حَتَّى لَا يَسْعَوْا لَهَا بِمَا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَهُ، أَوْ: فَأَرَاهُمْ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَنَسُوا فِيهِ أَنْفُسَهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَا يَزِيدُ إِلَّا فِيهِمْ طَرْفُهُمْ﴾^(١).

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ تَنْبِيهُ لِلنَّاسِ وَإِذْ بَانَ بَانُهُمْ لِفَرْطِ غَفْلَتِهِمْ وَإِثَارِهِمُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْبَوْنُ بَيْنَ أَصْحَابَيْهِمَا، فَمِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يُنَبِّهُوا عَلَى ذَلِكَ، كَمَا تَقُولُ لِمَنْ يَعْقُ أَبَاهُ: هُوَ أَبُوكَ، تَجْعَلُهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ فَتُنَبِّهُهُ بِذَلِكَ عَلَى حَقِّ الْأَبُوَّةِ الَّذِي يَقْتَضِي الْبِرَّ وَالتَّعَطُّفَ.

التَّصَدُّعُ: التَّفَرُّقُ بَعْدَ التَّلَاوُمِ، وَهَذَا تَمْثِيلٌ وَتَخْيِيلٌ كَمَا مَرَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾^(٢)، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾، وَالْعَرَضُ: تَوْبِيخُ الْإِنْسَانِ عَلَى قِلَّةِ تَدَبُّرِهِ لِلْقُرْآنِ، وَتَعَقُّلِهِ لِزَوَاجِرِهِ وَمَوَاعِظِهِ.

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ عَالِمُ الْمَعْدُومِ وَالْمَوْجُودِ، وَقِيلَ: مَا غَابَ عَنِ الْخَلْقِ وَمَا شَاهَدُوهُ^(٣)، أَوْ: السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ^(٤)، وَعَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا لَمْ يَكُنْ وَمَا كَانَ^(٥) ﴿الْقُدُّوسُ﴾ الْمُنَزَّهُ عَنِ الْقَبَائِحِ، الطَّاهِرُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، وَنَظِيرُهُ: «السُّبُّوحُ»، ﴿السَّلَامُ﴾ بِمَعْنَى السَّلَامَةِ، وَصِفَ سُبْحَانُهُ بِهِ مُبَالَغَةً فِي وَصْفِ كَوْنِهِ سَلِيمًا مِنَ النَّقَائِصِ، أَوْ: فِي إِعْطَائِهِ السَّلَامَةَ ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ وَاهِبُ الْأَمْنِ ﴿الْمُهَيِّمُ﴾

(١) إبراهيم: ٤٣. (٢) الأحزاب: ٧٢.

(٣) حكاة الماوردي في تفسيره: ج ٥ ص ٥١٢.

(٤) وهو قول ابن عباس. راجع المصدر السابق.

(٥) حكاة عنه عليه السلام في تفسيره: ج ٢٨ ص ٦٢، وفي معاني الأخبار للصدوق: ص ١٤٦

عن الصادق عليه السلام.

الرَّقِيبُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَالْحَافِظُ لَهُ، وَقِيلَ: الْأَمِينُ الَّذِي لَا يَضِيعُ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ حَقٌّ^(١)، مُفْعِلٌ مِنْ «الْأَمْنِ» إِلَّا أَنْ هَمَزَتْهُ قُلِبَتْ هَاءٌ ﴿الْجَبَّارُ﴾ الْقَاهِرُ الَّذِي جَبَرَ خَلْقَهُ عَلَى مَا أَرَادَ، وَقِيلَ: الْعَظِيمُ الشَّانِ فِي الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ^(٢)، وَلَا يُطْلَقُ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الذَّمِّ ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ الْبَلِيعُ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ ﴿الْخَلِيقُ﴾ الْمَقْدَرُ لِمَا يُوجِدُهُ ﴿الْبَارِئُ﴾ الْمُمَيِّزُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ بِالْأَشْكَالِ الْمُخْتَلَفَةِ ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ الْمُمَثِّلُ.

وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بآخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ^(٣)



(١) قاله الضحاك. راجع تفسير الماوردي المتقدم.

(٢) قاله ابن عباس. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٣٢٧.

(٣) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥١٠ عن أبي هريرة.

سُورَةُ الْمُمتَحِنَةِ

مدنيّة^(١)، وهي ثلاثُ عشرة آيةً.

وفي حديث أبيّ: «مَنْ قرَأَ سُورَةَ الْمُمتَحِنَةِ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ لَهُ شُفَعَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وعن عليّ بن الحسين عليهما السلام: «مَنْ قرَأَ سُورَةَ الْمُمتَحِنَةِ فِي فَرَائِضِهِ وَنَوَافِلِهِ أَمَتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَنَوَّرَ لَهُ بَصَرَهُ، وَلَا يُصِيبُهُ فَقْرٌ أَبَدًا، وَلَا جُنُونٌ فِي بَدَنِهِ وَلَا فِي وَلَدِهِ»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٥٧٥: مدنيّة بلاخلاف، وهي ثلاث عشرة آية بلاخلاف.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٥١٠: مدنيّة، وهي ثلاث عشرة آية، نزلت بعد الاحزاب .
وفي تفسير القرطبي: ج ١٨ ص ٤٩ ما لفظه: الممتحنة بكسر الحاء، اي المختبرة، أضيف الفعل اليها مجازاً، كما سميت سورة «براءة» المبعثرة والفاضحة؛ لما كشفت من عيوب المنافقين. ومن قال بفتح الحاء فإنه أضافها الى المرأة التي نزلت فيها وهي أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيْط... وهي امرأة عبدالرحمن بن عَوْف .

(٢) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٥٢١ مرسلاً.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٥ .

بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ
تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي
تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا
أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ
لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ
وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ
وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ
لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) ﴿

نَزَلَتْ فِي حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ سَارَةَ مَوْلَاةَ أَبِي عَمْرٍو بْنِ صَيْفِيٍّ بْنِ
هَاشِمٍ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَجَهَّزُ لِلْفَتْحِ فَقَالَ لَهَا: أَمْسِلِمَةَ جِئْتِ؟
قَالَتْ: لَا، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكِ؟ قَالَتْ: كُنْتُمُ الْأَهْلَ وَالْمَوَالِيَّ وَالْعَشِيرَةَ، وَقَدْ ذَهَبَتْ
الْمَوَالِي، تَعْنِي قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، فَاحْتَجْتُ حَاجَةً شَدِيدَةً، فَحَتَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنِي
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَكَسَوْهَا وَحَمَلُوهَا وَزَوَّدُوهَا، فَأَتَاهَا حَاطِبٌ وَأَعْطَاهَا عَشْرَةَ دنانيرَ
وَكَتَبَ مَعَهَا كِتَابًا إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، نُسخَتُهُ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ،
اعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُكُمْ، فَخُذُوا حَذْرَكُمْ، وَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِالْخَبَرِ، فَبَعَثَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعُمَارًا وَعُمَرَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ وَأَبَا مَرْثَدٍ
- وَكَانُوا كُلُّهُمْ فُرْسَانًا - وَقَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخَ فَإِنَّ بِهَا ظِعِينَةً مَعَهَا

كِتَابٌ مِنْ حَاطِبٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَخُذُوهُ مِنْهَا، فَخَرَجُوا حَتَّى أَدْرَكُوهَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فَجَحَدَتْ وَحَلَفَتْ، فَهَمُّوا بِالرُّجُوعِ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاللَّهِ مَا كَذَبْنَا وَلَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّ سَيْفُهُ وَقَالَ: أَخْرِجِي الْكِتَابَ وَإِلَّا - وَاللَّهِ - لَأُضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِ شَعْرِهَا (١).

وَرُوي: أَنَّ حَاطِبًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا كَفَرْتُ مِنْذُ أُسَلِّمْتُ، وَلَكِنِّي كُنْتُ عَزِيزًا فِي قُرَيْشٍ - أَي: غَرِيبًا - وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكُلُّ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ بَأْسَهُ، وَأَنَّ كِتَابِي لَا يُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا، فَعَذَّرَهُ (٢).

«العدو» وَقَعَ مَوْقِعَ الْجَمْعِ ﴿تُلْقُونَ﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾، أَوْ صِفَةً لـ ﴿أَوْلِيَاءَ﴾، أَوْ اسْتِثْنَاءٌ. وَالْإِلْقَاءُ: عِبَارَةٌ عَنْ إِيصَالِ الْمَوَدَّةِ وَالْإِفْضَاءِ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَالْبَاءُ فِي ﴿بِالْمَوَدَّةِ﴾ إِمَّا مَزِيدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ لِلتَّعَدِّيِّ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (٣)، وَإِمَّا ثَابِتَةٌ عَلَى أَنَّ مَفْعُولَ ﴿تُلْقُونَ﴾ مَحْذُوفٌ، مَعْنَاهُ: تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ أَخْبَارَ الرَّسُولِ بِسَبَبِ الْمَوَدَّةِ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ أَي: تُفْضُونَ إِلَيْهِمْ بِمَوَدَّتِكُمْ سِرًّا، أَوْ: تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ أَسْرَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبَبِ الْمَوَدَّةِ ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ حَالٌ مِنَ ﴿تُلْقُونَ﴾، أَي: تُوَادُّونَهُمْ وَهَذِهِ حَالُهُمْ ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ هُوَ كَالْتَفْسِيرِ لِكُفْرِهِمْ، أَوْ: حَالٌ مِنَ ﴿كَفَرُوا﴾، وَ ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ تَعْلِيلٌ لـ ﴿يُخْرِجُونَ﴾ أَي: يُخْرِجُونَكُمْ لِإِيمَانِكُمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ شَرْطُ جَوَابِهِ مَحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بـ ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾. وَالْمَعْنَى: إِنْ كُنْتُمْ أَوْلِيَاءِي فَلَا تَتَوَلَّوْا أَعْدَائِي ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ

(١) أنظر أسباب النزول للواحدي: ص ٣٥٨ ح ٨٦٣.

(٢) رواه عبيد الله بن أبي رافع عن عليٍّ عليه السلام. راجع المصدر السابق: ٨٦٤.

(٣) البقرة: ١٩٥.

بِالْمَوَدَّةِ ﴿١﴾ أَسْتِثْنَاْتُ والمعنى: أَيُّ فائِدَةٍ فِي إِسْرَارِكُمْ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْإِخْفَاءَ وَالْإِعْلَانَ سَيَّانٌ فِي عِلْمِي، وَأَنَا أُطْلِعُ رَسُولِي عَلَى مَا تُسِرُّونَهُ؟ ﴿وَمَنْ﴾ يَفْعَلُ هَذَا الْإِسْرَارَ فَقَدْ أَخْطَأَ طَرِيقَ الْحَقِّ وَجَازَ عَنِ الْقَصْدِ.

﴿إِنْ يَتَّقَوْكُمْ﴾ أَي: يَظْفَرُوا بِكُمْ ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ خَالِصِي الْعَدَاوَةِ ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ بِالْقَتَالِ وَالشَّتْمِ، وَتَمَنُّوا ﴿لَوْ﴾ تَرْتَدُّونَ عَنِ دِينِكُمْ.

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ أَي: أَقْرَبَاؤُكُمْ ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ الَّذِينَ تُوَالُونَ الْكَفَّارَ بِسَبَبِهِمْ، وَتَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ وَبَيْنَ أَقَارِبِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ، فَمَا لَكُمْ عَصِيْتُمْ اللَّهَ لِأَجْلِهِمْ؟! وَقُرِئَ: ﴿يَفْصِلُ﴾ وَ«يُفْصِّلُ»^(١) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَي: يُمَيِّزُ بَعْضَكُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلَا يَرَى الْقَرِيبُ الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قَرِيبَهُ الْكَافِرَ فِي النَّارِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: يَقْضِي بَيْنَكُمْ مِنْ: فَضْلِ الْقَضَاءِ^(٢).

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ أَي: قُدْوَةٌ ﴿حَسَنَةٌ﴾ وَمَذْهَبٌ حَسَنٌ يُؤْتِي بِهِ وَيُتَّبَعُ أَثَرُهُ ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ وَقَوْمِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ لَكَفَّارٍ قَوْمِهِمْ حَيْثُ كَاشَفُوهُمْ بِالْعَدَاوَةِ: ﴿إِنَّا بُرَءَاؤُكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هُ مِنْ الْأَصْنَامِ، أَوْ: وَمِنْ عِبَادَتِكُمْ، أَي: لَا نَعْتَدُ بِشَأْنِكُمْ وَلَا بِشَأْنِ آلِهَتِكُمْ، وَمَا أَنْتُمْ عِنْدَنَا عَلَى شَيْءٍ، وَالسَّبَبُ فِي عَدَاوَتِنَا إِيَّاكُمْ كُفْرُكُمْ بِاللَّهِ ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أَي: جَحَدْنَا دِينَكُمْ، وَالْعَدَاوَةُ قَائِمَةٌ ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ حَتَّى تُصَدِّقُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ. ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أَسْتِثْنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأُسْوَةِ الْحَسَنَةِ قَوْلُهُمُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُؤْتَى بِهِ وَيُتَّخَذَ سُنَّةً، أَي: فَلَا تَقْتَدُوا

(١) قرأه حمزة والكسائي بالتشديد وكسر الصاد على البناء للفاعل. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٣٣.

(٢) حكاها السمرقندي في تفسيره: ج ٣ ص ٣٥٢.

بإبراهيم عليه السلام في قوله لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾، فإنما ذلك لـ ﴿مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾^(١) بالإيمان ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَمَا أُمْلِكُ لَكَ﴾ تابع لوعده بالاستغفار، كأنه قال: أنا أستغفرُ لك وما في وسعي وطاقتي إلا الاستغفار ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ يجوزُ أن يتصل بما قبل الاستثناء فيكون من قول إبراهيم وقومه، ويجوزُ أن يكون تعليماً من الله سبحانه لعباده أن يفوضوا أمورهم إليه بأن يقولوه، فيكون المعنى: قولوا ربنا.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٦) عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودةً والله قديرٌ والله غفورٌ رحيمٌ (٧) لا ينهكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إنما ينهكم الله عن الذين قتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون (٩) يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُهُمْ مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلُّوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾

كرَّرَ سبحانه الحثَّ على الاقتداء بإبراهيم عليه السلام وقومه تأكيداً عليهم، ولذلك

جاء به مُصَدِّراً بِالْقَسَمِ ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَكُمْ﴾ وذلك نُوعٌ مِنَ التَّأْكِيدِ، وكذلك قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أَي: وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْإِيْتَاءِ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ لَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا ضَرُّوا أَنْفُسَهُمْ.

وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ تَشَدَّدَ الْمُؤْمِنُونَ فِي عَدَاوَةِ آبَائِهِمْ وَأَقْرَبَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُمْ الْجِدَّ وَالصَّبْرَ عَلَى الْوَجْهِ الشَّدِيدِ، رَحِمَهُمْ وَوَعَدَهُمْ تَيْسِيرَ مَا تَمَنَّوْهُ مِنْ إِسْلَامِ أَقَارِبِهِمْ، وَحُصُولِ التَّصَافِي وَالتَّوَادُّ بَيْنَهُمْ.

و ﴿عَسَى﴾ وَعَدٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى عَادَاتِ الْمُلُوكِ، حَيْثُ يَقُولُونَ فِي بَعْضِ الْحَوَائِجِ: «عسى» أَوْ «لعل»، فَلَا يَبْقَى شُبْهَةٌ لِلْمَحْتَاجِ فِي تَمَامِ ذَلِكَ، أَوْ: قَصَدَ بِهِ إِطْمَاعَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ عَلَى تَقْلِيلِ الْقُلُوبِ وَتَسْهِيلِ الْأُمُورِ.

﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿الَّذِينَ لَمْ يَقْتُلُوكُمْ﴾، وَكَذَلِكَ ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿الَّذِينَ قَتَلُوكُمْ﴾ وَالْمَعْنَى: ﴿لَا يَنْهَكُمْ﴾ عَنْ مَبَرَّةٍ هَؤُلَاءِ وَإِنَّمَا يَنْهَاكُمْ عَنْ تَوَلَّيْ هَؤُلَاءِ. وَهَذَا أَيْضاً رَحْمَةٌ لَهُمْ لِتَشَدُّدِهِمْ وَجَدَّهُمْ فِي الْعَدَاوَةِ، حَيْثُ رَخَّصَ لَهُمْ فِي صِلَةٍ مَنْ يُجَاهِدُ^(١) مِنْهُمْ بِالْقِتَالِ وَالْإِخْرَاجِ مِنَ الدِّيَارِ، وَهُمْ خُرَاعَةٌ، وَكَانُوا صَالِحُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ لَا يُقَاتِلُوهُ وَلَا يُعِينُوا عَلَيْهِ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَكَّةَ وَلَمْ يُهَاجِرُوا^(٢). ﴿وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أَي: وَتَعْدِلُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَتَقْضُوا إِلَيْهِمُ بِالْقِسْطِ وَلَا تَظْلِمُوهُمْ، أَوْصَى سُبْحَانَهُ بِاسْتِعْمَالِ الْقِسْطِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ وَالتَّحَامِي عَنْ ظُلْمِهِمْ، فَمَا ظَنُّكَ بِحَالِ مَنْ أَجْتَرَأَ عَلَى ظُلْمِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ؟! ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ سَمَّاهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ لِتَصْدِيقِهِنَّ بِالْإِسْلَامِ وَنُطْقِهِنَّ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ ﴿فَاْمْتَحِنُوهُنَّ﴾ فَاخْتَبِرُوهُنَّ بِالْحِلْفِ وَالنَّظَرِ فِي الْأُمَارَاتِ لِیَغْلِبَ عَلَى

ظُنُونَكُمْ صِدْقَ إِيمَانِهِنَّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِلْمُتَّحِنَةِ: بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا خَرَجْتُ مِنْ بُغْضِ زَوْجٍ، بِاللَّهِ مَا خَرَجْتُ رَغْبَةً عَنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ، بِاللَّهِ مَا خَرَجْتُ أَلْتَمَّاسَ دُنْيَا، بِاللَّهِ مَا خَرَجْتُ إِلَّا حُبًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ مِنْكُمْ لَا نَنْتَكُمُ لَا تَكْسِبُونَ فِيهِ عِلْمًا تَطْمِئِنُّ مَعَهُ نَفُوسُكُمْ وَإِنْ أَسْتَخْلَفْتُمُوهُنَّ وَرَزَقْتُمْ أَمْوَالَهُنَّ، وَعِنْدَ اللَّهِ حَقِيقَةُ الْعِلْمِ بِهِ ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ الْعِلْمَ الَّذِي يَبْلُغُهُ وَشُعُوكُمْ، وَهُوَ غَالِبُ الظَّنِّ بِظُهُورِ الْأَمَارَاتِ ﴿فَلَا﴾ تَرُدُّوهُنَّ ﴿إِلَى﴾ أَزْوَاجِهِنَّ ﴿الْكُفَّارِ﴾ لِأَنَّهُ لَا حِلَّ بَيْنَ الْمُشْرِكِ وَالْمُؤْمِنَةِ، ﴿وَأَتَوْهُنَّ﴾ وَأَعْطُوا أَزْوَاجَهُنَّ ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ أَي: مَا دَفَعُوا إِلَيْهِنَّ مِنَ الْمَهْرِ.

ثُمَّ نَفَى عَنْهُمْ الْجُنَاحَ فِي تَزْوُجِ هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرَاتِ إِذَا اتَّوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ - أَي: مُهُورَهُنَّ - لِأَنَّ الْمَهْرَ أَجْرُ الْبُضْعِ ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ^(١)، الْعِصْمَةُ: مَا يُعْتَصَمُ بِهِ مِنْ عَقْدٍ أَوْ سَبَبٍ، أَي: لَا يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْكَافِرَاتِ عِصْمَةٌ، وَلَا عُلُقَةٌ زَوْجِيَّةٌ، سِوَاءَ كُنَّ حَرَبِيَّاتٍ أَوْ ذَمِّيَّاتٍ، ﴿وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ مِنْ مُهُورِ أَزْوَاجِكُمُ اللَّاحِقَاتِ بِالْكُفَّارِ، ﴿وَلَيْسَأَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾ مِنْ مُهُورِ نِسَائِهِمُ الْمُهَاجِرَاتِ ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ﴾ يَعْنِي جَمِيعَ مَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ، أَوْ: حَالٌ مِنْ ﴿حُكْمِ اللَّهِ﴾ عَلَى حَذْفِ الضَّمِيرِ، أَي: يَحْكُمُهُ اللَّهُ، أَوْ: جَعَلَ الْحُكْمَ حَاكِمًا، عَلَى الْمُبَالَغَةِ.

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتَّوُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (١١) يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا

(١) وبالتشديد أي: ﴿تُمْسِكُوا﴾ هي قراءة أبي عمرو وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات:

وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ
 أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ
 اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣) ﴿
 لَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ أَدَّى الْمُؤْمِنُونَ مَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ نَفَقَاتِ الْمَشْرِكِينَ عَلَى
 نِسَائِهِمْ، وَأَبَى الْمَشْرِكُونَ أَنْ يُوَدِّدُوا شَيْئًا مِنْ مُهُورِ الْكَوَافِرِ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ الْمُسْلِمِينَ،
 فَنَزَلَتْ: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾
 أَحَدٌ مِنْهُنَّ ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾، وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «أَحَدٌ»^(١) ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ مِنْ:
 «الْعُقْبَةُ» وَهِيَ التُّوبَةُ، شَبَّهَ مَا حَكَمَ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ مِنْ أَدَاءِ هَؤُلَاءِ
 مُهُورِ نِسَاءِ أُولَئِكَ تَارَةً، وَأَدَاءِ أُولَئِكَ مُهُورِ نِسَاءِ هَؤُلَاءِ أُخْرَى، بِأَمْرٍ يَتَعَاقَبُونَ فِيهِ
 كَمَا يَتَعَاقَبُ فِي الرُّكُوبِ وَغَيْرِهِ. وَمَعْنَاهُ: فَجَاءَتْ عُقْبَتُكُمْ مِنْ أَدَاءِ الْمَهْرِ، ﴿فَاتُوا﴾
 فَأَعْطُوا مَنْ فَاتَتْهُ أَمْرَاتُهُ إِلَى الْكُفَّارِ مِثْلَ مَهْرِهَا مِنْ مَهْرِ الْمُهَاجِرَةِ، وَلَا تَعْطُوهُ
 زَوْجَهَا الْكَافِرَ، وَهَكَذَا عَنِ الزُّهْرِيِّ: يُعْطَى مِنْ صِدَاقٍ مَنْ لَحِقَ بِهِمْ^(٢)، وَقَالَ
 الزَّجَّاجُ: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فَأَصْبَحْتُمُوهُمْ فِي الْقِتَالِ بِعُقُوبَةٍ حَتَّى غَنِمْتُمْ^(٣). وَالَّذِي ذَهَبَتْ
 زَوْجَتُهُ كَانَ يُعْطَى مِنَ الْغَنِيمَةِ الْمَهْرُ، وَقُرِئَ فِي الشَّوَاذِ: «فَاعْقَبْتُمْ»^(٤) أَي: دَخَلْتُمْ
 فِي الْعُقْبَةِ «فَعَقَبْتُمْ» بِالتَّشْدِيدِ^(٥) مِنْ: عَقَبَهُ إِذَا قَفَّاهُ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَعَاقِبِينَ

(١) أَي: «وَإِنْ فَاتَكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» بِتَبْدِيلِ «أَحَدٍ» بِمَوْضِعِ «شَيْءٍ» قَالَ الْفَرَّاءُ: يَصْلَحُ هَذَا
 فِي النَّاسِ، فَإِذَا كَانَتْ «شَيْءٌ» فِي غَيْرِ النَّاسِ لَمْ يَصْلَحِ «أَحَدٌ» فِي مَوْضِعِهَا. رَاجِعْ مَعَانِي
 الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ: ج ٣ ص ١٥١.

(٢) حَكَاهُ عَنْهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٥١٩.

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ: ج ٥ ص ١٦٠.

(٤) قَرَأَهُ مُجَاهِدٌ وَالحَسَنُ، رَاجِعْ شَوَاذَ الْقُرْآنِ لِابْنِ خَالَوَيْهِ: ص ١٥٦.

(٥) وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمِيدِ الْأَعْرَجِ. رَاجِعِ الْمَصْدَرِ السَّابِقَ.

يُقَفِّي صَاحِبَهُ، «فَعَقَبْتُمْ»^(١) من: عَقِبَهُ يَعْقُبُهُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ فِي تَفْسِيرِ جَمِيعِهَا: فَكَانَتْ الْعُقْبَى لَكُمْ، أَي: كَانَتْ الْغَلْبَةُ لَكُمْ حَتَّى غَنِمْتُمْ^(٢). وَقِيلَ: إِنَّ جَمِيعَ مَنْ لَحِقَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ سِتُّ نِسْوَةٍ، وَأَعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُهُورَهُنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ^(٣).

﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ يُرِيدُ: وَأَدَ الْبَنَاتِ أَوِ الْإِسْقَاطَ، ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَيْنِ يَفْتَرِيَنَّهُ بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ﴾ كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَلْتَقِطُ الْمَوْلُودَ فَتَقُولُ لِزَوْجِهَا: هَذَا وَلَدِي مِنْكَ. كُنِيَ بِالْبُهْتَانِ الْمُفْتَرَى بَيْنَ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا عَنِ الْمَوْلُودِ الَّذِي تَلَصَّقَهُ بِزَوْجِهَا كَذِبًا، لِأَنَّ بَطْنَهَا الَّذِي تَحْمِلُهُ فِيهِ بَيْنَ الْيَدَيْنِ، وَفَرْجِهَا الَّذِي تَلِدُهُ بِهِ بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ فِيمَا تَأْمُرُهُنَّ بِهِ مِنَ الْمَحْسَنَاتِ، وَتَنْهَاهُنَّ عَنْهُ مِنَ الْمَقْبَحَاتِ، وَكُلُّ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ أَوْ الشَّرْعُ عَلَى وَجُوهِهِ أَوْ نَذِيهِ فَهُوَ مَعْرُوفٌ. وَرُوي^(٤) فِي كَيْفِيَّةِ الْمَبَايَعَةِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَغَمَسَ فِيهِ يَدَهُ ثُمَّ غَمَسَ أَيْدِيَهُنَّ فِيهِ، وَقِيلَ: كَانَ يُبَايِعُهُنَّ مِنْ وَرَاءِ الثَّوبِ^(٥).

﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ، كَانَ قَوْمٌ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ يُوَاصِلُونَ الْيَهُودَ لِيُصِيبُوا مِنْ ثِمَارِهِمْ فَهَؤُلَاءِ عَنْ ذَلِكَ ﴿قَدْ يَسْأَوْنَ مِنْ﴾ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ حَظٌّ فِي ﴿الْآخِرَةِ﴾ لِتَكْذِيبِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنَادًا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الرَّسُولُ الْمَنْعُوتُ فِي التَّوْرَةِ ﴿كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ﴾ مِنْ مَوْتَاهُمْ أَنْ يُبْعَثُوا.



(١) قرأه النخعي ومسروق، إلا أن الأول فتح القاف والثاني كسرهما. راجع المصدر نفسه.

(٢) معاني القرآن: ج ٥ ص ١٦٠.

(٣) قاله ابن عباس. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٣٣٤.

(٤) رواه علي بن ابراهيم القمي في تفسيره: ج ٢ ص ٣٦٤ عن أبي جعفر عليه السلام.

(٥) قاله عامر الشعبي. راجع تفسير الماوردي: ج ٥ ص ٥٢٤.

سُورَةُ الصَّفِّ

مدنيّة^(١)، وهي أربعُ عشرة آيةً.

في حديث أبي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ عِيسَى كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُصَلِّياً عَلَيْهِ مُسْتَغْفِراً لَهُ مَا دَامَ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ رَفِيقُهُ»^(٢).

وعن الباقر عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الصَّفِّ وَأَدْمَنَ قِرَاءَتَهَا فِي فَرَائِضِهِ وَنَوَافِلِهِ صَفَّهُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ مَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا لِمَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٩ ص ٥٩٠: مدنيّة بلاخلاف، وهي أربع عشرة آيةً بلاخلاف.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٥٢٢: مدنيّة وآياتها (١٤) نزلت بعد التغابن.

وفي تفسير القرطبي: ج ١٨ ص ٧٧: مدنيّة في قول الجميع فيما ذكر الماوردي: وقيل: إنها مكّية، ذكره النحاس عن ابن عباس، وهي أربع عشرة آيةً.

(٢) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٥٢٩ مرسلًا.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٥ وزاد في آخره: «إن شاء الله».

تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا
كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ (٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومَ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ
تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦)
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ
مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) ﴿

عن ابن عباس: كان ناس من المؤمنين يقولون قبل أن يؤمروا بالقتال: لو نعلم
أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه، فدلهم الله سبحانه على الجهاد في سبيله،
فولوا يوم أحد فعيرهم (١) وقيل: نزلت في قوم قالوا: أبلينا وفعلنا ولم يفعلوا وهم
كذبة (٢). وقصد في ﴿كَبُرَ﴾ التعجب من غير لفظ، وأسند إلى ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، ونصب
﴿مَقْتًا﴾ على التفسير دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه،
والمقت: أشد البغض، ولم يقتصر سبحانه على أن جعل البغض كبيراً حتى جعله
أشدّه وأفحشه، وعند الله أبلغ من ذلك لأنه إذا كبر مقتّه عند الله فقد تناهى كبره
وشدته. وذكر أنه قيل لبغض السلف: حدثنا، فسكت ثم قال: تأمروني أن أقول
ما لا أفعل، فاستعجل مقت الله. وفي قوله سبحانه: ﴿يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي

(١) حكاه عنه بالاسناد الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٧٩ - ٨٠.

(٢) قاله قتادة والضحاك. راجع المصدر السابق: ص ٨٠.

سَبِيلِهِ ﴿ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَقْتَّ تَعَلَّقَ بِقَوْلِ الَّذِينَ وَعَدُوا الثَّبَاتَ فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يَقُوا. ﴿صَفًّا﴾ صَافِينَ أَنْفُسَهُمْ، أَوْ: مَصْفُوفِينَ كَأَنَّهُمْ فِي تَرَاصُّهِمْ مِنْ غَيْرِ فُرْجَةٍ ﴿بُنَيْنٌ﴾ رُصَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَرُصِفَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْقِتَالِ رَاجِلًا، لِأَنَّ الرِّجَالَ يَصْطَفُّونَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ^(١). وَقَوْلُهُ: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنَيْنٌ مَرَّضُوصٌ﴾ حَالَانِ مَتَدَاخِلَتَانِ.

﴿وَإِذْ قَالَ﴾ ظَرَفٌ لِأَذْكُرُ ﴿تُؤْذُونَنِي﴾ آذَوْهُ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى، مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ ^(٢)، ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ ^(٣)، وَطَلَبِهِمْ رُؤْيَا اللَّهِ جَهْرَةً، وَعِبَادَتِهِمْ الْعِجْلَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيِ: تُؤْذُونَنِي عَالِمِينَ ﴿أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ وَقَضِيَّةُ عِلْمِكُمْ بِنُبُوتِي وَرِسَالَتِي تَعْظِيمِي وَتَوْقِيرِي لَا إِثْدَائِي، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ عَنِ الْحَقِّ ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ بِأَنْ مَنَعَهُمُ الطَّافَةُ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ لَا يَلْطَفُ بِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ اللَّطْفِ، أَوْ: لَا يَهْدِيهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَهَا الْمُؤْمِنِينَ.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ أَيِ: أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ فِي حَالِ تَصَدِيقِي لِمَا تَقَدَّمَ مِنِّي مِنَ التَّوْرَةِ، وَفِي حَالِ تَبْشِيرِي ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي﴾ وَقُرِئَ بِسُكُونِ الْيَاءِ وَفَتْحِهَا ^(٤)، وَسَبَّوْهُ وَالْخَلِيلُ يَخْتَارَانِ الْفَتْحَ ^(٥).

وَعَنْ كَعْبٍ: أَنَّ الْحَوَارِيَّينَ قَالُوا لِعِيسَى: يَا رُوحَ اللَّهِ، هَلْ بَعَدَنَا مِنْ أُمَّةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، أُمَّةٌ أَحْمَدُ ﷺ، حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ أَتْقِيَاءُ، كَأَنَّهُمْ مِنَ الْفِقْهِ أَنْبِيَاءُ، يَرْضَوْنَ مِنْ اللَّهِ

(١) حكاها الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٢٣.

(٢) المائدة: ٢٤. (٣) الأعراف: ١٣٨.

(٤) وبفتح الياء في «بَعْدِي» قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٣٥.

(٥) حكاها عنهما الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٢٥.

بِالْيَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ، وَيَرْضَى اللَّهُ مِنْهُمْ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْعَمَلِ^(١).
 وَقُرِئَ: «هَذَا سَاحِرٌ»^(٢)، وَأَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ ظُلْمًا مِمَّنْ يَدْعُوهُ رَبُّهُ عَلَى لِسَانِ
 نَبِيِّهِ إِلَى الْإِسْلَامِ الَّذِي فِيهِ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ فَيَجْعَلُ مَكَانَ إِجَابَتِهِ إِلَيْهِ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ
 الْكَذِبَ بِقَوْلِهِ لِكَلَامِهِ: ﴿هَذَا سِحْرٌ﴾؟!

﴿لِيُطْفِئُوا﴾ هذه اللَّامُ تَزَادُ مَعَ فِعْلِ الْإِرَادَةِ فَتُجْعَلُ تَأْكِدًا لَهُ، وَالْأَصْلُ: يُرِيدُونَ
 أَنْ يُطْفِئُوا، كَمَا فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ^(٣)، وَإِطْفَاءٌ ﴿نُورِ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ تَهَكُّمٌ بِهِمْ فِي
 إِرَادَتِهِمْ إِيْطَالَ الْإِسْلَامِ بِقَوْلِهِمْ فِي الْقُرْآنِ: ﴿هَذَا سِحْرٌ﴾ فَأُشْبِهَتْ حَالُهُمْ حَالَ مَنْ
 يَنْفُخُ فِي نُورِ الشَّمْسِ بِفِيهِ لِيُطْفِئَهُ. ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ قُرِئَ مُضَافًا، وَبِالتَّنْوِينِ
 وَنَضَبِ «نُورِهِ»^(٤)، أَي: يُتِمُّ اللَّهُ الْحَقَّ وَيُبْلِغُهُ غَايَتَهُ.

و﴿دِينِ الْحَقِّ﴾ الْمِلَّةُ الْحَنِيفِيَّةُ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أَي: لِيُعْلِيَهُ^(٥) عَلَى
 جَمِيعِ الْأَدْيَانِ الْمُخَالَفَةِ لَهُ.

وَعَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَبْقَى قَرْيَةٌ إِلَّا وَيُنَادِي فِيهَا بِشَهَادَةِ أَنْ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا^(٦).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تَجَرَّةٍ تُنَجِّيْكُمْ مِّنْ عَذَابِ
 أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ
 وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٢٥.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٢٤٩.

(٣) الآية: ٣٢.

(٤) قرأه نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة: ص ٦٣٥.

(٥) في نسخة: «ليغلبه».

(٦) رواه العياشي كما في مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٨٠.

وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ
عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ
وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)

﴿تُنَجِّيَكُمْ﴾ قُرِئَ بِالتَّشْدِيدِ ^(١) وَالتَّخْفِيفِ. ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ اسْتِنَافٌ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا:
كَيْفَ نَعْمَلُ؟ فَقِيلَ لَهُمْ: تُؤْمِنُونَ، وَهُوَ خَبَرٌ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ، وَلِهَذَا أُجِيبَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَغْفِرُ
لَكُمْ﴾، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: «آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُوا» ^(٢)، وَإِنَّمَا جِيءَ بِهِ عَلَى
لَفْظِ الْخَبَرِ لِلإِذَانِ بِوَجُوبِ الْإِمْتِنَانِ، فَكَأَنَّهُ أَمْتَلٌ، فَهُوَ يُخْبِرُ عَنْ إِيْمَانٍ وَجِهَادٍ
مَوْجُودَيْنِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ: «غَفَرَ اللَّهُ لَكَ» وَ «يَرْحَمُكَ اللَّهُ» ﴿ذَلِكَ﴾ الْإِيْمَانُ
وَالْجِهَادُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ، وَالْمَعْنَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ خَيْرٌ
لَّكُمْ كَانَ خَيْرًا لَّكُمْ حِينَئِذٍ، لِأَنَّكُمْ إِذَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ أَحَبَبْتُمْ الْإِيْمَانَ وَالْجِهَادَ فَوْقَ
مَا تُحِبُّونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ فَتَقُوزُونَ.

﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ أَي: وَلَكُمْ مَعَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْمَذْكُورَةِ الْآجِلَةِ مِنَ الْمَغْفِرَةِ
وَالثَّوَابِ وَالنَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ نِعْمَةٌ أُخْرَى عَاجِلَةٌ مُحِبُّوبَةٌ إِلَيْكُمْ، ثُمَّ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿نَصْرٌ
مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ وَهُوَ فَتْحُ مَكَّةَ، وَقِيلَ: فَتْحُ فَارِسَ وَالرُّومِ وَسَائِرِ قُتُوحِ الْإِسْلَامِ
عَلَى الْعُمُومِ ^(٣). وَفِي قَوْلِهِ: ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ ذَرَوْا مِنَ التَّوْبِيخِ عَلَى مُحَبَّةِ الْعَاجِلِ

(١) وهي قراءة ابن عامر وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٣٥.

(٢) حكاه عنه ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ١٥٦.

(٣) قاله عطاء. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٣٣٨.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: آمِنُوا وَجَاهِدُوا يُثَبِّكُمُ اللَّهُ وَيَنْصُرْكُمْ ﴿وَبَشِّرِ﴾ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ بِذَلِكَ. وَقُرِئَ: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ و «أَنْصَاراً لِلَّهِ»^(١)، والمعنى: كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا كَانَ الْحَوَارِيُّونَ أَنْصَارَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أَي: مَنْ أَنْصَارِي مُتَوَجِّهِينَ إِلَى نُصْرَةِ اللَّهِ؟ وَمَعْنَاهُ: مَنْ الْأَنْصَارُ الَّذِينَ يَخْتَصُّونَ بِي وَيَكُونُونَ مَعِي فِي نُصْرَةِ اللَّهِ؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أَي: نَحْنُ الَّذِينَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ. فإِضَافَةُ ﴿أَنْصَارِي﴾ خِلَافُ إِضَافَةِ ﴿أَنْصَارُ اللَّهِ﴾، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: مَنْ يَنْصُرُنِي مَعَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُطَابِقُ الْجَوَابَ ﴿فَأَمَنْتُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بِعِيسَى﴾ وَكَفَرْتُ بِهِ ﴿طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا﴾ مُؤْمِنِيهِمْ ﴿عَلَى﴾ كُفَّارِهِمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ أَي: غَلَبُوا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: فَأَمَنْتُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَكَفَرْتُ بِهِ طَائِفَةٌ، فَأَصْبَحَ الْمُؤْمِنُونَ غَالِبِينَ بِالْحُجَّةِ وَالْقَهْرِ^(٢).



(١) وبالتنوين قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو، راجع كتاب السبعة: ص ٦٣٥.

(٢) قاله ابراهيم ومجاهد. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٨٧.

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

مدنيّة^(١)، وهي إحدى عشرة آية.

في حديث أبي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْجُمُعَةِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، بَعْدَ مَنْ أَتَى الْجُمُعَةَ وَبَعْدَ مَنْ لَمْ يَأْتِهَا فِي أُمُصَارِ الْمُسْلِمِينَ»^(٢).
وعن الصادق عليه السلام: «مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ بِالْجُمُعَةِ وَ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وَفِي صَلَاةِ الظُّهْرِ فِي الْجُمُعَةِ بِالْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَكَأَنَّمَا يَعْمَلُ بِعَمَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ ثَوَابُ جَزَائِهِ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
ءَايَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي

(١) قال الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٢٩: مدنيّة، وآياتها (١١) نزلت بعد الصفّ.
وفي تفسير القرطبي: ج ١٨ ص ٩١: مدنيّة في قول الجميع، وهي إحدى عشرة آية.
(٢) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٣٧ مرسلًا.

ضَلَّل مُبِينٌ (٢) وَءَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤) مَثَلُ الَّذِينَ
حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) ﴿

في قوله: ﴿سَبِّحْ﴾ تارة، و ﴿يُسَبِّحْ﴾ أخرى إشارة إلى دوام تنزيهه عزَّ أَسْمُهُ
في الماضي والمستقبل. والْمُؤْمِنُونَ هُمُ الْعَرَبُ، لَأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَكْتُبُونَ وَلَا يَقْرَأُونَ
مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَقِيلَ: بُدِئَتِ الْكِتَابَةُ بِالطَّائِفِ، أَخَذُوهَا مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ^(١). وَالْمَعْنَى:
أَنَّهُ بَعَثَ فِي قَوْمِ الْأُمِّيِّينَ رَجُلًا أُمِّيًّا ﴿مِنْهُمْ﴾ أَي: مِنْ أَنْفُسِهِمْ، يَعْلَمُونَ نَسَبَهُ وَأَحْوَالَهُ
﴿يَتْلُوا﴾ يَقْرَأُ ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ مَعَ كَوْنِهِ أُمِّيًّا مِثْلَهُمْ، لَمْ يُعْهَدْ مِنْهُ قِرَاءَةٌ وَلَمْ يُعْرِفْ
بِتَعَلُّمِهِ، وَقِرَاءَةُ أُمِّيٍّ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ عَلَى وَفْقِ مَا فِي الْكُتُبِ آيَةٌ
مُعْجَزَةٌ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشَّرِكِ وَأَذْنَابِ الْجَاهِلِيَّةِ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ﴾ الْقُرْآنَ وَالشَّرَائِعَ ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ هِيَ «إِنْ» الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاللَّامُ هِيَ
الْفَارِقَةُ، أَي: كَانُوا ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ لَا ضَلَالَ أَعْظَمُ مِنْهُ.

﴿وَأَخْرَيْنَ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ أَي: بَعَثَهُ فِي الْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ عَلَى
عَهْدِهِ ﷺ، وَفِي آخِرِينَ لَمْ ﴿يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ بَعْدُ وَسَيَلْحَقُونَ بِهِمْ.
وَرُوي: أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ قِيلَ لَهُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِ سَلْمَانَ
فَقَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ فِي الثَّرِيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ»^(٢).

وَقِيلَ: هُمُ الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ^(٣). وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَضْبًا عَطْفًا

(١) حكاه الزجاج في معاني القرآن: ج ٤ ص ١٦٩ وزاد: وذكر أهل الحيرة أنهم تعلموا الكتابة من أهل الأنبار.

(٢) رواه مسلم في الصحيح: ج ٤ ص ١٩٧٢ ح ٢٥٤٦ وما بعده عن أبي هريرة.

(٣) قاله ابن زيد ومجاهد. راجع التبيان: ج ١٠ ص ٤.

على الضمير في ﴿وَيُعَلِّمُهُمْ﴾ أي: وَيُعَلِّمُهُمْ وَيُعَلِّمُ آخَرِينَ، لَأَنَّ التَّعْلِيمَ إِذَا تَنَاسَقَ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ وَكَانَ كُلُّهُ مُسْتَنَدًا إِلَى أَوَّلِهِ فَكَانَتْهُ عَلَيْهِ تَوَلَّى كُلَّ مَا وَجَدَ مِنْهُ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فِي تَمْكِينِهِ رَجُلًا أُمِّيًّا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وَاخْتِيَارِهِ إِيَّاهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْخَلْقِ.

﴿ذَلِكَ﴾ الْفَضْلُ الَّذِي أَعْطَاهُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ النَّبُوَّةُ لِكَافَّةِ خَلْقِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ هُوَ ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يُعْطِيهِ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ إِعْطَاءُهُ وَتَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ عَلَى خَلْقِهِ بِبَعَثِهِ.

و ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ الَّذِينَ قَرَأُوهَا وَحَفَظُوهَا ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ بِكَوْنِهِمْ غَيْرَ عَامِلِينَ ^(١) بِهَا، وَلَا مُسْتَفْعِينَ بِآيَاتِهَا، لَأَنَّ فِيهَا صِفَةَ نَبِيٍّ وَنَعْتَهُ وَالْبَشَارَةَ بِهِ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾ أَي: كُتُبًا كُبَارًا مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ، فَهُوَ يَمْشِي بِهَا وَلَا يَدْرِي مِنْهَا إِلَّا مَا يَمُرُّ بِجَنْبَيْهِ وَظَهَرَهُ مِنَ الْكَدِّ، وَكَذَا كُلُّ مَنْ عَلِمَ عِلْمًا وَلَمْ يَعْمَلْ بِمُوجِبِهِ فَهَذَا مِثْلُهُ، وَ ﴿يُسْ﴾ مَثَلًا ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيْتِ اللَّهِ﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ كَذَّبُوا بِالتَّوْرَةِ، أَوْ: بِالْقُرْآنِ، أَوْ: بِآيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾: كُلُّفُوا عِلْمَهَا وَالْعَمَلَ بِهَا ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ ثُمَّ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَكَانَتْهُمْ لَمْ يَحْمِلُوهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ، أَوْ: جَرٍّ وَضْفًا لـ ﴿الْحِمَارِ﴾ لِأَنَّهُ مِثْلُ «اللَّيْمِ» ^(٢) فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ: وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّيْمِ يَسُبُّنِي ^(٣)

(١) فِي نَسْخَةِ: «عَامِلِينَ».

(٢) يُرِيدُ: أَنَّ الْمُرَادَ فِيهَا الْجِنْسَ، فَتَعْرِيفُهُ وَتَنْكِيرُهُ سَوَاءٌ، فَجَازَ وَصْفُهُ بِالْجُمْلَةِ وَإِنْ كَانَتْ لَا يَوْصَفُ بِهَا إِلَّا النُّكْرَةُ.

(٣) وَعَجَزَهُ: فَمَضَيْتُ ثَمَّةَ قَلْتُ لَا يَعْنِينِي. لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي سُلُولٍ وَقِيلَ: لَشَمْرِ بْنِ عَمْرِو الْحَنْفِيِّ. ←

﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا آنَفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَاءِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١) ﴿

﴿هَادُوا﴾ تَهَوَّدُوا وَسُمُّوا يَهُودًا وَكَانُوا يَقُولُونَ: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (١) يَعْنِي: إِنْ كَانَ قَوْلُكُمْ حَقًّا ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ وَأَنْ يَنْقَلِبَكُمْ اللَّهُ إِلَىٰ دَارِ كَرَامَتِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾ بِسَبَبِ مَا قَدَّمُوهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَقَدْ قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا غَصَّ بِرَيْقِهِ» (٢). فَلَوْلَا أَنَّهُمْ عَرَفُوا صِدْقَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُمْ لَوْ تَمَنَّوْا لَمَاتُوا مِنْ سَاعَتِهِمْ لَتَمَنَّوْا، وَلَمْ يَتَمَنَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَكَانَ هَذَا أَحَدَ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ.

﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي لَا تَجْرُونَ﴾ (٣) أَنْ تَتَمَنَّوْهُ ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ لَا تَفُوتُونَهُ، وَالْفَاءُ لِتَضْمَنِ الَّذِي مَعْنَى الشَّرْطِ، يَعْنِي: إِنْ رِمْتُمْ الْفِرَارَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ﴾ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَيُجَازِيكُمْ ﴿بِمَا﴾ تَسْتَحِقُّونَهُ.

→ وقد تقدّم شرح البيت في ج ١ ص ٥٨.

(٢) رواه ابن عباس في تفسيره: ص ٤٧١.

(١) المائدة: ١٨.

(٣) في نسخة: «لا تجسرون».

﴿الْجُمُعَةِ﴾ كَانَ يُقَالُ لَهَا الْعَرُوبَةُ^(١)، وَقِيلَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَمَّاها جُمُعَةً كَعَبُ بْنُ لُؤْيٍ^(٢)، وَقِيلَ: إِنَّ الْأَنْصَارَ قَالُوا: إِنَّ لِلْيَهُودِ يَوْمًا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ كُلَّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَهَلِّمُوا نَجْعَلْ لَنَا يَوْمًا نَجْتَمِعُ فِيهِ فَنَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ وَنُصَلِّي، فَقَالُوا: يَوْمُ السَّبْتِ لِلْيَهُودِ، وَيَوْمُ الْأَحَدِ لِلنَّصَارَى، فَاجْعَلُوهُ يَوْمَ الْعَرُوبَةِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَى سَعْدِ بْنِ زُرَّارَةَ فَصَلَّى بِهِمْ يَوْمَئِذٍ رَكَعَتَيْنِ وَذَكَرَهُمْ، فَسَمَّوْهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِيهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ الْجُمُعَةِ، فَهِيَ أَوَّلُ جُمُعَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ^(٣).

فَإِذَا أَوَّلُ جُمُعَةٍ جَمَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ فَهِيَ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ قُبَاءَ عَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِاِثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَأَسَّسَ مَسْجِدَهُمْ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَذَرَكْتُهُ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ الْعَوْفِ فِي بَطْنٍ وَادٍ لَهُمْ - قَدْ أُتُّخِذَ الْيَوْمَ هُنَاكَ مَسْجِدًا - فَخَطَبَ وَصَلَّى الْجُمُعَةَ^(٤).

﴿إِذَا نُودِيَ﴾ مَعْنَاهُ: إِذَا أُذِّنَ لَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ ﴿فَاسْعَوْا﴾ أَي: فَامضُوا إِلَى الصَّلَاةِ مُسْرِعِينَ غَيْرَ مَتَّاقِلِينَ^(٥)، وَقَرَأَ عُمَرُ وَأَبْنُ مَسْعُودٍ وَأَبْنُ عَبَّاسٍ:

(١) قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْجُمُعَةُ وَالْجُمُعَةُ وَالْجُمُعَةُ، وَهُوَ يَوْمُ الْعَرُوبَةِ، سَمِّيَ بِذَلِكَ لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهِ... وَذَكَرَ السَّهْلِيُّ: أَنَّ كَعْبَ بْنَ لُؤْيٍ جَدُّ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ يَوْمَ الْعَرُوبَةِ، وَلَمْ تَسَمَّ الْعَرُوبَةُ الْجُمُعَةُ إِلَّا مَذْجَاءَ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمَّاها الْجُمُعَةَ، فَكَانَتْ قَرِيشٌ تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ - أَيِ إِلَى كَعْبِ جَدِّ النَّبِيِّ ﷺ - فِي هَذَا الْيَوْمِ فَيُخَاطَبُهُمْ وَيَذْكُرُهُمْ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ، وَيُعَلِّمُهُمْ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِاتِّبَاعِهِ، وَيُنْشِدُ فِي هَذَا أَبْيَاتًا مِنْهَا:

يَا لَيْتَنِي شَاهِدُ فُحْوَءَ دَعْوَتِهِ إِذَا قَرِيشٌ تُبَغِّي الْحَقَّ خِذْلَانَا

انظر لسان العرب: مادة «جمع».

(٢) قَالَ أَبُو سَلَمَةَ كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ: ج ١٨ ص ٩٧.

(٣) قَالَ ابْنُ سِيرِينَ. رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ: ج ١٨ ص ٩٨ وَفِيهِ «أَسْعِدُ» بَدَلُ «سَعِدُ».

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام: ج ٢ ص ١٣٧.

(٥) فِي نَسْخَةٍ: «مَتَّاعِلِينَ».

«فَامْضُوا»^(١)، وَرَوِيَ ذَلِكَ عَنْ أُمِّةِ الْهُدَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَنِ الْحَسَنِ: لَيْسَ السَّعْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ وَلَكِنَّهُ عَلَى النِّيَّاتِ وَالْقُلُوبِ^(٢).

وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، بِأَيْدِيهِمْ صُحُفٌ مِنْ فِضَّةٍ وَأَقْلَامٌ مِنْ ذَهَبٍ، يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ»^(٣). وَكَانَتِ الطَّرِيقَاتُ فِي أَيَّامِ السَّلَفِ وَقْتُ السَّحَرِ وَبَعْدَ الْفَجْرِ مُغْتَصَةً بِالْمُبَكَّرِينَ إِلَى الْجُمُعَةِ يَمْشُونَ بِالسُّرُجِ، وَقِيلَ: أَوَّلُ بَدْعَةٍ أُحْدِثَتْ فِي الْإِسْلَامِ تَرْكُ الْبُكُورِ إِلَى الْجُمُعَةِ^(٤)، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ بَكَرَ فَرَأَى ثَلَاثَةَ نَفَرٍ سَبَقُوهُ فَاغْتَمَّ وَأَخَذَ يُعَاتِبُ نَفْسَهُ يَقُولُ: أَرَأَيْكَ رَابِعُ أَرْبَعَةٍ وَمَا رَابِعُ أَرْبَعَةٍ بِسَعِيدٍ^(٥). ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إِلَى الْخُطْبَةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ ذِكْرَ اللَّهِ ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ وَتِجَارَةَ الدُّنْيَا وَبَادِرُوا إِلَى تِجَارَةِ الْآخِرَةِ. فَالظَّاهِرُ يَقْتَضِي: أَنَّ الْبَيْعَ فِي وَقْتِ النَّدَاءِ فَاسِدٌ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، وَكَذَا جَمِيعُ التَّصَرُّفَاتِ، وَإِنَّمَا خُصَّ الْبَيْعُ بِالنَّهْيِ عَنْهُ لِكُونِهِ مِنْ أَعْمِ التَّصَرُّفَاتِ فِي أَسْبَابِ الْمَعَاشِ.

وَفَرَضُ الْجُمُعَةِ يُلْزَمُ جَمِيعَ الْمُكَلَّفِينَ إِلَّا أَصْحَابَ الْأَعْذَارِ مِنَ: السَّفَرِ وَالْمَرَضِ وَالْعَمَى، وَالنِّسَاءِ، وَالشُّيُوخِ الَّذِينَ لَا حَرَكَاتٍ بِهِمْ، وَالْعَبِيدِ، وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْسِ أَكْثَرِ مِنْ فَرَسَيْنِ.

وَعِنْدَ حُصُولِ الشُّرُوطِ لَا تَجِبُ إِلَّا عِنْدَ حُضُورِ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ أَوْ مَنْ نَصَّبَهُ

(١) حكاه عنهم ابن جنِّي في المحتسب: ج ٢ ص ٣٢١ وزاد: علي عليه السلام وأبي وابن عمر.

(٢) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٣٤٧.

(٣) رواه الزمخشري بهذا اللفظ في الكشاف: ج ٤ ص ٥٣٣، وأخرج نحوه النسائي في السنن: ج ٣ ص ٩٧ عن أبي هريرة.

(٤) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٣٤.

(٥) أخرجه عنه ابن ماجه في السنن: ج ١ ص ٣٤٨ ح ١٠٩٤ بالإسناد الى علقمة. وفيه: «ببعيد» بدل «بسعيد».

لِلصَّلَاةِ. وَلَا تَتَعَدُّ إِلَّا بِثَلَاثَةٍ سِوَى الْإِمَامِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ^(١)، وَبِأَرْبَعِينَ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ^(٢)، وَبِسَبْعَةٍ^(٣) عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ^(٤) عَلَيْهِمُ السَّلَامُ^(٥).

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هَذَا إِطْلَاقٌ بَعْدَ الْحَظْرِ فِي الْإِنْتِشَارِ وَابْتِغَاءِ الرِّزْقِ مَعَ الْوَصِيَّةِ بِإِكْثَارِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَأَنْ لَا يُلْهِيَهُمْ شَيْءٌ مِنْ تِجَارَةٍ وَلَا غَيْرِهَا عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْفَلَاحَ مُنَوِّطٌ بِهِ، وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: لَمْ يُؤْمَرُوا بِطَلَبِ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، إِنَّمَا هُوَ عِيَادَةُ الْمَرْضَى، وَحُضُورُ الْجَنَائِزِ، وَزِيَارَةُ أَخٍ فِي اللَّهِ^(٦). وَعَنْ الْحَسَنِ وَسَعِيدٍ: طَلَبُ الْعِلْمِ^(٧).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الصَّلَاةُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَالْإِنْتِشَارُ يَوْمُ السَّبْتِ»^(٨).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَقْبَلَ عَيْرٌ وَنَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْجُمُعَةَ، فَاَنْفَضَ النَّاسُ إِلَيْهَا، فَمَا بَقِيَ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا أَنَا مِنْهُمْ^(٩).

وَعَنِ الْحَسَنِ: قَدِمَ دَحِيَّةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ بِتِجَارَةٍ مِنْ زَيْتِ الشَّامِ

(١) المبسوط للسرخسي: ج ٢ ص ٢٤، بداية المجتهد: ج ١ ص ١٥٣.

(٢) كتاب الأُمِّ: ج ١ ص ١٩٠، الاستذكار: ج ٢ ص ٣٢٤.

(٣) وإنما تنعقد الجمعة بخمسة نفر جوازاً وبسبعة تجب عليهم عند أصحابنا. أنظر الخلاف للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٥٩٨ المسألة (٣٥٩).

(٤) أما على السبعة ما رواه محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «تجب الجمعة على سبعة نفر من المسلمين ولا تجب على أقلّ منهم» أنظر من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٦٧ ح ١٢٢٢. وأما على الخمسة ما رواه الفضل بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أدنى ما يجزي في الجمعة سبعة أو خمسة أدناه». أنظر الكافي: ج ٣ ص ٤١٩ ح ٥.

(٥) في نسخة زيادة: «أو بخمسة».

(٦) حكاها عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٣٦.

(٧) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٣٤٨، والكشاف: ج ٤ ص ٥٣٦.

(٨) أخرجه الصدوق في من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٤٢٤ ح ١٢٥٣ عن أبي أيوب الخزاز.

(٩) أخرجه عنه مسلم في الصحيح: ج ٢ ص ٥٩٠ ح ٣٦.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ بِالْبَقِيعِ خَشْيَةً أَنْ يُسَبِّقُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ يَبْقَ
 مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا رَهْطٌ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ، فَقَالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ
 لَوْ تَتَابَعْتُمْ حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْكُمْ لَسَالَكُمْ الْوَادِي نَارًا»^(١).

وَكَانُوا إِذَا أَقْبَلَتِ الْعِيرُ اسْتَقْبَلُوهَا بِالطَّبْلِ وَالتَّصْفِيقِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِاللَّهُوِ، وَعَنْ
 قَتَادَةَ: فَعَلُوا ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ مَقْدَمٍ عَيْرٍ، كُلُّ ذَلِكَ يُوَافِقُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ^(٢).
 وَالتَّقْدِيرُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً﴾ أَنْفَضُوا إِلَيْهَا ﴿أَوْ لَهْوًا﴾ أَنْفَضُوا إِلَيْهِ، فَحُذِفَ أَحَدُهُمَا
 لِدَلَالَةِ الْآخِرِ عَلَيْهِ، وَعَنِ الصَّادِقِ ﷺ: أَنْصَرَفُوا إِلَيْهَا^(٣) ﴿وَتَرَكَوكَ قَائِمًا﴾ تَخْطُبُ
 عَلَى الْمِنْبَرِ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى سَمَاعِ الْخُطْبَةِ وَالتَّثَابِتِ
 وَالصَّلَاةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ﴿خَيْرٌ﴾ وَأَحْمَدُ عَاقِبَةً.



(١) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

(٢) حكاه عنه الرازي في تفسيره الكبير: ج ٣٠ ص ١٠.

(٣) رواه علي بن ابراهيم القمي في تفسيره: ج ٢ ص ٣٦٧.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ^(١)

مدنيّة^(٢)، وهي إحدى عشرة آية.

وفي حديث أبي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ بُرِيَ مِنَ النَّفَاقِ»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ

(١) كذا في المصحف الشريف، وفي النسخ: «المنافقين».

(٢) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ١٠: مدنيّة بلاخلاف، وهو قول ابن عباس وعطاء والضحاك، وهي إحدى عشرة آية بلاخلاف.

وفي الكشاف: ج ٤ ص ٥٣٨: مدنيّة، وهي إحدى عشرة آية، نزلت بعد الحجّ.
وفي تفسير الألوسي: ج ٢٨ ص ١٠٨: مدنيّة، وعدد آياتها إحدى عشرة آية بلاخلاف، ووجه اتّصالها - في المصحف - أن سورة الجمعة ذكر فيها المؤمنون، وهذه ذكر فيها أضدادهم وهم المنافقون.

(٣) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٤٥ مرسلًا.

صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ أَلْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) ﴿

﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ، وَيُوَاطِئُ الْقَلْبُ اللِّسَانُ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ عَلَى الْحَقِيقَةِ ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ إِنَّهُمْ ﴿لَكَذِبُونَ﴾ فِي ادِّعَائِهِمُ الْمَوَاطَاةَ، أَوْ: كَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ وَشَهَادَتِهِمْ؛ لِأَنَّهَا إِذَا خَلَّتْ عَنِ الْمَوَاطَاةِ لَمْ تَكُنْ شَهَادَةً حَقِيقَةً.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ يَسْتَتِرُونَ بِهَا مِنَ الْكُفْرِ لئَلَّا يُقْتُلُوا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ يَمِينًا مِنْ أَيْمَانِهِمُ الْكَاذِبَةِ، لِأَنَّ الشَّهَادَةَ تَجْرِي مَجْرَى الْحَلْفِ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ: «إِيْمَانُهُمْ» ^(١) أَي: مَا أَظْهَرُوهُ مِنَ الْإِيْمَانِ بِالسِّنَتِهِمْ ﴿سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنْ نِفَاقِهِمْ وَصَدِّهِمُ النَّاسَ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وَفِي ﴿سَاءَ﴾ مَعْنَى التَّعَجُّبِ الَّذِي هُوَ تَعْظِيمُ أَمْرِهِمْ عِنْدَ السَّامِعِينَ.

﴿ذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، أَي: ذَلِكَ الْقَوْلُ الشَّاهِدُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ أَشْوَأُ النَّاسِ أَعْمَالًا ﴿بِ﴾ سَبَبِ ﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾، أَوْ: إِلَى مَا وَصَفَ مِنْ حَالِهِمْ فِي النِّفَاقِ وَالِاسْتِجْنَانِ بِالْإِيْمَانِ، أَي: ذَلِكَ كُلُّهُ بِسَبَبِ ﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾، أَي: نَطَقُوا بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ ثُمَّ ظَهَرَ كُفْرُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا أَطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ حَقًّا فَنَحْنُ حَمِيرٌ! وَنَحْوُهُ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ^(٢) ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ ^(٣) أَوْ:

(١) حكاه عنه ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ١٥٧ .

(٢) التوبة: ٦٦ .

(٣) التوبة: ٧٤ .

نَطَقُوا بِالْإِيمَانِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ نَطَقُوا بِالْكَفْرِ إِذَا خَلَوْا بِأَشْبَاهِهِمْ ﴿فَقُطِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فَجَسَرُوا عَلَى كُلِّ عَظِيمَةٍ.

وكان عبدُ اللَّهِ بنُ أَبِي رَجُلًا جَسِيمًا فَصِيحًا صَبِيحًا، وَقَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي مِثْلِ صِفَتِهِ، وَكَانُوا يَحْضُرُونَ مَجْلِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَسْتَنْدُونَ فِيهِ، فَشَبَّهَهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ فِي عَدَمِ الْإِنْتِفَاعِ بِحُضُورِهِمْ وَإِنْ كَانَتْ هَيَاكِلُهُمْ مُعْجِبَةً وَالسِّنُّهُمْ ذَلِيقَةً بِالْخُشْبِ الْمُسْنَدَةِ إِلَى الْحَائِطِ، أَوْ: بِالْأَصْنَامِ الْمُنْحَوْتَةِ مِنَ الْخَشَبِ، وَالْخَطَابُ فِي ﴿رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ لِرَسُولِ اللَّهِ، أَوْ: لِكُلِّ مَنْ يُخَاطَبُ. وَقَوْلُهُ: ﴿كَانَهُمْ خُشْبٌ﴾ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ لَا مَحَلَّ لَهُ، أَوْ: فِي مَحَلٍّ رَفَعَ عَلَى: هُمْ كَانَهُمْ خُشْبٌ، وَقُرِئَ: «خُشْبٌ»^(١) وَ﴿خُشْبٌ﴾، وَالتَّحْرِيكُ لُغَةً أَهْلُ الْحُجَّازِ وَاحِدَتُهَا: خَشْبَةٌ، كَبَدَنَةٍ وَبُدنٍ، وَتَمَرَةٍ وَتُمَرٍ، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ، أَي: ﴿يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ﴾ وَاقِعَةً عَلَيْهِمْ لِجُبْنِهِمْ إِذَا نَادَى مُنَادٍ فِي الْعَسْكَرِ، أَوْ: أُنْشِدَتْ ضَالَّةٌ ظَنُّوهُ إِيقَاعًا بِهِمْ، وَيُوقَفُ عَلَى ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وَيُبْتَدَأُ ﴿هُمْ أَلْعَدُوُّ﴾ أَي: الْكَامِلُونَ فِي الْعَدَاوَةِ ﴿فَاخْذَرُهُمْ﴾ وَلَا يَغْرُزُكَ ظَاهِرُهُمْ ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ، وَطَلَبٌ مِنْ ذَاتِهِ أَنْ يَلْعَنَهُمْ وَيُخْزِيَهُمْ، أَوْ: تَعْلِيمٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوا عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ ﴿أَنْتَى يُؤْفَكُونَ﴾ كَيْفَ يُضْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ مَعَ وَقُورِ أَدْلَتِهِ.

﴿لَوْزًا رُؤُوسَهُمْ﴾ عَطَفُوهَا وَأَمَالُوهَا إِغْرَاضًا عَنْ ذَلِكَ وَأَسْتِكْبَارًا، قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ^(٢) وَالتَّشْدِيدِ لِلتَّكْثِيرِ، أَي: يَسْتَوِي أَسْتَغْفَارُكَ لَهُمْ وَعَدَمُ أَسْتَغْفَارِكَ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْتَدُونَ بِهِ لِكُفْرِهِمْ، أَوْ: لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَهُمْ.

(١) قرأه ابن كثير وأبو عمرو والكسائي والمفضل عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٣٦.

(٢) وهي قراءة نافع والمفضل عن عاصم. راجع المصدر السابق.

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَايِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨) يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)﴾

ازدحام على الماء في غزاة بني المصطلق رجل من المهاجرين ورجل من بني عوف بن الخزرج واقتتلا، فغضب عبد الله بن أبي وقال: والله، ما مثلنا مثلهم إلا كما قال القائل: سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كُلك، أما والله ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ يعني: بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله، ثم قال لقومه: ماذا فعلتم بأنفسكم، أخللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم؟ أما والله لو أمسكتم عنهم فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، فلا تنفقوا عليهم ﴿حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ من حول محمد ﷺ فسمع بذلك زيد بن أرقم - وهو حدث - فقال: أنت والله الدليل القليل المبعض في قومك، ومحمد ﷺ في عز من الرحمن ومودة وقوة من المسلمين، فقال عبد الله: أسكت، فإنما كنت اللعب، فأخبر زيد رسول الله ﷺ فأرسل إلى عبد الله وقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك، وإن زيدا لكاذب، وذلك قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾ وقال الحاضرون: يا رسول الله، شيخنا وكبيرنا، لا تصدق عليه كلام

غُلَامٌ، عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ وَهَمَ، فَعَذَّرَهُ، وَفَشَتِ الْمَلَامَةُ مِنَ الْأَنْصَارِ لَزِيدٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ لِحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زَيْدًا مِنْ خَلْفِهِ فَعَرَكَ أُذُنُهُ وَقَالَ: وَفَتْ أُذُنَكَ يَا غُلَامُ إِنَّ اللَّهَ صَدَقَكَ وَكَذَّبَ الْمُنَافِقِينَ، فَلَمَّا بَانَ كَذِبُ عَبْدِ اللَّهِ قِيلَ لَهُ: قَدْ نَزَلَتْ فِيكَ آيٌ شِدَادٌ، فَاذْهَبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَغْفِرْ لَكَ، فَلَوَّى رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: أَمَرْتُمُونِي أَنْ أُوْمِنَ فَأَمَنْتُ، وَأَمَرْتُمُونِي أَنْ أَزَكِّيَ مَالِي فَزَكَيْتُ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ أَسْجُدَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾^(١)، وَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا أَيَّامًا قَلِيلًا حَتَّى أَشْتَكَى وَمَاتَ ﴿يَنْفَضُّوا﴾ أَي: يَتَفَرَّقُوا ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ وَيَسِيدُهُ الْأَرْزَاقُ فَهُوَ يَرْزُقُهُمْ مِنْهَا ﴿وَلَكِنَّ﴾ عَبْدَ اللَّهِ وَأَمثالَهُ جَاهِلُونَ ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذَلِكَ. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ أَي: الْعَلَبَةُ وَالْقُوَّةُ وَلِمَنْ أَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَيَّدَهُ.

وعن الحسن بن عليٍّ عليه السلام: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّ فِيكَ تِيهًا! قَالَ: لَيْسَ بِتِيهِ وَلَكِنَّهُ عِزَّةٌ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ^(٢).

﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ لَا تَشْغَلْكُمْ ﴿أَمْوَالُكُمْ﴾ وَالتَّصَرَّفُ فِيهَا وَأَبْتِغَاءُ التَّلَذُّذِ بِهَا ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ وَسُرُورُكُمْ بِهِمْ وَشَفَقَتُكُمْ عَلَيْهِمْ وَالْقِيَامُ بِمَا يُصْلِحُهُمْ ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يُرِيدُ الشُّغْلَ بِالدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فِي تَجَارَتِهِمْ، إِذْ بَاعُوا الْخَطِيرَ الْبَاقِي بِالْحَقِيرِ الْفَاقِي.

﴿مِنْ مَّا رَزَقْنَكُمْ﴾: «مِنْ» لِلتَّبَعِيضِ أَي: أَنْفَقُوا الْوَاجِبَ مِنْهُ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ فَيَرَى دَلَالَتَهُ وَيَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ الْإِنْفَاقُ، وَيَتَحَسَّرُ عَلَى الْمَنْعِ، وَيَفْقَدُ مَا كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنْهُ ﴿فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾ وَقُرِئَ: «أَخَّرْتَنِي»^(٣)، أَي:

(١) أسباب النزول للواحي: ص ٣٦٦ ح ٨٧٥ عن زيد بن أرقم.

(٢) أورده الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٤٣، والرازي في تفسيره الكبير: ج ٣٠ ص ١٧، وابن شهر آشوب في المناقب: ج ٤ ص ٩.

(٣) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٤٤.

هَلَّا أَخَّرْتَ مَوْتِي ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إِلَى زَمَانٍ قَلِيلٍ ﴿فَأَصْدَقَ﴾ فَأَتَصَدَّقَ، وَقُرِئَ: ﴿وَأَكُنْ﴾ عَطْفًا عَلَى مَحَلٍّ ﴿فَأَصْدَقَ﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّ أَخَّرْتَنِي أَصْدَقَ وَأَكُنْ. وَقُرِئَ: «وَأَكُون» ^(١) عَلَى اللَّفْظِ.

وعن ابن عباس: تَصَدَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ سُلْطَانُ الْمَوْتِ فَلَا يَقْبَلُ تَوْبَةً وَلَا يَنْفَعُ عَمَلٌ ^(٢). وَعَنْهُ: مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ لَهُ مَالٌ أَنْ يُزَكِّي، وَإِذَا أَطَاقَ الْحَجَّ أَنْ يَحُجَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ الْكَرَّةَ فَلَا يُعْطَاهَا ^(٣). وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي مَانِعِي الزَّكَاةِ ^(٤).

وَعَنِ الْحَسَنِ: مَا مِنْ أَحَدِكُمْ لَمْ يُزَكِّ وَلَمْ يَحُجَّ وَلَمْ يَصُمْ إِلَّا سَأَلَ رَبَّهُ الرَّجْعَةَ ^(٥).

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ﴾ نَفْيٌ لِلتَّأْخِيرِ عَلَى وَجْهِ التَّأْكِيدِ، وَالْمَعْنَى: إِذَا عَلِمْتُمْ أَنَّ تَأْخِيرَ الْمَوْتِ عَنْ وَقْتِهِ مِمَّا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، وَأَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِأَعْمَالِكُمْ، لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمُسَارَعَةُ إِلَى أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ. وَقُرِئَ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بِالْيَاءِ ^(٦) وَالتَّاءِ، فَالْتَّاءُ عَلَى عَوْدِ الضَّمِيرِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿نَفْسًا﴾ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ.



(١) قرأه أبو عمرو وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٣٧.

(٢) تفسير ابن عباس: ص ٤٧٣.

(٣) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ١١٠.

(٤) وهو قول ابن عباس. راجع البحر المحيط: ج ٨ ص ٢٧٤.

(٥) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٤٤.

(٦) وهي قراءة أبي بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٣٧.

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مُخْتَلَفٌ فِيهَا ^(١)، وَهِيَ ثَمَانِ عَشْرَةَ آيَةً.

وفي حديث أبي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ التَّغَابُنِ رُفِعَ عَنْهُ مَوْتُ الْفَجَاءَةِ» ^(٢)

وعن الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ التَّغَابُنِ فِي فَرِيضَتِهِ كَانَتْ شَفِيعَةً لَهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ، وَشَاهِدَ عَدْلٍ عِنْدَ مَنْ يُجِيزُ شَهَادَتَهَا، ثُمَّ لَا تُفَارِقُهُ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ

(١) كذا تبعاً للكشاف. وقال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ١٧: مدنيّة بلاخلاف في قول ابن عباس وعطاء والضحاك، وهي ثمان عشرة آية بلاخلاف.

وفي الكشاف: ج ٤ ص ٥٤٥: مختلف فيها، وهي ثمان عشرة آية، نزلت بعد التحريم. وفي تفسير القرطبي: ج ١٨ ص ١٣١: مدنيّة في قول الاكثرين، وقال الضحاك: مكّية، وقال الكلبي: هي مكّية ومدنيّة، وعن ابن عباس أنّها نزلت بمكة إلا آيات من آخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي شكّا رسول الله ﷺ جفاء أهله وولده فأُنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ الى آخر السورة.

(٢) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٥١.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٦.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠) ﴿

﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ على الحقيقة دون غيره لأنه مبدئ كل شيء ومُبدِعه، والمُهَيِّمُ عليه ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ دون غيره لأنَّ أصول النعم وفروعها منه ^(١)، وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحمدٌ غيره اعتدادٌ بأنَّ نعمة الله جرت على يده.

﴿فَمِنْكُمْ﴾ آتٍ بالكفر وفاعلٌ له ﴿وَمِنْكُمْ﴾ آتٍ بالإيمان وفاعلٌ له ﴿وَاللَّهُ... بَصِيرٌ﴾ بكفركم وإيمانكم اللذين هما من جملة أعمالكم. والمعنى: هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الإيجاد عن العدم، فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح فتكونوا مؤمنين موحدين، فما فعلتم ذلك مع تمكينكم، بل تفرقتُم أمّا ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾، وقدَّم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم.

(١) في نسخة زيادة: «دون غيره».

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالغرض الصحيح والحكمة البالغة ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ بأن جعلكم أحسن الحيوان وأبهاء، بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن يكون صورته على صورة جنس آخر من الحيوان.

نَبَّهَ سُبْحَانَهُ بِعِلْمِهِ ﴿مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم بعلمه ما يسره العباد وما يعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور أن شيئاً من الكليات والجزئيات لا يغرب^(١) عن علمه ولا يخفى عليه، فحَقُّهُ أَنْ يُتَّقَى وَيُحْذَرَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ خطاب للكفار. و ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا، وما أعدّه الله لهم من عذاب الآخرة ﴿بِأَنَّهُ﴾ بأن الشأن والحديث ﴿كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، ﴿أَبَشَّرُ يَهْدُونَنَا﴾ أنكروا أن يكون الرسل بشراً، وَلَمْ يُنْكِرُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ^(٢) حَجَرًا. و «البشر» يقع على الواحد والجمع ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٣)، ﴿وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ أطلق اللفظ ليشاؤ كل شيء، ومن جملته: إيمانهم... وطاعتهم، والمراد: وظهر استغناء الله حيث لم يضطرهم إلى الإيمان مع قدرته على ذلك.

الرَّعْمُ: ادّعاء العلم. وفي الحديث: «زَعَمُوا» مَطِيَّةُ الكَذِبِ^(٤). ﴿أَنْ لَنْ يُنْعَثُوا﴾ أنهم لن يُنْعَثُوا، أو: سَدَّ مَسَدَ مَفْعُولِي ﴿زَعَمَ﴾، ﴿بَلَى﴾ إثبات لما بعد ﴿لَنْ﴾ وهو البعث ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لا يصرفه عنه صارف. ﴿وَالنُّورُ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ هو القرآن. وقرئ: «نَجْمُكُمْ»^(٥)، و «نُكْفَرُ عَنْهُ».

(١) في نسخة: «لا يغرب». (٢) في نسخة: «الإله».

(٣) يس: ١٥.

(٤) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٤٨ مرسلًا.

(٥) بالنون هي قراءة يعقوب وحده. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٧٢٢.

«وَنُذِخْهُ» بالياء والنون^(١)، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ ظَرَفٌ لِقَوْلِهِ: ﴿لَتُسَبَّؤُنَّ﴾ أو: ﴿خَبِيرٌ﴾ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْوَعِيدِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَاللَّهِ مُعَاقِبُكُمْ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ ﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ لِيَوْمٍ يُجْمَعُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، و ﴿التَّغَابُنُ﴾ مُسْتَعَارٌ مِنْ: تَغَابَنَ الْقَوْمُ فِي التَّجَارَةِ، وَهُوَ أَنْ يَغْبِنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وعن النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ لِيَزِدَّادَ شُكْرًا، وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لِيَزِدَّادَ حَسْرَةً»^(٢).

وهو من معنى ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ فَيُظْهِرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْغَابِئُ وَالْمَغْبُوءُ، فَالتَّغَابُنُ فِيهِ هُوَ التَّغَابُنُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا التَّغَابُنُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَإِنْ عَظُمَتْ وَجَلَّتْ ﴿صَلِحًا﴾ صِفَةٌ لِلْمُضْذَرِّ، أَي: عَمَلًا صَالِحًا.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣) يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)

(١) وبالنون قرأه نافع وابن عامر والمفضل عن عاصم. راجع المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح: ج ٢ ص ١٢٤. عن أبي هريرة.

﴿يَاذُنِ اللَّهِ﴾ بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيَّتِهِ، كَأَنَّهُ أَذِنَ لِلْمُصِيبَةِ أَنْ تُصِيبَهُ ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يَلْطَفُ بِهِ وَيُشْرَحُهُ لِلزُّدْيَادِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْخَيْرِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَهْدِ قَلْبَهُ لِلِاسْتِرْجَاعِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ ^(١). وَعَنْ مُجَاهِدٍ: إِنْ أَبْثَلِي صَبْرًا، وَإِنْ أُعْطِيَ شُكْرًا، وَإِنْ ظَلِمَ غَفَرَ ^(٢). وَعَنِ الضَّحَّاكِ: يَهْدِ قَلْبَهُ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ^(٣).

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ أَزْوَاجًا يُعَادِينَكُمْ وَيُخَاصِمُنْكُمْ، وَمِنْ أَوْلَادِكُمْ أَوْلَادًا يُعَادُونَكُمْ وَيَعْقُونَكُمْ﴾ فَاخْذَرُوهُمْ ﴿الضَّمِيرُ لِلْعَدُوِّ أَوْ لِلأَزْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ جَمِيعًا، أَيْ: فَكُونُوا مِنْهُمْ عَلَى حَذَرٍ وَلَا تَأْمَنُوا غَوَائِلَهُمْ وَشُرُورَهُمْ﴾ وَإِنْ تَغَفُّوا عَنْهُمْ إِذَا أَطْلَعْتُمْ مِنْهُمْ عَلَى عَدَاوَةٍ، وَتَتَجَاوَزُوا عَنْهُمْ، وَتَسْتَرُوا مَا فَرَطَ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ^(٤) أَيْ: بَلَاءٌ وَمِخْنَةٌ وَسَبَبٌ لَوْقُوعِكُمْ فِي الْجَرَائِمِ وَالْعِظَائِمِ، وَقِيلَ: إِذَا أَمَكَّنْكُمْ الْجِهَادَ وَالْهَجْرَةَ فَلَا يَفْتِنَنَّكُمُ الْمَيْلُ إِلَى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ^(٥). ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ جَهْدَكُمْ وَوُسْعَكُمْ، أَيْ: ابْذُلُوا فِيهَا جَهْدَكُمْ وَأَسْتَطَاعَتَكُمْ ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ مَا تُوعِظُونَ بِهِ ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فِيمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَتُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي تَجِبُ عَلَيْكُمُ النِّفَقَةُ فِيهَا ﴿خَيْرًا﴾ مَنْصُوبٌ بِمَحْذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: أَتُّوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ، أَيْ: أَفْعَلُوا مَا هُوَ خَيْرٌ لَهَا وَأَنْفَعُ. وَهَذَا

(١) تفسير ابن عباس: ص ٤٧٤.

(٢) حكاة الفراء في معاني القرآن: ج ٣ ص ١٦١.

(٣) حكاة عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٤٩.

(٤) روى النحاس عن ابن زيد عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يخطب فرأى الحسن والحسين يعبران (يعثران - خ) فنزل من على المنبر وضمهما إليه وتلا هذه الآية. إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس: ج ٤ ص ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٥) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ١٨٢.

تَأْكِيدٌ لِلْحَثِّ عَلَى أَمْتِثَالِ هَذِهِ الْأَوَامِرِ وَبَيَانٌ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ خَيْرٌ لِنَفْسِكُمْ مِنَ
 الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَمَا أَقْبَلْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ زَبَارِجِ الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا الْفَانِيَةِ.
 وَذِكْرُ الْقَرْضِ تَلَطُّفٌ فِي الْاسْتِدْعَاءِ ﴿يُضْعِفُهُ لَكُمْ﴾ يَكْتَبُ لَكُمْ بِالْوَاحِدِ عَشْرُ
 أَوْ ^(١) سَبْعُمِائَةٍ إِلَى مَا شَاءَ مِنَ الْأَضْعَافِ الْمُضَاعَفَةِ ﴿شُكُورٌ﴾ مُجَازٍ، أَيُّ: يَفْعَلُ بِكُمْ
 مَا يَفْعَلُهُ الْمُبَالِغُ فِي الشُّكْرِ مِنَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ وَالثَّوَابِ الْعَظِيمِ ﴿حَلِيمٌ﴾ لَا يُعَاجِلُ
 بِالْعُقُوبَةِ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِكُمْ.



(١) في بعض النسخ: «الْي» بدل «أَوْ».

سُورَةُ الطَّلَاقِ^(١)

مدنيّة^(٢)، وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً بَصْرِيٌّ، وَأَثْنَتَا عَشْرَةَ غَيْرُهُمْ، لَمْ يَعُدَّ البصريُّ: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(٣).

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الطَّلَاقِ مَاتَ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٤).
وَعَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الطَّلَاقِ وَالتَّحْرِيمِ فِي فَرَائِضِهِ أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِمَّنْ يَخَافُ أَوْ يَحْزَنُ، وَعُوفِيَ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِتِلَاوَتِهِ إِيَّاهُمَا وَمُحَافَظَتِهِ عَلَيْهِمَا، لِأَنَّهُمَا لِلنَّبِيِّ ﷺ»^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ

(١) فِي الْمَجْمَعِ: وَتَسْمَى سُورَةُ النِّسَاءِ الْقَصْرَى.

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٢٧: مَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٍ وَالضَّحَّاكِ وَغَيْرِهِمْ، وَهِيَ اثْنَتَا عَشْرَةَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ وَالْمَدَنِيِّينَ، وَعَشْرٌ فِي الْبَصْرِيِّ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٥٥١: مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ أَوْ اثْنَتَا عَشْرَةَ أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ آيَةً، نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِنْسَانِ. (٣) الْآيَةُ: ٢.

(٤) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٥٦١ مَرْسَلًا.

(٥) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٦.

وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا
تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا
الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)
وَالَّتِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥) ﴿

خَصَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالنِّدَاءِ، وَعَمَّ بِالْخِطَابِ كَمَا يُقَالُ لِلرَّئِيسِ الْمُتَقَدِّمِ فِي الْقَوْمِ:
يَا فُلَانُ افْعَلُوا كَذَا، إِظْهَارًا لِتَقَدُّمِهِ وَاعْتِبَارًا بِأَنَّهُ وَحْدُهُ فِي حُكْمِ جَمِيعِهِمْ، وَالْمَعْنَى:
إِذَا أَرَدْتُمْ تَطْلِيقَ النِّسَاءِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ ^(١)، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ
الْقُرْآنَ﴾ ^(٢) تَنْزِيلًا لِلْمُقْبِلِ عَلَى الْأَمْرِ مَنْزِلَةَ الشَّارِعِ فِيهِ ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أَي:
لِزَمَانِ عِدَّتِهِنَّ، وَالْمُرَادُ: أَنْ يُطْلَقْنَ فِي طَهْرٍ لَمْ يُجَامَعْنَ فِيهِ، وَهُوَ الطَّلَاقُ لِلْعِدَّةِ، لِأَنَّهَا
تَعْتَدُّ بِذَلِكَ الطُّهْرِ مِنْ عِدَّتِهَا، وَالْمَعْنَى: لِطَهْرِهِنَّ الَّذِي يُخَصِّصُهُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ، وَهُوَ
مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ ^(٣) وَأَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ^(٤). وَقِيلَ: إِنَّ الْمَعْنَى: فَطَلَّقُوهُنَّ مُسْتَقْبَلَاتٍ

(١) المائدة: ٦. (٢) الاسراء: ٤٥.

(٣) كتاب الأم للشافعي: ج ٥ ص ١٨٠، ومختصر المزني: ص ١٩١.

(٤) الخلاف للشيخ الطوسي: ج ٤ ص ٤٤٦ المسألة (٢)، الانتصار للشريف المرتضى: ص ١٣٢.

لِعِدَّتِهِنَّ، كَقَوْلِكَ: أَتَيْتُهُ لَلَّيْلَةِ خَلْتُ مِنَ الشَّهْرِ^(١)، فَتَكُونُ الْعِدَّةُ الْحَيْضَ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ^(٢) ﴿وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ﴾ وَأَضْبَطُوهَا بِالْعَدَدِ وَعُدُّوَهَا ثَلَاثَةَ أَقْرَاءٍ، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِإِخْصَاءِ الْعِدَّةِ لِأَنَّ لِلْمَرْأَةِ فِيهَا حَقًّا، وَهُوَ النَّفَقَةُ وَالسُّكْنَى، وَلِلزَّوْجِ فِيهَا حَقًّا وَهُوَ الْمُرَاجَعَةُ وَمَنْعُهَا مِنَ الْأَزْوَاجِ.

﴿وَلَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾ حَتَّى تَنْقَضِيَ عِدَّتُهُنَّ ﴿مِنْ يَبُوتِهِنَّ﴾ مِنْ مَسَاكِينِهِنَّ الَّتِي يَسْكُنُهَا^(٣) قَبْلَ الْعِدَّةِ، وَهِيَ يَبُوتُ الْأَزْوَاجِ، وَأُضِيفَتْ إِلَيْهِنَّ لِاخْتِصَاصِهَا بِهِنَّ مَن حَيْثُ السُّكْنَى ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ بِأَنْفُسِهِنَّ إِنْ أَرَدْنَ ذَلِكَ ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ قُرِئَ بِفَتْحِ الْيَاءِ^(٤) وَكَسْرِهَا، أَي: مُظْهَرَةٌ أَوْ ظَاهِرَةٌ، وَعَنِ الْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ: الْفَاحِشَةُ: الزَّنا^(٥)، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ الْبِذَاءُ عَلَى أَهْلِهَا^(٦)، وَرُويَ ذَلِكَ عَنْ أُمِّةِ الْهُدَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ^(٧). ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ وَهُوَ أَنْ يُغَيِّرَ رَأْيَ الزَّوْجِ وَيُوقِعَ فِي قَلْبِهِ أَنْ يُرَاجِعَهَا. وَالْمَعْنَى: فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ لِعَلَّكُمْ تَرْغَبُونَ فِيهِنَّ بَعْدَ الرَّغْبَةِ عَنْهُنَّ فَتُرَاجِعُونَ.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وَهُوَ آخِرُ الْعِدَّةِ وَشَارَفْنَهُ فَأَنْتُمْ بِالْخِيَارِ: فَرَاغُوهُنَّ إِنْ شِئْتُمْ وَأَمْسِكُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ إِنْ شِئْتُمْ بِتَرْكِ الرَّجْعَةِ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بَأَنْ تَتْرَكُوهُنَّ حَتَّى يَخْرُجْنَ مِنَ الْعِدَّةِ فِيهِنَّ مِنْكُمْ ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ وَالظَّاهِرُ يَقْتَضِي وَجُوبَ الْإِشْهَادِ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَصْحَابُنَا فِي

(١) قاله الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٥٢.

(٢) المبسوط للسرخسي: ج ٦ ص ٨. (٣) في بعض النسخ: «تسكنها».

(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي بكر عن عاصم. راجع العنوان في القراءات لابن خلف: ص ١٩٢.

(٥) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٣٥١، وتفسير مجاهد: ص ٦٦٣.

(٦) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٦ ص ٢٩ وزاد: والشافعي.

(٧) أنظر التبيان: ج ١٠ ص ٣١.

الطلاق^(١)، ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أي: لَوَجْهِ اللَّهِ لَا لِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ سِوَى إِقَامَةِ الْحَقِّ. ﴿ذَلِكُمْ﴾ الْأَمْرُ بِالْحَقِّ، أَوْ: الْحَثُّ عَلَى إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ، ﴿يُوعِظُ بِهِ﴾ الْمُؤْمِنُونَ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فَطَلَّقَ لِلسُّنَّةِ، وَأَحْتَاطَ فِي إِيقَاعِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ ﴿يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ مَخْرَجًا﴾ مِنْ كُلِّ هَمٍّ وَضِيقٍ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ فَتَكُونُ جُمْلَةً اعْتِرَاضِيَّةً مُؤَكِّدَةً لِمَا سَبَقَ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةً أَتَتْ بِهَا عَلَى سَبِيلِ الاسْتِطْرَادِ عِنْدَ ذِكْرِ قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ﴾ وَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْلَصًا مِنْ غُمُومِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ آيَةً لَوْ أَخَذَ النَّاسُ بِهَا لَكَفَتُهُمْ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فَمَا زَالَ يَفْرَأُهَا وَيُعِيدُهَا^(٢).

وَقُرِئَ: ﴿بَلِّغْ أَمْرَهُ﴾ بِالْإِضَافَةِ، وَ «بَالِغُ أَمْرِهِ» بِالنَّصْبِ^(٣)، أَي: يَبْلِغُ مَا يَرِيدُهُ، لَا يَفُوتُهُ مَرَادٌ وَلَا يَعْجِزُهُ مَطْلُوبٌ ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أَي: تَقْدِيرًا وَتَوَقُّيتًا، وَفِيهِ بَيَانٌ لَوْجُوبِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِتَقْدِيرِهِ وَتَوَقُّيْتِهِ لَمْ يَبْقَ إِلَّا التَّسْلِيمُ لَذَلِكَ وَالتَّفْوِيضُ إِلَيْهِ.

﴿وَاللَّيْ يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ﴾ فَلَا يَحِضُنَ ﴿إِنْ أَرْتَبْتُمْ﴾ فَلَا تَذَرُونَ، لِكِبَرِ ارْتِفَاعِ حَيْضُهُنَّ أَمْ لِعَارِضِ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ فَهَذِهِ عِدَّةُ الْمُرْتَابِ بِهَا، وَقُدِّرَ ذَلِكَ بِمَا دُونَ خَمْسِينَ سَنَةً وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤). ﴿وَاللَّيْ

(١) أنظر كتاب الخلاف للشيخ الطوسي: ج ٤ ص ٤٥٣ المسألة (٥)، وقال: وخالف جميع الفقهاء في ذلك، ولم يعتبر أحد منهم الشهادة.

(٢) أخرجه ابن ماجة في السنن: ج ٢ ص ١٤١١ ح ٤٢٢٠ عن أبي ذرٍّ. وفيه: «لأعرف» بدل «لأعلم».

(٣) وهي قراءة الجمهور إلا عاصمًا. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٦٣٩.

(٤) وهو ما رواه عبدالرحمن بن الحجاج عن الصادق عليه السلام قال: ثلاث يتزوجن على كل ←

لَمْ يَحِضْنَ ﴿ أَي: لَمْ يَبْلُغْنَ الْمَحِيضَ مِنَ الصَّغَائِرِ، والمعنى: إِنْ أَرْتَبْتُمْ أَيْضاً فِي أَنْ مِثْلَهَا تَحِيضٌ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، فَحُذِفَ لِدَلَالَةِ الْمَذْكُورِ قَبْلُ عَلَيْهِ، وَقُدِّرَ ذَلِكَ بِتِسْعِ سِنِينَ فَمَا زَادَ ^(١).

﴿وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وعن ابن عباس: هي في الْمُطَلَّقاتِ خَاصَّةٌ ^(٢)، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام ^(٣). فَأَمَّا الْمَتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا إِذَا كَانَتْ حَامِلاً فَعِدَّتُهُنَّ أَبْعَدُ الْأَجَلَيْنِ ^(٤)، فَإِنْ مَضَتْ بِهَا أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٍ وَلَمْ تَضَعْ أَتَنَظَّرَتْ وَضَعَ الْحَمْلِ ﴿يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ أَي: يَتَيَسَّرُ عَلَيْهِ أُمُورُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِسَبَبِ التَّقْوَى.

﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يُرِيدُ: مَا عَلَّمَ مِنْ حُكْمِ الْمُعْتَدَّاتِ، والمعنى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ في الْعَمَلِ بِمَا ﴿أَنْزَلَهُ﴾ من الْأَحْكَامِ فِي الطَّلَاقِ وَالرَّجْعَةِ وَالْعِدَّةِ، وَحَافِظَ عَلَى الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْكَانِ وَالنَّفَقَةِ وَتَرْكِ الضَّرَارِ ﴿يُكَفِّرْ﴾ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا ﴿فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ ثَوَابُ الْجَنَّةِ.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ

→ حال... (الى أن قال): والتي قد يئست من المحيض ومثلها لا تحيض، قلت: وما حدها؟ قال:

إذا كان لها خمسون سنة. أنظر تهذيب الأحكام: ج ٨ ص ١٣٧ ح ٤٧٨.

(١) أنظر موثقة عبدالرحمن المتقدمة في التهذيب.

(٢) حكاها عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٣٤.

(٣) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ١٣٥ باسناده عن الشعبي عن علي عليه السلام، وما رواه

عبدالله بن سنان عن الصادق عليه السلام في الرجل يطلق امرأته وهي حبلى، قال: أجلها أن تضع

حملها. أنظر تهذيب الأحكام: ج ٨ ص ١٣٤ ح ٤٦٤.

(٤) اي: أجل وضع الحمل وأجل الأربعة أشهر وعشرة أيام.

فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَىٰ (٦) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ، وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ، فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا تُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴿

بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ كَيْفَ يُعْمَلُ بِالتَّقْوَىٰ فِي أَمْرِ الْمُعْتَدَاتِ فَقَالَ: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أَي: بَعْضُ مَكَانٍ سَكَنْتُمْ كَمَا قَالَ: ﴿يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ^(١) أَي: بَعْضُ أَبْصَارِهِمْ، وَعَنْ قَتَادَةَ: إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا بَيْتٌ وَاحِدٌ أَسْكَنَهَا فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ ^(٢) ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ لِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ وَتَفْسِيرُ لَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَسْكِنُوهُنَّ مَكَانًا مِنْ مَسْكِنِكُمْ مِمَّا يُطِيقُونَهُ، وَالْوَجْدُ: الْوُسْعُ وَالطَّاقَةُ.

وَالسُّكْنَى وَالنَّفَقَةُ وَاجِبَتَانِ لِلْمُطَلَّاقَةِ الرَّجْعِيَّةِ بِإِخْلَافٍ، وَعِنْدَنَا: أَنَّ الْمَبْتُوتَةَ ^(٣)

(١) النور: ٣٠.

(٢) حكاه عنه السيوطي في الدر المنثور: ج ٨ ص ٢٠٧ وعزاه الى عبد بن حميد.

(٣) البت: القطع، يقال: لا أفعله بنةً وألبنه، لكل أمرٍ لا رجعة فيه، وكذلك: طلقها ثلاثاً بنةً.

(الصاحح: مادة بتت).

لَا سُكْنَىٰ لَهَا وَلَا نَفَقَةٌ^(١)، وَحَدِيثُ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ زَوْجَهَا بَتَّ طَلَقَهَا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا سُكْنَىٰ لَكَ وَلَا نَفَقَةٌ»^(٢) يَدُلُّ عَلَيْهِ.

﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ﴾ وَلَا تُدْخِلُوا الضَّرَرَ عَلَيْهِنَّ بِالتَّقْصِيرِ فِي السُّكْنَى وَالنَّفَقَةِ، ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ حَتَّى تَضْطَرُّوهُنَّ إِلَى الْخُرُوجِ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يُرَاجِعَهَا إِذَا بَقِيَ مِنْ عِدَّتِهَا يَوْمَانِ لِيُضَيِّقَ عَلَيْهَا أَمْرَهَا^(٣). ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ﴾ أَي: حَوَامِلَ، ﴿فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ سَوَاءٌ كُنَّ رَجَعِيَّاتٍ أَوْ مَبْتُوثَاتٍ ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ يَعْنِي: هُوَلاءِ الْمُطَلَّقَاتِ إِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ وَلَدًا مِنْهُنَّ أَوْ مِنْ غَيْرِهِنَّ بَعْدَ انْقِطَاعِ عِصْمَةِ الزَّوْجِيَّةِ ﴿فَاتَّوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ فَأَعْطُوهُنَّ أَجْرَةَ الرِّضَاعِ، ﴿وَأُتِمِّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ يُقَالُ: ائْتَمَرَ الْقَوْمُ وَتَأَمَرُوا: إِذَا أَمَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَالْمَعْنَى: وَلْيَأْمُرْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَالْخِطَابُ لِلآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بِجَمِيلٍ فِي إِرْضَاعِ الْوَلَدِ، وَهُوَ: الْمُسَامَحَةُ، وَأَنْ لَا يُمَآكِسُ^(٤) الْآبُ، وَلَا تُعَاسِرُ الْأُمُّ، لِأَنَّهُ وَلَدُهُمَا مَعًا، وَهُمَا شَرِيكَانِ فِيهِ. ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُم فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾ أَي: الْآبُ، أَي: سَيَجِدُ الْآبُ مُرْضِعَةً غَيْرَ مُعَاسِرَةٍ تَرْضِعُ لَهُ وَلَدَهُ إِنْ عَاسَرَتْهُ أُمُّهُ.

﴿لِيُنْفِقَ﴾ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُوَسِّرِ وَالْمُعْسِرِ مَا بَلَغَهُ وَشَعُهُ، يُرِيدُ: مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْإِتِّفَاقِ عَلَى الْمُطَلَّقَاتِ وَالْمُرْضِعَاتِ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ﴾^(٥)، ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ هَذَا مَوْعِدٌ لِفُقَرَاءِ

(١) لرواية عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن المطلقة ثلاثاً على السنة هل لها سكنى أو نفقة؟ قال: «لا» انظر الكافي: ج ٦ ص ١٠٤ باب المطلقة ثلاثاً لا سكنى لها ولا نفقة.

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن: ج ١ ص ٦٥٦ ح ٢٠٣٦ عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس.

(٣) قاله أبو الضحى. راجع تفسير القرطبي: ج ١٨ ص ١٦٨.

(٤) المكس: النقص، وانتقاص الثمن وأستحطاطه والمنازعة في المعاملة. (لسان العرب).

(٥) البقرة: ٢٣٦.

ذلك الوقتِ بفتح أبواب الرِّزْقِ عليهم، أو: لِفُقراءِ الأزواجِ إنْ أنفقُوا مَا قَدَرُوا عليه ولمْ يُقَصِّروا.

﴿وَكَايْنِ﴾ أي: وكم من أهلٍ ﴿قَزِيَّةٍ﴾ أَعْرَضُوا ﴿عَنْ أَمْرِ﴾ رَبِّهِمْ عُنُوتًا وَعِنَادًا، وجَاوَزُوا الحَدَّ في المخالفةِ ﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالاستقصاءِ والمناقشةِ ﴿عَذَابًا تُكْرَأُ﴾ أي: مُنْكَرًا عَظِيمًا. والمُرَادُ: حِسَابُ الآخِرَةِ وَعَذَابُهَا وما يَذُوقُونَ فيها من الوَبَالِ، ويلتَقُونَ من الخُسْرانِ، وَجِيءَ بِهِ على لَفْظِ المَاضِي كَقَوْلِهِ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ... وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(١) ونحو ذلك، لأنَّ ما هو كائِنْ فَكَانَ.

قَدْ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تَكْرِيرٌ لِلتَّوْعِيدِ، وَبَيَانٌ لَكُونِهِ مُتَرَقِّبًا، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ إِخْصَاءُ السَّيِّئَاتِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وهو إثباتُها في صَحَائِفِ أَعْمَالِهِمْ، وإِعْدَادُ العَذَابِ الشَّدِيدِ^(٢) لَهُمْ فِي الآخِرَةِ، وَأَنْ يَكُونَ ﴿عَتَثَ﴾ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ صِفَةً لِلْقَزِيَّةِ، و ﴿أَعَدَّ اللَّهُ﴾ جَوَابٌ لـ ﴿كَأَيِّنْ﴾.

﴿رَسُولًا﴾ هو جبرئيلُ عليه السلام، أُبْدِلَ مِنْ ﴿ذِكْرًا﴾ لِأَنَّهُ وَصِفَ بِتِلَاوَةِ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ أَسْمُهُ، فَكَانَ إِنْزَالُهُ فِي مَعْنَى إِنْزَالِ الذِّكْرِ، فَلِذَلِكَ صَحَّ إِبْدَالُهُ مِنْهُ، أَوْ: أُرِيدَ بِالذِّكْرِ الشَّرَفُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^(٣)، فَأُبْدِلَ مِنْهُ، كَأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ شَرَفٌ، إِمَّا لِأَنَّهُ شَرَفٌ لِلْمُنْزَلِ عَلَيْهِ وَإِمَّا لِأَنَّهُ ذُو شَرَفٍ وَمَجْدٍ عِنْدَ اللَّهِ، أَوْ: أُرِيدَ: ذَا ذِكْرٍ، أَي: مَلَكًا مَذْكُورًا فِي الْأُمَمِ، أَوْ: دَلَّ قَوْلُهُ: ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ على: أَرْسَلَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَرْسَلَ رَسُولًا، أَوْ: أَعْمَلَ ﴿ذِكْرًا﴾ فِي ﴿رَسُولًا﴾^(٤) أَي: أَنْزَلَ اللَّهُ أَنْ ذَكَرَ رَسُولًا أَوْ: ذَكَرَهُ رَسُولًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ: ﴿رَسُولًا﴾

(١) الأعراف: ٤٤ و ٥٠.

(٢) في نسخة: «الشدائد» بدل «العذاب الشديد».

(٣) الزخرف: ٤٤.

(٤) أي: إعمال المصدر في المفاعيل. كذا في الكشف.

مُحَمَّدًا ﷺ ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بَعْدَ إِنْزَالِهِ لَأَنَّهُمْ كَانُوا وَقْتَ الْإِنْزَالِ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا آمَنُوا وَأَصْلَحُوا بَعْدَ الْإِنْزَالِ وَالتَّبْلِيغِ، أَوْ: لِيُخْرِجَ الَّذِينَ عَرَفَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَوْمُنُونَ، وَقُرِئَ: ﴿يُدْخِلُهُ﴾ بِالْيَاءِ وَالتَّوْنِ ^(١) ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ وَالتَّعْظِيمِ لِمَا يَرْزُقُ الْمُؤْمِنَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾ مَبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَ ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾، قَالُوا: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْضِينَ سَبْعٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ ^(٢). ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أَي: يَجْرِي أَمْرُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ بَيْنَهُنَّ، وَيُدَبِّرُ تَدِيرَاتِهِ فِيهِنَّ، ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ بِالتَّدِيرِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي أَنْشَأَهُمَا وَأَوْجَدَهُمَا ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لِكُونِهِ قَادِرًا لِدَاتِهِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ لِكُونِهِ عَالِمًا لِدَاتِهِ.



(١) وبالنون قرأه نافع وابن عامر والمفضل عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٣٩.

(٢) وممن قاله: ابن مسعود والربيع بن أنس ومجاهد وقتادة، ورووه عن النبي ﷺ. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ١٤٥ - ١٤٦.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

مدنيّة^(١)، وهي اثنتا عشرة آية.

في حديث أبي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ التَّحْرِيمِ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَوْبَةً نُّصُوحاً».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ
وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا
نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ
قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ
صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلَحُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ
أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَةً مُؤْمِنَةً قَلْبَتْكِ تَبَيَّنَتْ عِلْدَاتٍ سَتِ احْتِ

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٤٣: مدنيّة في قول ابن عباس والضحاك وغيرهما، وهي اثنتا عشرة آيةً بخلاف .

وفي الكشف: ج ٤ ص ٥٦٢: مدنيّة، وتسمّى سورة النبي ﷺ وهي اثنتا عشرة آيةً، نزلت بعد الحجرات .

ثَبَّتَ وَأَبْكَارًا (٥) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) ﴿

رُوي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَلَا بِمَارِيَةَ فِي يَوْمٍ عَائِشَةَ، وَعَلِمَتْ بِذَلِكَ حَفْصَةُ فَقَالَ لَهَا: «أَكْتُمِي عَلَيَّ وَقَدْ حَرَّمْتُ مَارِيَةَ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ يَمْلِكُ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَأَرْضَاهَا بِذَلِكَ وَأَسْتَكْتَمَهَا، فَلَمْ تَكْتُمْ وَأَعْلَمَتْ عَائِشَةَ الْخَبَرَ، وَحَدَّثَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَبَاهَا بِذَلِكَ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، فَطَلَّقَهَا (١) وَأَعْتَزَلَ نِسَاءَهُ، وَمَكَثَ تِسْعًا وَعَشْرِينَ لَيْلَةً فِي بَيْتِ مَارِيَةَ (٢).

وَرُوي: أَنَّهُ ﷺ شَرِبَ عَسَلًا فِي بَيْتِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَتَوَاطَأَتْ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ فَقَالَتَا لَهُ: إِنَّا نَشْمُ مِنْكَ رِيحَ الْمَغَافِيرِ. وَكَانَ يَكْرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّفْلَ، وَحَرَّمَ الْعَسَلَ (٣).

وَالْمَعْنَى: ﴿لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ مِنْ مَلِكِ الْيَمِينِ، أَوْ مِنَ الْعَسَلِ ﴿تَبْتَغِي﴾ حَالٌ مِنْ ﴿تُحَرِّمُ﴾، أَوْ: تَفْسِيرٌ لَهُ، أَوْ: اسْتِثْنَاءٌ، أَيْ: تَطْلُبُ بِهِ رِضَاءَ نِسَائِكَ وَهُنَّ أَحَقُّ بِطَلَبِ مَرْضَاتِكَ مِنْكَ، وَلَيْسَ هَذَا بِزَلَّةٍ مِنْهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ كَمَا زَعَمَهُ جَارُ اللَّهِ (٤)، لِأَنَّ تَحْرِيمَ الْإِنْسَانِ بَعْضَ الْمَلَاذِّ بِنَفْسِهِ بِسَبَبٍ أَوْ غَيْرِ سَبَبٍ لَيْسَ بِقَبِيحٍ وَلَا زَلَّةٍ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ عُوتِبَ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ تَرْكَاءً لِلأُولَى

(١) أي: طَلَّقَ حَفْصَةَ.

(٢) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ١٤٨ و ١٤٩ عن ابن عباس من عدة طرق.

(٣) أخرجه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٦٣، ونحوه رواه البخاري في الصحيح: ج ٧ ص ٥٦ عن عائشة. والمغافير واحدتها مغفورة: وهي بقلة متغيرة الرائحة فيها حلاوة.

(٤) في الكشاف: ج ٤ ص ٥٦٤ قال: وكان هذا زلة منه! لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله!!

والأَفْضَلُ، وَيَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ لِتَارِكِ النَّفْلِ: لِمَ لَمْ تَفْعَلْهُ؟

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ أي: شَرَعَ لَكُمْ تَحْلِيلَ أَيْمَانِكُمْ بِالْكَفَّارَةِ،

وَعَنْ مُقَاتِلٍ: أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يُكْفِّرَ عَنْ يَمِينِهِ وَيُرَاجِعَ وَلِيدَتَهُ، فَأَعْتَقَ رَقَبَةً وَعَادَ إِلَى

مَارِيَةَ^(١)، وَعَنِ الْحَسَنِ: أَنَّهُ لَمْ يُكْفِّرْ وَإِنَّمَا هُوَ تَعْلِيمٌ لِلْمُؤْمِنِينَ^(٢).

وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يَمُوتُ لِمُؤْمِنٍ ثَلَاثَةٌ أَوْلَادٍ فَتَمُسُّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ»^(٣).

وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْقِلَّةِ، كَقَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ:

قَلِيلًا كَتَجْلِيلِ الْأُلِيِّ^(٤)

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: شَرَعَ لَكُمْ الْإِسْتِثْنَاءَ مِنْ قَوْلِهِمْ: حَلَّلَ فُلَانٌ عَنْ يَمِينِهِ إِذَا أَسْتَشْنَى

فِيهَا، وَذَلِكَ أَنْ يَقُولَ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» عَقِيْبُهَا حَتَّى لَا يَخْنُثَ^(٥). ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾

سَيِّدُكُمْ وَمُتَوَلَّى أُمُورِكُمْ ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بِمَصَالِحِكُمْ ﴿الْحَكِيمُ﴾ يَشْرَعُ لَكُمْ مَا

تُوجِبُهُ الْحِكْمَةُ، وَقِيلَ: ﴿مَوْلَاكُمْ﴾ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، فَكَانَتْ نَصِيحَتُهُ أَفْعَ لَكُمْ

مِنْ نَصَائِحِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ^(٦).

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ وَهِيَ حَفْصَةُ ﴿حَدِيثًا﴾ أَي: كَلَامًا أَمَرَهَا

بِإخْفَائِهِ ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ وَأَفْشَتْهُ وَأَخْبَرَتْ غَيْرَهَا بِهِ ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وَأَطْلَعَ

اللَّهُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِفْشَاءِ الْحَدِيثِ بِالْوَحْيِ ﴿عَرَفَ﴾ النَّبِيُّ ﷺ حَفْصَةَ، أَي:

أَعْلَمَهَا بَعْضَ الْحَدِيثِ، يَعْنِي: بَعْضَ مَا أَطْلَعَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾

(١) حكاه عنه الرازي في تفسيره الكبير: ج ٣٠ ص ٤٤.

(٢) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٤٦.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح: ج ٤ ص ٢٠٢٨ ح ٢٦٣٢ وما بعده عن أبي هريرة، وفيه: بدل «للمؤمن» «لأحد من المسلمين».

(٤) لم نجده في ديوان ذي الرمة المطبوع في بيروت.

(٥) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٦٤.

(٦) قاله الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٤٦.

منه وَصَفَحَ عَنْهُ، أَوْ: عَنْ بَعْضِ مَا جَرَى مِنَ الْأَمْرِ فَلَمْ يُخْبِرْهَا بِهِ تَكْرُمًا، قَالَ سُفْيَانُ: مَا زَالَ التَّعَافُلُ مِنْ فِعْلِ الْكِرَامِ^(١). وَقُرِئَ: «عَرَفَ» بِالتَّخْفِيفِ^(٢)، أَي: جَازَى عَلَيْهِ، مِنْ قَوْلِكَ لِلْمُسِيِّ: لَا عَرِفَنَّ لَكَ ذَلِكَ، وَ: قَدْ عَرَفْتُ مَا صَنَعْتَ، ﴿أَوَّلِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٣)، وَكَانَ جَزَاؤُهُ تَطْلِيقَهُ إِيَّاهَا ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا﴾ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿قَالَتْ﴾ حَفْصَةُ ﴿مَنْ﴾ أَخْبَرَكَ بِ﴿هَذَا﴾؟ ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ خِطَابٌ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ^(٤) عَلَى طَرِيقِ الْإِلْتِفَاتِ لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي مُعَاتَبَتَيْهِمَا ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ فَقَدْ وَجَدَ مِنْكُمَا مَا يُوجِبُ التَّوْبَةَ، وَهُوَ مِثْلُ قُلُوبِكُمَا عَنِ الْوَاجِبِ فِي مُخَالَصَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ حُبِّ مَا يَحِبُّهُ وَكَرَاهَةِ مَا يَكْرَهُهُ.

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ مِمَّا هَمَمْتُمَا مِنَ السُّمِّ ﴿فَقَدْ﴾ زَاغَتْ ﴿قُلُوبُكُمَا﴾^(٥).

وَقُرِئَ: ﴿تَظَاهَرَا﴾ وَ ﴿تَظَاهَرَا﴾ بِالتَّشْدِيدِ^(٦) وَالتَّخْفِيفِ، وَالْأَصْلُ: إِنْ تَتَظَاهَرَا، فَخُفَّفَ بِالِادْغَامِ وَبِالْحَذْفِ، أَي: وَإِنْ تَتَعَاوَنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْإِيْدَاءِ وَبِمَا يَسُوءُ فَلَمْ يَغْدُمْ هُوَ ﷺ مَنْ يُظَاهِرُهُ، وَكَيْفَ يَغْدُمُ الْمُظَاهِرُ مَنْ اللَّهُ ﴿مَوْلَاهُ﴾ أَي: وَلِيُّهُ وَالْمَتَوَلَّى حِفْظُهُ وَنُصْرَتُهُ، وَزِيَادَةُ ﴿هُوَ﴾ تُؤْذِنُ بِأَنَّ نُصْرَتَهُ

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٦٥.

(٢) وهي قراءة الكسائي وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٤٠.

(٣) النساء: ٦٣.

(٤) لا اختلاف في أنهما عائشة وحفصة ابنتا أبي بكر وعمر، فانظر الروايات المسندة إلى عمر نفسه حين سأله ابن عباس عن المتظاهرتين على رسول الله ﷺ في تفسير الطبري: ج ١٢ ص ١٥٣.

(٥) تفسير علي بن ابراهيم القمي: ج ٢ ص ٣٩٣.

(٦) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ١٦٣.

عزيمَةٌ من عَزَائِمِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ يَتَوَلَّى ذَلِكَ بِذَاتِهِ وَجَبْرَائِيلُ: رَأْسُ الْكَرُوبِيِّينَ^(١)، وَقُرْنِ ذِكْرُهُ بِذِكْرِهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِظْهَارًا لِمَكَاتِبِهِ عِنْدَهُ، ﴿وَصَلَحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَمَنْ صَلَحَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: مَنْ بَرِيَ مِنْهُمْ مِنَ النَّفَاقِ^(٢)، وَعَنْ قَتَادَةَ: الْأَثْقِيَاءُ^(٣). وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا أُرِيدَ بِهِ الْجَمْعُ، كَمَا يُقَالُ: لَا يَفْعَلُ هَذَا الصَّالِحُ مِنَ النَّاسِ، يُرَادُ الْجِنْسُ، أَي: مَنْ صَلَحَ مِنْهُمْ^(٤). وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ: «صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» بِالْوَاوِ، فَكُتِبَ بِغَيْرِ وَاوٍ عَلَى اللَّفْظِ^(٥).

وَرُويَ مِنْ طَرِيقِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»^(٦).

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ عَلَى تَكَاثُرِ عَدَدِهِمْ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بَعْدَ نُصْرَةِ اللَّهِ وَجَبْرِيلَ وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ظَهِيرٌ﴾ فَوْجٌ مُظَاهِرٌ لَهُ، كَأَنَّهُمْ يَدُّ وَاحِدَةً عَلَى مَنْ يُعَادِيهِ وَيُخَالِفُهُ، فَمَا يَبْلُغُ تَظَاهُرُ أَمْرَاتَيْنِ عَلَى مَنْ هُوَ لَاءِ ظَهْرَاؤُهُ؟! وَقَرَأَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَإِنْ تَظَاهَرُوا عَلَيْهِ».

(١) الْكَرُوبِيُّونَ: هُمْ سَادَةُ الْمَلَائِكَةِ مِنْهُمْ جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَاسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ، وَقِيلَ: أَقْرَبَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ. (لسان العرب).

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٦٦.

(٣) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٤٨.

(٤) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ١٩٣.

(٥) قاله أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني. راجع التبيان: ج ١٠ ص ٤٨.

(٦) فمن العامة - على سبيل المثال لا الحصر - أنظر: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج ٢

ص ٣٤١ وما بعده من طرق وأسانيد متعددة: وتفسير ابن أبي حاتم كما رواه عنه السيوطي

في مسند علي: ص ٣١٣ ح ١١٥٠، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص ١٣٧ ب ٣٠،

والصواعق المحرقة لابن حجر: ص ١٤٤، وفضائل الخمسة: ج ١ ص ٢٧١، والثعلبي في

تفسيره: ج ٤ ص ٢٦٩ (مخطوط). وابن كثير في تفسيره: ج ٤ ص ٣٩٠ عن مجاهد. ومن

الخاصة أنظر: تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٩٣، والتبيان: ج ١٠ ص ٤٨.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ يَا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ﴾ بِالتَّشْدِيدِ ^(١) وَالتَّخْفِيفِ
﴿أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُمْ﴾ مَوْصُوفَاتٍ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ: الْإِسْتِسْلَامِ لِأَمْرِ اللَّهِ،
والتَّصَدِيقِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَالْقِيَامِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي طَاعَةِ رَسُولِهِ، وَالرَّجُوعِ إِلَى أَمْرِهِ
والتَّذَلُّلِ لَهُ ﴿سَتِخْتِ﴾ صَائِمَاتٍ، وَقِيلَ: مُهَاجِرَاتٍ ^(٢)، وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: لَمْ
يَكُنْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ سِيَاحَةٌ إِلَّا الْهَجْرَةُ ^(٣). وَقِيلَ: مَاضِيَاتٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ ^(٤). وَوَسَّطَ بَيْنَ «الْتِّيَّاتِ» وَ«الْأَبْكَارِ» بِالْوَاوِ لِأَنَّهُمَا صِفَتَانِ مُتَنَافِيَتَانِ،
لَا يَجْتَمِعْنَ فِيهِمَا اجْتِمَاعُهُنَّ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ.

﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بِتَرْكِ الْمَعَاصِي وَفِعْلِ الطَّاعَاتِ ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بِأَنْ تَأْخُذُوهُمْ
بِمَا تَأْخُذُونَ بِهِ أَنْفُسُكُمْ، وَعَنْ مُقَاتِلٍ: هُوَ أَنْ يُوَدِّبَ الْمَرْءُ أَهْلَهُ وَخَدَمَهُ، فَيُعَلِّمَهُمُ
الْخَيْرَ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الشَّرِّ ^(٥)، وَذَلِكَ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَالَ: يَا أَهْلَاهُ صَلَّاتُكُمْ، صِيَامُكُمْ، زَكَاتُكُمْ،
مَسْكِينُكُمْ، وَيَتِيمُكُمْ، جِيرَانُكُمْ، لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُهُمْ مَعَهُ فِي الْجَنَّةِ» ^(٦).

﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ نَوْعًا مِنَ النَّارِ لَا تَنْقَدُ إِلَّا بِالنَّاسِ وَالْحِجَارَةِ
كَمَا يَنْقَدُ غَيْرُهَا مِنْ أَنْوَاعِ النَّيِّرَانِ بِالْحَطَبِ. ﴿عَلَيْهَا﴾ أَي: يَلِي أَمْرَهَا ﴿مَلَأَتْكُمْ
غِلَاطٌ شِدَادٌ﴾ فِي أَجْرَامِهِمْ غِلْظَةٌ وَشِدَّةٌ، أَي: جَفَاءٌ وَقُوَّةٌ، أَوْ: فِي أَفْعَالِهِمْ جَفَاءٌ
وَحُسُونَةٌ، لَا تَأْخُذُهُمْ رَأْفَةٌ فِي الْغَضَبِ لِلَّهِ وَرَأْفَةٌ ^(٧) لِأَهْلِ النَّارِ، وَهُمْ الزَّبَانِيَةُ التَّسْعَةُ

(١) قرأه نافع وأبو عمرو. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٥١٤.

(٢) قاله زيد بن أسلم والجبائي. راجع التبيان: ج ١٠ ص ٤٩.

(٣) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٦ ص ٤٢.

(٤) وهو قول الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٤٩.

(٥) حكاه عنه الرازي في تفسير الكبير: ج ٣٠ ص ٤٦.

(٦) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٦٨ مرسلاً.

(٧) في نسخة: «ورحمة» بدل «ورأفة».

عَشْر^(١). ﴿مَا أَمَرَهُمْ﴾ فِي مَحَلٍّ نَضِبَ عَلَى الْبَدَلِ، أَي: لَا يَعْصُونَ أَمْرَ اللَّهِ، أَوْ: مَعْنَاهُ: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ. وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ يَتَقَبَّلُونَ أَوْامِرَهُ وَيَلْتَزِمُونَهَا، وَالْمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّهُمْ يُؤَدُّونَ مَا يُؤَمَّرُونَ بِهِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ فِي الْآيَةِ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالْإِسْنَتِهِمْ وَهُمْ الْمَنَافِقُونَ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ أَسْمُهُ جَعَلَ هَذِهِ النَّارَ الْمَوْصُوفَةَ بِأَنَّ وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ مُعَدَّةٌ لِلْكَافِرِينَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ التَّنْزِيلِ^(٢)، وَيَعْضُدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى عَلَى أَثَرِهِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ أَي: يَقَالُ لَهُمْ عِنْدَ دُخُولِهِمِ النَّارَ: لَا تَعْتَذِرُوا، لِأَنَّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ، أَوْ: لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمُ الْعُذْرُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٨) يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ، وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) ﴿

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ المَدَّثَرُ:

(٢) الآية: ٢٤ من سورة البقرة .

وَصَفَ التَّوْبَةَ بِالنُّصْحِ عَلَى الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ، وَالنُّصْحُ صِفَةُ التَّائِبِينَ وَهُوَ أَنْ يَنْصَحُوا أَنْفُسَهُمْ بِالتَّوْبَةِ، فَيَتُوبُوا عَنْ الْقَبَائِحِ لِقُبْحِهَا، نَادِمِينَ عَلَيْهَا، عَازِمِينَ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَعُودُونَ فِي قَبِيحٍ مِنَ الْقَبَائِحِ إِلَى أَنْ يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، مُوْطِنِينَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

وعن عليٍّ عليه السلام: إِنَّ التَّوْبَةَ يَجْمَعُهَا سِتَّةُ أَشْيَاءٍ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الذُّنُوبِ النَّدَامَةُ وَلِلْفِرَاطِضِ الْإِعَادَةُ، وَرَدُّ الْمَظَالِمِ، وَأَسْتِحْلَالِ الْخُصُومِ، وَأَنْ تَعَزَّمَ عَلَى أَنْ لَا تَعُودَ، وَأَنْ تُذِيبَ نَفْسَكَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ كَمَا رَبَّيْتَهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَأَنْ تُذِيقَهَا مَرَارَةَ الطَّاعَاتِ كَمَا أَذَقْتُهَا حَلَاوَةَ الْمَعَاصِي ^(١).

وقيل: ﴿نُصُوحًا﴾ مِنْ: نَصَاحَةِ الثَّوْبِ أَي: تَوْبَةً تَرْقِعُ خُرُوقَكَ فِي دِينِكَ وَتَرْمُ خَلْكَ ^(٢)، وقيل: تَوْبَةً تَنْصَحُ النَّاسَ أَي: تَدْعُوهُمْ إِلَى مِثْلِهَا لِظُهُورِ أَثَرِهَا فِي صَاحِبِهَا، وَأَسْتَعْمَالِهِ الْجَدِّ فِي الْعَمَلِ عَلَى مَقْتَضِيَّاتِهَا ^(٣). وقُرِئ: «نُصُوحًا» بِالضَّمِّ ^(٤) وَهُوَ مَصْدَرُ «نَصَحَ»، أَي: ذَاتَ نُصُوحٍ، أَوْ: تَنْصَحُ نُصُوحًا، أَوْ: تُوبُوا لِنُصْحِ أَنْفُسِكُمْ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، وَالنُّصْحُ وَالنُّصُوحُ مِثْلُ: الشُّكْرِ وَالشُّكُورِ، وَالْكَفْرِ وَالْكَفُورِ ﴿عَسَى رَبُّكُمْ﴾ إِطْمَاعٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ عَلَى عَادَةِ الْمُلُوكِ فِي الْإِجَابَةِ بِـ «عَسَى» وَ «لَعَلَّ» وَإِيقَاعُ ذَلِكَ مَوْقِعَ الْقَطْعِ وَالْبَتِّ، وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ عَلَى تَعْلِيمِ عِبَادِهِ التَّرْجُّحَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ﴾ نُسِبَ بِـ ﴿يُدْخِلُكُمْ﴾ وَهُوَ تَعْرِضٌ بِمَنْ أَخْرَاهُمْ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ الْكَفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَأَسْتِحْمَادٌ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّهُ عَصَمَهُمْ مَنْ مِثْلُ حَالِهِمْ، أَي: لَا يُذِلُّ النَّبِيَّ

(١) رواه عنه عليه السلام الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٦٩.

(٢) و (٣) حكاه الزمخشري في الكشاف.

(٤) قرأه أبوبكر عن عاصم. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٧٢٤.

والمؤمنين مَعَهُ، بَلْ يُعْزِّهُ وَيُكْرِمُهُ بِالشَّفَاعَةِ، وَيُعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ بِإِدْخَالِ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ مَبْتَدَأٌ وَمَا بَعْدَهُ خَبَرٌ ^(١) أَي: يَسْعَى نُورُهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ، وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَسْعَى أَتَمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ حَتَّى يُنْزِلُوهُمْ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ^(٢) ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا﴾ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ، أَوْ: خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ. وَعَنِ الْحَسَنِ: اللَّهُ مُتِمُّهُ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ يَدْعُونَ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ ^(٣)، كَقَوْلِهِ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْبِكَ﴾ ^(٤) وَهُوَ مَغْفُورٌ لَهُ، وَإِنَّمَا قَالَ تَقَرُّبًا، وَلَيْسَتْ الدَّارُ دَارَ تَقَرُّبٍ، لِأَنَّ حَالَهُمْ يُشَبِّهُ حَالَ الْمُقَرَّبِينَ حَيْثُ يَطْلُبُونَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَا هُوَ حَاصِلٌ لَهُمْ، وَقِيلَ: إِنَّ النَّورَ يَكُونُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ، فَأَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً فِي ذَلِكَ يَسْأَلُ إِتْمَامَهُ تَفْضُّلاً ^(٥) ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ أَي: أَسْتُرْ عَلَيْنَا ذُنُوبَنَا وَلَا تُهْلِكْنَا بِهَا.

﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بِالسَّيْفِ ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بِالْقَوْلِ الرَّادِعِ وَبِالاحتجاجِ، وَقَرَأَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: جَاهِدِ الْكُفَّارَ بِالْمُنَافِقِينَ، وَقَالَ: إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُقَاتِلْ مُنَافِقًا قَطُّ إِنَّمَا كَانَ يَتَأَلَّفُهُمْ ^(٦)، وَعَنْ قَتَادَةَ: بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ ^(٧)، وَعَنِ الْحَسَنِ: أَكْثَرُ مَنْ كَانَ يَصِيبُ الْحُدُودَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الْمُنَافِقُونَ، فَأَمَرَ أَنْ يُغْلِظَ عَلَيْهِمْ فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ ^(٨). مَثَلُ اللَّهِ حَالَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي أَنَّهُمْ يُعَاقَبُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ مِنْ غَيْرِ إِتْقَاءٍ وَلَا مُحَابَاةٍ وَلَا أَعْتَابٍ بِالْعَلَّاقِ وَالْوَصْلِ بِحَالٍ ﴿أَمْرَاتُ نُوحٍ وَأَمْرَاتُ لُوطٍ﴾

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن: ج ٤ ص ٤٦٤.

(٢) رواه على بن ابراهيم القمي في تفسيره: ج ٢ ص ٣٩٥ باسناده الى صالح بن سهل.

(٣) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٣٥٥.

(٤) غافر: ٥٥، محمد ﷺ: ١٩.

(٥) حكاه الماوردي في تفسيره: ج ٥ ص ٤٧٣ بلفظ قريب.

(٦) أنظر التبيان: ج ١٠ ص ٥٢.

(٧) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٧١.

(٨) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٥٢.

لَمَّا نَافَقَتَا وَخَانَتَا الرَّسُولَيْنِ، لَمْ يُغْنِ الرَّسُولَانِ ﴿عَنْهُمَا﴾ بِحَقِّ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ وَضْلَةِ الزَّوْجِيَّةِ ﴿شَيْئًا﴾ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴿وَقِيلَ﴾ لَهُمَا عِنْدَ مَوْتِهِمَا أَوْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ﴾ سَائِرِ ﴿الْدَّخِيلِينَ﴾ الَّذِينَ لَا وَضْلَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَثَلُ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْقِيَامَةِ فِي أَنَّ وَضْلَةَ الْكَافِرِينَ لَا تَضُرُّهُمْ، وَلَا تُنْقِصُ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِهِمْ وَزُلْفَاهُمْ عِنْدَ اللَّهِ بِحَالِ ﴿أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ﴾ وَمَنْزِلَتِهَا عِنْدَ اللَّهِ مَعَ كَوْنِهَا زَوْجَةً أَكْثَمَ الْكَافِرِينَ، الْقَائِلِ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ^(١) ﴿وَمَزِيمَ ابْنَتِ عِمْرُنَ﴾ وَمَا أُتِيَتْ مِنْ كَرَامَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْإِصْطِفَاءِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَعَ أَنَّ قَوْمَهَا كَانُوا كَافِرِينَ. وَفِي طَيِّ التَّمْثِيلَيْنِ تَعْرِضُ بِزَوْجَتَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَذْكُورَتَيْنِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، وَمَا فَرَطَ مِنْهُمَا مِنَ التَّظَاهِيرِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِمَا كَرِهَهُ، وَتَحْذِيرُ لَهُمَا عَلَى أَغْلَظِ وَجْهِ وَأَشَدِّهِ، لَمَّا فِي التَّمْثِيلِ مِنْ ذِكْرِ الْكُفْرِ، وَإِشَارَةٍ إِلَى أَنَّ مِنْ حَقِّهِمَا أَنْ لَا تَتَّكِلَا عَلَى أَنَّهُمَا زَوْجَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْفَضْلَ لَا يَنْفَعُهُمَا إِلَّا مَعَ كَوْنِهِمَا مُؤْمِنَتَيْنِ مُخْلِصَتَيْنِ، وَالتَّعْرِضُ بِحَفْصَةَ أَكْثَرُ لِأَنَّ أَمْرًا لُوطٍ أَفْشَتْ عَلَيْهِ كَمَا أَفْشَتْ حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَفِي قَوْلِهِ: ﴿عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ عَبْدًا مِنَ الْعِبَادِ لَا يَرْجَحُ عِنْدَهُ إِلَّا بِالصَّلَاحِ، وَبِهِ يُنَالُ الْفَوْزُ لَا غَيْرَ ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ بِالنِّفَاقِ وَالتَّظَاهُرِ عَلَى الرَّسُولَيْنِ: فَاْمْرَأَةُ نُوحٍ قَالَتْ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ مَجْنُونٌ، وَأَمْرَأَةُ لُوطٍ دَلَّتْ عَلَى ضَيْفَانِهِ، وَعَنِ الضَّحَّاكِ: خَانَتَاهُمَا بِالنَّمِيمَةِ إِذَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمَا أَفْشَتَاهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ ^(٢)، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْخِيَانَةِ الْفُجُورُ لِأَنَّهُ نَقِصَةٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ، سَمِجٌ فِي كُلِّ طَبِيعَةٍ، بِخِلَافِ الْكُفْرِ لِأَنَّ الْكُفَّارَ لَا يَسْتَسْمِجُونَهُ، وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: مَا زَنْتِ

(١) النازعات: ٢٤.

(٢) حكاه عنه الماوردي البصري في تفسيره: ج ٦ ص ٤٦.

امْرَأَةُ نَبِيِّ قَطُّ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّنْفِيرِ عَنِ الرَّسُولِ، وَإِلْحَاقِ الْوَضْمَةِ بِهِ ^(١).
 وَامْرَأَةُ فِرْعَوْنَ: آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ، آمَنَتْ حِينَ سَمِعَتْ بِتَلَقُّفِ عَصَا مُوسَى
 الْإِفْكَ، فَعَذَّبَهَا فِرْعَوْنَ بَأْنَ وَتَدَّ يَدَيْهَا وَرَجَلَيْهَا بِأَرْبَعَةِ أَوْتَادٍ وَأَسْتَقْبَلَ بِهَا الشَّمْسُ،
 وَأَضْجَعَهَا عَلَى ظَهْرِهَا وَوَضَعَ رُحَى عَلَى صَدْرِهَا، وَلَمَّا قَالَتْ: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ
 بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ أُرِيَتْ بَيْتَهَا فِي الْجَنَّةِ يُبْنَى، وَقِيلَ: رَفَعَهَا اللَّهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَهِيَ فِيهَا
 تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ وَتَتَعَمُّ فِيهَا ^(٢)، ﴿وَنَجِّنِي مِنْ﴾ نَفْسِ ﴿فِرْعَوْنَ﴾ الْخَبِيثَةِ ﴿و﴾ مِنْ
 ﴿عَمَلِهِ﴾ الَّذِي هُوَ الْكُفْرُ وَالظُّلْمُ وَالتَّعْذِيبُ بِغَيْرِ جُرْمٍ ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ﴾ مِنَ الْقَبْطِ كُلِّهِمْ.

﴿أَخْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ عَفَّتْ عَنِ الْحَرَامِ، وَقِيلَ: مَنَعَتْ فَرْجَهَا مِنَ الْأَزْوَاجِ
 ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ أَي: فِي الْفَرْجِ ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ وَهِيَ مَا تَكَلَّمَ سُبْحَانَهُ بِهِ
 وَأَوْحَاهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ ﴿وَكُتُبِهِ﴾ أَي: وَبِالْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى أَنْبِيَائِهِ، وَقُرِئَ:
 «وَكِتَابِهِ» ^(٣) وَهُوَ الْإِنْجِيلُ ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَتِينِينَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: مِنَ الْقَاتِنَاتِ؛ تَغْلِيْبًا
 لِلذُّكُورِ، وَ«مِنْ» لِلتَّبْعِيضِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَابْتِدَاءِ الْغَايَةِ عَلَى أَنَّهَا وُلِدَتْ مِنَ
 الْقَاتِنِينَ، لِأَنَّهَا مِنْ أَعْقَابِ هَارُونَ أَخِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.



(١) تفسير ابن عباس: ص ٤٧٨.

(٢) قاله الحسن البصري في تفسيره: ج ٢ ص ٣٥٥.

(٣) قرأه ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم برواية أبي بكر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٤١.

سُورَةُ الْمُلْكِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، وتُسَمَّى الْمُنْجِيَّةُ تُنْجِي صَاحِبَهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَالْوَاقِيَّةُ تَقِي قَارِئَهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، ثَلَاثُونَ آيَةً.
فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ تَبَارَكَ فَكَأَنَّمَا أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ» ^(٢).
وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ تَبَارَكَ فِي الْمَكْتُوبَةِ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ لَمْ يَزَلْ فِي أَمَانِ اللَّهِ حَتَّى يُصْبِحَ، وَفِي أَمَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)﴾

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٥٦: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ وَعَطَاءٍ وَغَيْرِهِمْ، وَهِيَ ثَلَاثُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ وَالْبَصْرِيِّ وَالْمَدَنِيِّ الْأَوَّلِ، وَاحِدٌ وَثَلَاثُونَ فِي الْمَدَنِيِّ الْأَخِيرِ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: سُورَةُ الْمُلْكِ تَسْمَى الْمُنْجِيَّةَ لِأَنَّهَا تُنْجِي قَارِيَهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَرَوَى أَنَّ فِي التَّوْرَةِ مِثْلَ سُورَةِ الْمُلْكِ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٥٧٤: مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَلَاثُونَ آيَةً، نَزَلَتْ بَعْدَ الطُّورِ. وَتُسَمَّى الْوَاقِيَّةَ وَالْمُنْجِيَّةَ لِأَنَّهَا تَقِي وَتُنْجِي قَارِئَهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.
(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٥٨٣ مَرْسَلًا.

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ
فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ
الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا
رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ
تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ
يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن
شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي
أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴿

﴿تَبَرَّكَ﴾ أي: تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين بأنه الثابت، الذي ثبوت
الأشياء به، وجميع البركات منه ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ على كل موجود ﴿وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ﴾ لم يوجد مما يدخل تحت القدرة ﴿قَدِيرٌ﴾، وذكر اليد مجازاً عن
الاستيلاء على الملك والإحاطة به.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قَدَّمَ ذِكْرَ الْمَوْتِ لَأَنَّهُ إِلَى الْقَهْرِ أَقْرَبُ، وَالْحَيَاةُ:
ما يوجب كون الشيء حياً، والحَيُّ هو الذي يَصِحُّ مِنْهُ أَنْ يَعْلَمَ وَيَقْدَرَ، وَالْمَوْتُ
عَدَمُ ذَلِكَ فِيهِ، وَمَعْنَى خَلَقِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ: إِيجَادُ ذَلِكَ الْمُصَحِّحِ وَإِعْدَامِهِ.
وَالْمَعْنَى: خَلَقَ مَوْتَكُمْ وَحَيَاتَكُمْ أَيُّهَا الْمُكَلَّفُونَ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ وَسَمَّى عِلْمَ الْوَاقِعِ مِنْهُمْ
بِاخْتِبَارِهِمْ بَلَوَى - وَهِيَ الْخَبْرَةُ - أَسْتَعَارَةً مِنْ فِعْلِ الْمُخْتَبِرِ ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
يَتَعَلَّقُ بِـ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ لِأَنَّ الْبَلَوَى تَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْعِلْمِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لِيَعْلَمَ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا. وَالْجُمْلَةُ وَقَعَتْ مَوْقِعَ الثَّانِي مِنَ الْمَفْعُولَيْنِ، كَمَا تَقُولُ: عَلِمْتُهُ أَزِيدُ أَحْسَنُ
عَمَلًا أَمْ هُوَ، وَهَذَا لَا يُسَمَّى تَغْلِيْقًا، لِأَنَّ التَّغْلِيْقَ إِنَّمَا يَكُونُ بَأَنْ يُوقَعَ بَعْدَهُ مَا يَسَدُّ

المَفْعُولَيْنِ جَمِيعاً، كَقَوْلِكَ: عَلِمْتُ أَيُّهُمَا عَمَرُو، و ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أَخْلَصُ وَأَصَوَّبُ، وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لَوَجْهِ اللَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ.

وعن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ تَلَاهَا ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقْلاً، وَأَوْزَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ» ^(١) والمعنى: أَيُّكُمْ أَتَمَّ عَقْلاً عَنْ اللَّهِ وَفَهَمًا لِأَغْرَاضِهِ. وَالْمُرَادُ: أَنَّهُ أَعْطَاكُمْ الْحَيَاةَ الَّتِي تَقْدُرُونَ بِهَا عَلَى الْعَمَلِ، وَسَلَّطَ عَلَيْكُمُ الْمَوْتَ الَّذِي هُوَ دَاعِيكُمْ إِلَى اخْتِيَارِ الْعَمَلِ الْحَسَنِ عَلَى الْقَبِيحِ، لِأَنَّ وَرَاءَ الْمَوْتِ الْبَعْثُ وَالْجَزَاءُ. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ أَسَاءَ الْعَمَلَ ﴿الْغَفُورُ﴾ لِمَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْإِسَاءَةِ.

﴿طِبَاقًا﴾ مِنْ: طَابَقَ النَّعْلُ: إِذَا خَصَفَهَا طَبَقًا عَلَى طَبَقٍ، أَي: مَطَابَقَةً بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَهُوَ وَصْفٌ بِالْمَصْدَرِ، أَوْ: ذَاتَ طِبَاقٍ، أَوْ: طُوِبِقَتْ طِبَاقًا ﴿مِنْ تَفَوُّتٍ﴾ وَقُرِئَ: «مِنْ تَفَوُّتٍ» ^(٢) وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، مِثْلُ: تَظَاهَرُ وَتَظَهَّرَ، وَتَعَاهَدُ وَتَعَهَّدَ، يُرِيدُ: مِنْ اخْتِلَافٍ وَأَعْوِجَاجٍ وَأَضْطِرَابٍ فِي الْخِلْقَةِ، إِنَّمَا هِيَ مُسْتَقِيمَةٌ وَمُسْتَوِيَةٌ كُلُّهَا، وَحَقِيقَةُ التَّفَاوُتِ عَدَمُ التَّنَاسُبِ، كَانَ بَعْضُهُ يُفَوِّتُ بَعْضًا وَلَا يُلَائِمُهُ، وَنَقِضُهُ: مَتَنَاصِفُ، وَأَصْلُهُ: مَا تَرَى فِيهِ مِنْ تَفَاوُتٍ، فَوَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ تَعْظِيمًا لِخَلْقِهِنَّ، وَتَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ سَبَبَ سَلَامَتِهِنَّ مِنَ التَّفَاوُتِ أَنَّهُنَّ خَلَقُ الرَّحْمَانِ. وَالْخِطَابُ فِيمَا تَرَى لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَلِكُلِّ مُخَاطَبٍ ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ وَأَدْرِهَا فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ حَتَّى يَصِحَّ عِنْدَكَ مَا أُخْبِرْتَ بِهِ بِالْمَعَايِنَةِ ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ مِنْ صُدُوعٍ وَشُقُوقٍ، جَمْعُ «فَطُرٍ» وَهُوَ الشَّقُّ، وَقُرِئَ بِإِدْغَامِ اللَّامِ فِي التَّاءِ ^(٣)

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ٧ ص ٧ باسناده عن ابن عمر .

(٢) قرأه حمزة والكسائي . راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٦٤٤ .

(٣) قرأه أبو عمرو وحده . راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ١ ص ٢٣٣ .

نَحْوُ: هَتَرَى، لَأَنَّ اللَّامَ قَرِيبَةُ الْمَخْرَجِ مِنَ التَّاءِ.

﴿ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: ثُمَّ كَرَّرِ الْبَصَرَ فِيهِنَّ مَتَصَفِّحاً وَمُتَتَّبِعاً هَلْ تَجِدُ عَيْباً وَخَللاً ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ﴾ أي: إِنْ رَجَعْتَ الْبَصَرَ وَكَرَّرْتَ النَّظَرَ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكَ بَصْرُكَ بِمَا طَلَبْتَهُ مِنْ إِذْرَاكِ الْخَلَلِ، بَلْ يَرْجِعُ إِلَيْكَ بِالْخُسُوءِ وَالْحُسُورِ أي: بِالْبُعْدِ عَنْ إِصَابَةِ الْمُتَمَسِّسِ، كَأَنَّهُ طُرِدَ عَنْ ذَلِكَ طُرْداً بِالصَّغَارِ وَالْقُمَاءِ وَبِالْإِغْيَاءِ وَالْكَلالِ لِطُولِ التَّرْدِيدِ، وَمَعْنَى التَّشْنِيعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ التَّكْرِيرُ بِكَثْرَةٍ، كَقَوْلِهِمْ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، بِمَعْنَى: إِجَابَاتٌ كَثِيرَةٌ بَعْضُهَا فِي إِثْرِ بَعْضٍ، وَنَحْوُهُ: قَوْلُهُمْ فِي الْمَثَلِ: «دُهُدْرَيْنَ سَعْدُ الْقَيْنِ»^(١) أي: بِاطِلًا بَعْدَ بَاطِلٍ.

﴿السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ أي: الْقُرْبَى إِلَى النَّاسِ، وَمَعْنَاهَا: السَّمَاءُ الدُّنْيَا مِنْكُمْ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ الَّتِي اجْتَمَعْتُمْ فِيهَا ﴿بِمَصَابِيحٍ﴾ أي: بِأَيِّ مَصَابِيحٍ؟! لَا تُوَازِيهَا مَصَابِيحُكُمْ إِضَاءَةً، يُرِيدُ: الْكَوَائِبَ، ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً﴾ لِأَعْدَائِكُمُ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ، وَذَلِكَ بَأَنْ يَنْفَصِلَ مِنْ نُورِ الْكَوَائِبِ شُهْبٌ تَنْقُضُ لِرَمِيهِمْ، كَالْقَبَسِ يُؤْخَذُ مِنَ النَّارِ وَالنَّارُ ثَابِتَةٌ، وَالرُّجُومُ: جَمْعُ رَجْمٍ، وَهُوَ مَصْدَرٌ سُمِّيَ بِهِ مَا يُرْجَمُ بِهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَجَعَلْنَاهَا ظُنُوناً وَرُجُوماً بِالْغَيْبِ لَشَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَهُمْ الْمُنْجَمُونَ^(٢) ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ بَعْدَ الْإِحْرَاقِ بِالشُّهْبِ فِي الدُّنْيَا ﴿عَذَابَ﴾ الْآخِرَةِ وَ﴿السَّعِيرِ﴾ النَّارِ الْمُسْعِرَةِ.

(١) الدُّهْرَيْنِ: اسم لكل باطل تعارف عند العرب، وأصله أن بعض العجم كان يتجر بالدرّ ولم يكن يحسن العربية، فاذا أراد أن يعبر عن العشرة قال: ده، وعن الاثنين قال: دو، وفي بعض الايام اراد بيع خرز فلبس عليهم فقال: ده دو درين، ففتشوا عنه فوجدوه كاذباً فيما زعم، وضموا اليه سعد القين المعروف بالكذب عند العرب فصار مثلاً لكل من جمع باطلاً الى باطل. انظر مجمع الأمثال للميداني: ج ١ ص ٢٧٧.

(٢) قاله محمد بن كعب. راجع تفسير القرطبي: ج ١٨ ص ٢١١.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وَلِكُلِّ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾. ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾ أي: طُرِحُوا كَمَا يُطْرَحُ الْحَطَبُ فِي النَّارِ ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ أي: لِلنَّارِ ﴿شَهيقاً﴾ شَبَّهَ حَسِيْسَهَا الْمُنْكَرَ الْفَطِيْعَ بِالشَّهِيْقِ ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ أي: تَغْلِي بِهِمْ غَلْيَانِ الْمِرْجَلِ بِمَا فِيهِ. ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ﴾ أي: تَنْقَطِعُ وَتَتَشَقُّ^(١) ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ عَلَيْهِمْ، جَعَلَهَا كَالْمَغْتَاطَةِ عَلَيْهِمْ لِشِدَّةِ غَلْيَانِهَا بِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ غَيْظَ الزَّبَانِيَةِ ﴿كُلَّمَا﴾ طُرِحَ ﴿فِيهَا﴾ فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿وَهُوَ تَوْبِيخٌ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا عَذَاباً إِلَىٰ عَذَابِهِمْ، وَ﴿خَزَنَتُهَا﴾: مَالِكٌ وَأَعْوَانُهُ مِنَ الزَّبَانِيَةِ. ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ اعْتَرَفَ مِنْهُمْ بِعَدْلِ اللَّهِ وَبَعَثِهِ الرُّسُلَ، وَبِأَنَّهُمْ أُوتُوا مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْإِنْذَارِ، وَالْمَعْنَى: أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَهْلُ نَذِيرٍ. ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ أي: قُلْنَا لِلرُّسُلِ: مَا أَنْتُمْ إِلَّا فِي ذَهَابٍ عَنِ الصَّوَابِ كَبِيرٍ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ لِلْكَفَّارِ حِكَايَةً لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ فِي الدُّنْيَا^(٢)، أَوْ أَرَادُوا بِالضَّلَالِ الْهَلَاكَ.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ الْإِنْذَارَ سَمَاعَ الطَّالِبِ لِلْحَقِّ ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عَقْلَ النَّاطِرِ الْمَتَأَمِّلِ، وَقِيلَ: جَمَعَ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْعَقْلِ لِأَنَّ التَّكْلِيفَ يَدُورُ عَلَيْهِمَا وَعَلَىٰ أَدْلَتِهِمَا^(٣) ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ فِي تَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ ﴿فَسُخِّقُوا﴾ قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ^(٤)، أَي: فَبَعْدًا لَهُمْ اعْتَرَفُوا أَوْ جَحَدُوا فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُهُمْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ

(١) فِي نَسْخَةٍ: «تَشَقُّقٌ».

(٢) حِكَاةُ الزَّمْخَشَرِيِّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٥٧٩.

(٣) حِكَاةُ الرَّازِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ الْكَبِيرِ: ج ٣٠ ص ٦٥.

(٤) وَبِالتَّثْقِيلِ (أَي: بِضَمِّ الْحَاءِ) قَرَأَهُ الْكَسَائِيُّ وَحْدَهُ. رَاجَعَ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ:

وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتٍ وَيقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: يخافونه غائبين عن مَرَاةِ النَّاسِ، حيث لا يَرَوْنَهُ فَيَتْرَكُونَ الْمَعَاصِي. ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ ظَاهِرُهُ الْأَمْرُ بِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ: الْإِسْرَارُ وَالْإِجْهَارُ، وَمَعْنَاهُ: لَيْسَتْوَ عِنْدَكُمْ إِسْرَارُكُمْ وَإِجْهَارُكُمْ فِي عِلْمِ اللَّهِ بِهِمَا، ثُمَّ عَلَّلَهُ بِ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بِضَمَائِرِهَا قَبْلَ أَنْ يُتَرْجَمَ الْأَلْسِنَةُ عَنْهَا، فَكَيْفَ لَا يَعْلَمُ مَا تَكَلَّمْتُمْ بِهِ؟! ثُمَّ أَنْكَرَ أَنْ لَا يُحِيطَ عِلْمًا بِالْمُضْمَرِ وَالْمُسَرِّ وَالْمُجَهَّرِ مِنْ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ وَحَالِهِ إِنَّهُ ﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الْعَالِمُ بِمَا ظَهَرَ مِنْ خَلْقِهِ وَمَا بَطَّنَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ مَنْصُوبًا بِمَعْنَى: أَلَا يَعْلَمُ مَخْلُوقَهُ وَهَذِهِ حَالُهُ؟ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانُوا يَنَالُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيُخْبِرُهُ بِهِ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالُوا: أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ كِي لَا يَسْمَعَ إِلَهُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَنَزَلَتْ (١).

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ مُذَلَّلَةً مُوْطَأَةً لِلتَّصَرُّفِ فِيهَا وَالْمَصِيرِ (٢) عَلَيْهَا ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ هُوَ مَثَلٌ لِّفَرْطِ التَّذْلِيلِ، لِأَنَّ الْمُنْكَبِينَ مِنَ الْبَعِيرِ

مِمَّا يَضَعُ عَلَى الرَّأْسِ وَطُوءُهُ بِقَدَمِهِ، وَقِيلَ: مَنَّا كَيْهَا: جَبَالِهَا، أَي سَهَّلَ لَكُمْ السُّلُوكَ فِيهَا ^(١)، وَقِيلَ: جَوَانِبُهَا ^(٢) ﴿وَالْيَنبِئُ النَّشُورَ﴾ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ شُكْرِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ. ثُمَّ هَدَّدَ سَبْحَانَهُ الْعُصَاةَ فَقَالَ: ﴿أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: مَنْ مَلَكَوْتُهُ فِي السَّمَاءِ؛ لِأَنَّهَا مَسْكَنُ مَلَائِكَتِهِ، وَمِنْهَا يَنْزِلُ قَضَايَاهُ وَأَوَامِرُهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ التَّشْبِيهَ، وَأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، فَقِيلَ عَلَى حَسَبِ اعْتِقَادِهِمْ: أَمِنتُمْ مَنْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْمَكَانِ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ بِخَسْفٍ أَوْ بِحَاصِبٍ؟ ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أَي: تَضْطَرِبُ وَتَتَحَرَّكُ بِهِمْ حَتَّى تُلْقِيَهُمْ إِلَى أَسْفَلِ. ﴿فَسْتَغْلَمُونَ﴾ حِينَئِذٍ ﴿كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ أَي: كَيْفَ إِذْأَرِي حَيْثُ لَا يَنْفَعُكُمُ الْعِلْمُ. وَ﴿نَكِيرٍ﴾ إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ وَتَغْيِيرِي مَا بِهِمْ مِنَ النَّعَمِ.

﴿صَفَّتْ﴾ أَي: بِاسِطَاتٍ أَجْنَحَتَهُنَّ فِي الْجَوِّ عِنْدَ طَيْرَانِهَا ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ وَيَضْمِئْنَهَا إِذَا ضَرَبْنَ بِهَا جُنُوبَهُنَّ، وَلَمْ يَقُلْ: وَقَابِضَاتٍ، لِأَنَّ أَصْلَ الطَّيْرِ أَنْ يَصْفُ الْأَجْنَحَةَ، وَالْقَبْضُ طَارِيٌّ عَلَى الْبَسْطِ لِلإِسْطِظْهَارِ بِهِ عَلَى التَّحَرُّكِ فَقِيلَ: وَيَقْبِضْنَ، أَي: وَيَكُونُ مِنْهُنَّ الْقَبْضُ تَارَةً بَعْدَ تَارَةٍ، كَمَا يَكُونُ مِنَ السَّابِحِ فِي الْمَاءِ ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا أَلْزَحْمُنُ﴾ بِقُدْرَتِهِ وَبِتَوْطِئَةِ الْهَوَاءِ لَهُنَّ ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ يَعْلَمُ كَيْفَ يَخْلُقُ وَيُدَبِّرُ الْعَجَائِبَ.

﴿أَمْ مَنْ﴾ يُشَارُ إِلَيْهِ فَيُقَالُ: ﴿هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدُ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ﴾ اللَّهِ إِنْ أَرْسَلَ عَلَيْكُمْ عَذَابَهُ. ﴿أَمْ مَنْ﴾ يُشَارُ إِلَيْهِ فَيُقَالُ: ﴿هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ اللَّهُ ﴿رِزْقَهُ﴾ وَهَذَا عَلَى التَّقْدِيرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى جَمِيعِ

(١) قاله ابن عباس وقتادة وبشير بن كعب. راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ٥٤.

(٢) قاله مجاهد والسدي راجع المصدر السابق.

الْأَوْتَانِ لَا عِتْقَادِهِمْ أَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ مِنَ النَّوَائِبِ، وَيُرْزَقُونَ بَرَكَاتِ آلِهَتِهِمْ، فَكَأَنَّهُمْ
الْجُنْدُ النَّاصِرُ وَالرَّازِقُ، وَنَحْوُهُ: قَوْلُهُ: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا﴾ ^(١) ﴿بَلْ لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ بَلْ تَمَادَوْا فِي عِنَادٍ وَشِرَادٍ عَنِ الْحَقِّ، وَبِعَادٍ مِنَ الْإِيمَانِ.
﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا
أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّئَتْ وُجُوهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ وَمَنْ مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ
أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ
مَّعِينٍ (٣٠) ﴿

يُقَالُ: كَبَيْتُهُ فَأَكَبْتُ، وَهُوَ شَادُّ، وَمِثْلُهُ: قَشَعَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ فَأَقْشَعَتْ. وَالْمَعْنَى:
مَنْ يَمْشِي مُعْتَسِفًا فِي مَكَانٍ غَيْرِ مُسْتَوٍ فَيَعْتَرُ وَيَخْرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ مُكِبًّا، فَحَالُهُ نَقِیضُ
حَالِ ﴿مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ سَالِمًا مِنَ الْعِثَارِ عَلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَوٍ، وَهُوَ مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ
وَالْكَافِرِ.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ الضَّمِيرُ لِلْوَعْدِ، وَالزُّلْفَةُ: الْقُرْبَةُ، وَأَنْتَصَابُهَا عَلَى الْحَالِ
أَوْ الظَّرْفِ أَي: رَأَوْهُ ذَا زُلْفَةٍ، أَوْ: مَكَانًا ذَا زُلْفَةٍ ﴿سَيَّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَي:
سَاءَتْ رُؤْيَةُ الْوَعْدِ وَجُوهُهُمْ بِأَنْ عَلَتْهَا الْكَآبَةُ وَغَشِيَتْهَا آثَارُ الْغَمِّ كَمَا يَكُونُ وَجُوهُ

مَنْ يُقَادُ إِلَى الْقَتْلِ، يَعْنِي: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: يَوْمُ بَدْرِ^(١) ﴿تَدْعُونَ﴾ تَفْتَعِلُونَ مِنْ «الدُّعَاءِ»، أَي: تَطْلُبُونَ وَتَسْتَعِجِلُونَ بِهِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الدَّعْوَى^(٢)، أَي: كُنْتُمْ بِسَبَبِهِ تَدْعُونَ أَنْكُمْ لَا تُبْعَثُونَ، وَقُرِئَ: «تَدْعُونَ»^(٣).

كَانُوا يَتَمَنُّونَ هَلَكَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَأَمَرَ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنْ أَهْلَكْنَا اللَّهُ كَمَا تَمَنُّونَ وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ فَتَنْقَلِبُ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿أَوْ رَحِمْنَا﴾ بِتَأْخِيرِ آجَالِنَا ﴿فَمَنْ﴾ يُجِيرُكُمْ وَأَنْتُمْ كَافِرُونَ ﴿مِنْ عَذَابِ﴾ النَّارِ، لَا مَخْلَصَ لَكُمْ مِنْهُ. وَالْمَعْنَى: أَنْكُمْ تَطْلُبُونَ لَنَا الْهَلَكَ الَّذِي فِيهِ الْفَوْزُ وَالسَّعَادَةُ، وَأَنْتُمْ فِي أَمْرٍ هُوَ الْهَلَكَ الَّذِي لَا هَلَكَ مِثْلُهُ، وَلَا تَطْلُبُونَ الْخَلَاصَ مِنْهُ. أَوْ: إِنْ أَهْلَكْنَا اللَّهُ بِالْمَوْتِ فَمَنْ يُجِيرُكُمْ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَوْتٍ مَنْ يَأْخُذُ بِحُجْزِكُمْ مِنْهَا، وَإِنْ رَحِمْنَا بِالْإِمْهَالِ وَالنُّصْرَةِ عَلَيْكُمْ فَمَنْ يُجِيرُكُمْ مِنَ الْقَتْلِ عَلَى أَيْدِينَا.

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ الَّذِي عَمَّتْ نِعْمَتُهُ وَرَحْمَتُهُ جَمِيعَ الْخَلْقِ ﴿ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ قُدِّمَ مَفْعُولُ ﴿تَوَكَّلْنَا﴾ وَأُخِّرَ مَفْعُولُ ﴿ءَامَنَّا﴾ لَوْقُوعِ ﴿ءَامَنَّا﴾ تَعْرِيزاً بِالْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، فَكَانَ قَال: آمَنَّا بِهِ وَلَمْ نَكْفُرْ كَمَا كَفَرْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ خُصُوصاً، لَا تَتَّكِلُ عَلَى غَيْرِهِ.

﴿غَوْرًا﴾ أَي: غَائِراً ذَاهِباً فِي الْأَرْضِ، نَاضِباً فِي الْآبَارِ وَالْعُيُونِ، وَهُوَ وَصْفٌ بِالْمُضَدِّ كـ «عَدْلٌ» وَ «رِضًا»، وَالْمَعِينُ: الظَّاهِرُ لِلْعُيُونِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: بِمَاءٍ جَارٍ^(٤).



(١) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٣٧٣.

(٢) قاله مقاتل والكلبي. راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ٥٧.

(٣) هي قراءة يعقوب وحده. راجع التذكرة في القراءات: ج ٢ ص ٧٢٥.

(٤) حكاه عنه البغوي في تفسيره المتقدم.

سُورَةُ الْقَلَمِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ: بَعْضُهَا مَكِّيٌّ، وَبَعْضُهَا مَدَنِيٌّ ^(٢)، اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْقَلَمِ أَعْطَاهُ اللَّهُ ثَوَابَ الَّذِينَ حَسَنَ أَخْلَاقُهُمْ» ^(٣).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا فِي فَرَائِضِهِ أَوْ نَوَافِلِهِ أَمَّنَهُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُ فِي حَيَاتِهِ فَقْرٌ أَبَدًا، وَأَعَادَهُ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ» ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٧٣: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ آيَةً بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٥٨٤: مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ آيَةً، نَزَلَتْ بَعْدَ الْعَلَقِ .
(٢) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿سَنَسْمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ مَكِّيٌّ، وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ مَدَنِيٌّ، وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَكْتُبُونَ﴾ مَكِّيٌّ، وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ مَدَنِيٌّ، وَبَاقِي السُّورَةِ مَكِّيٌّ. انْظُرْ تَفْسِيرَ الْمَآوِرِدِيِّ: ج ٦ ص ٥٩.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٥٩٧ مَرْسَلًا.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٧.

لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥)
بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ (٧) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَذُؤًا لَوْ تَذَهْنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا
تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ
(١٢) عْتَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ
ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ (١٦) ﴿

قُرِئَ: ﴿نُون﴾ بِالْبَيَانِ وَالْإِدْغَامِ^(١)، هُوَ الْحَرْفُ مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، وَقِيلَ: هُوَ
الْحُوْتُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَرْضُونَ^(٢)، وَقِيلَ: هُوَ الدَّوَاةُ^(٣)، وَقِيلَ: هُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كُنْ مِدَادًا فَجُمِدَ، وَكَانَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ، ثُمَّ قَالَ
لِلْقَلَمِ: أَكْتُبْ، فَكَتَبَ الْقَلَمُ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. رَوَى ذَلِكَ عَنْ
الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤) ﴿وَالْقَلَمُ﴾ الَّذِي يَكْتُبُ، أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْفَوَائِدِ
﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ مَا يَسْطُرُهُ الْحَفَظَةُ، وَ«مَا» مَوْضُوعَةٌ أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ، وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْقَلَمِ أَصْحَابَهُ، فَيَكُونُ الضَّمِيرُ فِي ﴿يَسْطُرُونَ﴾ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُ
قَالَ: وَأَصْحَابُ الْقَلَمِ وَمَسْطُورَاتُهُمْ، أَوْ: يُرِيدُ: وَسَطُرُهُمْ.

- (١) قرأ نافع برواية يعقوب بن جعفر عنه وعاصم برواية أبي بكر عنه والكسائي بالإدغام
(بإخفاء النون الثانية) والباقون بالإظهار والبيان. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٤٦.
(٢) قاله ابن عباس ومجاهد. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ١٧٦، ورواه ابن عباس عن
النبي ﷺ كما في الدر المنثور: ج ٨ ص ٢٤١.
(٣) قاله ابن عباس في رواية أخرى والحسن وقتادة. راجع المصدر السابق. ورواه أبوهريرة
عن النبي ﷺ كما في الدر المتقدم.
(٤) رواه علي بن ابراهيم القمي في تفسيره: ج ٢ ص ٣٧٩ بإسناده عن عبدالرحمن القصير عن
أبي عبدالله عليه السلام، والصدوق أيضاً في معاني الأخبار: ص ٢٢ - ٢٣. وفي علل الشرائع:
ص ٤٠٢ عنه عليه السلام.

﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ في محل نصب على الحال، والمعنى: مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ مُنْعَمًا عليك بذلك، وهو جواب لقولهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾^(١) ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على تحمّل أعباء الرسالة وقيامك بواجبها ﴿لَا جُرَأَ﴾ لشواباً ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ غَيْرَ مَقْطُوعِ كَقَوْلِهِ: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ﴾^(٢)، أو: غَيْرَ مَمْنُونٍ عليك به لَأَنَّهُ ثَوَابٌ تَسْتَحِقُّهُ عَلَى عَمَلِكَ.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ اسْتَغْظَمَ سُبْحَانَهُ خُلُقَهُ لِفَرْطِ أَحْتِمَالِهِ الْمُضَاطَّاتِ^(٣) من قَوْمِهِ، وَحُسْنِ مُخَالَفَتِهِ لَهُمْ، وَقِيلَ: هُوَ الْخُلُقُ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٤).

وفي الحديث: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٥).

وعنه أيضاً عليه السلام: «أَحَبُّكُمْ إِلَيَّ اللَّهُ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقاً، الْمُوْطَّئُونَ أَكْنَافاً، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَأَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ اللَّهُ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ، الْمَلْتَمِسُونَ لِلْبَرَاءِ الْعَثَرَاتِ»^(٦).

﴿فَسَتُبْصِرُ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾ أَيُّكُمْ ﴿الْمَفْتُونُ﴾ الْمَجْنُونُ لِأَنَّهُ قُتِنَ أَيُّ: مُجِنَ بِالْجُنُونِ، وَالْبَاءُ مَزِيدَةٌ، أَوْ: ﴿الْمَفْتُونُ﴾ مَصْدَرٌ كَالْمَعْقُولِ وَالْمَجْلُودِ، أَيُّ: بِأَيُّكُمْ الْجُنُونُ، أَوْ: بِأَيِّ الْفَرِيقَيْنِ مِنْكُمْ الْجُنُونُ، ابْفَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْ ابْفَرِيقِ الْكَافِرِينَ، أَيُّ: فِي أَيُّهُمَا يُوجَدُ مَنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا الْاسْمَ، وَهُوَ تَعْرِضٌ بِأَبِي جَهْلٍ

(١) الحجر: ٦. (٢) هود: ١٠٨.

(٣) أي: الموجعات من المصائب. (الصحاح: مادة مضض).

(٤) أخرجه الصفار القمي في بصائر الدرجات: ص ٣٧٨ ب التفويض الى رسول الله ﷺ قطعة ح ٣ باسناده عن القاسم بن محمد. والآية: ١٩٩ من الأعراف.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ج ١٠ ص ١٩١ - ١٩٢ عن أبي هريرة.

(٦) أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين: ج ٧ ص ٥٦٢ بهذا اللفظ وما يقاربه.

والوليد بن المغيرة وأضرابهما، وهو مثل قوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشْرُ﴾ (١).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ بالمجانين على الحقيقة، وهم الذين ضلُّوا ﴿عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ بالعقلاء وهم المهتدون، أو: يكون وعيداً ووعداً، وإنه أعلم بجزاء الفريقين.

وعن الضحَّاك: لما رأت قريشُ تقدِيمَ النبي ﷺ علياً قالوا: أفتتن به محمدٌ ﷺ فانزل الله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ إلى قوله ﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، وهم النفر الذين قالوا ما قالوا ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ علي بن أبي طالب عليه السلام (٢).
﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ تهيج وإلهاب للتضميم على معاصاتهم فيما يريدون. ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ تلين وتُصانع ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ أي: فهم يدهنون حينئذ، أو: ودُّوا إدهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في إدهانك.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل، وكفى به زجراً لمن اعتاد الحلف ﴿مَهِينٍ﴾ من المهانة، وهي القلة والحقارة، يريد: القلة في الرأي والتدبير، أو: أراد الكذاب لأنه حقير عند الناس. ﴿هَمَّازٍ﴾ عَيَّاب طعان، وعن الحسن: يلوي بشدقيه في أقفية الناس (٣) ﴿مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ قَتَاتٍ نَقَالٍ للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم، والنمِيمُ والنَمِيمَةُ: السعاية. ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ بخيل، والخير: المال، وعن ابن عباس: مَنَاعٌ عشيرته عن الإسلام وهو الوليد بن المغيرة، كان مؤسراً وله عشرة بنين فكان يقول لهم وللحمية: مَنْ أَسْلَمَ

(١) القمر: ٢٦.

(٢) أخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٣٥٩ ح ١٠٠٦ بالإسناد عنه، والسيد البحراني عنه أيضاً في غاية المرام: ص ٤٤١ ب ٢٣٣.

(٣) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٦ ص ٦٣.

مَنْكُم مَّنْعَتُهُ رِفْدِي^(١). وعن مُجَاهِدٍ: هُوَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ^(٢)، وعن السَّدي: الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ^(٣). ﴿مُعْتَدٍ﴾ مُجَاوِزٍ لِلْحَقِّ ظُلُومٍ، ﴿أَثِيمٍ﴾ آثِمٍ كَثِيرِ الْإِثْمِ. ﴿عُتْلٌ﴾ غَلِيظٌ جَافٍ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بَعْدَ مَا عَدَّدَهُ مِنَ الْمَثَالِبِ ﴿زَنِيمٍ﴾ دَعِيٍّ، قَالَ حَسَّانُ:

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نَيْطٌ خَلْفَ الرَّاكِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ^(٤)
وَكَانَ الْوَلِيدُ دَعِيًّا فِي قُرَيْشٍ أَدْعَاهُ أَبُوهُ بَعْدَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ مَوْلَدِهِ، جَعَلَ جَفَاءَهُ وَدَعْوَتَهُ أَشَدَّ مَعَائِبِهِ، لِأَنَّ مَنْ جَفَا وَقَسَا قَلْبُهُ أَجْتَرَأَ عَلَى كُلِّ مَعْصِيَةٍ، وَلِأَنَّ النَّطْفَةَ إِذَا خَبَّتْ خَبَّتَ النَّاشِئُ مِنْهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَدُ الزَّنا، وَلَا وَلَدُهُ، وَلَا وَلَدُ وَلَدِهِ»^(٥).

وعنه عليه السلام: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ جَوَّاطٌ وَلَا جَعْظَرِيٌّ، وَلَا عُتْلٌ زَنِيمٌ»^(٦).
وَالزَّانِمُ: مِنَ «الزَّانِمَةِ» وَهِيَ الْهَنَةُ مِنْ جِلْدِ الْمَاعِزَةِ، تُقَطَّعُ فُتَعَلَّقُ فِي حَلْقِهَا، لِأَنَّهُ زِيَادَةٌ مَعْلُوقَةٌ بغيرِ أَهْلِهِ. ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ﴾ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُطْعُ﴾ يَعْنِي: وَلَا تُطْعَمُ
مَعَ هَذِهِ الْمَثَالِبِ لِأَنَّ كَانَ ذَا مَالٍ، أَي: لَيْسَ أَرَاهُ وَحَظَّهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَا

(١) تفسير ابن عباس: ص ٤٨١.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٨٧.

(٣) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٦ ص ٦٣.

(٤) من قصيدة يخاطب الوليد بن المغيرة، حيث سبَّهه بالقَدَحِ المنفرد الفارغ المعلق خلف الراكب. انظر ديوان حسان بن ثابت: ج ١ ص ٣٩٨، وفيه: «وَكُنْتُ دَعِيًّا نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ».

(٥) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير: ج ٢ ص ٢٥٧، وفي التاريخ الصغير: ج ١ ص ٢٦٣، وأبونعيم في حلية الأولياء: ج ٢ ص ٣٠٨.

(٦) أخرجه أحمد في المسند: ج ٤ ص ٢٢٧، والزيبي في الاتحاف: ج ٥ ص ٣٥٦. والجَوَّاطُ: الكثير اللحم الجافي الغليظ الضخم المختال في مشيته، وقيل: المتكبر الجافي، وقيل: الفاجر، وقيل: الصيحات الشرير. والجعظري: المتكبر الجافي عن الموعظة، وقيل: القصير الغليظ، وقيل: الفظ الغليظ. (لسان العرب).

بَعْدَهُ عَلَى مَعْنَى: لَكُونِهِ مُتَمَوِّلاً مُسْتَظْهِراً بِالْبَيِّنِ كَذَبَ بآيَاتِنَا، وَلَا يُعْمَلُ فِيهِ.
﴿قَالَ﴾ الَّذِي هُوَ جَوَابُ ﴿إِذَا﴾ لِأَنَّ مَا بَعْدَ الشَّرْطِ لَا يَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَهُ، وَلَكِنْ مَا
دَلَّتْ عَلَيْهِ الْجُمْلَةُ مِنْ مَعْنَى التَّكْذِيبِ. وَقُرِئَ: ﴿أَنْ كَانَ﴾ عَلَى الِاسْتِفْهَامِ
بِهَمْزَتَيْنِ ^(١) وَبِهَمْزَةٍ مَمْدُودَةٍ ^(٢) أَي: أَلَا أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ كَذَبَ؟

و ﴿الْخُرْطُومُ﴾ الْأَنْفُ، وَالْوَجْهُ أَكْرَمُ مَوْضِعٍ فِي الْجَسَدِ، وَالْأَنْفُ أَكْرَمُ مَوْضِعٍ
مِنَ الْوَجْهِ، وَلِذَلِكَ جَعَلُوهُ مَكَانَ الْعِزَّةِ وَالْحِمِيَّةِ، وَأَشْتَقُّوا مِنْهُ: الْأَنْفَةُ فَقَالُوا: «حَمِيَّ
أَنْفُهُ»، وَ «شَمَخَ بِأَنْفِهِ»، وَ «الْأَنْفُ فِي الْأَنْفِ» فَعَبَّرَ سُبْحَانَهُ بِالْوَسْمِ عَلَى الْخُرْطُومِ
عَنْ غَايَةِ الْإِذْلَالِ وَالْإِهَانَةِ، لِأَنَّ الْوَسْمَ عَلَى الْوَجْهِ شَيْنٌ وَإِذَالَةٌ ^(٣)، فَكَيْفَ بِهِ عَلَى
أَكْرَمِ مَوْضِعٍ مِنْهُ، وَفِي لَفْظِ ﴿الْخُرْطُومِ﴾ اسْتِهَانَةٌ بِهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: سَنُعْلِمُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِعَلَامَةٍ مُشَوِّهَةٍ يَبِينُ بِهَا عَنْ سَائِرِ الْكُفَرَةِ كَمَا عَادَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَدَاوَةً
بَانَ بِهَا عَنْهُمْ ^(٤).

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا
مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَشْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ
نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنْ اغْدُوا
عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا
يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينُ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ (٢٥) فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَّالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ
أَقُلْ لَّكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ

(١) قرأه حمزة وأبو بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٤٦.

(٢) قرأه ابن عامر وحمزة برواية أبي عبيد عنه. راجع المصدر السابق.

(٣) كذا، تبعاً للكشاف، ولم نجد لها وجهاً في كتب اللغة.

(٤) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٢٠٧.

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْهُمُْونَ (٣٠) قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طُغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴿

إِنَّا بَلَوْنَا أَهْلَ مَكَّةَ بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ وَهُمْ قَوْمٌ كَانَ لَأَيُّهُمْ هَذِهِ الْجَنَّةُ دُونَ صَنْعَاءَ بِفَرَسَخَيْنِ، فَكَانَ يَأْخُذُ مِنْهَا قُوَّةَ سَنَةٍ وَيَتَصَدَّقُ بِالْبَاقِي، وَكَانَ يَتْرُكُ لِلْمَسَاكِينِ مَا أَخْطَأَهُ الْمِنْجَلُ، وَمَا فِي أَسْفَلِ الْأَكْدَاسِ، وَمَا أَخْطَأَهُ الْقُطَافُ مِنَ الْعِنَبِ، وَمَا بَقِيَ عَلَى الْبِسَاطِ الَّذِي يُبْسِطُ تَحْتَ النَّخْلَةِ إِذَا صُرِّمَتْ، فَكَانَ يَجْتَمِعُ لَهُمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ، فَلَمَّا مَاتَ قَالَ بَنُوهُ: إِنِ فَعَلْنَا مَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُونَا ضَاقَ عَلَيْنَا الْأَمْرُ وَنَحْنُ أَوْلُو عِيَالٍ، فَحَلَفُوا ﴿ لَيَضْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ دَاخِلِينَ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ خُفِيَةً عَنِ الْمَسَاكِينِ. وَلَمْ يَسْتَشْئِرُوا أَيَّ لَمْ يَقُولُوا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي يَمِينِهِمْ، فَأَحْرَقَ اللَّهُ جَنَّتَهُمْ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ ذَلِكَ أَسْتِثْنَاءً وَهُوَ شَرْطٌ لِأَنْ مَعْنَى قَوْلِكَ: لَا أَخْرُجَنَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا أَخْرُجُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاحِدٌ.

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا ﴾ إِهْلَاكُ أَوْ بَلَاءٌ ﴿ طَائِفٌ ﴾ فِي حَالِ نَوْمِهِمْ. ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ كَالْمَصْرُومَةِ لِإِهْلَاكِ ثَمَرِهَا، وَقِيلَ: كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ أَيَّ: أَحْتَرَقَتْ فَاسْوَدَّتْ ^(١) ﴿ فَتَنَادَوْا ﴾ أَيَّ: نَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقَتِ الصَّبَاحِ ﴿ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَزْزِكُمْ ﴾ أَيَّ: أَقْبِلُوا عَلَيْهِ بِأَكْرَبِينَ ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ ﴾ حَاصِدِينَ وَقَاطِعِينَ النَّخْلَ. ﴿ فَانْطَلَقُوا ﴾ فَمَضَوْا ﴿ وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴾ يَتَسَارَتُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ. ﴿ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا ﴾: «أَنْ» مَفْسَّرَةٌ، وَالنَّهْيُ عَنِ الدُّخُولِ لِلْمَسْكِينِ نَهْيٌ لَهُمْ عَنِ تَمَكِينِهِ مِنْهُ، أَيَّ: لَا تُمَكِّنُوهُ مِنَ الدُّخُولِ حَتَّى يَدْخُلَ، كَقَوْلِكَ: لَا أَرِيَنَّكَ هَا هُنَا.

﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ ﴾ وَهُوَ مِنْ: حَارَدَتِ السَّنَةُ: إِذَا مَنَعَتْ خَيْرَهَا، وَالْمَعْنَى:

(١) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٨١.

وَعَدُوا قَادِرِينَ عَلَى نَكْدٍ وَذَهَابٍ خَيْرٍ عَاجِزِينَ عَنِ النَّفْعِ، أَوْ: لَمَّا قَالُوا: أَغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ وَقَدْ فَسَدَتْ نَبَاتُهُمْ عَاقِبُهُمْ اللَّهُ بِأَنْ حَارَدَتْ جَنَّتُهُمْ وَحُرِّمُوا خَيْرَهَا، فَلَمْ يَغْدُوا عَلَى حَرْثٍ وَإِنَّمَا غَدُوا عَلَى حَرْدٍ. و ﴿قَادِرِينَ﴾ مِنْ عَكْسِ الْكَلَامِ لِلتَّهْكُمِ، أَي: قَادِرِينَ عَلَى مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الصَّرَامِ وَحِرْمَانِ الْمَسَاكِينِ، و ﴿عَلَى حَرْدٍ﴾ لَيْسَ بِصِلَةٍ لِلْقَادِرِينَ، وَقِيلَ: ﴿عَلَى حَرْدٍ﴾ عَلَى قَصْدٍ إِلَى جَنَّتِهِمْ بِسُرْعَةٍ وَنَشَاطٍ ﴿قَادِرِينَ﴾ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ يَقُولُونَ: نَحْنُ نَقْدِرُ عَلَى صَرَامِهَا ^(١)، أَوْ: مُقَدِّرِينَ أَنْ يَتَمَّ لَهُمْ مُرَادُهُمْ مِنَ الصَّرَامِ وَالْحِرْمَانِ.

﴿فَلَمَّا﴾ رَأَوْا جَنَّتَهُمْ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ ﴿قَالُوا﴾ فِي بَدِيهِهِ وَصُولِهِمْ ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ ضَلَلْنَا جَنَّتَنَا وَمَا هِيَ بِهَا، فَلَمَّا تَأَمَّلُوا عَرَفُوا أَنَّهَا هِيَ. قَالُوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَخْرُومُونَ﴾ حُرِّمْنَا خَيْرَهَا لِجِنَايَتِنَا عَلَى أَنْفُسِنَا. ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أَعْدَلُهُمْ وَخَيْرُهُمْ، يُقَالُ: هُوَ مِنْ وَسْطِ قَوْمِهِ ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ هَلَّا تَذْكُرُونَ اللَّهَ وَتَتُوبُونَ إِلَيْهِ مِنْ خُبْتِ نَبَاتِكُمْ؟ ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ تَكَلَّمُوا بِمَا دَعَاهُمْ إِلَى التَّكَلُّمِ بِهِ، نَزَّهُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَنِ الظُّلْمِ وَعَنْ كُلِّ قَبِيحٍ، ثُمَّ اعْتَرَفُوا بِظُلْمِهِمْ فِي مَنْعِ الْمَعْرُوفِ وَتَرْكِ الْإِسْتِثْنَاءِ.

﴿يَتَلَوُمُونَ﴾ أَي: يَلُومُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُمْ. ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ مَتَجَاوِزِينَ الْحَدَّ فِي الظُّلْمِ. ﴿أَنْ يُبَدِّلَنَا﴾ قُرِئَ بِالتَّشْدِيدِ ^(٢) وَالتَّخْفِيفِ ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رُغَبُونَ﴾ طَالِبُونَ مِنْهُ الْخَيْرَ. مِثْلُ ذَلِكَ ﴿الْعَذَابُ﴾ الَّذِي بَلَوْنَا بِهِ أَهْلَ مَكَّةَ وَأَصْحَابَ الْجَنَّةِ عَذَابُ الدُّنْيَا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْهُ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: تَابُوا فَأَبْدَلُوا خَيْرًا مِنْهَا ^(٣). وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: بَلَغَنِي أَنَّهُمْ

(١) قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ١٩١.

(٢) وهي قراءة نافع وأبي عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٣٩٧.

(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٩٢.

أَخْلَصُوا، وَعَرَفَ اللَّهُ مِنْهُمْ الصَّدَقَ فَأَبْدَاهُمْ بِهَا جَنَّةً يُقَالُ لَهَا: الْحَيَوَانُ، فِيهَا عِنَبٌ يَحْمَلُ الْبَغْلُ مِنْهُ عُثْقُوداً^(١).

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَنُ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلِّمُوا أَيُّهَ الَّذِي بِيَدِ الْوَيْدِ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُخُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ، لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٥٢)﴾

﴿جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ جَنَّاتٌ ليس فيها إلا التَّعْنُمُ الْخَالِصُ لَا يَشُوبُهُ مَا يَنْقُصُهُ، كَمَا يَشُوبُ جَنَاتُ الدُّنْيَا. وَكَانَ الْمَشْرُكُونَ يَقُولُونَ: إِنْ كَانَ بَعَثَ وَجَرَاءُ كَمَا يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ فَإِنَّ حَالَنَا يَكُونُ مِثْلَ مَا هِيَ فِي الدُّنْيَا، فَأَخْبَرَهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ أَبَدًا ثُمَّ خَاطَبَهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِلْتِفَاتِ فَقَالَ: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

(١) حكاها عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٣٨١.

هذا الحُكْمُ الباطِلُ، كَأَنَّ أَمْرَ الْجَزَاءِ مَفْوُضٌ إِلَيْكُمْ حَتَّى تَحْكُمُوا فِيهِ بِمَا شِئْتُمْ.
﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ مِنَ السَّمَاءِ تَدْرُسُونَ ﴿فِيهِ﴾ أَنْ مَا تَخْتَارُونَهُ لَكُمْ. وَالْأَصْلُ:
تَدْرُسُونَ أَنْ لَكُمْ مَا تَخَيَّرُونَ، بَفَتْحِ «أَنَّ» لِأَنَّهُ مَذْرُوسٌ، فَلَمَّا جَاءَتْ اللَّامُ كُسِرَتْ
«إِنَّ»، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حِكَايَةً لِلْمَذْرُوسِ كَمَا هُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ
سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾^(١)، وَتَخَيَّرَ الشَّيْءَ: أَخَذَ خَيْرَهُ، وَمِثْلُهُ: اخْتَارَهُ، نَحْوُ:
تَنَخَّلَهُ وَأَنْتَخَلَهُ: أَخَذَ مِنْخُولَهُ.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَنُ﴾ مُغْلَظَةٌ مَتَّاهِيَةٌ فِي التَّوَكِيدِ ثَابِتَةٌ ﴿عَلَيْنَا... إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾
لَا تَخْرُجُ عَنْ عَهْدَتِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِذَا أُعْطِينَاكُمْ مَا تَحْكُمُونَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ
﴿إِلَى﴾ بِـ ﴿بَلِغَةً﴾ عَلَى مَعْنَى: أَنَّهَا تَبْلُغُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَتَنْتَهِي إِلَيْهِ، وَافِرَةٌ لَمْ تَبْطُلْ
مِنْهَا يَمِينٌ إِلَى أَنْ يَحْصَلَ الْمُقَسَّمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾.

﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ﴾ الْحُكْمِ ﴿زَعِيمٌ﴾ أَيُّ: كَفِيلٌ، وَهُوَ: أَنْ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَا
لِلْمُسْلِمِينَ. ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ فِي هَذَا الْقَوْلِ يَشَارِكُونَهُمْ فِيهِ، وَيُؤَافِقُونَهُمْ عَلَيْهِ
﴿فَلْيَأْتُوا﴾ بِهِمْ ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ فِي دَعْوَاهُمْ، يُرِيدُ: أَنَّ أَحَدًا لَا يُسَلِّمُ لَهُمْ هَذَا،
كَمَا أَنَّهُ لَا كِتَابَ لَهُمْ يَنْطِقُ بِهِ، وَلَا عَهْدَ لَهُمْ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا زَعِيمٌ لَهُمْ يَقُومُ بِهِ.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ، وَأَصْلُهُ فِي الْحَرْبِ^(٢)
وَالْهَزِيمَةِ بِتَشْمِيرِ الْمُخَدَّرَاتِ عَنْ سُوقِهِنَّ فِي الْهَرَبِ، قَالَ:

كَشَفَتْ لَكُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَأَ مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاخُ^(٣)

وَالْمَعْنَى: يَوْمَ يَشْتَدُّ الْأَمْرُ وَيَتَفَاقَمُ، وَلَا سَاقَ ثَمَّ وَلَا كَشْفٌ وَإِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ،

(١) الصَّافَات: ٧٨ و ٧٩. (٢) فِي الْكَشَافِ: «الرُّوع».

(٣) فِي نَسْخَةِ: «الصَّرَاحِ» بَدَلَ «الصُّرَاخِ». وَالْبَيْتُ لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ جَدِّ طَرْفَةِ بْنِ الْعَبْدِ الشَّاعِرِ
الشَّهِيرِ. أَنْظَرَ مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ: ج ٣ ص ١٧٧ وَفِيهِ: «لَهُمْ» بَدَلَ «لَكُمْ»، وَ «الْبِرَاحِ» بَدَلَ
«الصُّرَاخِ».

وإنما جاء مُنْكَرًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ مِنْهُمْ فِي الشَّدَّةِ، خَارِجٌ عَنِ الْعَادَةِ. وَالْعَامِلُ فِي ﴿يَوْمٌ﴾: ﴿فَلْيَأْتُوا﴾، أَوْ: هُوَ عَلَى: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ يَكُونُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ، فَحُذِفَ لِلتَّهْوِيلِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ تَمَّ مِنَ الْكَوَائِنِ مَا لَا يُوصَفُ لِعَظَمَتِهِ ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ تَغْنِيْفًا لَا تَكْلِيْفًا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِسْطَاعَةِ تَحْسِيرًا لَهُمْ وَتَنْذِيمًا عَلَى مَا فَرَطُوا فِيهِ حِينَ دُعُوا إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُو الْأَضْلَابِ وَالْمَفَاصِلِ مُتَمَكِّنُونَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «يَبْقَى أَضْلَابُهُمْ طَبَقًا وَاحِدًا»^(١) أَي: فَقَارَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَتَنَّى.

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، يُقَالُ: ذَرْنِي وَإِيَّاهُ، أَي: كَلِّهِ إِلَيَّ فَإِنِّي سَأَكْفِيكَهُ، وَالْمُرَادُ: حَسْبِي مُجَازِيًا لِمَنْ يُكَذِّبُ بِكِتَابِي، فَلَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِشَأْنِهِ.

وَفِي الْأَثَرِ: «كَمْ مِنْ مُسْتَدْرِجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ! وَكَمْ مِنْ مَغْرُورٍ بِالسَّخَرِ عَلَيْهِ! وَكَمْ مِنْ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ!»^(٢).

سَمَّى جَلَّ أَسْمُهُ إِحْسَانَهُ وَتَمَكِينَهُ كَيْدًا، كَمَا سَمَّاهُ أَسْتِدْرَاجًا وَهُوَ الْإِسْتِزَالُ إِلَى الْهَلَاكِ دَرَجَةً دَرَجَةً حَتَّى يَتَوَرَّطَ فِيهِ، لِكَوْنِ ذَلِكَ فِي صُورَةِ الْكَيْدِ مِنْ حَيْثُ كَانَ السَّبَبُ فِي الْهَلَاكِ.

وَالْمَغْرَمُ: الْغَرَامَةُ، أَي: لَمْ تَطْلُبْ مِنْهُمْ عَلَى الْهِدَايَةِ وَالتَّعْلِيمِ ﴿أَجْرًا﴾ فَيَثْقُلُ عَلَيْهِمْ حَمْلُ الْغَرَامَاتِ فِي أَمْوَالِهِمْ فَتَبَطَّهْمُ ذَلِكَ عَنِ الْإِيمَانِ.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أَي: اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ مِنْهُ مَا يَحْكُمُونَ بِهِ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ هُوَ إِمَهَالُهُمْ وَتَأْخِيرُ نُصْرَتِكَ عَلَيْهِمْ ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُخُوتِ﴾ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِذْ نَادَى﴾ فِي بَطْنِ الْخُوتِ ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مَمْلُوءٌ غَمًّا مِنْ:

(١) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٥٩٥ بهذا اللفظ مرسلًا.

(٢) المأثور عن الحسن البصري. راجع تفسيره: ج ٢ ص ٣٦١.

كَظَمَ السَّقَاءِ إِذَا مَلَأَهُ، والمعنى: لَا يُوجَدُ مِنْكَ مَا وَجَدَ مِنْهُ مِنَ الضَّجَرِ وَالْمُغَاضَبَةِ لِقَوْمِهِ. ﴿لَوْلَا أَنْ تَذَرَكَهُ﴾ رَحْمَةً ﴿مَنْ رَبُّهُ﴾ بِإِجَابَتِهِ ^(١) وَتَخْلِيصِهِ مِنْ بَطْنِ الْحَوْتِ حَيًّا ﴿لَنُبَذَ بِالْعَرَاءِ﴾ لَطَرَحَ بِالْفَضَاءِ، وَحَسُنَ تَذَكِيرُ ﴿تَذَرَكَهُ﴾ لِفَضْلِ الضَّمِيرِ. ﴿فَاجْتَبَهُ رَبُّهُ﴾ أَي: اخْتَارَهُ ﴿فَجَعَلَهُ مِنْ﴾ الْأَنْبِيَاءِ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ، وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: رَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ الْوَحْيَ وَشَفَعَهُ فِي نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ ^(٢).

﴿وَإِنْ﴾ هِيَ الْمَخَفَّةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاللَّامُ هِيَ الْفَارَقَةُ، وَقُرِئَ: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ بضم الياءِ وَفَتْحِهَا ^(٣)، وَزَلَقَهُ وَأَزْلَقَهُ بِمَعْنَى، وَالْمَعْنَى: يَكَادُ الْكُفَّارُ مِنْ شِدَّةِ تَحْدِيقِهِمْ وَنَظَرِهِمْ إِلَيْكَ شَزْرًا بَعِيُونَ الْبَغْضَاءِ وَالْعَدَاوَةِ يُزِلُّونَ قَدَمَكَ أَوْ يُهْلِكُونَكَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: نَظَرَ إِلَيَّ نَظْرًا يَكَادُ يَضْرَعُنِي، وَقِيلَ: كَانَتْ الْعَيْنُ فِي بَنِي أَسَدٍ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَتَجَوَّعُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَا يَمُرُّ بِهِ شَيْءٌ فَيَقُولُ فِيهِ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مِثْلَهُ، إِلَّا عَانَهُ، فَأَرَادُوا أَنْ يَقُولَ بَعْضُهُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ فَعَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهُ ^(٤). وَعَنِ الْحَسَنِ: دَوَاءُ الْإِصَابَةِ بِالْعَيْنِ أَنْ يُقْرَأَ هَذِهِ الْآيَةُ ^(٥). ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ أَي: الْقُرْآنَ لَمْ يَمْلِكُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا أُوتِيَتْ مِنَ النَّبُوَّةِ ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ حِيرَةً فِي أَمْرِكَ، وَتَنْفِيرًا عَنْكَ. ﴿وَمَا هُوَ﴾ أَي: وَلَيْسَ الْقُرْآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وَمَوْعِظَةٌ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ وَهِدَايَةٌ لَهُمْ إِلَى الرُّشْدِ، فَكَيْفَ يُجَنُّ مَنْ جَاءَ بِمِثْلِهِ؟! وَقِيلَ: ﴿ذِكْرٌ﴾ شَرَفٌ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ^(٦).

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «بِإِجَابَةِ دَعَائِهِ».

(٢) حَكَاهُ عَنْهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٥٩٦.

(٣) وَبِالْفَتْحِ هِيَ قِرَاءَةٌ نَافِعٌ وَحْدَهُ. رَاجَعَ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٦٤٧.

(٤) قَالَهُ الْكَلْبِيُّ فِيمَا حَكَاهُ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ: ص ٣٧٨ ح ٨٩٤. وَعَانَهُ: أَي: أَصَابَهُ بِالْعَيْنِ فَهُوَ عَائِنٌ، وَالْمَصَابُ مَعِينٌ وَمَعْيُونٌ (لِسَانُ الْعَرَبِ).

(٥) حَكَاهُ عَنْهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ٤ ص ٣٨٥.

(٦) قَالَهُ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٩٢.

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

مَكِّيَّةٌ ^(١) وَهِيَ إِحْدَى وَخَمْسُونَ آيَةً بَصْرِيٌّ، اثْنَتَانِ غَيْرُهُمْ، عَدَّ الْكُوفِيُّ
﴿الْحَاقَّةُ﴾ الْأُولَى.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ حَاسِبَهُ اللَّهُ حِسَابًا يَسِيرًا» ^(٢).
وَعَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام: «أَكْثَرُوا مِنْ قِرَاءَةِ الْحَاقَّةِ، فَإِنَّ قِرَاءَتَهَا فِي الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ
مِنْ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَنْ يُسَلَبَ قَارِئُهَا دِينُهُ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا
بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٩٣: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ
وغيرهما، وَهِيَ اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ وَالْمَدَنِيِّينَ، وَإِحْدَى وَخَمْسُونَ فِي الْبَصْرِيِّ.
وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٥٩٨: مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٥٢) نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَلِكِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦٠٧ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٧ وَفِيهِ بَعْدَ لَفْظِهِ «وَرَسُولُهُ»: «لَأَنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِي
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَمَعَاوِيَةَ».

فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُغْبَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) ﴿

﴿الْحَاقَّةُ﴾ السَّاعَةُ الْوَاجِبَةُ الْمَجِيءِ الثَّابِتَةُ الْوُقُوعِ، الَّتِي هِيَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، أَوْ: الَّتِي هِيَ ذَاتُ الْحَوَاقِ مِنَ الْأُمُورِ مِثْلُ: الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، أَوْ: الصَّادِقَةُ الْوَاجِبَةُ الصَّدَقِ تُعْرَفُ فِيهَا الْأُمُورُ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَهِيَ مَرْتَفَعَةٌ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ، وَخَبَرُهَا ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾، وَالْأَصْلُ: [الْحَاقَّةُ] ^(١) مَا هِيَ؟ أَي: أَيُّ شَيْءٍ هِيَ؟ تَفْخِيمًا لِّشَأْنِهَا وَتَعْظِيمًا لِّهَوْلِهَا، فَوُضِعَ الظَّاهِرُ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ لِدَلَالَتِهِ. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أَيُّ شَيْءٍ أَعْلَمَكَ ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾: ﴿مَا﴾ مَبْتَدَأٌ وَ﴿أَدْرَاكَ﴾ مَعْلُقٌ عَنْهُ لِيَتَضَمَّنِيهِ مَعْنَى الْإِسْتِفْهَامِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا مِنَ الْعِظَمِ وَالْهَوْلِ بَحِيثٌ لَا يَبْلُغُهُ دِرَآيَةُ أَحَدٍ، فَمِنْ أَيْنَ لَكَ الْعِلْمُ بِكُنْهَافِهَا وَمَدَى عَظَمِهَا؟

وَالْقَارِعَةُ: الَّتِي تَقْرَعُ النَّاسَ بِالْأَهْوَالِ وَالْأَفْزَاعِ، وَضِعَتْ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ لِتَدُلَّ عَلَى مَعْنَى الْقَرَعِ فِي «الْحَاقَّةِ» زِيَادَةً فِي وَصْفِ شِدَّتِهَا. وَلَمَّا ذَكَرَهَا وَعَظَّمَ أَمْرَهَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ إِهْلَاكِ مَنْ كَذَّبَ بِهَا تَذْكِيراً لِلْأَهْلِ

(١) زيادة يقتضيها السياق .

مَكَّةَ وَتَخْوِيفاً لَهُمْ مِنْ أَنْ يُصِيبَهُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ ﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ بِالْوَاقِعَةِ الْمُجَاوِزَةِ
لِلْحَدِّ فِي الشَّدَّةِ، وَهِيَ الرَّجْفَةُ، أَوِ الصَّيْحَةُ، أَوِ الصَّاعِقَةُ، وَقِيلَ: «الطَّاغِيَةُ» مَصْدَرٌ^(١)
أَيُّ: بِطُغْيَانِهِمْ. وَالصَّرْصَرُ: الشَّدِيدَةُ الصَّوْتِ لَهَا صَرْصَرٌ، وَقِيلَ: الْبَارِدَةُ مِنْ: «الصَّر»
كَأَنَّهَا الَّتِي كَرَّرَ فِيهَا الْبَرْدُ وَكَثُرَ، فَهِيَ تُحْرِقُ لِشِدَّةِ بَرْدِهَا^(٢) ﴿عَاتِيَةٍ﴾ عَتَتْ عَلَى
خُرَايْنِهَا فَخَرَجَتْ بِلَا كَيْلٍ وَلَا وَزْنٍ، أَوْ: عَتَتْ عَلَى عَادٍ بِشِدَّةِ عَصْفِهَا فَلَمْ يَقْدِرُوا
عَلَى التَّوَقُّي مِنْهَا.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَلَطَهَا عَلَيْهِمْ﴾ سَبَعَ لَيَالٍ وَثَمَنِينَ أَيَّامٍ ﴿وَهِيَ أَيَّامُ الْعَجُوزِ﴾
وَذَلِكَ أَنَّ عَجُوزاً مِنْ عَادٍ دَخَلَتْ سَرْباً فَانْتَزَعَتْهَا الرِّيحُ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ فَأَهْلَكَتْهَا،
وَقِيلَ: سُمِّيَتْ أَيَّامُ الْعَجُوزِ لِأَنَّهَا فِي عَجْرِ الشِّتَاءِ وَهُوَ آخِرُهُ^(٣) ﴿حُسُوماً﴾ مَصْدَرٌ
أَوْ: جَمْعُ «حَاسِمٍ»، فَإِنْ كَانَ مَصْدَرًا فَهُوَ صِفَةٌ، أَيُّ: ذَاتَ حُسُومٍ، أَوْ: مَنْصُوبٌ بِفِعْلِهِ
الْمُضْمَرِ أَيُّ: تُحْسِمُ حُسُوماً بِمَعْنَى: تَسْتَأْصِلُ أَسْتِئْصَالًا، وَإِنْ كَانَ جَمْعًا فَالْمَعْنَى:
مُتَتَابِعَةً لَيْسَتْ لَهَا فِتْرَةٌ أَوْ: نَحِسَاتٍ حَسَمَتْ كُلَّ خَيْرٍ، حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي
﴿سَخَّرَهَا﴾، وَالْأَوَّلُ تَشْبِيهٌُ بِتَتَابُعِ فِعْلِ الْحَاسِمِ فِي إِعَادَةِ الْكَيِّْ عَلَى الدَّاءِ حَتَّى
يُنْحَسِمَ ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا﴾ أَيُّ: فِي مَهَابِّهَا، أَوْ: فِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ﴿كَأَنَّهُمْ
أَعْجَازُ﴾ أَصُولٍ ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ نَخْرَةٌ خَالِيَةٌ الْأَجْوَافِ. ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾
مِنْ بَقِيَّةٍ، أَوْ: مِنْ نَفْسٍ بَاقِيَةٍ، أَوْ: مِنْ بَقَاءٍ مَصْدَرٌ كَالْعَافِيَةِ، وَقَدْ قُرِئَ بِإِدْغَامِ اللَّامِ
فِي النَّاءِ^(٤).

(١) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج ٢ ص ٢٦٧، والزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٢١٣.

(٢) قاله ابن عباس وقتادة والضحاك. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٣) قاله البيضاوي الشافعي في تفسيره: ج ٢ ص ٤٩٩.

(٤) وهي قراءة أبي عمرو وحده، وهو المعروف مذهبه في الإدغام. راجع التذكرة في
القراءات: ج ١ ص ٢٣٣.

«وَمَنْ قَبْلَهُ»^(١) يُرِيدُ: وَمَنْ عِنْدَهُ مِنْ حَشَمِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَقُرِئَ: «وَمَنْ قَبْلَهُ» أَيِ: وَمَنْ تَقَدَّمَهُ «وَالْمُؤْتَفِكْتُ» الْمُنْقَلِبَاتُ بِأَهْلِهَا، وَهِيَ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ «بِالْخَاطِئَةِ» بِالْخَطِيئَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ الشَّرْكُ وَالْفَاحِشَةُ، أَوْ: بِالْأَفْعَالِ أَوْ الْفِعْلَةِ ذَاتِ الْخَطَأِ الْكَبِيرِ «فَأَخَذَهُمْ» رَبُّهُمْ «أَخَذَةً رَابِيَةً» شَدِيدَةً زَائِدَةً فِي الشَّدَّةِ، كَمَا زَادَتْ قَبَائِحُهُمْ فِي الْقُبْحِ، يَقَالُ: رَبَا يَرْبُو إِذَا زَادَ. «حَمَلْنَاكُمْ» حَمَلْنَا آبَاءَكُمْ «فِي الْجَارِيَةِ» فِي سَفِينَةِ نُوحٍ، لِأَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا مِنْ نَسْلِ الْمَحْمُولِينَ النَّاجِينَ كَانَ حَمْلُ آبَائِهِمْ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ نَجَاتَهُمْ سَبَبٌ وَلَادَتِهِمْ.

«لِنَجْعَلَهَا» الضَّمِيرُ لِلْفِعْلَةِ وَهِيَ نَجَاةُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِغْرَاقُ الْكَافِرِينَ «تَذَكَّرَ» عِبْرَةً وَمَوْعِظَةً «وَتَعَيَّهَا» أَيِ: تَحَفُّظُهَا «أُذُنٌ وَعِيَةٌ» شَأْنُهَا أَنْ تَعِيَ وَتَحْفُظَ مَا سَمِعَتْ بِهِ، وَلَا تُضَيِّعُهُ بِتَرْكِ الْعَمَلِ بِهِ، وَكُلُّ مَا حَفِظْتُهُ فِي نَفْسِكَ فَقَدْ وَعَيْتُهُ، وَمَا حَفِظْتُهُ فِي غَيْرِ نَفْسِكَ فَقَدْ أَوْعَيْتُهُ، كَمَا يُوعَى الشَّيْءُ فِي الظَّرْفِ.

وعن النبي ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ أَسْمُهُ أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ يَا عَلِيُّ، قَالَ: فَمَا نَسِيتُ شَيْئاً بَعْدُ، وَمَا كَانَ لِي أَنْ أَنْسى^(٢). وَإِنَّمَا نَكَرَ «أُذُنٌ» وَوَحَّدَ لِيُؤْذِنَ بِقِلَّةِ الْوَعَاةِ وَيُؤَبِّخَ النَّاسَ بِذَلِكَ، وَلِيَدُلَّ عَلَى

(١) الظاهر أن المصنف رحمه الله قد اعتمد هنا على قراءة كسر القاف وفتح الباء تبعاً للكشاف، وهي قراءة أبي عمرو والكسائي وعاصم برواية أبان. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٤٨.

(٢) قد تواترت هذه الرواية عن العامة والخاصة إلى حد الاستفاضة وعلى سبيل المثال لا الحصر راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج ٢ ص ٣٦١ ح ١٠٠٧ وما بعده من طرق عدة، وابن المغازلي الشافعي في المناقب: ص ٣١٨ ح ٣٦٣، والحمويني في فرائد السمطين: ج ١ ص ١٩٨، والعاصمي في كتابه زين الفتى: ص ٦٠٥، وابن جرير الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٢١٣، والسيوطي في الدر المنثور: ج ٨ ص ٢٦٧ وعزاه إلى ابن جرير وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

أَنَّ الْأُذُنَ الْوَاحِدَةَ إِذَا وَعَتْ وَعَقَلَتْ عَنْ اللَّهِ فِيهِ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا مُبَالَاةَ بِمَا سِوَاهَا وَإِنْ مَلَأُوا مَا بَيْنَ الْخَافِقِينَ. وَقُرِئَ: «وَتَعِيَهَا» بِسُكُونِ الْعَيْنِ^(١) لِلتَّخْفِيفِ، وَشَبَّهَ «تَعِي» بِكَبَدٍ.

﴿فَإِذَا نُفِخَ﴾ أُسْنِدَ إِلَى ﴿نَفْخَةٍ﴾ وَذُكِّرَ لِلْفَضْلِ، وَهِيَ النَّفْخَةُ الْأُولَى، وَقِيلَ: هِيَ الْأَخِيرَةُ^(٢)، وَوُصِفَتِ النَّفْخَةُ بِوَاحِدَةٍ وَهِيَ لَا تَكُونُ إِلَّا مَرَّةً؛ تَأْكِيداً، كَقَوْلِهِ: ﴿إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾^(٣)، وَقَالُوا: أَمْسِ الدَّائِرِ. ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ رُفِعَتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا بِرِيحٍ بَلَغَتْ مِنْ قُوَّةٍ عَصَفَهَا أَنَّهَا تَحْمِلُهَا، أَوْ: بَخَلَقٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ: بِقُدْرَةِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ ﴿فَدُكَّتَا﴾ أَيِ: فَدُكَّتِ الْجُمْلَتَانِ: جُمْلَةُ الْأَرْضِينَ وَجُمْلَةُ الْجِبَالِ، فَضُرِبَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ حَتَّى تَنْدَكَّ وَتَتَدَقَّقَ وَتَرْجِعُ كَثِيباً مَهِيلاً وَهَبَاءً مُنْبَثّاً، وَالذَّكَاءُ أَبْلَغُ مِنَ الدَّقِّ، وَقِيلَ: فَبَسِطْنَا بَسِطَةً وَاحِدَةً فَصَارَتَا أَرْضاً مُسْتَوِيَةً لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً^(٤) مِنْ قَوْلِهِمْ: بَعِيرٌ أَدَكُ: إِذَا تَفَرَّقَ سَنَامُهُ، وَنَاقَةٌ دَكَاءٌ.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ فَحِينَئِذٍ ﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ نَزَلَتِ النَّازِلَةُ وَهِيَ الْقِيَامَةُ ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أَنْفَرَجَتْ ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ مُسْتَرْخِيَةٌ سَاقِطَةٌ الْقُوَّةُ بَانْتِقَاضِ بُنْيَانِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُسْتَمْسَكَةً مُحْكَمَةً. ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أَيِ: وَالْخَلْقُ الَّذِي يَقَالُ لَهُ الْمَلَكُ، وَلِذَلِكَ رُدَّ الضَّمِيرُ مَجْمُوعاً فِي قَوْلِهِ: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ عَلَى الْمَعْنَى، وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ أَيِ: جَوَانِبِهَا، الْوَاحِدُ «رَجَاءٌ» مَقْصُورٌ، يَعْنِي: أَنَّ السَّمَاءَ تَنْشَقُّ وَهِيَ مَسْكَنُ الْمَلَائِكَةِ فَيَنْضَوُونَ إِلَى أَطْرَافِهَا وَحَاقَاتِهَا ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ...﴾

(١) قرأه ابن كثير برواية الحلواني وقنبل برواية أبي ربيعة. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٤٨.

(٢) قاله ابن عباس وسعيد بن المسيب ومقاتل. راجع البحر المحيط: ج ٨ ص ٣٢٢.

(٣) النحل: ٥١. (٤) قاله الرُّمَانِي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٣٣.

ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٨﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَرُوي: أَنَّهُم الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَيَّدَهُمُ اللَّهُ بِأَرْبَعَةٍ آخَرِينَ فَيَكُونُونَ ثَمَانِيَةً ^(١). ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ الْعَرَضُ: عِبَارَةٌ عَنِ الْمُحَاسَبَةِ وَالْمُسَاءَلَةِ، شَبَّهَ ذَلِكَ بِعَرَضِ السُّلْطَانِ جُنُودَهُ لِتَعَرُّفِ أَحْوَالِهِمْ ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ سَرِيرَةٌ وَحَالٌ كَانَتْ تَخْفَى فِي الدُّنْيَا.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسَابِيهِ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ (٢٥) وَلَمْ أَذِرْ مَا حَسَابِيهِ (٢٦) يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (٢٩) خُدُوهُ فَعُلُوهُ (٣٠) ثُمَّ أَلْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧) ﴿

﴿فَأَمَّا﴾ تَفْصِيلٌ لِلْعَرَضِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿هَآ﴾ صَوْتُ يُصَوَّتُ بِهِ فَيَفْهَمُ مِنْهُ مَعْنَى: خُذْ، وَ ﴿كِتَابِيهِ﴾ مَنْصُوبٌ بـ ﴿هَآؤُمُ﴾ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ، وَعِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ بـ ﴿اقْرَءُوا﴾ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ الْعَامِلِينَ، وَأَصْلُهُ: هَآؤُمُ كِتَابِي اقْرَأُوا كِتَابِي، فَحُذِفَ الْأَوَّلُ لِدَلَالَةِ الثَّانِي عَلَيْهِ، وَنَظِيرُهُ: ﴿ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ ^(٢)، قَالُوا: وَلَوْ كَانَ الْعَامِلُ الْأَوَّلَ لَقِيلَ: «اقْرَأْهُ» وَ «أُفْرِغْهُ». وَالْهَاءُ فِي ﴿كِتَابِيهِ﴾ وَ ﴿حِسَابِيهِ﴾ وَ ﴿مَالِيهِ﴾

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٢١٦ عن ابن زيد.

(٢) الكهف: ٩٦.

و﴿سُلْطَنِيَّةٌ﴾ لِلسَّكْتِ، وَحَقُّهَا أَنْ تَسْقُطَ فِي الْوَضَلِ، وَقَدْ اسْتُحِبَّ الْوَقْفُ إِثَاراً لِنَبَاتِ الْهَاءِ فِي الْمُضْحَفِ.

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ أَي: عَلِمْتُ، أَجْرِي مَجْرَى الْعِلْمِ لِأَنَّ غَلَبَةَ الظَّنِّ تَقُومُ مَقَامَ الْعِلْمِ فِي الْأَحْكَامِ. ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ فِي حَالَةٍ مِنَ الْعَيْشِ مَنْسُوبَةٍ إِلَى الرِّضَا، فَهُوَ كَالدَّارِعِ وَالنَّابِلِ، وَالنَّسْبَةُ نِسْبَتَانِ: نِسْبَةٌ بِالْحَرْفِ، وَنِسْبَةٌ بِالصِّيغَةِ، أَوْ: جُعِلَ الْفِعْلُ لَهَا مَجَازاً وَهُوَ لِصَاحِبِهَا. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ مَرْتَفَعَةٍ الْمَكَانِ وَالْقَدْرِ، أَوْ: عَالِيَةِ الْمَبَانِي وَالْقُصُورِ وَالْأَشْجَارِ. ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ يَنَالُهَا الْقَاعِدُ وَالنَّائِمُ، يُقَالُ لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أَكَلًا وَشَرْبًا ﴿هَنِيئًا﴾، أَوْ: هُنْتُمُ هَنِيئًا، عَلَى الْمَصْدَرِ ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ أَي: قَدَّمْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ﴿فِي الْأَيَّامِ﴾ الْمَاضِيَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: أَيَّامُ الصَّيَامِ^(١)، أَي: كُلُّوا وَاشْرَبُوا بَدَلِ مَا أَمْسَكْتُمْ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ لَوَجْهِ اللَّهِ.

﴿يَلَيْتَهَا﴾ الضَّمِيرُ لِلْمَوْتَةِ أَي: يَا لَيْتَ الْمَوْتَةِ الَّتِي مَتَّهَا ﴿كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ أَي: الْقَاطِعَةَ لِأَمْرِي فَلَمْ أُبْعَثْ بَعْدَهَا وَلَمْ أَلْقَ مَا لَقِيتُ، أَوْ: لِلْحَالَةِ أَي: لَيْتَ هَذِهِ الْحَالَةَ كَانَتْ الْمَوْتَةَ الَّتِي قُضِيَتْ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ رَأَى تِلْكَ الْحَالَةَ أَشَدَّ وَأَمَرَّ مِمَّا ذَاقَهُ مِنْ مَرَارَةِ الْمَوْتِ وَشِدَّتِهِ، فَتَمَنَّى الْمَوْتَ عِنْدَهَا. ﴿مَا أَغْنَى﴾ نَفِيٍّ أَوْ اسْتِفْهَامٌ عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ أَي: أَيُّ شَيْءٍ أَغْنَى ﴿عَنِّي﴾ مَا كَانَ لِي مِنَ الْيَسَارِ. ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَنِيَّةٌ﴾ أَي: مُلْكِي وَتَسَلُّطِي عَلَى النَّاسِ وَأَمْرِي وَنَهْيِي، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ضَلَّتْ عَنِّي حُجَّتِي وَبَطَلَتْ^(٢).

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ فَأَوْثِقُوهُ بِالْغُلِّ ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ ثُمَّ لَا تَضْلُوهُ إِلَّا الْجَحِيمَ،

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٠٣.

(٢) انظر تفسير ابن عباس: ص ٤٨٣.

وهي النَّارُ الْعُظْمَى، لَأَنَّهُ كَانَ سُلْطَانًا يَتَعَزَّمُ عَلَى النَّاسِ، يَقَالُ: صَلَّى النَّارَ، وَصَلَاةُ النَّارِ.

سَلْكُهُ فِي السِّلْسِلَةِ: أَنْ تُتْلَى عَلَى جَسَدِهِ حَتَّى يَلْتَفَّ عَلَيْهِ أَثْنَاوُهَا، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَهَا مُرْهَقٌ مُضَيِّقٌ عَلَيْهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى حَرَكَةٍ، وَجَعَلَهَا سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَصَفَّ لَهَا بِالطُّولِ، لَأَنَّهَا إِذَا طَالَتْ كَانَ الْإِرْهَاقُ أَشَدَّ، وَالْمَعْنَى: ثُمَّ لَا تَسْلُكُوهُ إِلَّا فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ، كَأَنَّهَا أَفْطَعُ مِنْ سَائِرِ مَوَاضِعِ الْإِرْهَاقِ فِي الْجَحِيمِ. وَالْمَعْنَى فِي ﴿ثُمَّ﴾ فِي الْمَوْضِعَيْنِ: الدَّلَالَةُ عَلَى تَفَاوُتِ مَا بَيْنَ الْغِلِّ وَالتَّصْلِيَةِ، وَمَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ السَّلَكِ فِي السِّلْسِلَةِ، لَا عَلَى تَرَاحِي الْمُدَّةِ.

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ تَعْلِيلٌ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِثْنَاءِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا لَهُ يُعَذَّبُ هَذَا الْعَذَابُ الشَّدِيدُ؟ فَأُجِيبَ بِذَلِكَ. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ دَلِيلَانِ عَلَى عِظَمِ الْجُرْمِ فِي حُرْمَانِ الْمَسْكِينِ: أَحَدُهُمَا: عَطْفُهُ عَلَى الْكُفْرِ وَجَعْلُهُ قَرِينَةً لَهُ، وَالثَّانِي: ذِكْرُ الْحَضِّ دُونَ الْفِعْلِ لِيُعْلَمَ أَنَّ تَارِكَ الْحَضِّ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، فَكَيْفَ بَتَارِكِي الْفِعْلِ؟

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: أَنَّهُ كَانَ يَحْضُ أَمْرَاتَهُ عَلَى تَكْثِيرِ الْمَرَقِ لِأَجْلِ الْمَسَاكِينِ، وَكَانَ يَقُولُ: خَلَعْنَا نِصْفَ السِّلْسِلَةِ بِالْإِيمَانِ، أَفَلَا نَخْلَعُ نِصْفَهَا الْآخَرَ؟^(١)

﴿حَمِيمٌ﴾ قَرِيبٌ يَدْفَعُ عَنْهُ وَيَحْزَنُ عَلَيْهِ. وَالْغَسْلِينَ: غُسَالَةُ أَهْلِ النَّارِ وَمَا يَسِيلُ مِنْ أَبْدَانِهِمْ مِنَ الصَّدِيدِ وَالْدَّمِ، فَعَلَيْنِ مِنَ الْغَسْلِ. ﴿الْخَاطِئُونَ﴾ الْآثِمُونَ، أَصْحَابُ الْخَطَايَا، وَخَطِيئَ الرَّجُلُ: إِذَا تَعَمَّدَ الذَّنْبَ، وَهُمْ الْمَشْرُكُونَ، وَقُرِئَ: «الْخَاطِئُونَ» بِإِبْدَالِ الْهَمْزَةِ يَاءً^(٢) وَ «الْخَاطُونَ» بِطَرَحِهَا^(٣)، وَقِيلَ: هُمُ الَّذِينَ

(١) حكاها عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٠٥.

(٢) قرأه موسى بن طلحة. راجع المحتسب لابن جني: ج ٢ ص ٣٢٩.

(٣) وهي قراءة ابن عباس وابن مسعود. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٦١.

يَتَخَطَّوْنَ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ^(١).

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالأَشْيَاءِ كُلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ، لَأَنَّهُا قِسْمَانِ: مُبْصَرٌّ وَغَيْرُ مُبْصَرٍّ، وَقَدْ فُسِّرَ بِالْخَلْقِ وَالْخَالِقِ، وَبِالْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَبِالْأَجْسَامِ وَالْأَرْوَاحِ، وَبِالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبِالنَّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ^(٢) أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يَقُولُ وَيَتَكَلَّمُ بِهِ عَلَى وَجْهِ الرِّسَالَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ: هُوَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣). وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، لَأَنَّ الْمَعْنَى عَلَى إِثْبَاتِ أَنَّهُ رَسُولٌ لَا شَاعِرٌ وَلَا كَاهِنٌ، وَأُسْنِدَ الْقَوْلِ إِلَيْهِ لَأَنَّ مَا يُسْمَعُ مِنْهُ كَلَامُهُ، وَلَمَّا كَانَ حِكَايَةً لِّكَلَامِ اللَّهِ قِيلَ: هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، وَالْكَرِيمُ: الْجَامِعُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ، وَ«الْقِلَّةُ» فِي مَعْنَى الْعَدَمِ أَيْ: لَا تُؤْمِنُونَ وَلَا تَذْكُرُونَ الْبَتَّةَ، وَالْمَعْنَى: مَا أَكْفَرَكُمْ! وَمَا أَغْفَلَكُمْ!

أَي: هُوَ ﴿تَنْزِيلٌ﴾ بَيَّنَّ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ ﴿مِنْ﴾ عِنْدِهِ عَلَى رَسُولِهِ. التَّقْوِيلُ: افْتِعَالُ الْقَوْلِ وَأَخْتِلَافُهُ، وَفِيهِ مَعْنَى التَّكْلُفِ، وَسَمَّى الْأَقْوَالَ الْمُتَقَوَّلَةَ أَقَاوِيلَ تَحْقِيرًا لَهَا، كَمَا يَقَالُ: الْأَعَاجِيبُ وَالْأَضَاحِيكُ، كَأَنَّهُ جَمْعُ أَفْعُولَةٍ مِنَ الْقَوْلِ، وَالْمَعْنَى: وَلَوْ

(١) قاله الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ١٠٧.

(٢) أنظر هذه الأقوال في تفسير البغوي: ج ٤ ص ٣٩٠.

(٣) قاله الكلبي ومقاتل. راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ٨٦.

أَدْعَى عَلَيْنَا شَيْئاً لَمْ نَقْلُهُ لَقَتْلِنَاهُ صَبْرًا، كَمَا يَفْعَلُ الْمُلُوكُ بِمَنْ يَتَكَذَّبُ عَلَيْهِمْ، فَصَوَّرَ قَتْلَ الصَّبْرِ بِصُورَتِهِ لِيَكُونَ أَهْوَلَ، وَهُوَ أَنْ يُوْخَذَ بِيَدِهِ وَتُضْرَبَ رَقَبَتُهُ، وَخَصَّ الْيَمِينَ لِأَنَّ الْقِتَالَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوقَعَ الضَّرْبُ فِي قَفَاهُ أَخَذَ بِيَسَارِهِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُوقِعَهُ فِي جِيدِهِ وَأَنْ يَكْفَحَهُ بِالسَّيْفِ أَخَذَ بِيَمِينِهِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَى الْمَضْبُورِ لِنَظَرِهِ إِلَى السَّيْفِ، وَالْمَعْنَى: ﴿لَا خَذَنَّا﴾ بِيَمِينِهِ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا﴾ وَتِينَهُ، وَ﴿الْوَتِينَ﴾: نِيَاطُ الْقَلْبِ، وَهُوَ حَبْلُ الْوَرِيدِ، إِذَا قُطِعَ مَاتَ صَاحِبُهُ.

﴿فَمَا مِنْكُمْ﴾ الْخِطَابُ لِلنَّاسِ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿عَنْهُ﴾ لِرَسُولِ اللَّهِ، أَوْ: لِلْقَتْلِ، أَي: لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَحْجُزُوا عَنْهُ الْقَاتِلَ، أَوْ: لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَحْجُزُوا عَنْ ذَلِكَ وَتَدْفَعُوا عَنْهُ، وَ﴿حَجَزِينَ﴾ صِفَةٌ لـ ﴿أَحَدٍ﴾ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْجَمَاعَةِ، وَهُوَ أَسْمٌ يَقَعُ فِي النَّفْيِ الْعَامِّ، وَيَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ وَالْمَذَكَّرُ وَالْمُوَّثَّثُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾^(١) ﴿لَسْتُمْ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾^(٢)، وَ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ فِي مَوْضِعٍ رَفَعَ بِأَنَّهُ أَسْمٌ ﴿مَا﴾. وَقِيلَ: إِنَّ الْخِطَابَ لِلْمُسْلِمِينَ^(٣)، وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ وَالْمَعْنَى: أَنَّ مِنْهُمْ نَاسًا سَيَكْفُرُونَ بِالْقُرْآنِ.

﴿وَأَنَّهُ﴾ الضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ بِهِ الْمَكْذِبِينَ لَهُ إِذَا رَأَوْا ثَوَابَ الْمَصْدُقِّينَ بِهِ، أَوْ: لِلتَّكْذِيبِ. ﴿و﴾ إِنَّ الْقُرْآنَ لِلْيَقِينِ ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ كَمَا يَقَالُ: هُوَ الْعَالِمُ حَقُّ الْعَالِمِ، وَالْمَعْنَى: لَعَيْنُ الْيَقِينِ وَمَخْضُ الْيَقِينِ لَا شُبْهَةَ وَلَا رَيْبَ فِيهِ. ﴿فَسَبِّحْ﴾ بِذِكْرِ ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ الَّذِي يَتَضَاءَلُ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ؛ شُكْرًا عَلَى مَا أَوْحَاهُ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.



(٢) الأحزاب: ٣٢.

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٣) حكاية الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٠٧.

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

مَكِّيَّةٌ ^(١) وَهِيَ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ أُعْطَاهُ اللَّهُ ثَوَابَ الَّذِينَ هُمْ
لَأَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ» ^(٢).

وَعَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَدَمَّنَ قِرَاءَةَ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ لَمْ يَسْأَلْهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ
ذَنْبٍ عَمِلَهُ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ مَعَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي
الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ
أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧)﴾

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ١١٢: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ
وغيرهما، وَهِيَ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٦٠٨: مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٤٤) نَزَلَتْ بَعْدَ الْحَاقَّةِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٦١٤ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٧ وَفِيهِ: «أَكْثَرُوا مِنْ قِرَاءَةِ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ فَإِنَّ مِنْ أَكْثَرِ
قِرَاءَتِهَا...»، وَزَادَ بَعْدَهَا: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبْصَرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْيَى (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى (١٦) تَذْعُوهَا مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨) إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) ﴿

أي: دَعَا دَاعٍ ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ضَمَّنَ ﴿سَأَلَ﴾ معنى: دَعَا فَعَدَّاهُ تَعْدِيَّتُهُ، يقال: دَعَا بِكَذَا: إِذَا طَلَبَهُ وَأَسْتَدْعَاهُ، ومنه: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾^(١). وعن مجاهد: هو النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، قَالَ: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ...﴾ الآية^(٢). وقرئ: «سَأَلَ» بِغَيْرِ هَمْزٍ^(٣) جَعَلَ الهمزة بينَ بين. ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ صِفَةٌ لـ «عَذَابٍ» أي: بِعَذَابٍ وَاقِعٍ كَائِنٍ لِلْكَافِرِينَ، أو: صِلَةٌ لـ «دَعَا» أي: دَعَا لِلْكَافِرِينَ ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: من جهته إِذَا جَاءَ وَقْتُهُ، وَأَوْجَبَتِ الْحِكْمَةُ وَقُوعَهُ، أو: معناه: بِعَذَابٍ وَاقِعٍ مِّنَ اللَّهِ أي: من عنده ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ذِي الْمَصَاعِدِ، جَمْعُ «مِعْرَاجٍ».

ثُمَّ وَصَفَ الْمَعَارِجَ وَبُعَدَ مَدَاهَا فِي الْعُلُوِّ وَالْإِرْتِفَاعِ فَقَالَ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ يعني: جبرائيل عليه السلام، خَصَّهُ بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا لَهُ ﴿إِلَيْهِ﴾ إِلَى عَرْشِهِ وَمَهْبِطِ أَوَامِرِهِ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾ كَمِقْدَارِ مَدَّةٍ ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ مِمَّا يَعُدُّهُ النَّاسُ، وَذَلِكَ مِنْ أَسْفَلِ الْأَرْضِينَ إِلَى فَوْقِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ. وَقَوْلُهُ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٤) هُوَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا خَمْسُمِائَةٍ، وَمِنْهَا إِلَى الْأَرْضِ

(١) الدخان: ٥٥.

(٢) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٦ ص ٨٩. والآية: ٣٢ من الأنفال.

(٣) قرأه نافع وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٥٠.

(٤) السجدة: ٥.

خَمْسُمَائَةٍ، والمعنى: لَوْ قَطَعَ الْإِنْسَانُ هَذَا الْمَقْدَارَ الَّذِي قَطَعَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، لَقَطَعَهُ فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ، وهو معنى قَوْلِ مُجَاهِدٍ^(١). وقيل: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿فِي يَوْمٍ﴾، من صَلَةٍ ﴿وَأَقَعَ﴾، أي: يَقَعُ فِي يَوْمٍ طَوِيلٍ مَقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ سِنِّيْكُمْ، وهو يَوْمُ الْقِيَامَةِ^(٢)، إمَّا أَنْ يَكُونَ اسْتِطَالَةً لَهُ لَشِدَّتِهِ عَلَى الْكُفَّارِ، وإمَّا لِأَنَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَذَلِكَ، قيل: فِيهِ خَمْسُونَ مَوْطِنًا، كُلُّ مَوْطِنٍ أَلْفُ سَنَةٍ^(٣). وما قَدَّرُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِ إِلَّا كَمَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ.

وَرُوِيَ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ وَلِيَ الْحِسَابَ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى لَمَكْتُوَا فِيهِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْرَغُوا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَفْرَغُ مِنْ ذَلِكَ فِي سَاعَةٍ. وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَنْتَصِفُ ذَلِكَ الْيَوْمُ حَتَّى يُقْبَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ.

﴿فَاضْبِرْ﴾ يَتَعَلَّقُ بِـ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ لَأَنَّهُمْ اسْتَعَجَلُوا الْعَذَابَ اسْتِهْزَاءً وَتَكْذِيبًا بِالْوَحْيِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ. وَالضَّمِيرُ فِي ﴿يَرَوْنَهُ﴾ لِلْعَذَابِ الْوَاقِعِ، أَوْ: لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، يُرِيدُ: أَنَّهُمْ يَسْتَبْعِدُونَهُ عَلَى جِهَةِ الْإِحَالَةِ ﴿وَوَ﴾ نَحْنُ ﴿نَرَاهُ قَرِيبًا﴾ هَيِّنًا فِي قُدْرَتِنَا، غَيْرَ بَعِيدٍ عَلَيْنَا وَلَا مُتَعَذِّرٍ.

﴿يَوْمَ تَكُونُ﴾ نُصِبَ بِـ ﴿قَرِيبًا﴾، أي: يُمَكِّنُ وَلَا يَتَعَذَّرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، أَوْ: بِمُضْمَرٍ أَي: يَقَعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِدَلَالَةِ ﴿وَأَقَعَ﴾ عَلَيْهِ، أَوْ: هُوَ بَدَلٌ عَنْ ﴿فِي يَوْمٍ﴾، ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ وَهُوَ دُرْدِيُّ الزَّيْتِ، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: كَالْفِضَّةِ

(١) الذي حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ١١٥.

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٢٢٠.

(٣) قاله القمي في تفسيره: ج ٢ ص ٣٨٦، ورواه الكليني في روضة الكافي: ص ١٤٣ ح ١٠٨ باسناده عن حفص بن غياث عن الصادق عليه السلام.

المُذَابَةِ^(١). ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ كالصُّوفِ الْمَضْبُوعِ الْوَانَا، لَأَنَّ الْجِبَالَ ﴿جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ... وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾^(٢)، فَإِذَا بُسَّتْ وَطِيرَتْ فِي الْجَوِّ أَشْبَهَتْ الْعِهْنَ الْمَنْقُوشَ إِذَا طِيرَتْهُ الرِّيحُ.

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ وَلَا يَقُولُ لَهُ: كَيْفَ حَالُكَ، وَلَا يُكَلِّمُهُ، لَأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَشْغُولٌ بِنَفْسِهِ عَنْ غَيْرِهِ. ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾ أَي: يَنْصُرُونَ الْأَحْمَاءَ وَالْأَقْرَبَاءَ فَلَا يَخْفُونَ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْمَسَاءَلَةِ أَنَّ بَعْضَهُمْ لَا يَنْصُرُ بَعْضًا، وَإِنَّمَا يَمْنَعُهُمُ التَّشَاغُلُ، وَقُرِئَ: «وَلَا يُسَالُ» عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ^(٣)، أَي: لَا يُقَالُ لِحَمِيمٍ: أَيْنَ حَمِيمُكَ؟ وَلَا يُطْلَبُ مِنْهُ، لَأَنَّهُمْ يُبْصِرُونَهُمْ فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى السُّؤَالِ وَالطَّلَبِ. وَهُوَ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ، كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا قِيلَ: لَعَلَّهُ لَا يُبْصِرُهُ، فَقِيلَ: يُبْصِرُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَتَشَاغُلِهِمْ لَمْ يَتِمَّ كُنُوتُهُمْ مِنْ تَسَاوُلِهِمْ.

قُرِئَ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بِالْجَرِّ وَالْفَتْحِ^(٤) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْإِضَافَةِ إِلَى غَيْرِ مُتَمَكِّنٍ، أَي: يَتَمَنَّى ﴿الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِإِسْلَامٍ كُلِّ كَرِيمٍ عَلَيْهِ مِنْ أَبْنَائِهِ وَزَوْجَتِهِ وَأَقْرَبَائِهِ ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عَشِيرَتِهِ الَّذِينَ فُصِّلَ عَنْهُمْ ﴿تُؤْيِهِ﴾ أَي: تَضُمُّهُ أَنْتِمَاءً إِلَيْهَا أَوْ لِيَاذًا بِهَا فِي النَّوَائِبِ. ﴿يُنَجِّيه﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿يَفْتَدِي﴾ أَي: يَوَدُّ لَوْ يَفْتَدِي ثُمَّ لَوْ يُنَجِّيه الْإِفْتِدَاءُ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ وَ﴿ثُمَّ﴾ لَا سِتْبَعَادَ الْإِنْجَاءِ، وَالْمَعْنَى: يَتَمَنَّى لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا تَحْتَ يَدِهِ وَبَذَلَهُمْ فِي فِدَاءِ نَفْسِهِ، ثُمَّ يُنَجِّيه ذَلِكَ، وَهِيَ هَاتُ أَنْ يُنَجِّيه.

(١) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٦ ص ٩٢.

(٢) فاطر: ٢٧.

(٣) هي قراءة ابن كثير برواية البرقي عنه وأبي جعفر وشيبة. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٥٠.

(٤) وبفتح الميم قرأه الكسائي ونافع في بعض الروايات. راجع المصدر السابق.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ وَتَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْاِفْتِدَاءَ لَا يُنْجِي وَلَا يَنْفَعُ ﴿إِنَّهَا﴾ الضَّمِيرُ لِلنَّارِ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ، لِأَنَّ ذِكْرَ الْعَذَابِ دَلٌّ عَلَيْهَا، أَوْ: هُوَ ضَمِيرٌ مِنْهُمْ تَرْجَمَ عَنْهُ الْخَبَرُ، أَوْ: ضَمِيرُ الْقِصَّةِ، وَ ﴿لَظَى﴾ عَلَّمَ لِلنَّارِ، مَنْقُولٌ مِنْ «اللَّظَى» يَعْنِي: اللَّهَبُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ اللَّهَبُ. «نَزَّاعَةً» ^(١) خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ لـ ﴿إِنَّ﴾ أَوْ: خَبَرٌ لـ ﴿لَظَى﴾ إِنْ كَانَتْ الْهَاءُ ضَمِيرُ الْقِصَّةِ، أَوْ: صِفَةٌ لَهُ إِنْ أُريدَ بِهَا اللَّهَبُ، وَالتَّأْنِيثُ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى النَّارِ، أَوْ: خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُحذُوفٌ لِلتَّهْوِيلِ أَيْ: هِيَ نَزَّاعَةٌ، وَقُرِئَ: ﴿نَزَّاعَةً﴾ بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ الْمُؤَكَّدَةِ، أَوْ: عَلَى الْاِخْتِصَاصِ لِلتَّهْوِيلِ، وَالشَّوَى: الْأَطْرَافُ، أَوْ: جَمْعُ شَوَاةٍ وَهِيَ جِلْدَةُ الرَّأْسِ تَنْزَعُهَا نَزْعًا ثُمَّ تُعَادُ.

﴿تَدْعُوا﴾ إِلَى نَفْسِهَا ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿وَتَوَلَّى﴾ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، تَقُولُ لَهُمْ: إِلَيَّ إِلَيَّ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَجَازٌ عَنِ إِحْضَارِهِمْ كَأَنَّهَا تَدْعُوهُمْ فَتَحْضِرُهُمْ ^(٢)، وَنَحْوُهُ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ:

تَدْعُو أَنفَهُ الرِّيْبُ ^(٣)

وَقَوْلُهُ [أَيْضًا]:

لِيَا لِي اللَّهُ يُطِيبِنِي فَأَتَّبِعُهُ ^(٤)

(١) الظاهر أن المصنّف رحمه الله يميل الى قراءة الرفع تبعاً للزمخشري في الكشف، وهي قراءة جمهور القراء إلا حفصاً فقد قرأها بالنصب. راجع المصدر نفسه.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن: ج ٥ ص ٣١.

(٣) وتعام البيت:

أَمْسَى بَوَهْنِينَ مَجْتَازاً لِمَرْتَعِهِ مِنْ ذِي الْفَوَارِسِ يَدْعُو أَنفَهُ الرَّبُّ
مَنْ قَصِيدَتُهُ الْبَائِيَةُ الشَّهِيرَةُ، وَالرَّبُّ: نَبْتُ، كَأَنَّ الرَّبَّ يَدْعُو الثَّورَ - وَالْكَلَامُ فِيهِ - إِلَيْهَا، وَالرَّبُّ لَا تَدْعُوهُ. أَنْظِرْ دِيوَانَ ذِي الرِّمَّةِ: ص ٣٩.

(٤) وعجزه: كَأَنَّنِي ضَارِبٌ فِي غَمْرَةٍ لَعِبْتُ. مَنْ قَصِيدَتُهُ الْبَائِيَةُ أَيْضًا. وَيُطِيبِنِي: يَدْعُونِي وَيَمِيلُ بِي. راجع ديوانه: ص ٢٧.

﴿وَجَمَعَ﴾ الْمَالَ ﴿فَأَوْعَى﴾ أَمْسَكَهُ فِي الْوِعَاءِ وَكَنْزَهُ، وَلَمْ يُؤَدِّ الزَّكَاةَ وَالْحُقُوقَ الْوَاجِبَةَ مِنْهُ، وَلَمْ يُنْفِقْهُ فِي الطَّاعَةِ.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ يُرِيدُ: الْجِنْسَ ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ جَزُوعًا، مِنْ: الْهَلَعِ وَهُوَ سُرْعَةُ الْجَزَعِ عِنْدَ مَسِّ الْمَكْرُوهِ، وَنَاقَةُ هَلُوعًا: سَرِيعَةُ السَّيْرِ، ثُمَّ فَسَّرَهُ سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ يُرِيدُ: إِذَا نَالَهُ الْفَقْرُ وَالضَّرُّ أَظْهَرَ شِدَّةَ الْجَزَعِ، وَإِذَا أَصَابَهُ الْغِنَى مَنَعَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَشَحَّ بِمَالِهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَثَارِهِ الْجَزَعُ وَالْمَنَعُ وَتَمَكَّنَهُمَا مِنْهُ، كَأَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَيْهِمَا مَطْبُوعٌ، وَكَأَنَّهُ أَمْرٌ ضَرُورِي غَيْرُ اخْتِيَارِي.

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُكْرَمُونَ (٣٥) فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْنَاهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ

إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي
كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) ﴿

استثنى سبحانه من جنس الإنسان الموصوف بالجمع والمنع والشح والهلع
الموَحِّدين الْمُطِيعِينَ، الَّذِينَ جَاهَدُوا أَنْفُسَهُمْ وَحَمَلُوا عَلَى الطَّاعَاتِ، وَظَلَفُوا
عَنِ الشَّهَوَاتِ، حَتَّى لَمْ يَكُونُوا جَازِعِينَ وَلَا مَانِعِينَ.

ومعنى قوله: ﴿ذَائِمُونَ﴾ أَنَّهُمْ يُدَاوِمُونَ عَلَيْهَا، وَيُوَاطِبُونَ عَلَى أَدَائِهَا
لَا يَتْرُكُونَهَا. وفي الحديث: «أَفْضَلُ الْعَمَلِ أَدْوَمُهُ» (١).

وعن الباقر عليه السلام: إِنَّ هَذَا فِي النَّوَافِلِ، وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾
فِي الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ (٢).

وقيل: إِنَّ مَعْنَى مُحَافَظَتِهِمْ عَلَيْهَا: أَنْ يُرَاعُوا مَوَاقِيتَهَا، وَيُسَبِّغُوا الْوُضُوءَ لَهَا،
وَيُقِيمُوا أَرْكَانَهَا (٣). فَالدَّوَامُ يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِ الصَّلَاةِ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى أَحْوَالِهَا.
وَالْحَقُّ الْمَعْلُومُ هُوَ الزَّكَاةُ لِأَنَّهَا مَقْدَرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

وعن الصادق عليه السلام: هُوَ الشَّيْءُ تُخْرِجُهُ مِنْ مَالِكَ إِنْ شِئْتَ كُلَّ جُمُعَةٍ، وَإِنْ شِئْتَ
كُلَّ يَوْمٍ، وَلِكُلِّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ (٤).

وعنه أيضاً: هُوَ أَنْ تَصِلَ الْقَرَابَةَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصَدَّقَ عَلَى مَنْ عَادَاكَ.
وَالسَّائِلُ: الَّذِي يَسْأَلُ، وَالْمَخْرُومُ: الَّذِي يَتَعَفَّفُ وَلَا يَسْأَلُ فَيُحَسَبُ غَنِيًّا
فِيحْرَمُ. ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ لَا يَشْكُونَ فِيهِ، وَيَسْتَعِدُّونَ لَهُ، وَيُشْفِقُونَ

(١) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦١٢ - ٦١٣ مرسلًا وزاد بعده: «وإن قلَّ».

(٢) رواه الكليني في الكافي: ج ٣ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ح ١٢ بإسناده عن الفضيل عنه عليه السلام.

(٣) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٨٥.

(٤) رواه في الكافي: ج ٣ ص ٤٩٨ و ٤٩٩ قطعة ح ٨ و ٩ بإسناده عن سماعة بن مهران وأبي
بصير كلاهما عنه عليه السلام.

من عَذَابِ رَبِّهِمْ. وَأَعْتَرَضَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي: لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ وَإِنْ بَالَعَ فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ أَنْ يَأْمَنَ عَذَابَ اللَّهِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُتَرَجِّحاً بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

وَقُرِئَ: «بِشَهَادَتِهِمْ»^(١) و ﴿بِشَهَادَتِهِمْ﴾ وَالشَّهَادَةُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمَانَاتِ، وَخَصَّهَا مِنْ بَيْنِهَا إِبَانَةً لِفَضْلِهَا، لِأَنَّ فِي إِقَامَتِهَا إِحْيَاءَ الْحُقُوقِ وَتَضْحِيحُهَا، وَفِي كِتْمَانِهَا تَضْيِيعُهَا وَإِطْأَالُهَا.

﴿فَعَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾ عِنْدَكَ يَحْتَفُّونَ بِكَ ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مُسْرِعِينَ نَحْوَكْ، مَا دَيْنَ أَعْنَاقَهُمْ إِلَيْكَ. ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ جَمَاعَاتٍ مَتَفَرِّقِينَ فِرْقَةً فِرْقَةً، جَمْعُ «عِزَّةٍ» وَأَصْلُهَا: «عِزْوَةٌ» كَأَنَّ كُلَّ فِرْقَةٍ تَعْتَزِي إِلَى غَيْرِ مَنْ تَعْتَزِي إِلَيْهِ الْأُخْرَى. وَكَانُوا يُحَدِّثُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ يَسْتَمِعُونَ إِلَى كَلَامِهِ، وَيَسْتَهْزِئُونَ وَيَقُولُونَ: إِنْ دَخَلَ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ كَمَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ دَخَلْنَاهَا قَبْلَهُمْ.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لَهُمْ عَنْ طَمَعِهِمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ عُلِّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَهُوَ كَلَامٌ دَالٌّ عَلَى انْكَارِهِمُ الْبَعْثَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: كَلَّا إِنَّهُمْ مُنْكَرُونَ لِلْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، فَمِنْ أَيْنَ يَطْمَعُونَ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ؟ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَحْتَجَّ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمُ بِالنَّشْأَةِ الْأُولَى، وَأَنَّهُ خَلَقَهُمْ ﴿مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أَي: مِنْ النُّطْفِ، وَبِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُهْلِكَهُمْ وَيُبْدِلَ نَاساً خَيْراً مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمُسْبِقٍ عَلَى مَا يُرِيدُ تَكْوِينَهُ وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَالْغَرَضُ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ لَمْ يُعْجِزْهُ الْإِعَادَةُ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنَ النُّطْفَةِ الْمَذْرُوءَةِ، فَهِيَ أَضْلُهُمْ وَمَنْصِبُهُمُ الَّذِي لَا مَنْصَبَ أَوْضَعُ مِنْهُ، فَمِنْ أَيْنَ يَتَشَرَّفُونَ وَيَدْعُونَ التَّقَدُّمَ وَيَقُولُونَ: لَنَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ

(١) قرأه ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم برواية أبي بكر عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٥١.

قَبْلَهُمْ؟^(١) وَقِيلَ: مَعْنَاهُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنَ التُّطَفِ كَمَا خَلَقْنَا سَائِرَ بَنِي آدَمَ، وَحَكَمْنَا بِأَنْ لَا يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ آمَنَ، فَلِمَ يَطْمَعُ الْكَافِرُ أَنْ يَدْخُلَهَا؟^(٢) وَقِيلَ: ﴿مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أَي: مِنْ أَجْلِ مَا يَعْلَمُونَ وَهُوَ الطَّاعَةُ^(٣)، وَالْمُضَافُ مَحْذُوفٌ.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ مِنَ الْقُبُورِ ﴿سِرَاعًا﴾ مُسْرِعِينَ، وَقُرِئَ: «إِلَى نَضْبٍ»^(٤) وَ «نَضْبٍ»، وَهُوَ كُلُّ مَا نُصِبَ فَعِيدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُمَا الْعَلَمُ وَالرَّايَةُ^(٥)، وَقِيلَ: إِنَّ «النُّصْبَ» الرَّايَةَ، وَ «النُّصْبَ» الْأَصْنَامُ الْمَعْبُودَةُ^(٦) ﴿يُوفِضُونَ﴾ يَسْعَوْنَ وَيُسْرِعُونَ إِلَى الدَّاعِي مُسْتَبِقِينَ، كَمَا أَنََّّهُمْ كَانُوا يَسْتَبِقُونَ إِلَى أَنْصَابِهِمْ. ﴿خَشِعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ النَّظَرَ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.



(١) قاله قتادة والزجاج. راجع التبيان: ج ١٠ ص ١٢٨.

(٢) وهو قول الحسن. راجع المصدر نفسه.

(٣) قاله الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ١٢٨.

(٤) وهي قراءة الجمهور إلا حفصاً وابن عامر فإنهما قرآها بضمّتين. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٥١.

(٥) قاله الكلبي. راجع تفسير البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٣٩٦.

(٦) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج ٢ ص ٢٧٠.

سُورَةُ نُوحٍ

مَكِّيَّةٌ ^(١) ثَمَانٍ وَعَشْرُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، تِسْعٌ بَصْرِيٌّ، عَدَّ الْكُوفِيُّ: ﴿وَنَسْرًا﴾ ^(٢) وَالْبَصْرِيُّ ﴿سُوعًا﴾ ^(٣) ﴿فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ ^(٤).

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَذَرُكُهُمْ دَعْوَةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ» ^(٥).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَقْرَأُ كِتَابَهُ فَلَا يَدَعُ أَنْ يَقْرَأَ سُورَةَ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾، فَأَيُّ عَبْدٍ قَرَأَهَا مُحْتَسِبًا صَابِرًا فِي فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ أَسْكَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَسَاكِينَ الْأَبْرَارِ، وَأَعْطَاهُ ثَلَاثَ جَنَّاتٍ مَعَ جَنَّتِهِ كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ لَهُ، وَزَوْجَهُ مِائَتِي حَوْرَاءٍ» ^(٦).

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ١٣١: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ وَغَيْرِهِمَا، وَهِيَ ثَمَانٌ وَعَشْرُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ، وَتِسْعٌ وَعَشْرُونَ فِي الْبَصْرِيِّ، وَثَلَاثُونَ فِي الْمَدَنِيِّينَ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦١٥: مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ ثَمَانٌ وَعَشْرُونَ آيَةً، نَزَلَتْ بَعْدَ النَّحْلِ.

(٢) الْآيَةُ: ٢٣.

(٣) الْآيَةُ: ٢٣.

(٤) الْآيَةُ: ٢٥.

(٥) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦٢٢ مَرْسَلًا.

(٦) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٧، وَزَادَ فِي آخِرِهِ: «وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ ثِيَّبٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) قَالَ يَتَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي عِزَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) ﴿

أي: بعثنا ﴿نوحاً﴾ رسولاً ﴿إلى قومه أن أنذر﴾ أي: بأن أنذر، فحذف الجار، وهي «أن» الناصبة للفعل، والمعنى: أرسلناه بأن قلنا له: أنذر، ويجوز أن تكون مفسرة لأن الإرسال فيه معنى القول. و ﴿أن أعبدوا الله﴾ مثل: ﴿أن أنذر﴾ في الوجهين.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: «من» مزیدة، وقيل: للتبعية^(١)، أي: يغفر لكم ذنوبكم السالفة ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ فيه دلالة على ثبوت أجلين، مثل أن يكون قد قضى الله سبحانه أن يعمر قوم نوح إن آمنوا ألف سنة، وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة سنة، فقال لهم: آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى،

(١) قاله الكلبي. راجع البحر المحيط: ج ٨ ص ٣٣٨.

يَعْنِي الْوَقْتَ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَضَرَبَهُ أَمْدًا يَنْتَهُونَ إِلَيْهِ لَا يَتَجَاوَزُونَهُ، وَهُوَ تَمَامُ الْأَلْفِ سَنَةٍ. ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ ﴿إِذَا جَاءَ﴾ ذَلِكَ الْأَمْدُ ﴿لَا يُؤَخَّرُ﴾ كَمَا يُؤَخَّرُ هَذَا الْوَقْتُ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ حِيلَةٌ.

﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أَي: دَائِمًا دَائِبًا مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ. ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ مِنْ قَبُولِهِ، وَنِفَارًا مِنْهُ، جَعَلَ الدُّعَاءَ فَاعِلَ زِيَادَةِ الْفِرَارِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ أَزْدَادُوا عِنْدَهُ فِرَارًا، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(١). ﴿كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أَي: لِيَتُوبُوا عَنْ كُفْرِهِمْ فَتَغْفِرَ لَهُمْ، فَذَكَرَ الْمُسَبَّبَ الَّذِي هُوَ حَظُّهُمْ خَالِصًا لِيَكُونَ أَقْبَحَ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ ﴿جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ لئَلَّا يَسْمَعُوا كَلَامِي وَدُعَائِي ﴿وَأَسْتَعْشُوا نِيَابَهُمْ﴾ تَغَطَّوْا بِهَا لئَلَّا يَرُونِي، كَأَنَّهُمْ طَلَبُوا أَنْ يَغْشَاهُمْ نِيَابُهُمْ ﴿وَأَصْرَوْا﴾ وَدَاوَمُوا عَلَى كُفْرِهِمْ ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا﴾ وَأَخَذَتْهُمْ الْعِزَّةُ مِنْ أَتْبَاعِي، وَذَكَرُ الْمَصْدَرِ تَأْكِيدٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى فَرْطِ اسْتِكْبَارِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ.

ابْتَدَأَ الْبَيِّنَاتِ فِي دَعْوَتِهِمْ بِالْأَهْوَنِ وَتَرَقَّى إِلَى الْأَشَدِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَاصَحَهُمْ فِي السِّرِّ، فَلَمَّا لَمْ يَقْبَلُوا شَتَّى بِالْمُجَاهَرَةِ، فَلَمَّا لَمْ يُؤَثِّرْ ثَلَاثَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ. وَمَعْنَى ﴿ثُمَّ﴾ الدَّلَالَةُ عَلَى تَبَاعُدِ الْأَحْوَالِ، فَإِنَّ الْجِهَارَ أَغْلَظُ مِنَ الْإِسْرَارِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ أَغْلَظُ مِنْ إِفْرَادِ أَحَدِهِمَا. وَ﴿جِهَارًا﴾ مَصْدَرٌ ﴿دَعَوْتُهُمْ﴾ لِأَنَّهُ أَحَدُ نَوْعِي الدُّعَاءِ، فَنُصِبَ بِهِ كَمَا يُنْصَبُ الْقَرْفُصَاءُ^(٢) بـ ﴿قَعْدَ﴾، لِكُونِهَا أَحَدَ أَنْوَاعِ الْقُعُودِ، أَوْ: لِأَنَّهُ أَرَادَ بـ ﴿دَعَوْتُهُمْ﴾ جَاهَرَتُهُمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِمَصْدَرِ «دَعَوْتُ» أَي: دُعَاءَ جِهَارًا مُجَاهَرًا بِهِ.

(١) التوبة: ١٢٥.

(٢) قَالَ فِي الصَّحَاحِ: الْقَرْفُصَاءُ: ضَرْبٌ مِنَ الْقُعُودِ، يَمْدٌ وَيَقْصُرُ، فَاذَا قَلْتَ: قَعْدَ فَلَانَ الْقَرْفُصَاءَ فَكَأَنَّكَ قَلْتَ: قَعْدَ قُعُودًا مَخْصُوصًا وَهُوَ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى أَلْيَتَيْهِ وَيُلْصِقَ فَخِذَيْهِ بِيَطْنِهِ وَيَحْتَبِي بِيَدَيْهِ يَضَعُهُمَا عَلَى سَاقَيْهِ كَمَا يَحْتَبِي بِالثَّوبِ، تَكُونُ يَدَاهُ مَكَانَ الثَّوبِ. (مَادَّة: قَرْفُصَ).

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: اطلبوا منه المغفرة على كفركم ومعاصيكم ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ لطالبي المغفرة. ﴿يُزِيلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِذْرَارًا﴾ قيل: إنهم لما طال إصرارهم على الكفر والتكذيب بعد تكرير دعوتهم، حبس الله عنهم القطر فحطوا حتى هلك أموالهم وأولادهم، فلذلك وعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه ^(١). وعن الحسن: أن رجلاً شكاً إليه الجذب فقال: استغفر الله، وشكاً إليه آخر الفقر فقال: استغفر الله، وآخر قلة النسل، وآخر قلة ريع أرضه، فأمرهم كلهم بالاستغفار، فقال له الربيع بن صبيح: أذاك رجال يشكون أبواباً ويسألون أنواعاً، فأمرتهم كلهم بالاستغفار، فتلا له الآية ^(٢).

وسأل رجل الباقر عليه السلام فقال: جعلت فداك، إنني رجل كثير المال وليس يولد لي ولد، فهل من حيلة؟ قال: نعم، استغفر ربك سنة في آخر الليل مائة مرة، فإن ضيقت ذلك بالليل فاقضه بالنهار، فإن الله تعالى يقول: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ...﴾ إلى آخر الآية ^(٣).

والمِذْرَارُ: المطر الكثير الدُّرُور، مفعال، يستوي فيه المذكر والمؤنث. ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: تأملون له توقيراً أي: تعظيماً. والمعنى: ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الكرامة؟ و﴿لِلَّهِ﴾ بيان للموقر، ولو تأخر كان صلة لـ «الوقار».

وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ في موضع الحال، كأنه قال: ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه، وهي أنه خلقكم تارات: تراباً، ثم نطفاً، ثم علقاً، إلى أن أنشأكم

(١) قاله مقاتل. راجع تفسير القرطبي: ج ١٨ ص ٣٠٢.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦١٧.

(٣) رواه الكليني في الكافي: ج ٦ ص ٨ ح ٤ بإسناده عن بعض أصحابه عليه السلام بالفاظ متقاربة.

خَلَقًا آخَرَ، وَهَذِهِ مُوجِبَةٌ لِلْإِيمَانِ بِهِ. وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: مَا لَكُمْ لَا تَخَافُونَ اللَّهَ عَظَمَةً؟^(١) وَعَنْهُ: لَا تَخَافُونَ اللَّهَ عَاقِبَةً^(٢)، لِأَنَّ الْعَاقِبَةَ حَالُ اسْتِقْرَارِ الْأُمُورِ وَثَبَاتِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، مَنْ: وَقَرَ إِذَا ثَبَّتَ وَاسْتَقَرَّ، وَقِيلَ: لَا تَخَافُونَ اللَّهَ حِلْمًا وَتَرْكَ مُعَاجَلَةٍ بِالْعِقَابِ فَتَوُْمُوا^(٣).

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) مِمَّا خَطَبَتْهُمْ أَغْرِقُوا فَأَذْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)﴾

نَبَّهَهُمْ أَوَّلًا عَلَى النَّظَرِ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَثَانِيًا عَلَى النَّظَرِ فِي الْعَالَمِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْبَدَائِعِ الدَّالَّةِ عَلَى الصَّانِعِ الْقَادِرِ الْعَالِمِ، قَالَ: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾

(١) تفسير ابن عباس: ص ٤٨٧.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦١٨.

(٣) حكاه الزمخشري في الكشاف المتقدم.

وهو في السماء الدنيا لأن بين السماوات مَلَابَسَةً من حيث إنها طباقٌ، واحدة فوق الأخرى كالقِبابِ، فَجَازَ أَنْ يُقَالَ: فِيهِنَّ كَذَا، كَمَا يُقَالَ: فِي الْمَدِينَةِ كَذَا، وهو في بعض نَوَاحِيهَا ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ يُنَصِّرُ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي ضَوْئِهَا كَمَا يُنَصِّرُ أَهْلُ الْبَيْتِ فِي ضَوْءِ السِّرَاجِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَى إِنْصَارِهِ، وَالْقَمَرُ لَيْسَ كَذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ نُورٌ لَمْ يَبْلُغْ قُوَّةَ ضِيَاءِ الشَّمْسِ.

﴿وَاللَّهُ أُنَبِّتُكُمْ﴾ أَسْتَعَارَ الْإِنْبَاتَ لِلْإِنْشَاءِ كَمَا يُقَالَ: زَرَعَكَ اللَّهُ لِلْخَيْرِ، وَالْمَعْنَى: أُنَبِّتُكُمْ فَنَبِّتُمْ نَبَاتًا، أَوْ: نُصِبَ ﴿أُنَبِّتُكُمْ﴾ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى «نَبِّتُمْ». ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أَمْوَاتًا مَقْبُورِينَ ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ مِنْهَا عِنْدَ الْبَعْثِ، وَأَكَّدَهُ بِالْمُضَدِّرِ كَأَنَّهُ قَالَ: يُخْرِجُكُمْ لَا مَحَالَةَ. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ مَبْسُوطَةً تَتَقَلَّبُونَ عَلَيْهَا كَمَا يَتَقَلَّبُ الرَّجُلُ عَلَى بَسَاطِهِ، وَالْفِجَاجُ: الطَّرْقُ الْوَاسِعَةُ الْمُنْفَجَّةُ.

جَعَلَ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُم الَّتِي لَمْ تَزِدْهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَجَاهَةً زَائِدَةً ﴿خَسَارًا﴾ فِي الْآخِرَةِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ سِمَةً يُعْرِفُونَ بِهَا، وَصِفَةً لَازِمَةً لَهُمْ، أَي: اتَّبِعُوا رُؤُوسَهُمُ الْمُقَدِّمِينَ أَصْحَابَ الْأَمْوَالِ وَتَرَكُوا أَتْبَاعِي، وَقُرِئَ: ﴿وَوَلَدُهُ﴾، «وَوُلْدُهُ»^(١). ﴿وَمَكْرُوا﴾ مَغْطُوفٌ عَلَى ﴿لَمْ يَزِدْهُمْ﴾ وَجُمِعَ الضَّمِيرُ الرَّاجِعُ إِلَى ﴿مَنْ﴾ عَلَى الْمَعْنَى، وَالْمَاكِرُونَ هُمُ الرُّؤُوسَاءُ، وَمَكْرُهُمْ: كَيْدُهُمْ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصَدُّ النَّاسِ عَنِ الْاسْتِمَاعِ مِنْهُ، وَقَوْلُهُمْ لَهُمْ: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾، ﴿مَكْرًا كُبَارًا﴾ قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ^(٢) وَالتَّثْقِيلِ. وَالْكُبَارُ: أَكْبَرُ مِنَ الْكَبِيرِ، وَالْكُبَارُ بِالتَّشْدِيدِ: أَكْبَرُ مِنَ الْكُبَارِ.

(١) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ونافع برواية خارجة عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٥٢.

(٢) يعني «كُبَارًا» من غير تشديد، وقد قرأه عيسى وأبو السَّمَّال وابن محيصن، غير أن الأخير كسر الكاف. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٦٢.

﴿وَلَا تَذَرْنِ وَدًّا﴾ قُرِئَ بِضَمِّ الْوَائِ (١) وَفَتْحِهَا، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ (٢)
 الْمَذْكُورَةُ أَسْمَاؤُهَا أَعْظَمُ أَصْنَامِهِمْ عِنْدَهُمْ فَخَصَّوْهَا بَعْدَ قَوْلِهِمْ: ﴿لَا تَذَرْنِ
 ءِالِهَتَكُمْ﴾، وَقَدْ أُنْقَلَتْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ إِلَى الْعَرَبِ: فَكَانَ وَدٌّ لِكَلْبٍ، وَسُوَاعٌ لِهَمْدَانٍ،
 وَيَغُوثٌ لِمَذْجَحٍ، وَيَعُوقُ لِمُرَادٍ، وَنَسْرٌ لِحَمِيرٍ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ الْعَرَبُ بِـ«عَبْدٍ وَدٍّ»
 وَ«عَبْدٍ يَغُوثٍ». ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ الضَّمِيرُ لِلرُّؤَسَاءِ، وَمَعْنَاهُ: وَقَدْ أَضَلُّوا ﴿كَثِيرًا﴾
 قَبْلَ هَؤُلَاءِ، أَوْ: قَدْ أَضَلُّوا بِإِضْلَالِهِمْ قَوْمًا كَثِيرًا.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ أَي: قَالَ
 نُوحٌ: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ وَقَالَ: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ وَالْمُرَادُ
 بِالضَّلَالِ: أَنْ يُخَذَّلُوا وَيُمْنَعُوا الْأَلْطَافَ لِتَضْمِيمِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَوُقُوعِ الْيَأْسِ مِنْ
 إِيْمَانِهِمْ، أَوْ: يُرِيدُ بِهِ الْهَلَاكَ وَالضِّيَاعَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾.

وَقَدَّمَ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾ لِبَيَانِ أَنْ إِغْرَاقَهُمْ مَا كَانَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ
 خَطَايَاهُمْ، وَكَذَا إِدْخَالُهُمُ النَّارَ. وَقُرِئَ: ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾ بِالْهَمْزَةِ، وَ«خَطِيئَاتِهِمْ» بِقَلْبِ
 الْهَمْزَةِ يَاءً وَإِدْغَامِهَا (٣) وَ«خَطَايَاهُمْ» (٤)، وَ«مَا» مَزِيدَةٌ، وَقَالَ: ﴿فَادْخُلُوا﴾
 بِالْفَاءِ لِأَنَّ دُخُولَهُمُ النَّارَ كَأَنَّهُ مُتَعَقِّبٌ لِإِغْرَاقِهِمْ، كَأَنَّهُ قَدْ كَانَ لاقْتِرَابِهِ أَوْ: لِإِرَادَةِ
 عَذَابِ الْقَبْرِ، وَعَنِ الضَّحَّاكِ: كَانُوا يُغْرَقُونَ مِنْ جَانِبٍ وَيُحْرَقُونَ مِنْ جَانِبٍ (٥).
 وَتَنْكِيزُ النَّارِ: إِمَّا لِتَعْظِيمِهَا، وَإِمَّا لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَعَدَّ لَهُمْ نَوْعًا مِنَ النَّارِ.

يَقَالُ: مَا بِالْدَارِ دِيَّارٌ، وَهُوَ فَيَعَالٌ مِنَ الدَّوْرِ، وَأَصْلُهُ: دَيَّوَارٌ، فَفُعِلَ بِهِ مَا فُعِلَ

(١) وهي قراءة نافع وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٥٣.

(٢) قد تقدّم شرح مختصر عن أحوال هذه الأصنام المزعومة في ج ٢ ص ١١٧ - ١١٨.

(٣) قرأه أبو رجاء العطاردي. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٦٢.

(٤) وهي قراءة أبي عمرو وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٥٣.

(٥) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٠٠.

بَاضِلٍ «سَيِّد» و «هَيِّن»، وَلَوْ كَانَ عَلَى وَزْنِ فَعَالٍ لَكَانَ «دَوَّارًا»، وَلَا يُسْتَغْمَلُ إِلَّا فِي النَّفْيِ الْعَامِّ.

﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ ^(١) وَأَنَّهُمْ لَا يَلِدُونَ مُؤْمِنًا، وَقَدْ أَعْقَمَ اللَّهُ أَرْحَامَ نَسَائِهِمْ وَأَيُّسَ أَضْلَابَ رِجَالِهِمْ قَبْلَ الْعَذَابِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ صَبِي وَقْتُ الْعَذَابِ، فَلِذَلِكَ دَعَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِم بِمَا دَعَا بِهِ. وَمَعْنَى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾: لَا يَلِدُوا إِلَّا مَنْ سَيَفْجُرُ وَيَكْفُرُ، فَوَصَفَهُمْ بِمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ، كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ» ^(٢).

﴿وَلَوْلَدَيَّ﴾ أَسْمُ أَبِيهِ: مَلِكُ بْنُ مَتَوَشْلَخَ، وَأَسْمُ أُمِّهِ: شَمْخَا بِنْتُ أَنْوَشَ، وَكَانَا مُؤْمِنِينَ ﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي﴾ أَي: دَارِي، وَقِيلَ: مَسْجِدِي ^(٣)، وَقِيلَ: سَفِينَتِي ^(٤). خَصَّ أَوَّلًا مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِدُعَائِهِ، ثُمَّ عَمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ هَلَاكًا وَدَمَارًا.



(١) هود: ٣٦.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ج ٧ ص ٢٩٦.

(٣) قاله الضحاك والكلبي. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٤٠٠.

(٤) حكاة البغوي في تفسيره المتقدم.

سُورَةُ الْجِنِّ

مَكِّيَّةٌ (١) ثَمَانٍ وَعَشْرُونَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْجِنِّ أُعْطِيَ بِعَدَدِ كُلِّ جَنِّيٍّ صَدَقَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَكَذَّبَ بِهِ عِتْقَ رَقَبَةٍ» (٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَكْثَرَ قِرَاءَةَ ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾ لَمْ يُصِبْهُ فِي حَيَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَلَا مِنْ نَفْتِهِمْ وَكَيْدِهِمْ، وَكَانَ مَعَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ» (٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ١٤٤: مَكِّيَّةٌ فِي قول قتادة وابن عباس والضحاك وغيرهم، وهي ثمان وعشرون آية، ليس فيها اختلاف.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٦٢٢: مَكِّيَّةٌ، وآياتها (٢٨) نزلت بعد الأعراف.

(٢) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٦٣٣ مرسلاً.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٨ وفيه: «وكان مع محمد ﷺ فيقول: يَا رَبِّ لَا أُرِيدُ بِهِ بَدَلًا، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَبْغِي عَنْهُ حَوْلًا».

اللَّهُ شَطَطًا (٤) وَأَنَا ظَنَنْتَ أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَا لَا نَذَرِي أَشْرًا أُريدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَا ظَنَنْتَ أَنْ لَنْ تُعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ تُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ءَامَنَّا بِهِ، فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) ﴿

﴿أَنَّهُ أَسْتَمَعَ﴾ بِالْفَتْحِ لِأَنَّهُ فَاعِلٌ ﴿أُوحِيَ﴾، و ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ بِالْكَسْرِ لِأَنَّهُ مَبْتَدَأٌ مَّحْكِيٌّ بَعْدَ الْقَوْلِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِمَا الْبَوَاقِي، فَمَا كَانَ مِنَ الْوَحْيِ فَتُحْ، وَمَا كَانَ مِنْ قَوْلِ الْجِنِّ كُسِرَ، وَكُلُّهُنَّ مِنْ قَوْلِهِمْ، إِلَّا التَّنْيِينَ الْأَخِيرَتَيْنِ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ ^(١)، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ ^(٢)، وَمَنْ فَتَحَ كُلُّهُنَّ فَلِلْعَظْفِ عَلَى مَحَلِّ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ فِي ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ كَأَنَّهُ قِيلَ: صَدَّقْنَا بِهِ، وَصَدَّقْنَا ﴿أَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ وَكَذَلِكَ الْبَوَاقِي.

﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ، وَقِيلَ: كَانُوا مِنْ بَنِي الشَّيْصَبَانِ وَهُمْ أَكْثَرُ الْجِنِّ عَدَدًا، وَهُمْ عَامَّةُ جُنُودِ إِبْلِيسَ ^(٣)، وَقِيلَ: كَانُوا سَبْعَةَ نَفَرٍ

(١) و (٢) الآية: ١٨ و ١٩.

(٣) قاله أبو حمزة اليماني. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ١٧٣.

من جنّ نصيبين آمنوا بالنبى ﷺ وأرسلهم إلى سائر الجن^(١) ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا﴾ أي: قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم كقوله: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾^(٢)، قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا كِتَابًا﴾ ﴿عَجَبًا﴾ بديعاً مبيناً لكلام الخلق، قائماً، فيه دلائل الإعجاز، «عَجَبٌ» مُضَدَّرٌ يُوَضَعُ مَوْضِعُ «العَجِيب»، وهو ما خَرَجَ من حَدِّ أَشْكَالِهِ وَنَظَائِرِهِ.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ يدعو إلى الصواب وإلى التوحيد والإيمان ﴿فَأَمَّا بِهِ﴾ الضمير للقرآن. وَلَمَّا كَانَ الْإِيمَانُ بِهِ إِيْمَانًا بُوْحْدَانِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى قَالُوا: ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ أي: وَلَنْ نَعُودَ إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْإِشْرَاقِ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِلَّهِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿بِرَبِّنَا﴾ يُفَسِّرُهُ ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: تَعَالَى جَلَالُ رَبَّنَا وَعَظَمَتُهُ عَنْ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، مِنْ قَوْلِكَ: جَدُّ فُلَانٍ فِي عَيْتِي: إِذَا عَظُمَ. وَقِيلَ: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ سُلْطَانُهُ وَمُلْكُهُ وَغِنَاهُ^(٣)، مِنْ الْجَدِّ الَّذِي هُوَ الدَّوْلَةُ، وَالْبَحْثُ مُسْتَعَارٌ مِنْهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ يَبَيِّنُ لَذَلِكَ.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ وهو إبليس أو غيره من مَرَدَةِ الْجِنِّ ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ أي: بَعِيدًا مِنَ الْقَوْلِ، وَهُوَ الْكَذِبُ فِي التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ، وَالشَّطَطُ: مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ، وَمِنْهُ: أَشْطَّ فِي الْقَوْلِ إِذَا أَبْعَدَ فِيهِ، أَي: يَقُولُ قَوْلًا هُوَ فِي نَفْسِهِ شَطَطٌ لِفَرْطِ مَا أَشْطَّ فِيهِ، وَهُوَ نَسْبَةُ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ إِلَى اللَّهِ. ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا﴾ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَنْ يَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَلَنْ يَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ بِحَقٍّ، فَكُنَّا نُصَدِّقُهُمْ فِيمَا أَضَافُوهُ إِلَيْهِ حَتَّى تَبَيَّنَ لَنَا بِالْقُرْآنِ كَذِبُهُمْ ﴿كَذِبًا﴾ قَوْلًا كَذِبًا أَي: مَكْذُوبًا فِيهِ،

(١) قاله ابن عباس. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٢٩٧.

(٢) الأحقاف: ٢٩.

(٣) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج ٢ ص ٢٧٢.

وَأَنْتَصِبَ أَنْتَصَابَ الْمَصْدَرِ لِأَنَّ الْكَذِبَ بَعْضُ الْقَوْلِ وَنَوْعٌ مِنْهُ، وَقُرِئَ: «لَنْ تَقُولَ»^(١) وعلى هذا فيكون: ﴿كَذِبًا﴾ مَصْدَرًا وَقَعَ مَوْجِعَ «تَقُولًا»، لِأَنَّ التَّقُولَ لَا يَكُونُ إِلَّا كَذِبًا.

ومعنى قوله: ﴿كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾: أَنَّ الْعَرَبَ كَانَ إِذَا أَمْسَى أَحَدُهُمْ فِي وَادٍ قَفْرٍ وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ قَالَ: أَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنْ سُفَهَاءِ قَوْمِهِ، يُرِيدُ: الْجِنَّ وَكَبِيرَهُمْ ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أَي: فَزَادَ الْجِنُّ الْإِنْسَ رَهَقًا بِأَغْوَائِهِمْ وَإِضْلَالِهِمْ لِاسْتِعَاذَتِهِمْ بِهِمْ، أَوْ: فَزَادَ الْإِنْسُ الْجِنَّ رَهَقًا أَي: طُغْيَانًا وَأَسْتِكْبَارًا لِاسْتِعَاذَتِهِمْ بِهِمْ، يَقُولُونَ: سَدَّنَا الْجِنُّ وَالْإِنْسُ، وَالرَّهَقُ: غَشْيَانُ الْمَحَارِمِ. ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ أَي: وَأَنَّ الْإِنْسَ ظَنُّوا ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ وَهُوَ مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ يَقُولُهُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَقِيلَ: الْآيَتَانِ مِنْ جُمْلَةِ الْوَحْيِ، وَالضَّمِيرُ فِي: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ لِلْجِنِّ، وَالْخِطَابُ فِي: ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ لِكِفَارِ قُرَيْشٍ^(٢).

﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ اللَّمَسُ: الْمَسُّ، فَاسْتُعِيرَ لِلطَّلَبِ لِأَنَّ الْمَاسَّ طَالِبٌ مُتَعَرِّفٌ، قَالَ:

مَسَسْنَا مِنَ الْآبَاءِ شَيْئًا وَكُلُّنَا إِلَى نَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرٍ وَاضِعٍ^(٣)
وَلَمَسَهُ وَالتَّمَسَهُ وَتَلَمَسَهُ: كَطَلَبَهُ وَأَطَلَبَهُ وَتَطَلَبَهُ، وَالْمَعْنَى: طَلَبْنَا بُلُوغَ السَّمَاءِ وَأَسْتِمَاعَ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ أَي: حَفَظَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ شَدِيدًا. وَالْحَرَسُ: اسْمٌ مُفْرَدٌ، كَالْخَدَمِ فِي مَعْنَى الْحُرَّاسِ وَالْخُدَّامِ، وَلِذَلِكَ وَصِفَ

(١) قرأه يعقوب. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٧٣٦.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٢٤.

(٣) لزيد بن الحاكم الكلابي من أبيات يمدح بها قومه ويذم الآخرين من بني عموته، يقول: لا تفاخر بيننا وبينكم من جهة الآباء بل التفاخر من جهة أمهاتنا وأمهاكم. راجع شرح شواهد الكشاف للأفندي: ص ٤٢٤.

بـ «شديد»، ونحوه:

أَخْشَى رُجَيْلًا أَوْ رُكَيْبًا غَادِيًا^(١)

لأنَّ «الرَّجُلَ» و «الرَّكَبَ» مفردان في معنى الرَّجَالِ وَالرَّكَابِ. والرَّصْدُ: مثل الحرس، اسمُ جمع للرَّاصِدِ على معنى: ذوي شهابٍ راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يَرْجُمُونَهُمْ بِالشُّهُبِ، أو: يكونُ صِفَةً لـ «شهاب» بمعنى الرَّاصِدِ، والمعنى: يجدُ شهاباً راصداً له، أي: لأجله. والصَّحِيحُ: أَنَّ الرَّجْمَ بِالنُّجُومِ، وقد كان قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أيضاً، وقد جاء ذكره في أشعارهم، قال بشير:

وَالْعِيرُ يُرْهِقُهَا الْعَبَارُ وَجَحْشُهَا يَنْقُضُ خَلْفَهُمَا انْقِضَاضَ الْكَوْكَبِ^(٢)
ولكنَّ الشَّيَاطِينَ كَانَتْ تَسْتَرِقُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ كَثُرَ الرَّجْمُ وَزَادَ، وَمُنِعَتِ الشَّيَاطِينُ الْاِسْتِرَاقَ أَصْلًا. وَعَنْ مَعْمَرٍ: قُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ: أَكَانَ يُرْمَى بِالنُّجُومِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ: ﴿وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا...﴾ قَالَ: غَلِظَ وَشَدَّدَ أَمْرَهَا حِينَ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ^(٣). وفي قوله: ﴿مُلِثْتُ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَادِثَ هُوَ الْمَلَأُ وَالْكَثْرَةُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا﴾، أي: كُنَّا نَجِدُ فِيهَا بَعْضَ الْمَقَاعِدِ خَالِيَةً مِنَ الْحَرَسِ وَالشُّهُبِ، وَالْآنَ مُلِثْتُ الْمَقَاعِدَ كُلَّهَا، وَهَذَا الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى الضَّرْبِ فِي الْبِلَادِ حَتَّى عَثَرُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَسْتَمَعُوا قِرَاءَتَهُ.

يَقُولُونَ: لَمَّا حَدَثَ هَذَا الْحَادِثُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّجْمِ وَالْمَنْعِ الْكُلِّيِّ مِنَ الْاِسْتِرَاقِ

(١) وعجزه: والذئب أخشاه وكلباً عاويًا. لم نعثر على قائله يقول: لهرمي وضعفي صرت اخاف الرجل الصغير والركب القليل الغادي وكذا الذئب أخافه والكلب العاوي. راجع شرح الشواهد: ص ٣٩٨.

(٢) لبشير بن أبي خازم من أبيات يصف فيها حماراً وحشياً تجري وجحشها يسرع خلفها كإسراع شهاب الرجم. راجع المصدر السابق: ٤١١.

(٣) حكاة الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٦٢٦.

قُلْنَا: مَا هَذَا إِلَّا لِأَمْرِ أَرَادَهُ اللَّهُ بِأَهْلِ ﴿الْأَرْضِ﴾ وَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ شَرًّا أَوْ ﴿رَشْدًا﴾ أَي: عَذَابًا أَوْ رَحْمَةً. ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ الْأَبْرَارُ الْمُتَّقُونَ ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أَي: وَمِنَّا قَوْمٌ دُونَ ذَلِكَ فِي الرُّتْبَةِ، فَحُذِفَ الْمَوْصُوفُ وَهُمْ الْمُقْتَصِدُونَ فِي الصَّلَاحِ، أَوْ: أَرَادُوا الطَّالِحِينَ ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدَا﴾ أَي: ذَوِي مَذَاهِبَ مُخْتَلَفَةٍ، وَهُوَ بَيَانٌ لِلْقِسْمَةِ الْمَذْكُورَةِ، أَوْ: كُنَّا فِي طَرَائِقَ مُخْتَلَفَةٍ كَقَوْلِهِ:

كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّلَبُ^(١).

أَوْ: كَانَتْ طَرَائِقُنَا طَرَائِقَ قِدْدَا، عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ الَّذِي هُوَ «طَرَائِقُ» وَإِقَامَةِ الضَّمِيرِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ. وَالْقِدَّةُ مِنْ: قَدَّ، كَالْقِطْعَةِ مِنْ: قَطَعَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وَ﴿هَرَبًا﴾ حَالًا. أَي: لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ كَائِنِينَ فِي الْأَرْضِ أَيْنَمَا كُنَّا، وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَارِبِينَ مِنْهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقِيلَ: لَنْ نُعْجِزَهُ فِي الْأَرْضِ إِنْ أَرَادَ بِنَا أَمْرًا، وَلَنْ نُعْجِزَهُ فِي الْأَرْضِ هَرَبًا إِنْ طَلَبَنَا^(٢). وَالظَّنُّ: بِمَعْنَى الْيَقِينِ، وَهَذِهِ صِفَةُ الْجِنَّ وَأَحْوَالُهُمْ وَعَقَائِدُهُمْ، فَمِنْهُمْ أَخْيَارٌ وَأَشْرَارٌ وَمُقْتَصِدُونَ، وَأَعْتَقَادُهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لَا يَفُوتُهُ مَطْلَبٌ، وَلَا يُنْجِي عَنْهُ مَهْرَبٌ.

﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ ﴿ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ﴾ فَهُوَ ﴿لَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ أَي نُقْصَانًا فِيمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الثَّوَابِ ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ أَي: لِحَاقٍ ظَلَمٍ، وَقِيلَ: لَا يَخَافُ نَقْصًا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَلَا زِيَادَةً فِي سَيِّئَاتِهِ، وَرُويَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ^(٣)، وَدَخَلَتِ الْفَاءُ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي تَقْدِيرِ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لِقِيلَ: لَا يَخَفُ، وَالْفَائِدَةُ فِي إِدْخَالِ الْفَاءِ وَتَقْدِيرِ الْابْتِدَاءِ الدَّلَالَةُ

(١) و صدره: لَدُنْ بِهِزَّ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَثْنُهُ... فِيهِ كَمَا. لِسَاعِدَةِ بْنِ جُوَيْيَةِ الْهُذَلِيِّ مِنْ قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ لَهُ، وَشَعْرُهُ مَحْشُوبٌ بِالْغَرِيبِ وَالْمَعَانِي الْغَامِضَةِ أَنْظَرَ الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ: ص ٨٣.

(٢) قَالَهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ٤ ص ٤٠٣. (٣) رَاجَعَ التَّبْيَانُ: ج ١٠ ص ١٥٢.

على تحقيق أن المؤمن ناجٍ لا محالة، وأنه المختص بذلك دون غيره.

﴿مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ المستسلمون لأمر الله، المنقادون له ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الكافرون الجائرون عن طريق الحق ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي: تَوَخَّوْا الرِّشْدَ وَتَعَمَّدُوا إِصَابَةَ الْحَقِّ. ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ تُوَقَّدُ بِهِمْ، وَتُحْرِقُهُمْ كَمَا تُحْرِقُ النَّارُ الْحَطَبَ.

وروي: أن سعيد بن جبير لما أراد الحجَّاجُ قتله قال له: ما تقول في؟ قال: قَاسِطٌ وَعَادِلٌ، فَقَالَ الْقَوْمُ: وما أحسن ما قال! فَقَالَ الْحَجَّاجُ: يا جهلة، إنه سماني ظالماً مُشْرِكاً، وتلا لهم: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ...﴾ الآية، [وقوله: (١)] ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (٢).

﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْكُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنْ أَلْمَسَجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ آزَتْصَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

(١) زيادة لا بد منها.

(٢) رواه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٢٨. والآية: من سورة الأنعام.

وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) ﴿

﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، أي: أوحى إليّ أنّه - والضمير للشأن والحديث - لو استقام الإنس والجن على طريقة الإيمان لأنعمنا عليهم وأوسعنا رزقهم، وذكر الماء الغدق لأنه أصل المعاش وسعة الرزق. ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ ولِنَخْتَبِرَهُمْ كَيْفَ يَشْكُرُونَ ما خولوا منه، ومثله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ إلى قوله: ﴿لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ (١).

وعن الباقر عليه السلام في الاستقامة: هو والله ما أنتم عليه، ثم تلا الآية.

وعن الصادق عليه السلام قال: لأفدناهم علماً كثيراً يتعلمونه من الأئمة.

﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ عن موعظته، أو: عن وحيه، أو: عن معرفته والإخلاص في عبادته ﴿يَسْلُكُهُ﴾ أي: يدخله ﴿عَذَابًا﴾ والأصل: يسلكه في عذاب، كقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٢) فعُدّي إلى مفعولين: إمّا بحذف الجار وإيصال الفعل، وإمّا بتضمينه معنى «يدخله»، يقال: سلكه وأسلكه، قال:

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدٍ مِثْلًا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَّالَةُ الشَّرْدَا (٣)

وَقُرِئَ: ﴿يَسْلُكُهُ﴾ بالياء والتون (٤). و «الصَّعْدُ» مصدر «صَعَدَ» وُصِفَ بِهِ الْعَذَابُ لِأَنَّهُ يَتَصَعَّدُ الْمُعَذَّبُ أَي: يعلوه ويغلبه فلا يطيعه. ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾

(٢) المدثر: ٤٢.

(١) المائدة: ٦٦.

(٣) لعبد مناف بن ربح الجربى، من قصيدة يصف بها واقعة حدثت لقومه. وقَتَائِدُ: اسم عقبة. راجع خزانة الأدب للبغدادى: ج ٧ ص ٣٩ وما بعده، وفيه: «شلاً» بدل «مثلاً».

(٤) وبالنون هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر راجع كتاب السبعة في القراءات:

هو من جُمْلَةِ الْمُوحَى، وقيل: معناه: ولأنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ^(١) ﴿فَلَا تَدْعُوا﴾ على أنَّ اللّامَ يَتَعَلَّقُ بِـ ﴿فَلَا تَدْعُوا﴾ أي: فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا فِي الْمَسَاجِدِ لِأَنَّهَا لِلَّهِ خَاصَّةٌ وَلِعِبَادَتِهِ، وعن الْحَسَنِ: يَعْنِي: الْأَرْضَ كُلَّهَا لِأَنَّهَا جُعِلَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَسْجِدًا ^(٢). وَسَأَلَ الْمُعْتَصِمُ أَبَا جَعْفَرٍ الثَّانِي عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهَا فَقَالَ: هِيَ أَعْضَاءُ السُّجُودِ السَّبْعَةِ ^(٣).

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ وهو مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلَمْ يَقُلْ: رَسُولُ اللَّهِ، لِأَنَّ تَقْدِيرَهُ: وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ، فَلَمَّا كَانَ وَاقِعًا فِي كَلَامِهِ جِيءَ بِهِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ التَّوَاضُعُ وَالتَّذَلُّلُ ﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: يَعْبُدُهُ، يُرِيدُ: قِيَامَهُ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ بِنَخْلَةٍ حِينَ أَتَاهُ الْجِنُّ فَاسْتَمَعُوا لِقِرَاءَتِهِ ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ أي: يَزْدَحِمُونَ عَلَيْهِ مُتَرَكَمِينَ تَعْجُبًا مِمَّا رَأَوْا مِنْ عِبَادَتِهِ، وَإِعْجَابًا بِمَا كَانَ يَتْلُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُمْ رَأَوْا مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ، وَسَمِعُوا مَا لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْبُدُ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَادَ الْمُشْرِكُونَ لَتَظَاهَرِهِمْ عَلَى عِدَاوَتِهِ يَزْدَحِمُونَ عَلَيْهِ مُتَرَكَمِينَ ^(٤) ﴿لِبَدًا﴾ جَمْعُ «لِبْدَةٍ»، وَهِيَ مَا يَلْبُدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَقُرِئَ: «لُبْدًا» بِضَمِّ اللّامِ ^(٥)، وَاللُّبْدَةُ فِي مَعْنَى اللَّبْدَةِ، وَعَنْ قَتَادَةَ: تَلَبَّدَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لِيُطْفِئُوهُ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتَمَّ نُورُهُ ^(٦). وَمَنْ قَرَأَ: «وَإِنَّهُ» بِالْكَسْرِ ^(٧)، جَعَلَهُ مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ،

(١) قاله الزَّجَّاجُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ: ج ٥ ص ٢٣٦.

(٢) تَفْسِيرُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: ج ٢ ص ٣٦٨.

(٣) رَوَاهُ الْعِيَّاشِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ١ ص ٣١٩ ح ١٠٩ عَنْ زُرْقَانَ صَاحِبِ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ وَصَدِيقِهِ. وَأَبُو جَعْفَرٍ الثَّانِي هُوَ الْإِمَامُ الْجَوَادُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٤) قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ٢ ص ٣٦٩.

(٥) قَرَأَهُ ابْنُ عَامِرٍ بِرَوَايَةِ هِشَامٍ عَنْهُ. رَاجِعْ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٦٥٦.

(٦) حَكَاهُ عَنْهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ٤ ص ٤٠٤.

(٧) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَعَاصِمٍ بِرَوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ وَالْمُفَضَّلِ كِلَاهُمَا عَنْهُ. رَاجِعْ كِتَابَ السَّبْعَةِ الْمُتَقَدِّمَ.

قَالُوا لِقَوْمِهِمْ حِينَ رَجَعُوا إِلَيْهِمْ يَحْكُونَ مَا رَأَوْا مِنْ صَلَاتِهِ وَأَزْدِحَامِ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ فِي أَتِمَامِهِمْ بِهِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِينَ تَظَاهَرُوا عَلَيْهِ: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ يُرِيدُ: مَا أَتَيْتُكُمْ بِأَمْرٍ مُنْكَرٍ، إِنَّمَا أَعْبُدُ رَبِّي وَخَدَهُ ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُوجِبٍ مَظَاهَرَتِكُمْ عَلَى شِقَاقِي وَعَدَاوَتِي، أَوْ: قَالَ لِلْجَنِّ عِنْدَ أَزْدِحَامِهِمْ مَتَعَجِّبِينَ: لَيْسَ مَا تَرَوْنَهُ مِنْ عِبَادَتِي لِلَّهِ وَخَدَهُ بِأَمْرٍ يُتَعَجَّبُ مِنْهُ، أَوْ: قَالَ الْجَنُّ لِقَوْمِهِمْ ذَلِكَ حِكَايَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ.

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أَي: نَفْعًا، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَضُرَّكُمْ وَأَنْ أَنْفَعَكُمْ، وَإِنَّمَا الضَّارُّ وَالنَّافِعُ هُوَ اللَّهُ، أَوْ: أَرَادَ بِالضَّرِّ الْغَيَّ أَي: لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجْبِرَكُمْ عَلَى الْغَيِّ وَالرَّشَدِ، وَإِنَّمَا يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ. و ﴿إِلَّا بَلَاغًا﴾ أَسْتَشْنَاءُ مِنْهُ، أَي: لَا أَمْلِكُ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ. و ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مُلْتَحِدًا﴾ جُمْلَةً أُعْتِرَاضِيَّةً، اعْتُرِضَ بِهَا لِتَأْكِيدِ نَفْيِ الْإِسْطَاعَةِ عَنْ نَفْسِهِ وَبَيَانِ عَجْزِهِ، عَلَى مَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ إِنْ أَرَادَ بِهِ سُوءًا مِنْ مَرَضٍ أَوْ مَوْتٍ أَوْ غَيْرِهِمَا لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُجِيرَهُ مِنْهُ أَحَدٌ، أَوْ: يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مَلَاذًا يَأْوِي إِلَيْهِ، وَالْمُلْتَحِدُ: الْمُلْتَجَأُ. وَقِيلَ: ﴿بَلَاغًا﴾ بَدَلُ مِنْ ﴿مُلْتَحِدًا﴾ أَي: لَمْ أَجِدْ مِنْ دُونِهِ مَنَجًى إِلَّا أَنْ أُبَلِّغَ عَنْهُ مَا أَنْزَلَهُ إِلَيَّ فَأَقُولَ: قَالَ اللَّهُ كَذَا، وَأُبَلِّغُ رِسَالَتَهُ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ ^(١). و ﴿مِنْ﴾ لَيْسَتْ بِصِلَةٍ لِلتَّبْلِغِ وَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ ﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ ^(٢) وَالتَّقْدِيرُ: بَلَاغًا كَأَنَّ مِنَ اللَّهِ ﴿خَالِدِينَ﴾ مَحْمُولٌ عَلَى مَعْنَى «مِنْ»، وَتَعَلَّقَ ﴿حَتَّى﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، عَلَى: أَنَّهُمْ يَتَظَاهَرُونَ عَلَيْهِ بِالْعَدَاوَةِ، وَيَسْتَضِعِفُونَ أَنْصَارَهُ، وَيَسْتَقِلُّونَ

(١) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٢٣٧.

(٢) التوبة: ١.

عَدَدَهُ ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ يَوْمَ بَذْرِ، أَوْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حِينَئِذٍ
 أَيُّهُمْ ﴿أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَحْذُوفٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ الْحَالُ،
 كَأَنَّهُ قَالَ: لَا يَزَالُونَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ، وَكَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا
 هَذَا الْمَوْعُودَ وَقَالُوا: مَتَىٰ يَكُونُ؟ فَقِيلَ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّهُ كَائِنٌ لَا رَيْبَ فِيهِ،
 وَأَمَّا وَقْتُهُ فَمَا ﴿أُذِرِي﴾ مَتَىٰ يَكُونُ، لِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَمْ يُبَيِّنْهُ لِي، وَالْأَمَدُ: الْغَايَةُ
 وَالنَّهَايَةُ وَالْمُهْلَةُ.

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ أَي: هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴿فَلَا﴾ يُطْلِعُ ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ مِنْ
 عِبَادِهِ: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ تَبَيَّنَ لِمَنِ ارْتَضَىٰ، يَعْنِي: الْمُرْتَضَىٰ لِلنُّبُوَّةِ
 لَا كُلُّ مُرْتَضَىٍّ ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ حَفَظَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 يَحْفَظُونَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، يَطْرُدُونَهُمْ عَنْهُ وَيَعَصُمُونَهُ عَنْ وَسَاوِسِهِمْ حَتَّىٰ يُبَلِّغَ
 مَا أَوْحِيَ بِهِ إِلَيْهِ.

﴿لِيَعْلَمَ﴾ اللَّهُ، أَي: لِيُظْهَرَ مَعْلُومُهُ عَلَى مَا كَانَ عَالِمًا بِهِ ﴿أَنْ قَدْ﴾ أَبْلَغَ الْأَنْبِيَاءِ
 ﴿رِسَالَتِ رَبِّهِمْ﴾ وَحَدَّ أَوَّلًا عَلَى اللَّفْظِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾، ثُمَّ
 جَمَعَ عَلَى الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، وَالْمَعْنَى: لِيُبَلِّغُوا
 رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ كَمَا هِيَ مَحْرُوسَةٌ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ. وَقُرِئَ: «لِيَعْلَمَ» عَلَى الْبِنَاءِ
 الْمَفْعُولِ ^(١) ﴿وَأَحَاطَ﴾ اللَّهُ ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بِمَا عِنْدَ الرُّسُلِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَغَيْرِهَا،
 لَا يَقُوتهُ مِنْهَا شَيْءٌ ﴿وَأَخَصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ مِنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَالْقَلِيلِ
 وَالكَثِيرِ، مِمَّا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَ﴿عَدَدًا﴾ حَالٌ بِمَعْنَى: مَعْدُودًا مَحْصُورًا، أَوْ: مَصْدَرٌ
 بِمَعْنَى: إِخْصَاءٌ.



(١) قرأه يعقوب. راجع التبيان: ج ١٠ ص ١٥٧.

سُورَةُ الْمُزَّمِّلِ

مُخْتَلَفٌ فِيهَا ^(١)، وَقِيلَ: بَعْضُهَا مَكِّيٌّ وَبَعْضُهَا مَدَنِيٌّ ^(٢). تِسْعُ عَشْرَةَ آيَةً بَصْرِيٌّ، عِشْرُونَ كُوفِيٌّ، عَدَّ الْكُوفِيُّ ﴿الْمُزَّمِّلُ﴾. فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ الْمُزَّمِّلَ دُفِعَ عَنْهُ الْعُسْرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ^(٣). وَعَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا فِي عِشَاءِ الْآخِرَةِ أَوْ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، كَانَ لَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَعَ السُّورَةِ شَاهِدَيْنِ، وَأَحْيَاهُ اللَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَأَمَاتَهُ مِيتَةً طَيِّبَةً» ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣)﴾

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ١٦٠: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ عِشْرُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ وَالْمَدَنِيِّ الْأَوَّلِ، وَتِسْعُ عَشْرَةَ فِي الْبَصْرِيِّ، وَثَمَانِيَةَ عَشْرَةَ فِي الْمَدَنِيِّ الْآخِرِ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْمَاورِدِيِّ: ج ٦ ص ١٢٤: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعُكْرَمَةَ وَعَطَاءَ وَجَابِرٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: إِلَّا آيَتَيْنِ مِنْهَا: قَوْلُهُ: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ وَالتِّي بَعْدَهَا. وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦٣٤: مَكِّيَّةٌ إِلَّا الْآيَاتِ ١٠ وَ ١١ وَ ٢٠ فَمَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (١٩) وَقِيلَ: (٢٠) نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَلَمِ.

(٢) فِي نَسْخَةٍ بَدَل «مُخْتَلَفٌ فِيهَا... وَبَعْضُهَا مَدَنِيٌّ»: «مَدَنِيَّةٌ وَيُقَالُ: مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَتَانِ وَهِيَ».

(٣) رَوَاهُ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦٤٤ مَرْسَلًا.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٨، وَفِيهِ: «كَانَ لَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ شَاهِدَيْنِ مَعَ سُورَةِ الْمُزَّمِّلِ».

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا (١٤) ﴿

﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ﴾ في ثيابه المتلفف بها، أدغم التاء في الزاي، وكذلك ﴿المدثر﴾ أصله: المتدثر، وكان ﷺ يترمل بالثياب في أول ما جاءه جبرائيل عليه السلام حتى انس به، فخطب بهذا.

وروي أنه دخل على خديجة وقد جأت^(١) فرقا فقال: زمّلوني، فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبرائيل عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ﴾^(٢).

وعن عكرمة: أن معناه: يا أيها الذي زمّل أمراً عظيماً أي: حمّله^(٣). والزمّل: الحمل، وأزدمله: احتمله. ﴿قُمِ اللَّيْلُ﴾ للصلاة، ﴿نِصْفُهُ﴾ بدل من ﴿اللَّيْلِ﴾ و ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء من «النصف»، كأنه قال: قُمِ أَقَلَّ من نصف الليل ﴿أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ خيره بين النقصان منه والزيادة عليه، وقيل: إن ﴿نِصْفُهُ﴾ بدل من ﴿قَلِيلًا﴾^(٤)، وعلى هذا فيكون تخيراً بين ثلاثة أشياء: بين قيام النصف بتمامه، وبين قيام الناقص منه، وبين قيام الزائد عليه. وإنما وصف النصف بالقلّة

(١) جأت: أي فرغ، فهو مجووث أي: مذعور. (الصحيح).

(٢) رواه الطبري في تاريخه: ج ٢ ص ٤٧.

(٣) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٢٧٨.

(٤) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٢٣٩.

بالنسبة إلى الكل. وَيَعْضُدُ هَذَا الْقَوْلَ مَا رُوِيَ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: الْقَلِيلُ: النِّصْفُ، أَوْ أَنْقُصَ مِنَ الْقَلِيلِ قَلِيلًا، أَوْ زِدْ عَلَى الْقَلِيلِ قَلِيلًا^(١).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ يَقُومُونَ عَلَى هَذِهِ الْمَقَادِيرِ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَقُومُ حَتَّى يُضْبِحَ مَخَافَةً أَنْ لَا يَحْفَظَ مَا بَيْنَ النِّصْفِ وَالثُّلُثِ وَالثُّلُثَيْنِ، حَتَّى خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَآخِرَ هَذِهِ السُّورَةِ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ أَنْ كَانَ فَرِيضَةً، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: كَانَ بَيْنَ أَوَّلِ السُّورَةِ وَآخِرِهَا الَّذِي نَزَلَ فِيهِ التَّخْفِيفُ عَشْرُ سِنِينَ^(٢).

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ﴾ أَي: اقْرَأْهُ عَلَى رَتْلٍ وَتَوَدَّةٍ بِتَبْيِينِ الْحُرُوفِ وَإِشْبَاعِ الْحَرَكَاتِ حَتَّى يَجِيءَ الْمُتْلُو مِنْهُ شَبِيهَاً بِالشَّعْرِ الْمُرْتَّلِ وَهُوَ الْمُفْلَجُ^(٣).

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَيْنَهُ تَبْيَانًا وَلَا تَهْدَهُ هَذَا الشَّعْرُ، وَلَا تَنْثُرُهُ نَثْرَ الرَّمْلِ، وَلَكِنْ أَقْرِعْ بِهِ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ، وَلَا يَكُونَنَّ هُمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ^(٤).

وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: لِأَنَّ أَقْرَأَ الْبَقْرَةَ أُرْتُلُّهَا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ^(٥).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّرْتِيلِ: هُوَ أَنْ تَتَمَكَّتَ فِيهِ، وَتُحَسِّنَ بِهِ صَوْتَكَ.

وَقَالَ: إِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ فَاسْأَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِيهَا

ذِكْرُ النَّارِ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ^(٦).

(١) أنظر تفسير القمي: ج ٢ ص ٤١٤.

(٢) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٢٧٩.

(٣) يقال: رجلٌ مفلجُ الشنايا أي: منفرجها، وهو خلاف المتراصِّ الأسنان.

(٤) رواه الكليني في الكافي: ج ٢ ص ٦١٤ ح ١ باسناده عن عبد الله بن سليمان عن

أبي عبد الله عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام. وفيه: «افزعوا قلوبكم» بدل «اقرع به القلوب».

(٥) رواه عنه البيهقي في السنن: ج ٣ ص ١٣.

(٦) رواه الكليني في الكافي: ج ٢ ص ٦١٧ و ٦١٨ قطعة ح ٢ و ٥.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يُقَالُ لَصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَأَرْقُ، وَرَتِّلْ
كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنَزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا^(١).
وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: لَا كَسْرَ دُكُم هَذَا، لَوْ أَرَادَ
السَّامِعُ أَنْ يَعُدَّ حُرُوفَهُ لَعَدَّهَا^(٢).

وَقَوْلُهُ: ﴿تَرْتِيلًا﴾ تَأْكِيدٌ فِي إِنْجَابِ الْأَمْرِ، وَأَنَّهُ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْقَارِئِ.
﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هَذِهِ الْآيَةُ اعْتِرَاضٌ، وَعَنْهُ بِالْقَوْلِ الثَّقِيلِ الْقُرْآنُ
وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالتَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ الصَّعْبَةِ. وَأَمَّا ثِقَلُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَلَأَنَّهُ مُتَحَمِّلُهَا بِنَفْسِهِ وَمُحَمِّلُهَا أُمَّتَهُ، فَهِيَ أَبْهَظُ لَهُ لِمَا يَلْحَقُهُ خَاصَّةً مِنَ الْأَذَى فِيهِ.
وَأَرَادَ بِهَذَا الْاعْتِرَاضِ: أَنَّ مَا كَلَّفَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِاللَّيْلِ مِنْ جُمْلَةِ التَّكَالِيفِ الثَّقِيلَةِ، مِنْ
حَيْثُ إِنَّ اللَّيْلَ وَقْتُ الرَّاحَةِ وَالْهُدُوءِ، فَلَا بُدَّ لِمَنْ أَحْيَاهُ مِنْ مُجَاهَدَةٍ لِنَفْسِهِ، وَقِيلَ:
قَوْلًا ثَقِيلًا فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَظِيمِ الشَّأْنِ عِنْدَ اللَّهِ، لَهُ وَزْنٌ وَرُجْحَانٌ^(٣)،
وَقِيلَ: قَوْلًا ثَقِيلًا نُزُولُهُ^(٤)، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ
الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَرْفُضُ عَرَقًا، وَإِنْ كَانَ لَيُوحِي لَهُ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ
فَيَضْرِبُ بِجِرَانِهَا.

﴿نَاشِئَةُ اللَّيْلِ﴾ هِيَ النَّفْسُ النَّاشِئَةُ بِاللَّيْلِ، الَّتِي تَنْشَأُ مِنْ مَضْجِعِهَا إِلَى الْعِبَادَةِ،
أَي: تَنْهَضُ وَتَرْتَفِعُ، مِنْ: نَشَأَتِ السَّحَابَةُ: إِذَا أَرْتَفَعَتْ، أَوْ: قِيَامُ اللَّيْلِ عَلَى أَنَّ
﴿نَاشِئَةً﴾ مَصْدَرٌ مِنْ: نَشَأَ إِذَا قَامَ وَنَهَضَ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رُوِيَ عَنْ عُيَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ
قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: رَجُلٌ قَامَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، أَتَقُولِينَ لَهُ: قَامَ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: لَا،

(١) رواه البيهقي في السنن: ج ٢ ص ٥٣ بإسناده عن عبدالله بن عمرو.

(٢) حكاه عنها الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٣٧.

(٣) قاله ابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٢٨١.

(٤) قاله عروة بن الزبير وعائشة. راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ١٢٦.

إِنَّمَا النَّاشِئَةُ الْقِيَامُ بَعْدَ النُّومِ^(١)، أو: العبادة التي تنشأ بالليل أي: تَحْدُثُ وَتَرْتَفِعُ، وقيل: هي ساعات الليل كلها لأنها تَحْدُثُ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى^(٢)، ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ هي خَاصَّةٌ دُونَ نَاشِئَةِ النَّهَارِ، أَشَدُّ مُوَاطَاةً أَي: مُوَافَقَةً، يُوَاطِئُ قَلْبُهَا لِسَانَهَا إِنْ أَرَدَتِ النَّفْسَ، أو: يُوَاطِئُ فِيهَا قَلْبُ الْقَائِمِ لِسَانُهُ إِنْ أَرَدَتِ الْقِيَامَ أو العبادة أو السَّاعَاتِ، أو: أَشَدُّ مُوَافَقَةً لِمَا يُرَادُ مِنَ الْخُشُوعِ وَالْإِخْلَاصِ، وَعَنِ الْحَسَنِ: أَشَدُّ مُوَافَقَةً بَيْنَ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لَا نَقِطَاعَ رُؤْيَا الْخَلَائِقِ^(٣). وَقُرِئَ: «أَشَدُّ وَطْأً»^(٤) والمعنى: أَشَدُّ ثَبَاتٍ قَدَمٍ، وَأَبْعَدُ مِنَ الزَّلَلِ، أو: أَثْقَلُ وَأَشَدُّ عَلَى الْمُصَلِّي مِنْ صَلَاةِ النَّهَارِ ﴿وَأَقْوَمُ قِيَالًا﴾ وَأَثْبَتُ قِرَاءَةً وَأَشَدُّ مَقَالًا لِهُدُوءِ الْأَصْوَاتِ وَأَنْقِطَاعِ الشَّوَاغِلِ. ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا﴾ أَي: تَصَرُّفًا وَتَقَلُّبًا فِي مِهْمَاتِكَ وَمَشَاغِلِكَ وَلَا تَفْرُغْ إِلَّا بِاللَّيْلِ، فَاجْعَلِ اللَّيْلَ لِعِبَادَتِكَ وَمَنَاجَاةِ رَبِّكَ لِتَفُوزَ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ وَدُمُ عَلَى ذِكْرِهِ، وَالذِّكْرُ يَتَنَاوَلُ كُلَّ تَحْمِيدٍ وَصَلَاةٍ وَتِلَاوَةٍ قُرْآنٍ وَعِبَادَةٍ ﴿وَتَبْتَئِلُ إِلَيْهِ﴾ وَأَنْقَطِعَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: ﴿تَبْتِيَالًا﴾ لِأَنَّ مَعْنَى «تَبْتَئِلَ»: بَتَّلَ نَفْسَهُ، فَجِيءَ بِهِ عَلَى مَعْنَاهُ مُرَاعَاةً لِلْفَوَاصِلِ.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ رُفِعَ عَلَى الْمَدْحِ ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ مُسَبِّبٌ عَلَى التَّهْلِيلِ، أَي: هُوَ الَّذِي يَجِبُ - لِتَفَرُّدِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالرَّبُوبِيَّةِ - أَنْ تُوَكَّلَ إِلَيْهِ الْأُمُورُ، وَقِيلَ: ﴿وَكَيْلًا﴾ كَفِيلًا بِمَا وَعَدَكَ مِنَ النَّصْرِ^(٥).

وَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ: أَنْ يُخَالَفَهُمْ بِقَلْبِهِ وَهَوَاهُ، وَيُخَالَفَهُمْ فِي الظَّاهِرِ بِلِسَانِهِ وَدَعْوَتِهِ

(١) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٣٨.

(٢) قاله ابن قتيبة. راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ١٢٧.

(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٣٩.

(٤) قرأه ابن عامر وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٥٨.

(٥) قاله الفراء والزجاج كلُّ منهما في كتابه معاني القرآن: ج ٣ ص ١٩٨ وج ٥ ص ٢٤١ على

الترتيب.

إِيَّاهُمْ إِلَى الْحَقِّ بِالْمُدَارَاةِ وَتَرْكِ الْمُكَافَأَةِ، وَعَنْ أَبِي الدُّرْدَاءِ: إِنَّا لَنَكْشُرُ فِي وَجُوهِ أَقْوَامٍ وَنَضْحَكُ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ قُلُوبَنَا لَتَقْلِيهِمْ^(١).

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ أَي: وَدَعْنِي وَإِيَّاهُمْ وَوَكَّلْ أَمْرَهُمْ إِلَيَّ، وَأَسْتَكَفِنِي شَرَّهُمْ فَإِنَّ فِيَّ مَا يُفْرَغُ بِأَلَاكَ ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾ أَي: التَّعَمُّعُ فِي الدُّنْيَا، وَهُمْ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ كَانُوا أَهْلَ ثَرْوَةٍ وَتَرْفٍّ. وَالنَّعْمَةُ بِالْكَسْرِ: الْإِنْعَامُ، وَبِالضَّمِّ: الْمَسْرَّةُ، يَقَالُ: نَعَمَ، وَنَعْمَةً عَيْنٍ.

﴿إِنَّ لَدَيْنَا﴾ مَا يُضَادُّ تَنَعُّمَهُمْ مِنْ «أَنْكَالٍ» وَهِيَ الْقِيُودُ الثَّقَالُ، الْوَاحِدُ: نُكْلٌ، وَمِنْ «جَحِيمٍ» وَهِيَ النَّارُ الشَّدِيدَةُ الْحَرِّ، وَمِنْ «طَعَامٍ ذِي غُصَّةٍ» يَنْشَبُ فِي الْحَلْقِ فَلَا يَنْسَاغُ، يَعْنِي: الضَّرِيعَ وَالزَّقُومَ، وَمِنْ «عَذَابٍ أَلِيمٍ» مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ، فَتَنْتَقِمُ لَكَ مِنْهُمْ بِذَلِكَ.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ مَنْصُوبٌ بِمَا فِي ﴿لَدَيْنَا﴾ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ، وَالرَّجْفَةُ: الزَّلْزَلَةُ وَالْحَرَكَةُ الْعَظِيمَةُ وَالْاضْطِرَابُ الشَّدِيدُ، وَالْكَثِيبُ: الرَّمْلُ السَّائِلُ الْمُتَنَائِرُ، وَالْمِهِيلُ: الَّذِي هِيلَ هَيْلًا أَيْ: نُثِرَ وَأُسِيلَ.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ، كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨) إِنْ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩) إِنْ رَبِّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ تَحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَءَاخِرُونَ

(١) حكاه عنه أبو نعيم في حلية الأولياء: ج ١ ص ٢٢٢ وفيه: «لتلعنهم» بدل «لتقليهم».

يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاخْرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)

يُخَاطَبُ قُرَيْشًا ﴿شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ بِتَكْذِيبِكُمْ وَكُفْرِكُمْ. ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ يَعْنِي: مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَذْخَلَ لَمْ التَّعْرِيفِ إِشَارَةً إِلَى الْمَذْكُورِ قَبْلَهُ ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا﴾ شَدِيدًا ثَقِيلًا مِنْ قَوْلِهِمْ: كَلَّا وَبِيلٌ: وَخِيمٌ غَيْرُ مُسْتَمَرٍّ لِثِقَلِهِ. وَالْوَبِيلُ: الْعَصَاءُ الضَّخْمَةُ.

﴿يَوْمًا﴾ مَفْعُولٌ بِهِ، أَي: وَكَيْفَ تَقُونَ أَنْفُسَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَوْلُهُ إِنْ بَقِيتُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَلَمْ تُؤْمِنُوا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا، أَي: فَكَيْفَ لَكُمْ بِالتَّقْوَى فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ كَفَرْتُمْ فِي الدُّنْيَا، أَوْ: مَفْعُولًا لـ ﴿كَفَرْتُمْ﴾ عَلَى تَأْوِيلٍ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ اللَّهُ إِنْ جَحَدْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْجَزَاءُ، لِأَنَّ التَّقْوَى هُوَ خَوْفُ عِقَابِ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿يَجْعَلُ أَوْلَادَنَ شِيبًا﴾ مَثَلٌ كَمَا يَقَالُ: يَوْمٌ يُشِيبُ النَّوَاصِي.

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ وَصَفٌ لِلْيَوْمِ بِالشَّدَةِ أَيْضًا، وَأَنَّ السَّمَاءَ عَلَى عِظَمِهَا وَإِحْكَامِهَا تَنْفَطِرُ فِيهِ، وَالْمَعْنَى: ذَاتُ أَنْفِطَارٍ، أَوْ: السَّمَاءُ شَيْءٌ مُنْفَطِرٌ، وَالْبَاءُ فِي ﴿بِهِ﴾ مَثَلُهَا فِي: فَطَرْتُ الْعُودَ بِالْقُدُومِ، بِمَعْنَى: أَنَّهَا مُنْفَطِرٌ بِشَدَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَهَوْلِهِ كَمَا يَنْفَطِرُ الشَّيْءُ بِمَا يُفْطَرُ بِهِ ﴿وَعُدَّةٌ﴾ مضافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ، وَالضَّمِيرُ لِلْيَوْمِ، أَوْ: إِلَى الْفَاعِلِ وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ عَزَّ أَسْمُهُ وَإِنْ لَمْ يَجْرَ لَهُ ذِكْرٌ لِكَوْنِهِ مَعْلُومًا.

﴿أَنَّ هَذِهِ﴾ الْآيَاتِ النَّاطِقَةِ بِالْوَعْدِ الشَّدِيدِ ﴿تَذَكُّرَةٌ﴾ مَوْعِظَةٌ لِمَنْ أَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ اتَّعَظَ بِهَا وَ﴿اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ بِالتَّقْوَى وَالْخَشْيَةِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ﴾ أَقَلَّ مِنْهُمَا، اسْتَعَارَ الْأَدْنَى وَهُوَ الْأَقْرَبُ لِلْأَقَلِّ، لِأَنَّ الْمَسَافَةَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِذَا دَنَتْ قَلَّ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَخْيَارِ،

وَإِذَا بَعْدَتْ كَثْرَ ذَلِكَ، قُرِئَ: ﴿وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ بِالنَّصْبِ عَلَى مَعْنَى: أَنَّكَ تَقُومُ أَقْلَ مِنْ ثَلَاثِينَ وَتَقُومُ النِّصْفَ وَالثُّلُثَ، وَقُرِئَ: ﴿وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ﴾ بِالْجَرِّ^(١) أَي: وَأَقْلَ مِنْ النِّصْفِ وَالثُّلُثِ ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ وَتَقُومُ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَبُو ذَرٍّ^(٢). ﴿وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ وَلَا يَقْدَرُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُهُ، فَيَعْلَمُ الْقَدَرُ الَّذِي يَقُومُونَهُ مِنَ اللَّيْلِ ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُخْصَوْهُ﴾ الضَّمِيرُ لِمُضَدَّرِ ﴿يَقْدَرُ﴾ أَي: عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ مِنْكُمْ ضَبْطُ الْأَوْقَاتِ، وَلَا يَتَأَتَّى حِسَابُهَا لَكُمْ بِالتَّعْدِيلِ وَالتَّسْوِيَةِ إِلَّا أَنْ تَأْخُذُوا بِالْأَوْسَعِ لِلْاِحْتِيَاظِ، وَذَلِكَ يَشُقُّ عَلَيْكُمْ ﴿فَقَاتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ عِبَارَةٌ عَنِ التَّرْخِيصِ فِي تَرْكِ الْقِيَامِ الْمَقْدَرِ.

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ عَبَّرَ عَنِ الصَّلَاةِ بِالْقِرَاءَةِ، لِأَنَّهَا بَعْضُ أَرْكَانِهَا، يُرِيدُ: فَصَلُّوا مَا تَيَسَّرَ عَلَيْكُمْ وَلَمْ يَتَعَذَّرْ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَقِيلَ: هِيَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بَعَيْنِهَا، ثُمَّ اخْتَلَفُوا بِالْقَدَرِ الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْأَمْرُ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: أَنَّهُ خَمْسُونَ آيَةً، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مِائَةُ آيَةٍ، وَعَنِ السَّدِيِّ: مِائَتَا آيَةٍ^(٣). ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِي التَّخْفِيفِ، وَهِيَ تَعَذُّرُ الْقِيَامِ بِاللَّيْلِ عَلَى الْمَرْضَى، وَالضَّارِبِينَ فِي الْأَرْضِ لِلتَّجَارَةِ، وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَسَوَّى سُبْحَانَهُ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ وَالْمَسَافِرِينَ لَطَلَبِ الْحَلَالِ. وَالْقَرْضُ الْحَسَنُ: إِخْرَاجُ الْمَالِ مِنْ أَطْيَبِ وَجُوهِهِ وَأَعْوَدِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَابْتِغَاءِ وَجْهِ اللَّهِ بِهِ، وَصَرَفُهُ إِلَى الْمُسْتَحَقِّ ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾ هُوَ: فَضْلٌ وَقَعَ بَيْنَ مَفْعُولِي «وَجَدَ»، وَجَازَ وَإِنْ لَمْ يَقَعْ بَيْنَ مَعْرِفَتَيْنِ؛ لِأَنَّ «أَفْعَلَ» مِنْ أَشْبَهِ الْمَعْرِفَةِ فِي أَمْتِنَاعِهِ مِنْ حَرْفِ التَّعْرِيفِ.

(١) قرأه نافع وأبو عمرو وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٥٨.

(٢) رواه عنه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٣٨٧ بإسناده عن أبي صالح وآخر عن عطاء كلاهما عنه.

(٣) أنظر هذه الأقوال في تفسير الماوردي: ج ٦ ص ١٣٣، وتفسير القرطبي: ج ١٩ ص ٥٣.

سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ

مَكِّيَّةٌ (١) سِتُّ وَخَمْسُونَ آيَةً.

في حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْمُدَّثِّرِ أُعْطِيَ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ مَنْ صَدَّقَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَكَذَّبَ بِهِ بِمَكَّةَ» (٢).

وعَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ فِي الْفَرِيضَةِ سُورَةَ الْمُدَّثِّرِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَهُ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي دَرَجَتِهِ، وَلَا يُدْرِكُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا شَقَاءٌ» (٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي
النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)﴾

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ١٧١: مَكِّيَّةٌ في قول ابن عباس، وقال الضحاك: هي مَدَنِيَّةٌ وهي خمسون وست آيات في الكوفي والبصري والمدني الأول، وخمس في المدني الأخير. وقال أبو سلمة ابن عبد الرحمن: أول ما نزل من القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ وحكى ذلك أبو سلمة عن جابر بن عبد الله.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٦٤٤: مَكِّيَّةٌ وهي ست وخمسون آية، نزلت بعد المزمّل.

(٢) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٦٥٧ مرسلًا.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٤٨ وزاد بعده: «أبدًا إن شاء الله».

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ
 شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ
 لِأَيَّتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأَرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ
 قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ
 وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ
 الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَذْرَنْكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقَى وَلَا
 تَذَرُ (٢٨) لَوْ آحَ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) ﴿

﴿الْمُدَّثِّرُ﴾: المَثَدَّرُ بَثْيَابِهِ، وهو لَإِسْ الدِّثَارِ، وهو ما فَوْقَ الشَّعَارِ، والشَّعَارُ:
 الثَّوبُ الَّذِي يَلِي الْجَسَدَ، ومنهُ الحديثُ: «الْأَنْصَارُ شِعَارُ وَالنَّاسُ دِثَارٌ»^(١). ﴿قُمْ﴾
 مِنْ نَوْمِكَ ﴿فَأَنْذِرْ﴾ قَوْمَكَ، أَوْ: قُمْ قِيَامَ عَزْمٍ وَتَصْمِيمٍ فَحَذِّرْ قَوْمَكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
 إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا، وَالْأَوْجَهُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: فَافْعَلِ الْإِنْذَارَ، مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ.
 ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ وَأَخْتَصَّ رَبَّكَ بِالتَّكْبِيرِ، وهو أَنْ تَصِفَهُ بِالْكِبَرِيَاءِ، أَوْ: قُلْ: اللَّهُ أَكْبَرُ،
 وَقَدْ حُمِلَ أَيْضًا عَلَى التَّكْبِيرِ فِي الصَّلَاةِ، وَدَخَلَتِ الْفَاءُ لِمَعْنَى الشَّرْطِ، كَأَنَّهُ قَالَ:
 وَمَا كَانَ فَلَا تَدَعُ تَكْبِيرَهُ.

﴿وَيَبَاكَ فَطَهِّرْ﴾ هَا مِنْ النَّجَاسَاتِ، لِأَنَّ طَهَارَةَ الثِّيَابِ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ
 الصَّلَاةِ، وَعَنْ قَتَادَةَ: الثِّيَابُ عِبَارَةٌ عَنِ النَّفْسِ، أَيْ: وَنَفْسِكَ فَطَهِّرْ مِمَّا يُسْتَقْدَرُ مِنَ
 الْأَفْعَالِ^(٢)، يَقَالُ: فَلَانُ طَاهِرُ الثِّيَابِ وَنَقِيُّ الْجَيْبِ وَالذِّلِّ، إِذَا وُصِفَ بِالنَّقَاءِ مِنَ
 الْمَعَائِبِ وَالرَّذَائِلِ، لِأَنَّ الثَّوْبَ يَشْتَمِلُ عَلَى الْإِنْسَانِ فَكُنِيَ بِهِ عَنْهُ، كَمَا قِيلَ:

(١) رواه مسلم في الصحيح: ج ٢ ص ٧٣٨ قطعة ج ١٠٦١ باسناده عن عبدالله بن زيد. ومعنى
 الحديث: أَنَّ الْأَنْصَارَ هُمُ الْبَطَانَةُ وَالْخَاصَّةُ، وَهُمْ الصَّقُّ النَّاسُ بِي مِنْ سَائِرِ النَّاسِ.
 (٢) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٢٩٨.

أَعْجَبَنِي زَيْدٌ ثَوْبُهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَثِيَابُكَ فَقَصَّرَ^(١)، إِذْ لَا يُؤْمَنُ فِي تَطْوِيلِهَا إِصَابَةُ النَّجَاسَةِ.

﴿وَالرُّجْزَ﴾ قُرِئَ بِكَسْرِ الرَّاءِ^(٢) وَضَمِّهَا، وَهُوَ الْعَذَابُ، وَالْمَعْنَى اهْجُرْ مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ وَغَيْرُهَا، أَي: وَأَثَبْتُ عَلَى هَجْرِهِ لِأَنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَانَ مَنْزَلاً عَنْهُ.

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ أَي: وَلَا تُعْطِ مُسْتَكْثِراً، رَأِياً لِمَا تُعْطِيهِ كَثِيراً، أَوْ طَالِباً لِلْكَثِيرِ، نَهْيٌ عَنِ الْاسْتِغْزَارِ، وَهُوَ أَنْ يَهَبَ شَيْئاً وَهُوَ يَطْمَعُ أَنْ يَتَعَوَّضَ مِنَ الْمَوْهُوبِ لَهُ أَكْثَرَ مِنَ الْمَوْهُوبِ، وَهَذَا جَائِزٌ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «الْمُسْتَغْزَرُ يُثَابُ مِنْ هَبِّهِ»^(٣). وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ نَهْياً خَاصّاً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ أَسْمُهُ اخْتَارَ لَهُ أَحْسَنَ الْأَخْلَاقِ، وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ نَهْيٌ تَنْزِيهِ لا نَهْيٌ تَحْرِيمٍ. ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ وَلَوْ جِهَ رَبِّكَ فَاسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ عَلَى أَذَى الْمَشْرِكِينَ وَعَلَى أَدَاءِ الطَّاعَاتِ.

وَالْفَاءُ فِي ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ لِلتَّسْيِيبِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَاصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ فَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴿يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ يَلْقَوْنَ فِيهِ مَغَبَّةً أَذَاهُمْ، وَالْفَاءُ فِي ﴿فَذَلِكَ﴾ لِلجَزَاءِ، وَأَنْتَصَبَ ﴿إِذَا﴾ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ عَسَرَ الْأَمْرُ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَلَا يَجُوزُ وَقُوعُ ﴿يَوْمٍ مِثْلٍ﴾ ظَرْفاً لـ ﴿عَسِيرٍ﴾ لِأَنَّ الصِّفَةَ لَا تَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَ الْمَوْصُوفِ، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِـ ﴿ذَلِكَ﴾ لِأَنَّ ﴿ذَلِكَ﴾ كِنَايَةٌ عَنِ الْمَصْدَرِ، وَالتَّقْدِيرُ: فَذَلِكَ النَّقْرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَقْرُ يَوْمٍ عَسِيرٍ، وَعَنْ مَجَاهِدٍ: مَعْنَاهُ: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ^(٤)، وَأُخْتَلِفَ فِي أَنَّهَا النَّفْخَةُ الْأُولَى أَمْ الثَّانِيَّةُ. وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾

(١) قاله طاووس. راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ١٣٧.

(٢) وهي قراءة الجمهور إلا حفصاً. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٥٩.

(٣) انظر النهاية لابن الأثير: مادة «غزر» وقال: المستغزر: الذي يطلب أكثر ممّا يعطي.

(٤) حكاها عنه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٣٠٤.

وقوله: ﴿عَسِيرٌ﴾ يُغْنِي عَنْهُ، لِيُوْذِنَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ عَلَيْهِمْ يَسِيرًا كَمَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَيَكُونُ جَمْعًا بَيْنَ وَعِيدِ الْكَافِرِينَ وَوَعْدِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ هـ ﴿وَحِيدًا﴾ أي: متوَحِّدًا بِخَلْقِهِ، يعني: وَلِيدَ بَنِ الْمُغِيرَةِ، يُرِيدُ: دَعْنِي وَإِيَّاهُ، وَخَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَإِنِّي أَجْزِيكَ فِي الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ عَنْ كُلِّ مُنْتَقِمٍ، فَهُوَ حَالٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى مَعْنَيْنِ: بِمَعْنَى: ذَرْنِي وَخُذِي مَعَهُ، أَوْ خَلَقْتُهُ وَخُذِي، أَوْ: حَالٌ مِنَ الْمَخْلُوقِ بِمَعْنَى: خَلَقْتُهُ وَهُوَ وَحِيدٌ فَرِيدٌ لَا مَالَ لَهُ. وَرُويَ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْوَاحِدَ مَنْ لَا يُعْرِفُ لَهُ أَبٌ (١).

﴿مَالًا مَمْدُودًا﴾ أي: مَبْسُوطًا كَثِيرًا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (٢): هُوَ مَا كَانَ لَهُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْوَالِ، مِنَ الْإِبِلِ الْمُؤَبَّلَةِ، وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ، وَالْمَسْتَغَلَّاتِ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ غَلَّاتُهَا، وَكَانَ لَهُ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، وَعَشْرُ ﴿بَنِينَ شُهُودًا﴾ أي: حُضُورًا مَعَهُ بِمَكَّةَ لَا يَغِيبُونَ عَنْهُ؛ لِإِغْنَاهُمْ عَنْ رُكُوبِ السَّفَرِ لِلتِّجَارَةِ، أَسْلَمَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ: خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَهَشَامٌ، وَعِمَارَةُ. ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ أي: وَبَسَطْتُ لَهُ الْجَاءَ الْعَرِيضَ وَالرَّائِسَةَ فِي قَوْمِهِ. ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ أَسْتَبْعَادًا لِطَمَعِهِ وَحِرْصِهِ.

﴿كَأَلَا﴾ رَدْعٌ لَهُ وَقَطْعٌ لِطَمَعِهِ ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يَسْتَتِنَا عَنِيدًا﴾ تَعْلِيلٌ لِلرَّدْعِ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِثْنَاءِ، أي: كَانَ مَعَانِدًا لِحُجَجِنَا وَآيَاتِنَا مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِهَا، كَافِرًا بِذَلِكَ لِإِنْعِمَانَا، وَالْكَافِرُ لَا يَسْتَحِقُّ الْمَزِيدَ، وَرُويَ: أَنَّهُ مَا زَالَ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي نُقْصَانٍ مِنْ مَالِهِ حَتَّى هَلَكَ (٣). ﴿سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا﴾ سَأَغْشِيهِ عَقَبَةً شَاقَّةً الْمَضْعَدِ، وَهُوَ مَثَلٌ لِمَا يَلْقَى مِنَ الْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي لَا تُطَاقُ.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ تَعْلِيلٌ لِلْوَعِيدِ، أَوْ: نَدَلٌ مِنْ ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يَسْتَتِنَا عَنِيدًا﴾، يَبَانًا لَكُنْهِ

(١) رواه العياشي في تفسيره كما في مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٨٧.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٤٧.

(٣) رواه مقاتل. راجع البحر المحيط لأبي حيان: ج ٨ ص ٣٧٣.

عِنَادِهِ، وَمَعْنَاهُ: إِنَّهُ فَكَّرَ مَاذَا يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ ﴿وَقَدَّرَ﴾ فِي نَفْسِهِ مَا يَقُولُ لَهُ وَهَيَّأَهُ. ﴿فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تَعَجِيبٌ مِنْ تَقْدِيرِهِ وَإِصَابَتِهِ فِيهِ الْمَحْزَرُ^(١) وَرَمِيهِ فِيهِ الْغَرَضُ، أَوْ: ثَنَاءٌ عَلَيْهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْاسْتِهْزَاءِ بِهِ، يَقُولُ الْقَائِلُ: قَتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْجَعَهُ! وَقَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْعَرَهُ! وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ حَقِيقٌ بِأَنْ يُحْسَدَ وَيَدْعُوَ عَلَيْهِ حَاسِدُهُ بِذَلِكَ.

وَرُوي^(٢): أَنَّ الْوَلِيدَ قَالَ لِبْنِي مَخْزُومٍ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ آيَافاً كَلَاماً، مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ، وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ، إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّهُ يعلو وما يُعلَى، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: صَبَا^(٣) وَاللَّهِ الْوَلِيدُ، وَاللَّهُ لَيَضْبَانُ قُرَيْشٍ كُلَّهُمْ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَنَا أَكْفِيكُمْوهُ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ حَزِيناً وَكَلَّمَهُ بِمَا أَحْمَاهُ^(٤)، فَقَامَ فَأَتَاهُمْ فَقَالَ: تَزْعُمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ فَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ يَخْنُقُ؟ وَتَقُولُونَ: إِنَّهُ كَاهِنٌ، فَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ يُحَدِّثُ فِيمَا يَتَحَدَّثُ بِهِ الْكَهَنَةُ؟ وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ شَاعِرٌ، فَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ يَتَعَاطَى شِعْراً قَطُّ؟ وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَذَّابٌ، فَهَلْ جَرَّبْتُمْ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنَ الْكَذِبِ؟ فَقَالُوا فِي كُلِّ ذَلِكَ: اللَّهُمَّ لَا، قَالُوا لَهُ: فَمَا هُوَ؟ فَفَكَّرَ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا سَاحِرٌ! أَمَا رَأَيْتُمُوهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ وَوُلْدِهِ وَمَوَالِيهِ؟ وَمَا يَقُولُهُ ﴿سِحْرٌ يُؤَثِّرُ﴾ عَنْ أَهْلِ بَابِلَ، فَتَفَرَّقُوا مُعْجِبِينَ مُتَعَجِّبِينَ مِنْهُ. ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ فِي وَجْهِ النَّاسِ ﴿ثُمَّ﴾ قَطَّبَ وَجْهَهُ مَذْبِراً، وَتَشَاوَسَ مُسْتَكْبِراً لِمَا خَطَرَتْ بِيَالِهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الشَّنْعَاءُ وَقِيلَ: ﴿قَدَّرَ﴾ مَا يَقُولُهُ ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ فِيهِ ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ لِمَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْحِيلُ وَلَمْ يَذَرِ مَا يَقُولُ^(٥).

(١) أي: القطع. (لسان العرب).

(٢) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٣٠٩ عن ابن عباس.

(٣) صَبَا: أي مَال. (الصحاح).

(٤) أَحْمَاهُ: أي أثار حميَّته وعصبيَّته. (لسان العرب).

(٥) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٤٩.

﴿سَاضِلِيهِ سَقَر﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿سَازِهَقُهُ صَعُودًا﴾، ﴿لَا تُبْقَى﴾ شَيْئًا يُلْقَى فِيهَا إِلَّا أَهْلَكَتُهُ ﴿وَلَا تَذُرُ﴾ هُ مِنْ الْهَلَاكِ، بَلْ كُلُّ مَا يُلْقَى فِيهَا هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ. ﴿لَوَاحَةٌ﴾ مِنْ: لَوْحَ الْهَجِيرِ، وَالْبَشَرُ: أَعَالِي الْجُلُودِ، أَي: مُغَيَّرَةٌ لِلْجُلُودِ، وَقِيلَ: لَا فِحَّةَ لَهَا حَتَّى تَدْعَهَا أَشَدَّ سَوَادًا مِنَ اللَّيْلِ ^(١). ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ هُمْ خَزَنَتُهَا، وَقِيلَ: تِسْعَةَ عَشَرَ صِنْفًا ^(٢).

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَزْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرَ (٣٢) وَاللَّيْلَ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحَ إِذَا أَصْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِخْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنْكُم أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّةٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَاطِئِينَ (٤٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِيرَةِ مُغْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنْشَرَّةً (٥٢) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُ

(١) قاله مجاهد. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٤١٦.

(٢) حكاها الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٥٠.

تَذِكْرَةٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ
التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦) ﴿

رُوي: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لِقُرَيْشٍ بَعْدَ نُزُولِ الْآيَةِ: أَتَسْمَعُونَ أَنَّ ابْنَ أَبِي كَبْشَةَ
يُخْبِرُكُمْ أَنَّ خَزَنَةَ النَّارِ تِسْعَةَ عَشَرَ، وَأَنْتُمْ الدَّهْمُ الشُّجَعَاءُ، أَفَيَعْجُزُ كُلُّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ
أَنْ يَبْطِشُوا بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ؟! فَقَالَ أَبُو الْأَسَدِ الْجَمْحِيُّ: أَنَا أَكْفِيكُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ فَاكْفُونِي
أَنْتُمْ اثْنَيْنِ! فَتَنَزَلَ^(١): ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أَي: وَمَا جَعَلْنَاهُمْ
رِجَالًا مِنْ جَنْسِكُمْ فَتُطِيقُونَهُمْ ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَي: وَمَا
جَعَلْنَاهُمْ عَلَى هَذَا الْعَدَدِ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَبِحُكْمَتِهِ، وَلَمْ يُذْغِنُوا إِذْ عَانَ
الْمُؤْمِنِينَ فَيَتَعَرَّضُونَ وَيَسْتَهْزِئُونَ. كَأَنَّهُ قَالَ: جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ عِدَّةً مِنْ شَأْنِهَا أَنْ يُفْتَنَّ
بِهَا لِأَجْلِ اسْتِيقَانِ أَهْلِ الْكِتَابِ، لِأَنَّ عِدَّتَهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ فِي الْكِتَابَيْنِ^(٢)، فَإِذَا
سَمِعُوا أَتَقَنُّوا أَنَّهُ مَنْزِلٌ مِنَ اللَّهِ، وَأَزْدِيادُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا لِيُصَدِّقَهُمْ بِذَلِكَ، وَلَمَّا رَأَوْا
مَنْ تَصَدِّقُ أَهْلَ الْكِتَابِ بِهِ، وَأَنْتَفَاءُ أَرْتِيَابِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُؤْمِنِينَ.

وَأَفَادَ اللَّامُ فِي ﴿لِيَقُولَ﴾ مَعْنَى السَّبَبِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَرَضًا، وَ ﴿مَثَلًا﴾ تَمْيِيزُ أَوْ
حَالٍ، وَالْعَامِلُ مَعْنَى الْإِشَارَةِ فِي ﴿هَذَا﴾، وَسَمَوُهُ ﴿مَثَلًا﴾ اسْتِعَارَةٌ مِنَ الْمَثَلِ
الْمَضْرُوبِ؛ اسْتِغْرَابًا مِنْهُمْ لِهَذَا الْعَدَدِ، يَعْنُونَ: أَيُّ شَيْءٍ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا الْعَدَدِ الْعَجِيبِ؟
وَأَيُّ غَرَضٍ فِي أَنْ جَعَلَهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ لَا عِشْرِينَ؟ وَمُرَادُهُمُ الْإِنْكَارُ، وَالْكَافُ فِي
مَوْضِعِ نَصْبٍ، أَي: مِثْلُ ذَلِكَ الْإِضْلَالِ وَالْهُدَى ﴿يُضِلُّ اللَّهُ﴾ الْكَافِرِينَ ﴿وَيَهْدِي﴾
الْمُؤْمِنِينَ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَفْعَلُ فِعْلًا حَسَنًا عَلَى مَقْتَضَى الْحِكْمَةِ، فَيَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ
صَوَابًا حَسَنًا فَيَزِيدُهُمْ إِيمَانًا وَهُدًى، وَيُنْكِرُهُ الْكَافِرُونَ فَيَزِيدُهُمْ كُفْرًا وَضَلَالًا.

(١) رواه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٤١٧ عن ابن عباس والضحاك، وفيه: «أبو الأشد
الجمحي». (٢) أراد: التوراة والإنجيل.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ وما عليه كُلُّ جُنْدٍ من العَدَدِ وما فيه من الحِكْمَةِ ﴿إِلَّا هُوَ﴾، ولا سبيل لأَحَدٍ إلى معرفة ذلك، كَمَا لَا يَعْرِفُ الحِكْمَةَ في أَعْدَادِ السَّمَاوَاتِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْبُرُوجِ، وَأَعْدَادِ الصَّلَوَاتِ وَالنُّصُبِ فِي الزَّكَّوَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ لِفَرْطِ كَثَرَتِهَا ﴿إِلَّا هُوَ﴾ فَلَا يَعْرِضُ عَلَيْهِ تَثْمِينُ الزَّبَانِيَةِ عِشْرِينَ، وَلَكِنْ لَهُ فِي هَذَا الْعَدَدِ الْخَاصِّ حِكْمَةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْبَشَرِ﴾ مَتَّصِلٌ بِوَصْفِ ﴿سَقَرٍ﴾، وَ﴿هِيَ﴾ ضَمِيرُهَا، أَي: وَمَا سَقَرُ وَصِفَتُهَا إِلَّا تَذَكُّرٌ لِلْبَشَرِ، أَوْ: ضَمِيرُ الْآيَاتِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا.

﴿كَلَّا﴾ إنْكَارٌ بَعْدَ أَنْ جَعَلَهَا ذِكْرِي، أَنْ يَكُونَ لَهُمْ ذِكْرِي لِأَنَّهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ. «دَبَّرَ» وَ«أَدَبَرَ» بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: صَارُوا كَأَمْسِ الدَّابِرِ، وَقِيلَ: هُوَ مَنْ: دَبَّرَ اللَّيْلُ النَّهَارَ: إِذَا خَلَفَهُ ^(١)، وَقُرِئَ: «إِذَا دَبَّرَ» ^(٢). ﴿إِنَّهَا لِإِخْدَى الْكُبَرِ﴾: «الْكُبَرَى» تَأْنِيثُ «الْأَكْبَرِ»، جُعِلَتْ أَلْفُ التَّأْنِيثِ كِتَابَتِهَا، فَكَمَا جُمِعَتْ «فُعْلَةٌ» عَلَى «فُعَلٍ» جُمِعَتْ «فُعْلَى» عَلَى «فُعَلٍ»، أَي: لِإِخْدَى الدَّوَاهِي الْكُبَرِ، بِمَعْنَى: أَنَّهَا وَاحِدَةٌ فِي الْعِظَمِ مِنْ بَيْنَهُنَّ لَا نَظِيرَةَ لَهَا. ﴿نَذِيرًا﴾ تَمَيِّزٌ مِنْ ﴿إِخْدَى﴾ عَلَى مَعْنَى: إِنَّهَا لِإِخْدَى الْبَلَايَا إِنْذَارًا، كَمَا يَقَالُ: فُلَانَةٌ إِخْدَى النِّسَاءِ عَفَافًا. وَقِيلَ: هِيَ حَالٌ ^(٣).

﴿أَنْ يَتَّقَدَّمَ﴾ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَ﴿لِمَنْ شَاءَ﴾ خَبَرٌ مَقْدَمٌ عَلَيْهِ، كَمَا تَقُولُ: لِمَنْ تَوْضًا أَنْ يُصَلِّيَ، وَمَعْنَاهُ مُطْلَقٌ لِمَنْ شَاءَ التَّقَدُّمَ أَوْ التَّأَخُّرَ أَنْ يَتَّقَدَّمَ ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾، وَالْمُرَادُ بِالتَّقَدُّمِ وَالتَّأَخُّرِ: السَّبْقُ إِلَى الْخَيْرِ وَالتَّأَخُّرُ عَنْهُ، وَنَحْوُهُ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ ^(٤)، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿لِمَنْ شَاءَ﴾ بَدَلًا مِنْ

(١) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج ٢ ص ٢٧٥.

(٢) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وأبو بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٥٩.

(٣) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٢٤٩.

(٤) الكهف: ٢٩.

﴿لِلْبَشَرِ﴾ عَلَى أَنَّهَا مُنْذِرَةٌ لِلْمُكَلَّفِينَ الْمُمَكِّنِينَ الَّذِينَ إِنْ شَاءُوا تَقَدَّمُوا فَفَازُوا وَإِنْ شَاءُوا تَأَخَّرُوا فَهَلَكُوا.

و ﴿رَهِينَةٌ﴾ لَيْسَتْ بِتَأْنِيثٍ «رَهِين» لِأَنَّ «فَعِيلًا» بِمَعْنَى «مَفْعُول» يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذَكَّرُ وَالْمَوْثُوتُ، وَإِنَّمَا هِيَ أَسْمٌ بِمَعْنَى «الرَّهْنِ» كَالشَّيْمَةِ بِمَعْنَى «الشَّتْمِ»، كَأَنَّهُ قَالَ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ رَهِينٌ، وَمِثْلُهُ يَنْتُ الْحَمَاسَةُ:

أَبْعَدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفِ كُؤَيْكِبٍ رَهِينَةٌ رَمْسٍ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ ^(١)
 أَي: رَهْنٍ رَمْسٍ. وَالْمَعْنَى: كُلُّ نَفْسٍ رَهْنٌ بِكَسْبِهَا عِنْدَ اللَّهِ، غَيْرُ مَفْكُوكٍ.
 ﴿إِلَّا أَصْحَبَ الْيَمِينِ﴾ فَإِنَّهُمْ فَكُّوا رِقَابَهُمْ عَنْهُ بِإِيمَانِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ كَمَا يَقُكُّ الرَّاهِنُ رَهْنَهُ بِأَدَاءِ الْحَقِّ. ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ أَي: هُمْ فِي جَنَّاتٍ لَا يُكْتَنَهُ وَصْفُهَا ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾، أَوْ: يَتَسَاءَلُونَ غَيْرُهُمْ عَنْهُمْ، كَقَوْلِهِ: دَعَوْتُهُ وَتَدَاعَيْتَاهُ. ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ هَذِهِ حِكَايَةُ قَوْلِ الْمَسْئُولِينَ عَنِ الْمَجْرِمِينَ لَا أَنَّهُمْ يُلْقَوْنَ إِلَى السَّائِلِينَ مَا جَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَجْرِمِينَ فَيَقُولُونَ: قُلْنَا لَهُمْ: مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ؟ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ إِلَّا أَنَّهُ جَاءَ عَلَى الْحَذَفِ وَالِاخْتِصَارِ. ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ أَي: نَشْرَعُ فِي الْبَاطِلِ وَنَعْوِي مَعَ الْغَاوِينَ. وَأَخَّرَ التَّكْذِيبَ عَلَى مَعْنَى: أَنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ مُكْذِبِينَ ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ تَعْظِيمًا لِلتَّكْذِيبِ. ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ وَهُوَ الْمَوْتُ وَمَقْدَمَاتُهُ. ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ كَمَا يَنْفَعُ الْمُوَحِّدِينَ.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ﴾ عَنِ التَّذْكِيرِ وَهُوَ الْقُرْآنُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمَوَاعِظِ ﴿مُعْزِضِينَ﴾ حَالٌ، كَمَا تَقُولُ: مَا لَكَ قَائِمًا؟ ﴿كَأَنَّهُمْ خُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ شَدِيدَةُ النَّفَارِ

(١) لعبد الرحمن بن زيد العذري، قد قُتِلَ أبوه فَعُرِضَ عَلَيْهِ فِيهِ سَبْعُ دِيَّاتٍ فَأَبَى إِلَّا الثَّارَ وَأَنْشَأَ يَقُولُهُ. وَالنَّعْفُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ وَالْجَبَلُ، وَالْكُؤَيْكِبُ: جَبَلٌ بَعِينُهُ. رَاجِعَ شَرْحَ شَوَاهِدِ الْكَشَافِ: ص ٥٥٣.

وَحَشِيَّةٌ، كَأَنَّهَا تَطْلُبُ النَّفَارَ مِنْ نَفْسِهَا فِي حَمْلِهَا عَلَيْهِ، وَقُرِئَ بِفَتْحِ الْفَاءِ ^(١) وَهِيَ الْمُنْفَرَةُ الْمَحْمُولَةُ عَلَى النَّفَارِ. ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ هَرَبَتْ مِنْ أَسَدٍ، وَهِيَ فَعُولَةٌ مِنْ «الْقَسْرِ» وَهُوَ الْقَهْرُ وَالْغَلَبَةُ، وَقِيلَ: الْقَسْوَرَةُ: جَمَاعَةُ الرُّمَاتِ الَّذِينَ يَتَصَيَّدُونَهَا ^(٢). ﴿صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ قَرَاتِيَسَ تُنَشَّرُ وَتُقْرَأُ، وَكُتِبَا كُتِبَتْ فِي السَّمَاءِ وَنَزَلَتْ بِهَا الْمَلَائِكَةُ سَاعَةً كُتِبَتْ مُنَشَّرَةً عَلَى أَيْدِيهَا لَمْ تُطَوِّبْ بَعْدُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا الرَّسُولُ اللَّهُ ﷺ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَأْتِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ عِنَاوَانُهَا: «مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ» نُؤْمَرُ فِيهَا بِاتِّبَاعِكَ!

﴿كَلَّا﴾ رَدُّعٌ لَهُمْ عَنْ تِلْكَ الْإِرَادَةِ، وَعَنْ اقْتِرَاحِ الْآيَاتِ ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ فَلِذَلِكَ أَعْرَضُوا عَنِ التَّذْكِيرَةِ لَا لِامْتِنَاعِ إِيْتَاءِ الصُّحُفِ. ﴿كَلَّا﴾ رَدُّعٌ عَنْ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ التَّذْكِيرَةِ ﴿إِنَّهُ تَذْكِيرٌ﴾ مُبْهَمٌ أَمْرُهَا، بَلِيغَةٌ كَافِيَةٌ فِي بَابِهَا. ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ أَنْ يَذْكُرَهُ وَلَا يَنْسَاهُ، وَيَجْعَلُهُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ فَعَلَ. وَالضَّمِيرُ فِي: ﴿إِنَّهُ﴾ وَ ﴿ذِكْرُهُ﴾ لِلتَّذْكِيرَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِيرَةِ مُعْرِضِينَ﴾، وَإِنَّمَا ذَكَرَ لَأَنَّهَا فِي مَعْنَى الذِّكْرِ أَوْ الْقُرْآنِ.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إِجْبَارُهُمْ عَلَى الذِّكْرِ، لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يَشَاؤُونَهُ اخْتِيَارًا ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ هُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يَتَّقِيَهُ عِبَادُهُ وَيَخَافُوا عِقَابَهُ فَيُؤْمِنُوا وَيُطِيعُوا ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ وَحَقِيقٌ بِأَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ إِذَا آمَنُوا بِهِ وَأَطَاعُوهُ. وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَهْلُ أَنْ أُتَّقَى فَلَا يُجْعَلُ مَعِيَ إِلَهٌ، فَمَنْ اتَّقَى أَنْ يُجْعَلَ مَعِيَ إِلَهًا فَأَنَا أَهْلُ أَنْ أُغْفَرَ لَهُ» ^(٣).

(١) قرأه نافع وابن عامر والمفضل عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٦٠.

(٢) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٩٣.

(٣) أخرجه ابن ماجة في السنن: ج ٢ ص ١٤٣٧ ح ٤٢٩٩.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، وَهِيَ أَرْبَعُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، تِسْعٌ وَثَلَاثُونَ غَيْرُهُمْ، عَدَّ الْكُوفِيُّ: ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ^(٢).

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْقِيَامَةِ شَهِدْتُ لَهُ أَنَا وَجِبْرَائِيلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٣).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَدَمَّنَ قِرَاءَةً: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾، وَكَانَ يَعْمَلُ بِهَا بَعَثَهُ اللَّهُ مَعَهُ فِي قَبْرِهِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، يُبَشِّرُهُ وَيَضْحَكُ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَجُوزَ الصَّرَاطَ وَالْمِيزَانَ» ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيْحَسِبُ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ١٨٩: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ أَرْبَعُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ، وَتِسْعٌ وَثَلَاثُونَ فِي الْبَصْرِيِّ وَالْمَدَنِيِّينَ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦٥٧: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (٤٠) نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَارِعَةِ.

(٢) الْآيَةُ: ١٦.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦٦٥ مَرْسَلًا.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٨ وَفِيهِ بَدَلُ «بَعَثَهُ اللَّهُ مَعَهُ فِي قَبْرِهِ»: «بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مَعَ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْرِهِ».

الْإِنْسَنُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَدِيرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبِّئُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) ﴿

عن ابن عباس: معناه: أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(١)، و ﴿لَا﴾ صِلَةٌ، وقد أَسْتَفَاضَ إِدْخَالَ «لَا» النَّافِيَةِ عَلَىٰ فِعْلِ الْقَسَمِ، قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

لَا وَأَبِيكَ أَبْنَةَ الْعَامِرِيِّ لَا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفْرُ ^(٢)

وَقَالَ غَيْرُهُ:

فَلَا بِكَ مَا أَبَالِي ^(٣)

وفائدتها توكيدُ القَسَمِ، والوجهُ أن يقال: إِنَّهَا لِلنَّفْيِ، والمعنى: أَنَّهُ لَا يُقْسِمُ بِالشَّيْءِ إِلَّا إِعْظَامًا لَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ^(٤)، فكأنَّه بِإِدْخَالِ حَرْفِ النَّفْيِ يَقُولُ: إِنِ إِعْظَامِي لَهُ بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَسْتَأْهِلُ فَوْقَ ذَلِكَ. وقيل: إِنَّ ﴿لَا﴾ نَفْيٌ لِكَلَامٍ وَرَدَّ لَهُ قَبْلَ الْقَسَمِ، كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ

(١) تفسير ابن عباس: ص ٤٩٣.

(٢) من قصيدته الطويلة في وصف صيده وفرسه. راجع ديوان امرئ القيس: ص ١٠٩ وفيه: «فَلَا وَأَبِيكَ».

(٣) وتام البيت: أَلَا نَادَتْ أُمَامَةً بِاحْتِمَالٍ... لِتَحْزُنَنِي، لغوثة بن سلمى بن ربيعة. راجع شرح شواهد الكشاف: ص ٥٧٨. (٤) الواقعة: ٧٥ و ٧٦.

فقيل: لا، أي: ليس الأمر على ما ذكرتم، ثم قيل: ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾^(١).
وقرئ: «لَأُقْسِمُ»^(٢)، على أن اللام للابتداء، و ﴿أُقْسِمُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي:
لأننا أقسم.

﴿النَّفْسُ اللَّوَّامَةُ﴾ التي تلوم النفوس في يوم القيامة على تقصيرهن في
التقوى، أو: التي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان، وعن الحسن: أن
المؤمن لا تراه إلا لائماً نفسه، وأن الفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه^(٣). وجواب
القسم ما دل عليه قوله:

﴿أَيُخْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ وهو ليبعثن، أي: نجمعها بعد تفرقها
ورجوعها رفاتاً مختلطاً بالتراب. ﴿بَلَى﴾ إيجاب لما بعد النفي وهو الجمع، فكأنه
قال: بلى نجمعها، و ﴿قَادِرِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿نَجْمَعُ﴾، أي: نجمع العظام
قادرين على إعادتها إلى التركيب الأول، إلى ﴿أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ أي: أصابعه التي
هي أطرافه كما كانت أولاً على صغرها ولطافتها، فكيف كبار العظام؟ وقيل: معناه:
﴿بَلَى﴾ نجمعها ونحن قادرون ﴿عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ﴾ أصابع يديه ورجليه، أي:
نجعلها مستوية شيئاً واحداً كخف البعير وحافر الحمار، فلا يمكنه أن يعمل شيئاً
مما كان يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل والأنامل من البسط والقبض وأنواع
الأعمال^(٤).

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ عَطْفٌ عَلَى:﴾ ﴿أَيُخْسَبُ﴾ فيجوز أن يكون استيفهاً

(١) قاله الفراء في معاني القرآن: ج ٣ ص ٢٠٧.

(٢) قرأه الحسن البصري وعبد الرحمن الأعرج وقنبل عن ابن كثير. راجع التذكرة في القراءات

لابن غلبون: ج ٢ ص ٧٤٢. (٣) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٣٧٧.

(٤) قاله ابن عباس وعكرمة والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك. راجع تفسير الطبري: ج ١٢

ص ٣٢٨.

مثله، وأن يكون إيجاباً ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ لِيَدُومَ عَلَى فُجُورِهِ فيما بين يَدَيْهِ من الأوقات، وفيما يَسْتَقْبِلُهُ مِنَ الزَّمانِ لا يَنْزَعُ عَنْهُ. وعن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: يُقَدِّمُ الذَّنْبَ وَيُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ وَيَقُولُ: سَوْفَ أَتُوبُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ عَلَى أَسْوَأِ أَعْمَالِهِ ^(١).

﴿يَسْأَلُ﴾ سُؤَالَ مَتَعَنٍّ مُسْتَبْعِدٍ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ﴾ وَنَحْوُهُ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ ^(٢).

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ أَي: شَخَصَ الْبَصَرُ وَتَحَيَّرَ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ، وَأَصْلُهُ مِنْ: بَرِقَ الرَّجُلُ: إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَرَقِ فَدَهَشَ بَصَرُهُ، وَقُرِئَ: «بَرَقَ» ^(٣) مِنَ الْبَرِيقِ أَي: لَمَعَ مِنْ شِدَّةِ شُخُوصِهِ. ﴿وَخُسِفَ الْقَمَرُ﴾ ذَهَبَ نُورُهُ. ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ حَيْثُ يُطْلِعُهُمَا اللَّهُ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَقِيلَ: جُمِعَا فِي ذِهَابِ الضَّوِّ ^(٤). ﴿أَيْنَ الْمَقَرُّ﴾ أَيْنَ الْفَرَارُ.

﴿كَأَلَّا﴾ رَدَعٌ مِنْ طَلَبِ الْمَقَرِّ ﴿لَا وَزَرَ﴾ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَهْرَبَ، وَالْوَزَرُ: مَا يُتَحَصَّنُ بِهِ مِنْ جَبَلٍ أَوْ غَيْرِهِ. ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ خَاصَّةً ﴿يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ مُسْتَقَرُّ الْعِبَادِ أَي: أَسْتَقْرَارُهُمْ، لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَنْصُبُوا إِلَى غَيْرِهِ، أَوْ: إِلَى حُكْمِهِ يَرْجِعُ أُمُورُ الْعِبَادِ لَا يَحْكُمُ فِيهَا غَيْرُهُ، أَوْ: مَعْنَاهُ: مَفُوضٌ إِلَى مَشِيئَةِ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ مَوْضِعُ قَرَارِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، مَنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ النَّارَ. ﴿يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ﴾ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ﴿وَمَا﴾ بَمَا ﴿أَخَّرَ﴾ مِنْ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ عَمِلَ بِهَا

(١) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٢١.

(٢) يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، النمل: ٧١، وغيرها.

(٣) قرأه نافع وأبان عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٦١.

(٤) وهو قول الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ١٩٢ وقال: والجمع: جعل أحد الشيئين مع الآخر، والجمع على ثلاثة أقسام: جمع في المكان، وجمع في الزمان، وجمع الأعراس في المحل. وجمع الشيئين في حكم أو صفة مجاز.

بَعْدَهُ، أَوْ: بِمَا قَدَّمَ مِنْ مَالِهِ لِنَفْسِهِ وَبِمَا خَلَّفَهُ لَوَرَثَتِهِ بَعْدَهُ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: بِأَوَّلِ عَمَلِهِ وَآخِرِهِ^(١).

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ أَي: حُجَّةٌ بَيِّنَةٌ وَصِفَتْ بِالْبَصَارَةِ عَلَى الْمَجَازِ، كَمَا وَصِفَتْ الْآيَاتُ بِالْإِبْصَارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾^(٢)، أَوْ: عَيْنٌ بَصِيرَةٌ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يُنَبِّأُ بِأَعْمَالِهِ، وَإِنْ لَمْ يُنَبِّأْ فِيهِ مَا يُجْزِي عَنِ التَّنْبِيَةِ^(٣)، لِأَنَّهُ شَاهِدٌ عَلَيْهَا بِمَا عَمِلَتْ لِأَنَّ جَوَارِحَهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ. ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ وَلَوْ جَاءَ بِكُلِّ مَعْذِرَةٍ يَتَعَذَّرُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيُجَادِلُ عَنْهَا، وَعَنِ السَّدِيِّ: وَلَوْ أَرْخَى سُتُورَهُ^(٤)، وَالْمَعَاذِيرُ: السُّتُورُ، وَاحِدُهَا: مِعْذَارٌ، لِأَنَّ السُّتْرَ يَمْنَعُ رُؤْيَا الْمُحْتَجَبِ كَمَا أَنَّ الْمَعْذِرَةَ تَمْنَعُ عُقُوبَةَ الْمُذْنِبِ.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ الضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا لَقِيَ الْوَحْيَ نَازَعَ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقِرَاءَةَ، وَلَمْ يَصْبِرْ إِلَى أَنْ يُتِمَّهَا مُسَارَعَةً إِلَى الْحِفْظِ، وَخَوْفًا مِنَ النِّسيانِ^(٥)، فَأَمَرَ أَنْ يَسْتَنْصِتَ لَهُ، مُلْقِيًا إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ وَسَمْعِهِ حَتَّى يُقْضَى إِلَيْهِ وَحْيُهُ. وَالْمَعْنَى: لَا تُحَرِّكْ بِقِرَاءَةِ الْوَحْيِ لِسَانَكَ مَا دَامَ جِبْرَائِيلُ يَقْرَأُ ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ لِتَأْخُذَهُ عَلَى عَجَلَةٍ وَلَيْلًا يَنْفَلِتَ مِنْكَ. ثُمَّ عَلَّلَ النَّهْيَ عَنِ الْعَجَلَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ فِي صَدْرِكَ وَإِثْبَاتَ قِرَاءَتِهِ فِي لِسَانِكَ. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ جَعَلَ قِرَاءَةَ جِبْرَائِيلَ قِرَاءَتَهُ، وَالْقُرْآنُ: الْقِرَاءَةُ ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فَكُنْ مُقْفِيًا لَهُ فِيهِ وَلَا تُرَاسِلْهُ، فَنَحْنُ فِي ضَمَانٍ تَحْفِظِهِ لَكَ. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ مَعَانِيهِ، كَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ١٠ ص ١٩٥.

(٢) النمل: ١٣. (٣) في نسخة: «البينة».

(٤) حكاه عنه الشيخ في التبيان المتقدم.

(٥) أورد هذه العبارة المصنف رحمه الله عن الكشف، ولا يخفى ما فيه، إذ لا يجوز - على مذهبنا - عليه ﷺ الخطأ ولا النسيان أبداً.

كان يَعْجَلُ فِي الْحِفْظِ وَالسُّوَالِ عَنِ الْمَعْنَى جَمِيعاً.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لِرَسُولِ اللَّهِ عَنْ عَادَةِ الْعَجَلَةِ، وَحَتَّى لَهُ عَلَى تَكْرِيرِ الْقِرَاءَةِ عَلَى قَوْمِهِ بِالتَّوَدَّةِ لِيَتَقَرَّرَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ، لِأَنَّهُمْ غَافِلُونَ عَنِ الْأَدَلَّةِ، لَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَمَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ. «بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ» ^(١) أَيِ يَخْتَارُونَ الدُّنْيَا وَيَتْرَكُونَ الْإِهْتِمَامَ بِأُمُورِ الْآخِرَةِ، فَلَا غِنَى بِكَ مَعَهُمْ مِنْ إِعَادَةِ الْقَوْلِ وَتَكْرِيرِهِ، وَزِيَادَةِ التَّنْبِيهِ وَتَقْرِيرِهِ، وَقُرِئَ: ﴿تُحِبُّونَ﴾ وَ ﴿تَذَرُونَ﴾، بِالتَّاءِ عَلَى مَعْنَى: قُلْ لَهُمْ.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالتَّتَقَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، يَتَمَطَّى (٣٣) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٥) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً (٣٦) أَلَمْ يَكُنْ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَنَى يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠) ﴿

الْوَجْهُ: عِبَارَةٌ عَنِ الْجُمْلَةِ، وَالنَّاضِرَةُ: مِنْ نَضْرَةِ النِّعَمِ وَالْبَهْجَةِ. ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ﴾ تَنْظُرُ إِلَى رَبِّهَا خَاصَّةً، لَا تَنْظُرُ إِلَى غَيْرِهِ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى فِي تَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ ^(٢) ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ

(١) الظاهر أن المصنّف يميل إلى قراءة الياء فيهما، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٦١.

(٢) الآية: ١٢ المتقدمة.

﴿الْمَسَاقُ﴾^(١) ﴿إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٢) ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٣) كَيْفَ دَلَّ التَّقْدِيمُ فِيهَا وَفِي أَمْثَالِهَا عَلَى مَعْنَى الاختصاصِ. ومعلومٌ أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ فِي الْمَحْشَرِ إِلَى أَشْيَاءٍ كَثِيرَةٍ لَا يُحِيطُ بِهَا الْحَضَرُ، فاختصاصُهُ بِنَظَرِهِمْ إِلَيْهِ لَوْ كَانَ سَبْحَانَهُ مَنْظُوراً إِلَيْهِ مُحَالٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى مَعْنَى يَصِحُّ فِيهِ الاختصاصُ، وذلك أَن يَكُونَ مِنْ بَابِ قَوْلِهِمْ: أَنَا إِلَيْكَ نَاطِرٌ مَا تَصْنَعُ بِهِ، يُرِيدُونَ مَعْنَى الرَّجَاءِ وَالتَّوَقُّعِ، وَمِنْهُ قَوْلُ جَمِيلٍ^(٤):

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ
وَالْبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نِعَمًا^(٥)
وَقَوْلُ الْآخَرِ:

إِنِّي إِلَيْكَ لِمَا وَعَدْتَ لَنَاظِرٌ
نَظَرَ الْفَقِيرِ إِلَى الْغَنِيِّ الْمُوَسِّرِ^(٦)
وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ لَا يَتَوَقَّعُونَ النِّعْمَةَ وَالْكَرَامَةَ إِلَّا مِنْ رَبِّهِمْ كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا، كَذَلِكَ لَا يَخَافُونَ وَلَا يَرْجُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَقِيلَ: إِنَّ ﴿إِلَى﴾ أَسْمٌ، وَهُوَ وَاحِدُ «الْآلَاءِ» الَّتِي هِيَ النِّعَمُ^(٧)، وَهُوَ مَنْصُوبُ الْمَوْضِعِ، أَي: نِعْمَةً رَبِّهَا مُنْتَظَرَةٌ، وَقِيلَ: هُوَ عَلَى حَذْفِ الْمَضَافِ، وَالْمُرَادُ: إِلَى ثَوَابِ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ^(٨).

(١) الآية: ٣٠. (٢) آل عمران: ٢٨، النور: ٤٢، فاطر: ١٨.

(٣) هود: ٨٨، الشورى: ١٠.

(٤) كذا في النسخ، والصحيح هو من قول طريح بن اسماعيل الثقفي شاعر البلاط الأموي، الذي أكثر من مدح الوليد بن يزيد الأموي. ولعله من شطحات النساخ.

(٥) يقول: وإذا رجوت مكارمك زدتنني نعمًا، فالنظر إليه كناية عن ذلك. وقوله: البحر دونك أي: أقل منك في الخيرات والمكارم. راجع شرح شواهد الكشاف: ص ٥٠٨.

(٦) لجميل بن معمر المشهور بجميل بثينة، والبيت من قصيدة له معاتباً إياها على تخلفها وعدّها له.

انظر ديوان جميل بثينة: ص ٤٠، وفيه: «المكثر» بدل «الموسر».

(٧) قاله بعض المعتزلة. راجع مشكل اعراب القرآن للقيسي: ص ٧٧٩.

(٨) حكاه ابن عطية عن بعض المعتزلة. راجع البحر المحيط لأبي حيان: ج ٨ ص ٣٨٩.

﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أي، كَالِحَةٌ، عَابِسَةٌ، شَدِيدَةُ الْعُبُوسِ. ﴿تَظُنُّ﴾ أي: تَتَوَقَّعُ ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا﴾ فِعْلٌ هُوَ فِي فِطَاعَتِهِ وَصُعُوبَتِهِ ﴿فَاقِرَةٌ﴾ دَاهِيَةٌ تَقْصِمُ فِقَارَ الظَّهِرِ، كَمَا تَوَقَّعَتِ الْوُجُوهُ النَّاضِرَةُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا كُلُّ خَيْرٍ وَكَرَامَةٍ.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عَنْ إِثَارِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَرْتَدِعُوا عَنْ ذَلِكَ، وَتَبَيَّهُوا عَلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي عِنْدَهُ، وَتَذَرُونَ الْعَاجِلَةَ، وَتَتَقَلُّونَ إِلَى الْآجِلَةِ وَتَبْقُونَ فِيهَا، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿بَلَّغَتْ﴾ لِلنَّفْسِ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ كَمَا فِي قَوْلِ حَاتِمٍ:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى

إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ^(١)

﴿الْتَرَاقَى﴾ الْعِظَامُ الْمَكْتَنَفَةُ لِشُعْرَةِ النَّخْرِ. ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي: وَقَالَ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَهْلِ أَوْ صَدِيقٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَرْقِيهِ مِمَّا بِهِ؟ وَقِيلَ: هُوَ مَنْ كَلَامِ مَلَائِكَةِ الْمَوْتِ: أَيُّكُمْ يَرْقَى بِرُوحِهِ، مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ أَمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ؟^(٢) ﴿وَوَظَنَ﴾ هَذَا الْمُحْتَضِرُ ﴿أَنَّهُ أَفِرَاقٌ﴾ أَنَّ هَذَا الَّذِي نَزَلَ بِهِ هُوَ فِرَاقُ الدُّنْيَا الْمَحْبُوبَةِ. ﴿وَالْتَفَّتْ﴾ سَاقُهُ بِسَاقِهِ وَالتَّوَتَّ عَلَيْهَا، وَعَنْ قَتَادَةَ: مَاتَتْ رِجْلَاهُ فَلَا تَحْمِلَانَهُ وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِمَا جَوًّا^(٣)، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: التَّفَّتْ شِدَّةُ أَمْرِ الْآخِرَةِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا^(٤)، عَلَى أَنَّ السَّاقَ مَثَلٌ فِي الشِدَّةِ. ﴿إِلَى﴾ حُكْمِ ﴿رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ﴾ مَسَاقُهُ وَمَسَاقُ الْخَلَائِقِ.

(١) البيت من قصيدة يخاطب بها امرأته ماوية بنت عبدالله بعدما هجرته مغضبة لإسرافه في العطاء. انظر ديوان حاتم الطائي: ص ٨٣. وفيه: «أماوي» بدل «لعمرك»، و «نفس» بدل «يوماً».

(٢) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٩٤.

(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٦٣.

(٤) تفسير ابن عباس: ص ٤٩٤.

﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ أي: لَمْ يَتَصَدَّقْ وَلَمْ يُصَلِّ، أو: لَمْ يُصَدِّقْ بِالرَّسُولِ وَالْقُرْآنِ، قيل: نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ ^(١). ﴿يَتَمَطَّى﴾ أي: يَتَبَخَّرُ، وَأَضْلُهُ: يَتَمَطَّطُ أَي: يَتَمَدَّدُ، لِأَنَّ الْمَتَبَخَّرَ يَمُدُّ خُطَاهُ، وَالْمَعْنَى: ﴿وَلَكِنْ كَذَبَ﴾ بِرَسُولِ اللَّهِ وَكِتَابِهِ ﴿وَتَوَلَّى﴾ وَأَعْرَضَ. ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى﴾ قَوْمِهِ يَخْتَالُ فِي مَشِيَّتِهِ وَيَتَبَخَّرُ أَفْتِخَارًا بِذَلِكَ. ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾ بِمَعْنَى: وَيُلْ لَكَ فَوَيْلٌ، وَهُوَ دُعَاءٌ عَلَيْهِ بَأْنِ يَلِيهِ مَا يَكْرَهُ. وَقِيلَ: وَلَيْكَ الشَّرُّ فِي الدُّنْيَا فَوَلَيْكَ، ثُمَّ وَلَيْكَ الشَّرُّ فِي الْآخِرَةِ فَوَلَيْكَ، وَالتَّكَرُّرُ لِلتَّأْكِيدِ ^(٢).

﴿أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾ أي: مُهْمَلًا لَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَى، وَالْهَمْزَةُ لِلإِنْكَارِ. ﴿أَلَمْ يَكْ نُطْفَةٍ﴾ أي: كَيْفَ يَحْسُبُ أَنْ يُهْمَلَ وَهُوَ يَرَى فِي نَفْسِهِ مِنْ تَنْقُلِ الْأَحْوَالِ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ لَهُ صَانِعًا حَكِيمًا، أَكْمَلَ عَقْلَهُ وَأَقْدَرَهُ، وَخَلَقَ فِيهِ الشَّهْوَةَ؟ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُخَلَّى عَنِ التَّكْلِيفِ ﴿يُمْنَى﴾ أي: يُقَدَّرُ خَلْقُ الْإِنْسَانِ مِنْهُ، وَقِيلَ: يُصَبُّ فِي الرَّحِمِ ^(٣)، وَقُرِئَ بِالتَّاءِ ^(٤)، حَمَلًا عَلَى: «نُطْفَةٍ» ﴿فَخَلَقَ﴾ مِنْهَا خَلْقًا فِي الرَّحِمِ ﴿فَسَوَّى﴾ فَعَدَلَ صُورَتَهُ وَأَعْضَاءَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، أَوْ: فَسَوَّاهُ إِنْسَانًا بَعْدَ الْوِلَادَةِ. ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ مِنَ الْإِنْسَانِ ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾ الصَّنْفَيْنِ ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ الَّذِي أُنْشَأَ هَذَا الْإِنْشَاءَ ﴿بِقَدْرِ﴾ عَلَى الْإِعَادَةِ؟ وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبَلَى» ^(٥).

(١) قاله مجاهد وابن زيد وقتادة. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٣٥١.

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٢٥٤.

(٣) قاله الضحاك وعطاء. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢٥٥.

(٤) قرأه ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٦٢.

(٥) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٨ ص ٣٦٣ عن أبي هريرة، وعزاه إلى ابن مردود.

سُورَةُ الْإِنْسَانِ^(١)

مُخْتَلَفٌ فِيهَا^(٢)، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ، وَقِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا...﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ مَكِّيٌّ، وَالْبَاقِي مَدَنِيٌّ^(٣). إِحْدَى وَثَلَاثُونَ آيَةً. فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ ﴿هَلْ أَتَى﴾ كَانَ جَزَاؤُهُ عَلَى اللَّهِ جَنَّةً وَحَرِيرًا»^(٤).

وَعَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ ﴿هَلْ أَتَى﴾ فِي كُلِّ غَدَاةٍ خَمِيسٍ زَوَّجَهُ اللَّهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ مِائَةَ عَذْرَاءَ، وَأَرْبَعَةَ آلَافِ ثِيْبٍ وَخُورًا مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ، وَكَانَ مَعَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»^(٥).

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «سُورَةُ هَلْ أَتَى».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٢٠٤: وَتَسْمَى سُورَةُ الْإِنْسَانِ، وَتَسْمَى سُورَةُ الْأَبْرَارِ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ وَغَيْرِهِمَا، وَقَالَ قَوْمٌ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ آيَةً بِإِخْلَافٍ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْبَغَوِيِّ: ج ٤ ص ٤٢٦: قَالَ عَطَاءٌ: هِيَ مَكِّيَّةٌ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: مَدَنِيَّةٌ، وَقَالَ الْحَسَنُ وَعُكْرَمَةُ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ إِلَّا آيَةً وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ...﴾ الْآيَةُ، وَهِيَ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ آيَةً.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦٦٥: مَدَنِيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (٣١)، نَزَلَتْ بَعْدَ الرَّحْمَنِ.

(٣) أَنْظَرَ تَفْسِيرَ الْمَاورِدِيِّ: ج ٦ ص ١٦١.

(٤) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦٧٦ مَرْسَلًا.

(٥) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٨ - ١٤٩. وَفِيهِ: «ثَمَانِمِائَةُ عَذْرَاءَ» وَ«كَانَ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (١)
 إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا
 هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا
 وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)
 عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالْذِّكْرِ وَيَخَافُونَ
 يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا
 وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا
 نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ
 وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)
 مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣)
 وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذَلَّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) ﴿

﴿هَلْ﴾ بمعنى «قد» في الاستفهام خاصة، والأصل: «أهل» بدلالة قوله:

أَهْلٌ رَأَوْنا بَسْفَحِ الْقَاعِ ذِي الْأَكَمِ^(١)

فالمعنى: أَقْدَأْتَى، على التقرير والتقريب جميعاً، أي: ﴿أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾
 قَبْلَ زَمَانٍ قَرِيبٍ ﴿حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ﴾ فِيهِ ﴿شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ أي: كَانَ شَيْئًا
 غَيْرَ مَذْكُورٍ. وعن جرير بن أعين قال: سَأَلْتُ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهُ، فَقَالَ: كَانَ شَيْئًا
 مَقْدُورًا وَلَمْ يَكُنْ مُكُونًا^(٢). والمراد بالإنسان جنس بني آدم، بدليل قوله:

(١) و صدره: سَائِلُ فَوَارِسٍ يَرْبُوعٌ بَشَدَّتْنَا. لزيد الخيل الذي سمّاه النبي ﷺ زيد الخير.

يقول: سل بني يربوع عن قوتنا وصلواتنا عليهم. انظر شرح شواهد الكشاف: ص ٤٧٨.

(٢) رواه العياشي في تفسيره كما في مجمع البيان: ج ١٠ ص ٤٠٦. ونحوه في الكافي: ج ١ ←

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ وقيل: المرادُ به آدمُ عليه السلام^(١).

وعن عمر بن الخطاب: أنها تليّت عنده فقال: ليّتها تمّت^(٢). أراد تلك الحالة تمّت ولم يُخلَق ولم يُكَلَّف.

و﴿نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ مثل: بُزْمَةٍ أَغْشَارٍ، ويقال: نُطْفَةٌ مَشَجٌ، وليس «أَمْشَاجٌ» بجمعٍ له، بل هما مثلاًن في الإفراد، يوصفُ المفردُ بهما، وَمَشَجُهُ وَمَرْجُهُ بمعنى، والمعنى: من نُطْفَةٍ قد أمتزجَ فيها الماءان: ماءُ الرَّجُلِ وماءُ المرأة، وعن قتادة: أَمْشَاجٌ: أطوارٌ: طَوْرًا نُطْفَةٌ، وطَوْرًا عَلَقَةٌ، وطَوْرًا مُضْغَةٌ، وطَوْرًا عِظَامًا، إلى أن صارَ إنساناً^(٣). ﴿تَبْتَلِيهِ﴾ في محلِّ النَّصْبِ على الحال، أي: خَلَقْنَاهُ مُبْتَلِينَ لَهُ، أي: مُرِيدِينَ ابْتِلَاءَهُ، كَقَوْلِكَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مَعَهُ صَقْرٌ صَائِدٌ بِهِ غَدًا، أي: قاصداً به الصَّيْدَ غَدًا. ﴿شَاكِراً﴾ و﴿كَفُوراً﴾ حالان من الهاءِ في ﴿هَدَيْنَهُ﴾ أي: بَيَّنَّا لَهُ الطَّرِيقَ، وَنَصَبْنَا لَهُ الْأَدْلَةَ، وَأَزَحْنَا الْعِلَّةَ وَمَكَّنَّاهُ فِي حَالَتِهِ جَمِيعاً.

ولمَّا ذَكَرَ «الشَّاكِرَ» و«الكَافِرَ» أَتْبَعَهُمَا الْوَعِيدَ وَالْوَعْدَ. قُرئ: ﴿سَلْسِلًا﴾ مُنَوَّنًا^(٤) وَغَيْرَ مُنَوَّنٍ، وفي التَّنْوِينِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ هَذِهِ النُّونُ بَدَلًا مِنْ حَرْفِ الْإِطْلَاقِ، وَأُجْرِي الْوَصْلُ مَجْرَى الْوَقْفِ، وَالْآخَرُ: أَنَّهُ صُرِفَ غَيْرُ الْمُنْصَرِفِ عَلَى عَادَةِ الشُّعْرَاءِ.

﴿الْأَبْرَارَ﴾ جَمْعُ «بَرٍّ» أَوْ «بَارٍّ» كـ«رَبٍّ» وَ«أَرْبَابٍ»، وَ«صَاحِبٍ»

→ ص ١٤٧ ح ٥ باسناده عن مالك الجهني عن أبي عبد الله عليه السلام.

(١) قاله قتادة وسفيان. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٣٥٣.

(٢) رواه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٢٦.

(٣) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ١٠ ص ٢٠٦.

(٤) هي قراءة نافع والكسائي وعاصم برواية أبي بكر. راجع كتاب السبعة في القراءات:

و«أَصْحَابٍ». وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١) وَأَكْثَرُ الْمَفْسِّرِينَ ^(٢) عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمْ: عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ هَاشِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ عِنْدَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ شَعِيرٌ فَجَعَلُوهُ عَصِيدَةً، فَلَمَّا وَضَعُوهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ جَاءَ مَسْكِينٌ فَقَالَ: رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَقَامَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَعْطَاهُ ثُلُثَهَا، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَتِيمٌ، فَقَالَ الْيَتِيمُ: رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَقَامَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَعْطَاهُ الثُّلُثَ، ثُمَّ جَاءَ أَسِيرٌ، فَقَالَ الْأَسِيرُ: رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَأَعْطَاهُ الثُّلُثَ الْبَاقِي وَمَا ذَاقُوهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَاتِ فِيهِمْ، وَهِيَ جَارِيَةٌ فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ فَعَلَ ذَلِكَ اللَّهُ عَزَّ أَسْمُهُ ^(٣).

وَرُوِيَ أَيْضًا: أَنَّهُمْ أَطْعَمُوا الطَّعَامَ فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ وَطَوَّوْهَا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَمْ يُفْطِرُوا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ، وَكَانُوا قَدْ نَذَرُوا هُمْ وَجَارِيَةٌ لَهُمْ - تُسَمَّى فِضَّةً - صَوْمَ هَذِهِ الْأَيَّامِ، فَأَوْفَوْا بِنَذْرِهِمْ فَنَزَلَتْ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ ^(٤)، وَأَعْظَمَ بِهَا شَرَفًا وَفَضْلًا. وَالكَأْسُ: الزُّجَاجَةُ إِذَا كَانَتْ فِيهَا خَمْرٌ، وَتُسَمَّى الْخَمْرُ نَفْسُهَا كَأْسًا ﴿مِزَاجُهَا﴾ مَا يُمَزَّجُ بِهَا ﴿كَافُورًا﴾ مَاءٌ كَافُورٌ، وَهُوَ أَسْمُ عَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ مَاؤُهَا فِي بَيَاضِ الْكَافُورِ وَرَائِحَتِهِ وَبَرْدِهِ، وَ﴿عَيْنًا﴾ بَدَلٌ مِنْهُ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: لَيْسَ كَكَافُورٍ

(١) انظر تفسير فرات الكوفي: ص ١٩٦، وأمالى الصدوق: ص ٢١٢ ح ١١، والخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٥٣٩ ح ١٥.

(٢) أورده الحاكم الحسكاني في الشواهد: ج ٢ ص ٤٠٥ وما بعده عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وزيد بن أرقم والحسن البصري وعكرمة. وزاد ابن شهر آشوب في المناقب: ج ٤ ص ٢: ابن مسعود ومقاتل والليث وابن مهران وعمرو بن شعيب والواحدى والثعلبي والنحاس والقشيري.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ٢ ص ٤٢٢ - ٤٢٣.

(٤) رواه الصدوق في الأمالى: ص ٢١٢ ح ١١ باسناده من طريقين عن ابن عباس وآخر عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ورواه أيضاً الحاكم الحسكاني في الشواهد: ج ٢ ص ٣٩٨ وما بعده من طرقٍ عن ابن عباس.

الدُّنْيَا^(١)، وعن قَتَادَةَ: يُمَزَّجُ لَهُمُ بِالْكَافُورِ وَيُخْتَمُّ لَهُمُ بِالْمِسْكِ^(٢)، وقيل: تُخْلَقُ فِيهَا رَائِحَةُ الْكَافُورِ وَبَيَاضُهُ وَبَرْدُهُ فَكَأَنَّهُا مُزِجَتْ بِالْكَافُورِ^(٣). و ﴿عَيْنًا﴾ عَلَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ بَدَلٌ مِنْ «كَأْسًا» عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ مُضَافٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَيُسْقَوْنَ فِيهَا خَمْرًا خَمَرَ عَيْنٍ، أَوْ: نُصِبَ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ. ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أَي: يَشْرَبُ عِبَادُ اللَّهِ بِهَا الْخَمْرَ، كَمَا تَقُولُ: شَرِبْتُ الْمَاءَ بِالْعَسَلِ ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ يُجَرُّونَهَا حَيْثُ شَاءُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ ﴿تَفْجِيرًا﴾ سَهْلًا لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ. ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ حَالٌ أَوْ أَسْتِثْنَاءٌ، يَقَالُ: وَفَى بِنَذْرِهِ وَأَوْفَى بِهِ ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ أَي: فَاشِيًا مُنْتَشِرًا، وَالْمُرَادُ بِالشَّرِّ: أَهْوَالُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَشِدَائِدُهُ.

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ الضَّمِيرُ لِلطَّعَامِ، أَي: مَعَ أَشْتِهَائِهِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَنَحْوُهُ: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾^(٤) وقيل: عَلَى حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى^(٥).

وعن الْحَسَنِ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤْتَى بِالْأَسِيرِ فَيَدْفَعُهُ إِلَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فَيَقُولُ: أَحْسِنْ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ عِنْدَهُ الْيَوْمَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ^(٦).

وعن قَتَادَةَ: كَانَ أَسِيرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْمُشْرِكَ، وَأَخُوكَ الْمُسْلِمُ أَحَقُّ أَنْ تُطْعِمَهُ^(٧). وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: هُوَ الْمَمْلُوكُ وَالْمَسْجُونُ^(٨).

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٍ: أَنَّهُمْ لَمْ

(١) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٢٧.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) حكاه البغوي في تفسيره المتقدم ونسبه الى أهل المعاني.

(٤) البقرة: ١٧٧.

(٥) قاله الفضيل بن عياض. راجع البحر المحيط: ج ٨ ص ٣٩٥.

(٦) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٦٨.

(٧) رواه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٣٦٠.

(٨) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٦٨.

يَتَكَلَّمُوا بِذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلِمَ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِمْ^(١). أَي: لَا نَطْلُبُ بِهَذَا الْإِطْعَامِ مِكَافَأَةً عَاجِلَةً، وَلَا أَنْ تَشْكُرُونَا عَلَيْهِ، إِذْ هُوَ مَفْعُولٌ لِرُوحِهِ اللَّهِ، فَلَا مَعْنَى لِمِكَافَأَةِ الْخَلْقِ، وَ «الشُّكُورُ» مَصْدَرٌ كَالشُّكْرِ، مِثْلُ: الْكُفُورِ وَالْكَفْرِ. ﴿إِنَّا نَخَافُ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ: أَنَّ إِحْسَانَنَا إِلَيْكُمْ لِلْخَوْفِ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا لِلْمِكَافَأَةِ، وَأَنْ يُرَادَ: إِنَّا لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ الْمِكَافَأَةَ لِخَوْفِ عِقَابِ اللَّهِ عَلَى طَلَبِ الْمِكَافَأَةِ بِالصَّدَقَةِ ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ مِثْلُ قَوْلِكَ: نَهَارُكَ صَائِمٌ، وَصَفَ الْيَوْمَ بِصِفَةِ أَهْلِهِ، أَوْ: شَبَّهَ الْيَوْمَ فِي شِدَّتِهِ بِالْأَسَدِ الْعَبُوسِ ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ صَغْبًا شَدِيدًا.

﴿فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ أَي: كَفَّاهُمُ شِدَائِدَهُ وَأَهْوَالَهُ ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ أَي: أَعْطَاهُمْ بَدَلَ عُبُوسِ الْفَجَّارِ وَحُزْنِهِمْ نَضْرَةً فِي الْوُجُوهِ وَسُرُورًا فِي الْقُلُوبِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ «الْيَوْمَ» مَوْصُوفٌ بِعُبُوسِ أَهْلِهِ. ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ أَي: وَجَزَّاهُمْ بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْإِثَارِ وَبِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ، مِنَ الْجُوعِ وَالْعُرْيِ ﴿جَنَّةً﴾ فِيهَا مَا كُلُّ هَنِيءٍ ﴿وَحَرِيرًا﴾ فِيهِ مَلْبَسٌ بَهِيٌّ.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ يَعْنِي: أَنَّ هَوَاءَهَا مُعْتَدِلٌ لَا حَرٌّ شَمْسٍ يُحْمِي وَلَا زَمْهَرِيرٌ يُؤْذِي. ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَغْطُوفَةً عَلَى الْجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَتَكُونَ حَالًا مِثْلَهَا. وَالتَّقْدِيرُ: غَيْرَ رَائِينَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا، وَدَخَلَتِ الْوَائِلَةُ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا لَهُمْ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَجَزَّاهُمْ جَنَّةً جَامِعِينَ فِيهَا بَيْنَ الْبُعْدِ عَنِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَدُنُوِّ الظَّلَالِ عَلَيْهِمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿مَتَكِينِينَ﴾ وَ ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ وَ ﴿دَانِيَةً﴾ كُلُّهَا صِفَاتِ الْجَنَّةِ، هَذَا قَوْلُ جَارِ اللَّهِ^(٢)، وَعِنْدِي أَنَّهُ لَيْسَ بِالْوَجْهِ، لِأَنَّ أَسْمَ الْفَاعِلِ إِذَا وُصِفَ بِهِ وَكَانَ

(١) رواه عنهما الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٣٦١.

(٢) في الكشف: ج ٤ ص ٦٧١.

فِعْلًا لِغَيْرِ الْمَوْصُوفِ وَجَبَ إِثْرُ الزُّمِيرِ الَّذِي فِيهِ، وَلَيْسَ الْإِتِّكَاءُ وَالِدُنُوُّ فِي الْآيَةِ لِلْجَنَّةِ، فَالصَّحِيحُ هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ. وَيَجُوزُ فِي ﴿وَدَانِيَةً﴾ أَنْ تَنْتَصِبَ عَلَى: وَجَزَهُمْ جَنَّةً وَلُبْسَ حَرِيرٍ وَدُخُولَ جَنَّةٍ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا، فَحُذِفَ الْمُضَافُ ﴿وَدُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ أَي: جُعِلَتْ تِمَارُهَا مَذَلَّةً لِقُطَافِهَا لَا تَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كَيْفَ شَاءُوا، أَوْ: جُعِلَتْ ذَلِيلَةً لَهُمْ، خَاضِعَةً مُتَقَاصِرَةً، مِنْ قَوْلِهِمْ: حَاطَ ذَلِيلٌ: إِذَا كَانَ قَصِيرًا، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: إِنْ قَامَ أَرْتَفَعَتْ بِقَدْرِهِ، وَإِنْ قَعَدَ أَوْ أَضْطَجَعَ تَذَلَّلَتْ حَتَّى تَنَالَهَا يَدُهُ^(١).

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ (١٥) قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا (٢٢) ﴿

قُرِئَ: ﴿قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا﴾ غَيْرُ مَثْنَيْنِ، وَبِالتَّنْوِينِ فِيهِمَا^(٢) وَبِالتَّنْوِينِ فِي الْأَوَّلِ مِنْهُمَا^(٣). وَهَذَا التَّنْوِينُ بَدَلٌ مِنْ حَرْفِ الْإِطْلَاقِ لِأَنَّهُ كَالْفَاصِلَةِ مِنَ الشَّعْرِ، وَفِي الثَّانِي لِإِتْبَاعِهِ الْأَوَّلِ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَهِيَ مَعَ بَيَاضِ الْفِضَّةِ وَحُسْنِهَا فِي صَفَاءِ الْقَوَارِيرِ وَشَفِيفِهَا، وَمَعْنَى ﴿كَانَتْ﴾: أَنَّهَا تَكُونَتْ قَوَارِيرَ بِتَكْوِينِ اللَّهِ إِيَّاهَا، وَهُوَ تَفْخِيمٌ لَتِلْكَ الْخَلْقَةِ الْعَجِيبَةِ الْجَامِعَةِ

(١) رواه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٣٦٤.

(٢) قرأه عاصم برواية أبي بكر عنه ونافع والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٦٣ - ٦٦٤.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وحده. راجع المصدر السابق.

بين صِفَتَيِ الْجَوْهَرَيْنِ الْمُتَبَايِنَيْنِ، وَمِثْلُهُ: «كَانَ» فِي قَوْلِهِ: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَأُورًا﴾، نَحْوُ «يَكُونُ» فِي قَوْلِهِ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١). ﴿قَدَّرُوهَا﴾ صِفَةٌ لـ ﴿قَوَارِيرًا﴾ والمعنى: أَنَّهُمْ قَدَّرُوهَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَنْ تَكُونَ عَلَى مَقَادِيرَ وَأَشْكَالٍ عَلَى حَسَبِ شَهَوَاتِهِمْ، فَجَاءَتْ كَمَا قَدَّرُوا، وَقِيلَ: إِنَّ الضَّمِيرَ «لِلطَّائِفِينَ» بِهَا عَلَيْهِمْ، أَي: قَدَّرُوا شَرَابَهَا عَلَى قَدْرِ الرَّيِّ، وَهُوَ الَّذِي لِلشَّارِبِ لِكَوْنِهِ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ^(٢). وَعَنْ مُجَاهِدٍ: لَا تَغِيضُ وَلَا تَغِيضُ^(٣). وَقُرِئَ: «قَدَّرُوهَا» بِضَمِّ الْقَافِ^(٤)، وَالْوَجْهُ فِيهِ: أَنْ يَكُونَ مِنْ: «قَدَّرَ» مَنْقُولًا مِنْ «قَدَرَ»، تَقُولُ: قَدَّرْتُ الشَّيْءَ، وَ: قَدَّرْنِيهِ فُلَانٌ: إِذَا جَعَلَكَ قَادِرًا لَهُ، وَمَعْنَاهُ: جُعِلُوا قَادِرِينَ لَهَا كَيْفَ شَاءُوا عَلَى حَسَبِ مَا أَشْتَهَوْا.

﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ الْعَرَبُ تَسْتَطِيبُ الزَنْجَبِيلَ وَتَسْتَلِذُّهُ، قَالَ الْأَعْشَى:

كَأَنَّ الْقَرْنُقُلَ وَالزَنْجَبِيلَ
لَبَّاتَا بِفِيهَا وَأَرْيَاءَ مَشُورًا^(٥)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كُلُّ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ سَمَّاهُ بِمَا يُعْرَفُ^(٦). وَسَمَّيْتُ الْعَيْنُ زَنْجَبِيلًا لِطَعْمِ الزَنْجَبِيلِ فِيهَا، يَعْنِي: أَنَّهَا فِي طَعْمِهِ وَلَيْسَ فِيهَا لَذْعَةٌ، وَلَكِنْ تَقِيضُ اللَّذْعَ وَهُوَ السَّلَاسَةُ، يَقَالُ: شَرَابٌ سَلْسَلٌ وَسَلْسَالٌ وَسَلْسِيلٌ زِيدَتْ الْبَاءُ فِي التَّرْكِيبِ حَتَّى صَارَتْ الْكَلِمَةُ خُمَاسِيَّةً وَدَلَّتْ

(١) البقرة: ١١٧، آل عمران: ٤٧ و ٥٩، الانعام: ٧٣.

(٢) قاله سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٣٦٧. (٣) رواه عنه الطبري في تفسيره المتقدم.

(٤) قرأه ابن عباس والسلمي والشعبي ورووه عن النبي ﷺ وعليّ عليه السلام. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٦٦.

(٥) من قصيدة طويلة يمدح فيها هوزة بن علي الحنفي. والزنجبيل: نبات طيب الرائحة، والأرزي: العسل، والمشهور: المجموع، انظر ديوان الأعشى: ص ٨٧ وفيه: «كَأَنَّ جَنِينًا»، و«خَالِطَ فَاهَا» بدلًا من «بَاتَا بِفِيهَا».

(٦) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٣٠.

على غاية السَّلاَسَةِ، و ﴿عَيْنًا﴾ بَدَلُ من ﴿زَنْجَبِيلًا﴾ وقيل: يُمَزَّجُ كَأُسْهُمَ
بِالزَّجْبِيلِ^(١)، أو: يَخْلُقُ اللَّهُ طَعْمَهُ فِيهَا^(٢)، فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ ﴿عَيْنًا﴾ بَدَلًا من
﴿كَأْسًا﴾ كَأَنَّهُ قَالَ: وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسَ عَيْنٍ، أو: مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ.
﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا﴾ شَبَّهَ الْوِلْدَانَ الْمُخَلَّدُونَ فِي حُسْنِهِمْ وَصَفَاءِ أَلْوَانِهِمْ
وَأَنْبَثَائِهِمْ فِي مَجَالِسِهِمْ لِلخِدْمَةِ بِاللُّؤْلُؤِ الْمَنثورِ، أو: بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ إِذَا نُثِرَ من
صَدْفِهِ، لِأَنَّهُ أَصْفَى مَا يَكُونُ وَأَحْسَنُ. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾: لَا مَفْعُولَ لـ ﴿رَأَيْتَ﴾ هُنَا،
لَا ظَاهِرًا وَلَا مُقَدَّرًا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَإِذَا وَجَدْتَ الرُّؤْيَا ﴿ثُمَّ﴾، والمعنى: أَنْ بَصَرَ
الرَّائِي أَيْنَمَا وَقَعَ لَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَى نَعِيمٍ كَثِيرٍ وَمُلْكٍ كَبِيرٍ، و ﴿ثُمَّ﴾ فِي مَحَلٍّ نَصَبٍ عَلَى
الظَّرْفِ، أَي: فِي الْجَنَّةِ ﴿مُلْكًا كَبِيرًا﴾ وَاسِعًا دَائِمًا لَا يَزُولُ، وَقِيلَ: إِذَا أَرَادُوا شَيْئًا
كَانَ^(٣)، وَقِيلَ: تُسَلِّمُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَيَسْتَأْذِنُونَ عَلَيْهِمْ^(٤).

﴿عَلَيْهِمْ﴾ وَقُرِئَ بِالسُّكُونِ^(٥) عَلَى أَنَّهُ مَبْتَدَأُ خَبْرُهُ ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ أَي:
مَا يَغْلُوهُمْ مِنَ اللَّبَاسِ ثِيَابُ سُندُسٍ، وَقُرِئَ بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ، و ﴿ثِيَابُ﴾
مَرْفُوعٌ بِهِ، أو: أُجْرِي «عَالٍ» مَجْرِي «فَوْقَ» فَانْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ وَسَدَّ مَسَدَّ
الْحَالِ، أو: هُوَ عَلَى مَعْنَى: رَأَيْتُ أَهْلَ نَعِيمٍ وَمُلْكٍ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ، وَقُرِئَ: ﴿خُضْرُ
وَإِسْتَبْرَقُ﴾ بِالرَّفْعِ حَمَلًا عَلَى «الثِّيَابِ»، وَبِالْجَرِّ^(٦) حَمَلًا عَلَى ﴿سُندُسٍ﴾، وَقُرِئَ:

(١) قاله قتادة . راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٣٦٨ .

(٢) قاله ابن شجرة . راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ١٧٠ .

(٣) قاله الترمذي الحكيم في نوادر الأصول: ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٤) قاله مقاتل والكلبي . راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٤٣٠ .

(٥) أي: بسكون الياء وكسر الهاء تبعاً لذلك، وهي قراءة نافع وحزمة وأبان والمفضل كلاهما
عن عاصم . راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٦٤ .(٦) أي: بجرّهما، وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو برواية عبيد عنه . راجع المصدر
السابق: ص ٦٦٥ .

﴿وَإِسْتَبْرَقُ﴾ بِالرَّفْعِ ^(١) عَلَى مَعْنَى: ثِيَابٌ سُندُسٍ وَثِيَابٌ إِسْتَبْرَقٍ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَأَقَامَ «إِسْتَبْرَقُ» مَقَامَهُ، وَقُرِئَ بِالْجَرِّ أَيْضاً ^(٢)، ﴿وَحُلُّوْا﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ لَا يُكْتَنَتُ وَصَفُهَا، يُرَى مَا وَرَآوُهَا، وَقِيلَ: إِنَّ الْفِضَّةَ فِي الْجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنَ الذَّهَبِ وَمِنَ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ ^(٣)، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ يُحَلِّوْنَ بِالذَّهَبِ تَارَةً، وَبِالْفِضَّةِ أُخْرَى، أَوْ: بِهِمَا جَمِيعاً عَلَى الْجَمْعِ ^(٤) ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ وَلَيْسَ بِرَجْسٍ كَخَمْرِ الدُّنْيَا، وَقِيلَ: يُطَهَّرُهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ ^(٥).

﴿إِنَّ هَذَا﴾ وَ «هَذَا» إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَطَاءِ اللَّهِ، وَمَا وَصَفَهُ مِنَ النَّعِيمِ وَالتَّعْظِيمِ ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ عَلَى أَعْمَالِكُمُ الْمَقْبُولَةِ وَطَاعَاتِكُمُ الْمَبْرُورَةِ ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ﴾ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴿مَشْكُوراً﴾ مَرْضِيّاً، وَالشُّكْرُ مَجَازٌ.

وَرُوي: أَنَّ جِبْرَائِيلَ لَمَّا تَلَا الْآيَاتِ قَالَ: خُذْهَا يَا مُحَمَّدُ هُنَاكَ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِكَ ^(٦).

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا

(١) أي: بجرّ «خُضِر» ورفع «إِسْتَبْرَقُ»، وهي قراءة ابن كثير وعاصم برواية أبي بكر عنه. راجع المصدر المتقدم.

(٢) أي: برفع «خُضِر» وجرّ «إِسْتَبْرَقُ»، وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر. راجع المصدر نفسه.

(٣) قاله الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٢١٨.

(٤) قاله الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٧٤.

(٥) رَوَاهُ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. راجع تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٤٥٧.

(٦) رواه الحاكم الحسكاني في الشواهد: ج ٢ ص ٤٠٣ ذح ١٠٥٤ باسناده عن عطاء عن ابن عباس، والسيوطي في اللآلي: ج ١ ص ١٩٢ نقلًا عن ابن الجوزي.

بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١) ﴿

كَرَّرَ سبحانه الضمير الذي هو اسم لـ «إِنَّ» للتأكيد، فكأنه قال: ما نَزَلَ ﴿عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَنْ تَنْزِيلًا﴾ مَفْرَقًا مَفْصَلًا إِلَّا أَنَا لَا غَيْرِي. ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الصَّادِرُ عَنِ الْحِكْمَةِ وَالصَّوَابِ عَلَىٰ مُكَافَأَتِهِمْ وَأَحْتِمَالِ أَذَاهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَأْتِيَكَ الْأَمْرُ بِالْقِتَالِ ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ أَحَدًا، قَلَّةٌ صَبْرٍ مِنْكَ عَلَىٰ أَذَاهُمْ، وَقِيلَ: إِنَّ «الْآثِمَ» عُثْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَ«الْكَفُورَ» الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، قَالَا: ارْجِعْ عَنْ أَمْرِكَ وَنَحْنُ نُرْضِيكَ بِالْمَالِ وَالتَّزْوِيجِ^(١). وَلَوْ قَالَ: وَلَا تُطِعْ آثِمًا وَكَفُورًا لَجَازَ أَنْ يُطِيعَ أَحَدَهُمَا، فَإِذَا أَتَى بِـ«أَوْ» وَمَعْنَاهُ: وَلَا تُطِعْ أَحَدَهُمَا، عَلِمَ أَنَّ النَّاهِيَ عَنِ طَاعَةِ أَحَدِهِمَا نَاهٍ عَنِ طَاعَتِهِمَا جَمِيعًا.

﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أَي: صَبَاحًا وَمَسَاءً. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ وَبَعْضَ اللَّيْلِ ﴿فَاسْجُدْ لَهُ﴾ أَي: فَصَلِّ لِلَّهِ، وَقِيلَ: يَعْنِي: الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ^(٢) ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ وَتَهَجَّدْ لَهُ هَزِيرًا طَوِيلًا مِنَ اللَّيْلِ: ثَلَاثِيهِ أَوْ نِصْفَهُ أَوْ ثُلُثَهُ.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ الْكَفَرَةَ ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ وَيُؤْثِرُونَهَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾ قُدَّامَهُمْ، أَوْ: خَلْفَ ظُهُورِهِمْ لَا يَعْبُؤُونَ بِهِ ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ عَسِيرًا شَدِيدًا، مُسْتَعَارٌ مِنَ الشَّيْءِ الثَّقِيلِ الْبَاهِظِ لِحَامِلِهِ. ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أَي: شَدَدْنَا تَوْصِيلَ عِظَامِهِمْ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، وَتَوَثُّقَ مَفَاصِلِهِمْ بِالْأَعْصَابِ، مِنَ الْأَسْرِ الَّذِي هُوَ الرِّبْطُ وَالتَّوَثُّقُ بِالْإِسَارِ وَهُوَ الْقِدُّ، وَفَرَسٌ مَأْسُورُ الْخَلْقِ، كَمَا قِيلَ: جَارِيَةٌ مَعْصُوبَةُ الْخَلْقِ،

(١) قاله مقاتل. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٤٣١.

(٢) قاله أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن: ج ٤ ص ٣٥٥.

وقيل: معناه: كَلَّفْنَاهُمْ وَشَدَدْنَاهُمْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ. ﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أَهْلَكْنَاهُمْ و ﴿بَدَّلْنَاهُمْ﴾ أَمْثَلَهُمْ في شِدَّةِ الْأَسْرِ، يعني: النَّشْأَةَ الْأُخْرَى، وقيل: معناه: بَدَّلْنَاهُمْ غَيْرَهُمْ مِمَّنْ يُطِيعُ^(١)، وَحَقُّهُ أَنْ يَكُونَ: «وَإِنْ شِئْنَا» بـ «إِنْ»، لا بـ «إِذَا»^(٢) كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾^(٣).

﴿هَذِهِ﴾ إشارة إلى السُّورَةِ، أو: إلى الآياتِ القَرِيبَةِ ﴿تَذَكُّرَةً﴾ تَذَكُّيرٌ وَعِظَةٌ ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ فَمَنْ اخْتَارَ الْخَيْرَ ﴿أَتَّخِذْ إِلَيَّ رَبًّا سَبِيلًا﴾ بَأَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالطَّاعَاتِ. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ الطَّاعَةَ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يُجِبِرُهُمْ عَلَيْهَا، وَقُرِئَ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ^(٤)، و ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ مَنْصُوبٌ الْمَحَلُّ عَلَى الظَّرْفِ، وَالْأَصْلُ: إِلَّا وَقْتُ مَشِيئَةِ اللَّهِ. ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مَضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾، نَحْوُ: أَوْعَدَ وَكَافَأَ وَنَحْوُهُمَا.



(١) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٩٦.

(٢) قال عليّ بن أبي حمزة: «وَاتَّهَمُوا عَلَيْهِ (الْقُرْآنِ) آراءَ كُمْ...» نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦.

(٣) محمد بن عبد الله بن مسعود: ٣٨.

(٤) أي: «وَمَا يَشَاءُونَ» بالياء قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر برواية هشام عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٦٥.

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، وَهِيَ خَمْسُونَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ كُتِبَ: لَيْسَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا عَرَفَ اللَّهَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّشِرَاتِ نَشْرًا (٣)
فَالْفَرَقَتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا (٥) عَذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَوَاقِعُ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٢٢٢: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهِيَ خَمْسُونَ آيَةً بِإِخْلَافٍ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْمَآوَرِدِيِّ: ج ٦ ص ١٧٥: مَكِّيَّةٌ مِنْ قَوْلِ الْحَسَنِ وَعُكْرَمَةَ وَعَطَاءَ وَجَابِرٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقْتَادَةُ: إِلَّا آيَةً مِنْهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَسْجُدُونَ﴾ فَمَدَنِيَّةٌ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦٧٧: مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَةَ (٤٨) فَمَدَنِيَّةٌ، وَأَيَّاتُهَا (٥٠)، نَزَلَتْ بَعْدَ الْهَمْزَةِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦٨٣ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٩.

نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ
الْفُضْلِ (١٣) وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمُ الْفُضْلِ (١٤) وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥)
أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُسَبِّعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ
مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ
الْقَدِيرُونَ (٢٣) وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥)
أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً
فُرَاتًا (٢٧) وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) ﴿

﴿الْمُرْسَلَتِ﴾ الملائكة أُرْسِلَتْ بِالْمَعْرُوفِ فَعَصَفَتْ فِي مُضِيِّهَا كَمَا تَعَصِفُ
الرِّيَّاحُ. ﴿وَالنَّشِيرَاتِ﴾ هي الملائكة نَشَرَتْ أَجْنِحَتَهَا فِي الْجَوِّ عِنْدَ انْحِطَاطِهَا
بِالْوَحْيِ، أَوْ: نَشَرَتْ الشَّرَائِعَ فِي الْأَرْضِ. ﴿فَالْفَرَقَتِ فَرَقًا﴾ فَرَّقَتْ بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ. ﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ. ﴿عُذْرًا﴾ لِلْمُحَقِّقِينَ ﴿أَوْ نُذْرًا﴾
لِلْمُبْطِلِينَ.

وَقِيلَ: ﴿الْمُرْسَلَتِ﴾ رِيَّاحُ الْعَذَابِ أُرْسِلَتْ مُتَابِعَةً كَعُزْفِ الْفَرَسِ فَعَصَفَتْ فِي
شِدَّةِ هُبُوبِهَا. ﴿وَالنَّشِيرَاتِ﴾ رِيَّاحُ الرَّحْمَةِ نَشَرَتْ السَّحَابَ فِي الْجَوِّ ﴿نَشْرًا﴾
لِلغَيْثِ فَفَرَّقَتْ بَيْنَهَا وَبَدَدَتْهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾^(١)، أَوْ: هِيَ السَّحَابُ نَشَرَتْ
الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ فَفَرَّقَتْ بَيْنَ مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ وَبَيْنَ مَنْ يَكْفُرُ، فَأَلْقَتْ ذِكْرًا: إِمَّا ﴿عُذْرًا﴾
لِلَّذِينَ يَعْتَذِرُونَ إِلَى اللَّهِ بِتَوْبَتِهِمْ وَأَسْتَغْفَارِهِمْ إِذَا رَأَوْا نِعْمَةَ اللَّهِ فِي الْغَيْثِ
وَيَشْكُرُونَهَا، وَإِمَّا ﴿نُذْرًا﴾ إِنْذَارًا لِلَّذِينَ يَغْفُلُونَ عَنِ الشُّكْرِ لِلَّهِ^(٢).

(١) الروم: ٤٨.

(٢) قاله علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وأبو صالح ومجاهد وقتادة. راجع تفسير الطبري: ←

وَأَنْتَصَابُ ﴿عُزْفًا﴾ فِي الْمَعْنَى الْأَوَّلِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، أَي: أُرْسِلُنَا لِلإِحْسَانِ، وَأَنْتَصَابُهُ فِي الْمَعْنَى الثَّانِي عَلَى الْحَالِ. وَ﴿عُذْرًا﴾ وَ﴿نُذْرًا﴾ مَصْدَرَانِ مِنْ: عَذَرَ إِذَا مَحَا الْإِسَاءَةَ، وَمِنْ: أَنْذَرَ إِذَا خَوَّفَ، وَأَنْتَصَابُهُمَا عَلَى الْبَدَلِ أَوْ: عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ. وَقُرْنَا مَخْفَفَيْنِ وَمَثْقَلَيْنِ ^(١).

إِنَّ الَّذِي ﴿تُوَعْدُونَ﴾ هُوَ مَنْ مَجِيءُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿لَهُ﴾ كَائِنٌ ﴿وُقِعَ﴾ لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ.

﴿طُمِسَتْ﴾ أَي: مُحِيتْ وَمُحِقَتْ، وَقِيلَ: ذُهِبَ بِنُورِهَا ^(٢). ﴿فُرِجَتْ﴾ أَي: شُقَّتْ، وَصُدِّعَتْ، وَفُتِحَتْ فَكَانَتْ أَبْوَابًا. ﴿نُسِفَتْ﴾ كَالْحَبِّ إِذَا نُسِفَتْ بِالْمِنْسَفِ، وَنَحْوُهُ: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ ^(٣) قِيلَ: أَخَذَتْ بِسُرْعَةٍ مِنْ أَمَاكِنِهَا ^(٤). ﴿أُقْتَتَ﴾: وَقَّتْ، وَهُوَ الْأَضْلُ، وَمَعْنَى تَوَقَّيْتُ الرُّسُلَ: تَبَيَّنْتُ وَقَّتِهَا الَّذِي يَحْضُرُونَ فِيهِ لِلشَّهَادَةِ عَلَى أَمَمِهِمْ. وَالتَّأْجِيلُ مِنَ الْأَجَلِ، كَالْتَّوَقُّيَةِ مِنَ الْوَقْتِ ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ تَعَجِيبٌ مِنْ هَوْلِ الْيَوْمِ وَتَعْظِيمٍ لَهُ. ﴿لِيَوْمِ الْفَضْلِ﴾ بَيَانٌ لِيَوْمِ التَّأْجِيلِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يُفْضَلُ فِيهِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَقِيلَ: وَقَّتَتْ: بَلَغَتْ مِيقَاتَهَا الَّذِي كَانَتْ مُنْتَظَرَةً وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ^(٥). وَ﴿أُجِّلَتْ﴾: أَخَّرَتْ.

﴿وَيْلٌ﴾ فِي الْأَضْلِ مَصْدَرٌ مَنْصُوبٌ سَادٌّ مَسَدٌّ فِعْلُهُ، لَكِنَّهُ عُدِلَ بِهِ إِلَى الرَّفْعِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى ثَبَاتِ الْهَلَاكِ وَدَوَامِهِ لِلْمَدْعُوِّ عَلَيْهِ.

→ ج ١٢ ص ٣٧٧ - ٣٨٠.

(١) وبالتثقيـل - أي: بضم الذال فيهما - قرأه ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٦٦.

(٢) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٤٩٧. (٣) الواقعة: ٥.

(٤) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٢٦٦.

(٥) قاله الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٧٨.

﴿أَلَمْ نُهْلِكْ الْآوَّلِينَ﴾ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرَهُمْ ﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ﴾ بِالرَّفْعِ عَلَى الاستِثْنَاءِ، وَهُوَ وَعِيدٌ لِقُرَيْشٍ، وَالْمُرَادُ: ثُمَّ نَفْعَلُ بِأَمْثَالِهِمْ مِثْلَ مَا فَعَلْنَا بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا كَتَكْذِبِهِمْ. ﴿كَذَلِكَ﴾ مِثْلُ ذَلِكَ الْفِعْلِ ﴿نَفْعَلُ﴾ بِكُلِّ مَنْ أَجْرَمَ وَكَذَّبَ. ﴿مِنْ مَاءٍ مُّهِينٍ﴾ حَقِيرٍ قَلِيلٍ الْغَنَاءِ. ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ يَعْنِي: الرَّحِمِ. ﴿إِلَى قَدَرٍ﴾ مِقْدَارٍ مِنَ الْوَقْتِ ﴿مَعْلُومٍ﴾ قَدْ عَلِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ تِسْعَةُ الْأَشْهُرِ أَوْ مَا دُونَهَا. ﴿فَقَدَرْنَا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرًا ﴿فَنِعْمَ﴾ الْمَقْدُرُونَ لَهُ نَحْنُ، أَوْ: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ عَلَى ذَلِكَ ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ عَلَيْهِ نَحْنُ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى لِقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: «فَقَدَرْنَا» بِالتَّشْدِيدِ ^(١)، وَلِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ ^(٢).

الْكِفَاتُ: مِنْ: كَفَتَ الشَّيْءُ إِذَا جَمَعَهُ وَضَمَّهُ، وَهُوَ أَسْمُ مَا يُكْفَتُ، كَالضَّمَامِ وَالْجُمَاعِ لِمَا يُضَمُّ وَيُجْمَعُ، وَبِهِ انْتَصَبَ ﴿أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ﴾، كَأَنَّهُ قَالَ: كَافَتَهُ أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ، أَوْ: بِفِعْلِ مُضْمَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَهُوَ «تَكْفَتُ»، وَالْمَعْنَى: تَكْفَتُ أَحْيَاءٌ عَلَى ظَهْرِهَا وَأَمْوَاتٌ فِي بَطْنِهَا. وَالتَّنْكِيرُ لِلتَّفْخِيمِ، يَعْنِي: أَحْيَاءٌ لَا يُخْصَرُونَ وَأَمْوَاتٌ كَذَلِكَ، أَوْ: لَكُونَهُمَا حَالَيْنِ مِنَ الضَّمِيرِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: تَكْفَتُكُمْ أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ. ﴿رَوَيْتُ شَمِخَتٍ﴾ أَي: جِبَالًا ثَابِتَةً عَالِيَةً، ﴿وَأَسْقَيْنَكُمُ﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ سَقِيًّا مِنْ مَاءٍ عَذْبٍ.

﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٩) أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جَمَلَتْ صُفْرًا (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

(١) قرأه نافع والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٦٦.

(٢) عَبَسَ: ١٩.

لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونِ (٤١) وَفَوَاحِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠) ﴿

أي: يقول لهم الخزنة: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى﴾ ما كَذَّبْتُمْ بِهِ ﴿وَجَعَدْتُموه من عَذَابِ النَّارِ، والانْطِلَاقُ: الذَّهَابُ من مكانٍ إلى مكانٍ من غير مَكْتٍ، و ﴿انْطَلِقُوا﴾ الثاني تَكْرِيرٌ، وقرئ بلفظ الماضي ^(١) إخباراً بعد الأمر من علمهم بموجبه وأضطرارهم إلى فعله. ﴿إِلَى ظِلٍّ﴾ يعني: دُخَانُ جَهَنَّمَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَضِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ ^(٢)، ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ يَتَشَعَّبُ لِعَظَمِهِ ثَلَاثُ شُعَبٍ: شُعْبَةٌ فَوْقَهُمْ، وَشُعْبَةٌ عَنْ أَيْمَانِهِمْ، وَشُعْبَةٌ عَنْ شِمَائِلِهِمْ. ﴿لَا ظِلِيلٍ﴾ تَهَكُّمٌ بِهِمْ وَتَغْرِيزٌ بَأَنَّ ظِلَّهُمْ يُضَادُّ ظِلَّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ فِي مَحَلٍّ جَرٍّ، أَي: غَيْرُ مُغْنٍ عَنْهُمْ ﴿مِنْ﴾ حَرِّ ﴿اللَّهَبِ﴾ شَيْئاً.

﴿إِنَّهَا تَزْمِي بِشَرِّ﴾ مَتَطَايِرٍ فِي الْجِهَاتِ ﴿كَالْقَصْرِ﴾ أَي: كُلُّ شَرَارَةٍ كَالْقَصْرِ مِنْ الْقُصُورِ فِي عَظَمِهَا، وَقِيلَ: هُوَ الْغَلِيظُ مِنَ الشَّجَرِ ^(٣)، وَالوَاحِدَةُ: قَصْرَةٌ، نَحْوُ: جَمْرَةٍ وَجَمْرٍ، وَقُرِئَ: «كَالْقَصْرِ» بَفَتْحَتَيْنِ ^(٤) وَهِيَ أَعْنَاقُ الْإِبِلِ. «كَأَنَّهُ جَمَالَاتٌ» ^(٥)

(١) قرأه رويس عن يعقوب. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٧٤٨.

(٢) الواقعة: ٤٣.

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والحسن. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٣٨٨.

(٤) قرأه ابن عباس. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٦٧.

(٥) الظاهر أن المصنف رحمه الله قد اعتمد هنا على قراءة الجمع وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي ←

جَمْعُ جَمَالٍ، وَقُرِئَ: ﴿جَمَلْتُ﴾ جَمْعُ جَمَلٍ، شُبِّهَتْ بِالْقُصُورِ ثُمَّ بِالْجَمَالِ لِسِيَانِ التَّشْبِيهِ، كَمَا شَبَّهَ عَنْتَرَةَ نَاقَتَهُ بِالْقَصْرِ فِي قَوْلِهِ:

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا فَدَنُ لِقَاضِي حَاجَةِ الْمُتَلَوِّمِ^(١)

وَقُرِئَ: «جُمَالَاتٌ» بِالضَّمِّ^(٢)، وَهِيَ قُلُوسُ سُفُنِ الْبَحْرِ، وَقِيلَ: قُلُوسُ الْجُسُورِ^(٣)، الْوَاحِدَةُ: جُمَالَةٌ، وَقِيلَ: ﴿صَفْرُ﴾ لِإِرَادَةِ الْجَنَسِ^(٤)، وَقِيلَ: ﴿صَفْرُ﴾ سُودٌ تَضْرِبُ إِلَى الصَّفْرِ^(٥).

﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ بِمَا يَنْفَعُهُمْ، جَعَلَ نُطْقَهُمْ كـ «لَا نُطْقِي» لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ وَلَا يُجْدِي، أَوْ: يَنْطِقُونَ فِي وَقْتٍ وَلَا يَنْطِقُونَ فِي وَقْتٍ، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ طَوِيلٌ لَهُ مَوَاطِنُ وَمَوَاقِيتُ، وَلِذَلِكَ وَرَدَ الْأَمْرَانِ فِي الْقُرْآنِ، أَلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾^(٦)؟ فَيَتَكَلَّمُونَ وَيَخْتَصِمُونَ ثُمَّ يُخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتَتَكَلَّمُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ، فَحِينَئِذٍ لَا يَنْطِقُونَ. ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عَظْفٌ عَلَى ﴿يُؤْذَنُ﴾ أَي: وَلَا يَكُونُ لَهُمْ إِذْنٌ وَأَعْتِذَارٌ مُتَعَقِّبٌ لَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الْاِعْتِذَارُ مُسَبِّبًا عَنِ الْإِذْنِ، وَلَوْ نُصِبَ لَكَانَ مُسَبِّبًا عَنْهُ لَا مَحَالَةَ.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ﴾ أَي: يَوْمُ الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَ الْخَلْقِ، وَالِانْتِصَافِ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ، ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ بَيَانٌ لَهُ، لِأَنَّ الْفَضْلَ إِذَا كَانَ بَيْنَ الْأَشْقِيَاءِ وَالسَّعْدَاءِ، وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهِمْ، فَلَا بُدَّ مِنْ جَمْعِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ حَتَّى يَقَعَ ذَلِكَ

→ عمرو وابن عامر وأبي بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٦٦.

(١) البيت من معلقته الميمية، والفَدَن: القصر. راجع ديوان عنتره بن شداد: ص ١٢.

(٢) قرأه رويس وحده. راجع التذكرة في القراءات: ج ٢ ص ٧٤٩.

(٣) قاله سعيد بن جبير ومجاهد. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٣٩٠، والقُلُوسُ: الْحِبَالُ.

(٤) قاله الشيخ في التبيان: ج ١٠ ص ٢٣١.

(٥) قاله الحسن وقتادة ومجاهد. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٣٨٩ - ٣٩٠.

(٦) الزمر: ٣١.

الْفَضْلُ بَيْنَهُمْ. ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ تَقْرِيعٌ لَهُمْ عَلَى كَيْدِهِمْ لَدِينِ اللَّهِ وَأَهْلِهِ، وَتَسْجِيلٌ عَلَيْهِمْ بِالْمَهَانَةِ وَالْعَجْزِ.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ ضَمِيرِ ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِي ظِلِّ﴾ أَي: مَقُولًا لَهُمْ ذَلِكَ. وَ ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ حَالٌ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ، أَي: الْوَيْلُ ثَابِتٌ لَهُمْ فِي حَالِ مَا يُقَالُ لَهُمْ: كُلُوا وَتَمَتَّعُوا، أَي: كُنْتُمْ أَحَقَّاءَ فِي حَيَاتِكُمْ بِأَنْ يُدْعَى لَكُمْ بِذَلِكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿كُلُوا﴾ كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا، خِطَابًا لِلْمُكَذِّبِينَ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آزَكُوا﴾ أَي: صَلُّوا، لَا يُصَلُّونَ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي تَقْيِيفِ ^(١) حِينَ أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّلَاةِ فَقَالُوا: لَا نَنْحَنِ فَإِنَّهَا مَسَبَّةٌ عَلَيْنَا، فَقَالَ ﷺ: «لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ وَلَا سُجُودٌ» ^(٢). ﴿فَبَأَىٰ حَدِيثٌ﴾ بَعْدَ الْقُرْآنِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وَهُوَ الْآيَةُ الْمُبْصِرَةُ، وَالْمُعْجِزَةُ الْبَاهِرَةُ، وَالْبُرْهَانُ الْمُبِينُ!

وَكُرَّرَ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ فِي السُّورَةِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، عُلِّقَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِقِصَّةٍ تُخَالِفُ أَخَوَاتَهَا، فَعَقَّبَ كُلًّا مِنْهَا بِإِثْبَاتِ الْوَيْلِ لِلْمُكَذِّبِ بِمَا فِي ضِمْنِهَا.



(١) قاله مقاتل. راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ١٨١.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن: ج ٢ ص ٤٤٤ - ٤٤٥ عن عثمان بن أبي العاص.

سُورَةُ النَّبَأِ (١)

مَكِّيَّةٌ (٢) وَهِيَ أَرْبَعُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ بَصْرِيٌّ ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ (٣) بَصْرِيٌّ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ سَقَاهُ اللَّهُ بَرْدَ الشَّرَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٤).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا لَمْ تَخْرُجْ سَنَّتُهُ، إِذَا كَانَ يُدْمِنُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ، حَتَّى يَزُورَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ» (٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)﴾

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «سُورَةُ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٢٣٧: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ أَرْبَعُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ وَالْمَدَنِيِّينَ، وَإِحْدَى وَأَرْبَعُونَ فِي الْبَصْرِيِّ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦٨٣: مَكِّيَّةٌ، وَتَسْمَى سُورَةُ النَّبَأِ، وَهِيَ أَرْبَعُونَ أَوْ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ آيَةً، نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَعَارِجِ.

(٣) الْآيَةُ: ٤٠.

(٤) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٦٩٢ مَرْسَلًا.

(٥) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٩ وَزَادَ فِي آخِرِهِ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا (٦)
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا
الَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢)
وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ
بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّتِ الْأَفْئَافُ (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧)
يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ
أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) ﴿

دَخَلْتُ «عَنْ» عَلَى «مَا» الاستفهامية فادغم التَّوْنُ فِي الْمِيمِ وَحُذِفَتِ الْأَلْفُ،
وَنَحْوُهُ: «بِمَ» وَ «فِيمَ» وَ «مِمَّ» وَ «لِمَ» وَ «إِلَامَ» وَ «عَلَامَ» وَ «حَتَّامَ»^(١). وَمَعْنَى هَذَا
الاستفهام تَفْخِيمُ الشَّأْنِ، كَأَنَّهُ قَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ أَي: يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا، أَوْ: يَتَسَاءَلُونَ غَيْرَهُمْ نَحْوُ: يَتَدَاوَعُونَهُمْ. ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ بَيَانٌ لِلشَّأْنِ
الْمُفْخَمِ، وَهُوَ نَبَأُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ، أَوْ: أَمْرُ الرِّسَالَةِ وَلَوَازِمُهَا. ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ
مُخْتَلِفُونَ﴾ قِيلَ: الضَّمِيرُ لِلْكَفَّارِ^(٢)، وَقِيلَ: الْكَفَّارُ وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا^(٣).

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لِّلْمُتَسَائِلِينَ ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وَعِيدٌ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ سَوْفَ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا
يَتَسَاءَلُونَ عَنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ حَقٌّ لَّأَنَّهُ وَاقِعٌ لَا رَيْبَ فِيهِ، أَوْ: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةُ
تَكْذِيبِهِمْ، وَسَيَعْلَمُ الْمُؤْمِنُونَ عَاقِبَةَ تَصْدِيقِهِمْ. وَالتَّكْرِيرُ بِهِ تَشْدِيدٌ فِي الْأَمْرِ وَتَكْرِيرٌ
لِّلْوَعِيدِ، وَ ﴿ثُمَّ﴾ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْوَعِيدَ الثَّانِي أَبْلَغُ مِنَ الْوَعِيدِ الْأَوَّلِ.
﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ أَي: فِرَاشًا، وَأَرْسَيْنَاهَا بِالْجِبَالِ كَمَا يُرْسَى الْبَيْتُ

(١) «إِلَامَ» وَ «عَلَامَ» وَ «حَتَّامَ»، أَصْلُهَا عَلَى التَّرْتِيبِ: إِلَى مَا، وَعَلَى مَا، وَحَتَّى مَا.

(٢) قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِهِ: ص ٤٩٥.

(٣) قَالَه قَتَادَةُ. رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ: ج ١٢ ص ٣٩٦.

بِالْأَوْتَادِ ﴿وَخَلَقْنَكُمْ﴾ أَشْكَالًا مَتَشَاكِلِينَ، أَوْ: ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا، أَوْ: أَصْنَافًا، ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي: راحةً وَدَعَةً لِأَجْسَادِكُمْ، وَقِيلَ: مَوْتًا، مِنَ السَّبْتِ وَهُوَ الْقَطْعُ؛ لِأَنَّهُ مَقْطُوعٌ عَنِ الْحَرَكَةِ ^(١)، وَالنَّوْمُ أَحَدُ الْمَوْتَيْنِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَنْ خَلَقَ هَذِهِ الْخَلَائِقَ الْعَجِيبَةَ الدَّالَّةَ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ فَلَا وَجْهَ لِنِكَارِ قُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ، وَلَا أَنَّهُ يُوَدِّي إِلَى أَنَّهُ عَابَثُ فِي كُلِّ مَا فَعَلَهُ، وَالْحَكِيمُ لَا يَفْعَلُ فِعْلًا عَبَثًا.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ يَسْتُرُكُمْ عَنِ الْعُيُونِ، وَتُخْفُونَ فِيهِ مَا لَا تُحِبُّونَ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِكُمْ. ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي: وَقْتَ مَعَاشٍ، أَوْ: مَطْلَبَ مَعَاشٍ تَسْتَيْقِظُونَ فِيهِ لِحَوَائِجِكُمْ، وَتَتَصَرَّفُونَ فِي مَكَاسِبِكُمْ. ﴿سَبْعًا﴾ أي: سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴿شِدَادًا﴾ مُحْكَمَةً، جَمْعُ شَدِيدَةٍ. ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ وَقَادًا مُتَلَالِيًا، يَعْنِي: الشَّمْسَ، وَتَوَهَّجَتِ النَّارُ: إِذَا تَلَطَّتْ.

و ﴿الْمُغْصِرَاتُ﴾ السَّحَابُ إِذَا أَعْصَرَتْ، أي: شَارَفَتْ أَنْ تَعْصِرَهَا الرِّيحُ فَتَمْطُرُ، مِثْلُ: أَجَزَّ الزَّرْعُ أَي: حَانَ لَهُ أَنْ يُجَزَّ مِنْهُ، وَمِنْهُ: أَعْصَرَتِ الْجَارِيَةُ: إِذَا حَانَ أَنْ تَحِيضَ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: الْمُغْصِرَاتُ: الرِّيحُ ذَوَاتُ الْأَعَاصِيرِ لِأَنَّهَا تُنْشِئُ السَّحَابَ وَتَذَرُّ أَخْلَافَهُ ^(٢). ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ مُنْصَبًّا بكَثْرَةٍ، يُقَالُ: ثَجَّهْتُ وَثَجَّ بِنَفْسِهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «أَفْضَلُ الْحَجِّ الْعَجُّ وَالثَّجُّ» ^(٣). فَالْعَجُّ: رَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّلْبِيَةِ، وَالثَّجُّ: صَبُّ دِمَاءٍ الْهَدْيِ.

﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ يَعْنِي: مَا يُتَقَوَّتُ بِهِ مِنْ نَحْوِ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَمَا يُعْتَلَفُ بِهِ مِنْ

(١) حكاها الماوردي في تفسيره: ج ٦ ص ١٨٣.

(٢) تفسير مجاهد: ص ٦٩٤.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٤٠٠، وابن حجر في التلخيص: ج ٢ ص ٢٣٩ مرسلًا. والعجُّ: رفع الصوت للتلبية، والثجُّ: سيلان دماء الهدْيِ.

التَّبْنِ وَالْحَشِيشِ كَمَا قَالَ: ﴿كُلُوا وَارْزَعُوا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾^(١). وَالْأَلْفَافُ: الْمُلْتَفَّةُ، لَا وَاحِدَ لَهَا كَالْأَخْيَافِ، وَقِيلَ: [بِلْ]^(٢) وَاحِدُهَا لَفٌ^(٣).

﴿كَانَ مِيقَتَا﴾ كَانَ فِي حُكْمِ اللَّهِ حَدًّا وَقَّتَ بِهِ الدُّنْيَا تَنْتَهِي عِنْدَهُ، أَوْ: حَدًّا لِلْخَلَائِقِ يَنْتَهَوْنَ عِنْدَهُ. ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمَ الْفَضْلِ﴾، أَوْ: عَطْفٌ بَيَانٍ لَهُ ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ مِنَ الْقُبُورِ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ أُمَمًا، كُلُّ أُمَّةٍ مَعَ إِمَامِهِمْ، وَقِيلَ: جَمَاعَاتٍ مُخْتَلِفَةً^(٤).

وَعَنْ مَعَاذٍ: أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ، فَقَالَ: «يُحْشَرُ عَشْرَةُ أَصْنَافٍ مِنْ أُمَّتِي أَشْتَاتًا، قَدْ مَيَّزَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَدَّلَ صُورَهُمْ: فَبَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقِرَدَةِ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْخَنَازِيرِ، وَبَعْضُهُمْ مَنْكَسُونَ: أَرْجُلُهُمْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ يُسْحَبُونَ عَلَيْهَا، وَبَعْضُهُمْ عُمِيُّ، وَبَعْضُهُمْ صُمٌّ بُكْمٌ، وَبَعْضُهُمْ يَمْضُغُونَ أَلْسِنَتَهُمْ فَهِيَ مُدَلَّاةٌ عَلَى صُدُورِهِمْ، يَسِيلُ الْقَيْحُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ يَتَقَدَّرُهُمْ أَهْلُ الْجَمْعِ، وَبَعْضُهُمْ مَقْطَعَةٌ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ، وَبَعْضُهُمْ مُصَلَّبُونَ عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَارٍ، وَبَعْضُهُمْ أَشَدُّ نَشْنَاءً مِنَ الْجِيْفِ، وَبَعْضُهُمْ مُلْبَسُونَ جَبَابًا سَابِغَةً مِنْ قَطْرَانٍ لَازِقَةً بَجُلُودِهِمْ. فَأَمَّا الَّذِينَ عَلَى صُورَةِ الْقِرَدَةِ فَالْقُتَاتُ مِنَ النَّاسِ، وَأَمَّا الَّذِينَ عَلَى صُورَةِ الْخَنَازِيرِ فَأَهْلُ السُّحْتِ، وَأَمَّا الْمَنْكَسُونَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَأَكَلَةُ الرِّبَا، وَأَمَّا الْعُمِيُّ فَالَّذِينَ يَجُورُونَ فِي الْحُكْمِ، وَأَمَّا الصُّمُّ وَالْبُكْمُ فَالْمُعْجَبُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَأَمَّا الَّذِينَ يَمْضُغُونَ أَلْسِنَتَهُمْ فَالْعُلَمَاءُ وَالْقُصَّاصُ الَّذِينَ خَالَفَ أَقْوَالَهُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَأَمَّا الَّذِينَ قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ فَهُمْ الَّذِينَ يُوْذُونَ الْجِيرَانَ، وَأَمَّا الْمُصَلَّبُونَ عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَارٍ فَالسُّعَاةُ بِالنَّاسِ إِلَى السُّلْطَانِ، وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ نَشْنَاءً مِنَ الْجِيْفِ فَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ

(١) طه: ٥٤. (٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) وهو قول الكسائي. راجع تفسير القرطبي: ج ١٩ ص ١٧٤.

(٤) قاله مجاهد في تفسيره: ص ٦٩٥.

وَاللَّذَاتِ وَيَمْنَعُونَ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَأَمَّا الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الْجِبَابَ فَأَهْلُ الْكِبَرِ وَالْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ»^(١).

﴿وَفُتِحَتْ﴾ قُرِئَ بِالتَّشْدِيدِ^(٢) وَالتَّخْفِيفِ، وَالْمَعْنَى: كَثُرَتْ أَبْوَابُهَا الْمَفْتَحَةُ لِنَزُولِ الْمَلَائِكَةِ، كَأَنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا أَبْوَاباً مَفْتَحَةً، كَقَوْلِهِ: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾^(٣)، كَأَنَّ كُلَّهَا عُيُونٌ مَفْجَرَةٌ، وَقِيلَ: الْأَبْوَابُ: الطُّرُقُ وَالْمَسَالِكُ تُكْشَطُ فَيَنْفَتَحُ مَكَانُهَا وَيَصِيرُ طُرُقاً لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ^(٤). ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾^(٥) أَيْ: يَصِيرُ شَيْئاً كَلَّا شَيْءٍ لِيَتَفَرَّقَ أَجْزَائُهَا.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (٢١) لِّلطَّاعِينَ مَاءً (٢٢) لِّسِينٍ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِّلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَاءً (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٨ ص ٣٩٣ بطوله وعزاه الى ابن مردويه . وفيه: «القضاة» بدل «القصاص» .

(٢) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر . راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٦٨ .

(٣) القمر: ١٢ . (٤) حكاه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٤٠٢ .

(٥) الواقعة: ٦ .

أَلَمْرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَبَّابًا (٤٠) ﴿

الْمِرْصَادُ: الْحَدُّ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الرَّصْدُ، أَي: هِيَ حَدٌّ ﴿لِلطَّاعِينَ﴾ يُرْصَدُونَ فِيهِ لِلْعَذَابِ وَهِيَ مَا بَيْنَهُمْ ^(١)، أَوْ: هِيَ مِرْصَادُ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرْصَدُهُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَسْتَقْبِلُونَهُمْ عِنْدَهَا لِأَنَّ مَجَازَهُمْ عَلَيْهَا، وَهِيَ مَا بَيْنَ الطَّاعِينَ، وَعَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ: طَرِيقًا وَمَمَرًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ ^(٢).

وَقُرِئَ: ﴿لَيْثِينَ﴾ وَ «لَيْثِينَ» ^(٣) وَاللَّيْثُ أَقْوَى، لِأَنَّ اللَّابِثَ: مَنْ وُجِدَ مِنْهُ اللَّيْثُ، وَاللَّيْثُ مَنْ شَأْنُهُ اللَّيْثُ كَالَّذِي يَجْتُمُّ بِالْمَكَانِ لَا يَكَادُ يَنْفُكُ مِنْهُ ﴿أَحْقَابًا﴾ حُقْبًا بَعْدَ حُقْبٍ، كُلَّمَا مَضَى حُقْبٌ تَبِعَهُ حُقْبٌ إِلَى غَيْرِ نَهَايَةٍ، وَقِيلَ: الْحُقْبُ: ثَمَانُونَ سَنَةً ^(٤)، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا بَيْنَ فِيهَا أَحْقَابًا غَيْرَ ذَائِقِينَ ﴿بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ ثُمَّ يُبَدِّلُونَ بَعْدَ الْأَحْقَابِ غَيْرَ الْحَمِيمِ وَالْغَسَاقِ ^(٥). وَرُوِيَ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: هَذِهِ فِي الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ ^(٦).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: لَا يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ دَخَلَهَا حَتَّى يَمُكَّتْ فِيهَا أَحْقَابًا. [قَالَ ابْنُ عُمَرَ:] ^(٧) فَلَا يَتَّكِلَنَّ أَحَدٌ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ ^(٨).

(١) فِي نَسْخَةٍ: «مَا وَاهِم».

(٢) رَوَاهُ عَنْهُمَا الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ١٢ ص ٤٠٥.

(٣) قَرَأَهُ حَمْزَةً وَحْدَهُ. رَاجَعَ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٦٦٨.

(٤) وَهُوَ قَوْلُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابِي هُرَيْرَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَقَتَادَةَ وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ. رَاجَعَ تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ: ج ١٢ ص ٤٠٤، وَرَوَاهُ الصَّدُوقُ فِي مَعَانِي الْأَخْبَارِ: ص ٢٢٠ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٥) قَالَهُ الزَّجَّاجُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ: ج ٥ ص ٢٧٣.

(٦) رَوَاهُ الْعِيَّاشِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ كَمَا فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ: ج ١٠ ص ٤٢٤، وَفِي تَفْسِيرِ الْقَمِيِّ: ج ٢ ص ٤٠٢ بِالسَّنَدِ عَنْ حَمْرَانَ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٧) زِيَادَةٌ لَا بُدَّ مِنْهَا.

(٨) أَخْرَجَهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرَجِ: ج ٨ ص ٣٩٥ عَنْهُ وَعَزَاهُ إِلَى الْبَزَّارِ وَابْنِ مَرْدُوَيْهِ وَالدَّيْلَمِيِّ.

والاستِثْنَاءُ مَنْقُطِعٌ، والمعنى: لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَرَوْحًا يُنْفَسُ عَنْهُمْ حَرُّ النَّارِ، وَلَا شَرَابًا يُسَكِّنُ مِنْ عَطَشِهِمْ، وَلَكِنْ يَذُوقُونَ فِيهَا حَمِيمًا وَغَسَاقًا. وقيل: البَرْدُ: النَّوْمُ^(١)، قَالُوا: مَنَعَ الْبَرْدُ الْبَرْدَ، وَقُرِئَ: ﴿غَسَاقًا﴾ بِالتَّخْفِيفِ^(٢) وَالتَّشْدِيدِ، وَهُوَ مَا يَغْشَقُ أَي: يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ. ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ وَصِفَ بِالمَصْدَرِ، أَوْ: أُرِيدَ: ذَا وَفَاقٍ يُوَافِقُ أَعْمَالَهُمْ.

﴿كَذَابًا﴾ أَي: تَكْذِيبًا، وَ «فِعَالٌ» قِيَاسٌ فِي مَصْدَرٍ «فَعَّلَ» مِثْلُ: «فِعْلَالٌ» لـ «فَعَّلَ»، وَقُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ^(٣)، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤)، وَهُوَ مَصْدَرُ «كَذَبَ»، قَالَ الْأَعَشَى:

فَصَدَقْتُهَا، وَكَذَبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ^(٥)

فَيَكُونُ مِثْلُ: ﴿أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾^(٦)، يَعْنِي: وَكَذَبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا، أَوْ: أَنْتَصَبَ بـ ﴿كَذَبُوا﴾ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى «كَذَبُوا»، لِأَنَّ كُلَّ مَكْذِبٍ بِالحَقِّ كَاذِبٌ. ﴿كِتَبًا﴾ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ «إِخْصَاءٍ»، أَوْ: يَكُونُ: «أَخْصَيْنَا» فِي مَعْنَى: «كَتَبْنَا»، لِالتَّقَائِيهِمَا فِي مَعْنَى الضُّبْطِ وَالتَّحْصِيلِ، أَوْ: يَكُونُ حَالًا فِي مَعْنَى: مَكْتُوبًا فِي اللُّوحِ وَفِي صُحُفِ الْحَفَظَةِ. وَالْمَعْنَى: إِخْصَاءَ مَعَاصِيهِمْ، وَهُوَ أَعْتِرَاضٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَذُوقُوا﴾ مُسَبَّبٌ عَنْ كُفْرِهِمْ بِالحِسَابِ وَتَكْذِيبِهِمْ بِالآيَاتِ. وَعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذِهِ الْآيَةُ أَشَدُّ مَا فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ»^(٧). وَحَسْبُكَ بـ ﴿لَنْ

(١) قاله مجاهد والسدي وأبو عبيدة. راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ١٨٧.

(٢) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٦٩.

(٣) قرأه الكسائي وحده. راجع المصدر السابق.

(٤) رواه عنه النحاس في إعراب القرآن: ج ٥ ص ١٣٣.

(٥) لم نجده في ديوانه المطبوع، ومعناه واضح. انظر الكامل للمبرد: ج ٢ ص ٧٤٧.

(٦) نوح: ١٧.

(٧) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٩٠ مرسلاً.

نَزِيدَكُمْ ﴿وَبِمَجِيئِهَا عَلَى طَرِيقِ الْاِلْتِفَاتِ شَاهِدًا عَلَى أَنَّ الْغَضَبَ قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ.
 ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ فَوْزًا وَظَفَرًا بِالْبُغْيَةِ، أَوْ: مَوْضِعَ فَوْزٍ، وَقِيلَ: نَجَاةً مِمَّا فِيهِ
 أُولَئِكَ ^(١)، أَوْ: مَوْضِعَ نَجَاةٍ، وَفُسِّرَ «الْمَفَازُ» بِمَا بَعْدَهُ. وَالْحَدَائِقُ: الْبَسَاتِينُ فِيهَا
 أَنْوَاعُ الشَّجَرِ الْمُثْمِرِ، وَالْأَعْنَابُ: الْكُرُومُ. وَالْكَوَاعِبُ: اللَّاتِي تَكْعَبُ تَذِيهُنَّ
 وَتَفْلَكْتُ، وَالْأَثْرَابُ: اللَّدَاتُ. وَالذَّهَاقُ: الْمُتْرَعَةُ الْمَمْلُوءَةُ، وَأَذْهَقَ الْحَوْضَ: مَلَأَهُ.
 ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ وَلَا تَكْذِيبَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَقُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ أَيْضًا ^(٢) بِمَعْنَى الْكَذِبِ
 أَوْ الْمُكَادَّبَةِ، ﴿جَزَاءً﴾ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ مَنْصُوبٌ، بِمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾،
 كَأَنَّهُ قَالَ: جَازَى الْمُتَّقِينَ بِمَفَازٍ وَعَطَاءٍ، مَنْصُوبٌ «جَزَاءً» نَصَبَ الْمَفْعُولِ بِهِ، أَيِ:
 جَزَائِهِمْ ﴿عَطَاءً﴾، وَ﴿حِسَابًا﴾ صِفَةٌ بِمَعْنَى: كَافِيًا، مِنْ: أَحْسَبْتِي الشَّيْءَ: إِذَا كَفَانِي
 حَتَّى قُلْتُ: حَسْبِي، وَقِيلَ: عَلَى حَسَبِ أَعْمَالِهِمْ ^(٣).
 قُرِئَ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ وَ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بِالرَّفْعِ ^(٤) عَلَى: هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 الرَّحْمَنُ، أَوْ: «رَبُّ السَّمَوَاتِ» مَبْتَدَأُ «الرَّحْمَنُ» صِفَتُهُ وَ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ خَبَرٌ، أَوْ:
 هُمَا خَبَرَانِ، وَبِالْجَرِّ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ ﴿رَبِّكَ﴾، وَبِجَرِّ الْأَوَّلِ وَرَفْعِ الثَّانِي ^(٥) عَلَى أَنَّهُ
 مَبْتَدَأُ خَبَرِهِ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾، أَوْ: هُوَ الرَّحْمَنُ. وَالضَّمِيرُ فِي ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ لِأَهْلِ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَيِ: لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يَسْأَلُوا إِلَّا فِيمَا أُذِنَ لَهُمْ فِيهِ، كَقَوْلِهِ:
 ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَتْهُ﴾ ^(٦)، ﴿لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ^(٧).

(١) قاله مجاهد وقتادة. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٤١٠.

(٢) وهي قراءة الكسائي وحده كما تقدّم في كتاب السبعة.

(٣) قاله مجاهد. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٤١٣ - ٤١٤.

(٤) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٦٩.

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي. راجع المصدر السابق.

(٦) (٧) هود: ١٠٥.

(٦) الأنبياء: ٢٨.

و ﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾ يَتَعَلَّقُ بِـ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾، أو: بِـ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾، و ﴿الرُّوحُ﴾ مَلَكٌ مَا خَلَقَ اللَّهُ مَخْلُوقًا أَعْظَمَ مِنْهُ يَقُومُ وَحْدَهُ صَفًّا، وَتَقُومُ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا، وَقِيلَ: إِنَّ الرُّوحَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ لَيْسُوا بِمَلَائِكَةٍ وَلَا نَاسٍ يَقُومُونَ صَفًّا وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا، وَهُمَا سِمَاطَا رَبِّ الْعَالَمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(١)، وَقِيلَ: هُوَ جِبْرَائِيلُ ^(٢) ﴿صَفًّا﴾ أَي: مُصْطَفَيْنَ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ هُنَا الشَّفَاعَةُ.

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَحْنُ وَاللَّهُ الْمَأْذُونُونَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْقَائِلُونَ [صَوَابًا، أَي] نُمَجِّدُ رَبَّنَا، وَنُصَلِّي عَلَى نَبِيِّنَا، وَنُشْفَعُ لَشِيعَتِنَا، فَلَا يَرُدُّنَا رَبُّنَا ^(٣).

﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ مِنَ الْقَوْلِ، مُوَافِقًا لِلْغَرَضِ الْحُكْمِيِّ. ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ الَّذِي لَا شَكَّ فِي حُصُولِهِ وَكَوْنِهِ ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ مَرْجِعًا بِالطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَقَدْ أَزِيحَتِ الْعِلَلُ، وَأَوْضِحَتِ السُّبُلُ، وَبَلَغَتِ الرُّسُلُ.

وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْمَرْءِ: الْكَافِرُ ^(٤)، لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾، و«الْكَافِرُ» فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ ظَاهِرٌ وَضِعَ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ لَزِيَادَةِ الذَّمِّ ﴿مَا قَدَّمْتُ يَدَاهُ﴾ مِنَ الشَّرِّ، كَقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ﴾ ^(٥)، و«مَا» أَسْتَفْهَامِيَّةٌ مَنْصُوبَةٌ بِـ ﴿قَدَّمْتُ﴾ أَي: يَنْظُرُ أَيُّ شَيْءٍ قَدَّمْتُ يَدَاهُ، أَوْ: مَوْصُولَةٌ مَنْصُوبَةٌ بِـ ﴿يَنْظُرُ﴾ يُقَالُ: نَظَرْتُهُ بِمَعْنَى: نَظَرْتُ إِلَيْهِ، وَالرَّاجِعُ مِنَ الصَّلَةِ عَامٌّ، وَقِيلَ: إِنَّ ﴿الْمَرْءَ﴾ عَامٌّ، وَخُصِّصَ مِنْهُ الْكَافِرُ ^(٦)، وَعَنْ قَتَادَةَ: هُوَ الْمُؤْمِنُ ^(٧)

(١) قاله مجاهد وأبو صالح والأعمش. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٤١٥ - ٤١٦.

(٢) قاله الضحاك والشعبي. راجع المصدر السابق.

(٣) رواه البرقي في المحاسن: ص ١٨٣ ح ١٨٣ باسناده عن معاوية بن وهب.

(٤) قاله عطاء. راجع تفسير الرازي: ج ٣١ ص ٢٥.

(٥) آل عمران: ١٨٢. (٦) قاله البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٤٠.

(٧) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٩٢.

﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف، أو: ياليتني كنتُ تراباً في هذا اليوم ولم أبعث، وقيل: يُخْشَرُ الْحَيَوَانُ غَيْرُ الْمُكَلَّفِ حَتَّى يُقْتَصَّ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقُرْنَاءِ ثُمَّ تُرَدُّ تُرَابًا، فَيَتَمَنَّى الْكَافِرُ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ ^(١)، وقيل: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْكَافِرِ إِبْلِيسَ، عَابَ آدَمَ بَأْنَ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ وَأَفْتَخَرَ بِالنَّارِ، فَإِذَا رَأَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَرَامَةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ قَالَ: يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ^(٢).



(١) وهو قول عبدالله بن عمر وأبي هريرة، ورووه عن النبي ﷺ. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٤١٨ - ٤١٩.

(٢) حكاه الثعلبي عن أبي القاسم بن حبيب. راجع تفسير القرطبي: ج ١٩ ص ١٨٩.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، وَهِيَ سِتُّ وَأَرْبَعُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، خَمْسٌ غَيْرُهُمْ، ﴿وَلَا نَعْمِيكُمْ﴾ ^(٢)

كُوفِيٌّ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ النَّازِعَاتِ لَمْ يَكُنْ حِسَابُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَقَدْرِ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ» ^(٣).

وَعَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «مَنْ قَرَأَهَا أَمْ يَمُتْ إِلَّا رِيَّانًا، وَلَمْ يُبْعَثْ إِلَّا رِيَّانًا، وَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ إِلَّا رِيَّانًا» ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣)
فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٢٥٠: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ سِتُّ وَأَرْبَعُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ، وَخَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ فِي الْبَصْرِيِّ وَالْمَدَنِيِّينَ.
وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٦٩٢: مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ خَمْسٌ أَوْ سِتُّ وَأَرْبَعُونَ آيَةً، نَزَلَتْ بَعْدَ النَّبَأِ.
(٢) الْآيَةُ: ٣٣.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٧٠٠ مَرْسَلًا.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٩، وَفَقَهُ الرِّضَاءُ عليه السلام: ص ٤٦.

الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبُ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَيْذَا كُنَّا عِظَمًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦) ﴿

أَقْسَمَ عَزَّ أَسْمُهُ بِالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَنْزِعُ أَرْوَاحَ الْكَفَّارِ عَنْ أَبْدَانِهِمْ بِالشَّدَّةِ، كَمَا يَغْرُقُ النَّازِعُ فِي الْقَوْسِ فَيَبْلُغُ غَايَةَ الْمَدِّ، وَبِالْمَلَائِكَةِ الَّتِي «تَنْشِطُهَا» أَي: تُخْرِجُهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: نَشَطَ الدَّلْوُ مِنَ الْبُئْرِ: إِذَا أَخْرَجَهَا، وَبِالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَسْبَحُ فِي مُضِيِّهَا، أَي: تُسْرِعُ فَتَسْبِقُ إِلَى مَا أُمِرُوا بِهِ فَيَدْبُرُوا أُمُورَ الْعِبَادِ مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ.

وَقِيلَ: إِنَّهَا خَيْلُ الْغَزَاةِ الَّتِي تَنْزِعُ فِي أَعْنَتِهَا نَزْعًا، تَغْرُقُ فِيهَا الْأَعِنَّةُ لِبُطُولِ أَعْنَاقِهَا، وَالَّتِي تَخْرُجُ مِنْ دَارِ الْإِسْلَامِ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: ثَوْرٌ نَاشِطٌ: إِذَا خَرَجَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَالَّتِي تَسْبَحُ فِي جَرِيهَا فَتَسْبِقُ إِلَى الْغَايَةِ فَتُدْبِرُ أَمْرَ الظَّفَرِ وَالْغَلَبَةِ (١).

وَقِيلَ: إِنَّهَا النُّجُومُ الَّتِي تَنْزِعُ مِنْ أَفْقٍ إِلَى أَفْقٍ، وَإِغْرَاقُهَا فِي النَّزْعِ أَنْ تَقْطَعَ الْفَلَكَ كُلَّهُ، وَالَّتِي تَخْرُجُ مِنْ بُرْجٍ إِلَى بُرْجٍ، وَالَّتِي تَسْبَحُ فِي الْفَلَكَ مِنَ السَّيَّارَةِ فَيَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي السَّيْرِ، فَتُدْبِرُ أَمْرًا قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ (٢).

(١) قاله عطاءه في الجملة. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٤٢٠ - ٤٢٤.

(٢) قاله الحسن وقتادة. راجع المصدر السابق.

وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ مَحذُوفٌ وَهُوَ: لَتُبْعَثَنَّ، و ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ منصوبٌ بهذا المضمَرِ،
و ﴿الرَّاجِفَةُ﴾: الصَّيْحَةُ الَّتِي تَرْجُفُ عِنْدَهَا الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، وَهِيَ النَّفْخَةُ الْأُولَى،
وُصِفَتْ بِمَا يَحْدُثُ بِحُدُوثِهَا. ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ تَرْدُفُ الْأُولَى،
وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْحَالِ، وَالْمَعْنَى: لَتُبْعَثَنَّ فِي الْوَقْتِ الْوَاسِعِ الَّذِي تَقَعُ
فِيهِ النَّفْخَتَانِ، وَهُم يُبْعَثُونَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَهُوَ وَقْتُ النَّفْخَةِ الْأَخِيرَةِ. وَيَجُوزُ
أَنْ يَنْتَصِبَ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أَي: يَوْمَ تَرْجُفُ
وَجَفَتِ الْقُلُوبُ، وَالْوَجِيفُ وَالْوَجِيبُ أَخَوَانِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا قَلِقَةٌ مُضْطَرِبَةٌ غَيْرُ
هَادِئَةٍ لِمَا عَايَنَتْ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾ أَي: ذَلِيلَةً، و ﴿قُلُوبٌ﴾ مَبْتَدَأٌ، ﴿وَاجِفَةٌ﴾ صِفَتُهَا، و
﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾ خَبَرُهُ، وَأَضَافَ «الْأَبْصَارُ» إِلَى «الْقُلُوبِ»، وَالْمُرَادُ: أَبْصَارُ
أَصْحَابِهَا، يَدُلُّ عَلَيْهِ: ﴿يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَزْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أَي: فِي الْحَالَةِ الْأُولَى،
يَعْنُونَ الْحَيَاةَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَصْلُهَا: رَجَعَ فُلَانٌ فِي حَافِرَتِهِ، أَي: فِي طَرِيقَتِهِ الَّتِي
جَاءَ فِيهَا فَحَفَرَهَا أَي: أَثَّرَ فِيهَا، بِمَشْيِهِ فِيهَا جَعَلَ أَثَرَ قَدَمَيْهِ حُفْرًا، وَقِيلَ: حَافِرَةٌ كَمَا
قِيلَ: ﴿عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ^(١) أَي: مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْحَفْرِ وَإِلَى الرِّضَا ^(٢)، ثُمَّ قِيلَ لِمَنْ كَانَ
فِي أَمْرِ فَخَرَجُ مِنْهُ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ: رَجَعَ إِلَى حَافِرَتِهِ، أَي: إِلَى طَرِيقَتِهِ وَحَالَتِهِ الْأُولَى،
قَالَ:

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارٍ ^(٣)

(١) الْحَاقَّةُ: ٢١، وَالْقَارِعَةُ: ٧.

(٢) قَالَ ابْنُ عَيْسَى. رَاجِعَ تَفْسِيرِ الْمَاورِدِي: ج ٦ ص ١٩٥.

(٣) أَنشَدَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، يَقُولُ: أَبْعَدُ الشَّيْبِ وَالْهَرَمُ أَعُودَ إِلَى طَرِيقَتِي الْأُولَى مِنَ الشَّبَابِ
وَالصَّبَا حَيْثُ الطَّيْشُ وَالْجَهْلُ؟ أَنْظِرْ شَوَاهِدَ الْكَشَافِ: ص ٤٦٦.

يريد: أَرْجُو عاً إِلَى حَافِرَةٍ؟ وَقَالُوا: النَّقْدُ عِنْدَ الْحَافِرَةِ، يُرِيدُونَ: عِنْدَ الْحَالَةِ الْأُولَى، وَهِيَ الصَّفْقَةُ. قُرِئَ: ﴿نَخِرَةً﴾ و «نَاخِرَةً»^(١) يُقَالُ: نَخَرَ الْعَظْمُ فَهُوَ نَخِرٌ وَنَاخِرٌ، وَ«فَعِلٌ» أُبْلَغُ مِنْ «فَاعِلٍ»، وَهُوَ الْبَالِي الْأَجُوفُ الَّذِي يَمُرُّ فِيهِ الرِّيحُ فَيُسْمَعُ لَهُ نَخِيرٌ. و ﴿إِذَا﴾ مَنْصُوبٌ بِمَحذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: إِذَا كُنَّا عِظَاماً بَالِيَةً مَتَفَتَّةً نُبْعَثُ وَنُرَدُّ أَحْيَاءً؟ ﴿قَالُوا تِلْكَ﴾ الْكَرَّةُ ﴿إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْخُسْرَانِ، أَوْ: خَاسِرٌ أَصْحَابُهَا بِمَعْنَى: أَنَّهَا إِنْ صَحَّتْ فَتَحْنُ إِذَا خَاسِرُونَ لِتَكْذِيبِنَا بِهَا، وَهَذَا اسْتِهْزَاءٌ مِنْهُمْ.

وَتَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ بِمَحذُوفٍ، مَعْنَاهُ: لَا تَسْتَضَعُبُوهَا وَلَا تَحْسَبُوهَا صَعْبَةً عَلَى اللَّهِ ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ﴾ أَي: صَيْحَةٌ ﴿وَاحِدَةٌ﴾ هَيْئَةً سَهْلَةً فِي قُدْرَتِهِ، وَهِيَ التَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ. ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أَحْيَاءٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَمْوَاتاً فِي جَوْفِهَا، و ﴿السَّاهِرَةَ﴾ الْأَرْضُ الْبَيضاءِ الْمَسْتَوِيَّةُ، وَسُمِّيَتْ سَاهِرَةً لِأَنَّ السَّرَابَ يَجْرِي فِيهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: عَيْنٌ سَاهِرَةٌ: جَارِيَةُ الْمَاءِ، و «نَائِمَةٌ» ضِدُّهَا، قَالَ: وَسَاهِرَةٌ يُضْحِي السَّرَابُ مُجَلَّلاً أَوْ: لِأَنَّ سَالِكَهَا لَا يَنَامُ خَوْفَ الْهَلَاكِ.

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ. تَقُولُ: هَلْ لَكَ فِي كَذَا، وَ: هَلْ لَكَ إِلَى كَذَا، كَمَا تَقُولُ: هَلْ تَرْغَبُ فِيهِ، وَ: هَلْ تَرْغَبُ إِلَيْهِ ﴿تَزَكَّى﴾ تَزَكَّى، أَي: تَتَطَهَّرُ مِنَ الشُّرْكِ، وَقُرِئَ: «تَزَكَّى» بِالْإِدْغَامِ^(٣). ﴿وَأَهْدِيكَ﴾ وَأَرْشِدُكَ ﴿إِلَى﴾ مَعْرِفَةِ

(١) قرأه حمزة وعاصم برواية أبي بكر عنه. وأما الكسائي فكان الدوري يروي عنه: أَنَّهُ كَانَ لَا يِبَالِي كَيْفَ قَرَأَهَا بِالْفُ أَمْ بِغَيْرِ الْفُ. أَي: كَانَ يَقْرَأُ الْوَجْهَيْنِ. رَاجِعَ كِتَابُ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٦٧٠ - ٦٧١.

(٢) لِالْشَّعْثِ بْنِ قَيْسٍ يَصِفُ أَرْضاً بَيضاءَ كَانَ يَجُوبُهَا مُتَلَثِّمًا لَخُوفِ الْحَرِّ وَالرِّيَّاحِ. رَاجِعَ شَرْحَ شَوَاهِدِ الْكَشَافِ: ص ٤٨٧.

(٣) أَي بِتَشْدِيدِ الزَّايِ، قَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو بِرَوَايَةِ عَبَّاسٍ عَنْهُ. رَاجِعَ كِتَابُ السَّبْعَةِ ←

﴿رَبُّكَ فَتَخْشَى﴾ لَأَنَّ الْخَشْيَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) أي: العلماءُ به. بَدَأَ فِي مَخَاطَبَتِهِ بِالْإِسْتِفْهَامِ الَّذِي مَعْنَاهُ الْعَرْضُ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِضَيْفِهِ: هَلْ لَكَ أَنْ تَنْزِلَ بِنَا، وَأَرَدَفَهُ الْكَلَامَ الرَّقِيقَ لِيَسْتَدْعِيَهُ بِالْتَّلَطُّفِ وَيَسْتَنْزِلَهُ بِالْمُدَارَاةِ مِنْ عُتُوِّهِ، كَمَا أَمَرَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيَنَّا﴾^(٢).

و ﴿الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ قَلْبُ الْعَصَا حَيَّةٌ لِأَنَّهَا كَانَتْ الْأَصْلَ، وَ «الْآيَةُ الْآخَرَى»^(٣) كَالْتَّبَعِ لَهَا، أَوْ: أَرَادَ الْعَصَا وَالْيَدَ الْبَيْضَاءَ وَجَعَلَهُمَا وَاحِدَةً، لِأَنَّ الثَّانِيَةَ كَانَتْ مِنَ الْأُولَى لَكُونِهَا تَابِعَةً لَهَا. ﴿فَكَذَّبَ﴾ بِمُوسَى وَالْآيَةِ، وَسَمَّاهُمَا: سَاحِرًا وَسِحْرًا ﴿وَعَصَى﴾ اللَّهُ. ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ لَمَّا رَأَى الثُّعْبَانَ مَرْغُوبًا ﴿يَسْعَى﴾ فِي مَشْيَتِهِ، أَوْ: أَدْبَرَ وَتَوَلَّى عَنْ مُوسَى يَسْعَى وَيَجْتَهِدُ فِي كَيْدِهِ. ﴿فَحَشَرَ﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةَ ﴿فَنَادَى﴾ فِي الْمَقَامِ الَّذِي اجْتَمَعُوا فِيهِ مَعَهُ، أَوْ: أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي فِي النَّاسِ بِذَلِكَ. ﴿نَكَالَ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ، كَ ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾^(٤)، وَ ﴿صَبَغَهُ اللَّهُ﴾^(٥)، كَأَنَّهُ قَالَ: نَكَّلَ اللَّهُ بِهِ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، وَالنَّكَالُ بِمَعْنَى التَّنْكِيلِ، كَالسَّلَامِ وَالْكَلامِ، يَعْنِي: الْإِغْرَاقَ فِي الدُّنْيَا وَالْإِخْرَاقَ فِي الْآخِرَةِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَكَالَ كَلِمَتَيْهِ: كَلِمَتُهُ الْأُولَى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾^(٦)، وَالْآخِرَةُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(٧)، وَكَانَ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَقِيلَ: عَشْرُونَ^(٨).

(١) فاطر: ٢٨.

→ في القراءات: ص ٦٧١.

(٢) طه: ٤٤.

(٣) أراد قوله تعالى: ﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْنَظًا مِنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَى﴾

طه: ٢٢.

(٤) وردت في مواضع كثيرة من القرآن.

(٦) القصص: ٣٨.

(٥) البقرة: ١٣٨.

(٧) تفسير ابن عباس: ص ٥٠٠.

(٨) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٦٩٦.

﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَسْهَا﴾ (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَسَهَا (٣٢) مَتَعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَءَاثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦) ﴿

الخطابُ لِمُنْكَرِي الْبَعْثِ، أي: ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ أَصْعَبُ ﴿خَلْقًا﴾ وَإِنْشَاءً ﴿أَمْ السَّمَاءُ﴾؟ ثُمَّ بَيَّنَّ كَيْفَ خَلَقَ السَّمَاءَ فَقَالَ: ﴿بَنَسَهَا﴾، ثُمَّ بَيَّنَّ الْبِنَاءَ فَقَالَ: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ أي: جَعَلَ مِقْدَارَ ذَهَابِهَا فِي سَمْتِ الْعُلُوِّ مَدِيداً رَفِيعاً ﴿فَسَوَّيْنَهَا﴾ فَعَدَّلَهَا مُسْتَوِيَةً بِلَا شُقُوقٍ وَلَا فُطُورٍ، أَوْ: فَتَمَّمَهَا بِمَا عَلِمَ أَنَّهَا تَتِمُّ بِهِ وَأَصْلَحَهَا، مِنْ قَوْلِكَ: سَوَّى فُلَانٌ أَمْرَ فُلَانٍ. ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ يَقَالُ: أَغْطَشَ اللَّيْلُ وَأَغْطَشَهُ اللَّهُ، ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أَبْرَزَ ضَوْءَ شَمْسِهَا، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ ^(١) يُرِيدُ: وَضَوِّيَّهَا، وَأَضَافَ «اللَّيْلَ» وَ«الضُّحَى» إِلَى السَّمَاءِ لِأَنَّ مِنْهَا مُنْشَأَ الظَّلَامِ وَالضِّيَاءِ بِغُرُوبِ الشَّمْسِ وَطُلُوعِهَا.

﴿وَالْأَرْضَ﴾ مِنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ: دَحَا، وَهُوَ الْإِضْمَارُ قَبْلَ الذِّكْرِ عَلَى شَرِيطَةِ

التفسير، وكذا قوله: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ ولم يدخل حرف العطف على ﴿أَخْرَجَ﴾ لأنه فسر الدَّخْو الذي هو التمهيد للأرض والبسط للسكنى بما لا بد منه في تأتي سكناها، من: تسوية أمر المأكَل والمشرب، وإمكان القرار عليها بإخراج الماء والمرعى، وإرساء الجبال أو تادأ لها لتستقر ويستقر عليها. وأراد بـ ﴿مَرْعَاهَا﴾ ما يأكل الإنسان والأنعام، واستعير الرعي للإنسان كما استعير الرثع في قوله: ﴿نَزَعَ وَنَلَعَبَ﴾^(١)، وقرئ: «نَزَعَ»^(٢) من الرعي، ولهذا قيل: دلَّ الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الأرض^(٣). ﴿مَتَعَا لَكُمْ﴾ أي: فعل ذلك تمثيلاً لكم ﴿وَلَا نَعْمِكُمْ﴾ لأنَّ منفعة ذلك واصله إلى الجميع.

﴿الطَّامَّةُ﴾: الداهية التي تطم على الدواهي، أي: تعلو وتغلب، وفي المثل: «جرى الوادي فطم على القرى»^(٤)، وهي القيامة. ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ﴾ بدل من ﴿إذا جاءت﴾، ﴿مَا سَعَى﴾ أي: ما عمله من خير وشر إذا رآه مدوناً في كتابه تذكّره وكان قد نسيه، كقوله: ﴿أَخْصَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾^(٥). ﴿وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ﴾ أي: أظهرت إظهاراً مكشوفاً بيناً لكل أحد.

فأمّا جواب قوله: ﴿فَإِذَا﴾ أي: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ﴾: فإنَّ الأمر كذلك، والمعنى: فإنَّ الجحيم مأواه، كما تقول للرجل: غصَّ الطرف أي: طرّفك، وليس

(١) القراءة بالنون هنا في سورة يوسف: ١٢ إنما هي قراءة أبي عمرو وابن عامر. وذكره المصنف تبعاً للكشاف، وإلا فقراءة حفص عن عاصم وعامة أهل الكوفة بالياء والجزم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٣٤٦.

(٢) أي: بالنون وكسر العين من: ارتعى يرتعي بمعنى: رعى، نفتعل من الرعي. وهي قراءة ابن كثير. راجع المصدر السابق: ص ٣٤٥.

(٣) قاله القتيبي. راجع تفسير السمرقندي: ج ٤ ص ٤٤٥.

(٤) أي: جرى سيل الوادي فدفن القرى، والقرى: مجرى الماء في الروضة، والجمع: أقرية وقريان، يضرب عند تجاوز الشرّ حدّه. انظر مجمع الأمثال للميداني: ج ١ ص ١٦٦.

(٥) المجادلة: ٦.

الْأَلْفُ وَاللَّامُ بَدَلًا مِنَ الْإِضَافَةِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ ^(١)، وَلَكِنْ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الطَّاعِيَّ هُوَ صَاحِبُ ﴿الْمَأْوَى﴾ تَرَكْتَ الْإِضَافَةَ، وَدَخُولُ حَرْفِ التَّعْرِيفِ فِي ﴿الْمَأْوَى﴾ لِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ. وَ﴿هِيَ﴾ فَضْلٌ أَوْ مَبْتَدَأٌ. ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ الْمُرْدِي، وَهُوَ أَتْبَاعُ الشَّهَوَاتِ وَضَبْطُهَا بِالصَّبْرِ.

﴿أَيَّانَ مُرْسَلَهَا﴾ مَتَى إِرْسَاؤُهَا أَيَّ: إِقَامَتُهَا، وَالْمُرَادُ: مَتَى يُقِيمُهَا اللَّهُ وَيُكَوِّنُهَا وَيُثَبِّتُهَا. ﴿فِيمَ أَنْتَ﴾ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ مِنْ أَنْ تَذْكُرَ وَقْتَهَا لَهُمْ؟ وَالْمُرَادُ: مَا أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا لَهُمْ وَتَبَيُّنِ وَقْتِهَا فِي شَيْءٍ. ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ مُنْتَهَى عِلْمِهَا، لَمْ يُؤْتِ عِلْمُهَا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَقِيلَ: ﴿فِيمَ﴾ إِنكَارٌ لِسُؤَالِهِمْ، أَيَّ: فِيمَ هَذَا السُّؤَالِ ^(٢)، ثُمَّ قِيلَ: أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا أَيَّ: إِرْسَاؤُكَ - وَأَنْتَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ الْمُبْعُوثُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ - ذِكْرُ مَنْ ذَكَرَها وَعَلَامَاتِها، فَكَفَّاكُمْ بِذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى اقْتِرَائِهَا وَوَجُوبِ الاسْتِعْدَادِ لَهَا، وَلَا مَعْنَى لِسُؤَالِهِمْ عَنْهَا.

وَقُرِئَ: ﴿مُنْذِرٌ﴾ مُنَوَّنًا ^(٣) وَبِالْإِضَافَةِ، وَكِلَاهُمَا يَصْلُحُ لِلْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ، وَإِذَا أُريدَ الْمَاضِي فَلَيْسَ إِلَّا الْإِضَافَةُ. وَالْمَعْنَى: أَنَّكَ لَمْ تُبْعَثْ لِتُعَلِّمَهُمْ بِوَقْتِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا بُعِثْتَ لِتُنْذِرَ مَنْ أَهْوَاهَا مَنْ يَكُونُ إِندَارُكَ لُطْفًا لَهُمْ فِي الْخَشْيَةِ مِنْهَا. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾ فِي الدُّنْيَا، أَوْ: فِي الْقُبُورِ ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ أَضَافَ «الضُّحَى» إِلَى «الْعَشِيَّةِ» لِاجْتِمَاعِهَا فِي نَهَارٍ وَاحِدٍ، وَمِثْلُهُ: ﴿كَأَن لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ ^(٤)، وَالْمَعْنَى: إِلَّا قَدَرَ آخِرَ نَهَارٍ أَوْ أَوَّلَهُ.



(١) وهو مذهب الكوفيّين. راجع إعراب القرآن للنحاس: ج ٤ ص ٤٧.

(٢) وهو قول ابن عباس. راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ٢٠٠.

(٣) قرأه أبو عمرو برواية عباس عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٧١.

(٤) يونس: ٤٥.

سُورَةُ عَبَسَ

مَكِّيَّةٌ ^(١) وَهِيَ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ آيَةً كُوفِيَّةٌ، وَآيَةُ بَصْرِيَّةٌ عَدَّ الْكُوفِيُّ ﴿وَلَا تَعْمَلُوا﴾ ^(٢).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ عَبَسَ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ ضَا حِكٌ مُسْتَبْشِرٌ» ^(٣).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ عَبَسَ وَ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ كَانَ فِي ظِلِّ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ فِي جَنَانِهِ» ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى (٣)
أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَفْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦)﴾

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٢٦٧: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ وَالْمَدَنِيِّينَ، وَإِحْدَى وَأَرْبَعُونَ فِي الْبَصْرِيِّ.
وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٠٠: مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٤٢) وَقِيلَ: (٤١) نَزَلَتْ بَعْدَ النِّجْمِ.
(٢) الْآيَةُ: ٣٢.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٠٦ مَرْسَلًا.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٩ وَفِيهِ بَلْفُظٌ: «كَانَ تَحْتَ جَنَاحِ اللَّهِ مِنَ الْخِيَانَةِ، وَفِي ظِلِّ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، وَفِي جَنَانِهِ، وَلَا يَعْظَمُ ذَلِكَ عَلَى رَبِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزْكِي (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) ﴿

أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شُرَيْحِ بْنِ مَالِكِ الْفَهْرِيِّ، وَهُوَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَعِنْدَهُ صِنَادِيدُ قُرَيْشٍ: أَبُو جَهْلٍ بْنُ هَشَامٍ، وَعُثْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَخُوهُ شَيْبَةَ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبِي وَأُمِّيَّةُ ابْنَا خَلْفٍ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ رَجَاءً أَنْ يُسَلِّمَ بِإِسْلَامِهِمْ غَيْرُهُمْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرِئْنِي وَعَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ تَشَاغُلُهُ بِالْقَوْمِ، فَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَطْعَهُ لِكَلَامِهِ، وَعَبَسَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ يُكَلِّمُهُمْ ^(١)، فَتَزَلَّتْ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْرِمُهُ وَيَقُولُ إِذَا رَأَاهُ «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي» وَأَسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ مَرَّتَيْنِ (٢) (٣).

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي تَعْلِيْقًا عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ: وَهَذَا فَاسِدٌ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَهُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَكَيْفَ يَصِفُهُ بِالْعُبُوسِ وَالتَّقْطِيبِ وَقَدْ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ؟! وَقَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى فِي جَوَابِهِ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: أَمَّا ظَاهِرُ الْآيَةِ فَغَيْرُ دَالٍّ عَلَى تَوَجُّهٍهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ خَطَابٌ لَهُ ﷺ بَلْ هِيَ خَبَرٌ مُحْضٌ لَمْ يَصْرَحْ بِالْمَخْبَرِ عَنْهُ، وَفِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى التَّأَمُّلِ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى بِهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ، لِأَنَّهُ وَصَفَهُ بِالْعُبُوسِ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُرْآنٍ وَلَا خَبَرٍ مَعَ الْأَعْدَاءِ الْمُنَابِذِينَ فَضْلًا عَنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَرَشِدِينَ. انْظُرِ التَّبْيَانُ: ج ١٠ ص ٢٦٨، وَتَنْزِيهِ الْأَنْبِيَاءِ لِلشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى عِلْمُ الْهُدَى: ص ١١٨ - ١١٩.

(٢) انْظُرِ أَسْبَابَ النُّزُولِ لِلوَاحِدِيِّ: ص ٣٨٥ ح ٩٠٣.

(٣) فِي الْمَجْمَعِ بَعْدَ نَقْلِهِ هَذِهِ الرِّوَايَةَ وَجَوَابَ عِلْمِ الْهُدَى قَالَ: وَقَدْ رَوَى عَنْ الصَّادِقِ ﷺ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ تَقَدَّرَ مِنْهُ ←

﴿أَنْ جَاءَهُ﴾ منصوبٌ بـ ﴿تَوَلَّى﴾ و ﴿عَبَسَ﴾ على اختلاف المذهبين، ومعناه: عَبَسَ لَأَنْ جَاءَهُ الأعمى وأعرضَ لذلك، وروى أنه عليه السلام ما عَبَسَ بعدها في وجهه فقير قط، ولا تَصَدَّى لِعَنِّي^(١) ﴿وَمَا يُذْرِيكَ﴾ أي: وأي شيء يجعلك دارياً بحال هذا الأعمى ﴿لَعَلَّهُ يَزْكِي﴾ أي: يتطهر بما يتلقن من الشرائع ويتعلم. ﴿أَوْ يَذْكُرُ﴾ أو يتعظ ﴿فَتَنْفَعُهُ﴾ ذكراك أي: موعظتك، وقيل: إن الضمير في ﴿لَعَلَّهُ﴾ للكافر^(٢). والمعنى: إِنَّكَ طَمَعْتَ في أَنْ يَتَزَكَّى بالإسلام أو يَتَذَكَّرَ وَيَقْبَلَ الحقَّ، وما يُذْرِيكَ أَنْ ما طَمَعْتَ فيه كائِنْ؟ وقرئ: ﴿فَتَنْفَعُهُ﴾ بالرفع^(٣) عطفاً على ﴿يَذْكُرُ﴾، وبالنصب جواباً لـ «لعل».

﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ تَصَدَّى أي: تتعرض بالإقبال عليه، وقرئ: «تَصَدَّى» بإدغام التاء في الصاد^(٤)، وقرأ الباقر عليه السلام: «تَصَدَّى» و «تَلَهَّى» بضم التاء فيهما^(٥)، والمعنى: يدعوك داع إلى التصدِّي له من الحرص على إسلامه، ويلهيكَ شَأْنُ الصناديد عنه. ﴿وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزْكِي﴾ وليس عليك بأس، أو: أي شيء عليك في أَنْ لا يَتَزَكَّى بالإسلام، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْعُ﴾^(٦).

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ في طلب الخير ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ الله، أو: يَخْشَى الكُفَّارَ. وإذا همَّ في إثيانك ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ تتشاغل، من: لهي عنه وتلهي.

وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه.

(١) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٠١ مرسلًا.

(٢) قاله ابن اسحاق. راجع تفسير الشعالي: ج ٣ ص ٤٤٢.

(٣) هي قراءة الجمهور إلا عاصماً وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٧٢.

(٤) قرأه ابن كثير ونافع. راجع المصدر السابق.

(٥) أنظر شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٦٩.

(٦) الشورى: ٤٨.

﴿كَلَّا﴾ رَدُّعٌ عَنْ مُعَاوَدَةِ مِثْلِهِ ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي: مَوْعِظَةٌ يَجِبُ الِاتِّعَاطُ بِهَا. ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ أي: كَانَ حَافِظًا لَهُ غَيْرَ نَاسٍ، وَذَكَرَ الضَّمِيرُ لِأَنَّ «التَّذْكِرَةَ» فِي مَعْنَى «الذِّكْر».

﴿فِي صُحُفٍ﴾ صِفَةٌ لـ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ يَعْنِي: أَنَّهَا مُثَبَّتَةٌ فِي صُحُفٍ مُنْتَسِخَةٍ مِنَ اللُّوحِ ﴿مُكْرَمَةٍ﴾ عِنْدَ اللَّهِ. ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ فِي السَّمَاءِ، أَوْ: مَرْفُوعَةِ الْمِقْدَارِ ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ مُنْزَهَةً عَنِ الشَّيَاطِينِ، لَا يَمُسُّهَا إِلَّا ﴿أَيْدِي﴾ مَلَائِكَةِ مُطَهَّرِينَ ﴿سَفَرَةٍ﴾ كَتَبَتْهُ يَنْتَسِخُونَ الْكُتُبَ مِنَ اللُّوحِ. ﴿كِرَامٍ﴾ عَلَى رَبِّهِمْ ﴿بَرَّةٍ﴾ أَتْقِيَاءَ، وَقِيلَ: هِيَ صُحُفُ الْأَنْبِيَاءِ ^(١)، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ^(٢).

﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾ دُعَاءٌ عَلَيْهِ ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ تَعَجُّبٌ مِنْ إِفْرَاطِهِ فِي كُفْرَانِ نِعَمِ اللَّهِ عَزَّ أَسْمُهُ. ثُمَّ وَصَفَ حَالَهُ مُنْذُ ^(٣) مَبْدَأِ خُذُوثِهِ إِلَى مُنْتَهَاهُ، وَمَا هُوَ مَغْمُورٌ فِيهِ مِنْ أَصُولِ النِّعَمِ وَفُرُوعِهَا الدَّاعِيَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ، الْمَوْجِبَةِ لِلشُّكْرِ وَالْعِبَادَةِ، فَقَالَ: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أَي: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ حَقِيرٍ مَهِينٍ أَنْشَأَهُ وَابْتَدَأَهُ؟ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ الشَّيْءَ فَقَالَ: ﴿مَنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ فَهَيَّأَهُ لِمَا يَصْلُحُ لَهُ وَيَخْتَصُّ بِهِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَطَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ: نُطْفَةٌ ثُمَّ عَلَقَةٌ إِلَى آخِرِ خَلْقِهِ. ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾: نُصِبَ ﴿السَّبِيلَ﴾ بِمُضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ: ﴿يَسَّرَهُ﴾ وَمَعْنَاهُ: ثُمَّ سَهَّلَ سَبِيلَهُ وَهُوَ مُخْرِجُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، أَوْ: السَّبِيلَ الَّذِي يَخْتَارُ سُلُوكَهُ مِنْ طَرِيقِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِإِقْدَارِهِ وَتَمَكُّنِهِ، وَنَحْوُهُ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ^(٤)، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: بَيَّنَ لَهُ سَبِيلَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ^(٥). ﴿فَأَقْبَرَهُ﴾ فَجَعَلَهُ ذَا قَبْرِ يُوَارَى فِيهِ تَكْرُمَةً لَهُ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَطْرُوحًا بِالْعَرَاءِ جَزْرًا

(١) قاله قتادة. راجع تفسير عبدالرزاق: ج ٢ ص ٢١٦.

(٢) في بعض النسخ: «من» بدل «منذ».

(٥) تفسير ابن عباس: ص ٥٠٢.

(٢) الأعلى: ١٨.

(٤) البلد: ١٠.

للسَّباعِ والطَّيْرِ. ﴿أَنْشَرَهُ﴾ أَنْشَأَهُ النَّشْأَةَ الْآخِرَى.

﴿كَلَّا﴾ رَدُّعٌ لِلإِنْسَانِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ بَعْدَ تَطَاوُلِ الدَّهْوَرِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ﴿مَا أَمَرَهُ﴾ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى يَخْرُجَ عَنْ جَمِيعِ أَوَامِرِهِ وَيُؤَدِّيَ حَقَّ نِعَمِهِ عَلَيْهِ مَعَ كَثَرَتِهَا، وَلَمَّا يَعْبُدُهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَاقٍ غُلْبًا (٣٠) وَفَكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَلِكَ شَأْنٌ يُوَفِّيهِ (٣٧) وَجُودٌ يَوْمَ ذَلِكَ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُودٌ يَوْمَ ذَلِكَ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢) ﴿لَمَّا عَدَّدَ سُبْحَانَهُ النَّعَمَ فِي نَفْسِهِ أَتْبَعَهَا بِذِكْرِ النَّعَمِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَقَالَ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ الَّذِي يَتَقَوَّتُهُ كَيْفَ هَيَّأْنَاهُ لِرِزْقِهِ ﴿أَنَا صَبَبْنَا﴾ قُرِئَ بِالْكَسْرِ^(١) عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ، وَبِالْفَتْحِ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ «الطَّعَامِ»، وَيَعْنِي بِالْمَاءِ: الْغَيْثَ ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ بِالنَّبَاتِ. وَأَرَادَ بِالْحَبِّ: جِنْسَ الْحُبُوبِ الَّتِي يُتَعَدَّى بِهَا. وَخَصَّ «الْعِنَبَ» لِكَثْرَةِ مَنَافِعِهِ، وَ«الْقَضْبَ»: الرُّطْبَةُ تُقْتَضَبُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى لِعَلْفِ الدَّوَابِّ. ﴿وَحَدَاقٍ غُلْبًا﴾ مُلْتَفَّةَ الشَّجَرِ، وَأَصْلُهَا: الْغُلْبُ الرَّقَابِ لِغِلَظِهَا، فَاسْتُعِيرَ وَالْأَبُّ: الْمَرْعَى لِأَنَّهُ يُؤَبُّ أَيُّ: يُؤَمُّ وَيُنْتَجِعُ، وَالْأَبُّ وَالْأُمُّ أَخَوَانِ، قَالَ: جِذْمُنَا قَيْسٌ وَنَجْدٌ دَارُنَا وَلَنَا الْأَبُّ بِهِ وَالْمَكْرَعُ^(٢)

(١) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٧٢.

(٢) لم نعثر على قائله، وفيه يفخر الشاعر بأصله وقومه. والجِذْمُ: الأصل، والمَكْرَعُ: الماء ←

﴿مَتَعَا لَكُمْ﴾ أي: تَمَتُّعاً. و ﴿الصَّاحَّةُ﴾: صَنِحَةُ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهَا تَصُحُّ الْآذَانَ، تُبَالِغُ فِي سَمَاعِهَا حَتَّى تَكَادَ تُصِثُّهَا. ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنَ﴾ أَقْرَبِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، لَا شَتِغَالِهِ بِمَا هُوَ مَذْفُوعٌ إِلَيْهِ، أَوْ: لِلْحَذَرِ مِنْ مَطَالِبَتِهِمْ بِالتَّبِعَاتِ، يَقُولُ الْأَخُّ: لَمْ تُوَاسِنِي بِمَالِكَ، وَالْأَبْوَانِ: قَصَّرْتَ فِي بَرِّنَا، وَالصَّاحِبَةُ: أَطْعَمْتَنِي الْحَرَامَ وَفَعَلْتَ وَصَنَعْتَ، وَالْبُنُونُ: لَمْ تُرْشِدْنَا وَلَمْ تُعَلِّمْنَا. ﴿يُغْنِيهِ﴾ يَكْفِيهِ فِي الْاهْتِمَامِ بِهِ. ﴿وُجُوهٌ... مُسْفِرَةٌ﴾ مُضِيئَةٌ مُتَهَلِّلَةٌ، مِنْ: أَسْفَرَ الصُّبْحُ: إِذَا أَضَاءَ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ^(١).

وفي الحديث: «مَنْ كَثُرَ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ» ^(٢).
وَالْغَبْرَةُ: الْغُبَارُ. ﴿تَزْهَقُهَا﴾ أي: تَعْلُوهَا ﴿قَتْرَةٌ﴾ وَهِيَ السَّوَادُ كَالدُّخَانِ.



→ الصالح للشرب. أنظر لسان العرب: مادة «أب». وفيه ما يجدر بإيراده، قال: وفي حديث أنس: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَرَأَ قَوْلَهُ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ وقال: فما الأب؟ ثم قال: ما كَلَّفْنَا وَمَا أَمَرْنَا بِهِذَا!!

(١) تفسير ابن عباس: ص ٥٠٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن: ج ١ ص ٤٢٢ ح ١٣٣٣ عن جابر.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ^(١)

مَكِّيَّةٌ^(٢) وَهِيَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ أَعَاذَهُ اللَّهُ أَنْ يَفْضَحَهُ حِينَ تُنْشَرُ

صَحِيفَتُهُ»^{(٣) (٤)}.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ
سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُيِّلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ
قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ
سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ (١٤)﴾

(١) فِي نَسْخَةٍ: «سُورَةُ كُوِّرَتْ» وَآخَرَى: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٢٧٩: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٧٠٦: مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٢٩) نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَسَدِ.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٧١٤ مَرْسَلًا.

(٤) وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ فَضْلِهِ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ فَضْلِ سُورَةِ عَبَسَ.

﴿الشَّمْسُ﴾ مَرْفُوعٌ بِالْفَاعِلِيَّةِ، رَافِعُهَا فِعْلٌ مَضْمَرٌ يُفَسِّرُهُ: ﴿كُوِّرَتْ﴾، لَأَنَّ
 ﴿إِذَا﴾ يَطْلُبُ الْفِعْلَ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَكَذَا الْجَمِيعُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:
 ﴿كُوِّرَتْ﴾: ذَهَبَ نُورُهَا وَضَوْوُهَا^(١). وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَنْ يَكُونَ مِنْ تَكْوِيرِ الْعِمَامَةِ
 وَهُوَ لَقُّهَا، أَيْ: يُلْفُ ضَوْوُهَا فَيَذْهَبُ أَنْتِشَارُهُ وَأَنْبَسَاطُهُ فِي الْآفَاقِ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ
 إِزَالَتِهَا وَالذَّهَابِ بِهَا، أَوْ: يَكُونُ لَقُّهَا عِبَارَةً عَنْ رَفْعِهَا وَسَرِّهَا لِأَنَّ الثَّوبَ إِذَا أُريدَ
 رَفْعُهُ لَفٌّ وَطُوي، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ: طَعْنُهُ فَكُوَّرَهُ: إِذَا أَلْقَاهُ، أَيْ: تُلْقَى وَتُطْرَحُ عَنْ
 فَلَكِهَا، كَمَا وَصَفَ النُّجُومَ بِالْانْكِدَارِ وَهُوَ الْانْقِضَاضُ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿انْكَدَرَتْ﴾
 تَنَاطَرَتْ وَتَسَاقَطَتْ^(٢). ﴿سُيِّرَتْ﴾ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ وَأُبْعِدَتْ، أَوْ: سُيِّرَتْ فِي الْجَوِّ
 تَسْيِيرَ السَّحَابِ. كَقَوْلِهِ: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾^(٣).

و ﴿الْعِشَاءُ﴾ جَمْعُ «الْعُشْرَاءِ» كَالنَّفَاسِ فِي جَمْعِ «النَّفَسَاءِ»، وَهِيَ الَّتِي أَتَى
 عَلَى حَمْلِهَا عَشْرَةُ أَشْهُرٍ فَصَاعِدًا، وَهِيَ أَنْفَسُ مَا تَكُونُ عِنْدَ أَهْلِهَا ﴿عُطِّلَتْ﴾ تَرِكَتْ
 مُسَيَّيَّةً مُهْمَلَةً لَاشْتِغَالِ أَهْلِهَا بِنُفُوسِهِمْ. ﴿حُسِرَتْ﴾ جُمِعَتْ حَتَّى يُنْقَصَ لِبَعْضِهَا مِنْ
 بَعْضٍ، وَيُوصَلَ إِلَيْهَا مَا اسْتَحَقَّتْهُ مِنَ الْأَعْوَاضِ عَلَى الْآلَامِ الَّتِي نَالَهَا فِي الدُّنْيَا.
 وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: حَسْرُهَا: مَوْتُهَا^(٤). ﴿سُجِّرَتْ﴾ قُرِئَ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ^(٥)
 مِنْ: سَجَرَ النَّوْرَ: إِذَا مَلَأَهَا بِالْحَطَبِ، أَيْ: مُلِئَتْ وَفُجِّرَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يَصِيرَ
 بَحْرًا وَاحِدًا، وَقِيلَ: أُوقِدَتْ فَصَارَتْ نَارًا تَضْطَرِمُ^(٦). ﴿زُوجَتْ﴾ قُرِئَتْ كُلُّ نَفْسٍ

(١) تفسير ابن عباس: ص ٥٠٢.

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٤٥٨.

(٣) النمل: ٨٨. (٤) تفسير ابن عباس: ص ٥٠٢.

(٥) قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٧٣.

(٦) قاله أبي بن كعب وابن عباس وابن زيد وشمر بن عطية وسفيان، ورووه عن عليٍّ عليه السلام. راجع

تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٤٦٠.

بِشِكْلِهَا، وَقِيلَ: قُرِنَتْ الْأَزْوَاحُ بِالْأَجْسَادِ^(١)، وَقِيلَ: قُرِنَتْ نُفُوسِ الصَّالِحِينَ بِالْحُورِ الْعِينِ وَنُفُوسِ الْكَافِرِينَ بِالشَّيَاطِينِ^(٢).

وَأَدَّ يَدُ مَقْلُوبٍ مِنْ: آدَ يَوْوُدُ: إِذَا ثَقُلَ لِأَنَّهُ إِثْقَالٌ بِالتُّرَابِ. وَالْمَعْنَى فِي سُؤَالِ ﴿الْمَوءُودَةُ﴾ عَنْ ذَنْبِهَا الَّذِي قُتِلَتْ بِهِ: التَّبَكُّيْتُ وَالتَّوْبِيخُ لِقَاتِلِهَا، وَيَجْرِي مَجْرَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ لِعِيسَى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٣). وَعَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَرَأَ: «سَأَلْتُ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ» وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ^(٤)، أَي: خَاصَمْتُ عَنْ نَفْسِهَا وَسَأَلْتُ اللَّهَ، أَوْ: قَاتِلَهَا.

وَعَنِ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا الْمَوءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ وَالْمُرَادُ بِهِ: الرَّحِمُ وَالْقَرَابَةُ، وَأَنَّهُ يُسْأَلُ قَاطِعُهَا عَنْ سَبَبِ قَطْعِهَا^(٥). وَقَالَا: هُوَ مَنْ قُتِلَ فِي مَوَدَّتِنَا وَوَلَايَتِنَا^(٦). وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْمَضَافِ.

وَقُرِئَ: «قُتِلَتْ» بِالتَّشْدِيدِ^(٧). وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَطْفَالَ الْمُشْرِكِينَ لَا يُعَذِّبُونَ بِذُنُوبِ آبَائِهِمْ، وَأَنَّ التَّعْذِيبَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالذَّنْبِ، وَإِذَا بَكَتَ اللَّهُ الْكَافِرَ بِرَاءَةِ الْمَوءُودَةِ مِنَ الذَّنْبِ فَمَا أَقْبَحَ بَأْسُ يَكْرَرُ عَلَيْهَا بَعْدَ هَذَا التَّبَكُّيْتِ فَيُعَذِّبُهَا، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْتَجَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ^(٨).

﴿نُشِرَتْ﴾ قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ^(٩)، وَالْمُرَادُ: صُحُفُ الْأَعْمَالِ، تُطَوَّى

(١) قاله عكرمة والشعبي. راجع المصدر السابق: ص ٤٦٣.

(٢) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٥٠٢. (٣) المائدة: ١١٦.

(٤) أنظر شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٦٩.

(٥) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٠٤.

(٦) تفسير علي بن ابراهيم القمي: ج ٢ ص ٤٠٧، و تفسير فرات: ص ٢٠٣.

(٧) قرأه أبو جعفر المدني. راجع التبيان: ج ١٠ ص ٢٨٠.

(٨) حكاها النحاس في إعراب القرآن: ج ٥ ص ١٥٨.

(٩) وبالتشديد قرأه ابن كثير وأبو عمرو وحزمة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ←

صَحِيفَةُ الْإِنْسَانِ عِنْدَ مَوْتِهِ، ثُمَّ تُنْشَرُ إِذَا حُوسِبَ.

وعن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يُخْشَرُ النَّاسُ حُفَاةَ عُرَاةٍ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: كَيْفَ بِالنِّسَاءِ؟ فَقَالَ: شُغِلَ النَّاسُ يَا أُمَّ سَلَمَةَ، فَقَالَتْ: وَمَا شَغَلَهُمْ؟ قَالَ: نَشَرُ الصُّحُفِ فِيهَا مَثَاقِيلُ الدَّرِّ وَمَثَاقِيلُ الْخُرْدَلِ^(١).

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: نُشِرَتْ بَيْنَ أَصْحَابِهَا، أَيِ: فُرِّقَتْ بَيْنَهُمْ. ﴿كُشِطَتْ﴾ كُشِفَتْ وَأُزِيلَتْ كَمَا يُكْشَطُ الْإِهَابُ عَنِ الذَّبِيحَةِ، وَالْغِطَاءُ عَنِ الشَّيْءِ. ﴿سُعِرَتْ﴾ قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ^(٢) وَالتَّشْدِيدِ: أَوْقَدَتْ إِيقَادًا شَدِيدًا، قِيلَ: سَعَرَهَا غَضَبُ اللَّهِ وَخَطَايَا بَنِي آدَمَ^(٣). ﴿أُزِلَتْ﴾ أَيِ: قُرِبَتْ مِنْ أَهْلِهَا بِمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ. ﴿عَلِمَتْ﴾ هُوَ عَامِلُ النَّصَبِ فِي: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وَفِيمَا عُطِفَ عَلَيْهِ.

وعن ابنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ قَارِئًا قَرَأَهَا عِنْدَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَخْضَرَتْ﴾ قَالَ: وَانْقِطَاعَ ظَهْرِ يَاهُ!^(٤)

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُسِ (١٥) أَلْجَوَارِ الْكُنُسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ

ص ٦٧٣.

(١) أخرجه السيوطي في الدر: ج ٨ ص ٤٢٣ وعزاه إلى الطبراني في الأوسط.

(٢) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم برواية أبي بكر عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٧٣.

(٣) قاله قتادة. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٤٦٦.

(٤) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧١٠.

مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴿الْخُنُسُ﴾ النُّجُومُ الْخَمْسَةُ الرَّوَاجِعُ^(١)، بَيْنَا تُرَى الْكَوَكِبُ فِي آخِرِ الْبُرْجِ إِذَا كَرَّرَ رَاجِعاً إِلَى أَوَّلِهِ. و «الْجَوَارِي»: السَّيَّارَةُ، و ﴿الْكُنُسُ﴾: الْغُيَّبُ، مِنْ: كَنَسَ الْوَحْشِيُّ: إِذَا دَخَلَ كِنَاسَهُ، فَخَنُوسُهَا: رُجُوعُهَا، وَكُنُوسُهَا: اخْتِفَاؤُهَا تَحْتَ ضَوْءِ الشَّمْسِ. وَقِيلَ: هِيَ جَمِيعُ الْكَوَكِبِ تَخْنُسُ بِالنَّهَارِ فَتَغِيبُ عَنِ الْعُيُونِ، وَتَكْنُسُ بِاللَّيْلِ أَي: تَطْلُعُ فِي أَمَا كِنَهَا كَالْوَحْشِ فِي كُنُسِهَا^(٢). ﴿عَسَسَ﴾ اللَّيْلُ وَسَعَسَ: إِذَا أَدْبَرَ، وَقِيلَ: عَسَسَ: إِذَا أَقْبَلَ ظِلَامُهُ^(٣). و ﴿تَنَفَّسَ﴾ أَمْتَدَّ ضَوْؤُهُ، وَالْمَعْنَى فِيهِ: أَنَّ الصُّبْحَ إِذَا أَقْبَلَ، أَقْبَلَ النَّسِيمُ بِإِقْبَالِهِ، فَجَعَلَ ذَلِكَ كَالنَّفْسِ لَهُ.

﴿إِنَّهُ﴾ الضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ عَلَى رَبِّهِ، وَهُوَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ هُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ﴾^(٤)، ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ مَتَمَكِّنٌ عِنْدَ صَاحِبِ الْعَرْشِ وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ. ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ أَي: فِي السَّمَاءِ، يُطِيعُهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، يَصْذَرُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴿أَمِينٍ﴾ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ. ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى جَوَابِ الْقَسَمِ. ﴿وَلَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرَائِيلَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا﴾ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿بِمَطْلَعِ الشَّمْسِ الْأَعْلَى﴾.

﴿وَمَا﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿عَلَى﴾ مَا يُخْبِرُ بِهِ مِنْ ﴿الْغَيْبِ﴾ وَالْوَحْيِ «بِظَنِينٍ»^(٥)

(١) فِي الصَّحَاحِ: هِيَ: زَحَلُ وَالْمَشْتَرِي وَالْمَرِيخُ وَالزُّهْرَةُ وَعَطَارِدُ.

(٢) قَالَهُ الْحَسَنُ وَبَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَمَجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ، وَرَوَاهُ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. رَاجِعُ تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ: ج ١٢ ص ٤٦٧.

(٣) قَالَهُ الْحَسَنُ وَعَطِيَّةٌ. رَاجِعُ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ: ص ٤٧٠.

(٤) النُّجُومُ: ٥ وَ ٦.

(٥) الظَّاهِرُ أَنَّ الْمَصْنُفَ ﷺ قَدْ اعْتَمَدَ هُنَا - تَبَعاً لِلْكَشَافِ - عَلَى الْقِرَاءَةِ بِالظَّاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَالْكَسَائِيِّ، وَالْبَاقُونَ بِالضَّادِ. رَاجِعُ كِتَابِ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٦٧٣.

بِمُتَّهِمٍ، فَإِنَّ أَحْوَالَهُ نَاطِقَةٌ بِالصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ، وَهُوَ مِنْ: الظَّنِّ وَهِيَ التُّهْمَةُ، وَقُرِئَ:
 ﴿بُضْنِينَ﴾ بِالضَّادِ، مِنْ: الضَّنِّ وَهُوَ الْبُخْلُ، أَيْ: لَا يَبْخُلُ بِالْوَحْيِ بَأَنْ يُسْأَلَ تَعْلِيمُهُ
 فَلَا يُعَلِّمُهُ، أَوْ: يَزْوِي بَعْضَهُ فَلَا يُبَلِّغُهُ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الضَّادِ وَالظَّاءِ: أَنَّ مَخْرَجَ الضَّادِ مِنْ
 أَصْلِ حَافَةِ اللِّسَانِ وَمَا يَلِيهَا مِنَ الْأَضْرَاسِ مِنْ يَمِينِ اللِّسَانِ أَوْ يَسَارِهِ، وَهِيَ
 إِحْدَى الْحُرُوفِ الشَّجَرِيَّةِ: أُخْتُ الْجِيمِ وَالشَّيْنِ ^(١). وَالظَّاءُ مَخْرَجُهَا مِنْ طَرَفِ
 اللِّسَانِ وَأُصُولِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا، وَهِيَ إِحْدَى الْحُرُوفِ الذَّوْلَقِيَّةِ ^(٢): أُخْتُ الذَّالِ وَالثَّاءِ.
 ﴿وَمَا﴾ الْقُرْآنُ ﴿يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ مَرْجُومٍ بِالشُّهْبِ، كَمَا زَعَمَ الْكُفَّارُ أَنَّ
 الشَّيْطَانَ يُلْقَى إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يُلْقَى إِلَى أَوْلِيَائِهِ مِنَ الْكَهَنَةِ، ﴿فَإِنَّ تَذَهُبُونَ﴾
 اسْتِضْلَالٌ لَهُمْ، كَمَا يَقَالُ لِتَارِكِ الْجَادَّةِ اعْتِسَافًا: أَيْنَ تَذَهُبُ؟ مُثِّلَتْ حَالُهُمْ بِحَالِهِ فِي
 تَرْكِهِمُ الْحَقَّ وَعُدُولِهِمْ عَنْهُ إِلَى الْبَاطِلِ. ﴿إِنْ هُوَ﴾ الضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أَيْ:
 عِظَةٌ وَتَذَكُّرَةٌ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾، وَإِنَّمَا أُبْدِلُوا مِنْهُمْ لِأَنَّ الَّذِينَ شَاءُوا
 الْاسْتِقَامَةَ بِالْدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ هُمُ الْمُتَّفِعُونَ بِالذِّكْرِ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يُوعَظْ بِهِ غَيْرُهُمْ
 وَإِنْ كَانُوا مَوْعُظِينَ جَمِيعًا. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ الْاسْتِقَامَةَ يَا مَنْ تَشَاؤُونَهَا ﴿إِلَّا﴾
 بِتَوْفِيقِ ﴿اللَّهِ﴾ وَلُطْفِهِ، أَوْ: مَا تَشَاؤُونَهَا أَنْتُمْ يَا مَنْ لَا تَشَاؤُونَهَا إِلَّا بِإِجَاءِ اللَّهِ
 وَقَسْرِهِ.



(١) وسميت بالشجرية لخروجها من الشجر وهو مخرج الفم، ويقال: هي الشين والجيم والقاف
 والكاف والياء. (المنجد: مادة «شجر»).

(٢) وسميت بالذوَلَقِيَّة لكون مخرجها طرف اللسان والشفيتين، من: ذَلَقُ الشَّيْءِ: حَدَّهُ، وَذَلَقُ
 اللسان: طَرَفُهُ. ويقال لها أيضاً: أَحْرَفُ الذَّلَاقَةِ. (المنجد: مادة «ذلق»).

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ (١)

مَكِّيَّةٌ (٢)، وَهِيَ تِسْعُ عَشْرَةَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِعَدَدِ كُلِّ قَطْرَةٍ مِنَ السَّمَاءِ حَسَنَةً، وَبَعْدَ كُلِّ قَبْرِ حَسَنَةٍ» (٣).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ وَ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وَجَعَلَهُمَا نُصْبَ عَيْنَيْهِ فِي صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ وَالنَّافِلَةِ، لَمْ يَحْجُبْهُ مِنْ اللَّهِ حِجَابٌ، وَلَمْ يَزَلْ يَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ وَيَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ» (٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «سُورَةُ انْفِطَرَتْ».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٢٨٩: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ تِسْعُ عَشْرَةَ آيَةً بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧١٤: مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (١٩) نَزَلَتْ بَعْدَ النَّازِعَاتِ.

(٣) رَوَاهُ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧١٧ مَرْسَلًا.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٩ وَفِيهِ: «لَمْ يَحْجُبْهُ اللَّهُ مِنْ حَاجَتِهِ، وَلَمْ يَحْجُزْهُ اللَّهُ مِنْ حَاجِزٍ».

فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا أَلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمْتَ نَفْسُ مَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ (٥)
يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ
فَعَدَّلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ (٩)
وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ
الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ
الذِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الذِّينِ (١٧) ثُمَّ
مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الذِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ
يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩) ﴿

﴿أَنْفَطَرْتُ﴾: أَنْشَقْتُ وَأَنْقَطَعْتُ. و ﴿أَنْتَثَرْتُ﴾: تَسَاقَطْتُ وَتَهَافَّتْتُ.
﴿فُجِّرَتْ﴾: فُتِحَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ فَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا وَأَخْتَلَطَ الْمَلْحُ بِالْعَذْبِ.
﴿بُعْثِرَتْ﴾: بُحِثَتْ وَأُخْرِجَ مَوْتَاهَا، و «بَعَثَر» و «بَحَثَر» أَخَوَانِ رُكَّبَا مِنْ: «بَعَثَ»
و «بَحَثَ» مَعَ رَاءٍ ضَمٍّ إِلَيْهِمَا. ﴿عَلِمْتَ نَفْسُ مَا قَدَّمْتَ﴾ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ﴿و﴾ مَا
﴿أَخَّرْتَ﴾ مِنْ سُنَّةٍ أَسْتَنَّ بِهَا بَعْدَهُ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ
وَأَخَّرَ﴾ (١).

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ﴾ أَيُّ شَيْءٍ خَدَعَكَ بِخَالِقِكَ حَتَّى عَصَيْتَهُ وَخَالَفْتَهُ؟ وَعَنِ
النَّبِيِّ ﷺ: «غَرَّهُ جَهْلُهُ» (٢)، وَعَنِ الْحَسَنِ: غَرَّهُ وَاللَّهُ شَيْطَانُهُ الْخَبِيثُ (٣)، قَالَ لَهُ:
أَفْعَلْ مَا شِئْتَ فَرُبُّكَ الْكَرِيمُ الَّذِي تَفَضَّلَ عَلَيْكَ بِمَا تَفَضَّلَ بِهِ أَوَّلًا وَهُوَ مُتَفَضِّلٌ عَلَيْكَ
آخِرًا، فَوَرَّطَهُ فِي الْمَعَاصِي.

(١) القيامة: ١٣.

(٢) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧١٥ مرسلًا.

(٣) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٤٠٣.

وقيل للفضيل بن عياض: إن أقامك الله يوم القيامة وقال: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ فَمَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَقُولُ: غَرَّثَنِي سُورُكَ الْمُرْخَاةُ^(١). وعن يحيى بن معاذ: أَقُولُ: غَرَّثَنِي بِكَ بِرُّكَ بِي سَالِفًا وَأَنفًا^(٢). وعن غيره^(٣): أَنَّهُ سَبَحَانُهُ إِنَّمَا ذَكَرَ ﴿الْكَرِيمِ﴾ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ أَسْمَائِهِ لِأَنَّهُ كَانَهُ لَفَنَهُ الْإِجَابَةَ حَتَّى يَقُولَ: غَرَّثَنِي كَرَمُ الْكَرِيمِ.

كَمَا يُرَوَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ صَاحَ بَغْلَامٍ لَهُ مَرَاتٍ فَلَمْ يُلَبِّهِ، فَنَظَرَ فَإِذَا هُوَ بِالْبَابِ فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ لَمْ تُجِبْنِي؟ فَقَالَ: لِنَقْتِي بِحِلْمِكَ، وَأَمْنِي مِنْ عِقُوبَتِكَ، فَاسْتَحْسَنَ جَوَابَهُ وَأَعْتَقَهُ^(٤).

﴿فَسَوْنُكَ﴾ فَجَعَلَكَ سَوِيًّا سَالِمَ الْأَغْضَاءِ «فَعَدَّلَكَ»^(٥) فَصَيَّرَكَ مُعْتَدِلًا مَتَنَاسِبَ الْخَلْقِ، وَقُرِئَ: ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ بِالتَّخْفِيفِ، وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمُشَدِّدِ، أَيِ: عَدَّلَ بَعْضَ أَعْضَائِكَ بِبَعْضٍ حَتَّى أَعْتَدَلْتَ، وَالْآخَرُ: فَصَّرَفَكَ عَنْ خَلْقَةٍ غَيْرِكَ وَخَلَقَكَ خَلْقَةً حَسَنَةً، يُقَالُ: عَدَّلَهُ عَنِ الطَّرِيقِ أَيِ: صَرَفَهُ. «مَا» فِي ﴿مَا شَاءَ﴾ مَزِيدَةٌ، أَيِ: ﴿رَكَّبَكَ﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ اقْتَضَتْهَا مَشِئَتُهُ وَحِكْمَتُهُ مِنَ الصُّوَرِ الْمُخْتَلَفَةِ فِي الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ، وَالطُّوْلِ وَالْقِصْرِ، وَالشَّبهِ بِبَعْضِ الْأَقَارِبِ وَخِلَافِ الشَّبهِ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ بَيَانٌ لـ «عَدَّلَكَ». وَتَعَلَّقَ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ بِـ ﴿رَكَّبَكَ﴾ عَلَى مَعْنَى: وَضَعَكَ فِي بَعْضِ الصُّوَرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِـ ﴿عَدَّلَكَ﴾

(١) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٥٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نسبه البغوي في تفسيره: ص ٤٥٦ الى بعض أهل الإشارة، وفي الكشف: ج ٤ ص ٧١٥ الى الحشوية.

(٤) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٧١٥.

(٥) الظاهر أن المصنف قد اعتمد هنا - تبعاً للكشاف - على قراءة التشديد، وهي قراءة الجمهور غير الكوفيين راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٧٤.

وَيَكُونُ فِي مَعْنَى التَّعَجُّبِ، أَي: فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ عَجِيبَةٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، أَي: رَكَّبَكَ مَا شَاءَ مِنَ التَّرَاكِبِ، يَعْنِي: تَرْكِيبًا حَسَنًا.

﴿كَلَّا﴾ أَي: أَرْتَدُّعُوا مِنَ الْاِغْتِرَارِ بِاللَّهِ ﴿بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾ أَضْلًا، وَهُوَ الْجَزَاءُ، أَوْ: دِينُ الْإِسْلَامِ. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَكْتُبُونَ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ لِتُجَازَوْا بِهَا ﴿إِنَّ﴾ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ﴿الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ﴾ الَّذِينَ يُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴿الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا﴾ أَي: يَلْزَمُونَهَا بِكَوْنِهِمْ فِيهَا. ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾^(١).

﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يَعْنِي: أَنَّ أَمْرَ يَوْمِ الدِّينِ بَحِيثٌ لَا تُدْرِكُ دَرَايَةَ دَارِ كُنْهِهِ فِي الْهَوْلِ وَالشَّدَّةِ، وَكَيْفَمَا تَصَوَّرْتَهُ فَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ، وَالتَّكْرِيرُ لِرِزَادَةِ التَّهْوِيلِ. ثُمَّ أَجْمَلَ الْقَوْلَ فِي وَصْفِهِ فَقَالَ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أَي: لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعًا عَنْهَا، وَلَا نَفْعًا لَهَا، وَلَا شَفَاعَةً إِلَّا بِإِذْنِهِ وَأَمْرِهِ ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ﴾ وَالْحُكْمُ فِي الْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ وَالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ ﴿لِلَّهِ﴾ وَحْدَهُ. وَقُرِئَ: «يَوْمُ لَا تَمْلِكُ» بِالرَّفْعِ^(٢) عَلَى الْبَدَلِ مِنْ ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾، أَوْ: عَلَى تَقْدِيرٍ: هُوَ يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ، وَبِالنَّصْبِ عَلَى إِضْمَارٍ: يُدَانُونَ، لِأَنَّ ﴿الدِّينَ﴾ يَدُلُّ عَلَيْهِ، أَوْ: تَرَكَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ مِنْ كَوْنِهِ ظَرْفًا^(٣)، وَهُوَ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ، وَنَحْوُهُ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾^(٤) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ.



(١) المائدة: ٣٧.

(٢) قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٧٤.

(٣) يريد: أَنَّ «اليوم» مِمَّا جَرَى فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ ظَرْفًا تَرَكَ عَلَيْهِ.

(٤) الذَّارِيَات: ١٣.

سُورَةُ الْمُطَفِّينَ

مُخْتَلَفٌ فِيهَا (١) (٢) سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَهَا سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).
وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ فِي الْفَرِيضَةِ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ﴾ أُعْطَاهُ
اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَمْنَ مِنَ النَّارِ، وَلَمْ تَرَهُ وَلَا يَرَاهَا، وَلَا يَمُرُّ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ
وَلَا يُحَاسِبُ» (٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢)﴾

(١) فِي نَسْخَةٍ: «مَكِّيَّةٌ إِلَّا سِتُّ آيَاتٍ».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٢٩٥: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ:
هِيَ مَدَنِيَّةٌ. وَهِيَ سِتُّ وَثَلَاثُونَ آيَةً بِإِخْلَافٍ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْمَاورِدِي: ج ٦ ص ٢٢٥: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَالضَّحَّاكِ وَيَحْيَى بْنِ
سَلَامٍ، وَمَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعُكْرَمَةَ وَمِقَاتِلَ، قَالَ مِقَاتِلُ: هِيَ أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ.
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: مَدَنِيَّةٌ إِلَّا ثَمَانِي آيَاتٍ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ إِلَى
آخِرِهَا مَكِّيٌّ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ: قَدْ نَزَلَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧١٨: مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٣٦) نَزَلَتْ بَعْدَ الْعَنْكَبُوتِ، وَهِيَ آخِرُ سُورَةٍ
نَزَلَتْ بِمَكَّةَ.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٢٤ مَرْسَلًا.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٤٩ وَزَادَ فِي آخِرِهِ: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤)
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي
سِجِّينَ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينُ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ
مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ
رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ
بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا
عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي
نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ
النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَمُهُ مِسْكَ وَفِي ذَلِكِ
فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا
الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩)
وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١)
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ
حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى
الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ تُوبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴿

التَّطْفِيفُ: نَقْصُ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ وَالْبَخْسُ فِيهِمَا، لِأَنَّ مَا يُبَخْسُ فِي الْكِيلِ
وَالْوَزْنِ شَيْءٌ طَفِيفٌ نَزَرٌ. وَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ كَانُوا أَخْبَثَ النَّاسِ
كَيْلًا، فَزَلَّتْ، فَأَحْسَنُوا الْكِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ (١).

(١) أنظر أسباب النزول: ص ٣٨٨ ح ٩٠٧ عن ابن عباس .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «خَمْسٌ بِخَمْسٍ: مَا نَقَضَ قَوْمُ الْعَهْدِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، وَمَا حَكَمُوا بغيرِ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ، وَمَا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْمَوْتُ، وَلَا طَفَّقُوا الْكِيلَ إِلَّا مُنِعُوا النَّبَاتَ وَأُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَمَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلَّا حُبَسَ عَنْهُمْ الْقَطْرُ»^(١).

﴿اَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ لَمَّا كَانَ اِكْتِيَالُهُمْ اَكْتِيَالًا يَضُرُّ النَّاسَ اُبْدِلَ «عَلَى» مكانَ «مِنْ» للدلالة على ذلك، ويجوزُ أن يَتَعَلَّقَ ﴿عَلَى﴾ بِ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ وتَقَدَّمَ المفعولُ على الفعلِ لإِفَادَةِ الْخُصُوصِيَّةِ، أي: ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ على النَّاسِ خَاصَّةً، فَأَمَّا أَنفُسُهُمْ فَيَسْتَوْفُونَ لَهَا. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: «مِنْ» و «عَلَى» تَعْتَقِبَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِأَنَّهُ حَقٌّ عَلَيْهِ، فَإِذَا قَالَ: اَكْتَلْتُ عَلَيْكَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَخَذْتُ مَا عَلَيْكَ، وَإِذَا قَالَ: اَكْتَلْتُ مِنْكَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَسْتَوْفَيْتُ مِنْكَ^(٢). وَالضَّمِيرُ فِي ﴿كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ ضَمِيرُ مَنْصُوبٍ رَاجِعٌ إِلَى ﴿النَّاسِ﴾، وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَنْ يُرَادُ: كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ، فَحَذِفَ الْجَارُ وَأَوْصِلَ الْفِعْلُ، كَمَا قَالَ:

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُوًّا وَعَسَاقِلًا وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ نَبَاتِ الْأَوْبَرِ^(٣)

[وَفِي الْمَثَلِ:]^(٤) «وَالْحَرِيصُ يَصِيدُكَ لَا الْجَوَادُ»^(٥). وَالْمَعْنَى: جَنَيْتُ لَكَ، وَ: يَصِيدُ لَكَ. وَأَنْ يَكُونَ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ وَإِقَامَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ،

(١) أخرجه الطبراني في المعجم: ج ١١ ص ٣٨ بإسناده عن عبدالله بن بريدة عن أبيه رفعه.

(٢) معاني القرآن: ج ٣ ص ٢٤٦.

(٣) لم نعثر على قائله، والأكمؤ: جمع كمأة، والعساقل: جمع عُسْقُول وهو نوع صغير منها جيد أبيض، ونبات الأوبر: نوع ردي منها يكون أسود مزغباً. والبيت من باب التمثيل لحال من أغري إلى الطيب فعدل إلى الخبيث ثم يتندّم على عاقبته. انظر شرح الشواهد: ص ٥٥٢.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) أراد: أن الذي له هوى وحرص على شأنك هو الذي يقوم به، لا القوي عليه ولا هوى ولا حرصاً له فيك. أنظر مجمع الأمثال: ج ١ ص ٢١٦.

والمُضَافُ هو المَكِيلُ أو المَوْزُونُ، ولا يَجُوزُ أن يَكُونَ ضَمِيراً مَرْفُوعاً لِلْمُطَفِّينَ لَأَنَّهُ يَصِيرُ المعْنَى: إِذَا أَخَذُوا مِنَ النَّاسِ اسْتَوْفُوا، وَإِذَا تَوَلَّوْا الكَيْلَ أو الْوَزْنَ هُمْ عَلَى الْخُصُوصِ أَخْسَرُوا، وهذا الكلامُ مُتَنَافِرٌ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ وَقَعَ فِي الْفِعْلِ لَا فِي الْمُبَاشِرِ، ومعْنَى ﴿يُخْسِرُونَ﴾: يُنْقِصُونَ، يَقَالُ: خَسَرَ الْمِيزَانَ وَأَخْسَرَهُ.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ﴾ تعجيبٌ وإنكارٌ عظيمٌ عليهم في الاجتراءِ على التطفيفِ، كَأَنَّهُ لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِمْ ﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ومحاسبون، وعن قتادة: أَوْفِ يَا بَنَ آدَمَ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُوفَى لَكَ، وَأَعْدِلْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُعْدَلَ لَكَ ^(١).

وذكر: أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: قَدْ سَمِعْتَ مَا قَالَ اللَّهُ فِي الْمُطَفِّينَ؟ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ الْمُطَفِّفَ قَدْ تَوَجَّهَ عَلَيْهِ هَذَا الْوَعِيدُ الْعَظِيمُ، فَمَا ظَنُّكَ بِنَفْسِكَ وَأَنْتَ تَأْخُذُ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ بِلا كَيْلٍ وَلَا وَزْنٍ؟ ^(٢)

وقيل: إِنَّ الظَّنَّ بِمعْنَى اليَقِينِ ^(٣). و ﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾ ظَرْفٌ لـ ﴿مَبْعُوثُونَ﴾.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عَنِ التَّطْفِيفِ وَالْعَفْلَةِ عَنِ ذِكْرِ الْحِسَابِ وَالْبَعْثِ ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾ أَي: مَا يُكْتَبُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ﴿لَفِي سَجِّينٍ﴾ قيل: هُوَ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ ^(٤). و ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مُضْمَرٌ تَقْدِيرُهُ: هُوَ كِتَابٌ، أَي: هُوَ مَوْضِعُ كِتَابٍ، فَحُذِفَ الْمُبْتَدَأُ وَالْمُضَافُ جَمِيعاً، وقيل ^(٥): ﴿سَجِّينٍ﴾ كِتَابٌ جَامِعٌ هُوَ دِيْوَانُ الشَّرِّ، دُونَ اللَّهِ فِيهِ أَعْمَالُ الْكُفَرَةِ وَالْفَسَقَةِ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ، وَهُوَ ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ مَسْطُورٌ بَيْنَ الْكِتَابَةِ، أَوْ: مَعْلَمٌ يَعْلَمُ مَنْ رَأَاهُ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَا كُتِبَ

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٢٠.

(٢) ذكره الرازي في تفسيره: ج ٣١ ص ٨٩.

(٣) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٥٠٤.

(٤) رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٤٨٨.

(٥) قاله قتادة وابن زيد راجع المصدر السابق: ص ٤٨٩.

من أعمالِ الفجَّارِ مُثَبَّتٌ في ذلك الديوانِ، وهو «فَعِيلٌ» من «السَّجْنِ» لأنَّه سَبَبُ الحَبْسِ والتَّضْيِيقِ في جَهَنَّمَ، أو: لأنَّه مطْرُوحٌ - كَمَا رُوي ^(١) - تَحْتَ الأَرْضِ السَّابِغَةِ في مَوْضِعٍ وَخَشٍ يَشْهَدُهُ الشَّيَاطِينُ كَمَا يَشْهَدُ ديوان الخَيْرِ الملائكةُ الْمُقَرَّبُونَ، وهو أَسْمُ عِلْمٍ مَنْقُولٍ من وَصْفِ كـ «حَاتَمٍ». ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ﴾ مِمَّا وُصِفَ بِهِ لِلذَّمِّ لا لِلبَيَانِ، كَمَا تَقُولُ: فَعَلَ ذَلِكَ فلانُ الفَاسِقُ الخَبِيثُ.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لِلْمُعْتَدِي الأَثِيمِ عن قَوْلِهِ، ومعْنَى ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: رَكِبَهَا كَمَا يَرْكَبُ الصَّدَأُ، وَغَلَبَ عَلَيْهَا، وهو أَنْ يُصِرَّ عَلَى الكَبَائِرِ حَتَّى يُطْبَعَ عَلَى قَلْبِهِ فلا يَقْبَلُ الخَيْرَ ولا يَمِيلَ إِلَيْهِ، وعنِ الحَسَنِ: الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ حَتَّى يُسَوِّدَ القَلْبَ ^(٢). يُقَالُ: رَانَ عَلَيْهِ الذَّنْبُ وَغَانَ عَلَيْهِ رَيْنًا وَغَيْنًا. والرَّيْنُ والغَيْنُ: الغَيْمُ. ورَانَ فِيهِ النُّومُ: رَسَخَ فِيهِ، ورَانَتْ بِهِ الخَمْرُ: ذَهَبَتْ بِهِ. وَقُرِئَ: ﴿بَلْ رَانَ﴾ بِإِذْغَامِ اللَّامِ فِي الرَّاءِ وَالإِظْهَارِ، وَالإِذْغَامُ أَجْوَدُ، وَبِإِمَالَةِ الأَلِفِ وَتَفْخِيمِهَا ^(٣).

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عَنِ الكَسْبِ الرَّائِنِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَكَوْنُهُمْ «مَحْجُوبِينَ عَنْ رَبِّهِمْ» تَمْثِيلٌ لِلإِسْتِخْفَافِ بِهِمْ وَإِهَانَتِهِمْ، لأنَّه لا يُؤْذَنُ عَلَى المُلُوكِ إِلَّا لِلوُجْهَاءِ المَكْرَمِينَ، وعنِ أَبِي عَبَّاسٍ: عن رَحْمَةِ رَبِّهِمْ وَكَرَامَتِهِ ^(٤).

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عَنِ التَّكْذِيبِ، وَ﴿كِتَبَ الأَبْرَارِ﴾ مَا كُتِبَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَعَلِيُّونَ:

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٤٨٨ باسناده عن البراء عن النبي ﷺ.

(٢) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٤٠٤، وفيه: «يموت القلب».

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وقنبل ونافع برواية إسحاق بالإدغام مع فتح الراء تفخيماً، وقرأ أبو بكر عن عاصم وخارجة عن نافع وحمزة والكسائي بالإدغام أيضاً لكن بكسر الراء ممالاً، وروى عباس عن أبي عمرو بأنه لم يكسر الراء ويشبه الإدغام وليس بالإدغام. وقراءة نافع المشهورة هي الإظهار، وأما حفص عن عاصم فكان يقطع فيقف عند ﴿بَلْ﴾ ثم يبتدئ بـ ﴿رَانَ﴾ فيصل الراء غير مدغمة. راجع كتاب السبعة: ص ٦٧٥ - ٦٧٦.

(٤) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٣٠٠.

عَلَّمَ لِدِيَوَانِ الْخَيْرِ الَّذِي دُونَ فِيهِ كُلُّ مَا عَمِلَهُ الْمُقَرَّبُونَ، وَالْأَبْرَارُ: الْمُتَّقُونَ مِنْ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، مَنْقُولٌ مِنْ جَمْعِ «عَلِيٍّ» فَعِيلٌ مِنَ الْعُلُوِّ، سُمِّيَ بِذَلِكَ: إِمَّا لِأَنَّهُ سَبَبُ الارتفاعِ إِلَى أَعَالِي الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ مَرْفُوعٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ تَحْتَ الْعَرْشِ حَيْثُ يَسْكُنُ الْكَرُوبِيُّونَ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، وَقِيلَ: سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى^(١). وَالْأَرَائِكُ: الْأَسِرَّةُ فِي الْحِجَالِ ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إِلَى مَا شَاءُوا مَدَّ أَعْيُنِهِمْ إِلَيْهِ مِنْ مَنَاطِرِ الْجَنَّةِ، وَإِلَى مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ، وَإِلَى أَعْدَائِهِمْ يُعَذِّبُونَ فِي النَّارِ. ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ بَهْجَةً ﴿النَّعِيمِ﴾ وَنُضْرَتُهُ وَمَاءُهُ، وَقُرِئَ: «تُعْرِفُ» عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَ«نُضْرَةُ النَّعِيمِ» بِالرَّفْعِ^(٢).

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ خَمْرٍ صَافِيَةٍ خَالِصَةٍ مِنْ كُلِّ غَشٍّ ﴿مَخْتُومٍ﴾ أَوَانِيهِ بِمِسْكِ مَكَانِ الطِّيبَةِ. وَقِيلَ: ﴿خَتَمُهُ مِسْكِ﴾ مُقَطَّعَةٌ رَائِحَةٌ مِسْكِ إِذَا شُرِبَ^(٣)، وَقِيلَ: يُمَزَّجُ بِالْكَافُورِ وَيُخْتَمُ مَزَاجُهُ بِالْمِسْكِ^(٤). وَقُرِئَ: «خَاتَمُهُ» بَفَتْحِ التَّاءِ^(٥)، أَيْ: مَا يُخْتَمُ بِهِ وَيُقَطَّعُ. ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فَلْيَرْغَبِ الرَّائِغُونَ، وَنَحْوُهُ: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾^(٦). وَمِزَاجُ ذَلِكَ الشَّرَابِ ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ وَهُوَ عَلَّمَ لِعَيْنٍ بِعَيْنِهَا، سُمِّيَتْ بِالتَّسْنِيمِ الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ: «سَنَمَهُ» إِذَا رَفَعَهُ: إِمَّا لِأَنَّهَا أَرْفَعُ شَرَابٍ فِي الْجَنَّةِ، وَإِمَّا لِأَنَّهَا تَأْتِيهِمْ مِنْ فَوْقَ، وَعَنْ قَتَادَةَ: هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي فِي الْهَوَاءِ فَيَنْصَبُّ فِي أَوَانِي أَهْلِ الْجَنَّةِ^(٧). ﴿عَيْنًا﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَدْحِ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ:

(١) قَالَ الضَّحَّاكُ. رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْمَاورِدِي: ج ٦ ص ٢٢٩.

(٢) قَرَأَهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَيَعْقُوبُ. رَاجِعِ التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٣٠١.

(٣) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ. رَاجِعِ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ: ص ٣٠٣.

(٤) قَالَ قَتَادَةُ. رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْمَاورِدِي: ج ٦ ص ٢٣٠.

(٥) وَهِيَ قِرَاءَةُ الْكَسَائِيِّ وَحْدَهُ. رَاجِعْ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٦٧٦.

(٦) الصَّافَاتِ: ٦١.

(٧) حَكَاهُ عَنْهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ٤ ص ٤٦١.

نُصِبَ عَلَى الْحَالِ (١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ هُمُ الْمُشْرِكُونَ ﴿كَانُوا... يَضْحَكُونَ﴾ مِنْ عَمَّارٍ وَخَبَّابٍ وَصُهَيْبٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ قُرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ.
وَرُوي: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَسَخِرَ مِنْهُمْ الْمُنَافِقُونَ، وَضَحِكُوا، وَتَغَامَزُوا، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى أَصْحَابِهِمْ فَقَالُوا: رَأَيْنَا الْيَوْمَ الْأُضْلَعَ فَضَحِكْنَا مِنْهُ، فَتَزَلَّتْ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ عَلِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (٢).
وَرَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ مُنَافِقُو قُرَيْشٍ ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ يَغْمِزُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُشِيرُونَ بِأَعْيُنِهِمْ (٣). قُرِيءَ: ﴿فَكَاهِنَ﴾ وَ «فَاكِهِينَ» (٤) أَي: مَتَلَذِّذِينَ بِذِكْرِهِمْ وَالسُّخْرِيَةِ مِنْهُمْ. ﴿وَمَا أَرْسَلُوا﴾ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿حَافِظِينَ﴾ مُوَكَّلِينَ بِهِمْ يَحْفَظُونَ أَخْوَالَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَوْ أَشْتَغَلُوا بِمَا كُلُّوا لَكَانَ ذَلِكَ أَوْلَى بِهِمْ.

﴿فَالْيَوْمَ﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا... يَضْحَكُونَ﴾ مِنَ الْكُفَّارِ كَمَا ضَحِكَ الْكُفَّارُ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، رُوي: أَنَّهُ يُفْتَحُ بَابٌ لِلْكَفَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ فيَقَالُ لَهُمْ: اخْرُجُوا إِلَيْهَا، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَيْهِ أُغْلِقَ دُونَهُمْ. يُفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ مِرَارًا فَيَضْحَكُ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ (٥). ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إِلَيْهِمْ عَلَى سُرُرٍ فِي الْحِجَالِ، وَهِيَ: ﴿الْأَرَائِكُ﴾،

(١) معاني القرآن: ج ٥ ص ٣٠١.

(٢) رواه مقاتل والكعبي. راجع مناقب الخوارزمي: ص ١٨٦، وتفسير الرازي: ج ٣١ ص ١٠١. ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٣٢٨ ح ١٠٨٤ باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام وفي ص ٣٢٩ ح ١٠٨٦ باسناده عن الضحاك عن ابن عباس، وفي ح ١٠٨٧ عن تفسير مقاتل مسنداً.

(٣) رواه الحاكم الحسكاني في الشواهد: ج ٢ ص ٣٢٨ ح ١٠٨٥، والحبري في تفسيره: ص ٣٢٠ ح ٥٠ عنه.

(٤) وهي قراءة الجمهور إلا حفصاً. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٧٦.

(٥) رواه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٦٢ عن أبي صالح.

﴿يَنْظُرُونَ﴾ حَالٌ مِنْ ﴿يَضْحَكُونَ﴾ أَي: يَضْحَكُونَ مِنْهُمْ نَاطِرِينَ إِلَيْهِمْ عَلَى
الْأَرَائِكِ آمُونَ. ﴿هَلْ تُؤَبَّ﴾ هَلْ جُوزِي ﴿الْكُفَّارُ﴾ إِذَا فَعِلَ بِهِمْ هَذَا ﴿مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ﴾ هـ مِنْ السُّخْرِيَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ؟ يَقَالُ: ثَوْبُهُ وَأَثَابُهُ: إِذَا جَازَاهُ، قَالَ أَوْسُ:
سَأَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مُثَوَّبٌ وَحَسْبُكَ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي^(١)



(١) مِنْ قَصِيدَةِ يَمْدَحُ بِهَا امْرَأَةً وَيُثْنِي عَلَيْهَا، وَيَذْكُرُ يَدَهَا عِنْدَهُ. أَنْظِرْ دِيْوَانَ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ:
ص ٢٧، وَفِيهِ: «وَقَصْرُكَ» بَدَلُ «وَحَسْبُكَ» وَهُمَا بِمَعْنَى.

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ^(١)

مَكِّيَّةٌ^(٢) وَهِيَ خَمْسٌ وَعَشْرُونَ آيَةً كُوفِيٌّ، ثَلَاثٌ بَصْرِيٌّ. ﴿كَتَبَهُ بِيَمِينِهِ﴾^(٣)،

﴿وَرَأَى ظَهْرَهُ﴾^(٤)، كِلَاهُمَا كُوفِيٌّ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ اِنْشَقَّتْ اَعَاذُهُ اللهُ اَنْ يُعْطِيَهُ كِتَابُهُ وَرَاءَ

ظَهْرِهِ»^(٥).^(٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ اِنْشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَأْتِيهَا الْاِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «سُورَةُ اِنْشَقَّتْ» وَأُخْرَى: «السَّمَاءُ اِنْشَقَّتْ».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٣٠٧: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ خَمْسٌ وَعَشْرُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ وَالْمَدَنِيِّينَ، وَثَلَاثٌ فِي الْبَصْرِيِّ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٢٥: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (٢٥)، نَزَلَتْ بَعْدَ الْاِنْفِطَارِ.

(٣) الْآيَةُ: ٧. (٤) الْآيَةُ: ١٠.

(٥) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٢٨ مَرْسَلًا.

(٦) وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي فَضْلِهَا عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ فَضَائِلِ سُورَةِ الْاِنْفِطَارِ الْآتِفَةِ.

بِإِيمَانِهِ، (٧) فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنْ رَبُّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥) ﴿أَنْشَقَّتْ﴾ تَصَدَّعَتْ وَأَنْفَرَجَتْ، وَجَوَابُ ﴿إِذَا﴾ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَمَلَقِيهِ﴾ أَي: إِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ لَاقَى الْإِنْسَانَ كَذَحَهُ، أَوْ: حُذِفَ الْجَوَابُ لِيَذْهَبَ الْمُقَدَّرُ كُلُّ مَذْهَبٍ. وَالْمَعْنَى: إِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾^(١). وَالْأَذَنُ: الْاسْتِمَاعُ، قَالَ عَدِيٌّ:

فِي سَمَاعٍ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ وَحَدِيثٌ مِثْلُ مَا ذِي مُشَارٍ^(٢)

وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ»^(٣).

وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا فَعَلَتْ فِي أَنْقِيَادِهَا حِينَ أَرَادَ أَنْشِقَاقُهَا فِعْلَ الْمُطِيعِ إِذَا وَرَدَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُطَاعِ: أَذْعَنَ لَهُ وَأَنْصَتَ وَلَمْ يَمْتَنِعْ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٤). ﴿وَحُقَّتْ﴾ مِنْ قَوْلِكَ: هُوَ مُحَقَّقٌ بِكَذَا، وَحَقِيقٌ بِهِ. وَالْمَعْنَى: وَهِيَ حَقِيقَةٌ بِأَنْ تَنْقَادَ وَلَا تَأْبَى.

(١) الفرقان: ٢٥.

(٢) لعدي بن زيد العبادي، والمأذني: العسل الأبيض، ومعناه واضح. أنظر العقد الفريد: ج ٥

ص ٤٠٩.

(٣) أخرجه الدارمي في السنن: ج ٢ ص ٤٧٣ عن أبي هريرة، وزاد: «وجهر به».

(٤) فصلت: ١١.

﴿مُدَّتْ﴾ أي: بُسِطَتْ بَأَن تُرَالَ جِبَالُهَا وَكُلُّ أُمَّتٍ فِيهَا حَتَّى تَمْتَدَّ وَتَنْبَسِطَ، كَقَوْلِهِ: ﴿قَاعاً صَفْصَفاً لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً﴾^(١). ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ وَرَمَتْ بِمَا فِي جَوْفِهَا مِمَّا دُفِنَ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ وَالْكُنُوزِ، مِثْلُ: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾^(٢)، ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ وَخَلَّتْ غَايَةَ الْخُلُوعِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ فِي بَاطِنِهَا، كَأَنَّهَا تَكَلَّفَتْ أَقْصَى جَهْدِهَا فِي الْخُلُوعِ، كَقَوْلِهِمْ: تَكَرَّمَ وَتَشَجَّعَ وَنَحَوُّهُمَا. وَالْمَعْنَى: بَلَغَ الْجَهْدُ فِيهِ، وَتَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي طَبْعِهِ.

وَالْكَدْحُ: الْكَدُّ فِي الْعَمَلِ، وَجَهْدُ النَّفْسِ فِيهِ حَتَّى يُؤَثَّرَ فِيهَا، مِنْ: كَدَحَ جِلْدُهُ إِذَا خَدَشَهُ، وَالْمَعْنَى: ﴿إِنَّكَ﴾ جَاهِدُ ﴿إِلَى﴾ لِقَاءِ ﴿رَبِّكَ﴾ وَهُوَ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْحَالِ الْمُمَثِّلَةِ بِاللِّقَاءِ، ﴿فَمُلْقِيهِ﴾ فَمُلَاقٍ لَهُ لَا مَحَالَةَ، لَا مَفَرَّ لَكَ مِنْهُ، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي ﴿مُلْقِيهِ﴾ لِلْكَدْحِ^(٣). ﴿حِسَاباً يَسِيرًا﴾ أَي: سَهْلاً هَيَّئاً لَا يُنَاقَشُ فِيهِ، وَرُوي: أَنَّ الْحِسَابَ الْيَسِيرَ هُوَ الْإِثَابَةُ عَلَى الْحَسَنَاتِ وَالتَّجَاوُزُ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَمَنْ نُوقِشَ فِي الْحِسَابِ عَذَّبَ^(٤). ﴿وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، أَوْ: إِلَى أَوْلَادِهِ وَعَشَائِرِهِ وَقَدْ سَبَقُوهُ إِلَى الْجَنَّةِ.

﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ لِأَنَّ يَمِينَهُ مَغْلُوبَةٌ إِلَى عُنُقِهِ، وَشِمَالُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَيُؤْتَى كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ. ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً﴾ وَيَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ، وَالثُّبُورُ: الْهَلَاكُ. ﴿وَيُصَلَّى سَعِيرًا﴾ وَيَصِيرُ صَلَاةً لِلنَّارِ الْمُسَعَّرَةِ، وَقُرِئَ: «وَيُصَلَّى»^(٥) كَقَوْلِهِ: ﴿وَتُصَلِّيَةُ جَحِيمٍ﴾^(٦). ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ فِيمَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ أَوْ: مَعَهُمْ، عَلَى أَنَّهُمْ

(١) طه: ١٠٦ و ١٠٧. (٢) الزلزلة: ٢.

(٣) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٥٠٢.

(٤) أخرجه أحمد في المسند: ج ٦ ص ١٢٧ عن عائشة.

(٥) قرأه نافع برواية خارجة وعاصم برواية أبان بضم الياء، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي بضمها وتشديد اللام. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٧٧.

(٦) الواقعة: ٩٤.

كانوا جميعاً مَسْرُورِينَ، والمعنى: أَنَّهُ كَانَ مُتَرَفَاً فِي الدُّنْيَا بَطِراً، مَا كَانَ يَهْمُهُ أَمْرُ
الْآخِرَةِ وَلَا يُفَكِّرُ فِيهَا. ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ لَنْ يَرْجَعَ إِلَى اللَّهِ، تَكْذِيباً بِالْبَعْثِ،
فَارْتَكَبَ الْمَآثِمَ وَأَنْتَهَكَ الْمَحَارِمَ، قَالَ لَبِيدٌ:

يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ^(١)

﴿بَلَى﴾ إِيْجَابٌ لِمَا بَعْدَ النَّفْيِ، أَي: بَلَى لِيَحُورَنَّ وَلْيُبْعَثَنَّ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنَّهُ،
﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ وَبَأَعْمَالِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يُرْجَعَهُ
وَيُجَازِيَهُ عَلَيْهَا.

وَالشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ الَّتِي تَبْقَى عِنْدَ الْمَغْرِبِ بَعْدَ سُقُوطِ الشَّمْسِ، وَبُسْقُوطُهُ يَخْرُجُ
وَقْتُ الْمَغْرِبِ. ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ وَمَا جَمَعَ وَضَمَّ مِمَّا كَانَ مُتَشِيرًا بِالنَّهَارِ، يُقَالُ: وَسَقَهُ
فَاتَّسَقَ وَأَسْتَوْسَقَ. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ إِذَا اجْتَمَعَ وَأَسْتَوَى وَتَمَّ لَيْلَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ.
﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ، قُرِئَ بِضَمِّ الْبَاءِ وَفَتْحِهَا^(٢). فَالْفَتْحُ عَلَى خِطَابِ الْإِنْسَانِ
فِي: ﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ وَالضَّمُّ عَلَى خِطَابِ الْجِنْسِ، لِأَنَّ النَّدَاءَ لِلْجِنْسِ، وَالطَّبَقُ:
مَا طَابَقَ غَيْرُهُ، يُقَالُ: مَا هَذَا بِطَبَقٍ لَذَا، أَي: لَا يُطَابِقُهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْغَطَاءِ: الطَّبَقُ، ثُمَّ
قِيلَ لِلْحَالِ الْمُطَابَقَةِ لِغَيْرِهَا: طَبَقُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ أَي: حَالًا بَعْدَ حَالٍ،
كُلُّ وَاحِدَةٍ مُطَابِقَةٌ لِأُخْتِهَا فِي الشَّدَّةِ وَالْهَوْلِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ: طَبَقَةٍ، وَهِيَ
الْمَرْتَبَةُ، عَلَى مَعْنَى: لَتَرْكَبُنَّ أَحْوَالًا بَعْدَ أَحْوَالٍ، وَهِيَ طَبَقَاتُ بَعْضِهَا أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ،
وَهِيَ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ مَوَاطِنِ الْقِيَامَةِ، وَ ﴿عَنْ طَبَقٍ﴾ صِفَةٌ، أَي: طَبَقًا مُجَاوِزًا

(١) وصدره: وما المرء إلا كالشهاب وضوئه. من قصيدة يرثي بها أخاه أربد. وهو من أشعار
الحكمة، يقول: كل أمرئ يخبو بعد توقدٍ وذلك حين تدركه المنية، كالنار تكون ساطعة
الضوء ثم تصبح رماداً. أنظر ديوان لبید بن ربیعۃ: ص ٨٨.

(٢) وبفتحها قرأه ابن كثير وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٧٧.

لَطَبَقِ، أَوْ: حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أَي: مُجَاوِزِينَ، أَوْ: مُجَاوِزاً، وَعَنْ مَكْحُولٍ: لَتُخَدِثُنَّ أَمْرًا لَمْ تَكُونُوا عَلَيْهِ فِي كُلِّ عِشْرِينَ سَنَةً ^(١). وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ: لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَأَخَوَالَهُمْ ^(٢)، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣).

﴿فَمَالَهُمْ﴾ تَبَكُّيٌّ وَتَفْرِيعٌ لِلْكَفَّارِ، وَالْمَعْنَى: أَيُّ عُذْرٍ لَهُمْ فِي تَرْكِ الْإِيمَانِ وَالسُّجُودِ لِلَّهِ إِذَا تُلِّيَ ﴿عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ﴾ مَعَ وَضُوحِ الدَّلَائِلِ؟ وَرُوِيَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ ذَاتَ يَوْمٍ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ فَسَجَدَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَرِئَتْ تَصَفُّقٌ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَتُصَفَّرُ، فَانْزَلَتْ ^(٤).

﴿يُوعُونَ﴾ يَجْمَعُونَ فِي صُدُورِهِمْ وَيُضْمِرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْحَسَدِ وَالْبَغْيِ، أَوْ: يَجْمَعُونَ فِي صُحُفِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ وَيَدْخُرُونَ لَأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ اسْتِثْنَاءٌ مَنْقُطِعٌ ﴿غَيْرُ مَحْنُونٍ﴾ غَيْرُ مَنْقُوصٍ وَلَا مَقْطُوعٍ.



(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٢٨.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ٢ ص ٢٩٢.

(٣) رواه الصدوق في كمال الدين: ص ٤٨٠.

(٤) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٢٨، والآية: ١٩ من سورة العلق.

سُورَةُ الْبُرُوجِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، وهي اثنتان وعشرون آيةً.

في حديث أبي: «مَنْ قَرَأَهَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ وَكُلِّ يَوْمٍ عَرَفَةٍ يَكُونُ فِي دَارِ الدُّنْيَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ» ^(٢). وعن الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَهَا فِي فَرَايضِهِ كَانَ مَحْشَرُهُ وَمَوْقِفُهُ مَعَ النَّبِيِّينَ فَإِنَّهَا سُورَةُ النَّبِيِّينَ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٣١٥: مَكِّيَّةٌ في قول ابن عباس والضحاك، وهي اثنتان وعشرون آيةً بلا خلاف.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٧٢٩: مَكِّيَّةٌ، وآياتها (٢٢)، نزلت بعد الشمس.

(٢) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٧٣٣ مرسلًا.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٥٠ وزاد بعد «النبيين»: «والمرسلين والصالحين».

وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢) ﴿

هي ﴿البُرُوج﴾ اثنتا عشر التي هي قُصُورُ السَّمَاءِ، مَنَازِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ. ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. ﴿وَشَاهِدٍ﴾ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ فِيهِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ أَقْوَالُ الْمَفْسِّرِينَ فِيهِ: فَرُويَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَبْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الشَّاهِدَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِقَوْلِهِ عَزَّ أَسْمُهُ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا﴾^(١)، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَذَلِكَ يَوْمُ مَشْهُودٍ﴾^(٢) (٣). وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا: الشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ^(٤). وَعَنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: الشَّاهِدُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ^(٥). وَقِيلَ: الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ وَالْحَجِيجُ^(٦). وَقِيلَ: الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي وَبَنُو آدَمَ^(٧).

(١) الأحزاب: ٤٥. (٢) هود: ١٠٣.

(٣) رواه عنهما الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٥٢١.

(٤) تفسير ابن عباس: ص ٥٠٦.

(٥) حكاه عنه الرازي في تفسيره: ج ٣١ ص ١١٤.

(٦) قاله أبو بكر العطار. راجع تفسير القرطبي: ج ١٩ ص ٢٨٦.

(٧) وهو ما رواه أبو نعيم عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كما في تفسير القرطبي: ج ١٩

جَوَابُ الْقَسَمِ مَحذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾، كَأَنَّهُ قَالَ: أُقْسِمُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَنَّهُمُ الْمَلْعُونُونَ، يَعْنِي: كُفَّارَ قُرَيْشٍ، كَمَا لَعِنَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ السُّورَةَ وَرَدَتْ فِي تَثْبِيتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَذْكِيرِهِمْ بِمَا جَرَى عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُمْ مِنَ التَّعْذِيبِ عَلَى الْإِيمَانِ مَعَ صَبْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ حَتَّى يَقْتَدُوا بِهِمْ، وَيَصْبِرُوا عَلَى مَا يَلْقَوْنَ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَيَعْلَمُوا أَنَّ كُفَّارَهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَوْلَئِكَ الْمُحْرَقِينَ بِالنَّارِ، مَلْعُونُونَ مَعَذَّبُونَ، أَحِقَّاءُ بَأَنَّ يُقَالَ فِيهِمْ: قُتِلُوا كَمَا قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، وَ﴿قُتِلَ﴾ دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ، أَي: لُعِنُوا بِتَحْرِيقِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْأُخْدُودُ: الْخَدُّ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الشَّقُّ، وَنَحْوُهُمَا بِنَاءٌ وَمَعْنَى: الْخَقُّ وَالْأَخْقُوقُ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «فَسَاخَتْ قَوَائِمُهُ فِي أَخَاقِيقِ جُرْذَانَ»^(١).

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبَرَ ضَمَّ إِلَيْهِ غُلَامًا لِيَعْلَمَهُ السَّحْرَ، وَكَانَ فِي طَرِيقِ الْغُلَامِ رَاهِبٌ فَسَمِعَ مِنْهُ وَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ، ثُمَّ رَأَى فِي طَرِيقِهِ ذَاتَ يَوْمٍ دَابَّةً قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ الرَّاهِبُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ السَّاحِرِ فَاقْتُلْهَا، فَقَتَلَهَا، ثُمَّ كَانَ الْغُلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُشْفِي مِنَ الْأَمْرَاضِ، فَأَخَذَ الْمَلِكُ الْغُلَامَ فَقَالَ: أَرْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى، فَأَمَرَ أَنْ يُذْهَبَ بِهِ إِلَى جَبَلٍ فَيُطْرَحَ مِنْ ذُرْوَتِهِ، فَدَعَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَتْ بِهِمُ الْخَيْلُ وَنَجَا، فَذُهِبَ بِهِ إِلَى قَرْقُورٍ^(٢) فَلَجَّجُوا بِهِ لِيُغْرِقُوهُ، فَدَعَا فَاثْكَفَاتُ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَنَجَا، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: لَسْتُ بِقَاتِلِي حَتَّى تَجْمَعَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَتَضْلُبَنِي عَلَى جَذْعٍ وَتَأْخُذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي وَتَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ تَرْمِينِي بِهِ، فَرَمَاهُ فَوَقَعَ فِي صَدْعِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا

(١) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٣٠ مرسلًا.

(٢) القَرْقُورُ: السفينة الطويلة. (الصحاح: مادة قرقر).

بَرَبِّ الْغُلَامِ، فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: قَدْ نَزَلَ بِكَ مَا كُنْتَ تَخَافُ: آمَنَ النَّاسُ! فَأَمَرَ بِأَخَادِيدَ عَلَى أَقْوَاهِ السَّكَكِ وَأَوْقَدَتْ فِيهَا النَّيرَانَ، فَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ مِنْهُمْ طَرَحَهُ فِيهَا، حَتَّى جَاءَتْ أَمْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيٌّ فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ الصَّبِيُّ: يَا أُمَّاهُ، اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ، فَاقْتَحَمَتْ» (١).

وعن النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذَكَرَ أَصْحَابَ الْأَخْدُودِ تَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ» (٢).

وعن ابنِ عَبَّاسٍ: أَدْخَلَ أَرْوَاحَهُمُ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ أَجْسَادُهُمْ إِلَى النَّارِ (٣). ﴿النَّارُ﴾ بَدَلُ الْاِسْتِمَالِ مِنْ ﴿الْأَخْدُودِ﴾، ﴿ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ وَصَفُ لَهَا بِأَنَّهَا نَارٌ عَظِيمَةٌ كَثِيرَةُ الْحَطَبِ، أَوْ: ظَرْفٌ لـ ﴿قَتْلٍ﴾ أَي: لُغِنُوا حِينَ أَحْدَقُوا بِالنَّارِ قَاعِدِينَ حَوْلَهَا. وَمَعْنَى ﴿عَلَيْهَا﴾: عَلَى مَا يَدْتُونُ مِنْهَا مِنْ حَاقَاتِ الْأَخْدُودِ، كَقَوْلِ الْأَعْشَى: وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدى وَالْمُحَلَّقُ (٤)

وَالشُّهُودُ: جَمْعُ شَاهِدٍ، أَي: وَهُمْ يَشْهَدُونَ عَلَى إِحْرَاقِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكُلُّوا بِذَلِكَ لِيَشْهَدَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عِنْدَ الْمَلِكِ أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَفْرُطْ فِيمَا أُمِرَ بِهِ. ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ وَمَا عَابُوا مِنْهُمْ، وَمَا أَنْكَرُوا ﴿إِلَّا﴾ الْإِيمَانَ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ (٥)

(١) أخرجه مسلم في الصحيح: ج ٤ ص ٢٢٩٩ ح ٣٠٠٥ عن صُهَيْبٍ.

(٢) أخرجه السيوطي في الدرّ: ج ٨ ص ٤٦٧ عن الحسن وعزاه إلى ابن أبي شيبَةَ في مصنفه.

(٣) تفسير ابن عباس: ص ٥٠٧.

(٤) وصدّره: تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَضْطَلِيَانِهَا. مِنْ قَضِيْدَةٍ طَوِيلَةٍ يَمْدَحُ الْمُحَلَّقُ بْنُ خَنْشَمٍ وَكَانَ فَقِيرًا وَلَهُ عَشْرُ بَنَاتٍ لَا يَرِغِبُ فِيْهِنَّ أَحَدٌ لِفَقْرِهِنَّ، فَنَزَلَ بِهِ الْأَعْشَى وَأَحْسَنَ قِرَاهُ فَعَظَمَ عِنْدَهُ وَمَدَحَهُ فِي عَكَازٍ، فَلَمْ يَلْبَثْ حَتَّى خُطِبَتْ بَنَاتُهُ. أَنْظَرَ دِيْوَانَ الْأَعْشَى: ص ١٢٥.

(٥) وعجزه: بهنّ فلول من قراع الكتائب. للنابغة الذبياني من أبيات يصف فرساناً. وقد تقدّم شرح البيت في ج ١ ص ٦٨٩.

وَذَكَرَ الْأَوْصَافَ الَّتِي اسْتَحَقَّ سُبْحَانَهُ بِهَا أَنْ يُؤْمَنَ بِهِ وَيُعْبَدَ، وَهُوَ كَوْنُهُ «عَزِيزاً» أَي: غَالِباً قَادِراً قَاهِراً «حَمِيداً» أَي: مُنْعِماً، مَحْمُوداً عَلَى نِعَمِهِ، لَهُ التَّصَرُّفُ فِي ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وَعِيدٌ لَهُمْ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أَي: أَخْرَقُوهُمْ وَعَذَّبُوهُمْ بِالنَّارِ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ ﴿فَلَهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بِكُفْرِهِمْ ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ فِي الدُّنْيَا، لِمَا رُوِيَ: أَنَّ النَّارَ أَنْقَلَبَتْ عَلَيْهِمْ فَأَخْرَقَتْهُمْ^(١). وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: ﴿الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي: بَلَّوْهُمْ بِالْأَذَى عَلَى الْعُمُومِ، لَهُمْ عَذَابَانِ فِي الْآخِرَةِ لِكُفْرِهِمْ وَلِفِتْنَتِهِمْ.

الْبَطْشُ: الْأَخْذُ بِالْعُنْفِ، فَإِذَا وَصَفَهُ بِالشَّدَّةِ فَقَدْ تَضَاعَفَ وَتَفَاعَمَ. ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي﴾ الْبَطْشَ ﴿وَيُعِيدُ﴾ هُ، أَي: يَنْطَشُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَوْ: هُوَ وَعِيدٌ لِلْكَفَّارِ بِأَنَّهُ يُعِيدُهُمْ كَمَا أَبْدَاهُمْ، لِيَنْطَشَ بِهِمْ إِذْ لَمْ يَشْكُرُوا نِعْمَةَ الْإِبْدَاءِ وَكَذَّبُوا بِالْإِعَادَةِ. وَ ﴿الْوَدُودُ﴾: الْفَاعِلُ بِأَهْلِ طَاعَتِهِ مَا يَفْعَلُهُ الْوَدُودُ. قُرِئَ: ﴿الْمَجِيدُ﴾ بِالْجَرِّ^(٢) صِفَةً لـ ﴿الْعَرْشِ﴾، وَمَجْدُهُ: عُلُوُّهُ وَعِظَمُهُ، كَمَا أَنَّ مَجْدَ اللَّهِ عَظَمَتُهُ، وَبِالرَّفْعِ. ﴿فَعَالٌ﴾ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُحذُوفٌ.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿الْجُنُودِ﴾، وَأَرَادَ فِرْعَوْنَ إِيَّاهُ وَآلَهُ، كَمَا قَالَ: ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُمْ﴾^(٣)، وَالْمَعْنَى: قَدْ عَرِفْتَ تَكْذِيبَ تِلْكَ الْجُنُودِ لِلرُّسُلِ، وَمَا نَزَلَ بِهِمْ لِتَكْذِيبِهِمْ.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ قَوْمِكَ ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ لَكَ وَأَسْتِجَابٍ لِلْعَذَابِ.

(١) وهو ما رواه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٥٢٥ عن الربيع بن أنس .

(٢) قرأه حمزة والكسائي والمفضل عن عاصم . راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٧٨ .

(٣) يونس: ٨٣ .

﴿وَاللَّهُ﴾ عَالِمٌ بِأَحْوَالِهِمْ وَقَادِرٌ عَلَيْهِمْ، وَالْإِحَاطَةُ ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ﴾ مَثَلٌ لَأَنَّهُمْ لَا يَفُوتُونَهُ وَلَا يُعْجِزُونَهُ، وَمَعْنَى الْإِضْرَابِ: أَنَّ أَمْرَهُمْ أَعْجَبُ مِنْ أَمْرِ أَوْلَئِكَ، لَأَنَّهُمْ سَمِعُوا بِقِصَصِهِمْ وَبِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَّعِبُوا، وَكَذَّبُوا أَشَدَّ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ. ﴿بَلْ﴾ هَذَا الَّذِي كَذَّبُوا بِهِ ﴿قُرْءَانٌ مَجِيدٌ﴾ شَرِيفٌ جَلِيلٌ الْقَدْرُ، كَثِيرُ الْخَيْرِ، عَالِي الطَّبَقَةِ فِي الْكُتُبِ، وَفِي نَظْمِهِ وَإِعْجَازِهِ، وَقُرِئَ: ﴿مَحْفُوظٌ﴾ بِالرَّفْعِ ^(١) صِفَةً لِلْقُرْآنِ، وَبِالْجَرِّ صِفَةً لِللَّوْحِ.



(١) قرأه نافع وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٧٨.

سُورَةُ الطَّارِقِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، وَهِيَ سَبْعُ عَشْرَةَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِعَدَدِ كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ فِي الْفَرِيضَةِ بِ﴿السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ جَاهٌ وَمَنْزِلَةٌ، وَكَانَ مِنْ رُفَقَاءِ النَّبِيِّينَ وَأَصْحَابِهِمْ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)
إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ
مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٣٢٢: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ سَبْعُ عَشْرَةَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ وَالْبَصْرِيِّ وَالْمَدَنِيِّ الْأَخِيرِ، وَسِتُّ عَشْرَةَ آيَةً فِي الْمَدَنِيِّ الْأَوَّلِ. وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٣٤: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (١٧)، نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَلَدِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٣٧ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٠، وَزَادَ فِي آخِرِهِ: «فِي الْجَنَّةِ».

ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ (١٣) وَمَا هُوَ
بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهْلٍ الْكَافِرِينَ
أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا (١٧) ﴿

الطَّارِقُ: الَّذِي يَجِيءُ لَيْلًا، كَأَنَّهُ عَزَّ أَسْمُهُ أَرَادَ أَنْ يُقْسِمَ بـ «النَّجْمِ الثَّاقِبِ» أَيِ:
الْمُضِيِّ الَّذِي يَثْقُبُ الظَّلَامَ بِضَوِّهِ فَيَنْفُذُ فِيهِ، لِمَا فِيهِ مِنْ عَجِيبِ الْقُدْرَةِ وَلَطِيفِ
الْحِكْمَةِ، فَأَتَى بِمَا هُوَ صِفَةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَهُوَ ﴿الطَّارِقُ﴾ ثُمَّ فَسَّرَهُ
بِقَوْلِهِ: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ إِظْهَارًا لِفَخَامَةِ شَأْنِهِ. وَجَوَابُ الْقَسَمِ قَوْلُهُ: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ
لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ لَأَنَّ مَنْ قَرَأَ ﴿لَمَّا﴾ مُشَدَّدَةً فَـ ﴿إِنْ﴾ هِيَ النَّافِيَةُ. وَ«لَمَّا» بِمَعْنَى:
«إِلَّا»، وَمَنْ قَرَأَهَا مُخَفَّفَةً ^(١) فَـ «مَا» صِلَةٌ، وَ«إِنْ» هِيَ الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَكِلَاهُمَا
مِمَّا يَتَلَقَّى بِهِ الْقَسَمُ، وَالْمَعْنَى: مَا كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَحْفَظُ
عَمَلَهَا وَيُخَصِّي عَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، أَوْ: حَافِظٌ رَقِيبٌ عَلَيْهَا وَهُوَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ ^(٢)

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ هَذِهِ تَوْصِيَةٌ لِلْإِنْسَانِ بِالنَّظَرِ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ حَتَّى
يَعْلَمَ أَنَّ مِنْ أَنْشَأَ النَّشْأَةَ الْأُولَى قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ، فَيَعْمَلُ لِيَوْمِ الْإِعَادَةِ، وَ﴿مِمَّ
خُلِقَ﴾ اسْتِفْهَامٌ، جَوَابُهُ: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ أَيِ: ذِي دَفْقٍ، كَاللَّابِنِ وَالتَّامِرِ،
وَالدَّفْقُ: صَبٌّ فِيهِ دَفْعٌ، وَلَمْ يَقُلْ: مَاءَيْنِ، لِامْتِزَاجِهِمَا فِي الرَّحِمِ وَاتِّحَادِهِمَا حِينَ
أَبْتَدِئَ فِي خَلْقِهِ. ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ﴾ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ، وَهِيَ عِظَامُ
الصَّدْرِ.

﴿إِنَّهُ﴾ الضَّمِيرُ لِلخَالِقِ لَدَلَالَةٍ ﴿خُلِقَ﴾ عَلَيْهِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي خَلَقَ

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٧٨.

(٢) الأحزاب: ٥٢.

الإنسان ابتداءً من نُطْفَةٍ ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ على إِعَادَتِهِ خُصُوصاً ﴿لِقَادِرٍ﴾ لَيِّنِ
الْقُدْرَةَ، لَا يَعْجِزُ عَنْهُ.

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ منصوبٌ بـ ﴿رَجْعِهِ﴾، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: أَنَّهُ عَلَى رَدِّ الْمَاءِ
إِلَى مَخْرَجِهِ مِنَ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ لِقَادِرٍ^(١). وعلى هذا فيكون الظرف منصوباً
بمضمرٍ ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ أي: تُخْتَبَرُ السَّرَائِرُ فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ
وغيرها، وما أَسْرَّ وما أَخْفَى مِنَ الْأَعْمَالِ، فَيُمَيِّزُ بَيْنَ مَا طَابَ مِنْهَا وَمَا خَبَثَ. ﴿فَمَا
لَهُ﴾ أي: فما للإنسانِ ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ مِنْ مَنَعَةٍ فِي نَفْسِهِ يَمْتَنِعُ ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يَمْنَعُهُ.
﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ وهو المَطَرُ، سَمِّيَ بِالْمَصْدَرِ لِأَنَّ اللَّهَ يُرْجِعُهُ وَقْتاً
فَوْقَ تَأْتٍ. و ﴿الصَّدْعِ﴾ مَا يَتَصَدَّعُ الْأَرْضُ عَنْهُ مِنَ الثَّبَاتِ. ﴿إِنَّهُ﴾ الضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ
﴿لَقَوْلُ فَضْلٍ﴾ فَاصِلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، كَمَا قِيلَ لَهُ: فُرْقَانٌ. ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾
بَلْ هُوَ الْجِدُّ لَا هَوَادَةَ فِيهِ، فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يَكُونَ مُعْظِماً فِي الْقُلُوبِ مَهيباً فِي الصُّدُورِ،
وَمِنْ حَقِّ قَارِيهِ وَسَامِعِهِ أَنْ لَا يَلْمَ بِهَزْلٍ وَلَعِبٍ، وَيُقَرَّرَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ إِلَهَهُ وَرَبَّهُ
جَلَّ جَلَالُهُ يَخَاطِبُهُ، فَيَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ، وَيَعِدُّهُ وَيُوعِدُّهُ، فَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ الْوَعْدِ تَضَرَّعَ إِلَيْهِ
رَاجِئاً أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ الْوَعْدِ تَعَوَّذَ بِهِ خَائِفاً أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا.
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ﴾ يَحْتَالُونَ فِي إِيقَاعِ الْمَكْرُوهِ بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾
أُذَبِّرُ مَا يَنْقُضُ كَيْدَهُمْ وَأَحْتِيَالَهُمْ مِنْ حَيْثُ يَخْفَى عَلَيْهِمْ، ﴿فَمَهْلٍ الْكَافِرِينَ﴾ لَا
تَدْعُ بِهَلَاكِهِمْ وَلَا تَسْتَعْجِلُ بِهِ، وَأَرْضَ بِتَدْيِيرِ اللَّهِ فِيهِمْ و ﴿أَمْهَلُهُمْ﴾ أَرَادَ التَّوَكِيدَ
وَكِرَّةَ التَّكْرِيرِ، فَخَالَفَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ، وَلَمَّا زَادَ فِي التَّوَكِيدِ أَتَى بِالْمَعْنَى وَتَرَكَ اللَّفْظَ
فَقَالَ: ﴿رُويْدًا﴾ أي: إِمْهَالًا يَسِيرًا.



سُورَةُ الْأَعْلَى^(١)

مَكِّيَّةٌ^(٢)، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ^(٣)، تِسْعُ عَشْرَةَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ حَرْفٍ أَنْزَلَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٤).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فِي فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ قِيلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ»^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقْرُكَ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «سُورَةُ سَبِّحِ اسْمَ».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٣٢٩: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ، وَهِيَ تِسْعُ عَشْرَةَ آيَةً بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٣٧: مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (١٩)، نَزَلَتْ بَعْدَ التَّكْوِينِ.

(٣) وَفِي الْإِتْقَانِ: ج ١ ص ٥٢: الْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهَا - أَيُّ سُورَةِ الْأَعْلَى - مَكِّيَّةٌ، وَقَالَ ابْنُ الْفَرَسِ: وَقِيلَ: إِنَّهَا مَدَنِيَّةٌ لِذِكْرِ صَلَاةِ الْعِيدِ وَزَكَاةِ الْفِطْرِ فِيهَا.

(٤) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٤١ مَرْسَلًا.

(٥) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٠ وَزَادَ فِي آخِرِهِ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَى (٨) فَذِكْرٌ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا
الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا
وَلَا يَحْيَى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ
تُؤَثِّرُونَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي
الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩) ﴿

عن ابن عباس: كان النبي ﷺ إذا قرأ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى»^(١). ومعناه: نزهة ربك عن كل ما لا يليق به من الصفات التي هي إلحاد في أسمائه: كالجبر والتشبيه ونحو ذلك. و﴿الْأَعْلَى﴾ يجوز أن يكون صفة للرب وللإسم، وهو بمعنى العلو الذي هو القهر والاعتدال.

وفي الحديث: لما نزل: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: اجعلوها في سجودكم، ولما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٢) قال: اجعلوها في رُكوعكم^(٣).

﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ كل شيء ﴿فَسَوَّى﴾ خلقه تسوية، ولم يأت به متفاوتاً غير مُلْتَمِ، ولكن على إحكام وانتظام ليدل على أنه صادر من عالم حكيم. ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ لكل حيوان ما يصلحه ﴿فَهَذَا﴾ وعرفه وجه الانتفاع به، حتى إنه هدى الطفل إلى ثدي أمه، والفرخ إلى طلب الزق من أمه. وهدايات الله للإنسان إلى ما لا يُحَدُّ ولا يُعَدُّ من مصالحه في أغذيته وأدويته، وفي أمور دنياه وآخرته، وإلهامات البهائم والطيور والحيوانات باب واسع لا يحاط بكنهه، فسُبْحَانَ رَبَّنَا

(١) تفسير ابن عباس: ص ٥٠٨. (٢) الواقعة: ٧٤ و ٩٦، الحاقة: ٥٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن: ج ١ ص ٢٨٧ ح ٨٨٧ عن عقبة بن عامر الجهني.

الأعلى تبارك وتعالى. وُقرئ: «قَدَرَ» بالتخفيف^(١)، وهو قراءةٌ عليّ عليه السلام^(٢) والمعنى واحدٌ. ﴿أَخْوَى﴾ صِفَةٌ لـ ﴿غُثَاءٍ﴾، أي: ﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ﴾ بَعْدَ خُسْرَتِهِ وَرَفِيفِهِ ﴿غُثَاءً أَخْوَى﴾ أي: دَرِيناً أَسْوَدَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿أَخْوَى﴾ حَالاً مِنْ ﴿الْمَرْعَى﴾ أي: أَخْرَجَهُ أَخْوَى: أَسْوَدَ مِنْ شِدَّةِ الْخُسْرَةِ وَالرَّيِّ، فَجَعَلَهُ غُثَاءً بَعْدَ حُوَّتِهِ.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ هذه بَشَارَةٌ بِشَرِّ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهَا، وَهُوَ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ جِبْرَائِيلُ عليه السلام مَا يَقْرُؤُهُ مِنَ الْوَحْيِ، وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، فَيَحْفَظُهُ وَلَا يَنْسَاهُ. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فَذَهَبَ بِهِ عَنْ حِفْظِهِ بِرَفْعِ حُكْمِهِ وَتِلَاوَتِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿أَوْ تُنْسِيَهَا نَأَتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾^(٣)، وَهذه آيَةٌ بَيِّنَةٌ وَمُعْجَزَةٌ دَالَّةٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ معناه: أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تَجَهَّرُ بِقِرَاءَتِهِ مَعَ جِبْرَائِيلَ مَخَافَةَ التَّفَلُّتِ وَمَا تُخْفِي فِي نَفْسِكَ، أَوْ: يَعْلَمُ مَا أَعْلَنْتُمْ وَمَا أَخْفَيْتُمْ مِنْ أَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، وَمَا ظَهَرَ وَمَا بَطَنَ مِنْ أَحْوَالِكُمْ، وَمَا هُوَ مَصْلَحَةٌ فِي دِينِكُمْ وَمَا هُوَ مَفْسَدَةٌ فِيهِ.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ اعْتِرَاضٌ، وَالْمَعْنَى: وَنُوفِّقُكَ لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ، يَعْنِي: حِفْظَ الْوَحْيِ وَتَسْهِيلَهُ، وَقِيلَ لِلشَّرِيعَةِ الْحَنِيفِيَّةِ: السَّمْحَةُ الَّتِي هِيَ أَيْسَرُ الشَّرَائِعِ وَأَسْهَلُهَا مَأْخِذاً.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ أي: ذَكَرْ الْخَلْقَ وَعِظْهُمْ، وَكَرَّرِ التَّذْكَيرَ بَعْدَ الْإِزَامِ

(١) قرأه الكسائي وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٨٠.

(٢) حكاه عنه عليه السلام الفراء في معاني القرآن: ج ٣ ص ٢٥٦.

(٣) البقرة: ١٠٦.

الْحَجَّةِ إِنْ نَفَعَتْ ذِكْرَكَ وَإِلَّا فَأَعْرَضْ عَنْهُمْ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: ذَكَّرَهُمْ مَا بَعَثْتُكَ لَهُ إِنْ نَفَعَتْ ذِكْرَكَ وَإِنْ لَمْ يَنْفَعْ، فَإِنَّ إِزَاحَةَ عَلَيْهِمْ تَقْتَضِي تَذْكِيرَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا^(١). ﴿سَيَذَكِّرُ﴾ سَيَقْبَلُ التَّذْكَرَةَ وَيَنْتَفِعُ بِهَا ﴿مَنْ يَخْشَى﴾ اللهُ، فَيَنْظُرُ وَيُفَكِّرُ حَتَّى تُعَوِّدَهُ النَّظَرَ إِلَى أَتْبَاعِ الْحَقِّ. ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ وَيَتَجَنَّبُ الذِّكْرَ وَيَتَحَامَاهَا ﴿الْأَشَقَى﴾ الَّذِي كَفَرَ بِاللَّهِ وَبِتَوْحِيدِهِ. ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ نَارَ جَهَنَّمَ، وَالصُّغْرَى نَارُ الدُّنْيَا. ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فَيَسْتَرِيحُ، ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حَيَاةً يَنْتَفِعُ بِهَا.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أَي: تَطَهَّرَ مِنَ الشُّرْكِ وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَقِيلَ: ﴿تَزَكَّى﴾ تَطَهَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى الصَّلَاةَ الْخَمْسَ^(٢)، وَقِيلَ: أُعْطِيَ زَكَاةَ مَالِهِ^(٣)، وَقِيلَ: أَرَادَ زَكَاةَ الْفِطْرِ وَصَلَاةَ الْعِيدِ^(٤). وَعَنِ الضَّحَّاكِ: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ فِي طَرِيقِ الْمُصَلَّى ﴿فَصَلَّى﴾ صَلَاةَ الْعِيدِ^(٥). ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ تَخْتَارُونَ ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ عَلَى الْآخِرَةِ، وَلَا تَتَفَكَّرُونَ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ. وَقُرِئَ: «يُؤْثِرُونَ» بِأَلْيَاءِ عَلَى الْغَيْبَةِ^(٦)، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أَفْضَلُ فِي نَفْسِهَا وَأَدْوَمُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ»^(٧).

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الَّذِي ذُكِرَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَبْقَى﴾ وَالْمُرَادُ:

(١) قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهرائي. راجع تفسير الألوسي: ج ٣٠ ص ١٠٨.

(٢) قاله ابن عباس. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٥٤٨.

(٣) قاله أبو الأحوص وقتادة. راجع المصدر السابق: ص ٥٤٧.

(٤) وهو قول أبي العالية. راجع المصدر نفسه.

(٥) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٤٠.

(٦) وهي قراءة أبي عمرو وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٨٠.

(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ج ٣ ص ٣٧٠ عن أبي موسى الأشعري.

أَنَّ مَعْنَىٰ هَذَا الْكَلَامِ وَارِدٌ فِي تِلْكَ ﴿الصُّحُفِ﴾، وَقِيلَ: ﴿هَذَا﴾ إِمَارَةٌ إِلَىٰ مَا فِي السُّورَةِ كُلِّهَا^(١).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمْ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ نَبِيٍّ وَأَرْبَعَةُ عَشْرُونَ أَلْفٍ نَبِيٍّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمْ الْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةُ عَشَرَ، قُلْتُ: كَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ؟ قَالَ: مِائَةُ وَأَرْبَعَةُ كُتُبٍ: أَنْزَلَ مِنْهَا عَلَىٰ آدَمَ عَشَرَ صُحُفٍ، وَعَلَىٰ شِيثَ خَمْسِينَ صَحِيفَةً، وَعَلَىٰ أَخْنُوخَ - وَهُوَ إِدْرِيسُ - ثَلَاثِينَ صَحِيفَةً، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ، وَعَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَشَرَ صُحُفٍ، وَالتَّوْرَةَ، وَالْإِنْجِيلَ، وَالزَّبُورَ، وَالْفُرْقَانَ^(٢).



(١) قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ج ٤ ص ٣٨٢.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ: ج ١ ص ١٥١ و ١٥٢ و ٣١٢ - ٣١٣ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ.

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

مَكِّيَّةٌ ^(١) وَهِيَ سِتُّ وَعَشْرُونَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا حَاسَبَهُ اللَّهُ حِسَابًا يَسِيرًا» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «مَنْ أَدَمَّنَ قِرَاءَةَ الْغَاشِيَةِ فِي فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ غَشَّاهُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَعْطَاهُ الْأَمْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وَجُودُ يَوْمٍ خَشِيعَةٍ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وَجُودُ يَوْمٍ نَاعِمَةٍ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٣٣٣: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ سِتُّ وَعَشْرُونَ آيَةً بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٧٤١: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (٢٦)، نَزَلَتْ بَعْدَ الذَّارِيَاتِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٧٤٥ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٠ وَفِيهِ: «آتَاهُ» بَدَلُ «أَعْطَاهُ».

مَصْفُوفَةً (١٥) وَزَرَابِي مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦) ﴿

﴿الْفُشِيَّة﴾ القيامة تغشى الناس بأهوالها وشدائدها، وقيل: هي النار^(١)، من قوله: ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾^(٢). ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمَ إِذْ غَشِيَتْ، ﴿خَشِيعَةً﴾ ذَلِيلَةٌ بِالْعَذَابِ الَّذِي يَغْشَاهَا. ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ عَامِلَةٌ فِي النَّارِ عَمَلًا تَتَعَبُ فِيهِ، وَهُوَ جَرُّهَا فِي السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ، وَأَرْتَقَاوُهَا دَائِبَةً فِي صُعُودٍ مِنْهَا وَهُبُوطِهَا فِي حُدُورٍ مِنْهَا، وَقِيلَ: عَمِلَتْ وَنَصِبَتْ فِي الدُّنْيَا فِي أَعْمَالٍ لَا تُجْدِي عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ^(٣) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾^(٤) ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٥)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: وَهُمْ الرُّهْبَانُ وَأَصْحَابُ الصَّوَامِعِ وَأَهْلُ الْبِدْعِ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ^(٦).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُلُّ عَدُوٍّ لَنَا وَإِنْ تَعَبَدَ وَاجْتَهَدَ يَصِيرُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ^(٧).
قُرِئَ: ﴿تَصَلَّى﴾ بَفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّهَا^(٨) ﴿حَامِيَةً﴾ حُمِيتْ فَهِيَ تَتَلَطَّى عَلَى

(١) قاله سعيد بن جبیر. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٥٥٠.

(٢) ابراهيم: ٥٠.

(٣) قاله ابن عباس. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٤٧٨.

(٤) آل عمران: ٢٢. (٥) الكهف: ١٠٤.

(٦) حكاها عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٧٨.

(٧) رواه علي بن ابراهيم القمي في تفسيره: ج ٢ ص ٤١٩ باسناده عن أبي حمزة، والصدوق

في ثواب الاعمال: ص ٢٤٧ ح ٣ باسناده عن أبان بن تغلب.

(٨) وبضمّ التاء قرأه أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٨١.

أَعْدَاءِ اللَّهِ. ﴿عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ حَارَّةٌ بَلَغَتْ مَنْتَهَا فِي الْحَرِّ. الضَّرِيعُ: يَبِيسُ الشَّبَرُ، وَهُوَ جِنْسٌ مِنَ الشَّوْكِ تَرَعَاهُ الْإِبِلُ مَا دَامَ رَطْبًا، فَإِذَا يَبَسَ تَحَامَتَهُ، وَهُوَ سُمُّ قَاتِلٌ. ﴿لَا يُسَمِّنُ﴾ مَرْفُوعُ الْمَحَلِّ أَوْ مَجْرُورُهُ، عَلَى وَضْفِ ﴿طَعَامٌ﴾ أَوْ ﴿ضَرِيعٌ﴾، يَعْنِي: أَنَّ طَعَامَهُمْ مِنْ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ مَطَاعِمِ الْإِنْسِ وَإِنَّمَا هُوَ شَوْكٌ، وَالشَّوْكَ مِمَّا تَرَعَاهُ الْإِبِلُ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنْهُ تَنْفُرُ عَنْهُ وَلَا تَقْرُبُهُ، وَمَنْفَعَتَا الْغِذَاءِ مُتَفَيِّتَانِ عَنْهُ، وَهُمَا: إِمَاطَةُ الْجُوعِ وَإِفَادَةُ الْقُوَّةِ وَالسَّمْنُ فِي الْبَدَنِ، وَقِيلَ: إِنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ قَالَتْ: إِنَّ الضَّرِيعَ لَتَسْمَنُ عَلَيْهِ إِبِلُنَا، فَزَلَّتْ: ﴿لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾^(١).

﴿نَاعِمَةٌ﴾ مُنْعَمَةٌ مِنْ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ، أَوْ: ذَاتُ بَهْجَةٍ وَحُسْنٍ. ﴿لِسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ رَضِيتُ بِعَمَلِهَا لَمَّا رَأَتْ مَا أَدَّاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْثَوَابِ. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ مَرْتَفَعَةِ الْقُصُورِ وَالذَّرَجَاتِ، أَوْ: عَالِيَةِ الْمِقْدَارِ. ﴿لَا تَسْمَعُ﴾ الْوُجُوهُ، أَوْ: هُوَ خِطَابُ النَّبِيِّ ﷺ ﴿لَغِيَّةٌ﴾ أَوْ لَعْوًا، أَوْ: كَلِمَةً ذَاتَ لَعْوٍ، أَوْ: نَفْسًا تَلْعُو، لَا يَتَكَلَّمُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا بِالْحِكْمَةِ وَحَمْدِ اللَّهِ، وَقُرِئَ: «لَا يُسْمَعُ» عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ^(٢). ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يُرِيدُ: عُيُونًا فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾^(٣). ﴿سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ مَرْتَفَعَةُ الْمِقْدَارِ أَوْ السَّمَكِ لِيَرَى الْمُؤْمِنُ بِجُلُوسِهِ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا خَوَّلَهُ رَبُّهُ مِنَ الْمُلْكِ. ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ عَلَى حَافَاتِ الْعُيُونِ الْجَارِيَةِ، أَوْ: كُلَّمَا أَرَادَ الْمُؤْمِنُ شُرْبَهَا وَجَدَهَا مَمْلُوءَةً حَاضِرَةً لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَدْعُو بِهَا. ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ أَي: وَسَائِدُ صُفٍّ بَعْضُهَا إِلَى جَنْبِ بَعْضٍ، مَسَانِدُ وَمَطَارِحُ أَيْنَمَا أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ جَلَسَ عَلَى مِسْوَرَةٍ، وَأَسْتَدَّ إِلَى أُخْرَى. ﴿وَزَرَائِبُ﴾ بُسُطُ

(١) قاله الزَّجَّاجُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ: ج ٥ ص ٣١٧.

(٢) وَالْيَاءُ مَبْنِيًا لِلْمَفْعُولِ قَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو، وَبِالتَّاءِ كَذَلِكَ قَرَأَهُ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ بِرَوَايَةِ شَبَلٍ عَنْهُ. رَاجِعْ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقُرْآنِ: ص ٦٨١.

(٣) التَّكْوِيرُ: ١٤٤.

عَرَّاضٌ فَاحِرَةٌ، وَقِيلَ: طَنَافِسُ لَهَا خَمَلٌ رَقِيقٌ^(١)، جَمْعُ زَرِيْبَةٍ ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مَبْسُوطَةٌ، أَوْ: مَفْرَقَةٌ فِي الْمَجَالِسِ.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ﴾ نَظَرَ أَعْتَبَارٍ ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ خَلْقًا عَجِيبًا، فَهِيَ تَنْقَادُ لِكُلِّ مَنْ أَقْتَادَهَا بِأَرْمَتِهَا، وَتَبْرُكُ حَتَّى تَحْمِلَ أَحْمَالَهَا، ثُمَّ تَنْهَضُ بِهَا إِلَى الْبِلَادِ الشَّاسِعَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي غَيْرِهَا مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ، وَصَبَرَتْ عَلَى أَحْتِمَالِ الْعَطَشِ حَتَّى أَنْ أَظْمَاءَهَا^(٢) تَرْتَفِعُ إِلَى الْعَشْرِ فَصَاعِدًا، إِذْ جُعِلَتْ سَفَائِنَ الْبَرِّ. ﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ رَفْعًا بَعِيدَ الْمَدَى بَلَا مَسَاكِ وَبِغَيْرِ عَمَدٍ. ﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ نَضْبًا ثَابِتًا فَهِيَ رَاسِخَةٌ لَا تَزُولُ. ﴿كَيْفَ سُوِّحَتْ﴾ سَطْحًا فَهِيَ مِهَادٌ يُتَقَلَّبُ عَلَيْهَا. وَرُوي: أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَرَأَ: «خُلِقَتْ» وَ «رُفِعَتْ» وَ «نُصِبَتْ» وَ «سُوِّحَتْ» عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَتَاءِ الضَّمِيرِ^(٣)، وَالتَّقْدِيرُ فِي الْجَمِيعِ: فَعَلْتُهَا، فَحُذِفَ الْمَفْعُولُ. وَالْمَعْنَى: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الصَّانِعِ الْقَادِرِ الْعَالِمِ حَتَّى لَا يُنْكِرُوا أَقْتِدَارَهُ عَلَى الْبَعْثِ وَالْإِعَادَةِ، وَيُؤْمِنُوا بِرَسُولِهِ، وَيَسْتَعِدُّوا لِلْقَائِهِ؟

﴿فَذَكِّرْ﴾ يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَمْ يَنْظُرُوا فَذَكَّرْهُمْ وَلَا يَهْتَمُّكَ أَنَّهُمْ لَا يَنْظُرُونَ وَلَا يَذَكَّرُونَ، وَ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾^(٤). ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ أَي: بِمُتَسَلِّطٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾^(٥) ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾ أَسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٍ، أَي: لَسْتَ بِمُسْتَوَلٍ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ مَنْ تَوَلَّى مِنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ الْوَلَايَةَ وَالْقَهْرَ، فَهُوَ يُعَذِّبُهُ ﴿الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ الَّذِي هُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ، وَقِيلَ: هُوَ أَسْتِثْنَاءُ

(١) قاله الفراء في معاني القرآن: ج ٣ ص ٢٥٨.

(٢) الظَّمءُ: مَا بَيْنَ الْوَرْدَيْنِ، وَهُوَ حَبْسُ الْإِبِلِ عَنِ الْمَاءِ إِلَى غَايَةِ الْوَرْدِ، وَالْجَمْعُ: أَظْمَاءُ (الصَّحاح: مَادَّةُ ظَمَأَ).

(٣) حَكَاهُ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنُ خَالُوَيْهِ فِي شَوَازِ الْقُرْآنِ: ص ١٧٣.

(٤) (٥) ق: ٤٥.

(٤) الشُّورَى: ٤٨.

من قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾ إِلَّا مَنْ أَنْقَطَعَ طَمَعُكَ عَنْ إِيمَانِهِ وَتَوَلَّى فَاسْتَحَقَّ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ، وما بينهما أَعْتَرَا ض^(١).

وَقُرِئَ: «إِيَابَهُمْ» بِالتَّشْدِيدِ^(٢)، وَأَصْلُهُ: أَوَّابٌ، مِنْ: أَوَّبَ، ثُمَّ قُلِبَ الْوَاوُ يَاءً كـ«دِيَوَانٍ»، ثُمَّ فُعِلَ بِهِ مَا فُعِلَ بِأَصْلِ «سَيِّدٍ» وَ«هَيِّنٍ»، وَالْمَعْنَى فِي تَقْدِيمِ الظَّرْفِ: التَّشْدِيدُ فِي الْوَعِيدِ، وَإِنَّ ﴿إِيَابَهُمْ﴾ لَيْسَ إِلَّا إِلَى الْقَهَّارِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ، وَإِنَّ ﴿حِسَابَهُمْ﴾ لَيْسَ بِوَاجِبٍ إِلَّا عَلَيْهِ.



(١) قاله الفراء في معاني القرآن: ج ٣ ص ٢٥٨.

(٢) وهي قراءة أبي جعفر المدني. راجع شواذ القرآن: ص ١٧٣.

سُورَةُ الْفَجْرِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، ثَلَاثُونَ آيَةً كُوفِيَّةٌ، تِسْعٌ وَعَشْرُونَ بِصَرِيَّةً، عَدَّةُ الْكُوفِيِّ: ﴿فِي عَبْدِي﴾ ^(٢).

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا فِي لَيَالٍ عَشْرِ غُفِرَ لَهُ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٣).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْفَجْرِ فِي فَرَائِضِكُمْ وَنَوَافِلِكُمْ فَإِنَّهَا سُورَةُ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مَنْ قَرَأَهَا كَانَ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي دَرَجَتِهِ مِنَ الْجَنَّةِ» ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤)﴾

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٣٤٠: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ. وَهِيَ ثَلَاثُونَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ، وَتِسْعٌ وَعَشْرُونَ فِي الْبَصَرِيِّ، وَاثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ فِي الْمَدَنِيِّينَ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٧٤٦: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (٣٠) وَقِيلَ: (٢٩)، نَزَلَتْ بَعْدَ اللَّيْلِ.

(٢) الْآيَةُ: ٢٩.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٧٥٣ مَرْسَلًا.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٠ وَزَادَ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ
 الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ
 بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا
 فِيهَا الْفُسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ
 لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ
 رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي
 أَهْنَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ
 الْمُسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا
 جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا
 صَفًّا (٢٢) وَجَاءَ يَوْمَ يُؤْمَدُ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى
 (٢٣) يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥)
 وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) أَرْجَعِيَ إِلَى
 رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴿
 الْفَجْرُ: شَقُّ عُمُودِ الصُّبْحِ، أَقْسَمَ عَزَّ أَسْمُهُ بِهِ كَمَا أَقْسَمَ بِالصُّبْحِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالصُّبْحُ
 إِذَا أَسْفَرَ﴾^(١). ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾^(٢)، ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ يَعْنِي: عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ،
 وَقِيلَ: هِيَ الْعَشْرُ الْوَاحِرُ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ^(٣)، وَإِنَّمَا نُكِّرْتُ لِأَنَّهَا لَيَالٍ مَخْصُوصَةٌ
 مِنْ بَيْنِ جُنُسِ اللَّيَالِي الْعَشْرِ وَبَعْضُ مِنْهَا، أَوْ: مَخْصُوصَةٌ بِفَضَائِلَ لَيْسَتْ لِغَيْرِهَا.
 ﴿الشَّفْعُ وَالْوَثْرُ﴾: إِذَا الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا شَفَعُهَا وَوَثَرُهَا، وَإِنَّمَا شَفَعُ هَذِهِ اللَّيَالِي
 وَوَثَرُهَا، أَوْ: ﴿الشَّفْعُ﴾: يَوْمُ النَّحْرِ لِأَنَّهُ عَاشِرُ أَيَّامِهَا ﴿وَالْوَثْرُ﴾: عَرَفَةٌ لِأَنَّهَا تَاسِعُ

(٢) التكويد: ١٨.

(١) المدثر: ٣٤.

(٣) قاله ابن عباس برواية أبي ظبيان عنه. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٤٨١.

أَيَّامِهَا، أَوْ: ﴿الشَّفْعُ﴾: يَوْمُ التَّرْوِيَةِ ﴿وَالْوَتْرُ﴾: يَوْمُ عَرَفَةَ، وَرُويَ ذَلِكَ عَنْ الْأُئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَقُرِئَ: ﴿وَالْوَتْرُ﴾ بفتح الواو^(١) وهما لَعَنَانِ فِي الْعَدَدِ، وَفِي «التَّرَةِ» الْكَسْرُ لَا غَيْرَ.

﴿وَالْأَيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾ إِذَا يَمْضِي، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالْأَيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾^(٢) وَيُحَذَفُ يَاءُ «يَسِرِي» فِي الدَّرَجِ اجْتِزَاءً عَنْهَا بِالْكَسْرِ، فَأَمَّا فِي الْوَقْفِ فَيُحَذَفُ الْيَاءُ وَالْكَسْرَةُ، وَقِيلَ: مَعْنَى «يَسِرِي»: يُسْرَى فِيهِ^(٣).

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ أَي: هَلْ فِي مَا أَقْسَمْتُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ﴿قَسَمُ﴾ أَي: مُقْسَمٌ بِهِ ﴿لِذِي حَجَرٍ﴾ يُرِيدُ: لِذِي عَقْلٍ لِأَنَّ الْعَقْلَ يَخْجُرُ عَنِ الْقَبِيحِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ عَقْلاً وَنُهِتَ لِأَنَّهُ يَعْقِلُ وَيَنْهَى، أَي: هَلْ هُوَ قَسَمٌ عَظِيمٌ يُوَكِّدُ بِمِثْلِهِ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ؟ وَجَوَابُ الْقَسَمِ مُحذُوفٌ، وَهُوَ: لِيَعَذِّبُنَّ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَوَّطَ عَذَابٍ﴾، وَقِيلَ لِعَقَبِ عَادٍ بَنِ عَوْصٍ بَنِ إِرَمَ بَنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ: عَادٌ، كَمَا قِيلَ لِبَنِي هَاشِمٍ: هَاشِمٌ، ثُمَّ قِيلَ لِلأَوَّلِينَ مِنْهُمْ: عَادُ الْأَوَّلَى، وَإِرَمُ تَسْمِيَةٌ لَهُمْ بِاسْمِ جَدِّهِمْ، وَلَمَنْ بَعْدَهُمْ: عَادُ الْآخِرَةِ، فـ«إِرَمٌ» فِي قَوْلِهِ: ﴿بِعَادِ إِرَمٍ﴾ عَطْفٌ بَيَانٍ لـ«عَادٍ»، وَقِيلَ: إِرَمٌ: بَلَدُهُمُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا^(٤)، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: «بِعَادِ إِرَمٍ» عَلَى الْإِضَافَةِ^(٥)، وَتَقْدِيرُهُ: بِعَادِ أَهْلِ إِرَمٍ، وَ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ إِذَا كَانَتْ صِفَةً لِلْقَبِيلَةِ فَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ كَانُوا بَدَوِيِّينَ أَهْلَ عَمَدٍ، أَوْ: طَوَالَ الْأَجْسَامِ عَلَى تَشْبِيهِ قُدُودِهِمْ بِالْأَعْمِدَةِ، وَإِنْ كَانَتْ صِفَةً لِلْبَلَدَةِ فَالْمَعْنَى: أَنَّهَا ذَاتُ أَسَاطِينِ.

(١) الظاهر أن المصنف رحمه الله قد اعتمد هنا على قراءة كسر الواو تبعاً للكشاف، وهي قراءة حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٨٣.

(٢) المدثر: ٣٣.

(٣) قاله القتيبي. راجع تفسير السمرقندي: ج ٣ ص ٤٧٥.

(٤) قاله قتادة. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٥٦٦.

(٥) قرأه ابن الزبير والحسن، إلا أن الثاني فتح «عَادَ». راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٧٣.

وَرُويَ أَنَّهُ كَانَ لِعَادِ أَبْنَانٍ: شَدَّادٌ وَشَدِيدٌ، فَمَلَكَا وَقَهَرَا، ثُمَّ مَاتَ شَدِيدٌ وَخَلَصَ
الْأَمْرُ لِشَدَّادٍ فَمَلَكَ الدُّنْيَا، وَسَمِعَ بِذِكْرِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: أَبْنِي مِثْلَهَا، فَبَنَى إِرَمَ فِي بَعْضِ
صَحَارِي عَدَنَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكَانَ عُمُرُهُ تِسْعَمِائَةِ سَنَةٍ، وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ،
قُصُورُهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَسَاطِينُهَا مِنَ الزَّبَرْجَدِ وَالْيَاقُوتِ، وَفِيهَا أَصْنَافُ
الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ الْمَطْرَدَةِ، وَلَمَّا تَمَّ بِنَاؤُهَا سَارَ إِلَيْهَا بِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنْهَا
عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً مِنَ السَّمَاءِ فَهَلَكُوا^(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَلَابَةَ: أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ فِي الصَّحَارِي، فَوَقَعَ عَلَيْهَا،
فَحَمَلَ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِمَّا تَمَّ، وَبَلَغَ خَبْرُهُ مُعَاوِيَةَ فَاسْتَحْضَرَهُ فَقَصَّ عَلَيْهِ، فَبَعَثَ إِلَى
كَعْبٍ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: هِيَ إِرَمُ ذَاتُ الْعِمَادِ، وَسَيَدْخُلُهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي زَمَانِكَ
أَحْمَرُ أَشَقَرُ قَصِيرٌ، عَلَى حَاجِبِيهِ خَالٌ وَعَلَى عَقِبِهِ خَالٌ، يَخْرُجُ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ،
ثُمَّ أَلْتَفَتَ فَأَبْصَرَ ابْنَ قَلَابَةَ فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ^(٢).

﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾ أَي: مِثْلُ عَادٍ ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ عِظَمَ أَجْرَامٍ وَقُوَّةٍ، أَوْ: لَمْ يُخْلَقْ
مِثْلَ مَدِينَةِ شَدَّادٍ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ. ﴿جَابُوا الصَّخْرَ﴾ أَي: قَطَعُوا صَخْرَ الْجِبَالِ
وَاتَّخَذُوا فِيهَا بُيُوتًا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾^(٣). وَقِيلَ لِفِرْعَوْنَ:
«ذُو الْأَوْتَادِ» لِكَثْرَةِ جُنُودِهِ وَمَضَارِيهِمُ الَّتِي كَانُوا يَضْرِبُونَهَا إِذَا نَزَلُوا، أَوْ: لِتَعْذِيهِ
بِالْأَوْتَادِ كَمَا فَعَلَ بِأَسِيَّةَ.

﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ نَضَبٌ عَلَى الدَّمِّ، أَوْ: رَفَعُ عَلَى: هُمُ الَّذِينَ طَغَوْا، أَوْ: جَرُّ صِفَةٍ
لِلْمَذْكُورِينَ: عَادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ. يُقَالُ: صَبَّ عَلَيْهِ السَّوْطُ وَغَشَّاهُ وَقَنَّعَهُ،
وَذِكْرُ السَّوْطِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَا أَجَّلَهُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا أَعَدَّهُ

(١) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٤٨.

(٢) رواه ابن كثير في تفسيره: ج ٤ ص ٥٠٩ عن وهب بن منبه عنه وعزاه الى الثعلبي وابن أبي

(٣) الشعراء: ١٤٩.

لهم في الآخرة كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يُعذَّبُ به، وكان الحسن إذا أتى على هذه الآية قال: إنَّ عند الله أسواطاً كثيرةً فأخذهم بسوطٍ منها^(١).

﴿المِرْصَادُ﴾ الْمَكَانُ الَّذِي يَتَرَقَّبُ^(٢) فِيهِ الرَّصْدُ، مِفْعَالٌ مِنْ: رَصَدَهُ. وَهَذَا مَثَلٌ لِإِرْصَادِهِ الْعَصَاةَ بِالْعِقَابِ وَأَنَّهُمْ لَا يَفُوتُونَهُ، وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ: أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ عِنْدَ الْمَنْصُورِ حَتَّى بَلَغَ هَذَا الْمَوْضِعَ فَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ يَا أَبَا جَعْفَرٍ. عَرَّضَ لَهُ فِي هَذَا النِّدَاءِ بِأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةٍ مِنْ تُوَعِّدُ بِذَلِكَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ^(٣).

وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ سَبْعَةَ مَحَابِسَ، يَسْأَلُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ الْعَبْدَ عِنْدَ أَوَّلِهَا عَنْ شَهَادَةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَعِنْدَ الثَّانِي عَنْ الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ الثَّالِثِ عَنْ الزَّكَاةِ، وَعِنْدَ الرَّابِعِ عَنْ الصَّوْمِ، وَعِنْدَ الْخَامِسِ عَنْ الْحَجِّ، وَعِنْدَ السَّادِسِ عَنْ الْعُمْرَةِ، فَإِنْ أَجَابَ بِهَا تَامَّةً جَازَ إِلَى السَّابِعِ فَيُسْأَلُ عَنِ الْمَظَالِمِ، فَإِنْ خَرَجَ مِنْهَا وَإِلَّا يُقَالُ: انْظُرُوا، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ أَكْمَلَ بِهِ أَعْمَالَهُ، فَإِذَا فَرَّغَ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ^(٤).

وَأَتَّصَلَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُرِيدُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا الطَّاعَةَ، وَهُوَ مُرْصِدٌ بِالْعُقُوبَةِ لِلْعَاصِي، فَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَلَا يَهْمُهُ إِلَّا الْعَاجِلَةُ، فَإِذَا ﴿أَبْتَلَنَاهُ رَبُّهُ﴾ وَأَمْتَحَنَهُ وَ﴿أَكْرَمَنَاهُ وَنَعَّمَهُ﴾ بِمَا وَسَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي﴾ وَهُوَ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ ﴿الْإِنْسَنُ﴾، وَدُخُولُ الْفَاءِ لِمَا فِي ﴿أَمَّا﴾ مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَالظَّرْفُ الْمَتَوَسِّطُ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ فِي تَقْدِيرِ التَّأخِيرِ، وَالتَّقْدِيرُ: مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَالْإِنْسَانُ قَائِلٌ: رَبِّي أَكْرَمَنِي وَقَتَ الْإِبْتِلَاءِ، وَسَمَّى كِلَا الْأَمْرَيْنِ مِنْ بَسْطِ الرِّزْقِ وَتَقْدِيرِهِ: إِبْتِلَاءً، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

(١) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٤١٧. (٢) في الكشاف: «يترقب».

(٣) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٤٨.

(٤) أنظر تفسير ابن عباس: ص ٥١٠.

لا خِتَابَ الْعَبْدِ أَيَشْكُرُ أَمْ يَكْفُرُ عِنْدَ الْبَسْطِ، أَوْ يَضْبِرُ أَمْ يَجْزَعُ عِنْدَ التَّقْيِيرِ، فَالْحِكْمَةُ فِيهِمَا وَاحِدَةٌ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(١)، وَقُرِئَ: ﴿قَدَرٌ﴾ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ^(٢)، وَقُرِئَ: «أَكْرَمَن» وَ «أَهَانَن» بِسُكُونِ التَّوْنِ فِي الْوَقْفِ^(٣) فِي مَنْ تَرَكَ الْيَاءَ فِي الدَّرَجِ مَكْتَفِيًا مِنْهَا بِالْكَسْرِ.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ، أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ، فَإِنِّي لَا أُغْنِي الْمَرْءَ لِكِرَامَتِهِ عَلَيَّ وَلَا أَفْقِرُهُ لِمَهَانَتِهِ عِنْدِي، وَلَكِنِّي أَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ أَشَاءَ وَأَقْدِرُ بِحَسَبِ مَا تُوجِبُهُ الْحِكْمَةُ وَتَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ ﴿بَلْ﴾ يَفْعَلُونَ مَا يَسْتَحِقُّونَ بِهِ الْإِهَانَةَ، فَلَا يُؤَدُّونَ مَا يَلْزَمُهُمْ فِي الْمَالِ إِذَا أَكْرَمْتُهُمْ بِالْإِكْتَارِ مِنْهُ، مِنْ: إِكْرَامِ الْيَتِيمِ وَحَضِّ الْأَهْلِ عَلَى ﴿طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾، وَ «يَأْكُلُونَ» أَكَلَ الْأَنْعَامِ، وَيُحِبُّونَهُ فَيَبْخُلُونَ بِهِ. وَقُرِئَ: ﴿تُكْرِمُونَ﴾ وَمَا بَعْدَهُ بِالتَّاءِ عَلَى الْخِطَابِ^(٤). وَقُرِئَ: «وَلَا يُحَاضُّونَ»^(٥)، أَي: يَحْضُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

﴿أَكَلًا لِّمَّا﴾ ذَالَمٌ، وَهُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، أَي: يَجْمَعُونَ فِي أَكْلِهِمْ بَيْنَ نَصِيْبِهِمْ مِنَ الْمِيرَاثِ وَنَصِيْبِ غَيْرِهِمْ، وَكَانُوا لَا يُورَثُونَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ وَيَأْكُلُونَ تَرَاثُهُمْ مَعَ تَرَاثِهِمْ، وَقِيلَ: ﴿يَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ فِيمَا يَشْتَهُونَ أَكْلًا وَاسِعًا، وَلَا يُخْرِجُونَ مَا وَجِبَ عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنَ الْحُقُوقِ^(٦). ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ أَي: كَثِيرًا شَدِيدًا

(١) الْأَنْبِيَاءُ: ٣٥.

(٢) قَرَأَهُ ابْنُ عَامِرٍ وَحْدَهُ. رَاجِعِ التَّذَكُّرَةَ فِي الْقِرَاءَاتِ لِابْنِ غَلْبُونَ: ج ٢ ص ٧٦٥.

(٣) قَرَأَهُ أَبُو عَمْرٍو بِرَوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ نَصْرٍ وَعَبَّاسٌ وَعَبِيدٌ كُلُّهُمْ عَنْهُ. رَاجِعِ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٦٨٤ - ٦٨٥.

(٤) الظَّاهِرُ أَنَّ الْمَصْنُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اعْتَمَدَ هُنَا عَلَى قِرَاءَةِ الْيَاءِ عَلَى الْغَائِبِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو وَحْدَهُ. رَاجِعِ كِتَابَ السَّبْعَةِ: ص ٦٨٥.

(٥) قَرَأَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَالْكَسَائِيُّ بِرَوَايَةِ الشَّيْرَازِيِّ عَنْهُ. رَاجِعِ الْبَحْرَ الْمَحِيطَ: ج ٨ ص ٤٧١.

(٦) قَالَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٥١.

مع الحرص والشره^(١).

﴿كَلَّا﴾ رَدُّعٌ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْكَارٌ لِفِعْلِهِمْ، ثُمَّ أَتَى بِالْوَعِيدِ، وَذَكَرَ تَحَسُّرَهُمْ عِنْدَمَا فَرَّطُوا فِيهِ حِينَ لَا تَنْفَعُ الْحَسْرَةُ. وَ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذَا دُمِّتِ الْأَرْضُ﴾ وَظُرِفَ لـ ﴿يَتَذَكَّرُ﴾. ﴿دَكَّا دَكًّا﴾ أَي: دَكًّا بَعْدَ دَكٍّ، أَي: كَرَّرَ عَلَيْهَا دَكَّ جِبَالِهَا وَأَنْشَارِهَا حَتَّى اسْتَوَتْ قَاعًا صَفْصَفًا.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ هَذَا تَمْثِيلٌ لظُهُورِ آيَاتِ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، مَثَّلَ ذَلِكَ بِحَالِ الْمَلِكِ إِذَا حَضَرَ بِنَفْسِهِ ظَهَرَ بِحُضُورِهِ مِنْ آثَارِ الْهَيْبَةِ وَالسِّيَاسَةِ مَا لَا يَظْهَرُ بِحُضُورِ مَنْ سِوَاهُ مِنْ جُنُودِهِ وَخَوَاصِّهِ. ﴿وَالْمَلِكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أَي: يَنْزِلُ مَلَائِكَةُ كُلِّ سَّمَاءٍ فَيُصْطَفُّونَ صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ، ﴿وَجِئَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ﴾^(٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ تَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعُرفَ فِي وَجْهِهِ، حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَأَخْبَرُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجَاءَ فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ قَبَّلَ بَيْنَ عَاتِقَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا الَّذِي حَدَثَ الْيَوْمَ؟ فَقَالَ: جَاءَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْيَوْمَ فَأَقْرَأَنِي، وَتَلَا الْآيَةَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ يُجَاءُ بِهَا؟ قَالَ: يَجِيءُ بِهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَقُودُونَهَا بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، فَتَشْرُدُ شَرْدَةً لَوْ تُرِكَتْ لِأَخْرَقَتْ أَهْلَ الْجَمْعِ، ثُمَّ أَتَعَرَّضُ لْجَهَنَّمَ فَتَقُولُ: مَا لِي وَلَكَ يَا مُحَمَّدُ ﷺ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ لَحْمَكَ عَلَيَّ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ يَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي^(٣).

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ مَا فَرَّطَ فِيهِ، أَوْ: يَتَّعِظُ ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ أَي: وَمِنْ أَيْنَ لَهُ مُنْفَعَةُ الذِّكْرَى، لَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ، وَإِلَّا فَبَيْنَ ﴿يَتَذَكَّرُ﴾

(١) فِي نَسْخَةٍ: «وَالشَّدَّةُ». (٢) الشُّعْرَاءُ: ٩١، وَالنَّازِعَاتُ: ٣٦.

(٣) أَخْرَجَهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرَجِ: ج ٨ ص ٥١١ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَعِزَاهُ إِلَى ابْنِ مَرْدُوَيْهِ.

وبين ﴿أَنْتَ لَهُ الْذِّكْرَى﴾ تَنَاقُضٌ. ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ هذه، وهي حَيَاةُ الْآخِرَةِ، أو: وَقْتُ حَيَاتِي فِي الدُّنْيَا، كَقَوْلِكَ: جِئْتُهُ لَخَمْسِ لَيَالٍ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ كَذَا، وَفِيهِ أَوْضَحُ دَلَالَةٍ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مُخْتَارِينَ لِأَفْعَالِهِمْ غَيْرَ مُجْبَرِينَ عَلَيْهَا، وَإِلَّا فَمَا مَعْنَى التَّحَسُّرِ.

وَقُرِئَ: «يُعَذَّبُ» و «يُوثَقُ» بِالْفَتْحِ ^(١)، وَالضَّمِيرُ لِلإِنْسَانِ الْمَوْصُوفِ، وَقِيلَ: هُوَ أَبِي بَنٍ خَلْفٍ، أَي: لَا يُعَذَّبُ أَحَدٌ مِثْلَ عَذَابِهِ، وَلَا يُوثَقُ أَحَدٌ مِثْلَ وَثَاقِهِ لِتَنَاهِيهِ فِي كُفْرِهِ وَعِنَادِهِ ^(٢) أو: لَا يَحْمِلُ عَذَابَهُ أَحَدٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ^(٣)، وَقُرِئَ بِالْكَسْرِ، وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ، أَي: لَا يَتَوَلَّى عَذَابَ اللَّهِ أَحَدٌ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، أو: لِلإِنْسَانِ أَي: لَا يُعَذَّبُ أَحَدٌ مِنَ الزَّبَانِيَةِ مِثْلَ مَا يُعَذَّبُونَهُ. ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ﴾ عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، أَي: يَقُولُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ إِكْرَامًا لَهُ، كَمَا كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو: عَلَى لِسَانِ مَلَكٍ، و ﴿الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الْآمِنَةُ الَّتِي لَا يَسْتَفْرِضُهَا خَوْفٌ وَلَا حُزْنٌ، أو: الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَى الْحَقِّ الَّتِي سَكَنَهَا رُوحُ الْعِلْمِ وَتَلَجُّ الْيَقِينِ فَلَا يُخَالِجُهَا شَكٌّ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ، أو: عِنْدَ الْبَعْثِ، أو: عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ، عَلَى مَعْنَى: ﴿أَرْجِعِي إِلَيَّ﴾ مَوْعِدِ ﴿رَبِّكَ رَاضِيَةً﴾ بِمَا أُوتِيَتْ ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عِنْدَ اللَّهِ. ﴿فَادْخُلِي فِي﴾ جُمْلَةِ ﴿عِبَادِي﴾ الصَّالِحِينَ، ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ مَعَهُمْ. وَقِيلَ: النَّفْسُ: الرُّوحُ ^(٤) وَالْمَعْنَى: فَادْخُلِي فِي أَجْسَادِ عِبَادِي، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فِي عَبْدِي» ^(٥)، وَقَالَ: أَرْجِعِي إِلَيَّ صَاحِبِكَ فَادْخُلِي فِي جَسَدِ عَبْدِي ^(٦).

(١) قرأه الكسائي وعاصم برواية المفضل عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٨٥.

(٢) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٥١١.

(٣) الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧.

(٤) قاله ابن عباس والضحاك وعكرمة. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٥٨٢.

(٥) حكاه عنه ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ١٧٤.

(٦) تفسير ابن عباس: ص ٥١١.

سُورَةُ الْبَلَدِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، عَشْرُونَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَهَا أَعْطَاهُ اللَّهُ الْأَمْنَ مِنْ غَضَبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كَانَ قِرَاءَتُهُ فِي الْفَرِيضَةِ ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ كَانَ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا أَنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَكَانَ فِي الْآخِرَةِ مَعْرُوفًا أَنَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَكَانًا، وَكَانَ مِنْ رُفَقَاءِ النَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٣٤٩: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَنْزَلَتْ حِينَ افْتَتَحَتْ مَكَّةَ، وَهِيَ عَشْرُونَ آيَةً بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٥٣: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (٢٠) نَزَلَتْ بَعْدَ ق.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٥٧ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥١.

الْعَقَبَةُ (١١) وَمَا أَذْرَكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَمُ فِي يَوْمٍ
ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ
نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ (٢٠) ﴿

أَقْسَمَ سبحانه بِـ ﴿الْبَلَدِ﴾ الحرام، وهو مكة، وبـ ﴿وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ وهو آدم
وذريته من الأنبياء والأوصياء وأتباعهم، وقيل: هو إبراهيم وولده^(١)، وقيل: هو
رسول الله ﷺ ومن ولده^(٢). أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه، وحرم أبيه
إبراهيم، ومنشأ أبيه إسماعيل، وبمن ولده وبه، وقيل: هو كلُّ والدٍ وولده^(٣).
وجواب القسم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: نصبٍ وشدة، فهو مغموّر في
مكابدة المشاق والشدائد. وأعرض بقوله: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ بين القسم
وجوابه، يعني: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حُرمتك تستحل بهذا البلد الحرام
كما يستحل الصيد في غير الحرم، وقد استحلوا إخراجك وقتلك، وقيل: إنه وعده
بفتح مكة^(٤)، أي: وأنت حلٌّ به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر،
بأن يفتح الله عليك ويحله لك. والكبد: أضله من قولك: كبد الرجل كبدًا فهو كبد:
إذا وجعت كبده، ثم استعمل في كل تعب ومشقة.

والضمير في ﴿أَيَحْسَبُ﴾ لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله ﷺ

(١) قاله أبو عمران الجوني. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٥٨٧.

(٢) قاله الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٥٤.

(٣) قاله ابن عباس وعكرمة. راجع تفسير الطبري المتقدم.

(٤) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٥١١.

يُكَابِدُ مِنْهُمْ مَا يُكَابِدُ، والمعنى: أَيُظَنُّ هذا الْمُتَعَزِّزُ الْقَوِيُّ فِي قَوْمِهِ ﴿أَنْ لَّنْ يَقْدِرَ﴾ على الانتقامِ مِنْهُ وعلى مَكَافَاتِهِ أَحَدٌ؟ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ كثيراً، يُريدُ: كَثْرَةً ما أَتَّفَقَهُ فيما كانوا يُسَمُّونها مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ. ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ حينَ كانَ يُنْفِقُ ما يُنْفِقُ رِيَاءَ النَّاسِ؟ يعني: أَنَّ اللَّهَ كانَ يَرَاهُ، وقيلَ: هو أَبُو الْأَشَدِّ، رَجُلٌ من جُمُوحٍ وكانَ قَوِيًّا، بَحيثُ يَقِفُ على أديمِ عُكاظٍ فيَجُرُّهُ العَشْرَةُ من تَحْتِهِ فيَقْطَعُ ولا يَبْرَحُ من مَكَانِهِ (١).

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يُبْصِرُ بِهِمَا الْمَرِئِيَّاتِ. ﴿وَلِسَانًا﴾ يُتَرَجِّمُ بِهِ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يُطْبِقُ بِهِمَا على فِيهِ، وَيَسْتَعِينُ بِهِمَا على النُّطْقِ وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أَي: طَرِيقَي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وقيلَ: التَّدْيِينِ (٢). ﴿فَلَا أَقْتَحِمَ الْعَقَبَةَ﴾ أَي: فَلَمْ يَشْكُرْ تِلْكَ الْأَيَادِي وَالنَّعَمَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنْ: فَكِّ الرِّقَابِ، وإِطْعَامِ الْيَتَامَى وَالْمَساكِينِ، مع الْإِيمَانِ الَّذِي هو أَصْلُ كُلِّ طَاعَةٍ، وَأَسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ، بَلْ غَمَطَ النَّعْمَ وَكَفَرَ بِالْمُنْعَمِ؟ والمعنى: أَنَّ الْإِثْفَاقَ على هذا الْوَجْهِ هو الْإِثْفَاقُ النَّافِعُ الْمَرْضِيُّ عِنْدَ اللَّهِ، لا أَنْ يُهْلِكَ مَالًا لِبَدًا فِي الرِّيَاءِ وَالْفَخَارِ. وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يَدُلُّ على أَنَّ الْمَعْنَى: فَلَا أَقْتَحِمَ الْعَقَبَةَ وَلَا أَمِنَ، وَالْإِقْتِحَامُ: الدُّخُولُ بِشِدَّةٍ وَمَشَقَّةٍ، وَالْفُحْمَةُ: الشَّدَّةُ، وَجَعَلَ سَبْحَانَهُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ عَقَبَةً، وَعَمَلَهَا أَقْتِحَامًا لَهَا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَعَانَاةِ الشَّدَّةِ وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَعَنِ الْحَسَنِ: عَقَبَةُ وَاللَّهُ شَدِيدَةٌ: مُجَاهَدَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ وَعَدُوَّهُ الشَّيْطَانَ (٣). وَفَكُّ الرَّقَبَةِ: تَخْلِيصُهَا مِنْ رِقٍّ أَوْ غَيْرِهِ. وَقُرِئَ: «فَكَّ رَقَبَةً

(١) قاله ابن عباس في تفسيره المتقدم.

(٢) قاله ابن عباس والضحاك. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٥٩٢.

(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٥٦.

أَوْ أَطْعَمَ»^(١) عَلَى الْإِبْدَالِ مِنْ: ﴿أَفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ اغْتِرَاضٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّكَ لَمْ تَذَرِ كُنْهَ ثَوَابِهَا وَكُنْهَ صُعُوبَتِهَا عَلَى النَّفْسِ؟ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ: ﴿مَسْغَبَةٍ﴾ وَ ﴿مَقْرَبَةٍ﴾ وَ ﴿مَثْرَبَةٍ﴾ مَفْعَلَةٌ مِنْ: سَغَبَ إِذَا جَاعَ، وَقَرَّبَ فِي النَّسَبِ، وَتَرَبَّ إِذَا أَفْتَقَرَ وَالتَّصَقَّ بِالتُّرَابِ، وَوُصِفَ «الْيَوْمَ» بِـ ﴿ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ كَمَا قِيلَ: هَمُّ نَاصِبٌ: ذُو نَصَبٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إِنَّمَا جَاءَ بِـ ﴿ثُمَّ﴾ لِتَرَاخِي الْإِيمَانِ وَتَبَاعُودِهِ فِي الرُّتْبَةِ وَالْفَضِيلَةِ عَنِ الْعِثْقِ وَالصَّدَقَةِ لَا فِي الْوَقْتِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ السَّابِقُ الْمُقَدَّمُ عَلَى غَيْرِهِ، وَلَا يَثْبُتُ عَمَلٌ صَالِحٌ إِلَّا بِهِ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أَيِ: وَصَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، أَوْ: بِالصَّبْرِ عَنِ الْمَعَاصِي وَعَلَى الطَّاعَاتِ وَالْمَحَنِ وَالبَلَايَا بِأَنْ يَكُونُوا مُتَرَاحِمِينَ، أَوْ: بِمَا يُؤَدِّي إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ: بِالرَّحْمَةِ عَلَى أَهْلِ الْحَاجَةِ. وَ ﴿الْمَيْمَنَةِ﴾ وَ ﴿الْمَشْئِمَةِ﴾: الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ، أَوْ: الْيُمْنُ وَالشُّؤْمُ، أَيِ: أَصْحَابُ الْيُمْنِ وَالبَرَكَةِ عَلَى نَفْسِهِمْ، وَأَصْحَابُ الشُّؤْمِ عَلَيْهَا. وَقُرِئَ: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ بِالْهَمْزَةِ وَتَرَكَ الْهَمْزَ^(٢)، مِنْ: أَوْصَدْتُ الْبَابَ وَأَصَدْتُهُ: إِذَا أَطْبَقْتُهُ، يَعْنِي: أَنَّ أَبْوَابَهَا عَلَيْهِمْ مُطْبَقَةٌ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا غَمٌّ، وَلَا يَدْخُلُ فِيهَا رَوْحٌ إِلَى آخِرِ الْأَبَدِ.



(١) قرأه ابن كثير وأبو عمرو والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٨٦.

(٢) قرأه ابن كثير وابن عامر ونافع والكسائي وعاصم برواية أبي بكر عنه راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٨٦.

سُورَةُ الشَّمْسِ

مَكِّيَّةٌ ^(١) خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ بِكُلِّ شَيْءٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَكْثَرَ قِرَاءَةَ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، و ﴿وَالضُّحَى﴾، و ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ فِي يَوْمِهِ أَوْ لَيْلَتِهِ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ بِحَضْرَتِهِ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى شَعْرُهُ وَبَشَرُهُ وَلَحْمُهُ وَعُرْوُوقُهُ وَجَمِيعُ مَا أَقَلَّتِ الْأَرْضُ مِنْهُ، وَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قَبِلْتُ شَهَادَتَكُمْ لِعَبْدِي وَأَجَزْتُهَا لَهُ، انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى جَنَانِي حَتَّى يَتَخَيَّرَ مِنْهَا حَيْثُ مَا أَحَبَّ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهَا غَيْرَ مِنْ مَنِّي وَلَكِنْ رَحْمَةً وَفَضْلًا، فَهَنِينًا لِعَبْدِي» ^(٣).

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٣٥٦: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَاكِ، وَهِيَ خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ وَالْبَصْرِيِّ، وَسِتَّ عَشْرَةَ فِي الْمَدَنِيِّينَ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٥٨: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (١٥)، نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَدْرِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٦١ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥١، وَفِيهِ بَعْدَ «وَعُرْوَقَهُ»: «وَعَصْبُهُ وَعِظَامُهُ»، وَفِيهِ «رَحْمَةً مَنِّي وَفَضْلًا عَلَيْهِ»، وَكَرَّرَ لَفْظَةَ «هَنِينًا» مَرَّتَيْنِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا﴾ (١) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا (٢) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا (٣) وَالَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) ﴿ضَحَّاهَا﴾ أَمْتِدَادُ ضَوْئِهَا وَأَنْبِسَاطُهُ وَإِشْرَاقُهُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: وَقَتُ الضُّحَى، وَقِيلَ: الضُّحَاةُ: أَرْتِفَاعُ النَّهَارِ، وَالضُّحَى: فَوْقَ ذَلِكَ، وَالضُّحَاءُ - بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ -: فَوْقَ ذَلِكَ إِذَا قَارَبَ النُّصْفَ ^(١). ﴿إِذَا تَلَّهَا﴾ طَلَعَ عِنْدَ غُرُوبِهَا آخِذاً مِنْ نُورِهَا، وَذَلِكَ فِي النُّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ. ﴿إِذَا جَلَّهَا﴾ عِنْدَ أَنْبِسَاطِ النَّهَارِ مُجَلِّياً لَهَا لِظُهُورِ جُزْمِهَا فِيهِ وَتَمَامِ أَنْجِلَائِهَا، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلظُّلْمَةِ أَوِ الدُّنْيَا أَوِ لِلأَرْضِ وَإِنْ لَمْ يَجْرَ لَهَا ذِكْرٌ، كَقَوْلِهِمْ: أَصْبَحَتْ بَارِدَةً، يَعْنُونَ الْغَدَاةَ ^(٢). ﴿إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أَي: يَغْشَى الشَّمْسُ فَيُظْلِمُ الْآفَاقَ وَيُلْبِسُهَا سَوَادَهُ.

و «مَا» فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾، ﴿وَمَا طَحَاهَا﴾، ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ مَوْصُولَةٌ، وَالْمَعْنَى: وَالسَّمَاءُ وَالْقَادِرِ الْعَظِيمِ الَّذِي بَنَاهَا، وَالْأَرْضُ وَالصَّانِعِ الْعَلِيمِ الَّذِي طَحَاهَا، وَنَفْسٍ وَالْخَالِقِ الْحَكِيمِ الَّذِي سَوَّاهَا أَي: عَدَلَ خَلْقَهَا، وَفِي كَلَامِهِمْ: سَبْحَانَ مَا سَخَّرَ كُنَّ لَنَا. ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أَي: عَرَّفَهَا طَرِيقَ الْفُجُورِ وَالتَّقْوَى، وَأَنَّ أَحَدَهُمَا قَبِيحٌ وَالْآخَرُ حَسَنٌ، وَمَكَّنَهَا مِنْ اخْتِيَارِ مَا شَاءَ مِنْهُمَا،

(١) قاله مجاهد والفراء. راجع إعراب القرآن للنحاس: ج ٥ ص ٢٣٥.

(٢) قاله الفراء في معاني القرآن: ج ٣ ص ٢٦٦.

بدليل قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ فجعله فاعِلَ التَّزْكِيَةِ والتَّدْصِيَةِ ومُتَوَلِّيهما. والتَّزْكِيَةُ: الإِنْمَاءُ والإِغْلَاءُ بالتَّقْوَى، والتَّدْصِيَةُ: النَّقْصُ والإِخْفَاءُ بالفُجُورِ، وأصلُ دَسَّى: دَسَسَ، كَمَا قِيلَ: تَقَضَّى فِي «تَقَضُّضٍ».

ونَكَرَ قَوْلُهُ: ﴿وَنَفْسٍ﴾ لَأَنَّهُ أَرَادَ نَفْساً خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ النُّفُوسِ، وَهِيَ نَفْسُ آدَمَ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَوَاحِدَةٍ مِنَ النُّفُوسِ، أَوْ: لَأَنَّهُ أَرَادَ كُلَّ نَفْسٍ، فَيَكُونُ مِنْ عَكْسِ كَلَامِهِمُ الَّذِي يَقْصِدُونَ بِهِ الإِفْرَاطَ فِيمَا يُعَكِّسُ عَنْهُ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:
قَدْ أَتْرَكُ الْقِرْنَ مُضْفَرّاً أَنَامِلُهُ^(١)

فَجَاءَ بِلَفْظِ التَّقْلِيلِ الَّذِي يُفْهَمُ مِنْهُ مَعْنَى الْكَثْرَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(٢)، وَمَعْنَاهُ مَعْنَى «كَمْ» أَوْ أَبْلَغُ مِنْهُ.

وَجَوَابُ الْقَسَمِ مَحْذُوفٌ، وَتَقْدِيرُهُ: لَيُدْمِدَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، أَي: عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ لِتَكْذِيبِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ كَمَا دَمَدَمَ عَلَى ثُمُودَ لِتَكْذِيبِهِمْ صَالِحاً. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ فَكَلَامٌ تَابِعٌ لِقَوْلِهِ: ﴿فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِطْرَادِ وَلَيْسَ مِنْ جَوَابِ الْقَسَمِ فِي شَيْءٍ.

وَالْبَاءُ فِي ﴿بِطَغُونَهَا﴾ مِثْلُهَا فِي: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ، وَالطَّغَوَى مِنْ: الطُّغْيَانِ، فَصَلُّوا بَيْنَ الْأَسْمِ وَالصِّفَةِ فِي: «فَعَلَى» مِنْ ثَبَاتِ الْيَاءِ بَأَنَّ قَلَبُوا الْيَاءَ وَآوَأَ فِي الْأَسْمِ وَتَرَكُوا الْقَلْبَ فِي الصِّفَةِ فَقَالُوا: امْرَأَةٌ خَزْيَاءٌ وَصَدِيَاءٌ، وَالْمَعْنَى: فَعَلْتُ ثُمُودَ التَّكْذِيبَ بِطُغْيَانِهَا، كَمَا تَقُولُ: ظَلَمَنِي بِجُرْأَتِهِ عَلَى اللَّهِ، وَقِيلَ: ﴿كَذَّبْتُ﴾ بِمَا أُوعِدْتُ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ذِي الطَّغْوَى^(٣) كَقَوْلِهِ: ﴿فَاهْلِكُوا بِالطَّاعِغِيَةِ﴾^(٤). ﴿إِذْ أَنْبَعَثَ﴾ ظَرْفٌ

(١) وعجزه: كأنَّ أثوابه مجَّتْ بفِرْصَادٍ. لعبيد بن الأبرص الأسدي، وفيه يظهر مقام التمدح بشجاعته. وقد تقدَّم شرح البيت في ج ١ ص ١٦٠.

(٢) الحجر: ٢.

(٣) قاله ابن عباس وقتادة. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٦٠٥.

(٤) الحاقة: ٥.

لـ ﴿كَذَّبَتْ﴾ أو: لِلطَّغَوَى، و ﴿أَشَقَّهَا﴾ قَدَارُ بْنُ سَالِفٍ، عَاقِرُ النَّاقَةِ، وَهُوَ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّنَا ﷺ (١).

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ صُهِيبٍ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ؟ قَالَ: عَاقِرُ النَّاقَةِ، قَالَ: صَدَقْتَ، فَمَنْ أَشَقَى الْآخِرِينَ؟ قَالَ: لَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الَّذِي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذِهِ، وَأَشَارَ إِلَى يَافُوخِهِ (٢).

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا جَمَاعَةً، وَإِنَّمَا وَحَّدَ لِأَنَّ أَفْعَلَ التَّفْضِيلَ يَسْتَوِي فِيهِ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ فِي الْإِضَافَةِ، وَكَانَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: أَشَقَّوْهَا. ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ نُصِبَ عَلَى التَّحْذِيرِ، كَقَوْلِكَ: الْأَسَدَ الْأَسَدَ بِإِضْمَارٍ: «احْذَرْ» أَوْ: ذَرُّوا عَقْرَهَا ﴿وَسُقَيْنَهَا﴾ فَلَا تَزُودُوهَا عَنْهَا. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فِيمَا حَذَّرَهُمْ مِنْهُ مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ إِنْ فَعَلُوا ﴿قَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ فَأُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ، وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ بِسَبَبِ ذَنبِهِمْ، وَفِيهِ إِنْذَارٌ عَظِيمٌ بِعَاقِبَةِ الذَّنْبِ ﴿فَسَوَّاهَا﴾ الضَّمِيرُ لِلدَّمْدَمَةِ أَي: فَسَوَّى الدَّمْدَمَةَ بَيْنَهُمْ لَمْ يُفْلِتْ مِنْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ. ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا﴾ أَي: عَاقِبَتَهَا وَتَبِعَتَهَا كَمَا يَخَافُ ذَلِكَ مَنْ يُعَاقِبُ فَيُبْقِي بَعْضَ الْإِثْقَاءِ، وَقُرِئَ: «فَلَا يَخَافُ» بِالْفَاءِ (٣)، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) أنظر شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج ٢ ص ٣٣٥ و ٣٣٧ ح ١٠٩٦ و ١٠٩٩ وما بعده من طرقٍ عن عليٍّ عليه السلام.

(٢) أخرجه الحاكم الحسكاني في الشواهد: ج ٢ ص ٣٣٦ ح ١٠٩٨ وفيه: «عمر بن صهيب عن أبيه»، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ج ٣ ص ٣٤٢ برقم ١٣٨٩، وأبو يعلى الموصلي في المسند: ج ١ ص ٣٧٧ ح ٢٢٥، وأبو نعيم في معرفة الصحابة: ص ٢١ ط. حجر، وابن حجر في المطالب العالية: ج ٤ ص ٣٢٣ ح ٤٥١١، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني: ص ١٥ (مخطوط)، والهيثمي في مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٣٦ وعزاه إلى الطبراني وأبي يعلى وقال: رجاله ثقات.

(٣) قرأه نافع وابن عامر وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٨٩.

سُورَةُ اللَّيْلِ

مَكِّيَّةٌ ^(١) إِحْدَى وَعِشْرُونَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا أَعْطَاهُ اللَّهُ حَتَّى يَرْضَى، وَعَافَاهُ مِنَ الْعُسْرِ، وَيَسَّرَ لَهُ الْيُسْرَ» ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ
وَالْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ
بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ
عَلَيْنَا لِلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا
تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦)
وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٣٦٢: مَكِّيَّةٌ في قول ابن عباس والضحاك، وهي إحدى وعشرون آيةً بلا خلاف.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٧٦١: مَكِّيَّةٌ، وآياتها (٢١)، نزلت بعد الأعلى.

(٢) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٧٦٥ مرسلاً.

وقد تقدّم حديث الصادق عليه السلام في فضلها في حديثه عن فضل سورة الشمس.

نِعْمَةٌ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١) ﴿
 أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بـ ﴿الَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ الشَّمْسُ أَوْ النَّهَارُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّيْلُ إِذَا
 يَغْشَاهَا﴾^(١) يَغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ، أَوْ: يَغْشَى كُلَّ شَيْءٍ، يُوَارِيهِ بظِلَامِهِ. ﴿تَجَلَّى﴾
 ظَهَرَ بِزَوَالِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ. ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ أَي: وَالْقَادِرِ الَّذِي قَدَرَ عَلَى
 خَلْقِ ﴿الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى﴾، وَقِيلَ: هُمَا خَلَقَ آدَمَ وَحَوَّاءَ^(٢)، وَفِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ^(٣)
 وَعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَبْنِ عَبَّاسٍ: «وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى»^(٤). ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ جَوَابُ
 الْقَسَمِ، أَي: إِنَّ مَسَاعِيَكُمْ أَشْتَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ، أَوْ: شَتَّى: جَمْعُ شَتِيتٍ.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ﴾ حَقَّ اللَّهِ مِنْ مَالِهِ ﴿وَاتَّقَى﴾ اللَّهَ فَلَمْ يَعْصِهِ. ﴿وَصَدَّقَ﴾
 بِالْخَصْلَةِ ﴿الْحُسْنَى﴾ وَهِيَ الْإِيمَانُ، أَوْ: بِالْمِلَّةِ الْحُسْنَى وَهِيَ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ، أَوْ:
 بِالْمَثُوبَةِ الْحُسْنَى وَهِيَ الْجَنَّةُ. ﴿فَسُنِّيْسْرُهُ﴾ أَي: فَسَنُهِئَتُهُ ﴿لِلْيُسْرَى﴾ مِنْ: يَسَّرَ
 الْفَرَسَ لِلرُّكُوبِ: إِذَا أَسْرَجَهَا وَالْجَمَّهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «كُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(٥).
 وَالْمَعْنَى: فَسَنُوفَقُّهُ حَتَّى تَكُونَ الطَّاعَةُ أَيْسَرَ الْأُمُورِ عَلَيْهِ. ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
 وَاسْتَغْنَى﴾ وَزَهَدَ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ كَأَنَّهُ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ فَلَمْ يَتَّقِهِ، أَوْ: اسْتَغْنَى بِشَهَوَاتِ
 الدُّنْيَا عَنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، لِأَنَّهُ فِي مَقَابِلَةِ ﴿وَاتَّقَى﴾، ﴿فَسُنِّيْسْرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ أَي:
 فَسَنَخْذُلُهُ وَنَمْنَعُهُ الْأَطْفَالَ حَتَّى تَكُونَ الطَّاعَةُ أَعْسَرَ شَيْءٍ عَلَيْهِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَيَجْعَلُ
 صَدْرَهُ ضِيقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾^(٦)، أَوْ: سَمَّى طَرِيقَةَ الْخَيْرِ بِالْيُسْرَى

(١) الشمس: ٤.

(٢) قاله مقاتل والكلبي. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٤٩٤.

(٣) كذا في الكشف أيضاً، والمراد ورد ذلك في خبر، قال في مجمع البيان: «في الشواذ: قراءة النبي ﷺ وقراءة علي بن أبي طالب...».

(٤) حكى القراءة عنهم ابن جني في المحتسب: ج ٢ ص ٣٦٤.

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح: ج ٤ ص ٢٠٤١ ح ٢٦٤٩ عن عمران بن حصين.

(٦) الأنعام: ١٢٥.

لأنَّ عَاقِبَتَهَا الْيُسْرُ، وطَرِيقَةُ الشَّرِّ بِالْعُسْرِ لَأَنَّ عَاقِبَتَهَا الْعُسْرُ، أَوْ: أَرَادَ بِهِمَا: طَرِيقَي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، أَي: فَسَنَهَدِيهِمَا فِي الْآخِرَةِ لِلطَّرِيقَيْنِ.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ نَفْيٌ أَوْ اسْتِفْهَامٌ فِي مَعْنَى الْإِنْكَارِ ﴿إِذَا تَرَدَّدَى﴾ تَفَعَّلَ مِنْ الرَّدَّى وَهُوَ الْهَلَاكُ، يُرِيدُ: إِذَا مَاتَ، أَوْ: تَرَدَّدَى فِي الْحُفْرَةِ إِذَا قُبِرَ، أَوْ: تَرَدَّدَى فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ.

قَالَ الْبَاقِرُ عليه السلام: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ﴾ مَا آتَاهُ اللَّهُ ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أَي: بَأَنَّ اللَّهَ يُعْطِي بِالوَاحِدِ عَشْرًا إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ فَمَا زَادَ. ﴿فَسُنِّيَسُّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ لَا يُرِيدُ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا يَسَّرَهُ اللَّهُ لَهُ. ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ بَأَنَّ اللَّهَ يُعْطِي بِالوَاحِدِ عَشْرًا إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ. ﴿فَسُنِّيَسُّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ لَا يُرِيدُ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ إِلَّا يَسَّرَهُ لَهُ، ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّدَى﴾ قَالَ: وَاللَّهِ مَا تَرَدَّدَى مِنْ جَبَلٍ وَلَا فِي بَثْرٍ، وَلَكِنْ تَرَدَّدَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ ^(١).

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ إِنَّ الْإِرْشَادَ إِلَى الْحَقِّ وَاجِبٌ عَلَيْنَا بِنَضْبِ الدَّلَائِلِ وَبَيَانِ الشَّرَائِعِ. ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ أَي: ثَوَابَ الدَّارَيْنِ لِلْمُهْتَدِي، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ^(٢).

﴿نَارًا تَلْظَى﴾ أَي: تَتَلَهَّبُ وَتَتَوَقَّدُ. ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ لَا يَخْتَصُّ بِصَلَاهَا إِلَّا الْكَافِرُ الَّذِي هُوَ أَشْقَى الْأَشْقِيَاءِ، يُرِيدُ: نَارًا مَخْصُوصَةً مِنْ أَعْظَمِ النَّيرانِ. وَسَيَجَنَّبُ النَّارَ ﴿الْأَتَقَى﴾ الْمُبَالِغُ فِي التَّقْوَى. ﴿الَّذِي﴾ يُنْفِقُ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿يَتَزَكَّى﴾ يَطْلُبُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ زَكِيًّا، أَوْ: يَتَفَعَّلُ مِنْ: «الزَّكَاةِ». ﴿وَمَا لِأَحَدٍ

(١) رواه الكليني في الكافي: ج ٤ ص ٤٦ ح ٥ باسناده عن سعد بن طريف، وفيه بعد «من جبل»: «ولا من حائط».

(٢) العنكبوت: ٢٧.

عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١﴾ أَي: وَلَمْ يَفْعَلْ مَا فَعَلَهُ لِنِعْمَةٍ أُسْدِيَتْ عَلَيْهِ ^(١) يُكَافَأُ عَلَيْهَا، وَلَا لِيَدِ يَتَّخِذُهَا عِنْدَ أَحَدٍ. ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ مُسْتَشْنَى مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ، وَهُوَ النِّعْمَةُ، أَي: مَا أُعْطِيََتْ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ نِعْمَةٌ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ، كَقَوْلِكَ: مَا فِي الدَّارِ أَحَدٌ إِلَّا حِمَارًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لَهُ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: لَا يُؤْتِي مَالَهُ إِلَّا ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ. ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ بِمَا يُعْطَى مِنَ الثَّوَابِ وَالْخَيْرِ.



(١) في نسخة: «إليه» بدل «عليه».

سُورَةُ الضُّحَى

مَكِّيَّةٌ ^(١) إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً بِالْإِجْمَاعِ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا كَانَ مَمَّنْ يَرْضَى اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ،

وَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بَعْدَ كُلِّ يَتِيمٍ وَسَائِلٍ» ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ
يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا
فَأَغْنَى (٨) فَاُمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأُمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأُمَّا
بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٣٦٧: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضُّحَاكُ، وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً بِإِجْمَاعٍ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٦٥: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (١١)، نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَجْرِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٦٩ مَرْسَلًا.

وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي فَضْلِهَا عِنْدَ الْحَدِيثِ فِي فَضْلِ قِرَاءَةِ سُورَةِ الشَّمْسِ الْمَتَقَدِّمَةِ.

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بَوَقْتِ ﴿الضُّحَى﴾ وَهُوَ صَدْرُ النَّهَارِ، وَقِيلَ: أُرِيدَ بِالضُّحَى النَّهَارُ كُلُّهُ ^(١) كَقَوْلِهِ: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ ^(٢) فِي مَقَابَلَةِ قَوْلِهِ: ﴿بَيَاتًا﴾ ^(٣)، ﴿سَجًى﴾ أَي: سَكَنَ وَرَكَدَ ظِلَامُهُ، وَلَيْلَةٌ سَاجِيَةٌ: سَاكِنةُ الرِّيحِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: سُكُونُ النَّاسِ وَالْأَصْوَاتِ فِيهِ ^(٤). ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ، أَي: مَا قَطَعَكَ قَطْعَ الْمُودَعِ، وَالتَّوْدِيْعُ مِبَالِغَةٌ فِي الْوَدَعِ وَهُوَ التَّرَكُّ، لِأَنَّ مَنْ وَدَّعَكَ فَقَدْ بَالَغَ فِي تَرْكِكَ. وَرُوي: أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ أَحْتَبَسَ عَنْهُ أَيَّامًا، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا وَدَّعَهُ رَبُّهُ وَقَلَّاهُ فَفَزَلَتْ ^(٥).

وَحُذِفَ الضَّمِيرُ مِنْ ﴿قَلَى﴾ كَمَا حُذِفَ مِنْ ﴿الذَّاكِرَتِ﴾ ^(٦)، وَنَحْوُهُ: ﴿فَاوًى﴾، ﴿فَهْدًى﴾، ﴿فَاغْنَى﴾ وَهُوَ اخْتِصَارٌ لَفْظِيٌّ لِأَنَّ الْمَحذُوفَ مَعْلُومٌ. ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ وَجْهٌ اتِّصَالُهُ بِمَا قَبْلَهُ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي ضَمْنِ نَفْيِ التَّوْدِيْعِ وَالْقَلَى أَنَّ اللَّهَ مُوَاصِلُكَ بِالْوَحْيِ إِلَيْكَ، وَأَنَّكَ حَبِيبُ اللَّهِ، أَخْبَرَهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ حَالَهُ فِي الْآخِرَةِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَجَلٌ، وَهُوَ السَّبْقُ وَالتَّقَدُّمُ عَلَى جَمِيعِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَإِعْلَاءُ الْمَرْتَبَةِ، وَإِعْطَاءُ الشَّفَاعَةِ وَالْحَوْضِ وَأَنْوَاعِ الْكَرَامَةِ.

وَعَنْ أَبِي الْحَنَفِيَّةِ أَنَّهُ قَالَ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، تَزْعُمُونَ أَنَّ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا...﴾ ^(٧) الْآيَةُ، وَإِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ نَقُولُ: أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وَهِيَ وَاللَّهُ الشَّفَاعَةُ، لِيُعْطِيَهَا فِي أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَتَّى يَقُولَ: رَبِّ رَضِيتُ ^(٨).

(١) قاله قتادة. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٥٩٩.

(٢) الأعراف: ٩٨. (٣) الأعراف: ٩٧.

(٤) قاله مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٦٢٢.

(٥) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٦٢٣ عن ابن عباس.

(٦) الأحزاب: ٣٥. (٧) الزمر: ٥٣.

(٨) رواه القرطبي في تفسيره: ج ٢٠ ص ٩٦ عن عليٍّ عليه السلام. وفي الدر المنثور: ج ٨ ص ٥٤٣ ←

واللَّامُ فِي ﴿وَلَسَوْفَ﴾ لَامُ الْإِبْتِدَاءِ الْمَوْكَّدَةُ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ، وَالْمَبْتَدَأُ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: وَلَأَنْتَ سَوْفَ يُعْطِيكَ، وَلَيْسَ بِلَامِ الْقَسَمِ لِأَنَّهَا لَا تَدْخُلُ عَلَى الْمَضَارِعِ إِلَّا مَعَ نُونِ التَّوَكُّيدِ. ثُمَّ عَدَّدَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ نِعَمَهُ، وَأَنَّهُ لَمْ يُخْلِهِ مِنْهَا مِنْ أَبْتِدَاءِ أَمْرِهِ لِيُقَيَّسَ الْمَتَرَقَّبُ عَلَى السَّالِفِ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ مِنَ الْوُجُودِ الَّذِي بِمَعْنَى الْعِلْمِ، وَالْمَنْصُوبَانِ مَفْعُولَا «وَجَدَ»، وَالْمَعْنَى: أَلَمْ تَكُنْ يَتِيمًا؟ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ مَاتَ وَهُوَ جَنِينٌ، أَوْ: بَعْدَ وَلَادَتِهِ بِمُدَّةٍ قَلِيلَةٍ عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَةِ فِيهِ، وَمَاتَتْ أُمُّهُ وَهُوَ ابْنُ سَنَتَيْنِ فَأَوَاهُ اللَّهُ بِجَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلًا، وَبِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ وَفَاةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَحَبَّبَهُ إِلَيْهِ حَتَّى كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ أَوْلَادِهِ، فَكَفَّلَهُ وَرَبَّاهُ، وَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ كَانَ ابْنُ ثَمَانِي سِنِينَ.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عَنْ عِلْمِ الشَّرَائِعِ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتَبُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾^(١). وَقِيلَ: إِنَّ حَلِيمَةَ ظَهْرَهُ أَضَلَّتْهُ عِنْدَ بَابِ مَكَّةَ حِينَ فَطَمَتْهُ وَجَاءَتْ بِهِ لِتَرْدَهُ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَخَرَجَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَدَعَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَنُودِيَ وَأُشْعِرَ بِمَكَانِهِ^(٢). وَرُويَ أَيْضًا: أَنَّهُ ضَلَّ فِي صِبَاهُ فِي بَعْضِ شِعَابِ مَكَّةَ فَرَدَّهُ أَبُو جَهْلٍ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٣) ﴿فَهَدَى﴾ أَي: فَعَرَّفَكَ الْقُرْآنَ وَالشَّرَائِعَ، أَوْ: فَأَزَالَ ضَلَالَكَ عَنْ جَدِّكَ. ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ أَي: فَقِيرًا لَا مَالَ لَكَ فَأَغْنَاكَ بِمَالِ خَدِيجَةَ، أَوْ: بِمَا أَفَاءَ عَلَيْكَ مِنَ الْغَنَائِمِ.

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أَي: فَلَا تَغْلِبْهُ عَلَى حَقِّهِ وَمَالِهِ لضعفه.

من طريق حرب بن شريح عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، وعزاه إلى ابن المنذر وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية. (١) الشورى: ٥٢.

(٢) رواه القرطبي في تفسيره: ج ٢٠ ص ٩٧ عن كعب.

(٣) رواه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٤٩٩ عن ابن عباس.

وعنه عليه السلام: «مَنْ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَمَرُّ عَلَى يَدِهِ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي: فلا تَرُدَّهُ ولا تَزْجُرُهُ، وقيل: هو طَالِبُ الْعِلْمِ إِذَا جَاءَكَ فَلَا تَنْهَرُهُ (٢). والتَّحْدِيثُ ﴿بِنِعْمَةِ﴾ اللَّهِ: شُكْرُهَا وَإِشَاعَتُهَا وَإِظْهَارُهَا.



(١) رواه الآلوسي في تفسيره: ج ٣٠ ص ١٦٣ مرفوعاً عن ابن مسعود.

(٢) قاله الحسن. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٥٠٠.

سُورَةُ الشَّرْحِ^(١)

مَكِّيَّةٌ^(٢)، ثَمَانِي آيَاتٍ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَهَا أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ لَقِيَ مُحَمَّدًا ﷺ وَآلَهُ وَسَلَّمَ مُغْتَمًا فَفَرَّجَ عَنْهُ»^(٣).

وَرُوِيَ عَنْ أَثَمِينَةَ ﷺ: أَنَّ «الضُّحَى»، وَ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ سُورَةٌ وَاحِدَةٌ، وَكَذَلِكَ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ وَ﴿لَا يَلَا فِ﴾ سُورَةٌ وَاحِدَةٌ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (٨)

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «سُورَةُ أَلَمْ نَشْرَحْ».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٣٧١: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ ثَمَانِ آيَاتٍ بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٧٠: مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٨)، نَزَلَتْ بَعْدَ الضُّحَى.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٧٢ مَرْسَلًا.

(٤) رَوَاهُ الْعِيَّاشِيُّ عَنِ الصَّادِقِ ﷺ كَمَا فِي الْمَجْمَعِ.

هذا أستفهامٌ عن انتفاء «الشَّرح» على وجه الإنكار، فأقَادَ إثبات الشَّرح وإيجابه، فكأنه قال: «شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ» ولذلك عَطَفَ عليه ﴿وَضَعْنَا﴾ اعتباراً للمعنى، ومعنى «شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ»: فَسَخْنَاهُ حَتَّى وَسِعَ دَعْوَةَ الثَّقَلَيْنِ، أو: فَسَخْنَاهُ بما أودَعْنَاهُ من العلوم والحكم، وعن الحسن: مُلِئَ حِكْمَةً وَعِلْماً^(١).

والوزرُ ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي: حِمْلُهُ عَلَى النَّقِيطِ وهو صوت الانتقاض والنفكاك، مَثَلٌ لِمَا كَانَ يَثْقُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ تَحْمِلِ أَعْبَاءِ النَّبُوءَةِ، وما كَانَ يُصِيبُهُ مِنْ أَذَى الْكُفَّارِ مع شِدَّةِ حُرْصِهِ عَلَى إِسْلَامِهِمْ، وَوَضَعَ ذَلِكَ عَنْهُ بَأْنَ أَيْدِهِ بِالْمُعْجَزَاتِ، وَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِ، وَعَلَّمَهُ الشَّرَائِعَ وَمَهَّدَهُ عَذْرَهُ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ.

وَرَفَعَ ذِكْرَهُ وهو أَنْ قَرَنَ ذِكْرَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ وَالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَالتَّشْهَدِ وَالْخُطْبِ وَفِي الْقُرْآنِ، وبأنْ ذَكَرَهُ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَأَخَذَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ. والفائدةُ في زيادة ﴿لَكَ﴾ وإنْ كَانَ الْمَعْنَى يَسْتَقِلُّ بِذُونِهِ، هِيَ مَا فِي طَرِيقَةِ الْإِبْهَامِ وَالْإِيضَاحِ، فَكَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ فُهِمَ أَنْ تَمَّ مَشْرُوحاً، ثُمَّ قَالَ: ﴿صَدْرَكَ﴾ فَأَوْضَحَ مَا كَانَ مُبْهِمًا. وكذلك قوله: ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾ و ﴿عَنْكَ وَزَرَكَ﴾.

ولَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ جَلَائِلِ النِّعَمِ، وَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ عَيَّرُوهُ بِالْفَقْرِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُمْ إِنَّمَا رَغَبُوا عَنِ الْإِسْلَامِ لِفَقْرِهِمْ وَأَحْتِقَارِهِمْ عَقَبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فَكَأَنَّهُ قَالَ: خَوَّلْنَاكَ مَا خَوَّلْنَاكَ تَفَضُّلاً وَإِنْعَاماً فَلَا تَيَأَسُ مِنْ فَضْلِنَا، فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ يُسْرًا. وَقَرَّبَ «الْيُسْرَ» الْمُتَرَقَّبَ بِلَفْظَةِ ﴿مَعَ﴾ الَّتِي هِيَ لِلصُّحْبَةِ، حَتَّى جَعَلَهُ كَالْمُقَارِنِ لِلْعُسْرِ زِيَادَةً فِي تَسْلِيَتِهِ وَتَقْوِيَةِ لِقَلْبِهِ.

والجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ تَكْرِيرٌ لِلْجُمْلَةِ الْأُولَى لِتَقْرِيرِ مَعْنَاهَا فِي النَّفُوسِ وَتَمَكِينِهَا فِي الْقُلُوبِ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ مَعْنَى مَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ يَضْحَكُ وَيَقُولُ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ»^(١) أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ مَوْعِدًا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مُكَرَّرًا.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ وَعْدُهُ عَلَى أَبْلَغِ مَا يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْجُمْلَةَ الْأُولَى عِدَّةٌ بِأَنَّ الْعُسْرَ مَرْدُوفٌ بِيُسْرٍ لَا مَحَالَةَ، وَالثَّانِيَةُ عِدَّةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ بِأَنَّ الْعُسْرَ مَشْبُوعٌ بِيُسْرٍ، فَهُمَا يُسْرَانِ عَلَى تَقْدِيرِ الِاسْتِثْنَاءِ، وَإِنَّمَا كَانَ الْعُسْرُ وَاحِدًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ تَعْرِيفُهُ لِلْعَهْدِ وَهُوَ الْعُسْرُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، فَهُوَ هُوَ لِأَنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ «زَيْدٍ» فِي قَوْلِكَ: إِنَّ مَعَ زَيْدٍ مَالًا، إِنَّ مَعَ زَيْدٍ مَالًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِلْجِنْسِ الَّذِي يَعْلَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ فَهُوَ هُوَ أَيْضًا. وَأَمَّا «الْيُسْرُ» فَمُنْكَرٌ مَتَنَاوِلٌ بَعْضَ الْجِنْسِ، وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ الثَّانِي مُسْتَأْنَفًا غَيْرَ مُكَرَّرٍ فَقَدْ يَتَنَاوَلُ بَعْضَهَا غَيْرَ الْبَعْضِ الْأَوَّلِ بِغَيْرِ إِشْكَالٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْيُسْرَيْنِ: يُسْرُ الدُّنْيَا وَيُسْرُ الْآخِرَةِ، وَالْمَعْنَى فِي التَّنْكِيرِ: التَّفْخِيمُ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا عَظِيمًا وَأَيُّ يُسْرٍ!

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ هَذَا بَعَثَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الشُّكْرِ، وَالِاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَالنَّصَبِ فِيهَا، وَأَنْ لَا يَخْلُو مِنْهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَإِذَا فَرَغْتَ عَنْ صَلَاتِكَ فَاجْتَهِدْ فِي الدُّعَاءِ وَأَرْغَبْ إِلَى رَبِّكَ فِي الْمَسْأَلَةِ^(٢)، وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣).

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٦٢٨ عن الحسن .

(٢) تفسير ابن عباس: ص ٥١٤ .

(٣) رواه الحميري في قرب الإسناد: ص ٧ ح ٢٢ ط . آل البيت عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه .

وعن الحسن: فَإِذَا فَرَّغْتَ مِنَ الْغَزْوِ فَاجْتَهِدْ فِي الْعِبَادَةِ^(١).
 وعن مجاهد: فَإِذَا فَرَّغْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَاَنْصَبْ فِي صَلَاتِكَ^(٢). وعن الشعبي أَنَّهُ
 رَأَى رَجُلًا يَشِيلُ حَجْرًا فَقَالَ: لَيْسَ بِهَذَا أَمْرَ الْفَارِغِ^(٣).
 ومعنى تَقْدِيمِ الظَّرْفِ الَّذِي هُوَ ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾: أَنَّ الْمُرَادَ خَصُّهُ بِالرَّغْبَةِ: وَلَا
 تَرُغِبْ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا تُعَوِّلْ إِلَّا عَلَى فَضْلِهِ، وَلَا تَرْفَعْ حَوَائِجَكَ إِلَّا إِلَيْهِ.



(١) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٤٢٨.

(٢) تفسير مجاهد: ص ٧٣٦.

(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٧٢.

سُورَةُ التِّينِ

مُخْتَلَفٌ فِيهَا ^(١) ثَمَانِي آيَاتٍ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا أَعْطَاهُ اللَّهُ خَصْلَتَيْنِ: الْعَافِيَةَ وَالْيَقِينَ مَا دَامَ فِي دَارِ الدُّنْيَا، فَإِذَا مَاتَ أَعْطَاهُ اللَّهُ بَعْدَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ صِيَامَ يَوْمٍ» ^(٢).
وَعَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ ﴿وَالْتِّينَ﴾ فِي فَرَائِضِهِ وَنَوَافِلِهِ أُعْطِيَ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ يَرْضَى» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥)﴾

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٣٧٥: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ ثَمَانُ آيَاتٍ بِإِخْلَافٍ.

وَفِي تَفْسِيرِهِ الْمَاورِدِيِّ: ج ٦ ص ٣٠٠: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعُكْرَمَةَ وَعَطَاءَ وَجَابِرٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٧٣: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّاتُهَا (٨)، نَزَلَتْ بَعْدَ الْبُرُوجِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٧٥ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥١، وَزَادَ فِي آخِرِهِ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ
بَعْدُ بِالذِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨) ﴿

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بـ ﴿التين﴾ الذي يؤكل ﴿والزيتون﴾ الذي يُعَصَّرُ مِنْهُ الزَّيْتُ،
لأنَّهما عجبتان من بين أصناف الأشجار المثمرة.

وَرُوي أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَبَقٌ مِنْ تَيْنٍ فَأَكَلَ مِنْهُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ:
«كُلُوا فَلَوْ قُلْتُ: إِنَّ فَاكِهَةً نَزَلَتْ مِنَ الْجَنَّةِ لَقُلْتُ: هَذِهِ هِيَ، لَأَنَّ فَاكِهَةَ الْجَنَّةِ بِلَا عَجَمٍ،
فَكُلُّوها فَإِنَّهَا تَقْطَعُ الْبَوَاسِيرَ، وَتَنْفَعُ مِنَ النَّفَرِسِ» (١).

وَمَرَّ مَعَادُ بْنُ جَبَلٍ بِشَجَرَةِ الزَّيْتُونِ فَأَخَذَ مِنْهَا قَضِيْبًا وَأَسْتَاكَ بِهِ، وَقَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نِعْمَ السَّوَاكُ الزَّيْتُونُ، مِنَ الشَّجَرَةِ الْمَبَارَكَةِ، يُطِيبُ الْفَمَ
وَيَذْهَبُ بِالْحَفَرِ»، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «هُوَ سَوَاكِي وَسَوَاكُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي» (٢).

وَقِيلَ: هُمَا جَبَلَانِ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ (٣)، وَأُضِيفَ «الطُّورُ» وَهُوَ الْجَبَلُ إِلَى
﴿سِينِينَ﴾ وَهِيَ الْبُقْعَةُ، وَ«سِينُونَ» مِثْلُ «يَبْرُونَ» فِي جَوَازِ الْإِعْرَابِ بِالْوَاوِ وَالْيَاءِ،
وَالْإِقْرَارِ عَلَى الْيَاءِ وَتَحْرِيكِ النَّوْنِ بِحَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ. وَ﴿الْبَلَدُ الْأَمِينُ﴾ مَكَّةُ، قَدْ
أَمِنَ فِيهِ الْخَائِفُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، يُقَالُ: أَمِنَ الرَّجُلُ أَمَانَةً، فَهُوَ أَمِينٌ وَأَمَانٌ،
فَكَانَهُ يَحْفَظُ مَنْ دَخَلَهُ كَمَا يَحْفَظُ الْأَمِينُ مَا يُوْتَمَنُّ عَلَيْهِ.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أَي: فِي أَحْسَنِ
تَعْدِيلٍ لِشَكْلِهِ وَصُورَتِهِ، وَتَسْوِيَةٍ لِأَعْضَائِهِ، وَإِبَانَةٍ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ بِنُطْقِهِ وَتَمَيُّزِهِ وَعَقْلِهِ

(١) رواه في مكارم الأخلاق: ص ١٧٣، والكحّال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية: ج ٢
ص ١٤١ كلاهما عن أبي ذرّ.

(٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء: ج ١ ص ٤٤١ و ٥٣٥.

(٣) قاله ابن عباس. راجع تفسير الرازي: ج ٣٢ ص ٩.

وتدبيره، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ حِينَ لَمْ يَشْكُرِ النِّعْمَةَ فِي الْخَلْقَةِ الْقَوِيمةِ أَنْ رَدَدْنَاهُ ﴿أَسْفَلَ﴾ مَنْ سَفَلَ خَلْقًا وَتَرْكِيبًا، يَعْنِي: أَقْبَحَ مَنْ قَبَحَ صُورَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ. أَوْ: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ التَّقْوِيمِ وَالتَّحْسِينِ أَسْفَلَ مَنْ سَفَلَ فِي الصُّورَةِ حَيْثُ نَكَّسْنَاهُ فِي الْخَلْقِ، يُرِيدُ: حَالِ الْخَرْفِ وَالْهَرَمِ وَكِلَالِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ. وَالِاسْتِثْنَاءُ عَلَى الْمَعْنَى الْأَوَّلِ مُتَّصِلٌ، وَأَتَّصَالُهُ ظَاهِرٌ، وَعَلَى الثَّانِي مُنْقَطِعٌ بِمَعْنَى: وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَانُوا صَالِحِينَ مِنَ الْهَزْمِ فَلَهُمْ ثَوَابٌ دَائِمٌ عَلَى طَاعَاتِهِمْ وَصَبْرِهِمْ عَلَى مُقَاسَاةِ الْمَشَاقِّ وَالْقِيَامِ بِالْعِبَادَةِ فِي حَالِ عَجْزِهِمْ وَتَخَاذُلِ قُوَاهُمْ، وَغَنَ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يَعْنِي: الَّذِينَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ، وَقَالَ: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ وَإِنْ عَمَّرَ طَوِيلًا^(١).

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ الْخِطَابُ لِلْإِنْسَانِ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِلْتِقَاتِ، أَيْ: فَمَا يَجْعَلُكَ كَاذِبًا بِسَبَبِ ﴿الَّذِينَ﴾ وَإِنْكَارِهِ بَعْدَ هَذَا الدَّلِيلِ؟ يَعْنِي: أَنْكَ تَكْذِبُ إِذَا كَذَّبْتَ بِالْجَزَاءِ، فَإِنَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ بِالْحَقِّ كَاذِبٌ لَا مَحَالَةَ، وَالبَاءُ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾^(٢)، وَقِيلَ: الْخِطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٣). ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ وَعِيدٌ لِلْكَفَّارِ بِأَنَّهُ يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ.

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَتَمَ هَذِهِ السُّورَةَ قَالَ: «بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ»^(٤).



(١) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٥٠٥.

(٢) النحل: ١٠٠.

(٣) قاله قتادة. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٦٤٢.

(٤) أخرجه الترمذي في السنن: ج ٥ ص ٤٤٣ ح ٣٣٤٧ عن أبي هريرة موقوفًا.

سُورَةُ الْعَلَقِ

مَكِّيَّةٌ ^(١) تِسْعُ عَشْرَةَ آيَةً.

وفي حديث أبي: «وَمَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْمُفَصَّلَ كُلَّهُ» ^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَهَا ثُمَّ مَاتَ فِي يَوْمِهِ أَوْ لَيْلَتِهِ مَاتَ شَهِيداً، وَبُعِثَ شَهِيداً، وَكَانَ كَمَنْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ (٦) أُنْزِلَتْ رُءُوسُهُمْ فِي الْغَيْثِ (٧) أَنْزَلَ مِنَ الْمُكْرَمِ (٨) أَرَأَيْتَ
إِذَا صَلَّى (٩) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١١) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ
الرَّحِيمُ (١٤)﴾

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٣٧٨: مَكِّيَّةٌ في قول ابن عباس والضحاك، وهي تسع عشرة آيةً في الكوفي والبصري، وعشرون في المدنيين.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٧٧٥: مَكِّيَّةٌ، وآياتها (١٩)، وهي أول ما نزل من القرآن.

(٢) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٧٧٩ مرسلًا.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٥١، وفيه بعد «بعث شهيداً»: «وأحياه شهيداً».

يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩) ﴿

أَكْثَرُ الْمَفْسِّرِينَ عَلَى أَنَّهَا أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ، وَقِيلَ: إِنَّ الْفَاتِحَةَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ (١)، وَقِيلَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (٢) ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فِي مَحَلِّ الْحَالِ، أَي: اقْرَأْ مُفْتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ، قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ اقْرَأْ: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ أَي: حَصَلَ مِنْهُ الْخَلْقُ وَاسْتَأْثَر بِهِ، لَا خَالِقَ سِوَاهُ، وَ (٣) خَلَقَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، فَيَتَنَاوَلُ كُلَّ مَخْلُوقٍ. ثُمَّ قَالَ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ خَصَّصَ الْإِنْسَانَ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْخَلْقُ لِأَنَّهُ أَشْرَفُ مَا عَلَى الْأَرْضِ ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ عَلَقَةٍ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (٤).

﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الَّذِي لَهُ الْكَمَالُ فِي زِيَادَةِ كَرَمِهِ عَلَى كُلِّ كَرِيمٍ، أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِأَن أَخْرَجَهُمْ إِلَى الْوُجُودِ مِنَ الْعَدَمِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْحَضَرِ مِنَ النَّعَمِ، وَيَخْلُصُ عَنْهُمْ فِي رُكُوبِهِمُ الْمَنَاهِي وَأَطْرَاحِهِمُ الْأَوَامِرَ، فَلَا يَعْاجِلُهُمْ بِالنِّقَمِ، فَمَا لِكَرَمِهِ نَهَايَةٌ. ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ أَي: عَلَّمَ الْخَطَّ بِالْقَلَمِ، أَوْ: عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الْبَيَانَ بِالْقَلَمِ، أَوْ: الْكِتَابَةَ. قِيلَ: إِنَّ آدَمَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ (٥)، وَقِيلَ: إِدْرِيسُ (٦). ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وَنَقَلَهُ مِنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ، فَجَمِيعُ مَا يَعْلَمُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَأَنْوَاعِ الْعِلْمِ مِنْ جِهَتِهِ سُبْحَانَهُ: إِمَّا بِأَن أُضْطَرَّهُ إِلَيْهِ،

(١) قاله أبو ميسرة الهمداني. راجع تفسير القرطبي: ج ٢٠ ص ١١٧.

(٢) قاله أبو سلمة وحكاه عن جابر بن عبد الله. راجع التبيان: ج ١٠ ص ١٧١.

(٣) في نسخة: «أي» بدل الواو، وفي الكشاف: «أو».

(٤) العصر: ٢.

(٥) قاله كعب الأحبار. راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ٣٠٥.

(٦) قال الضحاك. راجع المصدر السابق.

وإِذَا بَانَ النَّاصِبَ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ فِي عَقْلِهِ، أَوْ: بَيَّنَّهُ لَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، فَكُلُّ الْعُلُومِ ^(١) مَضَافٌ إِلَيْهِ مُسْتَفَادٌ مِنْهُ جَلَّ أَسْمُهُ.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ وَتَنْبِيهُ ^(٢) لِمَنْ كَفَرَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِطُغْيَانِهِ وَإِنْ لَمْ يُذَكَّرْ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ. ﴿أَنْ رَأَاهُ﴾ وَأَنْ رَأَى نَفْسَهُ، يُقَالُ فِي أَفْعَالِ الْقُلُوبِ: رَأَيْتُنِي، وَعَلِمْتُنِي، وَذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِهَا، وَلَوْ كَانَتِ الرُّؤْيَةُ بِمَعْنَى الْإِبْصَارِ لَا مُتَنَعٌ فِي فِعْلِهَا الْجَمْعُ بَيْنِ الضَّمِيرَيْنِ. وَ﴿أَسْتَغْنَى﴾ هُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي، أَي: لِأَنْ رَأَى نَفْسَهُ مُسْتَغْنِيَةً عَنْ رَبِّهِ بِأَمْوَالِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَقُوَّتِهِ. وَعَنْ قَتَادَةَ: إِذَا أَصَابَ مَا لَا زَادَ فِي مَرَآكِبِهِ وَثِيَابِهِ وَطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ فَلِذَلِكَ طُغْيَانُهُ ^(٣).

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَرْجُعَى﴾ وَاقِعٌ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْإِنْسَانِ تَحْذِيرًا لَهُ مِنْ عَاقِبَةِ الطُّغْيَانِ، وَ﴿أَلَرْجُعَى﴾ مَصْدَرٌ كَالْبُشْرَى، بِمَعْنَى الرُّجُوعِ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ ^(٤)، فَرُوي أَنَّهُ قَالَ: هَلْ يَعْفُرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَوَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ لَيْتَنِي رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَطَانٍ عُنُقَهُ، فَجَاءَهُ ثُمَّ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ يَتَّقِي بِيَدَيْهِ، فَقَالُوا: مَا لَكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ؟ قَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهُوَ لَا وَأَجْنِحَةٌ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دَنَا مِنِّي لَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عَضْوًا عَضْوًا» فَنَزَلَتْ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ ^(٥).

وَالْمَعْنَى: أَخْبِرْنِي عَمَّنْ يَنْهَى بَعْضَ عِبَادِ اللَّهِ عَنْ صَلَاتِهِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ النَّاهِي عَلَى طَرِيقَةٍ شَدِيدَةٍ فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ﴿أَوْ﴾ كَانَ ﴿أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾

(١) فِي نَسْخَةٍ: «الْمَعْلُوم». (٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ زِيَادَةٌ: «عَلَى الْخَطَا».

(٣) حَكَاهُ عَنْهُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ٢ ص ٣١٣.

(٤) قَالَهُ الْفَرَّاءُ. رَاجِعَ مَعَانِي الْقُرْآنِ: ج ٣ ص ٢٧٨.

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ: ج ٤ ص ٢١٥٤ ح ٢٧٩٧.

فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ كَمَا يَعْتَقِدُ، وَكَذَلِكَ ﴿إِنْ﴾ كَانَ عَلَى التَّكْذِيبِ لِلْحَقِّ
وَالْتَّوَلَّى عَنِ الدِّينِ، كَمَا نَقُولُ نَحْنُ ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ وَيَطَّلِعُ عَلَى أَحْوَالِهِ مِنْ
هُدَاهُ وَضَلَالِهِ فَيُجَازِيهِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ، وَهَذَا وَعِيدٌ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ
هَذَا الَّذِي صَلَّى عَلَى الْهُدَى وَالطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ، وَأَمَرَ بِأَنْ تُتَّقَى مَعَاصِي اللَّهِ، كَيْفَ
تَكُونُ حَالُ مَنْ يَنْهَاهُ عَنِ الصَّلَاةِ وَيَزُجِرُهُ عَنْهَا؟^(١)

فَأَمَّا تَقْدِيرُ إِعْرَابِهِ، فَإِنَّ ﴿الَّذِي يَنْهَى﴾ وَالْجُمْلَةَ الشَّرْطِيَّةَ هُمَا فِي مَوْضِعِ
مَفْعُولِي ﴿أَرَأَيْتَ﴾، وَحُذِفَ جَوَابُ الشَّرْطِ الْأَوَّلِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى
أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى. وَجَازَ حَذْفُهُ لِدَلَالَةِ ذِكْرِهِ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ
الثَّانِي عَلَيْهِ، وَصَحَّ الاستِفْهَامُ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ كَمَا تَقُولُ: إِنْ أَتَيْتُكَ أَتُكْرِمُنِي؟
و﴿أَرَأَيْتَ﴾ الثَّانِيَةُ زَائِدَةٌ مَكْرَرَةٌ تَوَسَّطَتْ بَيْنَ مَفْعُولِي ﴿أَرَأَيْتَ﴾ الْأُولَى لِلتَّوَكِيدِ.
﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لِأَبِي جَهْلٍ وَخَسَاءٌ عَنْ نَهْيِهِ عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ
﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عَمَّا هُوَ فِيهِ «لَنَسْفَعَن» لَنَأْخُذَن بِنَاصِيَّتِهِ وَلَنَسْحَبَنَّهُ^(٢) بِهَا إِلَى النَّارِ،
وَأَكْتَفَى فِي ﴿النَّاصِيَةِ﴾ بِلَامِ الْعَهْدِ عَنِ الْإِضَافَةِ لِمَا عَلِمَ أَنَّهَا نَاصِيَةُ الْمَذْكُورِ،
وَالسَّفْعُ: الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ وَجَذْبُهُ بِشِدَّةٍ، وَكُتِبَ ﴿لَنَسْفَعَا﴾ فِي الْمُصْحَفِ بِالْأَلِفِ
عَلَى حُكْمِ الْوَقْفِ. ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿النَّاصِيَةِ﴾ أُبْدِلَتْ عَنِ الْمَعْرِفَةِ وَهِيَ نَكْرَةٌ
لِأَنَّهَا وُصِفَتْ فَاسْتَقَلَّتْ بِفَائِدَةٍ، وَوُصِفَتْ بِالْكَذِبِ وَالْخَطَأِ عَلَى الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ،
وَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ لِصَاحِبِهَا، وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْقَصَاحَةِ وَالْجَزَالَةِ مَا لَيْسَ فِي قَوْلِكَ:
نَاصِيَةٍ كَاذِبٍ خَاطِئٍ. وَالنَّادِي: الْمَجْلِسُ الَّذِي يَنْتَدِي فِيهِ الْقَوْمُ، أَيْ: يَجْتَمِعُونَ.
وَالْمُرَادُ: أَهْلُ النَّادِي، كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ:

(١) قاله الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٢٨١.

(٢) في بعض النسخ: «لَنَسْحَبْنَهُ».

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وَجُوهُهُمْ
وَأَنْدِيَّةٌ يَتَنَابَهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ^(١)
وَالْمَقَامَةُ: الْمَجْلِسُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ
يُصَلِّي، فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ أَتُفْهِمَكَ؟ فَانْتَهَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَتَنْهَرُنِي يَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا
أَكْثَرُ أَهْلِ الْوَادِي نَادِيًا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾^(٢) يعني: الملائكة الموكِّلين
بِالنَّارِ، وَهِيَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الشَّرْطُ الْوَاحِدُ، زَيْنَةُ مِنْ: «الزَّيْنِ» وَهُوَ الدَّفْعُ، كَعَفْرِيَّة.
﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لِأَبِي جَهْلٍ ﴿لَا تُطْعُهُ﴾ يَا مُحَمَّدٌ فِي النَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ، أَيِ: أَتُبْتُ
عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِصْيَانِهِ ﴿وَأَسْجُدْ﴾ وَدُمُ عَلَى سُجُودِكَ، وَقِيلَ: ﴿وَأَسْجُدْ﴾
لِلَّهِ ﴿وَأَقْتَرِبْ﴾ مِنَ اللَّهِ^(٣).

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ إِذَا سَجَدَ»^(٤).
وَالسُّجُودُ هُنَا مِنَ الْعَزَائِمِ الْأَرْبَعِ.



(١) البيت من قصيدة طويلة يمدح بها سنان بن أبي حارثة المَرِّي. أنظر ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ٦٢.

(٢) رواه عنه الواحدي في أسباب النزول: ص ٣٩٦.

(٣) قاله مجاهد في تفسيره: ص ٧٣٨.

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل: ج ٢ ص ٦٩٠ عن أبي هريرة، ورواه الصدوق في الفقيه: ج ١ ص ٢٠٩ ح ٢٣ عن الصادق عليه السلام. والكليني في الكافي: ج ٣ ص ٢٦٥ ح ٣ عن الرضا عليه السلام.

سُورَةُ الْقَدْرِ

خَمْسُ آيَاتٍ، مُخْتَلَفٌ فِيهَا ^(١).

في حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ» ^(٢).

وعَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ فِي فَرِيضَةٍ مِنَ الْفَرَايِضِ نَادَى مُنَادٍ: يَا عَبْدَ اللَّهِ قَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَى، فَاسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٣٨٤: مدنيّة في قول الضحاك، وقال عطاء الخراساني: هي مكّة، وهي خمس آيات بلا خلاف.

وفي تفسير الماوردي: ج ٦ ص ٣١١: مكّة في قول الأكثرين، ومدنيّة في قول الضحاك، وذكر الواقدي: أنّها أول سورة نزلت بالمدينة.

وفي الكشاف: ج ٤ ص ٧٨٠: مكّة، وقيل: مدنيّة، وآياتها (٥)، نزلت بعد عبس.

(٢) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٨١ مرسلًا.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٥٢. وبنفس الإسناد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مَنْ قَرَأَهَا فَجهر بها صوته كان كالشّاهر سيفه في سبيل الله عزّ وجلّ، وَمَنْ قَرَأَهَا سراً كان كالمتشحّط بدمه في سبيل الله، وَمَنْ قَرَأَهَا عشر مرّات محّا الله عنه ألف ذنبٍ من ذنوبه».

أَلْقَدَرُ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴿

الضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ للقرآن، وعن ابن عباس: أنزل الله القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله جبرائيل عليه السلام على النبي ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة^(١). وعن الشعبي: إنا ابتدأنا إنزاله ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٢).

وقد عظم الله عز اسمه القرآن هنا من ثلاثة أوجه: وهو إسناد إنزاله إليه، والإتيان بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالتباهة، والرفع من قدر الوقت الذي أنزله فيه وهو ليلة القدر.

وأختلف فيها، والأظهر الأصح من الأقوال: أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها، ثم قيل: إنها ليلة إحدى وعشرين منه وهو اختيار الشافعي^(٣). وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها، ورأيتني أشجد في ماء وطين، فالتمسوها في العشر الأواخر، وألتمسوها في كل وتر، قال: فأبصرت عيني رسول الله ﷺ انصرف وعلى وجهه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين. أوردته البخاري في الصحيح^(٤).

وقيل: إنها ليلة ثلاث وعشرين منه، وهي ليلة الجهني وأسمه عبد الله بن أنيس الأنصاري، قال: يا رسول الله، إن منزلي ناء عن المدينة، فمرني بليلة أدخل فيها، فأمره بليلة ثلاث وعشرين^(٥). وعن ابن عمر في حديث آخر: فقال ﷺ:

(١) رواه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٦ ص ٣١١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) صحيح البخاري: ج ٣ ص ٦٠ - ٦١.

(٥) رواه الصدوق في الفقيه: ج ٢ ص ١٦٠ ح ٢٠٣١ عن أحدهما عليه السلام وعبد الرزاق الصنعاني ←

«فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَقُومَ مِنَ الشَّهْرِ شَيْئاً فَلْيَقُمْ لَيْلَةً ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ»^(١).
 وَسَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَأَكْثَرُوا
 الْقَوْلَ فِيهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: رَأَيْتُ اللَّهَ أَكْثَرَ ذِكْرِ السَّبْعِ فِي الْقُرْآنِ، وَعَدَدَ ذَلِكَ، ثُمَّ
 قَالَ: فَمَا أَرَاهَا إِلَّا لَيْلَةً ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ لِسَبْعِ بَقِيْنٍ، فَقَالَ عُمَرُ: عَجِزْتُمْ أَنْ تَأْتُوا بِمَا
 جَاءَ بِهِ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ شُؤْنُ رَأْسِهِ، وَقَالَ لَهُ: وَافَقَ رَأْيِي رَأْيَكَ^(٢).
 وَسُئِلَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: هِيَ لَيْلَةٌ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، أَوْ لَيْلَةٌ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ،
 فَقَالَ السَّائِلُ: فَإِنْ لَمْ أَقْوِ عَلَى كِلْتَاهِمَا؟ فَقَالَ: مَا أَيْسَرَ لَيْلَتَيْنِ فِيمَا تَطْلُبُ، فَقَالَ: رَبِّمَا
 مَا رَأَيْنَا الْهَلَالَ وَجَاءَنَا مَنْ يُخْبِرُنَا بِخِلَافِهِ فِي أَرْضٍ أُخْرَى؟ فَقَالَ: «مَا أَيْسَرَ أَرْبَعَ
 لَيَالٍ فِيمَا تَطْلُبُ»^(٣).

وقيل: إِنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَرُويَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَأَبِي بَنْ
 كَعْبٍ^(٤).

وَالْفَائِدَةُ فِي إِخْفَاءِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَنْ يَجْتَهِدَ النَّاسُ فِي الْعِبَادَةِ، وَيُحْيُوا اللَّيَالِي
 الْكَثِيرَةَ طَمَعاً فِي إِدْرَاكِهَا، كَمَا أَخْفَى الصَّلَاةَ الْوَسْطَى فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَأُسْمَهُ
 الْأَعْظَمَ فِي الْأَسْمَاءِ، وَسَاعَةَ الْإِجَابَةِ فِي سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ.

وَمَعْنَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ: لَيْلَةُ تَقْدِيرِ الْأُمُورِ وَقَضَائِهَا، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ
 حَكِيمٍ﴾^(٥)، أَوْ: لَيْلَةُ الشَّرَفِ وَالْخَطَرِ وَعِظَمِ الْمِقْدَارِ عَلَى سَائِرِ اللَّيَالِي. ﴿وَمَا

→ فِي الْمَصْنَفِ: ج ٤ ص ٢٥٠ ح ٧٦٨٩ - ٧٦٩٢ بِأَسَانِيدٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

(١) رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي الْمَصْنَفِ: ج ٤ ص ٢٤٩ ح ٧٦٨٨ بِاخْتِلَافٍ فِي اللَّفْظِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى: ج ٤ ص ٣١٣ عَنْ عَاصِمِ بْنِ كَلَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ
 ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْهُ.

(٣) رَوَاهُ الصَّدُوقُ فِي الْفَقِيهِ: ج ٢ ص ١٥٩ صَدْرَ ح ٢٠٢٩ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ.

(٤) أَنْظَرَ تَفْسِيرَ الْمَآوَرِدِيِّ: ج ٦ ص ٣١٢. (٥) الدُّخَانُ: ٤.

أَذْرَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿يعني: وَلَمْ تَبْلُغْ دِرَايَتَكَ غَايَةَ عُلُوِّ قَدْرِهَا، ثُمَّ بَيَّنَّ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: قِيَامُهَا وَالْعَمَلُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَقِيلَ: إِلَى الْأَرْضِ ^(١) ﴿وَالرُّوحُ﴾ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقِيلَ: خَلَقَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَرَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تِلْكَ اللَّيْلَةَ ^(٢) ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ مِنْ أَجْلِ كُلِّ أَمْرٍ قَضَاهُ اللَّهُ لَتِلْكَ السَّنَةِ إِلَى قَابِلٍ ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ أي: مَا هِيَ إِلَّا سَلَامَةٌ، وَالْمَعْنَى: لَا يَقْدَرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا السَّلَامَةُ وَالْخَيْرُ، وَيَقْضِي فِي غَيْرِهَا الْبَلَاءَ وَالسَّلَامَةَ، أَوْ: مَا هِيَ إِلَّا سَلَامٌ لِكَثْرَةِ سَلَامِهِمْ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَقُرِئَ: ﴿مَطْلَعٍ﴾ بَفَتْحِ اللَّامِ وَكَسْرِهَا ^(٣).



(١) وهو قول أبي هريرة. راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ٣١٣.

(٢) حكاه القشيري. راجع تفسير القرطبي: ج ٢٠ ص ١٣٣.

(٣) وبالكسر قرأه الكسائي وأبو عمرو برواية عبيد عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات:

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ (١)

مُخْتَلَفٌ فِيهَا (٢)، تِسْعُ آيَاتٍ بَصْرِيٌّ، ثَمَانٍ غَيْرُهُمْ، عَدَّ الْبَصْرِيُّ: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٣).

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ» (٤).
وَعَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا كَانَ بَرِيئاً مِنَ الشُّرْكِ، وَأُدْخِلَ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مُؤْمِناً، وَحَاسَبَهُ اللَّهُ حِسَاباً يَسِيراً» (٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّىٰ

(١) فِي نَسْخَةٍ: «سُورَةُ لَمْ يَكُنْ».

(٢) مَدْنِيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ ثَمَانُ آيَاتٍ فِي الْكُوفِيِّ وَالْمَدْنِيِّينَ، وَتِسْعٌ فِي الْبَصْرِيِّ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْمَاورِدِيِّ: ج ٦ ص ٣١٥: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ يَحْيَى بْنِ سَلَامٍ، وَعِنْدَ الْجُمْهُورِ مَدْنِيَّةٌ وَهُوَ الصَّوَابُ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٧٨١: مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدْنِيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا (٨)، نَزَلَتْ بَعْدَ الطَّلَاقِ.

(٣) الْآيَةُ: ٥.

(٤) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٧٨٣ مَرْسَلًا.

(٥) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٢.

تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتِبَ
 قِيمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ (٤)
 وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
 وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاءُ هُمُ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨) ﴿

كَانَ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وَعَابِدِي الْأَوْتَانِ يَقُولُونَ قَبْلَ مَبْعَثِ
 النَّبِيِّ ﷺ : إِنَّا لَا نَنفَكُ مِنْ دِينِنَا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، وَلَا نَتْرُكُهُ حَتَّى يُبْعَثَ النَّبِيُّ
 الْمَوْعُودُ الَّذِي هُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَحَكَى اللَّهُ
 سُبْحَانَهُ مَا كَانُوا يَقُولُونَهُ. وَأَنفَكَ الشَّيْءَ مِنَ الشَّيْءِ: أَنْ يُزَايِلَهُ بَعْدَ التَّحَامِيهِ بِهِ،
 يَعْنِي: أَنَّهُمْ مَتَشَبِّهُونَ بِدِينِهِمْ وَلَا يَتْرُكُونَهُ ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أَيِ: الْحُجَّةُ
 الْوَاضِحَةُ. وَ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ بَدَلٌ مِّنَ ﴿الْبَيِّنَةِ﴾، ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ مِّنَ
 الْبَاطِلِ. ﴿فِيهَا﴾ فِي تِلْكَ الصُّحُفِ ﴿كُتِبَ﴾ مَكْتُوبَاتُ ﴿قِيَمَةٍ﴾ مُسْتَقِيمَةٌ عَادِلَةٌ
 نَاطِقَةٌ بِالْحَقِّ.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ عَنِ الْحَقِّ، أَوْ: مَا تَفَرَّقُوا فِرْقًا: فَمِنْهُمْ آمَنَ
 بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ وَقَالَ: لَيْسَ هُوَ بِذَلِكَ النَّبِيِّ الْمَوْعُودِ، وَمِنْهُمْ مَنْ
 عَرَفَ وَعَانَدَ. يَعْنِي: أَنَّهُمْ كَانُوا يَعِدُّونَ الْاجْتِمَاعَ وَاتِّفَاقَ الْكَلِمَةِ عَلَى الْحَقِّ إِذَا
 جَاءَهُمُ الرَّسُولُ، وَمَا فَرَّقَهُمْ عَنِ الْحَقِّ إِلَّا مَجِيءُ الرَّسُولِ. ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ فِي التَّوْرَةِ

وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا بِالَّذِينَ الْحَنِيفِيُّ، وَلَكِنَّهُمْ حَرَّفُوا وَبَدَّلُوا ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ أَي: دِينُ الْمِلَّةِ الْقِيَمَةِ. وَالْمَعْنَى: ﴿وَمَا أَمَرُوا﴾ بِمَا فِي الْكِتَابَيْنِ ﴿إِلَّا﴾ لِأَجْلِ أَنْ ﴿يَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ عَلَى وَجْهِ الْإِخْلَاصِ ﴿حُنَفَاءَ﴾ مَائِلِينَ عَنْ جَمِيعِ الْأَدْيَانِ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ بِالرُّسُلِ كُلِّهِمْ، وَيُدَاوِمُوا عَلَى إِقَامَةِ ﴿الصَّلَاةِ﴾ وَإِيتَاءِ ﴿الزَّكَاةِ﴾.

و ﴿الْبَرِيَّةِ﴾ فَعِيلَةٌ مِنْ: بَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَسْتَمَرَ فِيهِ الِاسْتِعْمَالُ عَلَى تَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ وَرَفْضِ الْأَصْلِ، وَ «الْتَّبِيُّ» كَذَلِكَ، وَقُرِئَ: «الْبَرِيَّةُ» بِالْهَمْزَةِ ^(١) عَلَى الْأَصْلِ.

وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَام ^(٢).



(١) قرأه نافع وابن عامر برواية ذكوان عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٩٣.
(٢) أخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٣٦٦ ح ١١٤٦ و ١١٤٨، وأبو نعيم الحافظ في ما نزل من القرآن في عليٍّ: ص ٧٣، وفي خصائص الوحي المبين: ص ١٣١. والحافظ السروي في مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٢٦٦. وفي الباب أيضاً عن جابر وأبي برزة الأسلمي ويزيد بن شراحيل الأنصاري فيما تقدم من مصادر.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ (١)

مُخْتَلَفٌ فِيهَا (٢)، ثَمَانِ آيَاتٍ كُوفِيٍّ، تِسْعٌ غَيْرُهُمْ، لَمْ يَعُدَّ الْكُوفِيُّ

﴿أَشْنَاتًا﴾ (٣).

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْبَقْرَةَ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ قَرَأَ رُبْعَ

الْقُرْآنِ» (٤).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا فِي نَوَافِلِهِ لَمْ يُصِبْهُ اللَّهُ بِزَلْزَلَةٍ أَبَدًا، وَلَمْ يَمُتْ بِهَا

وَلَا بِصَاعِقَةٍ، وَلَا بِآفَةٍ مِنْ آفَاتِ الدُّنْيَا، فَإِذَا مَاتَ أُمِرَ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولُ اللَّهُ

عَزَّوَجَلَّ: عَبْدِي أَبْحَثْكَ جَنَّتِي فَاسْكُنْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتَ وَهَوَيْتَ، لَا مَمْنُوعًا وَلَا

مَدْفُوعًا» (٥).

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «سُورَةُ الزَّلْزَالِ».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٣٩٢: مَدْنِيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: مَكِّيَّةٌ. وَهِيَ ثَمَانِ آيَاتٍ فِي الْكُوفِيِّ وَالْمَدْنِيِّ الْأَوَّلِ، وَتِسْعٌ آيَاتٍ فِي الْبَصْرِيِّ وَالْمَدْنِيِّ الْآخِرِ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْمَاورِدِي: ج ٦ ص ٣١٨: مَدْنِيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَجَابِرٍ.
وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٨٣: مَدْنِيَّةٌ، وَقِيلَ: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّاتُهَا (٨)، نَزَلَتْ بَعْدَ النِّسَاءِ.

(٣) الْآيَةُ: ٦.

(٤) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٨٥ مَرْسَلًا.

(٥) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَالَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥)
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴿

الزَّلْزَلَةُ والزَّلْزَالُ: شِدَّةُ الاضطرابِ، ومعنى إصافَتِهَا إلى ضَمِيرِ «الْأَرْضِ»: أَنَّ
المعنى: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ الذي يَسْتَوْجِبُهُ فِي الْحِكْمَةِ وَمَشِيئَةِ اللَّهِ، وهو الزَّلْزَالُ الشَّدِيدُ
خِلَافُ المَعْهُودِ، أو: زِلْزَالَهَا الذي يَعُمُّ جَمِيعَهَا وَلَا يَخْتَصُّ بَعْضَهَا. ﴿وَأَخْرَجَتِ
الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي: أَخْرَجَتْ مَوْتَائِهَا المدفونةَ فِيهَا أَحْيَاءٌ لِلْجَزَاءِ، وهو جَمْعُ
«ثِقَلٍ»: مَتَاعُ الْبَيْتِ. ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَالَهَا﴾ زُلْزِلَتْ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ وَلَفْظَتْ
مَا فِي بَطْنِهَا؟ وَذَلِكَ عِنْدَ النِّفْخَةِ الثَّانِيَةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْإِنْسَانِ: الْكَافِرُ^(١)، لِأَنَّ
الْمُؤْمِنَ يَقُولُ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٢).

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أي: تُخْبِرُ الْأَرْضُ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، وَهُوَ مَجَازٌ
عَنِ إِحْدَاثِ اللَّهِ فِيهَا مَا يَقُومُ مَقَامَ التَّحْدِيثِ بِاللِّسَانِ حَتَّى يَنْظُرَ مَنْ يَقُولُ: ﴿مَا
لَهَا﴾ إِلَى تِلْكَ الْأَحْوَالِ فَيَعْلَمُ لِمَ زُلْزِلَتْ، وَلَمْ لَفْظَتْ الْأَمْوَاتُ. وَقِيلَ: يُنْطِقُهَا اللَّهُ
عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَتُخْبِرُ بِمَا عَمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ^(٣)، وَ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذَا﴾،
وَنَاصِبُهُمَا ﴿تُحَدِّثُ﴾ وَالْأَصْلُ: تُحَدِّثُ الْخَلْقَ أَخْبَارَهَا، فَحُذِفَ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ
وَتَعَلَّقَتِ الْبَاءُ بِـ ﴿تُحَدِّثُ﴾ لِأَنَّ الْمَعْنَى: تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِسَبَبِ إِيحَاءِ رَبِّكَ لَهَا

(١ و ٣) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٥١٦.

(٢) يسن: ٥٢.

وأمره لها بالتحديث، أو: يكون: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾ بدلاً من: ﴿أَخْبَارَهَا﴾ كأنه قال: تُحَدِّثُ بِأَخْبَارِهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا، لَأَنَّكَ تَقُولُ: حَدَّثْتُهُ كَذًا، و: حَدَّثْتُهُ بِكَذَا. و ﴿أَوْحَى لَهَا﴾ بمعنى: أَوْحَى إِلَيْهَا، وهو مجاز كقوله: ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١). قَالَ الرَّاجِزُ:

أَوْحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ^(٢)

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ عَنْ مَخَارِجِهِمْ مِنَ الْقُبُورِ إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ ﴿أَشْتَاتًا﴾ بِيضَ الْوُجُوهِ آمِنِينَ، وَسُودَ الْوُجُوهِ خَائِفِينَ، أو: يَصْدُرُونَ عَنْ الْمَوْقِفِ أَشْتَاتًا يَتَفَرَّقُ بِهِمْ طَرِيقَا الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ﴿لِيُرَوَّأَ﴾ جَزَاءُ ﴿أَعْمَلْتُمْ﴾: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ﴾ زِنَةً ﴿ذَرَّةً﴾ مِنَ الْخَيْرِ يَرِ ثَوَابَهُ وَجَزَاءَهُ، وَالذَّرَّةُ: النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ، وَقِيلَ: الذَّرَّةُ: مَا يُرَى فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ مِنَ الْهَبَاءِ^(٣). ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾ زِنَةً ﴿ذَرَّةً﴾ مِنَ الشَّرِّ ﴿يَرَهُ﴾ فِي كِتَابِهِ فَيَسُووُهُ، أو: يَرِ الْمُسْتَحَقُّ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَعْفُ اللَّهُ عَنْهُ، لِأَنَّ الْآيَةَ مَخْصُوصَةٌ بِلا خَلاَفٍ، فَإِنَّ التَّائِبَ مَعْفُودٌ عَنْهُ بِالْإِجْمَاعِ، وَآيَاتُ الْعَفْوِ دَالَّةٌ عَلَى جَوَازِ الْعَفْوِ عَمَّا دُونَ الشَّرِّ، فَجَازَ أَنْ يَشْتَرَطَ فِي الْمَعْصِيَةِ الَّتِي يُؤَاخَذُ بِهَا أَنْ لَا تَكُونَ مِمَّا قَدْ عُفِيَ عَنْهُ.



(١) يسن: ٨٢.

(٢) للعجاج، من رجز يذكر فيه ربه ويثني عليه بآلائه. راجع ديوان العجاج: ص ٥.

(٣) قاله أبو الليث السمرقندي في تفسيره: ج ٣ ص ٥٠١.

سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

مُخْتَلَفٌ فِيهَا ^(١)، إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ بَاتَ فِي الْمَزْدَلِفَةِ وَشَهِدَ جَمْعًا» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا وَأَدَمَّنَ قِرَاءَتَهَا بَعَثَهُ اللَّهُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ فِي حُجْرِهِ وَرُقَقَائِهِ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَّتِ صُبْحًا (١) فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣)
فَأَثَرُنَ بِهِ، نَقْعًا (٤) فَوْسَطُنَ بِهِ، جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٣٩٥: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ. وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً بِإِخْلَافٍ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْمَاورِدِيِّ: ج ٦ ص ٣٢٣: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَجَابِرٍ وَالْحَسَنِ وَعُكْرَمَةَ وَعَطَاءٍ، وَمَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ وَقَتَادَةَ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٨٦: مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (١١)، نَزَلَتْ بَعْدَ الْعَصْرِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٨٩ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٢ وَزَادَ بَعْدَ لَفْظَةِ «الْقِيَامَةِ»: «خَاصَّةً».

عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا
فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَّخَبِيرٌ (١١) ﴿

الْعَادِيَاتُ: الْخَيْلُ تَعْدُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِلْغَزْوِ، وَالضُّبْحُ: صَوْتُ أَنْفَاسِهَا إِذَا عَدَتْ،
قَالَ عَنُتْرَةُ:

وَالْخَيْلُ تَكْدَحُ حِينَ تَضُ سَبْحُ فِي حِيَاضِ الْمَوْتِ ضُبْحاً^(١)
وَأَنْتِصَابُهُ عَلَى: يَضْبَحْنَ ضُبْحاً، أَوْ بـ ﴿الْعَدِيَّتِ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ: وَالضَّابِحَاتِ،
لَأَنَّ «الضُّبْحَ» يَكُونُ مَعَ الْعَدُوِّ. ﴿فَالْمُورِيَّتِ﴾ تُورِي نَارَ الْحُبَابِ، وَهِيَ مَا
تَنْقَدِحُ مِنْ حَوَافِرِهَا ﴿قَدْحاً﴾ صَاكَّاتٍ بِحَوَافِرِهَا الْحِجَارَةَ، وَالْقَدْحُ: الصَّكُّ،
وَالْإِيْرَاءُ: إِخْرَاجُ النَّارِ، يَقَالُ: قَدَحَ فُلَانٌ فَأُورِي، وَقَدَحَ فَأَصْلَدَ^(٢). وَأَنْتَصَبَ
﴿قَدْحاً﴾ بِمِثْلِ مَا أَنْتَصَبَ بِهِ ﴿ضُبْحاً﴾. ﴿فَالْمُغِيرَتِ﴾ تُغِيرُ بِفُرْسَانِهَا عَلَى الْعَدُوِّ
﴿ضُبْحاً﴾ فِي وَقْتِ الصُّبْحِ. ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾ فَهَيَّجْنَ بِذَلِكَ الْوَقْتِ غُبَاراً. ﴿فَوَسَطْنَ
بِهِ﴾ أَي: بِذَلِكَ الْوَقْتِ، أَوْ: بِالنَّقْعِ، أَي: وَسَطْنَ النَّقْعَ الْجَمْعَ، أَي: ﴿جَمْعاً﴾ مِنْ جُمُوعِ
الْأَعْدَاءِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالنَّقْعِ الصِّيَاحُ، مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا لَمْ يَكُنْ نَقْعٌ وَلَا
لَقْلَقَةٌ»^(٣)، وَقَوْلِ لَبِيدٍ:

فَمَتَى يَنْقَعُ صُرَاخُ صَادِقٍ^(٤)

(١) لم نعثر عليه في ديوانه المطبوع، وأنشده في الصحاح واللسان في مادة «ضبح» وفيهما:
«تعلم» بدل «تكدح»، ومعناه واضح.

(٢) في الصحاح: صَلَدَ الزَّنْدُ: إِذَا صَوَّتَ وَلَمْ يُخْرِجْ نَاراً، وَأَصْلَدَ الرَّجُلُ: أَي صَلَدَ زَنْدَهُ.

(٣) لم نجده مرفوعاً، ورواه البخاري في الصحيح: ج ٢ ص ١٧٤ من كتاب الجنائز عن عمر
موقوفاً. وأورده الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٨٧، والرازي في تفسيره: ج ٣٢ ص ٦٦
مرسلاً.

(٤) وعجزه: يُخْلِبوهُ ذَاتَ جَرَسٍ وَزَجَلٍ. من قصيدة له طويلة يتحدث فيها عن مآثره ومواقفه. ←

أي: فَهَيَّجُنَ فِي الْإِغَارَةِ عَلَيْهِمْ صِيحاً وَجَلَبَةً. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كُنْتُ جَالِساً فِي الْحِجْرِ فَجَاءَنِي رَجُلٌ فَسَأَلَنِي عَنْ ﴿الْعَدِيدِ ضَبْحاً﴾ فَفَسَّرْتُهَا بِالْخَيْلِ، فَذَهَبَ إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ تَحْتَ سِقَايَةِ زَمْزَمَ فَسَأَلَهُ فَذَكَرَ لَهُ مَا قُلْتُ، فَقَالَ: ادْعُهُ لِي، فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى رَأْسِهِ قَالَ: تُفْتِي النَّاسَ بِمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ؟ وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِأَوَّلِ غَزْوَةٍ فِي الْإِسْلَامِ - بَدْرٍ - فَمَا كَانَ مَعَنَا إِلَّا فَرَسَانِ: فَرَسٌ لِلزُّبَيْرِ، وَفَرَسٌ لِلْمِقْدَادِ ﴿وَالْعَدِيدِ ضَبْحاً﴾ الْإِبِلُ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ، وَمِنْ الْمَزْدَلِفَةِ إِلَى مَنَى^(١). فَإِنْ صَحَّتْ هَذِهِ الرَّوَايَةُ فَقَدْ اسْتُعِيرَ «الضَّبْحُ» لِلإِبِلِ، كَمَا اسْتُعِيرَ «الْبَقَرُ» لِلإِنْسَانِ، وَ«الْبَقَرُ» لِلثَّوْرِ وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ. وَقِيلَ: الضَّبْحُ بِمَعْنَى الضَّبْعِ^(٢)، يُقَالُ: ضَبَحَتِ الْإِبِلُ وَضَبَعَتْ: إِذَا مَدَّتْ أَضْبَاعَهَا فِي السَّيْرِ. وَ«جَمْعُ»: هُوَ الْمَزْدَلِفَةُ.

إِنَّهَا^(٣) نَزَلَتْ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ لَمَّا أَوْقَعَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِمْ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ بُعِثَ عَلَيْهِمْ مَنْ لَمْ يُغْنِ شَيْئاً وَرَجَعَ^(٤).

وَعَطَفَ قَوْلَهُ: ﴿فَأَتَزَنَ﴾ عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي وُضِعَ اسْمُ الْفَاعِلِ مَوْضِعَهُ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: وَاللَّاتِي عَدَوْنَ فَأَوْرَيْنَ فَأَغْرَنَ.

وَالْكُتُودُ: الْكُفُورُ، يَعْنِي: أَنَّ الْإِنْسَانَ كُفُورٌ لِنِعْمَةِ رَبِّهِ خُصُوصاً شَدِيدُ الْكُفْرَانِ. ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ أَي: وَإِنَّ الْإِنْسَانَ عَلَى كُتُودِهِ ﴿لَشَهِيدٌ﴾ يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْكُفْرَانِ وَالتَّفْرِيطِ فِي شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُتُودِهِ

راجع ديوان لبيد بن ربيعة: ص ١٤٦.

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٦٦٦ عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وزاد: قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال علي.

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج ٢ ص ٣٠٧.

(٣) في نسخة: «الصادق عليه السلام: إنها».

(٤) رواه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره: ج ٢ ص ٤٣٤ - ٤٣٩ عن أبي بصير.

لَشَاهِدٌ^(١)، عَلَى سَبِيلِ الْوَعِيدِ. وَإِنَّ الْإِنْسَانَ ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أَي: لِأَجْلِ حُبِّ الْخَيْرِ وَهُوَ الْمَالُ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾^(٢)، ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أَي: بِخَيْلٍ مُمْسِكٍ، يُقَالُ: فُلَانٌ شَدِيدٌ وَمُتَشَدِّدٌ، قَالَ طَرَفَةُ:

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَضْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(٣)
أَوْ: أَرَادَ: وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرَاتِ غَيْرُ هَشٍّ مُنْبَسِطٍ، وَلَكِنَّهُ شَدِيدٌ مُنْقَبِضٌ.
﴿بُغَيْرَ﴾ أَي: بُعْثَ. ﴿وَحُصِّلَ﴾ أَي: ظَهَرَ مُحْصَلًا مَجْمُوعًا، وَقِيلَ: مُيَزَّ بَيْنَ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ^(٤). وَمَعْنَى خَبَرِهِ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مُجَازَاتُهُ لَهُمْ عَلَى مَقَادِيرِ أَعْمَالِهِمْ.



(١) قاله قتادة وسفيان. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٦٧٣.

(٢) البقرة: ١٨٠.

(٣) البيت من معلقة المشهورة. ويعتام: يختار، وعقيلة كل شيء: أنفسه وخياره. راجع ديوان طرفة بن العبد: ص ٣٦.

(٤) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٥١٧.

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً كُوفِيٌّ، ثَمَانِي آيَاتٍ بَصْرِيٌّ. عَدَّ الْكُوفِيُّ:
﴿الْقَارِعَةُ﴾ الْأُولَى، وَ﴿ثَقُلْتَ مَوَازِينُهُ﴾ ^(٢) وَ﴿خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ^(٣).
فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا ثَقَّلَ اللَّهُ مِيزَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٤). وَعَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
«مَنْ قَرَأَهَا آمَنَهُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَمِنْ قَيْحِ جَهَنَّمَ» ^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ﴾ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ
النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا
مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ بَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) ﴿

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٣٩٨: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ

إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً فِي الْكُوفِيِّ، وَعَشْرٌ فِي الْمَدَنِيِّينَ، وَثَمَانٍ فِي الْبَصْرِيِّ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٧٨٦: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (١١)، نَزَلَتْ بَعْدَ قَرِيشٍ.

(٢) الْآيَةُ: ٦. (٣) الْآيَةُ: ٨.

(٤) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٧٩١ مَرْسَلًا.

(٥) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٣ وَفِيهِ بَعْدَ لَفْظَةِ «الدَّجَالِ»: «أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ»، وَزَادَ فِي آخِرِهِ:

«إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

﴿يَوْمَ يَكُونُ﴾ نُصِبَ بِمُضْمَرٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ ﴿الْقَارِعَةُ﴾، أي: تَقَرُّعُ الْقُلُوبِ بِالْفَزَعِ
 ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ شَبَّهَهُمُ بِالْفَرَاشِ فِي الْكَثْرَةِ وَالِانْتِشَارِ
 وَالضَّعْفِ وَالْمَهَانَةِ وَالذَّلَّةِ، وَالتَّطَايُرِ إِلَى الدَّاعِي مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا يَتَطَايَرُ الْفَرَاشُ،
 وَفِي أَمْثَالِهِمْ: «أَضْعَفُ مِنْ فَرَّاشَةٍ، وَأَذَلُّ، وَأَجْهَلُ»^(١).

وَشَبَّهَ الْجِبَالَ بِـ ﴿الْعِهْنِ﴾ وَهُوَ الصُّوفُ الْمُصَبَّغُ اللَّوَانًا، لِأَنَّهَا اللَّوَانُ،
 وَبِـ ﴿الْمَنْفُوشِ﴾ مِنْهُ لِيَتَفَرَّقَ أَجْزَائُهَا.

وَالْمَوَازِينُ: جَمْعُ مَوْزُونٍ، وَهُوَ الْعَمَلُ الَّذِي لَهُ وَزْنٌ وَخَطَرٌ عِنْدَ اللَّهِ، أَوْ: جَمْعُ
 مِيزَانٍ، وَثِقْلُهَا: رُجْحَانُهَا. ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ إِذَا دَعَوْا عَلَى الرَّجُلِ
 بِالْهَلَكَةِ: هَوَتْ أُمُّهُ، لِأَنَّهُ إِذَا هَوَى - أَي: سَقَطَ وَهَلَكَ - فَقَدْ هَوَتْ أُمُّهُ تُكَلًّا وَحُزْنًا.
 فَكَأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ فَقَدْ هَلَكَ، وَقِيلَ: ﴿هَآوِيَةٌ﴾ مِنْ أَسْمَاءِ
 النَّارِ^(٢)، وَكَأَنَّ النَّارَ الْعَمِيقَةَ يَهْوِي أَهْلُ النَّارِ فِيهَا مَهْوًى بَعِيدًا، أَي: فَمَاوَاهُ النَّارُ،
 وَقِيلَ: لِلْمَأْوَى: «أُمُّ» عَلَى التَّشْبِيهِ، لِأَنَّ «الْأُمَّ» مَأْوَى الْوَلَدِ^(٣)، وَعَنِ ابْنِ صَالِحٍ:
 فَأُمُّ رَأْسِهِ هَآوِيَةٌ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ لِأَنَّهُ يُطْرَحُ فِيهَا مِنْكُوسًا^(٤). ﴿هَيْئَةً﴾ ضَمِيرُ الدَّاهِيَةِ
 الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ: ﴿فَأُمُّهُ هَآوِيَةٌ﴾ فِي التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ، أَوْ: ضَمِيرُ ﴿هَآوِيَةٍ﴾، وَالْهَاءُ
 لِلسَّكْتِ، فَإِذَا وَصَلَ الْقَارِئُ حَذَفَهَا. ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ حَارَّةٌ شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ.



(١) أنظر مجمع الأمثال للميداني: ج ١ ص ٤٤١.

(٢) قاله قتادة وابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٦٧٧.

(٣) قاله ابن عباس. راجع المصدر المتقدم.

(٤) حكاه عنه الطبري في تفسيره المتقدم.

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، ثَمَانِي آيَاتٍ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا لَمْ يُحَاسِبْهُ اللَّهُ بِالنَّعِيمِ الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا فِي فَرِيضَةٍ كُتِبَ لَهُ ثَوَابُ مِائَةِ شَهِيدٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي نَافِلَةٍ كَانَ لَهُ ثَوَابُ خَمْسِينَ شَهِيداً» ^(٣) ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَكُمُ التَّكْوِيْنُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣)
ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِيْنِ (٥) لَتَرَوُنَّ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٤٠١: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ ثَمَانِ آيَاتٍ بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٩١: مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٨)، نَزَلَتْ بَعْدَ التَّكْوِيْنِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٩٣ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٣ وَزَادَ فِي آخِرِهِ: «وَصَلَّى مَعَهُ فِي فَرِيضَتِهِ أَرْبَعُونَ صَفًّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

(٤) وَفِي نَسْخَةٍ زِيَادَةٍ هُنَا: «وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَرَأَ أَلْهَاكُمْ التَّكْوِيْنُ عِنْدَ النَّوْمِ وَقِيَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ».

الْجَحِيمِ (٦) ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) ﴿الْهَكُمُ﴾ أي: شَغَلَكُمْ عن ذِكْرِ الْآخِرَةِ التَّبَارِي فِي كَثْرَةِ الْمَالِ، وَالتَّبَاهِي بِهَا، وَالتَّفَاخُرُ. ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: حَتَّى أَذْرَكَكُمْ الْمَوْتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنْكُمْ تَكَاثَرْتُمْ بِالْأَحْيَاءِ حَتَّى إِذَا اسْتَوْعَبْتُمْ عَدَدَهُمْ صِرْتُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ فَتَكَاثَرْتُمْ بِالْأَمْوَاتِ (١). عَبَّرَ عَنْ بُلُوغِهِمْ ذِكْرَ الْمَوْتِ بِزِيَارَةِ الْمَقَابِرِ تَهَكُّمًا بِهِمْ.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ وَتَنْبِيهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا جَمِيعَ هِمَّةِ الْإِنْسَانِ حَتَّى لَا يَهْتَمَّ بِأُمُورِ دِينِهِ ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وَعِيدٌ لِيَخَافُوا وَلِيَسْتَبْهُوا عَنْ غَفْلَتِهِمْ. وَالتَّكْرِيرُ تَأْكِيدٌ لِلرَّدْعِ وَالْإِنْذَارِ عَلَيْهِمْ، وَفِي ﴿ثُمَّ﴾ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْذَارَ الثَّانِي أَشَدُّ مِنَ الْأَوَّلِ، وَالْمَعْنَى: سَوْفَ تَعْلَمُونَ الْخَطَأَ فِي مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَايَنْتُمْ مَا قُدَّامَكُمْ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ. ثُمَّ كَرَّرَ التَّنْبِيهَ أَيْضًا وَقَالَ: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ﴿عِلْمُ﴾ الْأَمْرِ ﴿الْيَقِينِ﴾ أي: كَعِلْمِكُمْ مَا تَسْتَيْقِنُونَهُ مِنَ الْأُمُورِ، لَفَعَلْتُمْ مَا لَا يُوصَفُ، وَلَكِنَّكُمْ ضَلَّالٌ جَهَلَةٌ. فَحُذِفَ جَوَابُ ﴿لَوْ﴾.

﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾ جَوَابُ قَسَمٍ مُحذُوفٍ، وَالْقَسَمُ لَتَوْكِيدِ الْوَعِيدِ، وَيَبَيِّنُ مَا أَوْعَدَهُمْ بِهِ وَأَنْذَرَهُمْ مِنْهُ، ثُمَّ كَرَّرَ ذَلِكَ تَغْلِيظًا فِي التَّهْدِيدِ وَزِيَادَةً فِي التَّهْوِيلِ، وَقُرِئَ: «لَتَرُونَ» عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ (٢). ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ الرُّؤْيَا الَّتِي هِيَ نَفْسُ الْيَقِينِ وَخَالِصُهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالرُّؤْيَا الْعِلْمُ وَالْإِبْصَارُ. ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ عَنِ التَّنْعَمِ الَّذِي شَغَلَكُمْ الْإِلْتِذَاذُ بِهِ عَنْ أُمُورِ الدِّينِ.



(١) قاله الكلبي. راجع تفسير السمرقندي: ج ٣ ص ٥٠٦.

(٢) قرأه ابن عامر والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٩٥.

سُورَةُ الْعَصْرِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، ثَلَاثُ آيَاتٍ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا خَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِالصَّبْرِ، وَكَانَ مَعَ أَصْحَابِ الْحَقِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا فِي نَوَافِلِهِ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُشْرِقاً وَجْهَهُ، ضَاحِكاً سِنَّهُ، قَرِيراً عَيْنُهُ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾
أَفْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالذَّهْرِ لِأَنَّ فِيهِ عِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ، أَوْ بِالْعِشِيِّ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٤٠٤: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ ثَلَاثُ آيَاتٍ بِإِخْلَافٍ فِي جَمَلَتِهَا وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي تَفْصِيلِهَا.
وَفِي تَفْسِيرِ الْمَاورِدِي: ج ٢ ص ٣٣٣: مَكِّيَّةٌ، وَفِي إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ: أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٩٣: مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٣) نَزَلَتْ بَعْدَ الشَّرْحِ.

(٢) رَوَاهُ الْكَفَعْمِيُّ فِي الْمَصْبَاحِ: ص ٤٥٢. (٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٣.

دَلَائِلِ الْقُدْرَةِ بِإِدْبَارِ النَّهَارِ وَذَهَابِ سُلْطَانِ الشَّمْسِ. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ وَهُوَ أَسْمُ الْجِنْسِ ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ أَي: خُسْرَانٍ، يَنْقُصُ عُمُرُهُ كُلَّ يَوْمٍ وَهُوَ رَأْسُ مَالِهِ، فَإِذَا ذَهَبَ رَأْسُ مَالِهِ وَلَمْ يَكْتَسِبْ بِهِ الطَّاعَةَ كَانَ طُولَ دَهْرِهِ ^(١) فِي نُقْصَانٍ. ﴿إِلَّا﴾ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ فَإِنَّهُمْ اشْتَرَوْا الْآخِرَةَ بِالدُّنْيَا فَرَبِحُوا وَفَازُوا وَسَعِدُوا ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ بِالْأَمْرِ الثَّابِتِ الَّذِي لَا يَسُوعُ انْكَارُهُ، وَهُوَ الْخَيْرُ كُلُّهُ مِنْ: تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ، وَاجْتِنَابِ الْمُقَبَّحَاتِ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عَنِ الْمَعَاصِي، وَعَلَى الطَّاعَاتِ وَالْبَلِيَّاتِ.



(١) فِي نَسْخَةِ: «عُمُرِهِ» .

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، تِسْعُ آيَاتٍ.

في حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ مَنْ اسْتَهْزَأَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ» ^(٢).

وعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا فِي فَرَائِضِهِ نَفَتْ عَنْهُ الْفَقْرُ، وَجَلَبَتْ عَلَيْهِ الرِّزْقُ، وَدَفَعَتْ عَنْهُ مِيتَةَ السُّوءِ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)﴾

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٤٠٦: مَكِّيَّةٌ في قول ابن عباس والضحاك، وهي تسع آيات بلا خلاف.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٧٩٤: مَكِّيَّةٌ، وآياتها (٩)، نزلت بعد القيامة.

(٢) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٧٩٦ مرسلًا.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٥٤ وفيه بدل «نَفَتْ عَنْهُ الْفَقْرُ»: «بَعَدَ اللَّهُ عَنْهُ الْفَقْرُ».

الْهَمْزُ: الْكَسْرُ. قِيلَ لِأَغْرَابِيٍّ: أَتَهْمِزُ «الْفَارَةَ»؟ فَقَالَ: السَّنَوْرُ يَهْمِزُهَا^(١).
وَاللَّمْزُ: الطَّعْنُ، «فَالْهَمْزَةُ» الَّذِي يَكْسِرُ أَغْرَاضَ النَّاسِ بِالْغَضِّ^(٢) مِنْهُمْ وَأَغْتِيَابِهِمْ،
«وَاللَّمْزَةُ» الَّذِي يَطْعَنُ فِيهِمْ، وَبَنَاءُ «فُعْلَةٍ» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ عَادَةٌ مِنْهُ قَدْ ضَرَى بِهَا.
قَالَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ:

تُدْلِي بِوُدِّي إِذْ لَاقَيْتَنِي كَذِبًا وَإِنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الْهَامِزَ اللَّمَزَةَ^(٣)
وَهَذَا وَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ لِكُلِّ مُغْتَابٍ، عِيَابٍ، مَشَاءٍ بِالنَّمِيمَةِ، مُفَرِّقٍ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ،
وَعَنِ الْحَسَنِ: الْهَمْزَةُ الَّذِي يَطْعَنُ فِي الْوَجْهِ بِالْعَيْبِ، وَاللَّمْزَةُ الَّذِي يَغْتَابُ عِنْدَ
الْغَيْبَةِ^(٤).

﴿الَّذِي﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿كُلِّ﴾، أَوْ: نُصِبَ عَلَى الدِّمِّ، وَقُرِئَ: ﴿جَمَعَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ^(٥)
وَالتَّخْفِيفِ، وَالتَّشْدِيدُ أَوْفَقُ لـ ﴿عَدَدَهُ﴾، وَقِيلَ: ﴿عَدَدَهُ﴾: جَعَلَهُ عُدَّةً لِحَوَادِثِ
الدَّهْرِ^(٦).

و ﴿أَخْلَدَهُ﴾ وَخَلَّدَهُ بِمَعْنَى، يَعْنِي: أَنَّ طَوْلَ أَمَلِهِ وَمَنَاءُ الْأَمَانِي الْبَعِيدَةِ حَتَّى
حَسِبَ أَنَّ الْمَالَ يَتْرَكُهُ خَالِدًا فِي الدُّنْيَا لَا يَمُوتُ، أَوْ: يَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّهُ يَعْمَلُ مِنْ
تَشْيِيدِ الْبَنِيَانِ وَتَوْثِيقِهَا بِالصَّخْرِ وَالْآجُرِّ عَمَلٌ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ مَالَهُ أَبْقَاهُ حَيًّا، أَوْ: هُوَ
تَعْرِضٌ بَأَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ هُوَ الَّذِي يُخَلِّدُ فِي النَّعِيمِ صَاحِبَهُ دُونَ الْمَالِ.
﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لَهُ عَنْ حُسْبَانِهِ ﴿لَيْسَبْدَنَ﴾ هُوَ وَمَالُهُ، أَي: لَيَقْدَفَنَّ وَيُطْرَحَنَّ

(١) أي: يأكلها. أنظر لسان العرب: مادة «همز».

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخ: «بِالْعَضِّ».

(٣) أنظر ديوان زياد الأعجم: ص ١٤٨، وفيه: «وَإِنْ أُغَيَّبَ فَانْتِ الْهَامِزُ اللَّمَزَةُ».

(٤) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٤٣٩.

(٥) قرأه ابن عامر وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٦٩٧.

(٦) قاله مقاتل. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٥٢٤.

﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ وهو اسمٌ من أسماءِ جهنَّمَ، وعن مُقاتِل: تَحْطِمُ الْعِظَامَ وَتَأْكُلُ
اللُّحُومَ حَتَّى تَهْجُمَ عَلَى الْقُلُوبِ^(١). وَيَقَالُ لِلرَّجُلِ الْأَكُولِ: حُطَمَةٌ. ثُمَّ فَخَمَ أَمْرَهَا
بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾. ثُمَّ فَسَّرَهَا وَأَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿نَارُ اللَّهِ
الْمُوقَدَةُ﴾ أَي: الْمُوَجَّجَةُ. ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ﴾ وَهِيَ أَوْسَاطُ الْقُلُوبِ، وَلَا
شَيْءَ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ اللَّطْفُ مِنَ الْفُؤَادِ، وَلَا أَشَدُّ تَأْذِيًّا مِنْهُ بِأَذْنَى أَذَى، فَكَيْفَ إِذَا
أُطْلِعَتْ عَلَيْهِ نَارُ جَهَنَّمَ وَأَسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ وَعَلَتْهُ؟ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ أَي: مُطَبَّقَةٌ
﴿فِي عَمَدٍ﴾ قُرِئَ بضمَّتَيْنِ^(٢) وَبَفَتْحَتَيْنِ، وَهَذَا تَأْكِيدٌ لِلْيَأْسِ مِنَ الْخُرُوجِ، وَإِذَا
بِخَبْسِ الْأَبَدِ، أَي: يُوصَدُّ عَلَيْهِمُ الْأَبْوَابُ، وَيُمَدَّدُ عَلَى الْأَبْوَابِ الْعَمَدُ اسْتِثْقَاءً فِي
اسْتِثْقَائِهِ. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ.



(١) حكاه عنه الرازي في تفسيره: ج ٣٢ ص ٩٤.

(٢) قرأه حمزة والكسائي وعاصم برواية أبي بكر عنه. راجع كتاب السبعة في القراءات:

سُورَةُ الْفِيلِ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، خَمْسُ آيَاتٍ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا عَافَاهُ اللَّهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ مِنَ الْقَذْفِ وَالْمَسْخِ» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا فِي فَرَايِضِهِ شَهِدَ لَهُ كُلُّ سَهْلٍ وَجَبَلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَيُنَادِي لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنَادٍ: صَدَقْتُمْ عَلَيَّ عَبْدِي، قَبِلْتُ شَهَادَتَكُمْ لَهُ وَعَلَيْهِ، أَدْخَلُوهُ الْجَنَّةَ وَلَا تُحَاسِبُوهُ فَإِنَّهُ مِمَّنْ أَحَبُّهُ وَأَحَبُّ عَمَلُهُ، وَكَانَ مِنَ الْآمِنِينَ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٤٠٦: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ تَسْعُ آيَاتٍ بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٧٩٧: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (٥)، نَزَلَتْ بَعْدَ «الْكَافِرُونَ».

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٨٠٠ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٤ وَلَيْسَ فِيهِ لَفْظَةُ «وَكَانَ مِنَ الْآمِنِينَ».

بَنَى أَبْرَهَةَ بْنُ الصَّبَاحِ الْأَشْرَمِ مَلِكُ الْيَمَنِ كَنِيسَةً بِصَنْعَاءَ، وَأَرَادَ أَنْ يَصْرِفَ إِلَيْهَا الْحَاجَّ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةٍ فَقَعَدَ فِيهَا لَيْلًا، فَأَغْضَبَهُ ذَلِكَ وَأَزْمَعَ أَنْ يَهْدِمَ الْكَعْبَةَ، فَخَرَجَ بِالْحَبَشَةِ وَمَعَهُ فِيلٌ أَسْمُهُ مُحْمُودٌ، وَكَانَ قَوِيًّا عَظِيمًا، وَقِيلَ: كَانَ مَعَهُ اثْنَا عَشَرَ فَيْلًا غَيْرَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمُغَمَّسَ ^(١) خَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ وَقَدْ أَخَذَ لَهُ مَائَتًا بَعِيرٍ، وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا وَسِيمًا، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا سَيِّدُ قُرَيْشٍ، فَأَعْظَمَهُ وَنَزَلَ مِنْ سَرِيرِهِ وَجَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: مَا حَاجَّتُكَ؟ قَالَ: حَاجَّتِي مَائَتًا بَعِيرٍ أَصَابَتْهَا مَقْدَمُتُكَ، فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ سَقَطَتْ مِنْ عَيْنِي، جِئْتُ لِأَهْدِمَ الْبَيْتَ الَّذِي هُوَ عَزُّكُمْ وَشَرَفُكُمْ وَدِينُكُمْ، فَأَلْهَاكَ عَنْهُ ذَوْدٌ أَخَذَ لَكَ؟! فَقَالَ: أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَلِلْبَيْتِ رَبٌّ سَيَمْنَعُهُ، فَرَاعَ ذَلِكَ أَبْرَهَةَ وَأَمَرَ بِرَدِّ إِبِلِهِ عَلَيْهِ، وَرَجَعَ وَأَتَى إِلَى بَابِ الْبَيْتِ فَأَخَذَ بِحَلْقَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

لَا هُمْ إِنْ الْمَرْءَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ
لَا يَغْلِبَنَّ صَالِيَهُمْ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكَعَ
[وَقَالَ أَيْضًا: (٢)]

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبِّ فَاْمْنَعْ مِنْهُمْ حِمَاكَ
فالتفت وهو يدعو فإذا هو بطيرٍ من نحو اليمن، فقال: والله إنها لطيرٌ غريبة، ما هي ببهرية [بنجدية] ولا تهامية... ^(٣)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ معناه: أنك رأيت آثار فعل الله بالحَبَشَةِ الَّذِينَ قَصَدُوا تَخْرِبَ الْكَعْبَةَ ﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ الْعَامَ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

(١) الْمُغَمَّسُ: موضع من مكة . (٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) روى قصة أصحاب الفيل بطولها ابن إسحاق في سيرته: ص ٦١ - ٧٠.

و ﴿كَيْفَ﴾ في مَوْضِعِ نَضْبٍ بـ ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ لا بـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ لِمَا فِي «كَيْفَ» مِنْ مَعْنَى الاستِفْهَامِ.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ وإِرَادَتُهُمُ السُّوءَ فِي تَخْرِيْبِ بَيْتِ اللَّهِ وَقَتْلِ أَهْلِهِ وَأَسْتِبَاحَتِهِمْ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ فِي تَضْيِيعٍ وَإِطَالٍ، يُقَالُ: ضَلَّلَ كَيْدُهُ؛ إِذَا جَعَلَهُ ضَالًّا ضَائِعًا. ﴿وَأَزْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ حَزَائِقُ ^(١)، الْوَاحِدَةُ: إِبَّالَةٌ، وَفِي الْمَثَلِ: «ضِغْتُ عَلَى إِبَّالَةٍ» ^(٢)، وَهِيَ الْحِرْزَةُ الْكَبِيرَةُ، شُبَّهَتْ الْحِرْزَةُ مِنَ الطَّيْرِ فِي تَضَامُّهَا بِالْإِبَّالَةِ، وَقِيلَ: أَبَابِيلُ مِثْلُ «عَبَادِيدٍ» وَشَمَاطِيطٍ لَا وَاحِدَ لَهَا ^(٣). ﴿تَرْمِيهِمْ﴾ تَقْذِفُهُمْ تِلْكَ الطَّيْرُ ﴿بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ مِنْ جُمْلَةِ الْعَذَابِ الْمَكْتُوبِ الْمُدَوَّنِ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ «الْإِسْجَالِ» وَهُوَ الْإِرْسَالُ، لِأَنَّ الْعَذَابَ مَوْصُوفٌ بِذَلِكَ، وَقِيلَ: مِنْ طِينٍ مَطْبُوخٍ كَمَا يُطْبَخُ الْآجُرُ ^(٤)، وَقِيلَ: هُوَ مُعَرَّبٌ مِنْ سَنَكُ كُلِّ ^(٥)، وَقِيلَ: كَانَتْ طَيْرًا بِيضَاءً، مَعَ كُلِّ طَائِرٍ حَجَرٌ فِي مَنْقَارِهِ وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ أَكْبَرُ مِنَ الْعَدْسَةِ وَأَصْغَرُ مِنَ الْحِمَّصَةِ ^(٦). وَقِيلَ: كَانَتْ طَيْرًا خَضِرَاءَ لَهَا مَنَاقِيرُ صُفْرُ ^(٧). وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ رَأَى مِنْهَا عِنْدَ أُمِّ هَانِي نَحْوَ قَفِيرٍ، مُخَطَّطَةً بِحُمْرَةٍ كَالْجَزْعِ الظَّفَارِيِّ ^(٨).

(١) الْحِرْزُ وَالْحِرْزَةُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ وَالطَّيْرِ وَالنَّخْلِ وَغَيْرِهَا. (الصَّحَاحُ).

(٢) الضِّغْتُ: قَبْضَةٌ مِنْ حَشِيشٍ مُخْتَلِطَةِ الرُّطْبِ وَالْيَابِسِ، وَالْإِبَّالَةُ: الْحِزْمَةُ مِنَ الْحَطَبِ، وَمَعْنَى الْمَثَلِ: بَلِيَّةٌ عَلَى أُخْرَى. رَاجِعٌ مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِيِّ: ج ٢ ص ٤٣٢.

(٣) قَالَه الْفَرَّاءُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ: ج ٣ ص ٢٩٢. وَالْعَبَادِيدُ: الْخَيْلُ الْمَتَفَرِّقَةُ فِي ذَهَابِهَا وَمَجِيئِهَا، وَالشَّمَاطِيطُ: الْقَطْعُ الْمَتَفَرِّقُ، يُقَالُ: جَاءَتْ الْخَيْلُ شَمَاطِيطٌ أَيْ: مَتَفَرِّقَةٌ إِرْسَالًا.

(٤) قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِهِ: ص ٥١٩.

(٥) وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِرَوَايَةِ عِكْرَمَةَ عَنْهُ وَعِكْرَمَةُ وَجَابِرُ بْنُ سَابِطٍ. رَاجِعٌ تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ: ج ١٢ ص ٦٩٣ - ٦٩٤. (٦) قَالَه قَتَادَةُ. رَاجِعُ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ: ص ٦٩٤.

(٧) قَالَه سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ. رَاجِعُ الْمَصْدَرِ نَفْسِهِ: ص ٦٩٣.

(٨) أَخْرَجَهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرَجِ: ج ٨ ص ٦٣٣ عَنْ أَبِي صَالِحٍ - أَحَدِ تَلَامِيذِهِ - وَعَزَاهُ إِلَى ←

فَكَانَ الْحَجَرُ يَقَعُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ رَجُلٍ فَيَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهِ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾^(١) شَبَّهُهُمْ بِوَرَقِ الزَّرْعِ إِذَا أُكِلَ، أَي: وَقَعَ فِيهِ الْأُكَالُ، وَهُوَ أَنْ يَأْكُلَهُ الدَّوْدُ، أَوْ: يَتَبَّنِ أَكْلَتُهُ الدَّوَابُّ وَرَأَتْهُ، وَلَكِنَّهُ مِنْ كَنَائِيَاتِ الْقُرْآنِ اللَّطِيفَةِ.

وهذه السُّورَةُ من قَوَاصِمِ الظُّهُورِ لِلْمَلَا حِدَةٍ وَالْفَلَا سِفَةِ الْمُنْكَرَةِ لِلْمُعْجَزَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَاتِ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْسَبَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ أَصْحَابِ الْفِيلِ إِلَى طَبْعٍ وَغَيْرِهِ^(١)، وَكَيْفَ يَكُونُ فِي أَسْرَارِ^(٢) الطَّبِيعَةِ أَنْ تَأْتِيَ جَمَاعَاتٌ مِنَ الطَّيْرِ مَعَهَا أَحْجَارٌ مُعَدَّةٌ لِإِهْلَاكِ أَقْوَامٍ مُعَيَّنِينَ فَتَرْمِيهِمْ بِهَا حَتَّى تُهْلِكَهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ؟ وَلَا يُمْكِنُ أَحَدٌ جَحْدَهُ وَالشَّكَّ فِيهِ؛ لِأَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ تَلَاهَا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَلَمْ يُنْكِرُوهُ، بَلْ أَقْرَأُوا بِهِ مَعَ شِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَكَيْفَ وَقَدْ أَرَّخُوا بِذَلِكَ كَمَا أَرَّخُوا بِنَاءِ الْكَعْبَةِ وَغَيْرِهِ؟



➤ ابن مردويه وأبي نعيم. والقفيز: من المكاييل تتواضع الناس عليه، والجَزْعُ: خَرَزُ فِيهِ بِيَاضٌ وَسَوَادٌ تَشَبَّهُ بِهِ الْأَعْيُنُ، تُجَلِبُ مِنَ الْيَمِينِ، وَظِفَارُ: مَوْضِعٌ فِي الْيَمَنِ.

(١) كَمَا نَسَبُوا الصَّيْحَةَ وَالرِّيحَ الْعَقِيمَ وَالْخُسْفَ وَغَيْرَهَا مِمَّا أَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْأُمَّمَ الْخَالِيَةَ إِلَى ذَلِكَ.

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخ: «أَسْوَار».

سُورَةُ قُرَيْشٍ (١)

مَكِّيَّةٌ (٢) أَرْبَعُ آيَاتٍ.

في حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ مَنْ طَافَ بِالْكَعْبَةِ وَأَعْتَكَفَ بِهَا» (٣).

وعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَجْمَعُ بَيْنَ سُورَتَيْنِ فِي رُكْعَةٍ إِلَّا الضُّحَى وَالْمِ نَشْرَحَ، وَالْمِ تَرَكِيفَ وَلَا يَلْفِ قُرَيْشٍ» (٤) (٥).

وعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ: صَلَّيْتُ الْمَغْرِبَ خَلْفَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَرَأَ فِي الْأُولَى: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ وَ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾ (٦).

(١) في نسخة: «سورة لا يلاف».

(٢) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ١٢٤: مكية في قول ابن عباس، وقال الضحاك: هي مدنية. وهي أربع آيات في الكوفي والبصري، وخمس في المدنيين.

وفي تفسيره الماوردي: ج ٦ ص ٣٤٥: مكية في قول الأكثرين، ومدنية في قول الضحاك. وفي الكشف: ج ٤ ص ٨٠٠: مكية، وآياتها (٤)، نزلت بعد التين.

(٣) رواه الزمخشري في الكشف: ج ٤ ص ٨٠٣ مرسلًا.

(٤) رواه العياشي في تفسيره عن المفضل بن صالح عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما في المجمع. ورواه السخاوي في جمال القراء: ج ٢ ص ١٨٢ عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ وعن أبي نهيك.

(٥) في المجمع: عن أبي العباس عن أحدهما عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ و﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾ سورة واحدة.

(٦) رواه الهذلي في الكامل: ج ٢ ص ٢٠٤، والقرطبي في تفسيره ج ٢٠ ص ٢٠٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ (١) إِلَّا لَهُمْ رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ (٤)﴾
تعلق اللام بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾، أمرهم الله عزَّ اسمه أن يعبدوه لأجل ﴿إِلَّا لَهُمْ رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ويجعلوا عبادتهم إيَّاه شكراً لهذه النعمة وأعترافاً بها، وقيل: هو متعلق بما قبله أي: فجعلهم كعصفٍ مأكولٍ لا يلافٍ قُرَيْشٍ^(١)، وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل. والمعنى: أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب، ويحترموهم حتى ينتظم لهم الأمر في رحلتهم، فلا يجترئ أحدٌ عليهم، وكانت لقُرَيْشٍ رحلتان: يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيتجرون ويمتارون، وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله، فلا يتعرض لهم ويتخطف غيرهم من الناس.

والإيلاف من: ألفت المكان أولفه إيلاًفاً: إذا ألفتها، وقرئ: «لإيلاف» مختلصة الهمزة^(٢)، وقرئ: ﴿إِلَّا لَهُمْ﴾ و «إِلَّا لَهُمْ»^(٣) و «إِلَّا لَهُمْ»^(٤) يقال: ألفتها إلفاً وإلفاً، وقد جمعهم الشاعر في قوله:

(١) قاله أبو عبيدة والأخفش. راجع مجاز القرآن: ج ٢ ص ٣١٢، ومعاني القرآن للأخفش: ج ٢ ص ٧٤٣.

(٢) و (٣) قرأهما أبو جعفر المدني وابن فليح. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٥٢٩ والتبيان: ج ١٠ ص ٤١٣.

(٤) قرأ أبو جعفر عن أبي عمرو بكسر الفاء والهاء ورووه عن النبي ﷺ وقرأ عكرمة بفتحهما. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٨٠.

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَّهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّافٌ^(١)
 وَقُرَيْشٌ: وَلَدُ النَّضْرِ بْنِ كَنَانَةَ، وَهِيَ دَابَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْبَحْرِ، لَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا
 أَكَلَتْهُ^(٢)، قَالَ:

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْرَ رَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا^(٣)
 وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الْقَرْشِ وَهُوَ الْكَسْبُ^(٤)، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْسِبُونَ الْأَمْوَالَ
 بِتِجَارَاتِهِمْ وَضَرَبِهِمْ فِي الْبِلَادِ. أَطْلَقَ أَوَّلًا «الْإِيلَافَ» ثُمَّ أَبْدَلَ عَنْهُ الْمَقِيدَ بِالرَّحْلَتَيْنِ
 تَفْخِيمًا لِأَمْرِ الْإِيلَافِ، وَتَذْكِيرًا بِعَظِيمِ النِّعْمَةِ فِيهِ.
 و ﴿رِحْلَةً﴾ مَفْعُولٌ بِهِ لـ ﴿إِيلَافِهِمْ﴾ وَأَرَادَ: رِحْلَتِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَأَفْرَدَ، لَا
 مِنَ الْإِلْبَاسِ، كَمَا قِيلَ:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا^(٥)
 وَالتَّنْكِيرُ فِي ﴿جُوعٍ﴾ وَ ﴿خَوْفٍ﴾ لِشِدَّتِهِمَا. يَعْنِي: أَطْعَمَهُمُ بِالرَّحْلَتَيْنِ مِنْ
 جُوعٍ شَدِيدٍ كَانُوا فِيهِ قَبْلَهُمَا، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ عَظِيمٍ وَهُوَ خَوْفُ أَصْحَابِ الْفِيلِ،
 أَوْ: خَوْفُ التَّخَطُّفِ فِي بِلَدِهِمْ وَمَسَائِرِهِمْ.



(١) لمساور بن هند بن قيس العبسي، من أبيات له يهجو بها بني أسد راجع خزانة الأدب
 للبغدادى: ج ١١ ص ٤٢٠.

(٢) وهو قول ابن عباس لما سأله عمرو بن العاص: بِمَ سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ؟ قَالَ: بِدَابَّةٍ فِي الْبَحْرِ
 تَسْمَى قُرَيْشًا. انظر المصدر السابق: ج ١ ص ٢٠٤.

(٣) للمُشْمَرَج بن عمرو الحميري. راجع المصدر السابق نفسه.

(٤) قاله الفراء. ذكره القرطبي في تفسيره: ج ٢٠ ص ٢٠٣.

(٥) وعجزه: فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصٌ. تقدم شرح البيت في ص ٢٤٣ و ٤٧٠ فراجع.

سُورَةُ الْمَاعُونِ^(١)

مَكِّيَّةٌ^(٢)، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، سَبْعُ آيَاتٍ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ إِنْ كَانَ لِلزَّكَاةِ مُوَدِّيًّا»^(٣).

وَعَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا فِي فَرَائِضِهِ وَنَوَافِلِهِ قَبِلَ اللَّهُ صَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ، وَلَمْ يَحَاسِبْهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢)

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «سُورَةُ أَرَأَيْتَ».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٤١٤: وَتَسْمَى سُورَةُ «أَرَأَيْتَ» مَكِّيَّةً فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: مَدَنِيَّةٌ. وَهِيَ سَبْعُ آيَاتٍ فِي الْكُوفِيِّ وَالْبَصْرِيِّ، وَسَتْ فِي الْمَدَنِيِّينَ. عَدَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرِيِّ «يَرَاءُونَ» رَأْسَ آيَةٍ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْمَاورِدِيِّ: ج ٦ ص ٣٥٠: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ عَطَاءٍ وَجَابِرٍ، وَمَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٨٠٣: مَكِّيَّةٌ ثَلَاثُ آيَاتٍ الْأَوَّلُ، مَدَنِيَّةٌ الْبَقِيَّةُ، وَآيَاتُهَا (٧)، نَزَلَتْ بَعْدَ التَّكَاثُرِ.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٨٠٦ مَرْسَلًا.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٤ وَفِيهِ بَعْدَ لَفْظَةِ «نَوَافِلِهِ»: «كَانَ فِيمِنْ».

وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧) ﴿

أي: هل عرفت ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ﴾ بالجزاء والحساب ويُنَكِّرُ البعث؟ مَنْ هو، إن لم تعرفه ﴿فَذَلِكَ﴾ الذي يُكَذِّبُ بالجزاء هو ﴿الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: يَدْفَعُهُ دَفْعاً عَنِيفاً بِجَفْوَةٍ وَغِلْظَةٍ، ويردُّه رَدّاً قَبِيحاً بِزَجَرٍ وَخُسُونَةٍ. ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ وَلَا يَبْعَثُ أَهْلَهُ ﴿عَلَى﴾ بَذْلِ ﴿طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ فَلَا يُطْعِمُهُ وَلَا يَأْمُرُ بِطَعَامِهِ، جَعَلَ سَبْحَانَهُ عِلْمَ التَّكْذِيبِ بِالْجَزَاءِ مَنَعَ الْمَعْرُوفِ وَالْإِقْدَامَ عَلَى إِثْدَاءِ الضَّعِيفِ، يعني: أَنَّهُ لَوْ آمَنَ بِالْجَزَاءِ، وَأَيَّقَنَ بِالْحِسَابِ، وَرَجَا الثَّوَابَ، وَخَافَ الْعِقَابَ لَمَا أَقْدَمَ عَلَى ذَلِكَ، فَحِينَ اجْتَرَأَ عَلَى ذَلِكَ عُلِمَ أَنَّهُ مُكَذِّبٌ.

فَمَا أَشَدَّ هَذَا مِنْ كَلَامٍ! وَمَا أَخَوْفَهُ مِنْ مَقَامٍ! وَمَا أَبْلَغَهُ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ أَرْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ! وَإِنَّهَا جَدِيرَةٌ بِأَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى ضَعْفِ الْإِيمَانِ. ثُمَّ وَصَلَ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ: وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿الَّذِينَ﴾ يَسْهُونَ عَنِ الصَّلَاةِ قِلَّةَ مُبَالَاةٍ بِهَا حَتَّى تَفُوتَهُمْ أَوْ يَخْرُجَ وَقْتُهَا، أَوْ: يَسْتَخِفُّونَ بِأَفْعَالِهَا فَلَا يُصَلُّونَهَا كَمَا أُمِرُوا فِي تَأْدِيَةِ أَرْكَانِهَا وَالْقِيَامِ بِحُدُودِهَا وَحُقُوقِهَا، وَلَكِنْ يَنْقُرُونَهَا نَقْرَ الْغَرَابِ مِنْ غَيْرِ خُشُوعٍ وَإِخْبَاتٍ وَاجْتِنَابِ الْمَكْرُوهَاتِ مِنَ: الْعَبَثِ بِالشَّعْرِ وَالثِّيَابِ، وَكَثْرَةِ التَّشَاوُبِ، وَالتَّمَطِّي، وَالْإِلْتِفَاتِ، الَّذِينَ عَادَتْهُمْ الرِّيَاءُ وَالسُّمْعَةُ بِأَعْمَالِهِمْ، وَلَا يَقْصِدُونَ بِهِ الْإِخْلَاصَ وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ عَلَى وَجْهِ الْاِخْتِصَاصِ ﴿وَيَمْنَعُونَ﴾ حُقُوقَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَمْوَالِهِمْ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ الْأَحْقَاءُ بِأَنْ يَكُونُوا سَاهِينَ عَنِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ عِمَادُ الدِّينِ، وَالْفَارِقُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَمُلْتَبَسِينَ بِالرِّيَاءِ الَّذِي هُوَ شُعْبَةٌ مِنَ الشُّرْكِ، وَمَانِعِينَ لِلزَّكَاةِ الَّتِي هِيَ

قَنْطَرَةُ الْإِسْلَامِ، وَتَكُونُ صِفَاتُهُمْ هَذِهِ عَلَمًا عَلَى أَنَّهُمْ مُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ مَفَارِقُونَ لِلْيَقِينِ.

وعن أنسٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ لَمْ يَقُلْ: فِي صَلَاتِهِمْ^(١).

وَالْمُرَاءَاةُ: مِفَاعَلَةٌ مِنَ الْإِرَاءَاةِ، لِأَنَّ الْمُرَائِي يُرِي النَّاسَ عَمَلَهُ، وَهُمْ يُرُونَهُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَالْإِعْجَابَ بِهِ، وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مُرَائِيًّا بِإِظْهَارِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ إِنْ كَانَ فَرِيضَةً، فَمِنْ حَقِّ الْفَرَايِضِ الْإِعْلَانُ بِهَا وَتَشْهِيرُهَا، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَا غُمَّةَ فِي فَرَايِضِ اللَّهِ»^(٢) لِأَنَّهَا شَعَائِرُ الدِّينِ وَأَعْلَامُ الْإِسْلَامِ.

وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الْخُمْسِ جَمَاعَةً فَظَنُّوا بِهِ كُلَّ خَيْرٍ»^(٣).

وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَقْوَامٍ لَمْ يَحْضُرُوا الْجَمَاعَةَ: «لَتَحْضُرُنَّ الْمَسْجِدَ أَوْ لَا حَرْقَنَّ عَلَيْكُمْ مَنَازِلَكُمْ»^(٤).

وَلِأَنَّ تَارِكَهَا يَسْتَحِقُّ الذَّمَّ وَالتَّوْبِيخَ فَوَجَبَ إِمَاطَةُ التُّهْمَةِ بِالْإِظْهَارِ. وَإِنْ كَانَ تَطَوُّعًا فَلِأَوَّلَى فِيهِ الْإِخْفَاءُ، لِأَنَّهُ مِمَّا لَا يُلَامُ بِتَرْكِهِ وَلَا تُهْمَةُ فِيهِ، فَيَكُونُ أَبْعَدَ مِنَ الرِّيَاءِ، فَإِنْ أَظْهَرَهُ قَاصِدًا لِلْاِقْتِدَاءِ بِهِ كَانَ حَسَنًا، فَإِنَّمَا الرِّيَاءُ أَنْ يَقْصُدَ بِإِظْهَارِهِ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ فَيُثْنُوا عَلَيْهِ بِالصَّلَاحِ، عَلَى أَنْ أَجْتَنَبَ الرِّيَاءَ أَمْرٌ صَعْبٌ إِلَّا عَلَى الْمُخْلِصِينَ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الرِّيَاءُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلَةِ السُّودَاءِ فِي

(١) حكاها عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٨٠٥. والفرق بين «عن صلاتهم» و «في صلاتهم»: أَنَّ مَعْنَى الْأَوَّلِ هُوَ: أَنَّهُمْ سَاهَوْنَ عَنْهَا سَهْوَ تَرْكِهَا وَقَلَّةِ التَّفَاتِ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ فَعْلُ الْمُنَافِقِينَ وَالْفَسَقَةِ، وَمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّ السَّهْوَ يَعْتَرِيهِمْ فِيهَا بِوَسْوَسةِ شَيْطَانٍ وَذَلِكَ لَا يَخْلُو مِنْهُ مُسْلِمٌ.

(٢) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٨٠٥ مرسلًا.

(٣) رواه الصدوق في الفقيه: ج ١ ص ٣٧٦ ح ١٠٩٣.

(٤) رواه الصدوق أيضًا في الفقيه: ح ١٠٩٢، ونحوه مسلم في الصحيح: ج ١ ص ٤٥٢ ح ٢٥٢.

اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ عَلَى الْمِسْحِ الْأَسْوَدِ»^(١).

وَأَخْتَلَفَ فِي «الْمَاعُونِ» فَقِيلَ: هُوَ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ^(٢)، وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ

عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَمَاعَةٍ^(٣)، قَالَ الرَّاعِي:

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلَ^(٤)

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: هُوَ مَا يَتَعَاوَرُهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنَ الدَّلْوِ وَالْقَاسِ وَالْقَدْرِ، وَمَا لَا

يُمنَعُ كَالْمَاءِ وَالْمِلْحِ^(٥).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هُوَ الْقَرْضُ تُقْرِضُهُ، وَالْمَعْرُوفُ تَصْنَعُهُ، وَمَتَاعُ الْبَيْتِ

تُعِيرُهُ، وَمِنْهُ الزَّكَاةُ»^(٦).



(١) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٨٠٥ مرسلاً.

(٢) قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وسعيد بن جبیر. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٧١٠-٧١١.

(٣) كابن الحنفية وابن عمر. راجع المصدر السابق.

(٤) للراعي واسمه عبيد بن حصين النميري، من قصيدة له طويلة في وصف قومه وإبله، راجع جمهرة اشعار العرب: ص ٤٣٢.

(٥) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٧١٢.

(٦) رواه الكليني في الكافي: ج ٣ ص ٤٩٩ ضمن ح ٩ عن أبي بصير عنه عليه السلام.

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

مُخْتَلَفٌ فِيهَا ^(١)، ثَلَاثُ آيَاتٍ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ بَعْدَ كُلِّ قُرْبَانٍ قَرَّبَهُ الْعِبَادُ فِي يَوْمِ النَّحْرِ أَوْ يُقَرَّبُونَهُ» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَهَا فِي فَرَائِضِهِ وَنَوَافِلِهِ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْكَوْثَرِ، وَكَانَ مُحَدَّثُهُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَصْلِ طُوبَى» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِكَ هُوَ
الْأَبْتَرُ (٣)﴾

﴿الْكَوْثَرُ﴾ فَوْعَلٌ مِنَ الْكَثَرَةِ، وَهُوَ الْمَفْرُطُ الْكَثَرَةُ.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَرَأَهَا ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ إِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ١٧: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: مَدِينِيَّةٌ. وَهِيَ ثَلَاثُ آيَاتٍ بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٨٠٦: مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٣)، نَزَلَتْ بَعْدَ الْعَادِيَّاتِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٨٠٨ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٥.

رَبِّي، فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ يَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ مِنْ فِضَّةٍ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، فَيُخْتَلَجُ الْقُرْنُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّهُمْ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَحَدُثُوا بَعْدَكَ». أوردَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ (١).

وعن ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ فَسَّرَ الْكَوْثَرَ بِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: فَإِنْ نَاسًا يَقُولُونَ: هُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ: هُوَ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ (٢).

وقيل: هُوَ كَثْرَةُ النَّسْلِ وَالذَّرِّيَّةِ (٣)، وَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ فِي نَسْلِهِ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ عليها السلام، إِذْ لَا يَنْحَصِرُ عَدَدُهُمْ، وَيَتَّصِلُ - بِحَمْدِ اللَّهِ - إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ مَدَدُهُمْ. وَهَذَا يُطَابِقُ مَا وَرَدَ فِي سَبَبِ نَزُولِ السُّورَةِ: أَنَّ الْعَاصِ بْنَ وَائِلٍ السَّهْمِيَّ سَمَّاهُ الْأَبْتَرَ لَمَّا تُوفِيَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ (٤). وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ مُحَمَّدًا صُنْبُورٌ (٥) (٦). فَيَكُونُ تَنْفِيسًا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مَا وَجَدَهُ فِي نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ مِنْ جِهَةِ مَقَالِهِمْ، وَهَذَا لِمَحَالِهِمْ.

وقيل: هُوَ الشَّفَاعَةُ (٧). وَاللَّفْظُ مُحْتَمِلٌ لِلْجَمِيعِ، فَقَدْ أُعْطَاهُ سُبْحَانَهُ مَا لَا غَايَةَ لِكَثْرَتِهِ مِنْ خَيْرِ الدَّارَيْنِ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ جَارُ اللَّهِ (٨): أَنَّ الْكَوْثَرَ أَوْلَادُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ أُمَّتِهِ فَلَيْسَ

(١) صحيح مسلم: ج ١ ص ٣٠٠ ح ٤٠٠ عن أنس.

(٢) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٧١٨ و ٧٢٠.

(٣) حكاه الرازي في تفسيره: ج ٣٢ ص ١٢٤.

(٤) أورده الواحدي في أسباب النزول: ص ٤٠٤ ح ٩٣٤ - ٩٣٦ عن ابن عباس ويزيد بن رومان وعطاء.

(٥) رجل صنبور: فرد ضعيف ذليل، لا أهل له ولا عقب ولا ناصر. (لسان العرب: مادة صنبر).

(٦) أورده البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٥٣٤ عن عكرمة عن ابن عباس.

(٧) حكاه الرازي في تفسيره: ج ٣٢ ص ١٢٧.

(٨) وهو الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٨٠٧.

بِالْوَجْهِ، لَأَنَّهُ لَا يُغْدَلُ عَنِ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «ابْنَايَ هَذَانِ إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا»^(١). وَقَالَ لِلْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ أَبْنِي هَذَا سَيِّدٌ»^(٢). وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾^(٣)، فَكَيْفَ يُحْمَلُ الْكَوْثَرُ عَلَى أَوْلَادِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ أَبِي اللَّهُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَبَا أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا يُحْمَلُ عَلَى أَوْلَادِ ابْنَيْهِ مِنْ ابْنَتَيْهِ الَّذِينَ طَبَقُوا الْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَمَلَأُوا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ بِكَثَرَتِهِمْ؟

وَالنَّحْرُ: نَحْرُ الْبُذْنِ، أَي: ﴿فَصَلِّ﴾ صَلَاةَ الْفَجْرِ بِجَمْعٍ ﴿وَانْحَرْ﴾ الْبُذْنَ بِمَنْى، وَقِيلَ: صَلَاةَ الْفَرَضِ ﴿لِرَبِّكَ﴾ وَأَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ بِنَحْرِكَ^(٤)، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: مَنَازِلُنَا تَتَنَاحَرُ، أَي: تَتَقَابَلُ. وَأَمَّا مَا رَوَاهُ^(٥) عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ضَعْ يَدَكَ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى حِذَاءَ النَّحْرِ» فَمِمَّا لَمْ يَصِحَّ عَنْهُ، لِأَنَّ عِثْرَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَوَوْا عَنْهُ خِلَافَ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنَّ مَعْنَاهُ: ارْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى النَّحْرِ فِي الصَّلَاةِ^(٦).

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ إِنَّ مَنْ أَبْغَضَكَ مِنْ قَوْمِكَ ﴿هُوَ الْآبِتْرُ﴾ لَا أَنْتَ، وَالْآبِتْرُ: الَّذِي لَا عَقِبَ لَهُ.

فَانْظُرْ فِي نَظْمِ هَذِهِ السُّورَةِ الْأَنِيقِ وَتَرْتِيبِهِ الرَّشِيقِ مَعَ قِصَرِهَا وَوَجَازَتِهَا،

(١) رواه الصدوق في علل الشرائع: ص ٢١١ ح ٢، والخزار القمي في كفاية الأثر: ص ٣٦، وتوفيق أبو علم في أهل البيت: ص ١٩٥ عنه إحقاق الحق: ج ١٩ ص ٢١٧.

(٢) رواه أحمد بن حنبل في المسند: ج ٥ ص ٤٤، وأبونعيم في الحلية: ج ٢ ص ٣٥، والخطيب في تاريخ بغداد: ج ٣ ص ٢١٥، والحمويني في فرائد السمطين: ج ٢ ص ١١٥ ح ٤١٨، والعالملي في الفصول المهمة: ص ١٥٢، والحاكم في المستدرک: ج ٣ ص ١٦٩.

(٣) الأحزاب: ٤٠.

(٤) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٤ ص ٥٣٤.

(٥) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٧٢١ من طرقٍ عنه عليه السلام.

(٦) رواه الشيخ في التهذيب: ج ٢ ص ٦٦ ح ٥٣٧ باسناده عن ابن سنان عن الصادق عليه السلام.

وَتَبَصَّرَ كَيْفَ ضَمَّنَهَا اللَّهُ التُّكَّتَ الْبَدِيعَةَ: حَيْثُ بَنَى الْفِعْلَ فِي أَوَّلِهَا عَلَى الْمَبْتَدَأِ لِيَدُلَّ عَلَى الْخُصُوصِيَّةِ، وَجَمَعَ ضَمِيرَ الْمُتَكَلِّمِ لِيُؤْذِنَ بِكِبَرِيَّائِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَصَدَّرَ الْجُمْلَةَ بِحَرْفِ التَّأْكِيدِ الْجَارِي مَجْرَى الْقَسَمِ، وَأَتَى بِالْكَوْثَرِ الْمَحْذُوفِ الْمَوْصُوفِ لِيَكُونَ أَدَلَّ عَلَى الشِّيعِ وَالْتِنَاوِلِ عَلَى طَرِيقِ الْإِتْسَاعِ، وَعَقَّبَ ذَلِكَ بِفَاءِ التَّعْقِيبِ لِيَكُونَ الْقِيَامُ بِالشُّكْرِ الْأَوْفَرِ مُسَبِّباً عَنِ الْإِنْعَامِ بِالْعَطَاءِ الْأَكْثَرِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لِرَبِّكَ﴾ تَعْرِيضٌ بِدَيْنٍ مِّنْ تَعَرَّضَ لَهُ بِالْقَوْلِ الْمُؤْذِي مِنْ ابْنِ وَائِلٍ وَأَشْبَاهِهِ مِمَّنْ كَانَ فِي عِبَادَتِهِ وَنَحْرِهِ لغيرِ اللَّهِ. وَأَشَارَ بِهَاتَيْنِ الْعِبَارَتَيْنِ إِلَى نَوْعِي الْعِبَادَاتِ: الْبَدَنِيَّةِ الَّتِي الصَّلَاةُ إِمَامُهَا، وَالْمَالِيَّةِ الَّتِي نَحْرُ الْبُذْنِ سَنَامُهَا. وَحَذَفَ اللَّامَ الْآخَرَى ^(١) إِذْ دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأُولَى، وَلِمُرَاعَاةِ حَقِّ التَّسْجِيعِ الَّذِي هُوَ مِنْ جُمْلَةِ نَظْمِهِ الْبَدِيعِ وَأَتَى بِكَافِ الْخِطَابِ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِلْتِفَاتِ إِظْهَاراً لَعُلُوِّ شَأْنِهِ، وَلِيُعْلَمَ بِذَلِكَ أَنَّ مِنْ حَقِّ الْعِبَادَةِ أَنْ يُقْصَدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ خَالِصاً، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنْ شَأْنُكَ﴾، فَعَلَّلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَى شَأْنِهِ فِي الْعِبَادَةِ بِذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِثْنَاءِ، الَّذِي هُوَ جِنْسٌ مِنَ التَّعْلِيلِ رَائِعٌ. وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ بِصِفَتِهِ لَا بِاسْمِهِ لِيَتَنَاوَلَ كُلُّ مَنْ أَتَى بِمِثْلِ حَالِهِ، وَعَرَّفَ الْخَبَرَ لِيَتِمَّ لَهُ الْبَيِّنُ، وَأَقْحَمَ الْفَضْلَ ^(٢) لِبَيَانِ أَنَّهُ الْمُعَيَّنُ لِهَذَا النِّقْصِ وَالْعَيْبِ. وَذَلِكَ كُلُّهُ مَعَ عُلُوِّ مَطْلَعِهَا، وَتَمَامِ مَقْطَعِهَا، وَكَوْنِهَا مَشْحُونَةً بِالنُّكْتِ الْجَلِيلَةِ، مَكْتَنَزَةً بِالْمَحَاسِنِ غَيْرِ الْقَلِيلَةِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْبَاهِرُ لِكَلَامِ الْمُتَكَلِّمِينَ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ لَمْ يُنْزَلْ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ الْمُوجِزَةُ لَكَفَى بِهَا آيَةً مُّعْجَزَةً، وَلَوْ هَمَّ الثَّقَلَانِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهَا لَشَابَ الْغُرَابُ وَسَابَ كَالْمَاءِ السَّرَابُ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا بِهِ.

(١) أي لم يقل: «وأنحر لربك».

(٢) يعني به قوله: ﴿هو﴾.

وفيهما أيضاً دلالة على أنها مُعْجِزَةٌ وآيَةٌ بَيِّنَةٌ من وَجْهِ آخَرَ، وهو أَنَّهُ إِخْبَارٌ بِالْغَيْبِ: مَنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَخْبَرَ عَمَّا جَرَى عَلَى أَلْسِنَةِ أَعْدَائِهِ فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ، وَوَافَقَ الْخُبْرُ^(١) أَخْبَرَ أَيْضاً فِي إِعْطَائِهِ الْكَوْثَرَ، إِذْ عَلَتْ كَلِمَتُهُ، وَأَنْتَشَرَتْ فِي الْعَالَمِ ذُرِّيَّتُهُ، وَأَنْبَتَ أَمْرُ شَانِيهِ الْأَبْتَرِ، وَأَنْقَطَعَ ذَنْبُهُ وَعَقِبُهُ كَمَا ذَكَرَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.



(١) في بعض النسخ: «المخبر».

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

مَكِّيَّةٌ ^(١)، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، سِتُّ آيَاتٍ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ رُبْعَ الْقُرْآنِ، وَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ مَرَدَةُ الشَّيْطَانِ، وَبَرِيءٌ مِنَ الشُّرْكِ، وَتَعَافَى مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي فَرِيضَةٍ مِنَ الْفَرَائِضِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَمَا وَلَدَ، وَإِنْ كَانَ شَقِيحًا مُجِيًّا مِنْ دِيوَانِ الْأَشْقِيَاءِ وَكُتِبَ فِي دِيوَانِ السُّعْدَاءِ، وَأَحْيَاهُ اللَّهُ سَعِيدًا وَأَمَاتَهُ شَهِيدًا» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٤١٩: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: مَدَنِيَّةٌ. وَهِيَ سِتُّ آيَاتٍ بِإِخْلَافٍ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْمَاورِدِي: ج ٦ ص ٣٥٧: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَالْحَسَنِ وَعُكْرَمَةَ، وَمَدَنِيَّةٌ فِي أَحَدِ قَوْلِي ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكَ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٨٠٨: مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ سِتُّ آيَاتٍ، نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَاعُونِ. وَيُقَالُ لَهَا وَلِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ: الْمَقْشَقْشَتَانِ، أَيِ: الْمَبْرُتَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٨٠٩.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٥، وَفِيهِ: «وَمَا وَلَدًا»، وَزَادَ فِي آخِرِهِ: «وَبَعَثَهُ شَهِيدًا».

مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) ﴿

نَزَلَتْ فِي نَقْرِ مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: هَلُمَّ فَاتَّبِعْ دِينَنَا وَتَتَّبِعْ دِينَكَ، تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُشْرِكَ بِاللَّهِ غَيْرُهُ، قَالُوا: فَاسْتَلِمَ بَعْضُ آلِهَتِنَا نُصَدِّقَكَ وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ، فَنَزَلَتْ، فَغَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِيهِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَامَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَقَرَأَهَا، فَيُسُّوْا (١).

﴿لَا أَعْبُدُ﴾ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ لِأَنَّ «لَا» لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى مُضَارِعٍ فِي مَعْنَى الِاسْتِقْبَالِ، كَمَا أَنَّ «مَا» لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى مُضَارِعٍ فِي مَعْنَى الْحَالِ. وَالْمَعْنَى: لَا أَفْعَلُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَا تَطْلُبُونَهُ مِنِّي مِنْ عِبَادَةِ آلِهَتِكُمْ. ﴿وَلَا أَنْتُمْ﴾ فَأَعْلُونَ فِيهِ مَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ مِنْ عِبَادَةِ إِلَهِي.

﴿وَلَا أَنَا عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ﴾ أَي: وَمَا كُنْتُ قَطُّ عَابِدًا فِيمَا سَلَفَ مَا عَبَدْتُمْ فِيهِ، يَعْنِي: لَمْ يُعْهَدْ مِنِّي عِبَادَةُ صَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُرْجَى مِنِّي فِي الْإِسْلَامِ؟ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أَي: وَمَا عَبَدْتُمْ فِي وَقْتٍ مَا أَنَا عَلَى عِبَادَتِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: «مَا عَبَدْتُ» كَمَا قَالَ: ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ قَبْلَ الْمَبْعَثِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْعِبَادَةُ مَشْرُوعَةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ (٢)، وَأَتَتْ بِلَفْظَةِ «مَا» دُونَ «مَنْ» لِأَنَّ الْمُرَادَ الصِّفَةَ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا أَعْبُدُ الْبَاطِلَ، وَلَا تَعْبُدُونَ الْحَقَّ، وَقِيلَ: إِنَّ «مَا» مَصْدَرِيَّةٌ، أَي: لَا أَعْبُدُ عِبَادَتَكُمْ، وَلَا تَعْبُدُونَ عِبَادَتِي (٣).

(١) أَنْظِرْ أَسْبَابَ النُّزُولِ لِلوَاحِدِيِّ: ص ٤٠٥ ح ٩٤٠.

(٢) فِي هَامِشِ النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ بِالْحَجَرِ كَلَامٌ لِلْمُحَقِّقِ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَعَبِّدًا بِشَرِيعَةِ نَفْسِهِ قَبْلَ الْمَبْعَثِ، لِأَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا مِنْ أَوَّلِ الْأُمَمِ ثُمَّ صَارَ مَبْعُوثًا لِلدَّعْوَةِ وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ».

(٣) قَالَهُ الْقَيْسِيُّ فِي مُشْكَلِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ: ص ٨٤٩.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ لَكُمْ شِرْكُكُمْ وَلِيَ تَوْحِيدِي، والمعنى: أَنِّي مَبْعُوثٌ إِلَيْكُمْ لَأَدْعُوَكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَالْحَقِّ، فَإِذَا لَمْ تَقْبَلُوا مِنِّي وَلَمْ تَتَّبِعُونِي فَلَا أَقْلَ مِنْ أَنْ أَنْجُوَ مِنْكُمْ كِفَافاً، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَكُمْ جَزَاءُ دِينِكُمْ وَلِيَ جَزَاءُ دِينِي ^(١).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا قَرَأْتَ ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فَقُلْ: يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَإِذَا قَرَأْتَ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ فَقُلْ: أَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَإِذَا قُلْتَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ فَقُلْ: رَبِّي اللَّهُ وَدِينِي الْإِسْلَامُ ^(٢).



(١) قاله ابن عيسى. راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ٣٥٨.

(٢) أنظر تفسير القمي: ج ٢ ص ٤٤٦.

سُورَةُ النَّصْرِ

مَدَنِيَّةٌ ^(١)، وَهِيَ ثَلَاثُ آيَاتٍ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «وَمَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا شَهِدَ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَتَحَ مَكَّةَ» ^(٢).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ فِي نَافِلَةٍ أَوْ فَرِيضَةٍ نَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ أَعْدَائِهِ، وَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ كِتَابٌ يَنْطِقُ، قَدْ أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ جَوْفِ قَبْرِهِ، فِيهِ أَمَانٌ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، وَمِنْ النَّارِ، وَمِنْ زَفِيرِ جَهَنَّمَ، يَسْمَعُهُ بِأُذُنِهِ، فَلَا يَمُرُّ عَلَى شَيْءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بَشَّرَهُ وَأَخْبَرَهُ بِكُلِّ خَيْرٍ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَيَفْتَحَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِهِ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٤٢٤: مَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ ثَلَاثُ آيَاتٍ بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٨١٠: نَزَلَتْ بِمَنْى فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ، فَتَعَدُّ مَدَنِيَّةً، وَهِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ السُّورِ، وَأَيَّاتُهَا (٣)، نَزَلَتْ بَعْدَ التَّوْبَةِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٨١٣ مَرْسَلًا.

(٣) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٥، وَفِيهِ «جَسْرُ جَهَنَّمَ» بَدَلَ «حَرِّ جَهَنَّمَ»، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: «أَسْبَابُ الْخَيْرِ»: «مَا لَمْ يَتَمَنَّ».

أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) ﴿

﴿إِذَا جَاءَ﴾ كَ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ عَلَى مَنْ عَادَاكَ، وَهُمْ قُرَيْشٌ ﴿وَالْفَتْحُ﴾ يَعْنِي: فَتَحَ مَكَّةَ. وَ ﴿إِذَا﴾ ظَرَفٌ لِقَوْلِهِ: ﴿فَسَبِّحْ﴾ وَهَذَا مِنَ الْمُعْجَزَاتِ وَالْإِخْبَارِ بِالشَّيْءِ قَبْلَ كَوْنِهِ. وَكَانَ فَتَحُ مَكَّةَ لِعَشْرِ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةُ آلَافٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَطَوَائِفِ الْعَرَبِ، وَأَقَامَ بِهَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى هَوَازِنَ، وَهِيَ غَزَاةٌ حُنَيْنٍ، وَحِينَ دَخَلَ مَكَّةَ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ ثُمَّ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلَا إِنَّ كُلَّ مَالٍ وَمَأْتَرَةٍ وَدَمٍ يُدْعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ فَإِنَّهُمَا مَرْدُودَتَانِ إِلَى أَهْلِيهِمَا، أَلَا إِنَّ مَكَّةَ مُحَرَّمَةٌ بِتَحْرِيمِ اللَّهِ، لَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ تُحَلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، لَا يُخْتَلَى خِلَالُهَا وَلَا يُقَطَّعُ شَجَرُهَا، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا، وَلَا يَحِلُّ لُقُطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشَدٍ». وَكَانَ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ قَدْ دَخَلُوا الْكَعْبَةَ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ السَّيْفَ لَا يُرْفَعُ عَنْهُمْ، فَقَالَ ﷺ لَهُمْ: «أَلَا لِبُشِّ جِرَانَ النَّبِيِّ كُنْتُمْ، لَقَدْ كَذَّبْتُمْ وَطَرَدْتُمْ، ثُمَّ مَا رَضِيتُمْ حَتَّى جِئْتُمُونِي فِي بِلَادِي تُقَاتِلُونَنِي، يَا أَهْلَ مَكَّةَ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرًا، أَخُ كَرِيمٌ وَأَبْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ». فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَمَكَنَهُ مِنْ رِقَابِهِمْ عَنُودَةً، وَكَانُوا لَهُ فَيْئًا فَلِذَلِكَ سُمُّوا الطُّلُقَاءَ، ثُمَّ بَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ (١).

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أَي: مِلَّةِ الْإِسْلَامِ ﴿أَفْوَاجًا﴾ جَمَاعَاتٍ كَثِيفَةً، كَانَتْ تَدْخُلُ فِيهِ الْقَبِيلَةُ بِأَسْرِهَا بَعْدَمَا كَانُوا يَدْخُلُونَ فِيهِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا، وَأَتْنَيْنِ اثْنَيْنِ.

وعن جابر بن عبد الله أنه بكى ذات يوم، فقيل له في ذلك فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً، وَسَيُخْرَجُونَ مِنْهُ أَفْوَاجاً»^(١).

وقيل: أراد بالناس أهل اليمن^(٢). وَلَمَّا نَزَلَتْ قَالَ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ، الْإِيمَانُ يَمَانُ، وَالْفِقْهُ يَمَانُ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ»^(٣) وَقَالَ: «أَجِدُ نَفْسَ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ»^(٤).

وعن الحسن: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ، أَقْبَلَتِ الْعَرَبُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَقَالُوا: أَمَا إِذَا ظَفَرَ بِأَهْلِ الْحَرَمِ فَلَيْسَ لَكُمْ بِهِ يَدَانِ، وَقَدْ كَانَ اللَّهُ أَجَارَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ وَمِنْ كُلِّ مَنْ أَرَادَهُمْ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ أَفْوَاجاً مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ^(٥).

و ﴿يَدْخُلُونَ﴾ فِي مَحَلٍّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ مِنْ ﴿رَأَيْتَ﴾ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى: أَبْصَرْتَ أَوْ عَرَفْتَ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى: عَلِمْتَ فَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لَهُ. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فَقُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، حَامِداً لِلَّهِ، أَي: فَتَعَجَّبْ لِتَيْسِيرِ^(٦) اللَّهِ تَعَالَى لَكَ مَا لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ أَحَدٍ، أَوْ: فَادْكُرْهُ مُسَبِّحاً حَامِداً زِيَادَةً فِي عِبَادَتِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ. وَالْأَمْرُ بِالْإِسْتِغْفَارِ مَعَ التَّسْبِيحِ تَكْمِيلٌ لِلْأَمْرِ بِمَا هُوَ قَوَامُ أَمْرِ الدِّينِ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنِ الطَّاعَةِ وَالْإِحْتِرَاسِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَلِيَكُونَ أَمْرُهُ بِذَلِكَ مَعَ عِصْمَتِهِ لُطْفاً لِأُمَّتِهِ،

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند: ج ٣ ص ٣٤٣.

(٢) قاله عكرمة ومقاتل. راجع تفسير البغوي: ج ٤ ص ٥٤١.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٧٣٠ عن عكرمة.

(٤) رواه الماوردي في تفسيره: ج ٦ ص ٣٦٠ مرسلاً، والبيهقي في الأسماء والصفات:

ص ٤٦٢ عن سلمة بن نفيل. (٥) تفسير الحسن البصري: ج ٢ ص ٤٤٣.

(٦) في نسخة: «لتدبير».

ولأنَّ الاستغْفَارَ من التَّوَاضِعِ لِلَّهِ تَعَالَى وَهَضْمِ النَّفْسِ فَهُوَ عِبَادَةٌ فِي نَفْسِهِ.
 وَعَنْهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(١).
 وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ اسْتَبَشَرُوا وَبَكَى الْعَبَّاسُ،
 فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا يُبْكِيكَ يَا عَمُّ؟ قَالَ: نُعِيتُ إِلَيْكَ نَفْسُكَ، قَالَ: إِنَّهَا لَكَمَا تَقُولُ، فَعَاشَ
 بَعْدَهَا سَتَيْنِ لَمْ يُرَفِيهَا ضَاحِكاً مُسْتَبَشِراً^(٢).
 وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: لَمَّا نَزَلَتِ السُّورَةُ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ كَثِيراً: «سُبْحَانَكَ
 اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(٣). وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى:
 «أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٤). وَكَانَتْ تُسَمَّى سُورَةَ التَّوْذِيعِ^(٥).
 ﴿كَانَ تَوَّاباً﴾ أَي: كَانَ فِي الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ تَوَّاباً عَلَى الْمُكَلَّفِينَ إِذَا اسْتَغْفَرُوا،
 فَعَلَى كُلِّ مُسْتَغْفِرٍ أَنْ يَتَوَقَّعَ مِثْلَ ذَلِكَ.



(١) أخرجه أحمد في المسند: ج ٥ ص ٣٩٤.
 (٢) رواه السمرقندي في تفسيره: ج ٣ ص ٥٢٢ عن مقاتل.
 (٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٧٣٢.
 (٤) أخرجه الطبري أيضاً في تفسيره: ص ٧٣١ عن عائشة.
 (٥) كذا سماها ابن مسعود. راجع الكشف: ج ٤ ص ٨١٢.

سُورَةُ الْمَسَدِ (١)

مَكِّيَّةٌ (٢)، خَمْسُ آيَاتٍ.

فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا رَجَوْتُ أَنْ لَا يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي لَهَبٍ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ» (٣).

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا قَرَأْتُمْ ﴿تَبَّتْ﴾ فَادْعُوا عَلَى أَبِي لَهَبٍ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى» (٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢)
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ
مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: «سورة أبي لهب».

(٢) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٤٢٦: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، وَهِيَ خَمْسُ آيَاتٍ بِإِخْلَافٍ.

وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٨١٣: مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٥)، نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ.

(٣) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٨١٧ مَرْسَلًا.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٥.

التَّبَابُ: الْخُسْرَانُ الْمُؤَدِّي إِلَى الْهَلَاكِ، وَالْمَعْنَى: خَسِرْتَ يَدَاهُ وَهَلَكْتَ،
وَالْمُرَادُ: هَلَاكَ جُمْلَتِهِ، مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾^(١)، وَمَعْنَى ﴿وَتَبَّ﴾:
وَكَانَ ذَلِكَ وَحَصَلَ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءَ الْكَلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلَ^(٢)
وَقُرِئَ: «أَبِي لَهَبٍ» بِسُكُونِ الْهَاءِ^(٣)، وَهُوَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَعْلَامِ، كَمَا قِيلَ:
شَمْسُ بْنُ مَالِكٍ بِالضَّمِّ، إِنَّمَا كُنِيَ لِأَنَّهُ كَانَ مَشْهُورًا بِالْكُنْيَةِ دُونَ الْأَسْمِ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ
سَبْحَانَهُ تَشْهِيرَهُ بِدَعْوَةِ السُّوءِ وَأَنْ تَبْقَى سِمَةٌ لَهُ ذَكَرَ الْأَشْهَرَ مِنْ عِلْمِيهِ، وَلِأَنَّ أَسْمَهُ
كَانَ عَبْدَ الْعُزَّى فَعَدَلَ عَنْهُ إِلَى كُنْيَتِهِ.

﴿مَا أَغْنَى﴾ اسْتِفْهَامٌ فِي مَعْنَى الْإِنْكَارِ، وَمَحَلُّهُ نَصْبٌ أَوْ نَفْيٌ ﴿وَمَا كَسَبَ﴾
مَرْفُوعٌ، وَ ﴿مَا﴾ مَوْضُوعَةٌ أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ بِمَعْنَى: «وَمَكْسُوبُهُ» أَوْ «وَكَسْبُهُ»، وَالْمَعْنَى:
لَمْ يَنْفَعْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ بِمَالِهِ، يَعْنِي: رَأْسَ الْمَالِ وَالْأَرْبَاحِ، أَوْ: مَالُهُ الَّذِي وَرَثَهُ مِنْ
أَبِيهِ وَالَّذِي كَسَبَهُ بِنَفْسِهِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿مَا كَسَبَ﴾ وَلَدُهُ^(٤). وَعَنِ الضَّحَّاكِ: مَا
نَفَعَهُ مَالُهُ وَعَمَلُهُ الْخَبِيثُ^(٥)، يَعْنِي: كَيْدُهُ فِي عِدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

﴿سَيَصْلَى﴾ قُرِئَ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّهَا^(٦). وَالسَّيْنُ لِلْوَعِيدِ، أَي: هُوَ كَائِنٌ
لَا مَحَالَةَ وَإِنْ تَرَاخَى وَقْتُهُ. ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ،

(١) الْحَجَّ: ١٠.

(٢) كَذَا فِي الْكَشَّافِ أَيْضًا، لَكِنْ يَرَوِي الشَّطْرُ الْأَوَّلُ مِنْهُ: جَزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ. لِأَبِي
الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ يَهْجُوهُ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمِ الطَّائِيِّ. انْظُرْ خَزَانَةَ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ: ج ١ ص ٢٧٧
وَمَا بَعْدَهُ.

(٣) قَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَحْدَهُ. رَاجِعْ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٧٠٠.

(٤) حَكَاهُ عَنْهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ج ١٢ ص ٧٣٥.

(٥) حَكَاهُ عَنْهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٨١٥.

(٦) وَبِضْمِّهَا قَرَأَ ابْنُ أَبِي عُبَيْلَةَ وَالْحَسَنُ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ. رَاجِعْ شَوَازِ الْقُرْآنَ لِابْنِ خَالَوَيْهِ: ص ١٨٢.

وكانت تحمِلُ حُزْمَةً من الشَّوْكِ والحَسَكِ والسَّعْدَانِ فَتَنُثِّرُهَا بِاللَّيْلِ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقِيلَ: كَانَتْ تَمْشِي بِالنَّمَائِمِ ^(١) . تَقُولُ الْعَرَبُ: فَلَانٌ يَخْطُبُ عَلَى فَلَانٍ: إِذَا كَانَ يُغْرِي بِهِ، قَالَ:

مِنَ الْبَيْضِ لَمْ تُضْطَدْ عَلَى ظَهْرِ لَأْمَةٍ

ولم تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَطَبِ الرَّطْبِ ^(٢)

جَعَلَهُ رَطْبًا لِيَدُلَّ عَلَى التَّدْخِينِ الَّذِي هُوَ زِيَادَةٌ فِي الشَّرِّ. وَرُفِعَتْ ﴿أَمْرَأَتُهُ﴾ عَطْفًا عَلَى الضَّمِيرِ فِي ﴿سَيَصْلَى﴾ أَي: سَيَصْلَى هُوَ وَأَمْرَأَتُهُ. وَ﴿فِي جِيدِهَا﴾ فِي مَوْضِعِ نَضْبٍ عَلَى الْحَالِ، وَ﴿أَمْرَأَتُهُ﴾ مَبْتَدَأٌ، وَ﴿فِي جِيدِهَا﴾ الْخَبَرُ، وَ﴿حَمَّالَةٌ أَلْحَطَبِ﴾ قُرِئَ بِالرَّفْعِ ^(٣) عَلَى الْوَصْفِ، وَبِالنَّضْبِ عَلَى الشَّتْمِ.

وَالْمَسَدُ: الْحَبْلُ الَّذِي قُتِلَ قَتْلًا شَدِيدًا، وَرَجُلٌ مَمْسُودُ الْخَلْقِ: مَجْدُولُهُ، وَالْمَعْنَى: فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِمَّا مُسِدَ مِنَ الْحَبَالِ، وَأَنَّهَا تَحْمِلُ تِلْكَ الْحُزْمَةَ مِنَ الشَّوْكِ وَتَرْبُطُهَا فِي جِيدِهَا كَمَا يَفْعَلُ الْحَطَّابُونَ؛ تَحْقِيرًا لَهَا، وَتَصْوِيرًا لَهَا بِصُورَةِ بَعْضِ الْمَوَاهِنِ ^(٤) الْحَطَّابَاتِ لِتَمْتَعِضَ مِنْ ذَلِكَ وَيَمْتَعِضَ بَعْلُهَا، وَهُمَا فِي بَيْتِ الشَّرَفِ وَالثَّرْوَةِ. وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّ حَالَهَا تَكُونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا حِينَ كَانَتْ تَحْمِلُ حُزْمَةَ الشَّوْكِ، فَلَا يَزَالُ عَلَى ظَهْرِهَا حُزْمَةٌ مِنْ حَطَبِ النَّارِ مِنَ الضَّرِيعِ وَالزَّقُومِ، وَفِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِمَّا مُسِدَ مِنْ سَلَاسِلِ النَّارِ، كَمَا يُعَذَّبُ كُلُّ مُجْرِمٍ بِمَا يُجَانِسُ حَالَهُ فِي جُرْمِهِ.

(١) قاله الحسن والسدي. راجع تفسير الماوردي: ج ٦ ص ٣٦٧.

(٢) لم نعر على قائله. والبيض والبياض: مجاز عن الخلوص من أسباب الذم، واللامة: اللوم وسببه، ووصف الحطب بالرطب لأن الرطب إذا أوقدت فيه النار كثر دخانه. راجع شرح الشواهد: ص ٢٦٠.

(٣) وهي قراءة الجمهور إلا عاصمًا. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٧٠٠.

(٤) مواهن: جمع ماهن وهي الخادم. (الصحاح: مادة مهن).

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

أَرْبَعُ آيَاتٍ مَكِّيَّةٌ^(١)، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، وَتُسَمَّى سُورَةُ التَّوْحِيدِ وَنِسْبَةُ الرَّبِّ.
فِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ
حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ».
وَعَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «مَنْ مَضَى بِهِ يَوْمٌ وَاحِدٌ فَصَلَّى فِيهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ وَلَمْ
يَقْرَأْ فِيهَا بِـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قِيلَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَسْتَ مِنَ الْمُصَلِّينَ»^(٢) ^(٣).

(١) قَالَ الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٤٢٩: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ:
مَدَنِيَّةٌ. وَهِيَ أَرْبَعُ آيَاتٍ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْمَاورِدِي: ج ٦ ص ٣٦٩: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَالْحَسَنِ وَعَطَاءٍ
وَعِكْرَمَةَ وَجَابِرٍ، وَمَدَنِيَّةٌ فِي أَحَدِ قَوْلِي ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكَ وَالسَّدي .
وَفِي الْكَشَافِ: ج ٤ ص ٨١٧: مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا (٤)، نَزَلَتْ بَعْدَ النَّاسِ .

(٢) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٣) فِي نَسْخَةٍ زِيَادَةٍ: «وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَنْ أَصَابَهُ شِدَّةٌ أَوْ مَرَضٌ، وَلَمْ يَقْرَأْ فِي
مَرَضِهِ أَوْ فِي تِلْكَ الشَّدَّةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِهِ بِـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُمَّ مَاتَ فِي مَرَضِهِ أَوْ فِي تِلْكَ
الشَّدَّةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِهِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَنْ كَانَ يَوْمًا
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْعُ أَنْ يَقْرَأَ فِي دُبْرِ الْفَرِيضَةِ بِـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَإِنَّهُ مِنْ قَرَأَهَا جَمَعَ
اللَّهُ لَهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَمَا وَلَدَا. وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حِينَ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ مِائَةَ مَرَّةٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَ
خَمْسِينَ سَنَةً. وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ صَلَّى عَلَى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ
فَقَالَ: لَقَدْ وَافَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ تِسْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ وَفِيهِمْ جَبْرَائِيلُ عليه السلام يَصَلُّونَ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: ۞

وفي الحديث: أَنَّهُ كَانَ يُقَالُ لِسُورَتَي ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الْمُقَشَّقِشَتَانِ، أَي: الْمُبَرَّتَتَانِ مِنَ الشَّرِّ وَالنَّفَاقِ ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾

﴿هُوَ﴾ ضَمِيرُ الشَّانِ، و ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هُوَ الشَّانُ، كَقَوْلِكَ: هُوَ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: الشَّانُ هَذَا، وَهُوَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا ثَانِي لَهُ، وَقِيلَ: هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ اللَّهِ ^(٢)، و ﴿اللَّهُ﴾ بَدَلٌ مِنْهُ، و ﴿أَحَدٌ﴾ خَبَرُ الْمَبْتَدَأِ، أَوْ: يَكُونُ ﴿اللَّهُ﴾ خَبَرٌ مَبْتَدَأً، و ﴿أَحَدٌ﴾ خَبَرٌ ثَانٍ، أَوْ عَلَى: هُوَ أَحَدٌ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَتْ قُرَيْشٌ: يَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِفْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ، فَزَلَّتْ ^(٣). وَالْمَعْنَى: الَّذِي سَأَلْتُمُونِي وَصَفَهُ هُوَ اللَّهُ.

يا جبرائيل بما استحقَّ صلاتكم عليه؟ فقال: بقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً. وعن فضل بن عثمان قال: أخبرني رجل عن أبي عبد الله عليه السلام: مَنْ آوَى إِلَى فِرَاشِهِ فَقَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أَحَدِي عَشْرَةَ مَرَّةً حَفِظَ فِي دَارِهِ وَفِي دَوْرٍ حَوْلِهِ. وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَجْمٍ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي دُبُرِ الْفَجْرِ لَمْ يَتَّبِعْهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ذَنْبٌ وَأَرْغَمَ أَنْفَ الشَّيْطَانِ. وَعَنِ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام: مَنْ قَدَّمَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَبَّارٍ مَنَعَهُ اللَّهُ مِنْهَا بِقِرَاءَتِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَإِذَا جَعَلَ ذَلِكَ رِزْقَهُ اللَّهُ خَيْرَهُ وَمَنَعَهُ شَرَّهُ، وَقَالَ: إِذَا خَفْتَ أَمْرًا فَاقْرَأْ مِائَةَ مَرَّةٍ آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ شِئْتِ ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ اكْشِفْ عَنِّي الْبَلَاءَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَعَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ لِرَجُلٍ: أَتُحِبُّ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِقِرَاءَةِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَسَكَتَ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ لِي بَعْدَ سَاعَةٍ: يَا حَفْصُ مَنْ مَاتَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا وَشِيعَتِنَا وَلَمْ يَحْسَنْ الْقُرْآنَ عَلَّمَهُ فِي قَبْرِهِ لِيَرْفَعَ اللَّهُ لَهُ دَرَجَتَهُ، فَإِنَّ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ عَلَى قَدَرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ، فَيُقَالُ لِقَارِئِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَأَرْقُ.

(١) حكاها الأصمعي. راجع تفسير القرطبي: ج ٢٠ ص ٢٢٥.

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ٥ ص ٣٧٧.

(٣) تفسير ابن عباس: ص ٥٢٢.

و ﴿أَحَدٌ﴾ أَصْلُهُ: وَحَدٌ، وَقُرِئَ: «أَحَدَ اللَّهِ»، بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ^(١) أَسْقَطَ لِمُلَاقَاتِهِ لَامَ التَّعْرِيفِ، وَنَحْوُهُ:

وَلَا ذَاكِرَ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا ^(٢)

وَالْأَحْسَنُ التَّنْوِينُ، وَكسْرُهُ لالتقاء الساكنين.

و ﴿الصَّمَدُ﴾ فَعْلٌ، بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، مِنْ: صَمَدَ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ أَي: قَصَدَ، وَالْمَعْنَى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ وَتُقَرُّونَ أَنَّهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَالِقُكُمْ، وَهُوَ وَاحِدٌ مُتَوَحِّدٌ بِالْإِلَهِيَّةِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ، وَهُوَ الَّذِي يُصَمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ جَمِيعِهِمْ.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لِأَنَّهُ لَا يُجَانِسُ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْ جِنْسِهِ صَاحِبَةٌ فَيَتَوَالَدَا، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْتَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ ^(٣) ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لِأَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ مُخَدَّثٌ وَجِسْمٌ، وَهُوَ قَدِيمٌ لَا أَوَّلَ لَوْجُودِهِ وَلَيْسَ بِجِسْمٍ. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا﴾ أَي: شِكْلًا وَمِثْلًا ﴿أَحَدٌ﴾ أَي: لَمْ يَكْفِئْهُ أَحَدٌ وَلَمْ يُمَآثِلْهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكَفَاءَةِ فِي النِّكَاحِ نَفِيًّا لِلصَّاحِبَةِ.

سَأَلُوهُ أَنْ يَصِفَ لَهُمْ رَبَّهُ، فَتَرَلَّتِ السُّورَةُ مَحْتَوِيَةً عَلَى صِفَاتِهِ عَزَّ أَسْمُهُ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿هُوَ اللَّهُ﴾ إِشَارَةٌ لَهُمْ إِلَى مَنْ هُوَ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ وَمُنْشِئُهَا، وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ قَادِرٌ عَالِمٌ، لِأَنَّ الْخَلْقَ وَالْإِنْشَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ قَادِرٍ لَوْقُوعِهِ عَلَى غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالِاتِّسَاقِ وَالِانْتِظَامِ، وَفِي ذَلِكَ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ حَيٌّ مُجُودٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَحَدٌ﴾ وَصْفٌ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَنَفْيِ الشَّرْكَاءِ عَنْهُ، وَ ﴿الصَّمَدُ﴾ وَصْفٌ لَهُ

(١) وهي قراءة أبي عمرو وحده. راجع كتاب السبعة في القراءات: ص ٧٠١.

(٢) و صدره: فَأَلْفَيْتَهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ. لأبي الأسود الدؤلي من أبيات يعاتب فيها امرأته. وكنى بضمير المذكر عنها استحياءً. راجع خزانة الأدب للبغدادى: ج ١١ ص ٣٧٤ وما بعده.

(٣) الأنعام: ١٠١.

بأنه ليس إلا محتاجاً إليه، وإذا لم يكن إلا محتاجاً إليه فهو غني، وفي كونه غنياً مع كونه عالماً أنه عدلٌ غيرُ فاعِلٍ للقيحِ لِعِلْمِهِ بِقُبْحِ الْقَبِيحِ وَعِلْمِهِ بِغِنَاهُ عَنْهُ، وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ نفْيٌ لِلتَّشْبِيهِ وَالْمُجَانَسَةِ، وقوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ وَضْفٌ بِالْأَوَّلِيَّةِ ^(١) وَالْقَدَمِ، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، تَقْرِيرٌ لِنَفْيِ التَّشْبِيهِ وَقَطْعٌ بِهِ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ سُبْحَانَهُ ﴿لَهُ﴾ وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَقَرٍّ لَأَنَّ سِيَاقَ هَذَا الْكَلَامِ لِنَفْيِ الْمُكَافَأَةِ عَنْ ذَاتِ الْبَارِي، وَهَذَا الْمَعْنَى مَرْكَزُهُ هَذَا الظَّرْفُ، فَكَانَ أَهَمُّ شَيْءٍ بِالذِّكْرِ، وَأَغْنَاهُ وَأَحَقَّهُ بِالتَّقْدِيمِ وَأَخْرَاهُ وَقُرِئَ: ﴿كُفُوًا﴾ بَضْمِ الْكَافِ وَالْفَاءِ، وَبُسْكُونِ الْفَاءِ ^(٢)، وَبِالْهَمْزَةِ وَتَخْفِيفِهِ ^(٣).

وَفِي عِظَمِ مَحَلِّ هَذِهِ السُّورَةِ وَكَوْنِهَا مُعَادِلَةً لِثُلُثِ الْقُرْآنِ ^(٤) عَلَى قِصَرِهَا وَتَقَارُبِ طَرَفَيْهَا، دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ عِلْمَ التَّوْحِيدِ مِنْ اللَّهِ بِمَكَانٍ، وَلَا غَرْوَ فَإِنَّ الْعِلْمَ تَابِعٌ لِلْمَعْلُومِ، يَشْرُفُ بِشَرَفِهِ وَيَتَضَعُ بِضِعْفِهِ، وَإِذَا كَانَ مَعْلُومُ هَذَا الْعِلْمِ هُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ، وَصِفَاتُهُ، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا لَا يَجُوزُ، فَمَا ظَنُّكَ بِشَرَفِ مَنْزِلَتِهِ وَعُلُوِّ شَأْنِهِ وَجَلَالَةِ رُتْبَتِهِ؟

وَعَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام: إِذَا فَرِغْتَ مِنْ قِرَاءَةِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَقُلْ: كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي، ثَلَاثًا ^(٥).

وَيُرْوَى: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقِفُ عِنْدَ آخِرِ كُلِّ آيَةٍ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ ^(٦).

(١) فِي نَسْخَةٍ: «بِالْأَوَّلِيَّةِ».

(٢) وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْزَةٍ وَحْدَهُ. رَاجَعَ التَّيْسِيرَ فِي الْقِرَاءَاتِ لِلدَّانِي: ص ٢٢٦.

(٣) قَرَأَ حَمْزَةً فِي الْوَصْلِ وَأَبُو عَمْرٍو بِرَوَايَةٍ مَحْبُوبٍ عَنْهُ وَنَافِعٌ بِرَوَايَةٍ بِالْهَمْزِ خَفِيفَةٍ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَالْكَسَائِيُّ وَأَبُو عَمْرٍو بِرَوَايَةِ الْيَزِيدِيِّ وَعَبْدُ الْوَارِثِ وَعَاصِمٌ بِرَوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ عَنْهُ بِالْهَمْزِ مَثْقَلَةٍ، رَاجَعَ كِتَابَ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ: ص ٧٠١ - ٧٠٢.

(٤) أَنْظَرَ التَّوْحِيدَ لِلصَّدُوقِ: ص ٩٥، وَالْكَافِي: ج ٢ ص ٦٢١ ح ٧.

(٥) أَوْرَدَهُ فِي عَيُونِ أَخْبَارِ الرِّضَا عليه السلام: ج ١ ص ١٣٣ ح ٣٠.

(٦) رَوَاهُ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٤٣٢. وَفِي الْكَافِي: ج ٢ ص ٦١٦ ح ١٢ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَكْرَهُ أَنْ يَقْرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

سُورَةُ الْفَلَقِ

مُخْتَلَفٌ فِيهَا ^(١)، وَهِيَ خَمْسُ آيَاتٍ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ جَمِيعَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ» ^(٢).

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ لَمْ يَنْزَلْ مِثْلُهُنَّ: الْمُعَوِّذَتَانِ» ^(٣).

وَعَنِ الْبَاقِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَوْتَرَ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قِيلَ لَهُ: أَبْشُرْ يَا عَبْدَ اللَّهِ فَقَدْ قَبِلَ اللَّهُ وَتَرَكَ» ^(٤).

(١) قَالَ الشَّيْخُ فِي التَّبْيَانِ: ج ١٠ ص ٤٣٢: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ. وَهِيَ خَمْسُ آيَاتٍ بِإِخْلَافٍ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْمَآوَرِدِيِّ: ج ٦ ص ٣٧٣: مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعُكْرَمَةَ وَعَطَاءَ وَجَابِرٍ، وَمَدَنِيَّةٌ فِي أَحَدِ قَوْلِي ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ.

وَفِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٨٢٠: مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا (٥)، نَزَلَتْ بَعْدَ الْفِيلِ.

(٢) رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: ج ٤ ص ٨٢٢ مَرْسَلًا.

(٣) أَخْرَجَهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ: ج ٨ ص ٦٨٤ وَعَزَاهُ إِلَى مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ وَابْنِ الضَّرِيرِ وَابْنِ الْأَنْبَارِيِّ فِي الْمَصَاحِفِ وَابْنُ مَرْدُودِيهِ.

(٤) ثَوَابُ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ: ص ١٥٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴿
 قَالُوا فِي الْمَثَلِ: «أَيُّنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَمِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ»^(١). وهو فَعَلٌ بِمَعْنَى: مَفْعُول. والمعنى: ﴿قُلْ﴾ أَعْتَصِمُ وَأُمْتَنِعُ ﴿بِرَبِّ﴾ الصُّبْحِ وَمُدَبِّرِهِ وَمُطْلِعِهِ، وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَا يَفْلُقُهُ اللَّهُ كَالْأَرْضِ عَنِ النَّبَاتِ، وَالْجِبَالِ عَنِ الْعُيُونِ، وَالسَّحَابِ عَنِ الْمَطَرِ، وَالْأَرْحَامِ عَنِ الْأَوْلَادِ^(٢). وَقِيلَ: هُوَ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ^(٣)، أَي: وادٍ فِيهَا، كَمَا قِيلَ لِلْمُطْمَئِنِّ مِنَ الْأَرْضِ: فَلَقٌ.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أَي: مِنْ شَرِّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمُكَلَّفِينَ وَأَفْعَالِهِمْ، مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمَضَارِّ وَالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَغَيْرِ الْمُكَلَّفِينَ وَمَا يَحْصُلُ مِنْهُمْ مِنَ الْأَكْلِ وَالنَّهْشِ وَاللَّدَغِ وَالْعَضِّ، وَمَا وَضَعَهُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الْأَحْيَاءِ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّرِّ، كَالْإِخْرَاقِ بِالنَّارِ وَالْقَتْلِ فِي السُّمِّ.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾ وَهُوَ اللَّيْلُ إِذَا أَعْتَكَرَ ظِلَامُهُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾^(٤)، وَوُقُوبُهُ: دُخُولُ ظِلَامِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، يُقَالُ: وَقَبَتِ الشَّمْسُ إِذَا غَابَتْ. وَفِي الْحَدِيثِ: لَمَّا رَأَى الشَّمْسُ قَدْ وَقَبَتْ قَالَ: «هَذَا حِينُ حُلَّهَا»^(٥) يَعْنِي: صَلَاةَ الْمَغْرِبِ. وَخَصَّ اللَّيْلَ بِذَلِكَ لِأَنَّ أَنْبِثَاتِ الشَّرِّ فِيهِ أَكْثَرُ، وَالتَّحَرُّزُ مِنْهُ أَضْعَبُ.

(١) أنظر مجمع الأمثال للميداني: ج ١ ص ١٢٥.

(٢) قاله الحسن البصري في تفسيره: ج ٢ ص ٤٤٥.

(٣) قاله ابن عباس والسدي وكعب ورواه أبو هريرة عن النبي ﷺ. راجع تفسير الطبري:

ج ١٢ ص ٧٤٦-٧٤٧. (٤) الإسراء: ٧٨.

(٥) أخرجه الهروي في غريب الحديث: ج ٢ ص ١٩٤ مرسلًا.

وَقَالُوا: «الَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ»^(١).

و ﴿النَّفَثَاتِ﴾ النَّسَاءُ، أَوْ: النَّفُوسُ، أَوْ: الْجَمَاعَاتُ السَّوَاحِرُ اللَّوَاتِي يَعْقِدْنَ عُقْدًا فِي خُيُوطٍ، وَيَنْفُثْنَ عَلَيْهَا وَيَرْقِينَ.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أي: إِذَا أَظْهَرَ حَسَدَهُ وَعَمَلَ بِمَقْتَضَاهُ مِنْ بَغْيِ الْغَوَائِلِ لِلْمَحْسُودِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُ مَا أَضْمَرَهُ لَمْ يَتَعَدَّ مِنْهُ ضَرَرٌ وَشَرٌّ إِلَى مَنْ حَسَدَهُ، بَلْ هُوَ الضَّارُّ لِنَفْسِهِ لَا غِتْمَامِهِ بِسُرُورٍ غَيْرِهِ. وعن عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَمْ أَرَ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِالْمَظْلُومِ مِنَ الْحَاسِدِ^(٢). وقيل معناه: مِنْ شَرِّ نَفْسِ الْحَاسِدِ وَعَيْنَيْهِ^(٣) فَإِنَّهُ رَبَّمَا أَصَابَ بِهِمَا وَعَابَ وَضُرَّ.

وعن أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ فَقَالَ: اللَّهُ اللَّهُ، مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْئًا»^(٤).



(١) انظر مجمع الأمثال: ج ٢ ص ١٤٢.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٨٢٢.

(٣) قاله قتادة وعطاء الخراساني. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٧٥١.

(٤) أخرجه الديلمي في الفردوس: ج ٤ ص ٤٩٧ ح ٥٦٩٦ وفيه: «لم تضره العين».

سُورَةُ النَّاسِ

مُخْتَلَفٌ فِيهَا ^(١) سِتُّ آيَاتٍ.

عن الباقر عليه السلام: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اشْتَكَى فَأَتَاهُ جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ، فَقَعَدَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَمِيكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَعَوَّذَهُ جِبْرَائِيلُ بِـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَمِيكَائِيلُ بِـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾» ^(٢).

وَرُوِيَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ كَثِيرًا مَا يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ» ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ

(١) قال الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١٠ ص ٤٣٥: وهي ست آيات بلا خلاف.

وفي تفسير القرطبي: ج ٢٠ ص ٢٦٠: مثل الفلق لأنها إحدى المعوذتين.

وفي الكشف: ج ٤ ص ٨٢٠: مكية، وقيل: مدنية، وآياتها (٦)، نزلت بعد الفلق.

(٢) وأخرج قريبا منه السيوطي في الدر المنثور: ج ٨ ص ٦٨٧ عن عائشة وعزاه الى ابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٣) رواه البخاري في الصحيح: ج ٦ ص ٢٩٣، وأبوداود في السنن: ج ٤ ص ٢٣٥ ح ٤٧٣٧،

والترمذي في السنن أيضا: ج ٤ ص ٣٩٦ ح ٢٠٦٠، وأحمد في المسند: ج ١ ص ٢٢٦،

والحموي في فرائد السمطين: ج ٢ ص ١١٢ ح ٤١٦، والحاكم في المستدرک: ج ٣ ص

١٦٧ و ٢٧٠ كلهم عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس.

الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦).

﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ بِخَالِقِهِمْ وَمُنْشِئِهِمْ وَمُدَبِّرِهِمْ. ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ سَيِّدِهِمْ وَالْقَادِرِ عَلَيْهِمْ. ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ مَعْبُودِهِمُ الَّذِي تَحَقُّ الْعِبَادَةُ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ. و ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ و ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ كِلَاهُمَا عَطْفٌ بَيَانٍ لـ ﴿رَبِّ النَّاسِ﴾، يُبَيِّنُ بـ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ثُمَّ زِيدَ بَيَانًا بـ ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ لِأَنَّهُ قَدْ يُقَالُ لِغَيْرِهِ «رَبُّ النَّاسِ»، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١)، وَقَدْ يُقَالُ: «مَلِكُ النَّاسِ»، فَأَمَّا: «إِلَهُ النَّاسِ» فَخَاصٌّ لَا شَرَكَةَ فِيهِ، فَلِذَلِكَ جُعِلَ غَايَةً لِلْبَيَانِ، وَإِنَّمَا أُضِيفَ «رَبُّ» إِلَى «النَّاسِ» خَاصَّةً لِأَنَّ الْإِسْتِعَاذَةَ إِنَّمَا وَقَعَتْ ﴿مِنْ شَرِّ﴾ الْمَوْسُوسِ ﴿فِي﴾ صُدُورِ النَّاسِ ﴿فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَعُوذُ مِنْ شَرِّ الْمَوْسُوسِ فِي﴾ صُدُورِ النَّاسِ، بِرَبِّهِمُ الَّذِي يَمْلِكُ عَلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ، وَهُوَ إِلَهُهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ. وَإِنَّمَا أَظْهَرَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ الَّذِي هُوَ ﴿النَّاسِ﴾ فِي الْجَمِيعِ، لِأَنَّ عَطْفَ الْبَيَانِ إِنَّمَا هُوَ لِلْكَشْفِ وَالْبَيَانِ، فَكَانَ مَظْنَةً لِلإِظْهَارِ دُونَ الإِضْمَارِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالنَّاسِ الْأَوَّلِ: الْأَجَنَّةُ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ لِأَنَّهُ يُرَبِّيهِمْ، وَالْمُرَادُ بِالثَّانِي: الْأَطْفَالُ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ لِأَنَّهُ يَمْلِكُهُمْ، وَالْمُرَادُ بِالثَّالِثِ: الْبَالِغُونَ الْمُكَلَّفُونَ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ لِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُ^(٢).

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ هُوَ اسْمٌ بِمَعْنَى الْوَسْوَاسَةِ، كَالزَّلْزَالِ بِمَعْنَى الزَّلْزَلَةِ، وَأَمَّا الْمَصْدَرُ فَوَسْوَاسٌ - بِالْكَسْرِ - كَزِلْزَالٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ الشَّيْطَانُ، سُمِّيَ بِالْمَصْدَرِ كَأَنَّهُ وَسْوَاسَةٌ فِي نَفْسِهِ لِأَنَّهَا صَنَعَتْهُ وَشُغِلَتْهُ الَّذِي هُوَ عَاكِفٌ عَلَيْهِ، أَوْ: أُرِيدَ: ذُو الْوَسْوَاسِ.

(١) التوبة: ٣١.

(٢) في المجمع: ج ١٠ ص ٥٧٠ نسبه الى جامع العلوم النحوي.

وَالْوَسْوَسةُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، و ﴿الْخَنَاسُ﴾ الَّذِي عَادَتْهُ أَنْ يَخْنِسُ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى «الْخُنُوسِ» وَهُوَ التَّأَخُّرُ، كـ «الْعَوَاجِ» وَ «الْبَتَّاتِ» لِمَا رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ أَلْتَمَعَ قَلْبُهُ» ^(١).

﴿الَّذِي يُوسُوسُ﴾ يَجُوزُ فِي مَحَلِّهِ الْجُرُّ عَلَى: صِفَةِ ﴿الْوَسْوَاسِ﴾، وَالنَّصَبُ وَالرَّفْعُ عَلَى الشَّتْمِ، وَيَحْسَنُ أَنْ يَقِفَ الْقَارِئُ عَلَى ﴿الْخَنَاسِ﴾، وَيَبْتَدِئُ: ﴿الَّذِي يُوسُوسُ﴾ عَلَى أَحَدِ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بَيَانُ لـ ﴿الَّذِي يُوسُوسُ﴾ عَلَى أَنْ يَكُونَ الشَّيْطَانُ ضَرْبَيْنِ: جَنِّي وَإِنْسِي، كَمَا قَالَ: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ ^(٢)، وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: هَلْ تَعَوَّذْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْطَانِ الْإِنْسِ؟ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿مِنْ﴾ لَا بَتْدَاءَ الْغَايَةِ، وَتَعَلَّقَ بـ ﴿يُوسُوسُ﴾ أَي: يُوسُوسُ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ جِهَةِ الْجِنِّ وَمِنْ جِهَةِ الْإِنْسِ.

وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا قَرَأْتَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فَقُلْ فِي نَفْسِكَ: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَإِذَا قَرَأْتَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فَقُلْ فِي نَفْسِكَ: أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ.



(١) أخرجه السيوطي في الدرّ: ج ٨ ص ٦٩٤ وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان وأبي يعلى وابن شاهين والبيهقي في الشعب . (٢) الأنعام: ١١٢ .

وهذا آخر الكتاب، والله الحمد والشكر على تأييده وتسديده أولاً وآخرًا متواليًا متواترًا، وكان أبتدائي بتأليفه سنة اثنتين وأربعين وخسمائة في يوم السبت الثامن عشر من صفر، وفراغي منه بعون الله ومنه ليست بقين من المحرم، الشهر الثاني عشر في مدة شهور العام، وعدة نقباء موسى الأعلام بأرض الشام في سالف الأيام، وخلفاء نبينا محمد عليه وعليهم السلام أئمة الإسلام وحجج المهيمن السلام، فالله الكريم الجواد الرحيم أسأل، وبهم إليه أتوسل، أن يجعل كدِّي وكدحي وأجتهادي وجدِّي في تصنيفه وترصيفه، وتهليله وتهذيبه، حتى جلا من كِنِّهِ فرداً فذاً في فنِّهِ، مندمجاً على جواهر التفسير وزواهره، مُكْتَزِزاً ببواطن علمه وظواهره، عديم النظير في الكتُب، جديراً أن يُكْتَبَ بماء الذهب، في أوجز لفظٍ وأبلغه وأكمل معنى وأسبغه، ترى جميع متضمناته موافقاً لأصول الدين وفروعه، مطابقاً لمعقوله ومسموعه، فهو الحقُّ القديم والدرُّ اليتيم والصِّراطُ المستقيم، تستنجح ببركاته الحاجات ويستدفع به الملمات، ويستفتح به الأغلاق ويستنزل به الأرزاق، موجباً لرضوانه مؤدياً إلى جنانه، وسبباً لإحراز ذخائر الأجر وأدّخار كرائم الذخر، ووُضْلَةً إلى شفاعَةِ النَّبِيِّ المصطفى وأهل بيته النجوم الزاهرة، الذين استضاءت بأضوائهم، وتقيأت بأفئائهم، واهتديت بمنارهم^(١)، واقتبست من أنوارهم.

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَطْلُبْ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَكَ وَلَمْ أَعْتَمِدْ بِهِ غَيْرَكَ، فَاصْفَحْ عَن جُرْمي، وتجاوز عن سيئاتي بشفاعتهم، وأنضمني يوم القيامة في جملتهم، وأفض عليّ سجال نعمك، وأخصني بلطائف كرمك، إِنَّكَ أَنْتَ الكريم المَنَّان، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الأخيار، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وهو ربُّنا عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير.